International Islamic University, Islamabad.
Faculty of Usuluddin,
Department of Tafseer &
Quranic Sciences.



الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن.

تحقيق مخطوط "التفسير إلهام الرحمن" للشيخ عبيد الله السندي (1944م)
من سورة الدهر إلى سورة الحجرات

(دراسة وتحقيقا)

مشروع: رسالة علمية مقدم للحصول على درجة الدكتوراة في التفسير وعلوم القرآن

تحت إشراف:

فضيلة الأستاذ الدكتور قاري تاج أفسر حفظه الله تعالى

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

قدمه الطالب:

عبد الحي

رقم التسجيل: 242/FU/PHDTQS/F15

العام الجامعي 1442هـ/ 2021 م

الإهداء

❖ إلى منقذ البشرية، وحبيب ربّ البرية ، من خيّره الله تعالى بين الدنيا ولقائه فاختار لقاء ربه : أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمد _صلى الله عليه وسلم _ الذي أنار مشكوة العلم وفجّر ينابيع المعرفة وبلغ رسالته إلى القادمين جيلا بعد جيل.

❖ وإلى أجدادي الأفاضل، أصحاب العلم والفضل، الذين استضاءت بهم حياة أسرتي علميا، وعمليا، وروحيا،اللهم برّد مضاجعهم،واغفرلهم،وأدخلهم في جوار رحمتك، وارزقهم جنة الفردوس برحمتك يا أرحم الراحمين.

❖ وإلى روح الشيخ عبيدالله السندي_ رحمه الله_.

❖ وإلى أرواح أساتذة الشيخ عبيد الله السندي _رحمه الله _.

❖ وإلى والدىّ المحبوبين الكريمين اللذين تحملا عني المشقة والعناء،وربّياني منذ صغري خاصة أبي الذي أعدني لتعليم الدين،وشجّعني على تعلّمه فأدعو لهما ملبيا أمر الله تعالى :﴿**رَبِّ ارْحَمْهما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً**﴾ {سورة الإسراء : 24}، وأدعو الله تعالى أن يمدّ في عمرهما،ويرزقهما الصحة والعافية ،ويجزيهما أحسن الجزاء في الدارين.

❖ وإلى أساتذتي الكرام، أكرم الخلق وأعز الناس الذين شجعوني على الجدّ في سبيل طلب العلم وأنفقوا الكثير من الوقت ما في وسعهم لأجله، لو لم يحسنوا عليّ لما تمكنت على أن أحرر هذه الكلمات، اللهم ارفع درجاتهم في الدارين. .

❖ وإلى كل من مدّ إليّ يد العون في مواصلة دراستي.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله أحمده وأستعينه وأشكره على ما أسبغ عليّ من نعم لاتحصى، وأصلّي وأسلّم على حبيبه المصطفى المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وأصحابه نجوم الهدى، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فعملا بقول الله عزوجل : ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** . . ﴾[1] وامتثالا بهدي النبي ــصلى الله عليه وسلمــ : "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّه ". [2]

فأولا أشكر الله ربي الذي أنعم علي بآلائه التي لاتحصى ولاتعد وأكرمني بنعمة العلم ومن عليّ بإنجاز هذا البحث المتواضع.

لايسعني إلا أن أتقدم بالشكر وجزيل الامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة، وأخص بالذكر الجامعة الإسلامية العالمية متمثلة في إدارتها عموما ،وكلية أصول الدين،وقسم التفسير وعلوم القرآن خاصة حيث أتاحت لي هذه الفرصة الغالية.

ثم أتقدم بالشكر لجميع أساتذتي،وشيوخي الذين أسهموا في تكويني العلمي بتقديم خبراتهم المتنوعة،وأخص منهم بالشكر سعادة الأستاذ الدكتور قارئ تاج أفسر ــ حفظه الله تعالى ــالذي تفضل بالإشراف على هذا البحث،فقدم لي ملاحظاته القيمة واستدراكاته الدقيقة،وأرشدني بتوجيهاته المفيدة،وأفادني بآرائه السديدة،وأعطاني من وقته وجهده ضعف الأضعاف ما كنت أرجوه منه.وأدعوا الله ــعزوجلــ أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناته يوم القيامة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

(1).سورة ابراهيم، الآية :7

(2).أخرجه الإمام الترمذي (المتوفى 279ه) في سننه 4/ 339 في باب ما جاء بالشكر لمن أحسن إليك رقم الحديث1955، مط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط: الثانية: 1395 هـ = 1975م.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل مني هذا البحث المتواضع قبولا حسنا وخالصا لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وأن ينفعنا به.

كما أسأل الله تعالى أن ينفعني بما علمّني ،وأن يوفّقني لما يحبه ويرضاه ،وأن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم ،وأن يتقبلها مني،إنه بي وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

وصلى الله ــجلّ وعلا ــ على حبيبه خير خلقه سيّدنا محمد ،وعلى آله وصحبه،وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،وسلّم تسليما كثيرا كثيرا.

القسم الأول :

مقدمة البحث للتفسير" إلهام الرحمن" (مخطوط)

الحمد لله الذي لاإله إلاهو المتوحد في الجلال بكمال الجمال الذي أنزل الفرقان على عبده؛ليكون للعالمين نذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا.ونشهد أن لاإله الا الله وحده لاشريك له في ذاته،ولا في صفاته،ولا في أفعاله،ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسولهــ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليما كثيرا كثيراــ.

أهمية الموضوع :

فإن أفضل ما اشتغل المشتغلون من العلوم،وأفنيت فيه الأعمار،ووجهت إليه الهمم،هو كتاب الله تعالى،من تمسك به هدى،ومن اهتدى بنوره رشد.ولقد كان محل العناية من هذه الأمة منذ نزوله على محمد ــصلى الله عليه و سلمــ إلى وقتنا هذا،وقد تركوا لنا تراثا ضخما،مليئا بالنوادر،ومكتظا بالجواهر الذي ذخرت به المكتبة الإسلامية.وهذا كان نتيجة جهود العلماء و المحققين من سلف الأمة الذين أفنوا أعمارهم،وتركوا الديار،وشدوا الرحال،وقابلوا الرجال،وسحروا الليالي،وانصرفوا عن الملذات.وقد انتشر هذا التراث في علومه المتنوعة في بلاد شتى،وقامت الجامعات الأكاديمية بفتح المجال لتحقيق هذا التراث.وبعد اكتشاف آلات الطبع تزادد الحاجة إلى

أن تنشر هذه الكنوز إلى أطراف العالم،ولايزال العلماء يتحدثون عن المخطوطات وطبعها.وبتوفيق الله ــ جل وعلاــ أدرك أبناء الأمة الإسلامية أهمية الحفاظ على جهود أسلافهم،وأنفقوا أوقاتهم الثمينة وأموالهم لإخراج الدرر من مكنونها.ويكون الأمر أكثر دقة وأبلغ انتظاما عندما تهرع المؤسسات التعليمية المتعددة لتنفيذ تلك المهمة الشريفة،فتنشئ المراكز المتخصصة،وتقيم المعاهد المتنوعة التي تخدم هذا الأمر،وتهيء للباحثين كل ما يحتاجونه في هذا الشأن،وتسهل لهم طرق الحصول على تلك المخطوطات بكل الوسائل المتاحة وفي أي مكان وجدت. وكل أولئك عوامل رئيسة كان لها أثر في إماطة اللثام عن هذا العباب الزاخر من مصنفات السلف التي تزخر بها مكتبات العالم.والمراد من تحقيق المخطوطات إخراج غير المنشور إلى منصة المنشور بثقة أن ما جاء في حلة النشر الشهباء هو حصيلة الفكر من نسب إليه بألفاظه إلى قدر الإمكان,وغايته هو تقديم المخطوطة صحيحا كما وضعه مؤلفه بدون شرحه.ولو ننظر إلى التراث الهائل المبعثر في مكتبات شبه القارة الهندية،نرى أن هذا التراث له قيمة علمية وإنه بحاجة ماسة إلى إخراجه في ثوب الطباعة بعد البحث العميق والتحقيق الدقيق ليزدهر تراثنا العلمي،وهذه المصنفات تتعلق بجميع العلوم والفنون على رأسها علم التفسير،فلعلماء الهند مصنفات ضخيمة في هذا.

إننا نجد شخصية علمية فذة لها باع طويل في مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه ألا وهي شخصية الشيخ عبيد الله السندي (1872ء- 1944ء)الذي كان حقا شارحًا كبيرا لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي هو أول مفكر إسلامي في شبه القارة،وإنه كتب على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للإسلام،فمشيرا إلى جانبه هذا يكتب شاعر الشرق محمد إقبال: "إن كتابة الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي حول السياسة والاقتصاد محيرة للعقول جدا في زمن كانت قوى المسلمين العلمية والعملية في معرض الزوال كتدهورهم في مجال السياسية والحكومة،وكان الناس يتوغلون في أمور لاطائل تحتها،وإن الشاه ولي الله الدهلوي هو الرائد الحق لنشأتنا الثانية." [(1)]
ويقول أيضا: "نحن المسلمون في مواجهة مهمة كبيرة جدا،وإني أرى لزاما علينا أن نفكر على الإسلام من جديد كنظام حيّ دون أي انقطاع عن ماضينا،ولعل الإمام الشاه ولي الله الدهلوي

(1) **اقبال کے حضور** سید نذیر نیازی، 303. إكاديمية إقبال، لاهور: 2012م.

كان أول من شعر بالنهضة الجديدة." [1] ويكتب إقبال في رسالة إلى المولوي أحمد رضا البجنوري: "هل يمكن لك أن تجوّز لي اسما لعالم له نظرة ثاقبة على الفقه الإسلامي والأصول والفقه والتفسير مع الخبرة التامة بفلسفة الشاه ولي الله وكتاباته،فلو أجد هذا العالم،فأهيئ له فرصة القيام عندي لقسط من الوقت،وأدفع له عوضا عن ذلك مكافأة مالية. " [2] لعل محمد إقبال لم يتعرف الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد،فإنه كان رجلا عبقريا لهذه المهمة العلمية.

يقول الشيخ السندي عن تدبره القرآن وتذوقه: "ما زلت أطالع القرآن وحجة الله البالغة[3] منذ اثنتى عشرة سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشكلة القرآنية لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة،وأما الذين لايشهدون بمكانة الإمام ولي الله،لا أستطيع دعوى جعلهم مطمئنين،ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب أصولي،ولابد من الشهادة بتأثير ذلك المقام المقدس المتجلي."[4]

والشيخ السندي قد ترك تراثا علميا خلفه،وخاصة أماليه على تفسير القرآن باللغة العربية المسمى ب"إلهام الرحمن في تفسير القرآن".وهذا تفسير منفرد حيث مادته وفكرته فإنه يتناول التفسير السياسي الاجتماعي للقرآن.ومن خلال ذلك يتمسك بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي,ورغبة مني بالمشاركة بهذه المسيرة المباركة لنيل درجة الدكتوراة اخترت مخطوطه للتحقيق.
وقبل الدخول في صلب الموضوع لابد أن أذكر هنا بعض الأمور المتعلقة بمقدمة البحث.

- **أسباب اختيار الموضوع**
- **التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية**
- **مميزات التفسير العلمية ومنهج المؤلف فيه**
- **منهج التحقيق**
- **الدراسات السابقة**
- **تحقيق المخطوط**

---

(1) **التكوين الجديد للفكر الديني في الإسلام**، محمد إقبال، 97.ط:لاهور.
(2) **اقبال نامه**، محمد عطاء الله، 241- 242.
3 كتاب فريد لم يكتب مثله وهو في موضوع علم أصول الدين ، وأسرار الشريعة. وهو مطبوع متداول.الباحث
(4) مولانا عبيد الله سندهى كى سرگذشتِ كابل،عبد الله اللغاري، رتبه، الدكتور غلام مصطفى خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي14. قومى اداره براے تحقيق تاريخ وثقافت,إسلام آباد: ط: 2017ء.

❖ منهج الباحث في تحقيق المخطوط

أسباب اختيار الموضوع:

كما يقدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط,بما في ذلك من مكررات للنسخة الواحدة،ولم يطبع منها حتى الآن معشار عشرها،وهي تشكل بمجوعها ثروة علمية هائلة في شتى فروع المعرفة بحاجة لمن يظهرها إلى عالم الطباعة؛لينتفع بها المسلمون؛ولذلك أدخل تحقيق المخوطات في الدراسات العليا في الجامعات مؤخرا ومن التراث الإسلامي في شبه القارة الهندية _عدا التحقيقات العلمية العديدة _الذي ترك لنا الشيخ السندي تفسيره باللغة العربية المسمى ب تفسير إلهام الرحمن في تفسير القرآن،ومخطوطه الأصيل موجود في مكتبات دولتنا، ونسخة من هذا المخطوط توجد في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.وهذا المخطوط كان في حاجة إلى تحقيق وتعليق،وإخراجه في الثوب الجديد فاخترت هذا المخطوط في مرحلة الدكتوراة.وكثيراما نرى في بلاد العرب أن الطلاب من مراحل الماجستير والدكتوارة يختارون المخطوطات العلمية للبحث والتحقيق في مراحلهم الدراسية.وهذا الأمر يثري المكتبة الإسلامية.وهذا التفسير له مميزات عديدة كما نذكرها من بعد،من أهمها أنه لاينظر إلى تفسير القرآن تعبيرا حرفيا بل يربط التعاليم القرآنية بنظم الإسلام الاجتماعي،وهذا من أكبر التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم حيث نسمع هتافات التفريق بين الدين والدولة،وأن الدين أمر شخصي لاعلاقة له بأمور الدولة والمجتمع،ولكن على العكس من ذلك أن فلسفة الإمام ولي الله الدهلوي_ التي تجلت فكرته في التفسير إلهام الرحمن وكتابات الشيخ السندي الأخرى_ تنظر إلى الإسلام نظرة متكاملة وتقدمه دينا جديرا بهداية الإنسانية في كل عصر ومصر .وفي هذا الصدد يمكن الاختلاف مع الشيخ السندي،ولكن باعه الطويل في تدبر القرآن وفهمه لفلسفة الإمام الشاه ولي الله لاينكر.

التعريف بالمؤلف: الشيخ عبيد الله السندي ومكانته العلمية :

هو الشيخ عبيد الله بن إسلام السندي أحد العلماء المشهورين،ولد في بيت من بيوت الوثنيين في 9 من المحرم سنة 1289هـ الموافق 1872م في قرية "جيانوالي" من مضافات

سيالكوت[1] وتوفي والده قبل ولادته فتربي في حجر خاله الوثني،وتعلم الخط والحساب والتاريخ وغيرها في مدرسة إنكليزية.ورأي ذات يوم في اليقظة أن نقطة من نور حاذت بين عينيه ثم دخلت في قلبه،فوجد بردا وسكينة في قلبه ،وألقى في روعه أنه سيدخل في دين الإسلام فرغب إليه وحصل بعض الكتب الإسلامية كتحفة الهند للشيخ عبيد الله البائلي(2) وتقوية الإيمان للشيخ الشهيد إسماعيل، (3)واشتغل بها مدة حتى رسخ في قلبه الإيمان،فهاجر من بلدته إلى السند سنة 1305هـ=1888م فأسلم على يد الشيخ الحاج محمد صديق السندي(4) وشرح الله صدره فأقبل على طلب العلم وقرأ النحو والصرف ثم رحل إلى كانبور[5] وقرأ فيها على الشيخ أحمد حسن الكانبوري(6) ،ثم إلى ديوبند فأخذ الحديث عن شيخ الهند محمود حسن بن ذو الفقار علي(7)

---

[1] بلد من بلاد بنجاب باكستان.الباحث

(2) الشيخ عبيد الله السلفي البائلي صاحب تحفة الهند، كان اسمه في الجاهلية اننت رام واسم أبيه كوني مل، من الله سبحانه عليه السلام، وأظهر إسلامه سنة 1264 هــــ وحسن إسلامه، وصنف رسالة لطيفة في تحقيق ديانة الهنود تسمى بتحفة الهند، فهدي الله سبحانه بها كثيراً من الناس. كان الشيخ عبيد الله من السعداء الذين شرح الله صدرهم للاسلام، وملأ قلوبهم حباً وإيماناً وحكمة، و توفي سنة 1310هــــ. لينظر:الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بــــ **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، ت: عبد الحي الحسني 8/ 1299-1300. دار ابن حزم، بيروت 1420هـ .

(3) الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني ابن ولي الله الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء وقوة النفس والصلابة في الدين، ولد بدهلي سنة 1193هـ كان بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وأخذ عنه الطريقة، فجاهد معه في سبيل الله مع البشتون ضد الإمبراطورية السيخ، واستشهد في بالاكوث من أرض ياغستان (الآن باكستان) سنة 1246 هـ. من كتبه **رسالة أصول الفقه**، وله في التوحيد والتصوف **تقوية الإيمان** وهو بالأردية، و **العبقات.** ولينظر: **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر، 7** /914.

(4) - هو الشيخ الحافظ محمد صديق البرجوندوي السندي من أئمة الطريقة الراشدية ، وكان يمنع عن الشرك والبدعة ،وكان صحب الصدر الشهيد الشاه اسماعيل،والأمير الشهيد السيد احمد البريلوي لما وردوا في السند لاجتيازهم إلى أفغانستان وتنور بصحبتهم.توفي سنة 1308ه. لينظر:سرگزشت حيات (ترجمة تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيد الله السندي) باللغة الأردية للشيخ عبد الخالق آزاد، 34 مط: إداره رحيمية لاهور باكستان. ط: 2014م.

[5] بلد من بلاد الهند.الباحث

(6). هوالشيخ الفاضل أحمد حسن الكانبوري ولد ونشأ ببلدة "بطاله" من أعمال كورداس بور، وسافر للعلم فلازم المفتي لطف الله ببلدة عليكره وتخرج عليه، وولي التدريس بمدرسة مظاهر العلوم في سهارنبور فدرس بها زماناً، ثم ولي ب "فيض عام" في كانبور ودرس بها مدة طويلة، ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأخذ الطريقة عن سيد الطائفة الشيخ إمداد الله المهاجر ، ثم رجع إلى الهند.من مؤلفاته تعليقات على المثنوي المعنوي، ورسالة في إمكان الكذب وامتناعه لله سبحانه وتوفي في سنة 1322ه لينظر نزهة الخواطر 1180/8

(7). هو الشيخ محمود حسن بن الشيخ ذوالفقار على المعروف ب "شيخ الهند " ولد في بريلي سنة 1268ه وكان طالبا أولا لدار العلوم ديوبند درس على يد الشيخ محمد قاسم النانوتوي وغيره ثم عين مدرسا بدار العلوم. من تلامذته الشيخ أشرف علي التهانوي،والشيخ أنور شاه الكشمير ،والشيخ عبيد الله السندي،والشيخ حسين أحمد المدني وغيرهم. توفي الشيخ _رحمه الله_ سنة 1339ه لينظر: أكابرعلماء ديوبند للحافظ أكبر شاه البخاري ص 41- 44 مط: إدارة إسلاميات لاهور وأيضا تاريخ دارالعلوم ديوبند للشيخ محبوب الرضوي 2 / 33-36 ط: 2005م مط: الميزان ناشران وتاجران كتب لاهور باكستان.

الحنفي،وتفقه عليه ورسخ في العلوم،ثم ولي التدريس بمدرسة "دار الرشاد" في أرض سند فدرس بها زمانا، ثم رجع إلى ديوبند وأقام بها مدة من الزمان،وأسس جمعية مؤتمر الأنصار في 1327هـ =1909م وكان غرض تلك الجمعية أن ينظم خريجي دار العلوم ديوبند،وأن يعقد المؤتمرات لإنشاء حركة الحرية بين الناس ثم سار الشيخ إلى دهلي[1] وأسس نظارة المعارف في عام 1331هـ =1913م بفناء المسجد الفتحبوري وكان غرضها أن يجتمع الشباب من العلماء والقواد من الرجال السياسية،وأعلن أنه يدرس القرآن الكريم،وحجة الله البالغة،وبعض كتب الحديث في سنتين لمن يريد الأخذ ممن نالوا درجة الفاضلية من عليكره،وديوبند فدرس بها أعواما،ورحل إلى أفغانستان وتركيا ثم قدم مكة المكرمة وجاور فيها مدة خمس عشرة سنة يدرس فيها التفسير والحديث والعلوم الولي اللهية.كان ممن سعى لنهضة المسلمين وإقامة العدل،وبعد مجاورته بمكة المكرمة خمس عشرة سنة ثم رجع إلى الهند وقضى أيامه الأخيرة في الهند يقضي مدة في دهلي ومدة في السند يدرس فيها حجة الله البالغة على طريقته الخاصة،ويشكل بعض اللجان السياسية حتى وافاه الأجل في الثالث من رمضان سنة 1363هـ الموافق 21 من أغسطس 1944م، ودفن في قرية دين بور[2] من توابع بهاولبور[3]. (4)

كان الشيخ عبيد الله السندي مربوع القامة أسمر اللون، زاهداً في اللباس والطعام، هو كان نابغة من نوابغ عصره في قوة الإرادة وتحمل المشقات، وكان مفرط الذكاء وجيد الاستعداد في فنون شتى، ولم يكن له كبير اشتغال بالتأليف،ومن أحسن ما كتب التمهيد لتعريف أئمة التجديد بالعربية ألفه بمكة،ومقالة عن الإمام ولي الله الدهلوي في العدد الخاص بذلك لمجلة الفرقان الشهرية، تدل على سعة نظره وعمق فكرته. وكان عظيم الشغف بأفكار الشاه ولي الله الدهلوي دراسة وتدبرًا وتطبيقها على الأحوال الراهنة،وكان يدرس القرآن الكريم أيضًا في ضوء فكرة الشاه ولي الله الدهلوي،وله رأي خاص في تفسير القرآن، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية،والمذاهب الاقتصادية، وكان

---

1 عاصمة مملكة الهند.الباحث

2 قرية بجوار رحيم يار خان،بنجاب،باكستان.الباحث

3 بلد من بلاد بنجاب باكستان.الباحث

(4) لينظر: نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني الطالبي (المتوفى 1341هـ) 1300/8 وأيضا حياة الشيخ غلام مصطفى القاسمي وجهوده العلمية (غلام مصطفى قاسمي سوانح ۽ علمي كاوشون) 17-19.وأيضا: سرگزشت حيات للشيخ عبد الخالق آزاد 33-39و 89.

يتوسع في الاعتبار والتأويل،ومن تلامذته النجباء الشيخ أحمد علي اللاهوري(1)،والشيخ محمد سرور(2) ومحمد موسى جار الله (3)من علماء الروس, وحاجي نيك محمد صالح(4),والشيخ غلام مصطفى القاسمي,(5) الأديب دين محمد الوفائي(6)وغيرهم.(7)

إلهام الرحمان في تفسير القرآن وأهم ميزاته العلمية و منهج المؤلف فيه:

إن من تراث الشيخ السندي التفسيري،تفسيره باللغة العربية المسمى بـ "إلهام الرحمان في تفسير القرآن"،وقد أملاه الشيخ السندي على تلميذه موسى جارالله العالم الروسي (8) الذي تم

(1) هو الشيخ المفسر أحمد على بن الشيخ حبيب الله السندي اللاهوري من أسرة السيخ الوثنية، أسلم والده وحسن إسلامه، ولد في قرية "جَلَال " من مضافات كُوجِرانَوالَه في 2 من شهر رمضان سنة 1304ه .كان أكثر تعليمه على الشيخ عبيد الله السندي في أَمْرُوت وقرية بِيرُجَهندُو من بلاد السند، وكان من أكبر أعضاء حركة الخلافة الإسلامية، كان الشيخ السندي تزوج بوالدته حين أرملت، وزوَّجه ابنته من زوجته السندية، توفي في صلاة العشاء ساجدا في شهر رمضان المبارك عام 1381ه ، لينظر: قائد تحرير الوطن (وطن جي آزادي جو امام) للدكتور/ محمود شاه البخاري ص 144 مط: لجنة إحياء الأدب السندي ط: 1984م.

(2) ولد الشيخ في منطقة بنجاب في سنة 1906ء حصل على درجة البكارليوس مع مرتبة الشرف من جامعة ملية دهلي كما أنه درس في جامعة القاهرة بمصر،وهو جمع مقالات الشيخ السندي حول الإمام الشاه ولي الله وحركته السياسية.توفي سنة 1983ء.لينظر: مقال الشيخ غلام مصطفى القاسمي،324 مرتبه : الدكتور مظهر الدين سومرو ناشره : نظير أحمد القاسمي بن الشيخ غلام مصطفى القاسمي مط: مطبع نفيس حيدرآباد. ط: 15 اكتوبر 2000م.

(3) هو الشيخ موسى جارالله ابن فاطمة،التركستاني القازاني التاتاري،الروستوفدوني الروسي: شيخ إسلام روسيا ولد في (روستوف دون) بروسيا 1295ه،وتفقه بالعربية وتبحر بالعلوم الإسلامية ،وحج وجاور بمكة ثلاث سنين وعاد إلى بلاده، فأنشأ مطبعة في (بتروغراد) خدم بها اللغات العربية والفارسية والتركية والروسية خدمة مفيدة. وكان يحسن هذه اللغات، وتوفي في مصر "بالقاهرة" عام 1369 هـ ومن مصنفاته : نظام التقويم في الإسلام، تاريخ القرآن والمصاحف وغيرها لينظر:الأعلام للزركلي 6/ 320-321.

(4) حاجي نيك محمد كان من " كلنتن "إحدى مقاطعات الولايات للماليزيا,ولد سنة 1900ء كان أبوه "المفتي الحاج وان موسى " من كبار علماء ماليزيا , هو أرسل إبنه عبد الله إلى مكة لأخذ التعليم من الشيخ عبيد الله السندي وبقي معه من 1930ء إلى وفاته 1933ء : لينظر: سماجي إنصاف اور اجتماعيت: غلام مصطفى القاسمي, 156 ,ت:مفتى عبد الخالق آزاد لاهور ط: رحيمية مطبوعات 2019.

(5) هو غلام مصطفى بن الحافظ محمود بن رئيس خان المعروف ب علامة القاسمي من عشيرة جانديو ولد في قرية "بَنبُو خَان" من مضافات مِيرُوخَان (لَارُكَانَه) من بلاد السند.وكانت ولادته في عام 1924م.كان من كبار علماء شبه القارة الهندية. له جهود جبارة في مجالات متعددة.توفي في سنة 2003ء ودفن في حيدرآباد السند. لينظر:حياة الشيخ غلام مصطفى القاسمي وجهوده العلمية (غلام مصطفي قاسمي سوانح ۽ علمي ڪاوشون) مرتبه : الدكتور قاضي خادم 11.مط: كرسي العلامة غلام مصطفى القاسمي بجامعة السند جامشورو. ط: الأولى : 2011م.

(6) هو الشيخ دين محمد بن الحكيم كُل محمد ولد في قرية "نَبِي آبَادْ" من مضافات "كَرهي يَاسِينْ" (لَارُكَانَه) من بلاد السند في عام 1311ه.كان من شيوخه الإمام عبيد الله السندي وغيرهم، كان صحافيا، أديبا ، عالما نبيلا ، نقادا. من أعماله الرائعة نشر الجرائد باسم الوحيد ، والحزب ثم آزاد لإفهام الناس حركة الخلافة وغيرها في زمن الإنجليز لكن لما تلمذ على يد الإمام عبيد الله السندي ترك جميع المشاغل،وبدء بمطالعة الكتب والتاليف. من مؤلفاته : زندگی جو مقصد (مقصد الحياة) تذكرة مشاهير السند وهو كتاب قيم بحيث لم يسبق إليه أحد، إلهام الباري ترجمة تجريد البخاري (باللغة السندية) مطالعة شاه (مطالعة الشاعر الشعبي الشاه عبد اللطيف البهتائي) وغيرها من المؤلفات القيمة توفي في سنة 1369ه .لينظر مقال الشيخ غلام مصطفى القاسمي،ترتيب:مظهر الدين سومرو 409-410

(7) لينظر: **نزهة الخواطر**، 8/ 1300- 1302.

(8) قد سبق ترجمته.

لقاءه مع الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا،وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه،فتلقى عنه فكرة الإمام الشاه ولي الله،فنسخ هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي،وذلك فقط في مئة وخمسين يومًا [1]،وخلال هذه المدة كان معه حاجي نيك صالح،مولانا عبد الله لغاري,عزيز أحمد[2] أخو الشيخ أحمد علي اللاهوري،وقد نسخوا نسخة هذا التفسير من الشيخ موسى جار الله،وجاؤا بها إلى الهند،وقد نشر جزءا منه (من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال) الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي[3] من أكاديمية الشاه ولي الله حيدر آباد بتغيير النص وفقا لما فهم من النص بتعبيراته بدون التخريج، ولهذا نجد اختلافا بينه و بين المخطوط. وقد ترجم محمد عبد الرزاق خريج ديوبند،وتلميذ الشيخ السندي هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى المائدة ثم قام بعمل الترجمة من بداية مقدمة التفسير وسورة الفاتحة وسورة الأنعام إلى سورة التوبة مولانا محمد قاسم،ونشر هذه الترجمة مولانا محمد معاوية من"كبير والا". وهذه الترجمة مطبوعة من مكتبة أوراق لاهور، وتوجد في الأسواق والمكتبات. ([4]) ولهذا المخطوط الأساسي لا يزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانتها العلمية.

نسبة التفسير إلى الشيخ السندي

من الأسئلة التي مازالت موضع النقاش عند معتني فكرة الشيخ السندي،ما نجده في الكتب المكتوبة بإسم الشيخ السندي،أَكُلّه من فكرته أم بعضه دخيل من قبل تلامذته؟وهذا السؤال حقًا يدور حتى الآن بين الإجابتين: يقول بعض العلماء إن تلامذة الشيخ السندي أدخلوا في كتبه ما ليس من فكرته الأصيلة،وبعضهم يقول إن تلامذة الشيخ قد عبروا فكرة الشيخ السندي بألفاظهم،ولكن جوهرها من فكرة الشيخ السندي.وهذا السؤال أيضًا موجه إلى تفسير الشيخ السندي إلهام الرحمن، فيقول الشيخ عبد الحميد السواتي: "هذا [التفسير] لم يكتبه الشيخ السندي بنفسه، بل إنه خطاب إملائي،نعم! إن كثيرًا مما فيه هو من كلام الشيخ السندي،ولكن من الظلم

---

(1) **مولانا عبيد الله سندهى كے علوم وافكار:**عبد الحميد السواتي ص 67, مكتبه حميديه، جوجرانواله: 1423هـ.
(2) هو الشيخ عزيز الله بن خان محمد جروار ولد في قرية "كُلُ خَانُ " من مضافات شَهدَاد ُكُوتُ (لَارُكَانُه)من بلاد السند في عام 1339ه،وكان من شيوخه أمثال الشيخ عبيد الله السندي،غلام مصطفى القاسمي وغيرهما.لينظر: مشاركة علماء السند في حركة حرية الوطن للدكتور مظهر الدين سومرو 350-352.
(3) قد سبق ترجمته.
(4) لينظر:الترجمة الأردية لإلهام الرحمن 26.مط: مكتبة أوراق،لاهور: 2005م.

نسبة الكتاب بأجمعه من البداية إلى النهاية إلى الشيخ السندي،ويصح أن نعبر هذه النسبة بالخيانة العلمية،فإن بعض ما فيه مشتبه وخطأ لم يقل به الشيخ السندي ولاهو يلائم فلسفة الشاه ولي الله، وقد جاء موسى جار الله في السنوات الأخيرة من عمره إلى الهند ومكث في بهوفال[1]،وإنه قد كتب كتبًا أخرى،بعضها مفيد مثل الوشيعة في نقد عقائد الشيعة،وبعضها خطأ وقابل للرد، فمثلا له كتاب السنة والذي جعل فيه السنة أصلا وكتاب الله فرعًا،وهذا خلاف ما عليه أسلاف الأمة، فإنهم يجعلون كتاب الله أصلًا والسنة فرعًا وتفسيرًا وشرحًا لكتاب الله،فبناء على ذلك إن نسبة إلهام الرحمن مائة بالمائة إلى الشيخ السندي لايطابق الأمانة العلمية،ومن شأن الكتب المملأة أنه تجتمع فيها ألفاظ الجامع والسامع وتعبيراته وتخيلاته مع ألفاظ الأستاذ،ولايجوز حمل مسئوليتها جميعا على الأستاذ إلا إذا نظر فيها الأستاذ وصدقها،فأكثر الكتب التي تنسب إلى الشيخ السندي إنها في الأصل كتب إملائية،ويوجد قدر يسير من الكتب والمقالات التي سجلها الشيخ بيده هو، وموسى جار الله،وإن كان عالمِا واسع الخبرة،واستفاد من علوم الشيخ السندي،ولكنه لم يحتل مكانة العالم المحقق وإنه حاطب الليل،ومع ذلك إنه عالم صحيح العقيدة،جدير بكل إجلال وتوقير،إنه مسلم مازال فريسة اضطهاد الاستعمار الروسي،وقد أجلاه ستالين(2) من وطنه، فقضى أكثر حياته مهاجرًا يكايد المشقات."(3)

هذا رأي الشيخ السواتي،ولكن هناك رأي آخر للدكتور أبي سلمان الشاهجهانفوري، فيقول:

إن تفسير إلهام الرحمن قد صرح عنه العلامة موسى جار الله أنه رتبه بألفاظ الشيخ السندي،لم يصدر من لسانه لفظ إلا وقد حُفظ أمامه بكل دقة،وأحال الشيخ السندي بالنظر في تلك الأمالي،وأبدى مسرته واطمئنانه على جهد العلامة جار الله،واهتمامه بالصحة ثم إن الشيخ السندي أفصح عن إصلاحه ومسرته في كتابة له. (4)

---

[1] **بوبال** مدينة قديمة في الهند وتسمى بقلب الهند.الباحث.

(2) جوزيف فيساريونوفيتش ستالين ولد سنة 1878م كان السكرتير العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي من 1922م إلى 1953، ورئيس وزراء الدولة السوفيتية من 1941م إلى 1953م، و توفي سنه 1953. لينظر: رونلد فرانسس، برتانيكا،لينظر: موقعه انترنيت، https://www.britannica.com/biography/Joseph-Stalin

(3) **مولانا عبيد الله سندهى كے علوم وافكار**،عبد الحميد السواتي، 67- 69.

(4) **امام انقلاب مولانا عبيدالله سندهى – حيات وخدمات**،أبو سلمان الشاهجهانفوري،266 سندهـ ساگر اكادمى، لاهور 2016م.

يقول الدكتور أيضًا بعد ذكر ميزات التفسير إلهام الرحمن: "إن مولانا السندي قد نظر في الأمالي المؤلفة،ولم يأل السامع جهدًا في الضبط والكتابة،وقد اطمأن الشيخ بعد ملاحظة هذه المسؤولية،وأبدى مسرته.ولا نجد مثل هذه الصراحة عن الأمالي الأردية والسندية،فلايمكن الثقة بهذه الدرجة على أية مجموعة من مجموعات الأمالي سوى أمالي موسى جار الله."(1)

هذان رأيان لعالمين جليلين لهما مكانة مسلمة في الأوساط العلمية،فالتناقض الظاهر في الرأيين يشوش ذهن القارئ جدًا،ولكن حينما يرجع القارئ إلى كتب أخرى عن أفكار الشيخ السندي ألفها تلامذته آخرون مثل البروفسر سرور(2)، إنه يجد نفس الفكرة فيها فيتلجلج في خلده هل أجمع جميع التلامذة على الدس كما يدعي العلماء مثل الشيخ السواتي وأمثاله؟ الأمر أن من سجية الإنسان جرّ الشخصيات الفذة إلى شاكلات ذهنية خاصة له،وإذا ما لم يلائم شيء من أفكار تلك الشخصيات بما عنده من الشاكلة المخصوصة،يقوم بالتأويلات أو إدعاء أنهم لايمكن منهم صدور مثل هذه الأفكار،والأمر أن الشخصيات العبقرية لايتبعون بمنهج خاص مثل العامة، وإنهم يكوّنون فكرًا خاصًا لهم يمكن الاختلاف عنه،ولكن لاينبغي أن نجرّهم إلى الشاكلات الخاصة لنا،فإن هذا يضر فكرتهم ويخفي معالم شخصياتهم،وهذه الكارثة قد حلت – للأسف – على فكر كثير من الأعلام العبقرية مثل ابن تيمية،والشاه ولي الله،والغزالي،ومحمد إقبال وغيرهم.

وقد نقل الشيخ غلام مصطفى القاسمي مقدمة الشيخ موسى جار الله في بداية تفسير سورة البقرة،وهو خير دليل على حل هذا النزاع،ويقول الشيخ موسى جار الله :وبعد أن حصل عندي شئ من فلسفة الإمام ولي الله رغبت في الزيادة،وأردت رغبتي بمولانا الأستاذ الإمام السندي ففرح وأبدى رغبة أكثر من رغبتي فبسملنا وأخذنا في تفسير الكتاب الكريم على أصول فلسفة الإمام ولي الله كل يوم بعد طلوع الشمس إلى صلوة الظهر أو إلى صلوة العصر: كان يملي باللغة العربية وكنت أكتب وأجتهد أن لايفوتني حرف ولاكلمة فكتبت في مدة مائة وخمسين يوما ألفين وأربع مائة صفحة على مقدار صفحة هذه الكراسة من 18 جمادى الأولي يوم الإثنين سنة 1356هـ إلى 13 من ذى القعدة 1356هـ=26 يوليو 1937م إلى 13 من يناير

(1) المرجع السابق، 250.
(2) قد سبق ترجمته.

1938م،كان الأستاذ السندي لايسأم،وكنت أزداد نشاطا في الاجتماع والكتابة،وإن كنت مريضا أشد المرض في ختام الدرس شكرت الإمام السندي شكرا بقلبي ولساني وشكرني الإمام شكرا أزيد من شكري ألف مرة وزيادة لكرمه.ولماكان يراه من ثباتي ونشاطي وعظيم اجتهادي, ولما يراه من أماليه كلها كتبت وضبطت بتمام الاهتمام. (1)

الميزات المهمة للتفسير إلهام الرحمن

إن تفسير" إلهام الرحمن" ما زال مخطوطًا،ولم ينشر بأكمله حتى الآن،وتوجد له ثلاثة نسخ حسب علمي:منها نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية،إسلام آباد، ونسخة في مكتبة الجامعة حيدرآباد،ونسخة أخرى بماليزيا،وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد المراجعة إلى هذا المخطوط،أقوم بدراسته،وهناك بعض الخصائص المنهجية للتفسير أذكرها في النقاط التالية:

1- **الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن** كما يقول الإمام الدهلوي في الفوز الكبير تحت عنوان تفسير القرآن بالقرآن :" وهنا نكتة دقيقة لابد من معرفتها، وهي أن القرآن الكريم أحيانا يذكر القصة في موضع بالإجمال، وفي موضع آخر بالتفصيل كقوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ثم قال بعد ذلك قوله تعالى :﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [3]﴾"[4]

(1) لينظر: تفسير إلهام الرحمن في تفسير القرآن من إفادات الإمام عبيد الله السندي، 1/ 4-5 ،نشره وحققه الشيخ غلام مصطفي القاسمي مط: مطبع نفيس حيدرآباد بدون تاريخ الطبع.

[2] سورة البقرة،الآية: 30

[3] سورة البقرة،الآية: 33

[4]لينظر:الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) 98 تعريب وتعليق : الشيخ سعيد أحمد البالن بوري مط: مكتبة البشرى كراتشي باكستان ط:4، 1433ه=1202م.

2- **الاهتمام بتفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة** مثلا : قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] يقول الإمام الدهلوي :"الصراط المستقيم كتاب الله[2]" وهذا تفسير القرآن بالسنة النبوية المطهرة كما في تفسير جامع البيان في تأويل القرآن: " عن علي عن النبي ــصلى الله عليه وسلمــ أنه قال، وذكر القرآن، فقال: هو الصراط المستقيم[3] ".[4]

3- **الاهتمام بأقوال الصحابة ــرضوان الله عليهم أجمعينــ** كما يقول الإمام الدهلوي في الفوز الكبير : وأحسن الطرق في شرح الغريب ما صح عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس[5] عن طريق أبي طلحة[6] ، واعتمد عليه البخاري[7] في صحيحه غالبا ، ثم طريق الضحاك[8] عن ابن عباس..ثم ما نقله البخاري من شرح الغريب عن أئمة التفسير، ثم مارواه سائر المفسرين عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من شرح غريب القرآن.[9]

---

[1]سورة الفاتحة، الآية:5

[2] لينظر:فتح الخبير بما لابد من حفظه من علم التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) (خ) 3 جامعة أم القرى بمكة المكرمة مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية قسم المخطوطات.

[3] أخرجه الدارمي (المتوفى 255ه) في سننه 2098/4 في باب فضل من قرأ القرآن رقم الحديث 3374 ت: حسين سليم أسد الداراني مط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط:1، 1412ه.

[4] جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (المتوفى 310ه) 171/1 ت: أحمد محمد شاكر مط: مؤسسة الرسالة ط: 1، 1420ه=2000م.

[5] عبدالله بن عباس : هو صحابي جليل،حبر هذه الأمة ، ولد بمكة سنة 3 قبل الهجرة ، وتوفي بالطائف سنة 68ه.لينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير(المتوفى 630ه) 291/3-292 ت: أحمد علي المعوض ، أحمد عادل مط:دار الكتب العلمية ط: الأولى : 1415ه.

[6]هو على بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشمي ولاء، مولى بَنِي هاشم واسم أبي طلحة سالم بن المخارق أعتقه العباس، ومات سنة 143ه .لينظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي (المتوفى 742) 493/20 ت: بشار عواد معروف مط: مؤسسة الرسالة ط:1، 1400ه.

[7] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : إمام الدنيا وجبل الحفظ ، صاحب الصحيح ، ولد سنة 194ه ، وتوفي سنة 256ه. لينظر تهذيب الكمال ليوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى 742ه) 430/24- 467.

[8] هو ضحاك بن مزاحم الهلالي ولاء، البلخي الخراساني ، أبو القاسم : مفسر ، توفي سنة 105ه. لينظر: سير أعلام النبلاء للشمس الدين الذهبي (المتوفى 748ه) 358/5 الناشر : دار الحديث القاهرة ط: عام 1427ه= 2006م.

[9] لينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) 42-43.

4- **فهم القرآن من الصحابة كحزب وجماعة** مثلا : كما في مقدمة إزالة الخفاء عن الخلفاء ما ملخصه بالعربية: إن الأحكام القرآنية أكثرها مجملة ولا يتبين إجمالها إلا بتفسير السلف الصالح_ رضوان الله عليهم أجمعين_[1] كما سأل عبد الله بن عباس عن وجه التطبيق والوضاحة بين قوله تعالي :﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون ﴾[2] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[3] فقال __رضي الله عنه__ بأن عدم التساؤل يوم الحشر ، والتساؤل بعد دخول الجنة.[4] فتبين مفهوم الآيتين بتفسير الصحابي.

5- تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

من الميزات المهمة للتفسير إلهام الرحمان أنه اتبع فيه مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين،وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول(5)

---

[1] لينظر:إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (باللغة الفارسية) للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) 2/1تصحيح ومراجعة السيد جمال الدين الهروي.

[2]سورة المؤمنون ، الآية: 101

[3]سورة الصافات، الآية : 27

[4]لينظر:الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي، 57

(5) **ومن هذه التفاسير** :

1- **تفسير بيان المعاني** للشيخ ملا حويش آل غازي الفراقي الديرزوري(1880ء- 1978ء)، وهذا التفسير في ستة مجلدات.
2- **التفسير الحديث** لمحمد عزت دروزة(1887ء- 1984ء)، والتفسير في عشر مجلدات.
3- **فهم القرآن الحكيم - التفسير الواضح حسب ترتيب النزول** لمحمد عابد الجابري(1935ء- 2010ء) والتفسير في ثلاث مجلدات.
4- **معارج التفكر ودقائق التدبر** للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني(1927ء- 2004ء)،والتفسير في خمسة عشر مجلدا،ويحتوي على تفسير السور المكية،ولكن المؤلف لم يوفق لاكتماله.

وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن،ولتبرير هذا المنهج التفسيري يقول الشيخ عزت دروزة في مقدمة **التفسير الحديث**: "فقد رأينا أن نستوثق من صحة ما ذهبنا إليه فاستفتينا سماحة الشيخ أبي اليسر عابدين مفتي سورية والشيخ عبد الفتاح أبا غدة، الذي كان من المرشحين لإفتاء مدينة حلب، فتلقينا منهما جوابا مؤيدا حيث قال الأول في جوابه: «إن التأليف والتصنيف تابع لأغراض المؤلفين حسبما يعرض لهم من أشكال، لإظهار الفوائد التي يطلعون عليها، وليس التفسير بقرآن يتلى حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور، فقد يعنّ للمفسر أن يفسر آية ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها وقد يفسر سورة ثم يترك ما بعدها اعتمادا على فهم التالي. ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور، والله أعلم» وحيث قال الثاني: «إن شبهة المنع لهذه الطريقة آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف اليوم من الترتيب المجمع عليه والمتواتر إلى الأمة نقله جيلا بعد جيل. ودفع هذه الشبهة أن المنع يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكا من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفا للتلاوة، أي ليتلو الناس القرآن على

هناك أمر ينبغي أن نأخذ به،وهو أن ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول أمر لايتوقف على التوقيف،وليست عندنا روايات معتبرة ترشدنا على هذا الترتيب بالجزم،وجميع المفسرين عبر التاريخ قد اختاروا الترتيب المصحفي في تفسير القرآن.وقد ذكر في كتب علوم القرآن أن علي بن أبي طالب_ رضي الله عنه_ كان عنده مصحف حسب ترتيب النزول،ويقول العلامة جلال الدين السيوطي[1] في هذا الصدد: "ومما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول،وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير. "[2] ولكن الترتيب الذي تمّ عليه الاتفاق في عهد عثمان هو الترتيب الموجود اليوم، ولم يحصل لمصحف عليٍ رواجٌ في الأمة،ولا هو موجود بين أيدينا؛ولذلك نرى في التفاسير المذكورة_ منها إلهام الرحمن للشيخ السندي_أنه لايوجد فيها الترتيب الواحد بل هناك تقدم وتأخر في وضع السور،والباحث في هذه المخطوط الثلاث يطلع على أن النسخ على نمط واحد من حيث الترتيب باختلاف يسير،ولكن لم يجد سببا دالا على مسيرة المؤلف بهذا الترتيب.وأما الكاتب وناقلوه أيضا لم يشيروا إليه.وأما المقام المحمود (أمالي الشيخ السندي باللغة الأردية) مازال مخطوطا في ستة

النحو الذي سلكتموه.أما وإن الغرض للمفسر والقارئ معا غير هذا فلا مانع من سلوكه إطلاقا.ويستأنس لسواغية هذه الطريقة بما سلكه أجلّة من علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تأليفهم ولم يعلم أن أحدا أنكر عليهم ما صنعوا. ويحضرني منهم الآن الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة 276 للهجرة، فقد مشى في تفسير ما فسّره في كتابه المطبوع «تأويل مشكل القرآن» على غير ترتيب النزول وعلى غير الترتيب المتلوّ الآن. ويبدو هذا جليا في الصحف (239-240)على أن القول بالمنع تبعا لهذه النظرة الضيقة ينبغي أن يشمل ما سلكه الشيخ جلال الدين المحلّي، ثم جلال الدين السيوطي في تفسير هما المعروف بتفسير الجلالين إذ قد بدأ الأول بالتفسير من آخر القرآن الكريم وهو صاعد إلى سورة الكهف، ثم مات فأتمّ الجلال السيوطي من حيث وقف سلفه إلى أول القرآن الكريم. فهما لم يراعيا في مسلكهما هذا البدء على ترتيب القرآن من أوله إلى آخره. وكذلك ينبغي أن يشمل ما صنعه الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» ، والشيخ محمد أحمد العدوي في كتابه «دعوة الرسل إلى الله» .فهما أيضا لم يراعيا في موضوعات كتابيهما ترتيب المصحف المتلو اليوم بل راعيا اعتبارا آخر، وكذلك ينبغي أن يتناول المنع كتابكم «الدستور القرآني في شؤون الحياة» ، فقد سلكتم فيه نحو طريقتكم في التفسير من جمع طائفة من الآيات الكريمة في صعيد واحد، ثم تفسيرها وبيان ما تلهمه من المعاني الكريمة. فإن قيل إن هناك فارقا بين صنيعكم في الدستور وصنيعكم في التفسير لأن الأول يمكن أن يجعل من باب التأليف على اعتبار وحدة الموضوع التي ينظر فيها إلى مدلول الآيات فحسب، في حين أن النظر في الثاني متجه إلى مراعاة النزول فحسب." (**التفسير الحديث** محمد عزت دروزة، **[مرتب حسب ترتيب النزول]**، 10/1. دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1383 هـ.

(1) هو الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الخضيري السيوطي الشافعي ولد في سنة 849ه ونشأ في القاهرة يتيما. كان من كبار علماء مصر له نحو 600 مصنف، منها الكتاب الكبير، الحاوي للفتاوى، الإتقان في علوم القرآن، الأشباه والنظائر وغيرها من المؤلفات القيمة توفي في سنة 911ه. لينظر: الأعلام للزركلي،1/ 330-302.

(2) **الإتقان في علوم القرآن،** عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت:911ه)، 216/1.ت، محمد أبوالفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974هـ.

مجلدات من ممتلكات مكتبة حميد الله,وينظر الباحثون أن يطبع ما يليق به،ولكن هذا المخطوط على الترتيب التوقيفي.

6- تأثره بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إلهام الرحمن

يعدّ الشيخ عبيد الله السندي أكبر شارح في شبه القارة الهندية لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، كما أشار إليه الشيخ موسى جار الله: "وكان الإمام السندي وقف جل عمره في القرآن الكريم وفي فلسفته.وكان يعرف الفلسفة حق المعرفة.وكان يفسر القرآن الكريم على أصول فلسفة صاحب حجة الله البالغة الإمام ولي الله الدهلوي،وقد اجتهد في تحصيل فلسفته وفي شرحها سنين عديدةحتى أتقنها حق الاتقان،وأثرها على كل فلسفات سائر الفلاسفة ثم بنى على فلسفة الإمام ولي الله تفسير كل القرآن الكريم.وكان يعتقد في الإمام اعتقادا لم أر أحدا يعتقده في إمام من أئمة الأمة. "(1) فهو يستخدم كثيرًا مصطلحات الإمام الشاه ولي الله في تفسيره مثل حجر البحت وحظيرة القدس والملأ الأعلى والملأ السافل والتجلي الأعظم والنفس الرحمانية وغير ذلك،ونجد الإحالة إلى أفكار الإمام ولي الله خلال قراءة التفسير،وقد مر هذا الاقتباس من كتابة الشيخ السندي:"ما زلت أطالع القرآن العظيم وحجة الله البالغة منذ اثنتى عشرة سنة،وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشكلة القرآنية لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة،وأما الذين لايشهدون بمكانة الإمام ولي الله،لا أستطيع دعوى جعلهم مطمئنين،ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب أصولي،ولابد من الشهادة بتأثير ذلك المقام المقدس المتجلي.."(2)

وفي نفس التفسير يذكر الشيخ السندي تحت قوله تعالى:**"هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"** [الفتح:28]في سورة الدخان استشهادا،ويستنبط منها ما ملخصه:ولو شرحنا القرآن على فلسفة الإمام تلوح منه برنامج للانقلاب لا يوازيه بشيء من برنامجات الانقلاب في العصر الحاضر.فلو قام قطر من أقطار المسلمين أوساطهم وأدانينهم بعد إيمانهم بالبرنامج الانقلابي المستفاد من القرآن بتوسط حجة الله البالغة،وإزالة الخفاء،وسائر كتب

(1) لينظر: **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**،للشيخ السندي، تحقيق:غلام مصطفى القاسمي،4 مقدمة التفسير للشيخ موسى جار الله، (حيدرآباد)

(2) مولانا عبيد الله سندهى كى سرگذشتِ كابل، عبد الله اللغاري، 14، ترتيب:غلام مصطفى خان.

الشيخ لفازوا يقينا واتبعهم جميع أهل الإسلام ثم لا يقدر أن يقابلهم جماعات الانقلاب مع عددهم ومددهم ودعاياتهم وكل احتيالاتهم؛فإن تأثير القرآن في قلوب أهل الإيمان عظيم مثل زيت يمسه النار،وإضاعة مثل تلك القوة العظيمة للإسلام ببقاء مناقب قوم أوبيت أوأفراد ليس من الدين،وليس من الحكمة في شيء.[1]

وفي نفس التفسير يذكر الشيخ السندي رأي الإمام أكثر من مائة مرة،ويستحسن رأيه. وهذا خير دليل عليه والحريص عليه على المزيد لابد أن يرجع إلى كتاب الشيخ السندي في هذا الموضع بإسم شاه ولي الله فلسفته باللغة الأردية(شاه ولي الله اور ان كا فلسفه).

في ضمنه يستند الشيخ السندي إلى الأصول التي مهدها الإمام الشاه ولي الله في كتبه: منها حجة الله البالغة حيث ذكر فيه عنوانًا بإسم "باب كيفية فهم المراد من الكلام" ثم "باب كيفية فهم المعاني الشرعية من الكتاب والسنة" فذكر تحته عشرة أصول لفهم الكلام(2).

7- التفسير الاجتماعي:

هو المنهج العلمي الذي يحاول فيه المفسر أن يفسر القرآن في ضوء المناهج العلمية التي تدرس أصول نشأة المجتمعات البشرية والمؤسسات والعلاقات بينها الاجتماعية وكذا المبادئ المؤسسة للحياة الاجتماعية.ويعتمد هذا المنهج على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي، وإقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها في نواحي شتى؛ اجتماعية واقتصادية وسياسية مع التوفيق بين الدين الإسلامي،وقضايا الإنسان المعاصرة.ومن خصائصها تطبيق فكرة النص على ملابسات العصر الحديث،وربطها بظروف المجتمع وملاحظة الواقع الحضاري الذي يعيش فيه المفسر،وإثبات التوافق والتلاؤم بين متطلبات الزمن والفهم القرآني(3) .

وقد ظهرت في مجال تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة حركات اجتماعية لاسيما حركات التجديد لنهضة الأمة الإسلامية في سائر أقطار عالم الإسلام،وهي مازالت في استمرار

---

1 لينظر: تفسير سورة الدخان من هذا البحث.الباحث

(2) لينظر:هذا البحث مفصلا في حجة الله البالغة، 1/ 234

(3) لينظر:الفكر الاجتماعي في تفسير الميزان عبد الجبار الرفاعي، 9 مجلة قضايا الإسلامية، العدد الثاني 1995م.

حتى عصرنا الراهن،ففي هذا الجو قد قام العلماء بالاهتمام بالجانب الاجتماعي للقرآن حسب متطلبات عصره بدل مجرد التركيز على الجانب الفردي والأخروي،وبناء على ذلك نراهم يحاولون طرح الحلول للمشكلات المادية والمعنوية في المجتمع في ضوء تعليم القرآن الكريم؛وذلك على أساس أن القرآن الكريم هو النور الخالد لجميع العصور والدهور،وإنه يشمل كافة أبعاد الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية،وهذا الأمر من أهم ما يبتني عليه التيار الاجتماعي التفسيري،وقد برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم،منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن حتى أنه لايمكن في بعض الأحيان الاتفاق معه فيما يستنبط من القرآن من النكت التفسيرية المتعلقة بالأمور الاجتماعية.وفي هذا الصدد هو أيضًا يقوم بالنقد على الفكر الراهن وعلى رأسها الرأسماليون. كما يقول الشيخ في تفسير قوله تعالى :﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيها قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيها السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ**.. ﴾[1] ما ملخصه: إن الله بين نعمه على أهل اليمن أي كان الطريق واسعا بين اليمن والشام للتجارة،وكان على يمينه وشماله جنات مع سهولة التجارة لكل شخص مسكينا أو أميرا ،وكان سكان قوم سبا مركزا لتجارة الدنيا باعتبار الثقافة حيث كانوا يوصلون أشياء التجارة إلى الشام ثم إلى أوروبا بسهولة،وكانت سفن جنوب الهند تصل إلى اليمن من العدن كما لايخفى هذا أيضا بأن كان في الروم ملوكية كبيرة آنذاك، والأشياء التجارية من خارج الأوروبا كانت تصل عندهم بسهولة لأقوام اليمن فثبت من هذا بأن حياة أهل اليمن كانت حضارية؛لكنهم لما كفروا نعم الله أي بنوا الشركات الكبيرة والإدارات لأنفسهم باعتبار الرأسمالية،لم يبق التجارة بسهولة لعامة أفراد المجتمع،فالنتيجة بأنهم هلكوا كما يشير إليه القرآن قوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ فَجَعَلْنَاهمْ أَحَادِيثَ**...﴾.

وهو يذكر أيضا أهمية تطهير المجتمع الإسلامي عن الأحزاب لإقامة الاجتماعية الإسلامية كما في تمهيد سورة الأحزاب يقول الشيخ السندي ما ملخصه:الاجتماعية التي يحدثها انقلاب القرآن_ إظهار

(1)- سورة سبا، رقم الآية: 18-19

الدين على الأديان كلها_ يلزم أن تكون بصورة حزب لا بصورة الأحزاب حتى يمكن إقامة حكومة على قانون القرآن تغلب على جميع الحكومات الأرضية،فلتمام هذا الانقلاب يشترط نفي الأحزاب من الاجتماع.هذا يسميه أهل عصرنا بتطهير الحزب عن الضعفاء الذين لم يطمئن أنفسهم على الملك تماما،فالظاهر من إسم سورة الأحزاب أنها تخبر عن الأحزاب التي هاجمت المدينة،وباطنها نفي الأحزاب من الاجتماعية الإسلامية المدينة هي صورة الاجتماع الإسلامي. فالله _عزوجل_ نفى هجوم الأحزاب عليها،كذلك يجب على النبي _صلى الله عليه وسلم _ ثم على المؤمنين أن يطهروا الاجتماع الإسلامي عن الأحزاب([1]).

8- مراعاة فن الاعتبار في تنزيل الآيات على الواقع

إن من الأمور التي راعاها الشيخ السندي في تفسيره هو فن الاعتبار،وبذلك يذكر الشيخ السندي الآيات على الواقع،ويستخرج منها المعاني الجديدة،وهذا حرصًا منه لهداية الجيل الجديد إلى القرآن الكريم،فحاول تنزيل آيات القرآن على الواقح مستعينا بفن الاعتبار.وفي بيان فن الاعتبار يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في الفوز الكبير في أصول التفسير:" أن النبي – صلى الله عليه وسلم – اهتم بفن الاعتبار والاستشهاد، وسلك منهجه وطريقه ليكون سنة لعلماء أمته وفتحاً لباب العلوم الوهبية التي خصوا بها". [(2)]وعلى هامش الاعتبار يكتب الشارح: المراد من الاعتبار أو العبرة لغة هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفي الاصطلاح : هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقيس)، ومنه قوله تعالى:"**فاعتبروا يا أولي الأبصار**[3]"وقوله:"**إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار**[4]"،وليس هذا خارجًا من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص)، بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناءه على علة فقياس، وإلا فإشارة النص).[((5))] والتفسير الإشاري عند الصوفية هو النظير لمثل هذا الاستنباط،ولكن الفرق بين ما يقدمه الصوفية

---

1 لينظر: تفسير سورة الأحزاب من هذا البحث.الباحث.

(2) لينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) ص 105 تعريب وتعليق : الشيخ سعيد أحمد البالن بوري مط: مكتبة البشرى كراتشي باكستان ط:4، 1433ه=1202م.

3 الحشر:2

4 الزمر:21

(5 لينظر:**الفوز الكبير في أصول التفسير** الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي،103. بيت العلم، كراتشي: 2006ء.

وما قدمه الشيخ السندي,هو أن الصوفية ذكروا أمورا أخلاقية والروحية استنباطا من النصوص. وأما الشيخ السندي هو يستنبط الأمور الاجتماعية والسياسية من إشارات نصوص التنزيل.

والنظير الثاني لهذا النوع من الاعتبار هو التفسير العلمي السائد في العصر الحديث،فقد قال به في العصر الراهن حتى العلماء الذين انتهجوا منهج العلامة ابن تيمية الذي يشدد على القيام بالتفسير الحرفي أو النصي للنصوص.فلو لم يترك التفسير المأثور السائد على مر العصور، ولكن بجنب ذلك أشير إلى الأمور الاعتبارية،فلعله مسموح به إلى حد ما لم يقضي على المعاني المتبادرة.

يقول الدكتور سعيد الرحمن مشيرًا إلى الجانب الاعتباري لتفسير الشيخ السندي: إن الإفادات القرآنية لمولانا عبيد الله السندي ليست نتيجة الإنكار للتفاسير السابقة بل أنها عبارة عن البحث عن المعارف مع الاستفادة من التفاسير،وهو في هذا الصدد يعمل بقول الله تعالى:فاعتبروا يا أولي الأبصار،والاعتبار البحث عن الحل للمسائل المستجدة،ومثال ذلك تلك الآيات التي نزلت في غزوة بني نضير،وهي بمعناها المتبادر مبنية على الدعوة إلى أخذ النتائج بزوال بني النضير،ولكن الفقهاء توسعوا في ذلك،واستدلوا على حجية القياس.وهذا مفهوم بعيد،ولم يقم أحد بالتحدي لصالح الفقهاء للدين،فما ظنك بالذي يأخذ مفهوما أقرب منه ؟ وذلك عبارة عن التفكر في أسباب زوال الأمم،وربطه بالقرآن. ((1))

لما يرى الشيخ السندي أن الأمور الاجتماعية مثل الأمور المنزلية فيفسر الآيات مايتعلق بأمور البيت مستنبطا منها الأمور الاجتماعية اعتبارا.مثاله في سورة الأحزاب تحت قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ... 53**.يذكر الشيخ السندي في تفسيره ما ملخصه: كما نظم النبي بيته_تفصيله في سورة الأحزاب في الفصل الثامن والتاسع_ كان واجبا على المؤمنين إبقاء هذا التنظيم على حاله.وفي نفس السورة يذكر الشيخ تحت قوله: **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات**...ما ملخصه: إن نساء المؤمنين يؤمرن بخصوصية لباسهن فيكون اجتماعة

(1) "حرف فكر" ، سعيد الرحمن، عبيد الله السندي، **تفسير المقام المحمود (جزء عم)** 3, مكى دار الكتب، لاهور 2004ء.

المسـلمين في المعاشـرة ممتازة.وبعد هذا الامتياز إذا تعرض المنافقون لاتهام المؤمنين يجازون فيخرجون من المدينة فلايقبلهم اجتمـاعـة مـا بالعزة والإكرام.بهذا يتحقق عـدم إطـاعـة النبي للكـافرين والمنـافقين ثم تطهير جمـاعـة عنهم.(1)والعصر الراهن يقتضي هذا الاسلوب؛لأن الرجال المثقفين الجدد لايتأثرون برسالة قدمت في الثوب التقليدي.وهذا الأمر يواجهه الدعاة مرة وأخرى.يقول الشـــيخ وحيد الدين خان:لقيت في الأيام الماضية الدكتور إكرام الحق،وكان له شغف بالداسات الإسلامية، فقال إني قمت بقراءة كثير من التفاســـير الأردية؛ولكن قلبي لم يطمئن بذلك،ومثل هذا الانطباع نجده عند كثير من المثقفين الجدد،سبب ذلك أن التفاسير كتبت في الأسلوب التقليدي دون الأسلوب الاجتهادي، وقدمت لذلك مثالًا من القرآن.قال تعالى: **كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله**(2) ومضـــمون هذه الآية يجذب إليه الجيل الجديد الذي يحب الأمن والسلامة،ولكن التفاسير لم تقم بفتح معنوية هذه الآية،وحملها المفسـرون على اليهود السـابقين،كأنها حكاية الأمر الماضـي،وليسـت لها علاقة بالوضع الراهن،والنكتة المهمة لفهم القرآن أن ما قيل في السياق الماضي،ينبغي أن يراه المفسر في السياق الراهن،ويكتشـف انطباقه الجديد،فبناء على ذلك نسـتطيع أن نقول إن الآية فيها أصـول أبدية،وهو واجب علي أهل الإسلام أن يتجنبوا عن الحرب أوقدها غيرهم. ((3))

9- نقد آراء المفسرين.

إن المتدبر في تفسير إلهام الرحمن يجد أن الشيخ السندي أحيانا ينتقد في تفسيره على أقوال المفسرين،ويرجح رأيه مع الدليل مثال ذلك قوله تعالى: قوله: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**.يذكر الشيخ السندي تحت قوله_تعالى_ المذكور ما ملخصه:إن علماء الهيئة من حيث الاصطلاح يقسمون كل فلك على اثنتى عشرة قطعة،ويسمون كل قطعة برجا.وكثير من المفسرين فسروا القرآن على هذا الاصطلاح[4].وهذا ليس بصحيح عندنا.فإنا لا نعرف في الأرض جماعة يعرفون الهيئة على

---

(1) لينظر تفصيلا:تفسير سورة الأحزاب من هذا البحث.الباحث

(2) المائدة:64.

(3) مجتہدانہ اسلوبِ دعوت وحيد الدين خان، 7, ،6:43, **الرسالة**، دهلي 2019م.

[4] كما يقول الشيخ المحلي في تفسير قوله:{والسماء ذات البروج} الكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان،لينظر: تفســـير جلالين تأليف: عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر محمد كمال الســـيوطي(ت:911ه) من البقرة إلى بني إسرائيل ولجلال الدين محمد بن أحمد الأنصاري المحلي من الكهف إلى الناس(ت:864ه) 571 سورة البروج.مط: مكتبه رحمانيه.وغير ذلك من التفاسير المشهورة.

اصطلاحهم،فالمرادمنه هو معناه اللغوي[1]لاالاصطلاح هو كل شئ يبرج،ويظهر،ويرتفع،فالكواكب لتبرجها يقال له: البرج فمعنى والسماء ذات البروج :السماء ذات الكواكب والسيارات،منها تعرفها العرب؛لأنهم يعينون بطلوعها وغروبها مواسمهم.(2)

10- التفسير الجديد عما عليه المفسرون

في كثير من الأحيان يريد الشيخ المعنى الجديد للآيات القرآنية عمّا عليه المفسّرون،فمثلا قال في تفسير قوله تعالى:"**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ**".أي على آل داؤد الموت انقطع عنهم توجه حظيرة القدس[3]،وكان ذلك بعد وفاة سليمان ودفنه في قبره.مات سليمان طيبا مثل أسلافه ما جرى عليه شئ ينقصه من مرتبته هو كان النموذج الأعلى للخلافة في بني إسرائيل ما استحق أحد مثله من بنى إسرائيل الملك بعده.ولما دفن هو في مقابر أجداده هذا هو كان موته **ما دلهم على موته**..موت آل داؤد **إلا دابة الأرض**..إذا انقطع عن كامل توجه حظيرة القدس ذكرنا أنه مات.وإذا جلس رجل لم يتوجه إليه حظيرة القدس من الأصل مقام رجل مجتبى نقول أنه جلس دابة الأرض مقام إنسان كامل ليس له نسبة إلى السماءفولد سليمان قام مقامه،وشقى اجتماعية بني اسرائيل الذين جمعهم داؤد. كان قبيلتان مع ولد سليمان،وعشر من القبائل بغت عليه.هذا هو دابة الأرض_وهو ولد سليمان_ أكلت عصا حكومة آل داؤد (4)

---

[1] يؤيده تفسير الإمام الشنقيطي يقول في تفسيره: إن أصل هذه المادة من الظهور،ومنه تبرج المرأة.لينظر:تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ت : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) 8/ 476الناشر:دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت – لبنان ط: 1415 هـ - 1995 مـ.وغير ذلك من التفاسير المشهورة.

(2) لينظرتفصيلا:تفسير سورة البروج من هذا البحث.الباحث.

[3] إن مسألة حظيرة القدس لها موضع خاص في فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. إن نزول جميع الفيوض الإلهية لصالح الإنسان يكون بواسطة حظيرة القدس، وهي منبع جميع الأمور المهمة (مثل بعثة الأنبياء وقيام الملل وغير ذلك.) والمقام الروحاني الذي تجتمع فيه الملائكة المقربون وأرواح الكاملين، فنتيجة لذلك تنشأ نورانية عظيمة تكون بمثابة حلقة للروح مثل حلقة القمر، ومجموع كلها يسمى بحظيرة القدس، ولها أسماء أخرى مثل الملأ الأعلى والرفيق الأعلى والندي الأعلى، وهذا الروح هو ما نسميه الإنسان الأكبر أو إمام النوع الإنساني. ومنبع جميع الأرواح الإنسانية روح واحد، وهذا الروح الأعظم في صورة الإنسان، وكذلك هناك إمام على حدة لجميع أنواع الحيوان. لينظر: **شاه ولى الله كى تعليم**، غلام حسين جلباني، 325 وما بعد.ط:دار الكتب لاهور باكستان.

(4) لينظر تفصيلا:تفسيرسورة سبا من هذا البحث.الباحث

11- موقف الشيخ السندي عن أقسام القرآن

القسم يمين يقسم بها لتأكيد شيء،وقد ورد القسم مع مشتقاته في القرآن قراب ثلاثة وعشرين مرة،وجاء في كثير من الآيات أن اللفظ المختار للقسم حلف أو يمين،وهناك يرد سؤال كيف يقسم الله بخلقه؟وقد جاء النهي عن اليمين بغير الله تعالى،وقد أجاب عن هذا السؤال الإمام جلال الدين السيوطي بأوجه:1- أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي.2: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون.3: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته؛لأنها تدل على بارئ وصانع. ((1)) ولكن الشيخ عبيد الله السندي يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة مهما كان بأمر عظيم أو لا؛ يقول الشيخ في تفسير سورة الزخرف تحت قوله تعالى: حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. (2) في هذا الموضع صرح البيضاوي بأن القسم في القرآن يكون للشهادة(3) فإن القسم والمقسم عليه هنا شئ واحد فإبانة الكتاب شاهدة على أن المراد تفهيمكم وإلا فمسألة الكليات التي تذكر في السورة يمكن أن تحمل في عشر آيات،فالإطناب والبيان كله شاهد على أن الأمي العربي يفهم المسائل حقيقتها فتقريبا إلى أفهامهم يبين القرآن بيانا واضحا على منهاج اللغة العربية نحن اتخذنا هذه الكلمة من البيضاوي أصلا في جميع أقسام القرآن (4)

12- الادعاء بأن القرآن يريد إظهاره على الأديان كلها استدلالا من حديث الرسول " الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى [5]"كما يقول الإمام الدهلوي في حجة الله

(1) **الإتقان في علوم القرآن**، الإمام جلال الدين السيوطي، 4/ 55.
(2) الزخرف: الآية : 1-3
(3) يقول الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى:حم والكتاب المبين: إنا جعلناه قرآنا عربيا: أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا إلى قوله: ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، وبالقرآن من حيث أنه معجز مبين لطرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة.. لينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف: أبو عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هــ)86/5 ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى - 1418 هـ.
(4) لينظر: تفسير سورة الزخرف من هذا البحث.الباحث.
5 أخرجه الإمام الدار قطني(المتوفى 385ه) في سننه 4/ 371 في باب المهر رقم الحديث 3620، تحقيق وتعليق : شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله مط: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط: الأولى : 1424ه=2004م.

البالغة : فالمراد من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا، وألا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام."[1]

13- **إبراز استدلال القرآن الكريم من العلوم الخمسة** وهي علم الأحكام،علم الجدل، علم التذكير بآلاء الله،علم التذكير بأيام الله،وعلم التذكير بالموت ومابعده.[2]وفي هذا المجال أمثلة متعددة.

بعض مصطلحات الشيخ عبيد الله السندي.

يستخدم الشيخ السندي بعض المصطلحات في التفسير باللغة الأردية,مثل الانقلاب, نعره ,وغيرهما،ولعل هذا مراعاة لمخاطبي شبه القارة الهندية.

هذه أهم ميزات التفسير إلهام الرحمن التي تتجلى من خلالها منهج التفسير للشيخ السندي.

منهج التحقيق:

أما منهجي في هذا التحقيق,فيتلخص في النقاط الآتية.

الاهتمام بمعرفة المخطوط،والاهتمام بمعرفة المؤلف،وتاريخ تأليفه ومكانه,والنقد الداخلي الذي يتضمن بحثا في مضمون نص الوثيقة,ومنهجية كاتبها،واتجاهه الاجتماعي أو الأدبي ثم دراسة منهجيته من خلال الأساليب والأدوات التي استخدمها في كتابة المخطوط أو الوثيقة أوالمصدر بشكل عام،فاهتممت بالأمور التالية:وهي كما يلي :

- تعيين النص المعتمدة في التحقيق, والمنهج الذي سلكته في نسخه للمخطوط من المناهج المعتبرة عند أهل الاختصاص.
- تحديد أصول التحقيق العلمي التي استخدمتها.

---

[1] لينظر:حجة الله البالغة للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) 2/ 39 ت: السيد سابق مط: دار الجيل بيروت لبنان، ط:1، 1426ه=2005م

[2] لينظر:الفوز الكبير في أصول التفسير (المتوفى 1176ه) ص 13-39

- تبيين الطريقة العلمية في التعامل مع النصوص والتراجم ونحوها.
- الالتزام في العزو,والتوثيق,والتعليق,والشـــرح,والإيضـــاح ونحو ذلك بما يحتاجه المشروع,ووضع الفهارس لعناوين شتى.

الدراسات السابقة:

من المعلوم ــكما ذكرت سابقا ــ أن التفسير إلهام الرحمن قد طبع الشيخ غلام مصطفى القاسمي جزءا منه بتغيير نص وفقا لما فهم من النص بتعبيراته بدون التخريج،ونجد اختلافا بينه وبين المخطوط،وترجمت بعض السور إلى اللغة الأردية،ولكن لم نطلع على من قام بتحقيق مخطوطه الكامل.وأما فكرة الشيخ السندي فقد كتب حولها كتب عديدة،ولكنها لاتتعلق مباشرة بموضوعنا. لذا المخطوط الأساسي لايزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانته العلمية.

تحقيق المخطوط

إن المرحلة الأولى لتحقيق أي مخطوط هو الحصول على النسخ المختلفة من الكتاب لتقديم صورة صحيحة لما كتبه مؤلف الكتاب.

من حسن حظي أن نسخة من تفسير إلهام الرحمن كان موجودا في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية ,الجناح البحثي للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد،فلم أتحمل كلفة في حصولها،ولكن أخبرني الأستاذ ــالمشرف على تحقيق هذا المخطوط ــالدكتور تاج أفسر ــحفظه الله تعالى ــ رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد بأنه يوجد أكثر من مخطوط لهذا التفسير غير نسخة مجمع البحوث فهو قد حصل بنفسه على مخطوطين آخرين من التفسير إحداهما من السند,وثانيتهما من ماليزيا ،ولولم يكن مساعدته في هذا الأمر المهم لم أتمكن بحصولهما فجزاه الله خير الجزاء مني.والجدير هنا عرض أوصاف هؤلاء المخطوطات الثلاث.

نسخة إسلام أباد. أما نسخة إسلام آباد فإنها محفوظة إلى الآن محفوظ في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية_مكتبة حميد الله _ برقم :86,85,84 ومصورة (بميكروفيلم) برقم :86,85,84 وهي نسخة خزائنية نفيسة بغلاف جلدي وعدد أوراقها 668 ورقة للمجلد الأول,396 ورقة للمجلد الثاني,و446 ورقة للمجلد الثالث وعدد أسطره على صفحة 20 سطرا على الاختلاف،فإن بعض صفحاته لها 32 سطرا،وفي كل سطر حوالي ثلاث عشرة كلمة،وهي في ثلاثة مجلدات،وسميت هذه النسخة ن إ (نسخة إسلام أباد). ومن الجدير بذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد وبيد ناسخ واحد بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضيع المختلفة أن المخطوط قد نسخ تارة بخط نستعليق ومرة بخط النسخ بمداد الأسود والأزرق.ومن أحد النساخ الشيخ عبد الله لغاري_ الذي كان من تلاميذ الشيخ السندي بقي معه في مكة المكرمة,وجمع أمالي الشيخ باللغة السندية أيضا_ أنه كتب بعضها,والثاني هو حاجي نيك صالح من علماء ماليزيا,وانتهي كتابتها سنة 1937م.

وأما ما حققت، فقرابة مائتين وخمس وأربعين صفحة بمساحة صفحتين من أصل المخطوط في صفحة واحدة في التصوير الإلكتروني ثم إنها ستكون ضعفا فتصير العدد أربع مائة وتسعين صفحة من أصل المخطوط.وجعلت هذه النسخة بمثابة النسخة الأصلية؛لكونها أقرب إلى الصواب؛لأن كلا منهما من تلاميذ الشيخ السندي وشركاء الدرس لما أملا هذا التفسيرللشيخ موسى جار الله.

نسخة ماليزيا. وسميت النسخة الثانية ن م (نسخة ماليزيا) وعدد أسطرها على كل صفحة أيضا 22 سطرا،وهي في سبعة مجلدات.وحاجي نيك عبد العزيز[1] الذي كان تلميذا لحاجي صالح,هو نسخ النسخة من نسخة أستاذه[2] وأكمل كتابته سنة 1965ء.

---

(1) هو الشيخ نيك عبد العزيز بن نيك مت,كان أبوه من تلاميذ الشيخ حاجي وان موسى, جاء عبد العزيز إلى ديوبند لحصول التعليم وكان بقى على منصب رئيس الوزراء لمنطقة كلنتن من 1990م إلى 2013م. لينظر:سماجي انصاف اور اجتماعيت شاه ولي الله كي نظر مين للشيخ غلام مصطفى القاسمي 157،مط: إدارة رحيمية لاهور ط:2, عام 2019م.

(2) المرجع السابق :157.

نسخة حيدرآباد:سميت النسخة الثالثة ن ح (نسخة حيدرآباد) وعدد أسطرها على كل صفحة حوالي 30 سطرا.والشيخ عبد المجيد السندي هو نسخ هذا المخطوط،وكان يحسن الخط كما أنه نسخ عبقات للشيخ الشاه إسماعيل.

إني حاولت الاستفادة من هذه المخطوطات الثلاث؛ليخرج النص أكثر صحة وأقرب إلى ما كتب المؤلف أو كان يريد كتابته,ورجعت من خلال هذا إلى كتب الشيخ السندي المختلفة،وكتب الإمام الشاه ولي الله الدهلوي،وكتب التفسير الأخرى، وكتب السنة الشريفة والكتب العامة كما أني ذكرت في الهامش ما هو بحاجة إلى التفسير.

ملاحظة خاصة:إني ركزت جهدي على تحقيق هذا المخطوط من المجلد الأول مبتدئا من سورة الدهر إلى نهاية سورة الحجرات من المجلد الثاني.وفي هذا القدر كانت هذه السور القرآنية داخلة في إطار التحقيق: 1 – سورة الدهر 2- البروج- 3- الطارق 4- الروم 5- لقمان 6- السجدة 7- الأحزاب 8- سبا 9- فاطر- 10- يس 11 – الصافات 12- ص 13- الزمر14- يونس 15- هود 16- المطففين 17-الانشقاق 18- النازعات 19- عبس 20- التكوير 21 – الانفطار 22- المرسلات 23- النبأ 24 – ق 25- الذاريات- 26 – الطور27- النجم 28- القمر 29- الرحمن 30- الواقعة 31- الحديد 32- المؤمن 33- حم سجدة 34- الشورى 35- الزخرف 36- الدخان 37- الجاثية 38- الأحقاف 39- القتال 40 الفتح 41 – الحجرات.

منهج الباحث في تحقيق المخطوط.

تركزت في قراءة النص وتحقيقه على الخطوات الآتية:

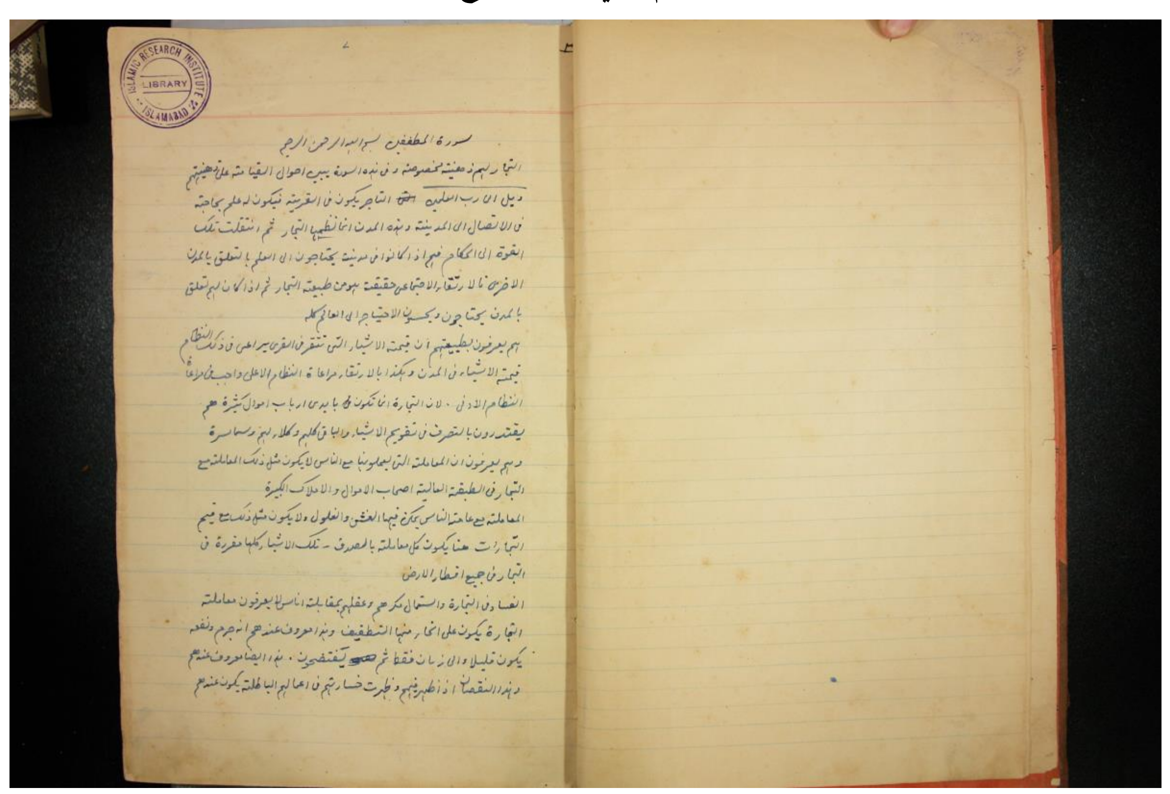
- أثبتت النص الأصيل, وقابلت معه النسخ الأخرى لتكميل النقص مع إثبات ما يكون راجحا, وإبراز الفروق في الهامش.
- ضبطت النص, وحاولت توثيقه وتحقيقه مجتنبا من التحريف مع تقديمه في ثوب لائق حسب وضع المؤلف بقدر الطاقة البشرية.

- وجدت الأغلاط في النسخ حسب القواعد العربية،فما لجأت إليها إلا قليلا كما نبهت إليها في الهامش مرات،وتركت هذا المجال للباحثين والناقدين عليها.
- قمت بتنظيم مادة النص بوضع النقط , والفواصل , وجميع العلامات المتعلقة بها؛ليوضح معنى النص خدمة للنص وسهلا لمتناوله.
- علقت التعليقات على الأمكنة الخاصة التي أراها مناسبة لخدمة النص.
- توجد في التفسير إحالات إلى الكتاب لاسيما كتب الإمام ولي الله،فحاولت أن أخرج تلك الأقوال وأعزوها إلى مظانها.
- اخترت النصوص القرآنية من المكتبة الشاملة حتى يكون النص القرآني خاليا من الأخطاء
- نقلت الآيات الكاملة بينما الشيخ السندي يذكر جزءا من الآية القرآنية أو يشير إلى الآيات مع أرقامها.
- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر أرقامها .
- خرجت الآحاديث الواردة والآثار الواردة أثناء البحث من مصادرها الأصلية .
- قمت بترجمة الأعلام المذكورين في البحث إلا المشهورين منهم كالخلفاء الأربعة وأئمة المذاهب الأربعة وغير ذلك.
- التزمت بتعريف الاصطلاحات الواردة في النص من خلال الكتب المعتبرة.
- ذكرت المصادر والمراجع في الهامش بالمنهج التالي : أذكر اسم الكتاب واسم المشهور للمؤلف بتمامه زمن الطبع ومكانه مع ذكر الجزء والصفحة وبيانات الكتاب عند ذكره لأول مرة ومابعدها أذكر اسم المؤلف والكتاب مع الجزء والصفحة.
- وضعت الفهرس النهائي للسور,والآيات القرآنية،والأماكن, والأحاديث والأثار، والأعلام، وفهرس المصادر والمراجع,والموضوعات.

وأخيرا أدعو الله أن يوفقني لأداء هذا العمل وإنجازه على الوجه الذي يرتضيه فتكون فيه الفائدة،إنه سميع مجيب الدعوات.

والآن نبدأ بالموضوع.

القسم الثاني: صور النسخ



٧

سورة المطففين بسم الله الرحمن الرحيم

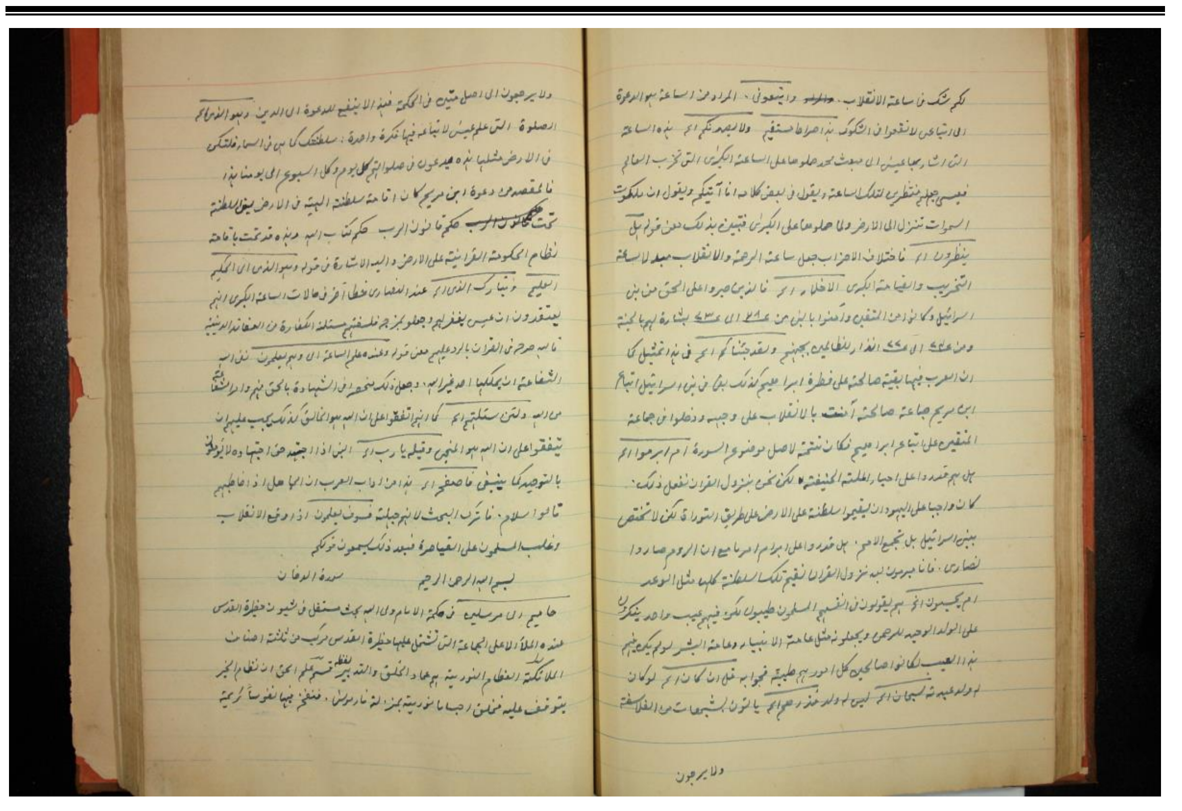
التجار لهم ذهنية مخصوصة وفي هذه السورة يبين احوال القيامة على ذهنيتهم
ويل الى رب العلمين التاجر يكون في القرية فيكون له علم بحاجته
في الاتصال الى المدينة وهذه المدن انما نظمها التجار ثم انتقلت تلك
القوة الى الحكام فهم اذا كانوا في مدينة يحتاجون الى العلم بالتعلق بالمدن
الاخرى فالارتقاء الاجتماعي حقيقة هو من طبيعة التجار ثم اذا كان لهم تعلق
بالمدن يحتاجون ويحسون الاحتياج الى العالم كله

هم يعرفون بطبيعتهم ان قيمة الاشياء التي تتقرر في القرى يراعى في ذلك النظام
قيمة الاشياء في المدن وهكذا بالارتقاء مراعاة النظام الاعلى واجب في مراعاة
النظام الادنى . لان التجارة انما تكون في بايدي ارباب اموال كثيرة هم
يقتدرون بالتصرف في تقويم الاشياء والباقي كلهم وكلاء لهم وسماسرة
وهم يعرفون ان المعاملة التي يعملونها مع الناس لا يكون مثل ذلك المعاملة مع
التجار في الطبقة العالية اصحاب الاموال والاملاك الكبيرة

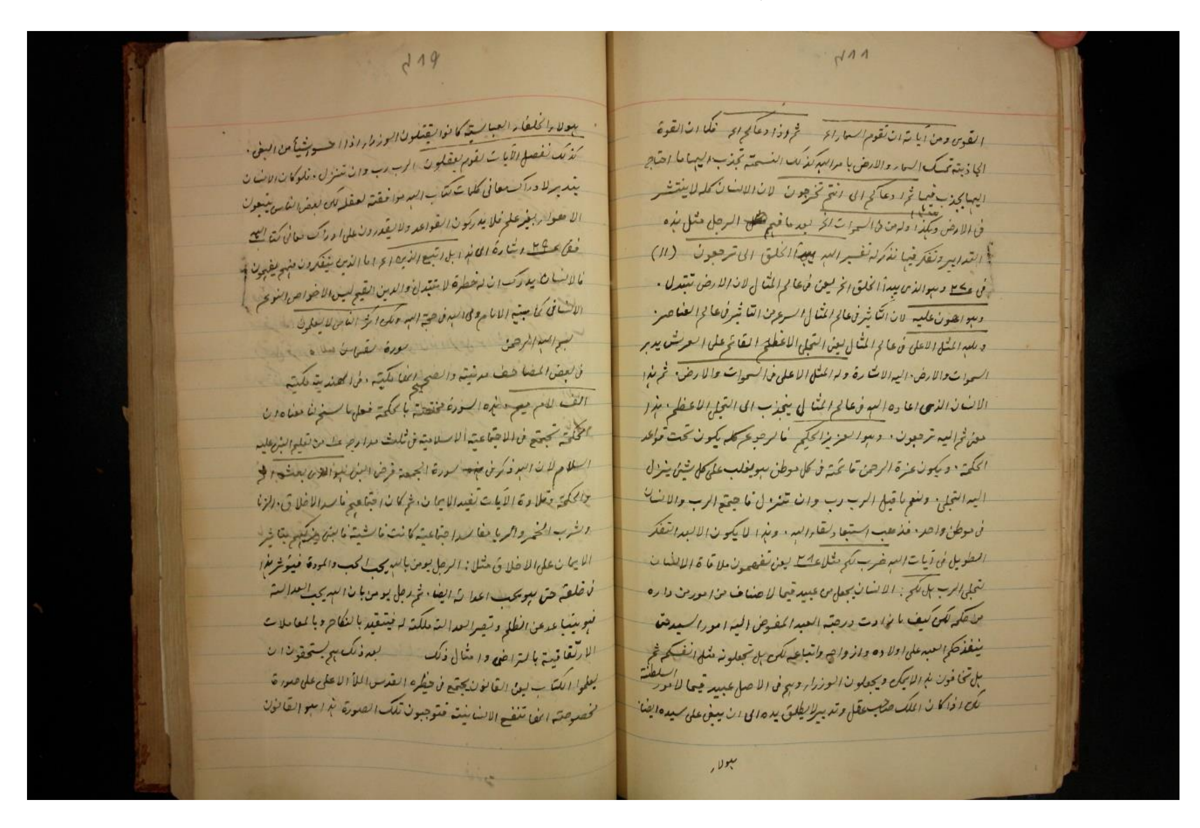
المعاملة مع عامة الناس يمكن فيها الغش والغلول ولا يكون مثل ذلك مع قيم
التجارات هنا يكون كل معاملة بالمصرف - تلك الاشياء كلها مقررة في
التجار في جميع اقطار الارض

الفساد في التجارة واستعمال مكرهم وعقلهم بمقابلة اناس لا يعرفون معاملة
التجارة يكون على انحاء منها التطفيف وهذا معروف عندهم انه جرم ونفعه
يكون قليلا والى زمان فقط ثم يفتضحون . هذا ايضا معروف عندهم
وهذا النقصان اذا ظهر فيهم وظهرت خسارتهم في اعمالهم الباطلة يكون عندهم

لوحة رقم: (1) من الجزء الثاني من نسخة إسلام آباد



لوحة رقم: (114) من الجزء الثاني من نسخة إسلام آباد



لوحة رقم: (253) من الجزء الأول من نسخة إسلام آباد

وكان فيها تنبيه لعمل الانقلاب. الحمد لله تمت السورة.

(سورة الرحمن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كان في سورة النجم ان الله يتصرف في الانسانية
انه اضحك وابكى. وهكذا الله يتصرف في حياة
الانسانية العلمية والادبية في خطوة. وبيان ذلك
في سورة الرحمن. الرجل في آخر مقاماته الاحسانية
يحصل له خشية ويحصل له الخوف. فتفصيل هذا المقام
تقدمه من تلك السورة اولا. وفي كل نعمة منه
انكشاف تجلي الهي خاص يعطيه تلك النعمة. فيتم
السرور والفرح. الانسان يحب شيخه واباه وحاكمه
المحسن اليه بيد شيخه او ابيه او حاكمه يكون سروره
ازيد. فاذا كان تلك النعمة تصل اليه بيد ربه كيف يكون؟
يكون سرور غير متناه ففي هذه السورة بيان النعم
التي تحصل في الجنات لكن مع كل نعمة يكون توجه من الرب
باعطائه تلك النعمة بدون الواسطة ويتجلى له الرب
لاعطائه فكيف يتم السرور. فالانسان اذا كان ذلك
له ميسر لا ينبغي الالتفات عنه الى اشياء اخرى
فالقرآن العظيم في دار الدنيا يوصل الانسان الى مقام
الخوف من ربه وذلك الخوف يكون له نتائج في حياته

لوحة رقم: (149) من الجزء الثالث من نسخة ماليزيا

(سورة النبأ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحكمة التي خلق تحتها الانسان اذا كانت هي
المقتضية ليوم القيامة فهل لاحد من اهل العقل ان يتردد احد
او يتخاصم في ذلك هذه السورة تشرع لكون الارواح
الانسانية كلها واجهة الى روح ومن مقتضى ذلك
الروح يوم القيامة قوله: عم يتساءلون.
التساؤل دليل على انهم يدركون بعض اجزاء المسألة
بفطرتهم ويختلفون في بعضها قوله: عن النبأ
العظيم الذي هم فيه مختلفون. جاء الله بأتي
بعد ذلك على الانسان وعلى العالم فالاخبار
بذلك التي حصلت من جهة الانبياء والنفساء والحكماء
الصابئين امر عظيم يتفق عليه الطبقة العالية
من الانسانية كلها. فاقناع الطبقة المتوسطة
سهل قوله: كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون.
يعني في هذه السورة يعلمون حقيقة النبأ العظيم
بوجهين ولهذا السبب تكرار: ثم كلا سيعلمون.
فالامر الاول بيانه من قوله: الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا
نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا.

لوحة رقم: (63) من الجزء الثالث من نسخة ماليزيا

٥٦

(سورة المرسلات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

معرفة خواص النفس الانسانية فمن يختص
الطوائف من المتصوفة والحكماء. فكل شيء نشأ
من هذه الجهة من اقتضاء النفس والانساني
يكون طبيعة النوع الانساني والمرسلات عرفا
في الهلاكين (١٦) والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفا والناشرات نشرا ——————
الى قوله: ثم نتبعهم الآخرين. الانسان
اذا خلق في زمان وحصلت له اجتماعية في الارض
ثم هو خرج عن مقتضى طبعه فاهلكهم ربه
ثم قام قوم آخرون ونظموا اجتماعيتهم ايضا النظم
الاولين وخرجوا عن النظم الانسانية واهلكهم ربه
مرة ثانية. وهكذا الى امثال كثيرة في الادوار
المختلفة الذين يفهم منه مقتضى الطبيعة الانسانية
واذا خرج الانسان عن مقتضى الطبيعة لا يرضى عنه
الرب لان الخلق والهلاك انما يستندان الى الرب. الانسان
لا يقدر ان يخلق انسانا ولا ان يهلكه. فانتبه الناس
ما السبب في ذلك الهلاك مع كثرة التعدد وتقريب
يوم الدين الانسان او لا يغفل من نكس لكن اذا انتبه

لوحة رقم: (56) من الجزء الثالث من نسخة ماليزيا

(97)

٣١

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

في بعض المصاحف مدنية. والصحيح انها مكية. في الخلاصة مكية.

قوله الف. لام. ميم. هذه السورة مختصة بالحكمة. فعلى ما سبق ان ذكرنا ان الحكمة تجمع في الاجتماعية الاسلامية في ثلث مدارج:

(١) من تعليم النبي صلى الله عليه وسلم. لان المذكور في سورة الجمعة فرض النبي هو التعليم [illegible] — والحكمة وتلاوة الآيات [illegible] ثم كان اجتماعهم فاسد الاخلاق: الزنا وشرب الخمر والربا. مفاسد اجتماعية [illegible] فاشية. فالنبي [illegible] بتأثير [illegible] [illegible] الرجل يؤمن بان [illegible] [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] يؤمن بان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالمعاملات الاقتصادية [illegible]. وامثال ذلك.

[illegible] [illegible] ان [illegible] القانون [illegible] [illegible] [illegible] الانسانية. [illegible] هذا هو القانون. مثال ذلك: [illegible] الاستاذ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستاذ كتاب مصنف بنفسه. فينظر في الكتب المصنفة في ذلك الفن. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكتاب [illegible] [illegible] العلم. في الحقيقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حقيقة. [illegible] سقراط [illegible] [illegible] الاستاذ [illegible] [illegible] الكتاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى حقيقة العلم. [illegible] بالقانون. [illegible] [illegible] [illegible] وانما العلم [illegible] [illegible] [illegible]. فالحكمة فالنبي يعلم القانون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الاجتماعية الاسلامية. [illegible] [illegible].

[illegible]: الصديق في زمنه ما [illegible] [illegible] العاملين في الاجتماعية الاسلامية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كفايته من بيت المال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الصديق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحسنى من شرح معاني الآثار.

[illegible] [illegible] [illegible] الاسلام. النبي [illegible] في زمنه والصديق في زمنه [illegible] والفاروق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بمنزلة [illegible] [illegible] الفاروق بمنزلة [illegible]. تمت.

ثم لا عبرة [illegible] بالفقهاء والسلاطين. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]. انتهت.

ثم كان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لوحة رقم: (97) من نسخة حيدرآباد

سورة سبا (١١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الاجتماعية. نولد الحكم. قد بحثنا في سورة الاحزاب عن الاجتماعية. وبحثنا عن تطهيرها من المخالفين حتى يكون نافعا للقوم.

فالحكم يحصل اما بالاجتماعية واما بالانفرادية.

[illegible]

(٦٣) (من سورة هود ١١)

"مثل الفريقين" هذان نتيجتهما سواء. فإذا كان الأمم لا ينقلب مرضه ولكن الأمم إلا بالإحراق يحرقون فليس في تعذيب الاثنين مقتضى

سواء إصلاحه ينبغي إصلاح تلك الجزئية المائلة إلى التحلل.

الباب الثاني في هذه السورة هو باب التاريخ وفيه فصول:

الفصل الأول في ذكر نوح من (٢٥: ٤٩)

في أخرها منه تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك. يعني هذه عند ما تلي ذلك يجري عليك في المستقبل. ضعفهم بعد ذلك

الإنسان أن النبي مثل نوح.

الفصل الثاني في هود من (٥٠: ٦٠)

الفصل الثالث في صالح من (٦١: ٦٨)

الفصل الرابع في إبراهيم ولوط من (٦٩: ٨٣)

ثم فصل خامس في شعيب من ٨٤: ٩٥

ثم سادس في موسى من (٩٦: ١٠٢) وتم على ذلك باب التاريخ

قصص الأنبياء وتبصيرها عن تدبير الحق ثم إتيان مثل ذلك الله به في سيرة النبي هو تأويل أحاديث الأنبياء وتفصيله

في كتاب تأويل الأحاديث للإمام ولي الله. وقد ذكرنا البعض فيما سبق.

نتكلم في الباب الثالث باب النتائج

تذكر الجزاء في الآخرة مذكور في (١٠٣: ١٠٩)

في (١٠٦: ١٠٨) فأما الذين ... إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

الجحيم / مجذوذ

الإنسان في تكميل حياته في الدنيا بالاستفادة من بعض كائنات السموات والأرض متمتعًا بكائنات مسلسلة

شبيه [illegible] قطعة منها ويمكن إتيانها إلا بوجود هذه السلسلة كلها فمن استفاد منها بقطعة منها استفادها كلها

فإن كان استعمالها في فساده يكون جزاؤه الفساد ومثل طول السموات والأرض لا أزيد ولا أنقص. [illegible] فأما

الذين شقوا. غاية الخلود هي [illegible] دوام السماء والأرض. وليس [illegible] جميع [illegible] بأن أفسد القوة الإنسانية

بجميع أجزائها يكون خلوده في النار [illegible] السموات والأرض هذه. فإن كان لم يفسد الإنسانية كلها يكون خلوده في النار

دون ذلك. إليه الإشارة في "إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد" يعني يتم ما يقتضيه حكمته. فالإنسان الجرم لا [illegible] الغاية لا يزيد جرمه

عن إفساد السموات والأرض كلها بقدر ذرة. [illegible] ذلك في إفساد شيء. فإن كان بلغ أقصى الغايات الفساد فعذابه

لا يزيد عن تلك المدة فإنها من مقتضيات طبيعة السموات والأرض.

فالعقيدة التي زعمها المتكلمون أن الإنسان يجب عليه أن يعتقد أن من دخل جهنم لا يخرج منها أبدًا ويعترف منه في حق الكفار

لوحة رقم: (63) من نسخة حيدرآباد

سورة الدهر[1]

أنا تفكرت في تلك السورة المتعلقة بيوم القيامة.والمسألة واحدة متكررة بألفاظ مختلفة، وبأسلوب جديد في كل سورة.وهذا الذي يتأثر به أرباب المعاني والبيان يرون الطرق المبنية لمعنى واحد كثيرة يجعلونها من أهم أنواع البلاغة[2].والرجل الأديب إذا قرأ كلامهم,وقرأ القرآن لابد أن يتأثر بذلك. وعندي لم تكن هذه[3] المسألة عندهم إلا لغوية،وليست لي معرفة بأدب العرب كثيرا. إنما[4] قرأت كتب الصرف والنحو بقدر الحاجة.ومن إخواننا رجال لهم مهارة، وبلاغة في علوم المعاني. منهم الشيخ أنور شاه[5] هو رفيقي في الدرس،وكثير من العمليات في ديوبند[6]، وكان متخصصا بعلم البلاغة، وكان يذكرنا[7] من فوائده كثيرة؛لكني لا أتأثر بذلك إلا مثل ما يكون في بلادنا مجالس للشعراء[8] يعرض عليهم موضوع واحد، كلهم ينظم عليه[9] قصيدة أو غزل ثم يجتمعون في مجلس منظم تحت رياسة شاعر كبير، وكل يذكر أشعاره، والمعنى الواحد يبينه هؤلاء الشعراء بألفاظ مختلفة وتعبيرات متقاربة ثم يرجحون البعض على البعض. وتلك المجالس لايزيد

---

(1) اقتصرت معظم التفاسير على أن سورة الدهر مكية، ونسبه الخفاجي إلى الجمهور. فعن ابن عباس وابن أبي طلحة وقتادة ومقاتل: هي مكية. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)370/29، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ط: 1984 هـ.

(2) والبلاغة في اللغة:الوصول والانتهاء، يقال: "بلغ فلان مراده" إذا وصل إليه، و"بلغ الركب المدينة"، إذا انتهى إليها، وتقع في الاصطلاح وصفا للكلام والمتكلم.لينظر:دروس البلاغة مع شرحه شموس البراعة مط: مكتبة البشرى كراتشي باكستان.

(3) في ن م : هذا لكن كلمة" هذه" أصح حسب القاعدة النحوية.الباحث

(4) في ن م : أنا

(5) هو الشيخ أنور شاه بن الشيخ مسعود الكشميري ولد في كشمير سنة 1292ه. كان من أساتذته الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وشيخ الهند محمود الحسن،والشيخ خليل أحمد سهارنفوري وغيرهم توفي سنة 1352ه. من مؤلفاته :فيض الباري شرح صحيح البخاري ، التصريح بما تواتر في نزول المسيح، مشكلات القرآن وغيرها.لينظر أكابر علماء ديوبند للحافظ أكبر شاه البخاري 53-59،ط:إداره إسلاميات لاهورط:2003م.وايضا: تاريخ دار العلوم ديوبند للشيخ محبوب الرضوي 2/ 76-77، ط:الميزان ناشران وتاجران كتب لاهورط:2005م.

(6) هي من أكبر الجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهند أنشئت في 1867م في مدينة ديوبند بالهند بعد احتلال البلاد على يد الإنجليز،وإنهاء الحكم الإسلامي.الباحث.

(7) في ن م : لنا

(8) في ن م : يكون

(9) في ن م :على ذلك الموضوع

للإنسانية معنى إلا التوسع في التكلم باللسان الهندوستاني(1). ونحن إذا قرأنا أشعار تلك المجالس نلتذ بأفكارهم، وبعضها يكون مؤثرا إلى غاية يرقص الإنسان بقراءتها؛لكن إذا رجعنا إلى المعنى فما استفدنا كلمة زيادة على ما كنا نعلم من قبل. وتلك المجالس والمشاعرة أعرفها(2) أنا بالتخصص؛لأن كلها بلساننا فما استفدنا بعد ذلك من علماء من بيانهم في تطور التعبيرات في القرآن ماكان في قلبنا فرق بين هذا وبين ذلك، فلايقبل قلوبنا أن القرآن يأتي بعشرين سورة في مقصد واحد، ولايكون الغرض منها إلا تطور التعبير للرجل العربي، فكان القرآن نزل في تلك السور لبيان سعة لغة العرب، وبيان فضائلها. ورأينا كثيرا من أقراننا متأثرين بذلك مثل ذلك التأثر؛لكن هذا لايكون ثقيلا على عقولهم هم يحملونها على أن اللغة العربية لغة إلهية، ونشر كمالاتها أيضا يكون من الأمور الإلهية. ولهم في ذلك كلام طويل، ونظريات يقارنون بين لغة من لغات الشرق أو من لغات الغرب، وبين لغة العرب، ويذكرون مزايا وفضائل للعربية.

تعجبت يوما: سمعت من كمال الدين القادياني(3)المبشر في أوروبا، والبلاد الغربية للإسلام، وهو من تلامذة الشيخ نورالدين القادياني(4) سمعته يقول: إن اللغة العربية أم اللغات، وهي بينة في نفسها، وأتى في الاستدلال على ذلك بلسان عربي مبين.فالله وصف العربي بالمبين هي اللسان

---

(1) كلمة " الهندي " يكون أحسن؛لأن كلمة "هندوستاني" كلمة مستخدمة بالأردية.الباحث

(2) في ن م : أعرضها

(3) الخواجة كمال الدين(لم أطلع على تاريخ حياته ووفاته) كان يدعي لنفسه أنه مثل غلام أحمد في الإصلاح والتجديد, وذهب إلى أنجلترا لتبليغ ديانة القاديانة,وكان إذا سمع بشخص أسلم ادعى فوراً أنه أسلم على يديه على الطريقة القاديانية وقد ذكر سائح هندي عن الخواجة كمال الدين وطريقته في طعامه، فقال: (إن الأستاذ كمال الدين كان جالساً مع أحد أصدقائه في المطعم يأكلان الطعام، وبعد ذهابهما سألت صبي المطعم ماذا أكل هذان الشيخان، فقال بكل سذاجة: أطيب نوع من لحم الخنزير لينظر: جريدة الفضل_تنشر من قاديانية ويسمى جريدة قاديان أيضا_ 21 أغسطس سنة 1924م.

(4) ولد الحكيم نور الدين بن غلام رسول في عام 1258ه في بهيرة من مديرية شاه بور في البنجاب غربي الباكستان وقد درس الحكيم نور الدين الفارسية وتعلم الخط ومبادئ العربية سافر إلى لكهنو,بهوبال،الحجاز, ثم عين طبيباً خاصاً في ولاية جمون _كشمير الجنوبية _ واشتهر بها، وفي هذا الوقت تعرف على الميرزا غلام أحمد القادياني الذي كان مقيما في سيالكوت وشرع يحرض القادياني على ادعاء النبوة ويؤلف الكتب لتصديقه وتكفير من لا يؤمن بنبوته، ولقب بالخليفة الأول وخليفة المسيح الموعود بمباركة الاستعمار البريطاني. وكان آخر حياته أن سقط عن فرسه وجرح واعتقل لسانه قبل وفاته بأيام، ومات في 13 من مارس عام 1914م واستخلف الميرزا بشير الدين محمود نجل الميرزا غلام أحمد.لينظر: القادياني والقاديانية للشيخ أبي الحسن الندوي, 30 -33 م: دار السعودية للنشر ط: 3, 1967ء.

الوحيد[1] الذي يتبين بنفسها للإنسانية لايحتاج إلى معرفة وضع الألفاظ للمعاني فتعجبت من ذلك أن مثل هذا الرجل كيف يتكلم في مجمع عربي[2]عمومي بمثل ذلك؟وذكرت لمولانا أبي الكلام آزاد[3]، وكان هو في ذلك المجلس ضحك هو على جهل بالمسألة، وقال:" إن القول للقادياني". وكمال الدين له تاليف مخصوص في إثبات ذلك قلت: سبحان الله كيف خلق الله العقول متفاوتة؟. أنا أعرف كلمة مختصرة. كل الفضائل التي ذكروها للسان العربي، وأنا علمت بها يقول الذين يعرفون سنسكريت[4].وأنا أعرف كلمة منها هؤلاء الذين يعرفونها هم يثبتون كل هذه المزيات لسانسكريت. وعند اليهود أيضا عقيدة أن لغة التوراة لغة إلهية. فمن تطابق الأفكار في ذلك أنا جعلتها خارجة عن كمال القرآن. هذا المقصد، وإن كان عظيما إلى درجته؛لكن القرآن[5]أعظم من ذلك. قلبي يحكم يقينا أنه لاينزل في القرآن كلمة لإثبات مثل هذا المقصد، وتلك الأدمغة كلها سطحية لاتعرف من معنى الإنسانية، وروحها شيئا. [6]فتوجهنا إلى أن نتفكر في السور المتعددة على موضوع واحد فجاء في فكرنا، وهذا الفكر ابتدائي ما أتممناه؛لكن شئ يطمئن به الخاطر. ونحن نحتاج إلى مثل تلك الأشياء، وإن كان الناس في غنى عنها.

الإنسانية اجتماعيتها هي موضوع القرآن:وهذا قد تقررعند الكاملين من أهل العلوم فسلمنا ذلك ثم نرى أن الإنسانية تنقسم إلى أصناف باعتبار الذهنية، والذهنية تتأثرمن أعمالهم. فمن يتفكر طول عمره في مسائل الحكمة يكون له ذهنية خاصة. ومن يشتغل طول عمره في الزراعة

(1) في ن م : وتوحيد لكن كلمة" الوحيد" أصح حسب السياق.الباحث
(2) في ن م : كلمة "عربي " لاتوجد.
(3) هو أحمد بن خير الدين الكلكتوي، المشـــهور بأبي الكلام آزاد، وســـماه والده غلام محي الدين، وهو من أذكياء العصر. ولد ونشأ بكلكته، واشتغل بالعلم من صباه، ولما حصلت له الملكة الراسخة في معرفة اللغة العربية أقبل إلى مطالعة الكتب جد واجتهد، ثم قدم لكهنؤ وولي إنشاء مجلة الندوة لسان حال ندوة العلماء، فأقام بلكهنؤ زماناً، ثم سار إلى أمرتسر وتولى إنشـاء صـحيفة الوكيل الأسـبوعية، ثم سـار إلى كلكته وأنشـأ الهلال الصـحيفة الأسـبوعية سـنة 1330 هـــ، له كتاب تذكرة في ترجمة حياته، وغبار خاطر وكاروان خيال جمع فيهما رسائله الأدبية، ومجلدان من ترجمة القرآن وتفسيره، وله غير ذلك من الرسائل. لينظر: نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني الطالبي (المتوفى 1341ه) 8/ 1168-1169.
(4) هي لغة من لغات الهند.الباحث.
(5) في ن م: القرآن العظيم.
(6) في ن م: ثم فتوجهنا

يكون له ذهنية خاصة على غير ذهنية من يشتغل في الحكمة. ومن يشتغل في التجارة دائما، ولايحاسب إلا النفع المالي والنقصان فعنده نقصان جسمه وصحته لا أهمية له. ونقصان ماله يتأثر به أكثر. فله ذهنية مخصوصة. هكذا أصناف المجتمع من عمال [1]أعمال مختلفة كثيرة من تجار لهم ذهنيات مختلفة. والمسائل المشكلة لايمكن تعليمها لأصحاب ذهنيات مختلفة بتعبير واحد، فسنح لفكرنا أن مسألة القيامة أهميتها في تعليم القرآن والإسلام عموما ظاهرة، وإدراكها لايتيسر لكل أحد بسهولة. فإن كان الله[2] أنزل سورا متعددة مراعاة لذهنيات مختلفة فلايبعد من الحكمة بل الحكمة في بعض الأوقات تكون موجبة لذلك[3]فوجدنا بعض السور منطبقة على فكرنا[4] تمام الانطباق،وحصلت لنا الإعانة في ذلك التطبيق من كلام الإمام عبد العزيز الدهلوي[5] في تفسيره[6]، ومن كلام شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم[7] في بعض مناظراته مع الهنود الذين ينكرون القيامة بالتفصيل المسلم عند المسلين. وفي بعض السور افتكرنا شيئا؛لكن لانقدر على تطبيقه على تمام السورة، ونحن نسعى في ذلك حتى يسهل لنا ذلك الأمر؛لكن طريقنا[8] هو على طريق أهل التفسير.

(1) في ن م:من أعمال مختلفة
(2) في ن م : فإن الله سبحانه.
(3) في ن م:كذلك.
(4) أي الإنسانية اجتماعيتها هي موضوع القرآن.الباحث.
(5) هو الشيخ الإمام المحدث عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي لقبه بعضهم سراج الهند.ولد ليلة الخميس 25 من رمضان 1159ه.أخذ العلم عن والده،حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم، ولما توفي أبوه وله ست عشرة سنة عند وفاة والده، وكان من أساتذه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي وغيره فاستفاد منهم , وأما مصنفاته فأشهرها: تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز, كتابه بستان المحدثين، السر الجليل في مسألة التفضيل. وتوفي بعد صلاة الفجر يوم الأحد 7 من شوال 1239ه وله ثمانون سنة، وقبره بدهلي عند قبر والده خارج البلدة.لينظر نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني الطالبي (المتوفى 1341ه)7 / 1014-1018
(6) ليراجع تفسير العزيز المشهور ب تفسير عزيزي،الإمام عبد العزيز الدهلوي،ط:ايج ايم سعيد كمبني،كراتشي.
(7) هو الشيخ محمد قاسم النانوتوي المعروف ب " حجة الإسلام "ولد في سنة 1248ه في نانوته، تعلم الكتب الابتدائية من الفارسية والعربية في قرية ديوبند.ثم درس كتب الحديث لدى الشيخ عبد الغني الدهلوي ،شارك الشيخ في الجهاد ضد الاستعمار البريطاني سنة 1857م وأسس دار العلوم ديوبند في 15 من محرم الحرام سنة 1283ه الموافق 30 من مايو 1866م. من مؤلفاته : تحذير الناس ، انتصار الأسلام، تصفية العقائد وغيرها وتوفي عام 1297ه .لينظر: أكابر علماء دار العلوم ديوبند للحافظ أكبر شاه البخاري 21-26.
(8) في ن م : لكن طريقته هو غير طريق أهل التفسير. والله الموفق.

الرجل الحكيم ينظر في شئ فأول ما يتوجه نظره إلى فطرته، وماتقتضيه ثم ينظر في أحواله أيها يناسب فطرته، ولايحتاج في ذلك إلى تكلف، وأيها يخرج عن ذلك المنهاج فيبحث عن الموانع والأسباب حتى يطمئن خاطره بهذا الأمر المتعين(1)من منهجه إن كان هذا لازما في هذه الظروف والحالات، فالرجل الحكيم لاينظر في الأشياء إلا بتلك الذهنية، فمراعاة ذهنية الحكيم عندي سورة الدهر نزلت لبيان يوم القيامة. قوله:"**هلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)1**. ذهنية عامة العمال المشتغلين بالكتاب ضروريات الحياة لعلها ليست مستعدة؛لأن تدرك معنى الدهر. الناس يحاسبون بالأيام والليالي. ففي سورة الرحمن إشارة إلى تلك النعمة "**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**"(2) وقبل وجود الشمس والقمر لايكون الزمان عند عامة الأذهان، وبشئ مسلسل يقيسون تقدم بعض الأشياء على بعض بالنسبة إلى ذلك الشئ . هذا هو المفهوم من كلمة الدهر. والحكيم يعرف أن الشمس والقمر مخلوقان بعد خلق كثير من الأشياء، وبعد خلق الشمس والقمر خلقت مركبات العناصر في الأرض على التدرج المعدنيات ثم النباتات ثم الحيوانات ثم الإنسان. فالأحيان من الدهرقبل الشمس والقمر لم يكن صورة الإنسان ولامادته لم يكن شئ منهما يذكر. فإلى هذه الحالة إشارة في قوله تعالى: (**هلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)** استفهام تقرير فهمنا منه أن الخطاب للناس يفهمون تلك المسألة. (3)والذين لم يتفكروا في معنى الزمان، ولا معنى الدهر، ولا في ارتقاء مدارج الحياة إلى الأرض هل يحسن من الحكيم أن يخاطبهم بمثل ذلك التقرير، ويطمئن بأنهم يصدقون ذلك؟ هذا الحكيم يعرف أن الإنسان مخلوق بعد خلق أنواع كثيرة من المخلوقات، وبامتزاج حاصل من مواد تلك الأنواع. وبدن الإنسان تجدون فيه(4) آثار المعدنيات كلها وآثار النباتات والحيوانات. هذه المسألة بينة عند الحكيم؛لذلك ذكرها

(1) في ن م: المتغير .
(2) الرحمن : الآية : 5
(3) في ن م : والغرض لم يتفكروا
(4) في ن م : شبه آثار.

الله كالأمر المتقرر في قوله تعالى:"**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاه سَمِيعًا بَصِيرًا**"**2** وفيه بيان خواص الإنسانية إنه ذوسمع، وذوبصر، وذو علم، وفهم عميق تلقى إليه المسألة فيتفكر فيها ويجيب عنها له السمع والبصر، وفيه الاستعداد استعداد الابتلاء[(1)] في العلوم، وهذا ليس إلا في الإنسان. فالآية الثانية فيها بيان عن حقيقة الإنسانية أولا ماكانت إلى زمان ثم بعد ما تهيأ الأسباب، والأركان، والعناصر خلق الإنسان على مزاج خاص. والإنسان بفطرته ينقسم على قسمين أحدهما: يوافق،ويراعي ما اقتضته فطرته من الشئ على ما صح عنده من العلوم. ثانيهما :قسم يمشى على اقتضاء حيوانيته من اللذات الخسيسة مخالفا لما اقتضته فطرته، وعلمه مثلا:الرجل بفطرته يحتاج إلى زوج من النساء فالعقلية الإنسانية أوجبت على الإنسان بفطرتها أن يخطب إمرأة[(2)]من عائلة، ويرضيهم لذلك الاجتماع ثم ينكح تلك المرأة. هذا نظام اقتضاه الإنسانية لفوائد يدركها كل الناس، والبعض يراعي ذلك الفكر فلا يقضي شهوته إلا بالنكاح. هذا رجل محمود يشكره كل الناس. ورجل يغلب عليه شهوته، ويغضب إمرأة بالقهر من عائلة، ويقضي شهوته. هذا رجل ظلوم كفور يجد في نفسه قبح ذلك العمل بدليل أنه لو فعل معه ذلك العمل أحد لكان تشقق[(3)] بالغيظ. فالفرق بين القسمين من الإنسانية واضح. هذا معنى قوله تعالى:"**إِنَّا هدَيْنَاه السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**" **3** هل يجوزعند الحكيم أن يجازي من هذين الصنفين بجزاء واحد؟ كلا!فالكفر لازم أن يحبس في السجن، والحكيم يجوز هذا في سياساته في اجتماعياته. الناس الذين يعتقدون على الفطرة يسجنون في السجن، [(4)] ويعالجون بأنواع العلاجات يستيقظ فطرتهم عن تلك الغواية. هذا معنى قوله تعالى:"**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا**" **4** ثم الذين يمشون على الفطرة. هم أيضا نوعان:1: جماعة تكون في مزاجها حرارة، وسرعة. 2:جماعة

---

(1) في ن م : استعداد الابتداء.أظن هذا من خطأ الكاتب،لأن السياق يخالفه.الباحث
(2) في ن م : أن يخطبه إمرأة من عائلة.
(3) في ن م : تشفق لكن كلمة" تشقق " أنسب حسب السياق.الباحث
(4) في ن م : السجون

تكون في مزاجها السكون والمشي على الاعتدال. وكل رجل لازم أن يعامل على مقتضى حالاته، ويكون في ذلك إصلاح فطرتهم مقصودا. مقصدنا من مثل هذا الكلام أن السجن كما يراعى لإصلاح تلك الطائفة الفاسدة، كذلك الجنة أيضا يقصد بها إصلاح الأمزجة، وإن كان الإعوجاج في تلك الأمزجة قليلا لايضربون، ولايهانون مثل أهل السجون بل يراعى في طعامهم وشرابهم ما صلح حالهم. والطائفة الثانية من الأبرار ليس هنا ذكر السابقين. إنما ذكر هنا من أصحاب اليمين جماعة اكتبست بالأعمال الصالحة أخلاقا حسنة.والطائفة الأولى التي كانت في مزاجها حرارة أزيد، ولذلك يكونون مشددين فى الإصلاحات.هؤلاء هم الذين يكونون خداما للانقلاب في الإنسانية يمزج فى مزاجهم شيء يميل إلى البرودة، ويصلح حرارتهم. ذكر جزائهم إلى آية "**قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرًا** "16 وذكربعد ذلك طائفة أخرى"**وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْسًا كَانَ مِزَاجُها زَنْجَبِيلًا**". **17** الأبرار من القسم الأول يشربون من مزاج كان فيه كافور. والثانية: يسقون من كأس كان فيه زنجبيلا[1].والزنجبيل يعرف بحرارته؛ لأن هؤلاء يحتاجون إلى شيء من السرعة في سيرهم. وبيان هذا يمتد إلى"**إِنَّ هذا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا**" (**22**) قوله تعالى:"**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا**" **23** المراد منه الجزاء للطائفتين من الإنسانية الشاكر والكفور عائد إليها بأسباب يقتضيها مثل حدوث الإنسان لأسباب أوجبت جزاؤه للكفور على نوع، وللشاكر لكل قسم منه على ما ينبغي. ونزول القرآن إنما هو تنبيه، وإمداد للانسانية. وكل رجل مستعد لنوع من الجزاء يمكن أن يكمله بعد ما علم من القرآن. والرجل الذي يخرج من السجن بعد عذاب خفيف يمكن أن يتنبه في حياته الدنيا، ويندم على هذا الفعل. [2] وكذلك الأبرار يصلحون مالهم من النقص فيكون ارتقاؤهم بعد حيوة الدنيا أكمل من الأول فتبين بذلك ضرورة يوم القيامة، والاحتياج إلى

(1) أظن هذا من خطأ الكاتب لأن كلمة " زنجبيلا" إسم كان وهو من قبيل المرفوعات.الباحث.
(2) في ن م :فيتركه بعد حياته الدنيا.

سور[1] القرآن، والنبوة؛لكن هذا البيان، وهذا الخطاب لا يستفيد من رموزه، ولا يفهم المراد منه إلا رجل مارس في علوم الحكمة، وتبصر في معرفة الفطرة الانسانية. "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** إلى **فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا24**. قسم من الناس لايحبون أن يسمعوا إرشاد المرشدين، ولا تعليم المعلمين، ويريدون أن يصروا[2] على غيهم هم ليسوا كل الإنسانية؛ولذلك المرشد لا يكثر في إرشاده، والمعلم يعلم عامة الناس، ولا يمنع بامتناع تلك الطائفة. ومعنى قوله: **تنزيلا** نراعي فيه حالات الطبقات، ومدارج الناس؛لأن الفرق بين الإنزال والتنزيل قريب من هذا. **فاصبر**: داوم[3] على الإرشاد، والتعليم، ولا تمتنع بامتناع الإثم والكفور، واجعل للذين يريدون الاسترشاد والتعليم وقتا مخصوصا لهم لايأتي في ذلك الوقت أحد من الآثمين والكفور. وهذا وقت الصبح قبل طلوع الشمس، ووقت المساء قرب غروب الشمس، وقطعة من الليل بعد سكون الناس، وبعد اضطجاعهم في المضاجع. فإن تلك الأوقات يتفرغ فيها المساكين والضعفاء للاسترشاد، وأهل الغواية[4] يكونون مصروفين في استراحاتهم وأشغالهم. هذا معنى قوله تعالى:(**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَه وَسَبِّحْه لَيْلًا طَوِيلًا)25. قوله** : "**إِنَّ هؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهمْ يَوْمًا ثَقِيلًا " 27** الذين يمتنعون من استماع الإرشاد والتعليم. قوله: **وَيَذَرُونَ وَرَاءَهمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** لا يتوجهون إلى ما تنتج حياتهم. هذه من أثقالهم فنريد أن نخفف عنهم من أثقالهم حسب الحالات. قوله تعالى:"**نَحْنُ خَلَقْنَاهمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهمْ تَبْدِيلًا" 28**. فالفطرة التي تقتضي هذه الأعمال منهم أيضا مستندة إلينا. **نحن خلقناهم و شددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا**. وخلقهم على هذه الفطرة، وبقاؤها عليها من اقتضاء حكمتنا من خارج الفطرة الإنسانية؛لأن الانسان بجمعيته جزء واحد من الحيوانات،

---

(1) في ن م : نزول القرآن.
(2) في ن م : أن يصيروا لكن كلمة "أن يصروا" أصح حسب السياق.الباحث
(3) في ن م : دوام
(4) في ن م : أهل العذاب.

والحيوانات كلها داخلة تحت نظام النباتات. وهكذا إلى فوق سلسلة الأسباب. فالأشياء التى تكون في الإنسانية خلاف الفطرة يكون[1] فيها تأثر من المجاورات الخارجية للحيوانات والنباتات وغيرهما. وحكمة المجاورة تستوجب رعايتهما مثل حكمة الفطرة، فتنشأ منهما هذه الأقسام خلاف الفطرة. هذا عندنا معنى قوله: **نحن خلقناهم إلى** الخ مع كوننا قادرين على تبديلهم لانبدلهم مراعاة لحكمة الجوار. وفي تلك الحالة لا نتركهم عن استفادة الإصلاح بقدر المستطاع فيكون نزول الكتاب عاما شاملا لجميع الأقسام. هذا معنى قوله تعالى:"**إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**" (**29,30**) فأدخل من كانت فطرته مستقيمة في رحمته، وأفادهم بالقرآن للارتقاء في المدارج العالية. الصنف الآخر الذي لايستفيد من القرآن لآثارمن المتجاورين نؤثر فيهم. فهذه حكمة الجوار أيضا مشية الله فلايقدر على مخالفته. هذا معنى قوله تعالى:" **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**" لكن يتبين ظلمهم على فطرتهم بنزول القرآن مثل الذي ذكرنا. رجل يغتصب جارية لقضاء شهوته هو في غواية تلك لا تتنبه[2] لشيء؛لكن عامل رجل آخر معه تلك المعاملة، واغتصب بنته أوأمالها إليه بدون إجازة من أبيها، فهذا الفعل، وإن لم يكن مانعا له عن غوايته فيمابعد؛لكن يحكم على نفسه أنه ظالم في عمله لابد كذلك القرآن العظيم إذا سمعوه، ولم يتبعوه؛لكن يعرفون أنهم يظلمون فطرتهم فلايلومون إلا أنفسهم، فنزول القرآن، وتعليمه لعامة الشاكرين منهم ينفعهم بمعنى، وللكفورمنهم ينفعهم بمعنى آخر. هذا معنى قوله تعالى:" **يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**"**31** أى بعد إثبات ظلمهم، وجعلهم معترفين بذلك: الحمد لله تمت سورة الدهر. ونتكلم في تتمة الآن. الناس ظالمون خالفوا الفطرة، لكن ما ننبهم أحد على أنه ظلم، وليس لهم استعداد قريب لفهم أن ذلك الفعل هو الظلم لعدم انسلاكهم في اجتماع يعتقدون بكون تلك الأفعال

(1) في ن م : تكون
(2) في ن م : لاتتنبه

ظلما. فإذا كان الرجل يعاشر تلك الجماعة فلو لم يقصر في فهمه لتبين له أنه ظلم. فالمعترف بالظلم على درجة، والذي قصر في فهم الظلم على درجة دون ذلك. والذي لم يتنبهه أحد بأنه ظلم، وليس فيه استعداد قريب لفهم الظلم. هؤلاء في درجة دون من الدرجتين الأوليين، فعدم التبليغ لكل الناس يكون المسؤول[1]على ذلك التقصير هوالهيئة الاجتماعية للمسلمين. الرجل يتدين بدين عقيدته أنه مختص بقوم خاص، وهو لايبلغ قوما غير قومه لايكون مسئولا [2]عن التقصير في التبليغ؛لكن الذي يعتقد أن دينه عام للانسانية، وهو يجد في نفسه شرفا، وفخرا على الإنسانية، ويصرح بذلك في المجالس العمومية. فإذا قصر هؤلاء في التبليغ لعامة الناس يكون المسئولية عليهم، والتبليغ لا يكون إلا بتفهيمهم على لسانهم. تمت التتمة.

المسألة الأخرى التي بقت من السورة السابقة[3] قوله:"**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه**"[4] الفكر الذي شاع في الناس أن المتشابهات لا يعرفها الراسخون في العلم أيضا يكون معناه: أن الله لم يبين تلك الحصة من القرآن، وهو يضاد ذلك النص: **ثم إن علينا بيانه**[5] . فالله ما التزم على نفسه من بيان القرآن بينه، ومن اجتهد في ذلك يفهم المتشابهات أيضا بتوسط الراسخين في العلم. [6] ونحن ــبحمد اللهــ استفدنا من طريقة الإمام ولي الله، ورأينا من يجعل نفسه سلفيا ينكر تفسير

---

(1) في ن م : المؤول

(2) في ن م : مؤولا

(3) أي سورة القيامة.الباحث

(4) القيامة: الآية: 19

(5) في ن م: ثم إن علينا بيانه لاتوجد.

(6) قد اختلف علماء الإسلام في تأويل المتشابهات, ولهم موقفان: الموقف الأول :موقف المفوضين :وهم يقولون: والراسخون معطوف على اسم الجلالة " الله " في قوله تعالى :﴿ هنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَه مِنْه ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِه وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَه إِلاَّ اللَّه وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ....﴾ وفي هذا العطف تشريف عظيم: كقوله تعالى: ﴿ شَهدَ اللَّه أَنَّه لَا إِله إِلَّا هوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ َ..﴾ وإلى هذا التفسير مال ابن عباس، ومجاهد، ،والشافعية، والشيخ أحمد القرطبي، وابن عطية(6) وغيرهم. وعلى هذا فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها. ويؤيد هذا أن الله أثبت للراسخين في العلم فضيلة. ووصفهم بالرسوخ، فآذن بأن لهم مزية في فهم المتشابه لأن المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيء رسوخهم؟ الموقف الثاني : موقف المؤولين وهو: الوقف على قوله: "إلا الله" وإن جملة والراسخون في العلم مستأنفة، وهذا مروي عن جمهور السلف، وهو قول ابن عمر، وابن مسعود، والكسائي، والحنفية، وإليه مال فخر الدين وغيرهم من العلماء المتعددة. لينظر: التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور (ت: 1393ه)3/ 164-167,الناشر: دار التونسية للنشر- تيونس- ط:1984م.

المتشابهات، ثم تعجبنا أن إمام الطائفة منهم شيخ الإسلام ابن تيميه[1] رد تلك العقيدة بأشر طرق الرد في تفسيره سورة الإخلاص، [2] وفي غيره من مؤلفاته؛[3] لكن عدم التدبر يفضي الإنسان إلى أرذل المراتب. رأينا رجالا من أهل العلم يدعون اتباع شيخ الإسلام_ابن تيمية_ ، ويصرون على إنكار[4] تفسير المتشابهات_ الله يعصمنا وإياهم من ذلك_.

(1) هو أحمد بن عبد الحليم الدمشقيّ الحنبلي، تقي الدين المعروف ب" ابن تيمية". ولد في حران (661 - 728 هـ = 1263 - 1328 م) وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـــ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته.لينظر: الأعلام للزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) 1-144الناشر: دار العلم للملايين ط: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

(2) لينظر:مجموع الفتاوى تفسير سورة الإخلاص ت: ابن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـــ)17/ 5-7 ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م.

(3) لينظر: الإكليل في المتشابه والتأويل ت: تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)10-17،الناشر: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر. وغير ذلك من كتبه القيمة.

(4) في ن م : الأفكار لكن كلمة "الإنكار" صحيح حسب السياق.الباحث

سورة البروج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ(1). **(1)** المنجم له ذهنية مخصوصة، ولهم كان اقتدار على الصابئة[2] قبل الحنيفية مثل أئمة الأديان. وكانت الصابئة هي الملة الحقة في ذلك العصر، وهم ينظرون(3)إلى مخلوقات الأرض ترجع إلى مادة من العناصر، وترجع إلى صورة. وهذه تأتي من هيئة الكواكب. وكل مخلوق مركب في صورته دخل للكواكب. والصورة، والمادة تكونان دائما متواقفة. فإذا(4)المنجم إلى تعيين صورته بأخذ الهيئة للسيارات الحادثة من ابتداء زمن خلقه ثم يرجع إلى(5) حكم كل كوكب، ويقدرتقديرا لتلك الهيئة يكون حكمه على ذلك المخلوق باعتبار وجوده في(6) الأرض، ونفعه، ونقصانه صحيحا مثل حكم الطبيب بعد معرفة مزاج عنصره، وتعيين حركاته فيضعه يكون تعيين حالاته أكثره صحيحا ثم دخل في ذلك العلم الجهلة الكذابون، فأبطلوا ذهنية الناس الناشئة من تعليم الحكمة أن كل شئ عند الله بمقدار. وهذه الذهنية في الناس أحدثتها الصابئة، فكان الناس يسبحون بحمد ربهم، ويحمدونه بعد معرفة الحكمة في خلق الأشياء إلى الآن عند المسلمين أو في الصالحين تلك السجية(7) محفوظة أنهم يشكرون الله على كل نعمة صغيرة أو كبيرة، وكونها

---

(1)هي مكية باتفاق.لينظر:التحرير والتنوير،الإمام ابن عاشور،236/30.

[2] إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون.أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى.وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. والثابت أن الصابئين قوم ليس لهم شـــريعة مأخوذة عن نبي،وهم قوم من المجوس واليهود والنصـــارى ليس لهم دين ولكنهم عرفوا الله وحده، ولم يحدثوا كفراً، وهم متمسكون "بالإسلام المشترك" وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسـل على إيجابه وتحريمه وهم يقولون "لا إله إلا الله" فقط وليس لهم كتاب ولا نبي.والصحيح أنهم كانوا موجودين قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأرض اليمن.وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرءون الزبور ويصـــلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.لينظر: الموسـوعة الميسـرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د.مانع بن حماد الجهني،714/2 الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
الطبعة: الرابعة، 1420هـ.

(3) في ن م : يحصرون.

(4) في ن م : قدر

(5) في ن م : لي لكن كلمة "إلى" أصح حسب السياق.الباحث

(6) في ن م : من

(7) والسجية: الطبيعة والخلق. وفي الحديث:كان خلقه سجية. لينظر: لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضـل، جمال الدين ابن منظور الأنصـاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هــــ) 516/12، الناشـر: دار صادر – بيروت ط: الثالثة - 1414 هـ.

نعمة لايدرك إلا بعد العلم بالحكمة التي خلق لإجلها. وتلك السجية من بقايا الصابئة. فلما دخل فيها الكذابون، وما وجد الناس حكمة الأشياء، لأنهم أدركوها على خلاف ما يقوله هؤلاءالكذابون ثم وقع افتراق بين أهل العلم: طائفة يدركون قطعة من الحقائق، وطائفة أخرى يدركون قطعة أخرى. وكل منها يستند إلى كوكب غير كوكب أخرى[1] فورث[2] فيهم فكر الاستبداد للكواكب بالتأثير مثل ما وقع في الحنفاء اتخاذ الأحبار، والرهبان أربابا بعد افتراق الملة على فرق، واستناد كل فريق إلى راهب أوحبر، ومبالغتهم في معرفة الدين لذلك الحبر المخصوص عند العامة. وبهذا الطريق اتخذ الناس علماءهم أربابا. كل ما استند إلى رجل منهم صار حقا هذا بعينه مثل ما حدث من اعتقاد استبداد الكواكب بالتأثير بطل بذلك التوحيد، وانتشر فيهم الشرك فسار دينا منسوخا. أما البقايا من أهل العلم على المنهج الأول، وإن كانوا قليلين على علمهم تقوم الملة الصابئة في الأرض هم قائمون على ذهنيتهم، وبتقليدهم اجتماعات من الناس على تلك الذهنية. فتفهيم مسألة يوم القيامة لمن كان على ذهنيتهم هو المقصود في سورة البروج. قوله: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ**. اصطلاح علماء الهيئة أنهم يقسمون كل فلك على اثنتى عشرة قطعة، ويسمون كل قطعة برجا. وكثير من المفسرين فسروا القرآن على هذا الاصطلاح[3].وهذا ليس بصحيح عندنا.فإنا لا نعرف في الأرض جماعة يعرفون الهيئة على اصطلاحهم فالمراد من البروج هو معناه اللغوي[4] لا الاصطلاح. هو كل شئ يبرج،ويظهر،ويرتفع،فالكواكب لتبرجها يقال له: البرج فمعنى والسماء ذات البروج :السماء ذات الكواكب والسيارات،منها تعرفها العرب؛لأنهم يعينون بطلوعها وغروبها مواسمهم.فالسماء

(1) في ن م : الكواكب غير كواكب أخرى
(2) في ن م : فحدث لكن كلمة ورث أبلغ عندي حسب السياق.الباحث
(3) {والسماء ذات البروج} الكواكب اثنا عشر برجا تقدمت في الفرقان،لينظر: تفسير جلالين تأليف: عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر محمد كمال السيوطي(ت:911ه) من البقرة إلى بني إسرائيل ولجلال الدين محمد بن أحمد الأنصاري المحلي من الكهف إلى الناس(ت:864ه) ص 571 سورة البروج.مط: مكتبه رحمانيه.وغير ذلك من التفاسير المشهورة.الباحث
(4) يؤيده تفسير الإمام الشنقيطي يقول في تفسيره: إن أصل هذه المادة من الظهور،ومنه تبرج المرأة.لينظر:تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ت : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) 8/ 476الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ط: 1415 هـ - 1995 مـ.وغير ذلك من التفاسير المشهورة.الباحث

ذات السيارات تشهد قوله: "**وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ"2** فهذا عند أهل الكتاب أرباب التوراة،والإنجيل معروف.وجمع الشهادتين بينهما أن ما حكم به الملة الحنيفية ليس بمخالف لما كانت عليه الملة الصابئة في زمن ظهورها، فالشريعتان متطابقتان في المقاصد. قوله: **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ 3** فصله بقوله : **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4)** [1] هذه القصة[2] وقعت في اليمن قبل نزول القرآن فكانت معروفة[3] فالشاهد هم هؤلاء الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا. والمشهود هم المؤمنون الذين قتلوا[4]. وكانت هذه[5]الواقعة بين اليهود، والنصارى[6]. قوله :"**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"8 الَّذِي لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ9** كما أنهم شهدوا عذاب المؤمنين، كذلك الله شهيد عليهم. [7] وجواب القسم هاتان الآيتان: قوله: **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ 10 إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ 11**. المنجم يحكم

---

(1) في ن م : تفصيله فيما بعد : قصة

(2) وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى: قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين.لينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط: الأولى - 1419 هـ 359/8

(3) في ن م : وهذه القصة ذكرها في قتل أصحب الأخدود.

(4) اختلفت أقوال المفسرين في تعيين معنى الشاهد والمشهود إلى ما يقرب من عشرين قولا.لينظر:أضواء البيان،الإمام الشنقيطي،477/8.

(5) في ن م : هذه الواقعة لكن كلمة "تلك" أنسب.الباحث

(6) قد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليهم علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعنه أنهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي، وقال العوفي عن ابن عباس قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أخدودا في الأرض ثم أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك.لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام الدمشقي،359/8-360.فالشيخ السندي رجح قول الضحاك بن مزاحم كما لايخفى.الباحث

(7) في ن م : فتلك السموت ذات البروج، واليوم الموعود،وشاهد ومشهود إلى قوله " ذلك الفوز الكبير"

بنجومه أن كل قوم غار يرتفع يوما. وكل من ارتفع يذهب الي الحضيض[1] يوما. واقتضاء النجوم ليس إلا موقتا. والذين ظلموا الناس بقوتهم وقت ارتفاعهم لابد في حكمة المنجمين أن ياتى يوم يغلب الظالمون، ويصيرون مظلومين. هذا نسميه جزاء ظلمهم. الفرق في التعبير والألفاظ. وكذلك أهل الكتاب يؤمنون باليوم الموعود معناه عندهم كل ظالم يؤخذ منه حق المظلوم. فإذا كان إحدى الطائفتين من الحنيفية تظلم الأخرى فعندها أن الظالم يؤخذ منه حق المظلوم. والأمرمتطابق. فالذي استقر في الإنسانية باختلاف ألسنة الحكمة إن الذين يظلمون أهل الحق يكون لهم جهنم والحريق؛لأنهم أحرقوا المظلومين إما ظاهر أجسادهم، وإما باطن قلوبهم. والذين هم على الحق، وظلموا لابد أن يأتي لهم نعيم. فهذا معنى قوله:**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الْأَنْهارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ. قوله:" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ" 12** المجازاة التي تظهر يوم القيامة ليس أمرا جديدا بل ذلك الأمر مستمر في الدنيا. أحد يظلم آخر، والمظلوم ليس له قوة إلا الدعاء إلى الله، فترون بعد الأيام أن الظالم صار ذليلا محتاجا. هذا في الأفراد يوجد تجاربه عند جميع الناس بكثرة، ثم بعد ذلك جماعة تظلم جماعة. لها أمثلة متعددة. أهل دين يظلمون أهل دين آخر. أهل حكم يظلمون أهل حكم آخر. ترون بعد أيام أن سلطنة الظالمين قد ذهبت لايذكر لهم ذكر، وبطل عز دين الظالمين، ولا يعظم شعائره، ولم يبق لأهل ذلك الدين ثقة وأمانة بين الناس. وأمثلة كل ذلك متواترة فى التاريخ. [2]وكل أمثال تلك الواقعات نحن نجعلها تفسيرا[3] لقوله تعالى: **إن بطش ربك لشديد:** أخذ الله حق المظلوم من الظالم لايتأخر إلى يوم القيامة بل كل ما اقتضى

---

(1) الحضيض فالحضيض مما يلي السفح، والسفح دون ذلك. ج :أحضة.الحضيض: ما سفل من الأرض،وقول العرب:نزل إلى الحضيض:تدنى.لينظر: تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)18/293-294. المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.

(2) كما لايخفى من أولى الألباب. الباحث

(3) من منهج الشيخ السندي أنه يطبق الآيات على الواقعات التاريخية لذا نقول إن منهجه في تفسير القرآن منهج تطبيقي.الباحث.

الحكمة إن أخذ الظالم لا يبطل بذلك النظام على الفور يؤخذ. قوله: **إِنَّه هوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ 13** النظام الواحد يقيمه الله في الأرض، فيصل إلى منتهاه ثم يموت، وبعد ذلك يقيم الله نظاما آخرعوضه[1] فحكمته يتقيد باقتضاء ذلك النظام الذي يقتضيه الفطرة الإنسانية. فإذا كانت الكثرة في النظام أنهم يقيمون الحق فلايؤاخذ بالواقعات القليلة، ولا يبطل لأجلها النظام. وإذا غلب على النظام البطلان فيؤاخذ على الفور، ويعيد قوما آخر ونظاما آخر يقوم مقامه. وإذا بطل النظام الأول، وغلب عليه كثرة الظلم؛لكن النظام الذي يقوم مقامه لم يرسخ إلى الآن يتأخر بذلك السبب أيضا مؤاخذتهم. فإذا رأى الرجل حكمة الله في أنه يبدئ نظاما، ويعيد نظاما بشكل آخر، وأتقن تلك الحكمة بتيقن أن الله لايؤخر أخذ الظالم، وينتظر فيه يوم القيامة. فإذا كان كل قرن فيه نموذج القيامة موجود، والمنجم يدرك هذا بالسهولة، فهذا القدر كاف في إثبات يوم القيامة؛لأن المراد من تعليم يوم القيامة ليس بيان عجائب ذلك اليوم بل المقصد حكمة المؤاخذة فقط. والإنسان إذا تفكر أنه يترك سدى هو أبطل الإنسانية في زعمه. كذلك من زعم أنه[2] لايظلم الناس، ولايؤخذه الله هوأبطل الانسانية مرتين. قوله:" **وَهوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**"14 يأتي حزم في فهم سلسلة التاريخ لقوم حاكم على الأقوام نرى أنهم يظلمون الأقوام ثم لايبطل ملكهم. فالمسألة التي تقررت عندنا صارت كالمشكوك فيها في هذه[3] الآية بيان حكمة ذلك الحزم إذا قام من تلك الملة الظالم أكثريتها طائفة محقة، واستعدت لانقلاب هذا الظلم، وإصلاح الملة يتأخر المؤاخذة. هذا معنى قوله:" **وهو الغفور الودود**" لما أرادوا الإصلاح، وعزموا على ذلك، وإن كانوا قليلين لا يخافون سطوة الكثيرين، ويجزمون بأنهم إما يقيمون الحق وإما يقتلون بحدوث مثل تلك الطائفة يغفر الله لهم، ويؤخرهم. وكل ما قام المصلحون على عزمهم مستقيما، وإن كانت أعمالهم تقصر فالله يودهم، ويحب أن يوصلوا إلى

(1) في ن م : عرضه لكن كلمة عوض أنسب حسب السياق.الباحث
(2) في ن م: كلمة "أنه "
(3) في ن م : تلك

غرضهم من الإصلاح، فإذا كانوا هم ثابتين على عزمهم يؤخرالله مؤاخذتهم. وإذا تركوا ذلك العزم، ولم يكن أعمالهم كافية لإصلاح الظلم فادعاء طائفة أورجال لاينفع.

لطيفة استطرادية[1]: الإمام ولي الله الدهلوي ألهم بتجديد الدين، ومن قرأ كلامه في التفهيمات في حكاية أحوال الملأ الأعلى، وخطابه لكل طائفة من اجتماع للمسلمين لا يتشكك في أن الرجل كان مأمورا بالانقلاب[2]. تلك المقالة عندي عنوان دعوته: إني منذ وقفت على تلك المقالة، وكان ذلك قريبا من سنة 1911ء جزمت بفكري أن طريقة انقلابية، وإن لم أجد من تاريخهم، وحالات ذلك الإمام خصوصا ما يكفي لإثبات ذلك، فكنت أتأسف كيف ضاعت تلك الأخبار؟ وأنا كنت أعتمد في تصديق نظرياته الانقلابية في ضمن حجة الله البالغة؛لأن ذلك الكتاب متواتر عنه فقدرت أن أثبت نظرياته الانقلابية. وأما أعماله الانقلابية فلانعلم منها ذرة كلمة؛لكني استمررت في تفتيش الأحوال فوجدت واقعات قليلة صالحة لإثبات كونه انقلابيا في الأعمال، وأنا من زمن طويل معزم بعلمه الانقلابي، وحالاته؛لأن أصل حبي بطبيعتي لمسألة الهند لما كنت في بيت آبائي، كان قيام الهند على القوة المتغلبة ألذ الأفكار عندي، فلما هداني الله إلى الإسلام، وقريبا من ثلاث سنين فرغت من تعلم العلم الضروري فرجعت إلى مكنونات خاطري فبدلتها بقيام المسلين في الهند، وأيقنت في نفسي أن قيام الهند بدون قيام المسلمين لايتم أولايستمر؛لكن كل ذلك بالإجمال لإصلاح فكري أني إذا قدمت المسلمين على الهند فإني لم أتغيرمن تلك النظرية التي كانت راسخة في طبيعتي من قيام الهند، وأعانني في ذلك الزمان زمان قلة المعلومات الصحيحة. إن آبائي كانوا

---

(1) الاستطراد:هو نوع من المحسنات المعنوية: تعريفه : هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخر لمناسبة ، ثم يرجع إلى تتميم الأول. لينظر: دروس البلاغة مع شرحه شموس البراعة ص 193.

(2) لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي، تفهيم:69، 1/ 266-268. ط:أكاديمية الشـاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.وأيضا: مجموعه رسائل إمام شاه ولي الله (مجموعة الرسائل للإمام ولي الله الدهلوي) التفهيمات الإلهية ترجمته باللغة الأردية للشيخ عقيدت الله،ت:عطاء الرحمن قاسمي 7/ 215-232 ط:1, 2020 شمع بك ايجنسي كراتشي باكستان.

متعلقين بطريقة نانك، [1] وكنت أعلم أن نانك استفاد من المسلمين، وتعلم من مشائخ الصوفية، وما أعرض الإسلام ذلك الفكر أعني اتصال نانك بالمسلمين كان غالبا في بيت آبائي. ولهم في ذلك واقعات مخصوصة. بعض فقراء المسلمين دعا لرجل منهم فرزقه الله أولادا، وبذلك التوارث كانوا يكرمون فقراء المسلمين، والصالحين منهم. تلك الجذبة[2] كانت موجودة في قلبي فنفعتني أن أجعل مسألة الهند فلاحها موقوف على فلاح المؤمنين. وفي المسلمين ما وجدت رجلا انقلابيا مثل الإمام ولي الله. وكلما تقدمت في معرفة رؤساء أقوام في الانقلاب وجدت الإمام ولى الله فوقهم. أما طريقته في الانقلاب، وبرنامجه قد بقي مخفيا عني. هذا الذي أحوجني إلى إثبات هذه[3] المسائل في هذا[4] الموضع في هذا التفسير ثم قام مقامه ولده الإمام عبد العزيز الدهلوي[5]، ونظرياته على طريقة والده، ويؤثر منه أفعال انقلابية أكثر مما يؤثر عن أبيه. هو في آخرحياته بعد ما فرغ من تأسيس حكومة اجتماعية نظم لاجتماعية[6] برنامج الجهاد، فكأنه تقدم إلى تاسيس حكومة عسكرية، وقد فاز في ذلك إلى حد، ثم قام بعده أصحابه فقاتلوا، وقتلوا. وهذا كله ارتقاء لانقلاب الإمام ولي الله، واستشهد تلك الجماعة 1246ء. ومن زمن 1146ء إلى اختتام المائة في 1246ءكانت دورة انقلاب الإمام ولي الله الدهلوي ذكرنا لكم أن أفعال الانقلاب من الإمام ولي الله لاتؤثر إلا قليلا، ثم يؤثر أزيد منه من الذين قاموا مقامه الإمام عبد العزيز، [7] وإخوته ثم تبين مثل النهار في الذين قاموا مقامهم الشيخ إسماعيل شهيد[8] حفيد الإمام ولي الله، وأصحابه. هذا باعتبارالأعمال، وأما في العزم فلاشك أن كل طبقة جاءت بعده كانت له في ذلك شدة زائدة

(1) هو مؤسس لديانة سيخ.ولد نانك في عام 1469م .سافر إلى البلدان حتى إلى بغداد،ومكة المكرمة أيضا لتحصيل العلم والمعرفة،وعاش أكثر حياته في قرية "كرتاربور" قريبا من لاهور،وأكثر متبعي ديانته في الهند،وتوفي في عام 1539م.لينظر: الموسوعة العالمية (عالمي انسائيكلوبيديا) 2/ 2055،مط: فيصل ناشران،لاهور باكستان.
(2) في ن م : المجاذبة
(3) في ن م : تلك
(4) في ن م: ذلك
(5) سبق ترجمته
(6) في ن م: لأجل جماعة
(7) سبق ترجمته
(8) سبق ترجمته

على الطبقة السابقة. فعلى نظرياتنا أعمال تلك الجماعة، وإن كثرت؛لكن عزائمهم قوية يحبهم الله سبب عزمهم المؤكد. ورأينا أكثر ذلك أن الحكومة الهندية، وقوة سلطانها كانت قد تلاشت؛لكن عزم هذه الجماعة يقيم عزة السلطان. فما كان المتغلبون إلى ذلك الزمان يصرحون لأنفسهم أنهم حكام الملك بل يظهرون في خلواتهم، وجلواتهم صغيرهم، وكبيرهم أنهم من عمال السلطان يعني أن عزة إسم السلطان باقية عندهم، وليس عندهم قوة. وبعد شهادة تلك الجماعة في سنة أوسنتين أعلنوا أن الحكومة الهندية للإنكليز شرعوا في التصرف تصرف المستقلين مستبدين. القوة المتغلبة ليست جاهلة بأساليب الحكومة بل هي تعرف تاريخ تقدم الأمم، وأسباب تأخرهم، وتعرف فلسفة ذلك التاريخ، فأعظم قوة صرفت الحكومة إلى أن ينسى المسلمون الهند طريقة الانقلاب للإمام ولي الله ولأصحابه، وصرفوا في ذلك مبالغ كثيرة وفيرة، ونجحوا. فأول أعمالهم إثبات أن الشيخ إسماعيل الشهيد، وأصحابه تركوا طريقة آبائهم، وصاروا وهابيين، ونشروا تلك الفكرة في عوام المسلمين بكل قوتهم. وبالاستعانة[1] في كون الوهابيين خارجين عن الإسلام من المركز الديني الحجاز الحرمين، وهم عملوا تلك الأعمال بإتقان أنشاؤا جماعة يغالون في اتباع الشيخ إسماعيل الشهيد، وأكثر أعمالهم أوجميعها على طريقة الوهابيين النجدين، واليمانيين الزيدين، ووصل ذلك إلى حد صار كالبديهيات ذكر الشيخ إسماعيل، وكون الرجل وهابيا. فمن ذكر شيخ إسماعيل بخير يقول الناس: إنه وهابي.

(1) في ن م :والاستعانة

الأمر الثاني: أيدوا جهالا يؤمنون برجعة سيد أحمد شهيد[1] أمير الجماعة هو من بيت النبوة من تلاميذ الشيخ عبد العزيز[2] جعله أميرا على الجماعة. وكان إماما في الجهاد، والشيخ إسماعيل الشهيد من شيوخ السيد أحمد كان وزيرا، ووقعا شهيدين[3] في يوم واحد في دفعة واحدة، ولهم مركز في الحدود الأفغانية يسمونه "المجاهدين" ينتظرون رجعة الأمير الشهيد يأتي إليهم إلى الآن أموال من المسلمين من اتباع تلك الدعوة بإسم الجهاد، والغزاة، وبإسم المعاونة للمجاهدين، والحكومة الإنكليزية تسامح لهم بتحصيل المال من أطراف الهند، وبعث الدعاة إليهم. فإن حدث في تلك الجماعة رجل ذو فكرصحيح فاتصاله بأهل الهند، وقيامه في ذلك المركز غير ممكن له من جهة تشدد الحكومة البريطانية.

الأمر الثالث: إرجاع الطوائف من المسلمين فكرهم السياسي بعد فتح دهلي في سنة 1274ء بعد ثمان وعشرين سنة من شهادة الأمير، فبث الدعاة في أهل الرأى من المسلمين، [4] لأنهم كانوا حاكمين على بلاط الخليفة يقدرون أن يحصلوا الامتياز بإسم الخليفة بأي لون أرادوا. فأرباب السياسة بعد ذلك أكثرهم توجهوا إلى الخليفة، وكان هذا العمل أشد من العملين الأولين في نسيان طريقة الإمام ولي الله. الآن أبدلوا قوميتهم أيضا، ومن ذلك الزمان شرع الإنكليز في تأييد الهندو أنهم هم الممثلون للقومية الهندية حتى جاء أوان الاجتهاد والترقي، فقاموا بضد سياسة البريطانية. من ذلك الزمان رجع المسلمون الهنديون عن ثباتهم الطويل إلى تيقظ ما، ثم كانت مسألة الخلافة

---

(1) السيد أحمد شهيد بريلوي عاش(1201هـ-1246-هـ)مؤسس الطريقة المحمدية في شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشـر الهجرى.قد قاد حركة إسـلامية في شـبه القارة الهندية من أجل إعادة الوحدة الإسـلامية، وبث الوعي الديني، وطرد الإنجليز. يرى البعض أن تأثيره لم يكن مقصـورًا على العهد الذى نشـأ فيه، إنما أثر على الجيل الذى أعقبه، وعلى دعاة الإصلاح والعاملين في المجال الإسلامي.بعث إلى رؤساء وأمراء المسلمين في المناطق المجاورة يُعرّفهم بالقضية الإسلامية، ودعا إلى ما يراه ديناً خالصـا، وإلى الجهاد في سبيل الله، حيث نظم جماعة كبيرة وهزم أحد كبار القادة الهنود السيخ .وقتل مع أعوانه في معركة وادى بالاكوت ضد جيش السيخ في الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة 1246هـ، المناظر 6مايو1831 م. لينظر:نزهة الخواطر،عبد الحي الحسنى،924-923/7.

(2) سبق ترجمته

(3) جملة واستشهدا بدل "ووقعا شهيدين" أنسب عندي.الباحث

(4) في ن م: أن يرجعوا في سياستهم الدينية إلى السلطان التركي خليفة المسلمين

دعايتها في الهند قريبا من ثلاثين سنة. وإنما قامت بتأييد الحكومة البريطانية؛لأن هذه الحكومة لاتريد أن يتذكر المسلمون أنهم يقدرون أن يقوموا لاستخلاص الهند بأنفسهم، فكانت دعاية الخلافة مفيدة من هذه الجهة لهذه الحكومة. ولما قامت فئة الاتحاد والترقي انقلب الأمر عليهم. ففي الحرب العمومية قام أهل الهند لمسألة الخلافة قياما ما لايؤثر مثله لا في تركية ولا في مصر. صرح بذلك رمزي[1] مدير أستاذ التاريخ بجامعة مانجستر قال: إن الحوادث التي وقعت في الهند بعد الحرب الكبرى كانت أقوى من حوادث تركية و مصر؛لكن الانتفاء في تلك الحركة ما كانت في قدرة أهل الهند؛لأن مدار تلك الحركات الخليفة، وليس للخليفة تصرف ما للهند. هم سووا الطريق في التركية لإلقاء الخلافة.وقام الغازي[2] وحزبه مؤيدا لذلك على ضد الاتحاد والترقي ففازوا؛لأن أكابر الاتحاد والترقي صاروا مطرودين، وبإلغاء الخلافة بطلت القوة الهندية كلها، ولو كانت تلك القوة اجتمعت على تأييد الحركة الانقلابية للإمام ولى الله لرأيتم من آثاره الانقلاب الكبير؛لكن نحن أبطلنا قوتنا بانخداع من عدونا. أنا اشتغلت بتأييد الخلافة بأمر شيخنا، [3] ودخلت في اجتماع المسلمين العام، وما كان ذلك مقتضى طبيعتي اقتضاء طبعي لا يخرج عن التعلق بالهند. ومنذ تفقهت في طريق الإمام ولى الله كنت متشبثا بأذيال الأمير السيد أحمد شهيد[4]وأصحابه، وحصلت من تاريخ تلك الهجرة والجهاد، لعل أحدا من أقراني ما وصل إلى ذلك، وتبين لي أغلاط الدعايات الفاسدة لإنشاء تلك الحركة العالمية.وكتاب واحد مطبوع في حالات الأمير الشهيد،وفي سير حركاتها جمعه الطائفة المنتسبة إلى جماعة المجاهدين في الحدود، وأدخلوا فيها كلمات كاذبة أفسدت روح جميع الحركات،وذلك الكتاب منسوب إلى رجل صالح

---

(1) لم أطلع على ترجمته
(2) لم أطلع على ترجمته
(3) المراد منه هو الشيخ محمود حسن.الباحث
(4) سبق ترجمته

من المجاهدين. وفي آخرالكتاب جمع من مكتوبات الأمير الشهيد، ومكاتيب مولانا الشهيد مكاتيب يقارب عددها مائة أوأكثر فيها فوائد عظيمة تتعلق بفهم الحركة.

جملة معترضة: أنا لما فرغت من طلب العلوم على الأساتذه في سنة 1301ء لم يكن عندي اطمينان على شيء إلا قليلا من مقالات محمد قاسم[1] أو مقالات شيخنا، والباقي كله اقتراب واختلاف في الفقه والأصول والحديث والتفسير فذكرت ذلك لبعض المشائخ في ديوبند فحكوا إلي حكاية من مولانا رشيد أحمد[2] أنه كان يقول: لما فرغت من طلب الحديث فحيرت ثم رجعت، وتركت كل محفل رجعت نفسي على مطالعة كتب الحديث سنة كاملة، وحصل لي الاطمينان فحدث لي ذلك من قلبي شوق إلى أن أعتزل الخصومات، وأن أجمع كل قوتي لمطالعة ما قرأت لعلي أفوز بالاطمينان، فرجعت إلى السند، ويسر الله مركزا عند أصحاب شيخنا في الطريقة الحافظ محمد صديق السندي. [3] سمعت من بعض الصوفية كان يقول في حق شيخنا أنه جنيد[4] وقته، وأنا كنت أرى المشابهة في السكينة بصحبة شيخنا الحافظ، وبصحبة شيخنا رشيد أحمد. هذا الشيخ هو مبدأ إيماني، وإسلامي هوالذي لقنني كلمة التوحيد وقال: إنه كالأب والأم لي، وسمعت منه مرة كلاما فهمت منه أنه يشير لي بالرمز[5]أن أترك فكر الفقراء، واشتمل على عمامة السلاطين المخصوصة في ديار الهند، وكان لها إسم مخصوص يقوم مقام التاج. وهذا الشيخ لما رجعت إلى السند توفي قبل مرجعى بعشرة أيام توفي في عاشر جمادي الثانية، وأنا وصلت في العشرين من جمادي الثانية؛لكن أصحابه تلقوني بالترغيب، وإنهم كانوا مثل الأب، وبأيدي هؤلاء يسر الله لي

---

(1) سبق ترجمته

(2) هو الشيخ رشيد أحمد بن الشيخ هدايت أحمد الكنكوهي ولد سنة 1242ه ببلدة "كنكوه"من مديرية سهارنفور. كان من شيوخه الشيخ محمد بخش رامبوري.والشيخ مملوك علي وغيرهما كان من قادة حركة تحرير الوطن ضد الاستعمار البريطاني ، وكان من أجل خلفاء الشيخ إمداد الله المهاجر المكي ،ومن تلامذته الشيخ محمود حسن "شيخ الهند" ، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري والشيخ حسين أحمد المدني.وتوفي سنة 1323ه من مؤلفاته: فتاوي رشيدية. لينظر: أكابر علماء ديوبند للحافظ أكبر شاه البخاري 41-44.

(3) سبق ترجمته.

(4) قيل: جنيد، مصغرا لجند،لينظر:تاج العروس،الشيخ الزبيدي،391/9. جند كلمة فارسية الأصل من "كند"اشتهر الإسم بين المتصوفة تشبها بالصوفي الزاهد جنيد البغدادي(ت:297ه).الباحث.

(5) في ن م: الأمر

المركز لمطالعة ما قرأت فاشتغلت بذلك سبع سنين، وحصل لي بحمد الله الاطمينان، فالمسافة التي قطعها رشيد أحمد[1] في سنة أنا قطعتها في سبع سنين، وفي ظرفها تزوجت، ورزقت الأولاد، والناس اشتغلوا علما، وصنفت كتبا. وكان البذر لهذا الاطمينان اعتمادي على شيخ محمد قاسم من أصحاب مولانا عبد العزيز. وبعد زمن اعتمادي على الإمام عبد العزيز[2] وإخوته ثم بعد زمن إلى الامام ولى الله، وحصل لي المطلوب، وتم الأمر الذي كنت أريده[3] ثم بعد أن حصل لي الاطمينان في العلم تفكرت في برنامج عملي طريق المشائخ الذين صحبتهم إلى ذلك الأوان هوالجلوس في المساجد، وتعليم الذكر، والفكر لعامة المسلمين، وجمع المسلمين على الأخلاق الطيبة، وما كنت أرى نفسي أهلا لذلك. والاشتغال بالتدريس أيضا يحتاج إلى بناء المدرسة، ولاأرى في نفسي قدرة عليها فلم يبق إلا أن أذهب إلى مدرسة فأنضم إلى شيوخها. وهذا أيضا ما ارتضيته لنفسي ثم تفكرت في مرافق الاقتصاد من الاشتغال بالتجارة أوبتملك الأراضي، ولم يوافق أيضا هذا خاطري. في ذلك الزمان وقع بيدي نسخة من "سوانح أحمدية" قرأت فيها تاريخ الحركة، وكنت أعرف كل رجالها؛لأنهم مشائخنا في العلم، وطريقة شيخنا، وشيخ شيخنا متصلة إليهم، ومذكورفي ذلك الكتاب فاستبشرت به، وعكفت على طريقة المكاتيب فقط فوجدت فيها مقصدي:الشيخ إسماعيل الشهيد كتب إلى رجل من أصحابه أن إقامة الجهاد فرض على المسلمين لازم في كل زمان، وليس معنى ذلك أنهم يفتحون البلاد، ويقيمون الدولة العظيمة. إنما ذلك مشروط بشروط لايقدر عليها المسلم في كل الأوان. وإقامة الجهاد، وتحصيل رتبة الشهادة متيسرة في كل وقت لكل عهد واجب على المسلمين إحياء ذلك الفرض أو كلاما مثل هذا تأثرت به قويا قلت: هذا يمكن لي فإنه أجل مقصد حياتي أجاهد على حسب استعداد، واستشهد لاغرض لي في الدنيا إلا هذا مااستفدت من ذلك الكتاب ثم حصلت لي فيه شبهة أن الفقهاء يوجبون للجهاد جمع قوة تقادم قوة المخالفين،

---

(1) سبق ترجمته.

(2) سبق ترجمته

(3) في ن م : تمت المعترضة. في المعترضة رجعنا إلى الأصل.

وهذا الفكر يعارضه. فأيهما يكون صحيحا فراجعت في ذلك شيخنا في ديوبند سألته عن ذلك الإشكال سنة 1315ء فأوضح لي المسألة بتفصيلات تامة اطمئن بها قلبي أن الصحيح هو ما كتبه الشيخ إسماعيل، وأنت إذا عملت بها كنت فائزا ثم ذكر لي على سبيل المشورة لوأنك أجريت الدعوة إلى ذلك بين أصحابك واجتمع حولك جماعة، وعملتم بعد ذلك في يوم مناسب لذلك يكون أنفع للمسلمين. وسبب تلك المشورة أني كنت ذكرت للشيخ أن أربعة من الطلبة كانوا يقرءون عندي اتفقوا معي على هذا المسلك فذكر الشيخ لو أنك استمررت على ذلك العمل لكان أحسن فقبلت مشورته، واستمررت على الدعوة في السند حتى اجتمعت عندي جماعات على ذلك؛ولذلك خصني الشيخ فجعلني سكرتيرا لنفسي، وجعلني من أصحاب السر في تلك الدعوة. في سنة 1327ء دعاني إلى ديوبند، وفوض إلي بعض أعماله كنت بها إلى أربع سنين. ومن تلك الأيام شرعت أنا في التداخل في دعاية الخلافة القائمة بين المسلمين الهند. أما قبل ذلك لم يكن مطمح نظري، ونصب عيني أو (Ideal) إلا طريق الإمام إسماعيل الشهيد، فكنت هنديا مسلما أجاهد بكل قوتي أعداء الهند المتغلبين علينا. هذا كان من فوائد ذلك الكتاب "سوانح أحمدية". وإنما أطنبت في هذا الأمر؛ لتعلموا قوة دسائس الإنكليزية فقد درست قدر أربعة سطور في ذلك الكتاب، وتعبت قدرعشرمن السنين في إثبات أن تلك السطور الأربعة مدسوسة على متن الكتاب ثم لم يسلم مني ذلك الفكر إلا من كان على طريقتين[1] وإلا شيخ الهند. أما الناس فلايسمعون مثل هذا كأنه تقررعندهم أنها من أصل الكتاب، وتلك النسخة تطبع مرارا إلى أيامنا هذه يطبعها أصحاب الدعوة إلى مركز المجاهدين. وأنا نبهت هؤلاء الطابعين مرارا، وهم وإن كانوا يعتمدون علي، ويسمعون أقوالي لم يقبلوا كلماتي في كون تلك السطورمدسوسة، وقد رجعت مركز المجاهدين، وسألت إمامهم عبد الكريم[2] ابن ولايت علي فقال:إن أصل المكتوب موجود عندنا،

(1) في ن م : طريقة
(2) لم أطلع على ترجمته

وليس يوجد فيه تلك الكلمات، والذين يتبعونها يستندون في دعوتهم إلى ذلك المركز، ولا يسألون إمامهم عن ذلك. والآن نأتي لكم بتلك العبارة يقول:الأمر في إنذاره العام نحن إنما خرجنا؛لنقاتل طائفة من كفار الهنود تسمى "سيكه[1]" تغلبت على بنجاب. أما الإنكليز نحن من رعاياها؛وليس لنا قتال على خلاف الإنكليز أو كلمات على معناها شككت في تلك الكلمات، وراجعت التاريخ في ذلك الزمان، ولم يكن حصل للشركات البريطانية تلك القوة حتى تجاهر بأنها الحاكم على الهند بل إنما كانت تتخذ جنودا، والجنود كانت تستخلف على وفاء سلطان الهند. وهل يمكن في ذلك الزمان أن يصرح الأمير إنا نحن رعايا البريطانية؟نعم بعد شهادتهم انقلب الأمور. وهذا شئ غيره. وأصل هذه الحركة ليس من الأمير الشهيد أحمد إنما هي من الإمام عبد العزيز. هذا مبين في ذلك الكتاب، وهو الذي جعله أميرا، وعمم بعمامته، والإنكليز زمن عبد العزيز الدهلوي تداخلوا في دهلي، ولم يقم عبد العزيز إلا لاستخلاص مركزه. وهل كان للسيكه دخل، وتغلب على دهلي؟ والإمام عبد العزيز ليس هو مؤسس تلك الخطة من اقتدائها بل أساس الحركة من الإمام ولي الله. لما تغلب هنود ميرته[2] على دهلي في آخر زمن الإمام ولي الله هو الذي دبر تدبيرا بواسطة الأمير نجيب الله خان[3] المخلص من أصحابه فدبر بواسطة دعوة السلطان حاكم الأفغان أحمد شاه أبدالى، [4] وتكفل له جميع نفقات عساكره من يوم خروجه من قندهار[5] إلى يوم

(1) هم متبعو كرونانك صاحب الديانة.الباحث
(2) بلدة من بلاد الهند الآن.الباحث.
(3) لم أطلع على ترجمته.
(4) أحمد شاه بن محمد زمان خان السدوزائي، مؤسِّس دولة أفغانستان الحديثة، وأول الشاهات الدرّانيين. ولد أحمد شاه سنة سنة 1136هـ=1723م، وقيل: سنة 1134هـ. في أسرةٍ تنتسب إلى الأسرة السدوزائيَّة سيّدة عشيرة البوبال زائي من قبيلة الأبدالي (العبدالي أو العبدي) الأفغانيَّة،وتُعدُّ حروبه في الهند من أهمِّ أعماله العسكريَّة والسياسيَّة؛ فقد غزاها تسع مرات بين عامي 1160 و1180هـ=1747 و1769م، ولكنَّه لم يعزم أبدًا على أن يُقيم سلطنةً راسخةً له في الهند. تُوفِّي 20 من رجب سنة 1186هـ = 23 من أكتوبر سنة 1772م بقرب مدينة قندهار، ودُفِنَ في قندهار بأفغانستان الحاليَّة.ليُنظر: https://ur.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B4%D8%A7%DB%81_%D8%A7%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%DB%8C

(5) بلد من بلاد أفغانستان.الباحث

رجوعهم إليها، وهذا الأمير نجيب الله خان من الأفغان، وكانت له كلمة مسموعة عند أحمد شاه فجاء أحمد شاه، وقاتل هنود ميرته بباني بت[1] سنة 1174ء, واستأصل ميرته. كل هذا كان بتدبير الإمام ولي الله، ومصداقا لرؤيا رأها في مكة المكرمة سنة 1144ء ذكرها فى فيوض الحرمين[2] ووقع مصداقها بعد ثلاثين سنة، والاستعانة من ملك الأفغان لقطع المتغلبة على دهلي طريقة سياسية قررها الإمام ولي الله ثم تبعه ولده مرة ثانية لما دخل الإنكليز فبث هذه الجنود برياسة الأمير سيد أحمد إلى أفغانستان؛ليأتوا بأقوام الأفاغنة لمهاجمة الإنكليز المتغلبة على دهلي؛لأن السطان في ذلك الزمان كان ضعيفا في أفغانستان. فإذا رأينا تاريخ الحركة، ورأينا زمن الأمير الشهيد فهل يجوز لأحد أن يتصور أن الأمير يسند تلك الحركة إلى نفسها خاصة، وجعل نفسه وأتباعه من رعايا البريطانية. ؟هذه كلها دلائل عقلية قطعية لما ذكرتها للشيخ صدقني على ذلك قال: نعم، أن أصل البرنامج كان الهجوم على دهلي لدفع الإنكليز. ولما كان سيكه الكفار مائلين في الطريق فإماطة الأذى من الطريق كانت من الأمور الطبعية لا الأصلية ثم اجتهد شيخنا، وتمكن على تحصيل أصل النسخ من تلك المكاتيب غير محرفة لم يكن فيها كلمة من تلك الكلمات، وكانت عنده. مقصدي من هذا التطويل كله أن دسيسة واحدة مختصرة كيف جعلت الحركة الانقلابية القائمة على أصول صحيحة نسيا منسيا من رجال يدعون اتباع تلك الطريقة. هذه الأعمال التي ذكرتها أربعة فيها من الحكومة البريطانية أعترف بها بقوة الكلمة السياسية عند البريطانيين أنهم لم يلتفتوا إلا إلى القتال، ولا إلى الجدال، ولا إلى شئ. غاية جهادهم أن ينسى المسلمون الهنديون تلك الحركة الانقلابية، ويوهن عزائمهم إلى درجة لا يتفكرون إحياء الحركة مرة ثانية. وهذا كان عندي أساس المسألة في تفسير هذه السورة. الناس غلب عليهم الظلم فقام فيهم جماعة مصلحة تريد بالعزم القوي دفع الظلم عن الناس فيؤخرهم الله فيغفرلهم.

---

(1) هو الآن تقسيم إداري لدولة الهند تتبع ولاية هاريانا(بالإنجليزيةHaryana) الباحث.
(2) لينظر: فيوض الحرمين للإمام ولي الله الدهلوي،ترجمته بالإردية للشيخ محمد سرور بإسم مشاهدات ومعارف،334، مط:دار الإشاعت،ط:1414ه،كراتشي باكستان.

رأيت كلمة فى التفهيمات الإلهية: إني ألهمت بطريقة كذا وكذا. (1) فلو قدر لي أن أقوم بعملها يتأخر خروج المهدي إلى زمن. فإذا قام جماعة مصلحة، وفازوا في الإصلاح يغفر الله لهم ويؤخرهم إلى أجل، فإن لم يكن عندهم أعمال كافية لرد الظلم، وحصول المغفرة؛لكن عندهم عزم قوي فيودهم الله,ويحبهم. وإذا شرعوا في عمل يبارك لهم فيه. هذا كان على حسب فهمي معنى قوله: "**وهو الغفور الودود**. "وأما إذا تركوا العزم المصمم[2] أيضا فلاايبالي الله بهم في أي واد هلكوا.

جملة معترضة مختصرة:بعد شهادة الأمير، وشهادة الوزير كان الأمر راجعا إلى مولانا محمد إسحاق(3) القائم مقام جده في دهلي، ولم يتمكن هو من تجديد الحركة الجهادية، وأنا اجتهد في ذلك نحو عشر من السنين، وكان قائلا بشهادة الأمير وشهادة الوزير، وغلب على أصحاب الجماعة التي تنتظر رجعة الأمير، فترك بلاده، وجاء مكة، وكان باقيا على عزمه. وكان يبث الدعوة من مكة إلى الهند، وفي آخرسنة وفاته لقيه الشيخ إمداد الله المهاجر(4) فأمره بأوامر وروده إلى الهند. ومن جماعة الشيخ إمداد الله شيوخ ديوبند كلهم _مولانا محمد قاسم، مولانا رشيد أحمد، مولانا

(1) لم أجد تلك العبارة نصـــا في التفهيمات لعل الشـــيخ الســـندي ذكرها معنى،أما الإمام ولي الله ذكر في كتابه "التفهيمات الإلهية"قوله:"فألهمني أنه حقيق "على عدة مواضـــع.لينظرمثلا: التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،قوله: ألهمني ربي تفهيم:20، 25/2، فهمني الله ســـبحانه أني أعطيت لك طريقا من الســـلوك هي أقرب الطرق، تفهميم:119، 144/2.

2 إن الكلام المذكور يستخدم باللغة الأردية.الباحث

(3) الشـيخ الإمام العالم المحدث المسـند أبو سـليمان إسـحاق بن محمد أفضـل العمري الدهلوي، المهاجر إلى مكة المباركة، ودفينها.ولد لثمان خلون من ذي الحجة 1197ه بدهلي،وكان من شـيوخه: الشـيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي، الشـيخ عبد العزيز الدهلوي وغيرهما،وله تلامذة أجلاء من أهل الهند، كالشـيخ المحدث عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي المهاجر إلى المدينة المنورة، وخلق كثير أكثرهم نبغوا في الحديث، حتى لم يبق في الهند سند الحديث غير هذا السـند، وذلك فضـل الله يؤتيه من يشـاء. توفي بمكة المكرمة في الوباء العام - وكان صـائماً - يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من رجب 1162ه، فدفن بالمعلاة عند قبر ســيدتنا خديجة رضــي الله عنها. لينظر:نزهة الخواطر،لعبد الحي الحسني،912/7-913.

(4) هو الشيخ العارف الكبير الأجل إمداد الله بن محمد. ولد يوم يوم الإثنين 22 من صفر سنة 1233ه بنانوته قرية من أعمال سـهارنبور,وهو ممن قرأ على المفتي إلهي بخش الكاندهلوي. سـافر إلى دهلي ولازم الشـيخ نصـير الدين الشافعي المجاهد وأخذ عنه الطريقة ثم رجع إلى تهانه بهون فأقام بها زمانا، ثم دخل لوهاري ولازم الشيخ نور محمد الجهنجهانوي وأخذ عنه الطريقة، وفتح الله ســبحانه عليه أبواب المعرفة وجعله من العلماء الراســخين في العلم، فتصدر للارشاد والتلقين بأمر شيخه. وبارك الله في تربيته وطريقته، فانتشرت أنوارهما في الآفاق، وجدد به الطريقة الجشتية الصـابرية، وانتمى إليها ودخل في سلكها كبار العلماء: الشيخ قاسم النانوتوي والشيخ رشيد أحمد والشيخ يعقوب والشيخ أشرف علي، وكلهم صـاروا شيوخاً. توفي يوم الأربعاء 12من جمادى الآخرة سنة 1317ه بمكة المباركة، فدفن بالمعلاة عند الشيخ رحمة الله الكيرانوي.لينظر: نزهة الخواطر للشيخ الحسني.8/ 1194-1197.

محمود الحسن_ هؤلاء الثلاثة من أصحاب الشيخ إمداد الله باقون على عزمهم. ومدرسة الديوبند مركز لدعوتهم لاأعرف رجالا آخرين لهم اتصال بأئمة دعوة الأميرالشهيد شيخ محمد إسحاق، ولهم عزم باق على تلك الحركة إلا شيخنا مولانا محمود الحسن شيخ الهند، ولي اتصال قوي به_الحمد لله_، وهوأخبرنا عن أعمال الشيخين_مولانا قاسم، ومولانا رشيد أحمد_ لايجوز إفشاؤها. إنما أثره علي أن شيخنا كان أدون من شيخه في العزم فشيوخهم مثل الشيخ إمداد الله، والشيخ إسحاق كانا على مرتبة عالية في الأعمال، وإن تكاثرت؛لكن العزائم مسلسلة موجودة بحمد الله سأجعلها_ إن شاء الله_ أنا بذورا لانقلاب كبير في العالم. قوله :"**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**"15 المصالح مرئية في إدارة الحق دائما على منهاج واحد. قوله :"**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ** "16يعمل على حسب تلك المصالح في كل وقت ما يناسب ذلك الوقت، وليس في أفعاله شئ من النقص كما يعمل في الدنيا كذلك يعمل في الآخرة. إنما البحث هل هذه الحياة تدوم بعد الموت أو لا؟ فإن دامت فالذي كان يجازي فى الدنيا الظالمين يكون فعله بعينه في الآخرة يوم القيامة، فبهذا الطريق يسهل على من تعود بحكمة النجوم أن يؤمن بيوم القيامة قوله: **"هلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ" (18)** هذه أمثلة المؤاخذة في دارالدنيا قوله : **"بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" (20)** فإذا استمروا في الدنيا على تكذيب في تكذيب **إن الذين فتنوا إلى ذلك الفوز الكبير**. الذي هو مدار الاستشهاد في هذه السورة، فإن الله من ورائهم محيط يؤاخذهم مثل ما أخذ فرعون، وثمود. قوله:"**بَلْ هوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)** هو مرجعه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات. .إلى ذلك الفوز الكبير. هذا يقرؤه كل رجل عارف،والفطرة الإنسانية تقتضي ذلك؛لذلك الكتاب في اللوح المحفوظ الذي هوعنوان فطرة الإنسانية .

سورة الطارق

موضوع هذه السورة إثبات دوام الحياة بعد الموت الدنيوي. وهذه السورة [1] من تمام سورة البروج. قوله:"**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ**[2] **(1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ** "(**3**)فالسماء، والنجم الثاقب شاهد على قوله:"**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**" 4 النجم الثاقب لايرى في النهار، وفي الظلام يطرق كأنه طارق جديد في الحقيقة[3]، وعلى حاله النور الذي يخرج منه في ليله، ونهاره سواء يختفي أويظهر باعتبار العوارض، كذلك النفس تختفي بعد الموت؛لكن المحافظة مثل الكوكب الثاقب لايتركه أن ينتشر بانفساخ بدنه. هذا هو المراد من مقصدنا بدوام الحياة. فالإنسان إنما يعرف عند الناس لا بالنفس فقط بل يلزم أن يكون معه البدن أيضا. فقال:"**إِنَّه عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ**"**8** فلينظر لقادر دليل أن خلق البدن الإنساني مثل الأول ليس بمشكل. **مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(7)** [4] لكل من الذكر، والأنثى. بهذا يفسر أهل العصر من الأطباء بين الصلب والترائب كناية عن محل حدوث المني. وتفسير آخر أن الصلب للذكر والترائب للنساء، ولايرضاه عصري، وكلا الاحتمالين مذكوران في التفاسير[5]. والإصرار على شئ يخالفه العقل لا يستحسن اليوم. قوله:"**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** "9والجزاء الذي يكون لازما عليه يظهر في ذلك اليوم كأنه كان مبطنا، وليس شئ لا في الداخل ولا في الخارج يقدرعلى نفيه. فإذا صلبوا دوام الحيوة فإظهار القوى الباطنة

---

(1) في ن م : هو موضوع تلك السورة والسورة.

(2) هي مكية بالاتفاق نزلت قبل سـنة عشـر من البعثة.أخرج أحمد بن حنبل عن خالد بن أبي جبل العدواني: «أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسـمعته يقول: والسماء والطارق [الطارق:1]حتى ختمها قال: «فوعيتها في الجاهلية ثم قرأتها في الإسـلام»لينظر: التحرير والتنوير،ابن عاشور (المتوفى : 1393هـ)257/30.

(3) يؤيده قول الإمام ابن عاشـور في تفسيره: والثقب: خرق شـيء ملتئم، وهو هنا مستعار لظهور النور في خلال ظلمة الليل.لينظر:التحرير والتنوير،ابن عاشـور،259/30.ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره: وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله: النجم الثاقب قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار.لينظر:تفسير ابن كثير،الإمام الدمشقي،368/8.

(4) في ن م : الصلب والترائب للذكر والأنثى.

(5) لينظر:تفسير ابن كثير،الإمام الدمشقي،368/3.وأيضـا: التحرير والتنوير،الإمام ابن عاشـور،269/30. وغير ذلك من التفاسير المشهورة. الباحث

هوالجزاء،وهو يوم الدين . قوله:"**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**"11 كما أن السماء تأتي بالمطر مرة بعد مرة. هذا معنى قوله: ذات الرجع[1]. فالأرض ينصدع منها الحبوب، والبذور، كذلك في ذلك الوقت يمطر مطر من القوى الروحانية على النفوس التي هي بمنزلة الأرض الحاملة بالبذور فيخرج منها النتائج لابد. قوله :"**إِنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ 13 وَمَا هوَ بِالْهَزْلِ" 14** "ليست عقلية من صنف من أصناف الناس تنكر ذلك، وتكون لها قوة الاحتجاج على الإنكار هو قول فصل. قوله :"**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا**" 15 معنى الآية عندنا: أن الناس يجزون بأنفسهم بالمجازاة، وقلوبهم تشهد بذلك، ويرون أنهم لو أقروا بذلك لتقدم تعليم القرآن، وينتظم عليه حكومة على أصول القرآن. وهذا أمر لايريدونه؛لأنه بذلك يبطل ما يظلمون به الناس. هم لا ينكرون يوم الدين إلا لمكيدة منهم لتأخر تنظيم حكم القرآن"**وَأَكِيدُ كَيْدًا** 16. بهذا الطريق يتيسر إيثار الدعوة القرآنية إلى قلوب عامة الناس شكوكهم ليست بقابلة للالتفات؛لكن النفع الذي يحصل بتعميم التفهيم هوالذي يجعل للتوجه[2] إلى حل أشكالهم اعتناء قويا هذا كأنه رد لمكيدتهم يتعجل بذلك تنظيم الحكومة القرآنية. قوله:"**فَمَهلِ الْكَافِرِينَ أَمْهلْهمْ رُوَيْدًا"17** لاتتعجل إلى تنظيم حكومة العسكرية بل توجه إلى تنظيم حكومة اجتماعية تتمنى على الإطاعة برغبة من النفوس بعد فهم الدعوة القرآنية.

(1) يؤيده قول الإمام ابن عاشور في تفسيره: في اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله: إنه على رجعه لقادر [الطارق: 8] وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة.لينظر:التحرير والتنوير،الإمام ابن عاشور،266/30.

(2) في ن م : التوحيد

سورة الروم

قوله: "**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ**"**1** إلى آخره عندنا معنى آلم في هذه السورة هو تمركز الاجتماعية في الطبقات الثلثة الذي أنشأه انقلاب القرآن(1). فالمصدر للحاكم في ذلك الزمان كان الإمبراطوريتان. (2)غلبت الفارس على الروم ثم غلبت الروم على الفارس ثم غلبت الحجاز على الروم وعلى الفارس، فانتقلت قوة الدولية الصالحة للحاكم إلى الحجاز. في الدور الثاني، والثالث قوة الحكم رجع إلى مقامين. تنظيم القانون إعداد الحكام والقضاة،فتنظيم القانون كان أولا من الفاروق.في الدور الأول النبي_صلى الله عليه وسلم_كان يعلم القرآن، واستعمله في الحكم،وتعليم الحكمة؛ليقدرواعلى استنباط القوانين حسب ضروريات الأصل فتخرج بصحبته رجال في تنظيم القانون الفاروق، وفي إجرائه في القضاء علي بن أبي طالب ثم كان كل واحد إذا فوض إليه الأمر يقضي باجتهاده في الاستنباط من القرآن والسنة3. النبي كان عندهم كالمثال لا كالقانون فكان انشعبت أنواع الحكم حسب اختلاف الذهنية الآخذين من النبي _عليه الصلوة والسلام_، وأول من جمعهم للشورى، ونقح قواعد للقضاء هو الفاروق، وأبوبكر كان نصبه قاضيا في زمنه، فكان مثل قاضي القضاة فعرف أن اجتهاد كل مجتهد بانفراده يكون سببا لاختلاف المسلمين. ولما جعل أمير المؤمنين توجه

---

(1) مفهوم "آلم "حسب ضوء فلسفة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي هو أن المراد من "الف" الدرجة الأولى للاجتماع الإسلامي وهي تبدء من زمن النبي _صلى الله عليه وسلم_ فهو قد علم الناس القانون الإلهي آنذاك،وزكاهم كما في قوله تعالى:﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ آل عمران:164﴾،والمراد من "ل" الدرجة الثانية للاجتماع الإسلامي،وهي تبدء من زمن أبي بكر إلى _شهادة عثمان رضي الله عنهما_ وفتح فيه العراق ،والشام وغيرهما،والمراد من "م " الدرجة الثالثة للاجتماع الإسلامي،وهي تبدء من زمن معاوية _ رضي الله عنه _ إلى زمننا هذا.لينظر: روائع البيان في تفسير القرآن من أمالى الشيخ غلام مصطفى القاسمي(خ) رتبها الدكتور محمد إدريس السندي حينما كان يدرس لدى الشيخ غلام مصطفى القاسمي في أكاديمية الشاه ولي الله،1/4-5.

(2) الإمبراطوريتين لأن خبر كان من قبيل المنصوبات. الباحث

3 يقول الشيخ جرجي زيدان قوله: "اختص صدر الإسلام برجال توفرت فهيم خصال النصر، و قد امتاز ذٰلک العصر بنبوغ الرجال العظام... فكأن الله قدر للعرب النصر فاختصهم بقواد من نخبة رجال العالم فى المحراب، والسياسة، والدهاء، والحكمة كخالد بن الوليد وعمرو وأبى بكر صديق، و عمر بن خطاب، من أهل الحزم والتقوىٰ، وصدق العزيمة فنبوغ هؤلآء الرجال و أمثالهم فى أوائل الإسلام، كان من أكبر العوامل في سرعة نجاحه."لينظر: تاريخ التمدن الإسلامى، جرجى زيدان، الجزء الأول، الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص: 68، ط: مؤسسة هنداوي للتعليم والثافة القاهره،(2012م).

إلى جمع الشورى في المركز، وأمر كل قضاة البلاد أن يرفع القضية إذا أشكلت إلى المركز فكان كل أمر جديد يقع عندهم يخبرون المركز، وكان عنده دائما جمع من الفقهاء الذين تكاملوا في خدمة النبي، وبمشورتهم كان يجعل الأمر المجمع عليه كالقانون. وكذلك قدر الإمام ولي الله أن يصنف رسالته في فقه الفاروق الأعظم[1] أي القواعد التي نقحها الفاروق باجتماع أهل الشورى، وتخرج بصحبته عبد الله بن مسعود[2] بعد استفادته من صحبة النبي، وبلوغه درجة الاجتهاد، وهو أول رجل فقيه اجتمع حوله تلاميذه يرجحون قوله على كل من عاصره، وكان أول مذهب لنظمه في الفقه. هذا تنظيم القانون كان في المدينة في الدور الثاني ثم في الدور الثالث كان إبن عمر[3]، زيد بن ثابت[4] ، أم المؤمنين عائشة، وغيرهم من أهل الفقه نظموا الفقه بعد تنظيم الفاروق. موطأ لإمام مالك مشتمل على تحقيقات هؤلاء الصحابة، وزيد بن ثابت له مذهب مستقل في الفقه مثل عبد الله بن مسعود[5].فالارتقاء في الفقه، والقانون كان بسبب انضمام القوة الصالحة من العراق، والشام، ومصر إلى المدينة أن يسألوا للواقعات، ويخبرون عن ما تحقق عند الإمبراطوريتين ثم يبحث الفقهاء، والصحابة، ويتناظرون بإرجاع تلك المسائل إلى الدور الأول والثاني، فإذا قدروا على إرجاعها صار فقهيا إسلاميا. والناس يظنون أن أقوال الصحابة عامة منقولة من النبي _عليه السلام_ وهذا خطأ. ارتقاء الاجتماعية، واجتماع رجال القانون بعد إسلامهم تراجعوا إلى المركز

---

(1) وهو مطبوع بإسم فقه عمر.الباحث

(2) هو عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود بْن غافل بْن حبيب من أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_كان من أول المسلمين وقال عبدالله :" لقد رأيتني سادس ستة، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا "، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، وصلى القبلتين، وشهد له _رسول الله صلى الله عليه وسلم _بالجنة. توفي بالمدينة سنة 32ه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع.لينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لإبن الأثير 3/380-381. ت: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى ,سنة النشر: 1415هـ - 1994 م

(3) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن ، ولد بعد المبعث بيســـير ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، والعبادلة ، وكان من أشد الناس اتباعا ، توفي في آخر سنة 73ه أو أول التي تليها ، وأخرج له الجماعة. لينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (630ه) 3/336-338

(4) زيد بْن ثابت بْن الضحاك الأنصاري الخزرجي، ثم النجاري أمه النوار.كان من أعلم الصحابة ,توفي سنة خمس وأربعين, وصـــلى عليه مروان بْن الحكم، ولما توفي قال أَبُو هريرة: " اليوم مات حبر هذه الأمة"، وهو الذي كتب القرآن في عهد أَبِي بكر، وعثمان، رضـــي اللَّه عنهما..لينظر: أســد الغابة في معرفة الصــحابة ت: أبو الحســن عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)2/ 346

(5) سبق ترجمته.

فاستفاد بعضهم من بعض فاختار الصحابة كل شئ رأوه أوفق بما كان في الدور الأول عند النبي وأصحابه أو في الدور الثاني عند عمر، وأصحابه، وجعلوه مرجعا للقضاة فضبط بذلك الطريق القانون الإسلامي في المدينة، وكان فيها ارتقاء بعد معاوية زمن أمية باجتماع الفقهاء السبعة في المدينة، [1] وتنظيمهم القانون ثم المذاهب مأخذها هم الفقهاء السبعة، ومن كان في زمانهم في المدينة. هذا فرع للدور الثالث. بعد ذلك ليس الاختلاف على حسب أهواء السلاطين إلا ماشاء الله. فسورة الروم عندنا مرجعها إلى هذا المعنى، والإشارة إلى ذلك نأخذها من قوله تعالى: "**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ 32** تم التمهيد. قوله:" **آلم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَه وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" (7)** حكاية في مغلوبية الروم لفارس ثم غلبت الروم،وتشتت أفكار المسلمين،وحاصل قولهم أن المسلمين كانوا يحبون غلبة الروم، والمشركين غلبة الفارس؛لأنهم أميون مثلهم،والروم أهل الكتاب مثل المسلمين. [2] أكثر المفسرون[3]

---

(1) الفقهاء السبعة هي عبارة أطلقها العلماء على سبعة من التابعين كانوا متعاصرين بالمدينة,وعلى الرغم من أنه كان في عصرهم جماعة أخرى من العلماء إلا أن الفقهاء السبعة كانوا في عصرٍ واحدٍ قريبٍ من الهجرة، وعنهم انتشر العلم والفتيا في الدنيا، ولما صارت بالمدينة الفتوى إليهم بعد الصحابة واشتهروا بها خُصُّوا بهذه التسمية، وقد كان في عصرهم جماعةٌ من العلماء والتابعين، لكنَّ الفتوى لم تكن إلَّا لهؤلاء السبعة.لينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفه, 5/ 189. تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط،مط: مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ط: 2010م، وأيضا تهذيب الأسماء واللغات،للإمام شرف الدين النووي, 1/ 16 دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، وأيضا الجواهر المضية في طبقات الحنفية،عبد القادر القرشي: 2/ 421، مير محمد كتب خانه، كراتشي.

(2) يدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: الم غلبت الروم في أدنى الأرض قال غلبت وغلبت، قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب لينظر:تفسير القرآن العظيم، الإمام الدمشقي،267/6.

(3) مثلا:أخرج الإمام ابن كثير في تفسيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان فارس ظاهرا على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم. وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس،

يجعلون مرجع هذه الآيات أن المسلمين فرحوا بغلبة الروم على فارس، وكنا نحققه أولا برد الشبهات ثم حدث في قلبنا استنكار لذلك الحنفاء في مكة كانوا في أقليته ظاهرة. وفي تلك الحالة كان أحلامهم أنهم يحكمون على الأرض كلها، ويأخذون الجزية من كسرى وقيصر مثل هؤلاء يفرحون بنصرة العدو من الأعداء مثل هذه المسرة. إنما تناسب رجالا لهم ييئس من ارتقائهم يفرحون بنصرة من كان على مثل طريقتهم، وألفاظ القرآن تشير إلى فرح شديد مثل قوله تعالى:**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ** يعني بغلبة الروم. أن الله نصر الروم_ سبحان الله_ ثم قوله تعالى: **وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَه** كغلبة الروم كانت وعدا من وعود الله **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ما عرفنا هل فيه دس من الروم جدا؟فأخذ الاستنكار يزداد كل يوم؛لكن لانجد طريقا من رده فلا نتكلم فيه حتى جعلنا طريقة مخصوصة لنا في رفع هذا الاستنكار؛ولنذكر أولا تاريخ الواقعات في 616ء المسيحية الموافقة لست من المبعث غلب الفارس على الروم. هذا تاريخ مغلوبية الروم ثم بعد ثمان سنين في 624ءالموافقة من الثانية من الهجرة يعني ميقات بدر أشرع الروم في الغلبة على الفارس. رأينا الأذكياء من المفسرين جعلوا فرح المؤمنين راجعا إلى فتح بدر؛[1] لكن ليس له ذكر في سياق

لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قالوا: يا أبا بكر إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين؟ قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال «ما بضع سنين عندكم؟» قالوا: دون العشر. قال «اذهب فزايدهم، وازدد سنتين في الأجل» قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المؤمنون بذلك، وأنزل الله تعالى: الم غلبت الروم- إلى قوله تعالى- لا يخلف الله وعده.لينظر :تفسيرالقرآن العظيم،الإمام الدمشقي،269/6.وأيضا:ليراجع التفاسير المشهورة.الباحث

(1) يقول الشيخ مقاتل في تفسيره:لما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة،وأتى المسلمين الخير بعد ذلك والنبي- صلى الله عليه وسلم- والمؤمنون بالحديبية أن الروم قد غلبوا أهل فارس ففرح المسلمون بذلك، فذلك قوله- تبارك وتعالى-: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ فنصر الله- عز وجل- الروم على فارس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر. ويقول الإمام جرير الطبري في تفسيره: "ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين في عزوة بدر".لينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ت: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)66/20 المحقق: أحمد محمد شاكر.الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م..وأيضا: تفسير مقاتل بن سليمان ت:مقاتل بن سليمان البلخى (المتوفى: 150هـ)407/3. المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ط: الأولى - 1423 هـ.وأيضا:ليراجع التفاسير الأخرى.الباحث

القرآن، ولا يتنبه المفسرون على كثير من أغلاطهم بسبب عدم شعورهم لضرورة الاتساق[1]، ولنرجع إلى تمام تاريخ الوقائع:أن الصديق في أواخر سنة 12من الهجرة أرسل قوادا لفتح الروم، وغلبوا في يرموك 13من الهجرة. 634ء من المسيحية وقت وفاة الصديق ثم في 15 من الهجرة الموافق 636ء فتح بيت المقدس على يد الفاروق الأعظم يعني المسلمون غلبوا على الروم، وفتح بيت المقدس كان موعودا لهم. تم التاريخ. الآن نبحث عن **ترجمة الآيات:** غلبت الروم أو في الأرض قريب من أرض العرب غلب فارس على القدس 616ء، وهم من بعد غلبهم أي منقلب بينهم سيغلبون هذا هو المشهور[2]. وعندنا تفسير غير هذا: تمام غلبة الروم كان في سنة ست من الهجرة، وفتح القدس كان في 15 من الهجرة فكان فرق بين غلبتهم على فارس,وبين مغلوبيتهم للمسلمين 9 سنين فيتعلق في بضع سنين بفتح المسلمين على الروم، والروم بعد المغلوبية في بضع سنين، وأخذوا في الغلبة كان المغلوبية في سنة 16هـ، وأخذوا في الغلبة سنة 24، وكان الفرق بين الغلبة، والمغلوبية ثماني سنين يعني بضع سنين. بضع سنين يمكن أن يتعلق بغلبة الروم على فارس. هذا عندنا مراد من قوله: "**لله الأمر من قبل**" وبضع سنين هو الفرق بين الغلبة على فارس، وبين المغلوبية للإسلام هو المراد من "**لله الأمر من بعد**" ويومئذ إذ وقع الأمر أمر الله في ما بعد يفرح المؤمنون **بنصر الله. ينصر الله من يشاء** وعد الله؛ولكن بضع سنين لا يتعلق بالآية السابقة "سيغلبون" بل آية منفردة. في بضع سنين ينزل لله الأمر. في بضع سنين ينزل الأمر لله من قبل، وفي بضع سنين ينزل الله. **لله الأمر من قبل و من بعد.** لله من قبل في بضع سنين، ولله الأمر من بعد في بضع سنين. الآية الثالثة: معناها أن الروم يغلبون بعد المغلوبية. ففي الحالة المتقدمة الأمر كان في بضع سنين، وكذلك

---

(1) إن الشيخ السندي يشير الى المفسرين الذين لايهتمون بالسياق القرآني؛لأنه من أهم أدوات فهم تفسير القرآن.الباحث.

(2) يدل عليه تفسير القاضي ثناء الله الباني البتي:وَهمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وَهوَ الْعَزِيزُ ينتقم من عباده بتسليط غيرهم عليهم تارة الرَّحِيمُ ويرحمهم ويتفضل عليهم بتضرهم اخرى.لينظر: التفسير المظهري المؤلف: قاضي ثناء الله المظهري، محمد ثناء الله،221/7، المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان ط: 1412 هـ وأيضا:ليراجع التفاسير المشهورة.الباحث

في الحالة المتأخرة يصدر الأمر في بضع سنين. قوله: "**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**"الظاهر من الحياة عندنا هو درجة الخلق. والآخرة عندنا في اصطلاح حكمة الإمام: هي درجة التدبير. الخلق يكون بمنزلة الفرد، والتدبير بمنزلة المركب. فالدواء المفرد مثلا يفهم تأثيره عامة العطارون ثم للمركب تأثير مخصوص لايعلم إلا الحذاق من الأطباء. هكذا عامة الناس يعرفون في الاجتماعيات حكم الدول ظاهرا. كل دولة يجعلون بمنزلة المفرد يعرفون أحوالها، ولايجعلونها جزءا واحدا من أجزاء دول العالم. هذا يكون درجة التدبير، ولايعرفها إلا الحذاق في السياسيات. هذا هو الذي يعبر عنه بالآخرة، وهم عن الآخرة هم غافلون، ويعرفون أن الفارس والروم دولتان عظيمتان. إذا غلب إحدىهما على الأخرى يفر إحدى الطائفتين. هذا هو ظاهر من الحياة الدنيا. التدبير الإلهي تحته لا يعرفونه، هو جعل كل دولة باشتباك الدول إحدىهما فيما بينا ضعيفا؛ليسهل للمسلمين التغلب عليهما. الناس يرون غلبة إحدىهما على الأخرى، ويراهنون رهانا، ويتشاطرون، ولايعرفون إلا الغلبة في ذلك يكون للمسلمين، ويفرح المؤمنون بنصرالله. وبعد نزول هذه السورة الراسخون في العلم من المؤمنين كانوا يرجون غلبة المسلمين على الدولتين، ولايفهم الناس مثل ذلك أمر الآخرة _الدار الآخرة_. الإنسان نوعه نوع الإنسان. نجعله كله شيئا واحدا يعرف الناس خواصه كأنهم يعرفون ظاهرا من الحياة الدنيا؛لكن له اختلاف، وامتزاج من بلع الألوان أو الأنواع الأخرى من الحيوان و النبات والمعادن والعناصر والكواكب والسيارات والأرض والملائكة والجن، وباجتماع تلك الأشياء كلها مايكون حكم النوع الإنساني هو مثل التدبير لايعرفه إلا الأنبياء والمحدثون والحكماء الربانيون. أما عامة الناس فلايعرفون عن أمر الآخرة شيئا.

فصل: القرآن دائما ينبههم على التفكر في الآخرة مثل الطبيب الشفيق يعلم تلميذه الذي يعرف خاصية الدواء المفرد، وخواص ذلك الدواء في حالة اجتماعه مع الأدوية الأخرى. كل ما سنح لذلك فرصة نبه عليها، وبهذا الطريق يتكامل ملكة التلميذ في معرفة خواص الأدوية المجتمعة. من آية:8 **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً**

وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهزِئُونَ (10) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ (11) إلى بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهوَاءَهمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29) تنبيهات على علم الدار الآخرة. وفي قوله: **فَأَقِمْ وَجْهكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)** ذكر أن الدين الحنيف دين قيم؛ولكن أكثر الناس لايعلمون. نفهم من ذلك[1] أن فيه إشارة إلى غلبة هذا الدين الحنيف على الأديان كلها. وكذلك **في قوله مُنِيبِينَ إِلَيْه وَاتَّقُوه وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهمْ فَرِحُونَ (32)** توجيه باتباع الدين الحنيف، وترك الشرك. وترك الخاص لأهل الشرك هو تفريقهم في الدين يلوح لنا أن القوة السياسية من جميع الأديان تنضم إلى مركز الدين الحنيف، فيمكن أن يقع هنا تفريق في الدين؛ لأن الأقوام المختلفة جاءت إلى مركز،فنبه الله على أن التفريق لازم للشرك،فيغلب الحنيفة الناقضة للشرك على جميع من ينضم إليهم فلايقع تفريق. هذا يكون بقدر قوة المركز. وعندنا قوة السياسة في الحجاز كانت في أدوارها الثلاثة على أتم ما يمكن. إنما كان إلى دمشق إدارة السياسة فقط. أما رجال السياسة فكأنهم كانوا في الحجاز.

ذكر الإمام ولي الله في الخير الكثير[2] قال: في الخزانة التاسعة في آخر المنزل الثاني منها :"والدولة بحسب الظاهر ينقسم على شعوب الناس لكل زمان، وكان للحجاز ثم للعراق ثم لأهل فارس ثم لأهل الهند". [3]المقصود من كلامه أنه لايجعل الدولة منتقلة إلى دمشق بل مثل انتقالها إلى العراق. في سائر أوقاتها كانت للحجاز. هذا الذي أردنا إثباته.هذا كان بتغليب الحنيفة على كل قوة تنضم

---

(1) يؤيده قول الإمام ابن كثير في تفسيره:"سدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال".لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام الدمشقي،282/6.

[2] كتاب في التصوف (باللغة الفارسية) ترجمه الشيخ غلام مصطفى القاسمي باللغة الأردية وهو مطبوع من الأكاديمية الشاه ولي الله حيدرآباد السند.الباحث

(3) لينظر: الخير الكثير للإمام ولي الله الدهلوي,الخزانة التاسعة,المنزل الثاني,ص 113, ط,سلسلة مطبوعات المجلس العلمي عام 1352ه.

إليها أي الحجاز فما انخدعوا من أهل العراق في التشريعات فإنهم،والحنيفة على بون بائن. فما أخذوا من أهل العراق إلا ما وافق الحنيفية بعد تنقيدهم،وأخذوا عن الشام ما يوافق الحنيفية في تنقيد، فإنهم جزء واحد من الحنيفية،وكذلك أخذوا من اليهود،وشاهدوا التنقيد؛لأنها نوع آخر من الحنيفية فأدخل اليهود والنصارى والمسلمون أشياء غير صحيحة في الإسلام هو الذي صار سببا لضعفه فيما بعد.نقرأ الآيات:**فَأَقِمْ وَجْهكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهَ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّه ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**: الدين الحنيف، وفطرة الله شئ واحد[1]. ولايمكن تبديل الفطرة؛لأنها من سنة الله ، كذلك لايتبدل الدين الحنيف، فلايمكن إدخال الشرك فيه. "**منيبين إليه**" حال من أقم وجهك[2]. أنت مع اتباعك إلى الله الذي فطر الناس على الحنيفية. **مُنِيبِينَ إِلَيْه وَاتَّقُوه وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** أي أقيموا العدل؛لأن الجزء الآخر الإحسان مذكور في" **وأقيموا الصلوة ولاتكونوا من المشركين**". فصلت أنا هذه الآية في رسائل التمهيد وخلاصة. الفرقة في الدين لايستبد برأسها إلا إذا جعلنا إمام الفرقة كالإله يشرع لنا الدين في مثل أشار إليه قوله : "**اتَّخَذُوا أَحْبارَهِمْ وَرُهبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّه**"[3] والتقليد لإمام يكون على وجهين: أن يشرح كتاب الله. هذا لايمكن التثبت عليه إلا أن يكون الكتاب أيضا ملحوظا قصدا، ولايقبل من إمام قول إذا شككنا في موافقة الكتاب. هذا التقليد جائز بل ضروري في الاتفاقات الاجتماعية تقليدا للإمام على ظن أنه يشرح الكتاب. أما يكون معه تحقق كونه شارحا فليس هو، فصار الكتاب كالمنسي. ففي تلك الحالة يؤخذ بقول الإمام، وإن غلب على ظنه أن يخالف كتاب الله، فإن كان مع توجيهه ضعيف لرد خلافه. وضعف التوجيه ظاهر فحرام. وإذا صاروا فما لايحتاج إلى توجيهه بل يصرح أنه يأخذ بقوله، فإن كان مخالفا لكتاب الله فكفر.

---

(1) يؤيده قول الإمام ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد في قوله لا تبديل لخلق الله أي لدين الله، وقال البخاري: قوله لا تبديل لخلق الله لدين الله، خلق الأولين دين الأولين، الدين والفطرة الإسلام.لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام الدمشقي،282/6.

(2) حال من فاعل أقم.لينظر:تفسير الجلالين،535.

(3) التوبة : الآية :30

فالفرقة لايتحقق وجودها إلا إذا وصل تقليد الإمام إلى درجة الحرام، وإلا درجته الكفر. أما التقليد على الوجه الأول فخلو واحد من جماعة شراح كتاب الله ليس له فرقة. فالتقليد الحرام أو الكفر يكون شركا على اختلاف مدارجه وضح بذلك قوله: **ولاتكونوا من المشركين** إلا شيعا تجعلون أئمتكم كلهم شارحين لكتاب الله. هذا إذا توافقتم في فهم الموافقة موافقة شرح الإمام لكتاب الله فلاتتبعوه وإلا يتسرى إليكم الشرك تدريجا.

جملة معترضة: ظهر من ذلك أنه يجب على المسلمين وجوب الكفاية تحصيل ملكة علاجتها في فهم كتاب الله، وإن كان بتعليم أستاذ أو يأخذ عن كتاب. هذا الذي نسميه بالمجتهد المنتسب[1] أو المجتهد في المذهب. ففي كل مسافة للمصر يجب أن يكون في مصرهم رجل عالم بكتاب الله يرجعون إليه في حل المشكلات وإلا فيأثمون كلهم، ويقعون في جاهلية لايعرفون الشرك من الإيمان، وسهل لنا هذا الأمر اجتهاد، وباتباعنا لطريقة الإمام ولي الله وأتباعه. وعندنا في كل قطعة من الأرض يكون رجال محققون يجب على الناس الرجوع إليهم في وقت الضرورة. **وأقيموا الصلوة** أخذنا منه أن إقامة الصلوة تصوير التشريع للإيمان والإسلام، فبالقياس إليها يعرف الشرك فرأينا الصلوة أجزائها الظاهرة القيام قانتا، الركوع، السجود، دعاء، إطاعة. فإذا استعملنا أجزاء الصلوة على غير الله كان شركا على درجاته المختلفة. [2] **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**. لما كان المقصد إقامة اجتماعية عالية للإنسان كلها، فالتفريق الموجود من قبل خرم الاجتماعية يؤثر في الاجتماعية، وسد ذلك الباب من أهم أبواب الاجتماعية. في هذه الآية جمع أسباب الافتراق، وصوره، وطريق

---

(1)المجتهد المطلق غير المستقل: وهو الذي وجدت فيه شروط الاجتهاد التي اتصف بها المجتهد المستقل، لكنه لم يبتكر قواعد لنفسه، بل سلك طريق إمام من أئمة المذاهب في الاجتهاد، فهو مطلق منتسب، لا مستقل، مثل تلامذة الأئمة السابق ذكرهم كأبي يوسف ومحمد وزفر من الحنفية، وابن القاسم وأشهب وأسد ابن الفرات من المالكية، والبويطي والمزني من الشافعية، وأبي بكر الأثرم، وأبي بكر المروذي من الحنابلة، وسمى ابن عابدين هذه الطبقة: (طبقة المجتهدين في المذهب): وهم القادرون على استخراج الأحكام من الأدلة على مقتضى القواعد التي قررها أستاذهم في الأحكام، وإن خالفوه في بعض أحكام الفروع، لكن يقلدونه في قواعد الأصول.لينظر:الفقه الإسلاميُّ وأدلَّتُه (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)المؤلف: أ. د. وَهبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ،1/62-63. الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق بدون تاريخ الطبع.

(2) كما لايخفى هذا. الباحث

الاحتراز عنها، فالركن الأصلي في هذا الاصطلاح أن يكون الرجل بكل قوته متوجها إلى الله وحده لاشريك له يعني يكون الحجر البحت[1] يقظان، فتأثير تلك اللطيفة يكون في جميع أجزاء البدن. إليه إشارة في **منيبين إليه**. وبكل قوته مقيما للعدل بأمره يعني كونه مالك الكل يستلزم أن يكون ظلم كل ظالم يقع في الأرض يرجع مسؤليته إلى الحاكم لوكان الحاكم غير الله، فالناس لايقدرون أن يفرقوا بين حاكم، وحاكم، فمن كان متوجها إلى الله يفرض عليه أن يكون مقيما للعدل؛لئلايظن ظان أن الله يريد ظلما أو يجوزه. والله حرم الظلم على نفسه؛لكن طرق دفع الظلم يراعى فيه الحكمة التي تقتضيها الفطرة الإنسانية؛فبذلك السبب يقع الظلم، ويتأخر الجزاء. فالله لايأخذ الظالم في الفور؛لأنه يراعي الفطرة الإنسانية. أما الإنسان فلامانع له. من أمثال ذلك هو كل ما يعمل يكون مقتضى الفطرة الإنسانية. فمن كان متوجها إلى الله سبحانه أول فرض يقع عليه من تذكرة ربه هو إقامة العدل، وهو المراد من "**واتقوه**" ثم الظلم يجعل قانونا إذا اجتمع قطعته من الاجتماع عليه جماعة السراق لاتحسب السرقة ظلما. هكذا كل قطعة من الاجتماع إذا استبدت بشخصيتها يكون عندها بعض الظلم أهون. كل شئ ينفع تلك الشخصية الاجتماعية فهم يجعلونه عدلا، وإن أضر الناس كلهم، فإخراج ذلك الظلم من الإنسانية يقتضي أن لايكون له إلا اجتماع واحد موافق للفطرة. والاجتماعيات الصغيرة إنما تكون باعتبار الصورة لايكون لها استبداد، فيصير جميع منازل الناس. وإن اختلفت بالشخصيات يراعى فيها قانون واحد اجتماعي فلايكون للبيوت استبداد. وإذا كان كل بيت يجوز لنفسه قانونا كيف شاء، فإبطال ذلك الاستبداد من مقتضى

---

(1) هو اصطلاح خاص لدى الإمام الدهلوي يذكره في كتبه المتنوعة كما يقول في كتابه"لمحات" والناس مختلفون في الحجر البحت لاختلاف مراتب ظهور التجلي الأعظم كمثل ما صورناه من اختلاف مراتب الشمس ليكون الحجر البحت في بعض الناس مشعشعا براقا،بينه وبين التجلي الأعظم فج واسع يقع ظل التجلي الأعظم على الحجر البحت،ثم يقع شعاع الحجر البحت على الروح والسر وما بينهما من اللطائف،فيكون الرجل إلاهيا من وجه،ناسوتيا من وجه آخر خارجا إلى إكمال الخارق للعادة،وترى منه آثارا خارقة لاسيما في تكميل النفوس الناقصة،وإفاضة البركات الإلهية العلية،وتكفيرالذنوب عليهم.لينظر:لمحات،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق وتقديم:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،لمحة:58،ص84،ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.وأيضا:سطعات،الإمام ولي الله الدهلوي،تصحيح وتحشية:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،سطعة:19،ص21،ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.

الفطرة الإنسانية؛لئلا يشيع الظلم فيما بينها. ونقيس على ذلك شخصيات القرى والأمصار والأحزاب والحكومات، فإرجاع كلها إلى اجتماع واحد، وإجراء قانون واحد في كل درجة. درجة منها واجب على اقتضاء الفطرة، فهذا الاجتماع لايمكن إلا بجمع الإنسانية كلها تحت حكم واحد. هو الله الواحد القهار. فالإنسانية في ارتقائها أول شئ يتنفر عنه هو الظلم. فإن الانسانية تكون مقيمة العدل. فإذا نفينا الاستبداد من جميع حصص الاجتماعيات، وجمعنا معا على إله واحد قرينا إلى العدل، فالافتراق منبع الظلم، ولايستبد الفرقة إلا إذا جعل لها إلها مخصوصا، فالتفرق يستلزم الشرك. كل فرقة لها إله واحد هذا هو الشرك، فنفي الظلم يستلزم نفي الشرك، ونفي الافتراق، ونفي الافتراق يستلزم نفي الشرك، فلما كان التوجه إلى الله الحق الواحد الأحد مقتضى الفطرة الإنسانية؛لأنها كلها تجتمع في صورة إمام النوع الإنساني، وقيوم ذلك الإمام تجلي إلهي قائم في قلبه، فالإنسان، وكل إنسان إذا ترك إنسانيته يرجع إلى إمامه، فإذا التصق به يحسن اتصاله بقيومه ثم إن كان يقظانا يشعر بأنه في حالة بعده من الإمام أيضا كان اتصاله بالقيوم لازما، فإن تجليا لذلك التجلي العظيم القائم بقلب الإمام قائم في قلب كل إنسان. إنما الفرق بين التذكر والنسيان والتيقظ والمنام. فاجتماع الإنسانية إلى الله الحق يرفع عنها الظلم. فإذا أيقظنا اتصاله بربه، وجعلناه معيارا لنفي الشرك أتممنا الفطرة، ومقتضاها إليه الإشارة في قوله تعالى: **وأقيموا الصلوة**. . والشرك لازم التفريق، والتفريق لازم فيه الظلم، وإليه الإشارة في "**كانوا شيعا**" كل فرقة شيعت لإمامها. **كل حزب بما لديهم فرحون**: كل هذا الفرح يستلزم الظلم على الأحزاب الأخرى، والحزبية إنما تكون لاقتدائها بإمام مخصوص مستبد، فإذا لم نجعل هذا الإمام مطيعا نقيا للإله الحق صار إلها هذا شرك.

جملة معترضة: تحققت أن الاقتداء بإمام مستقل هو التعبد بإله، فإذا جعل الرجل هواه الذي يفرج به مستقلا متبوعا في ذهنه فقد اتخذه إلها. فإذا كان الرجل لايستبد في اجتماعه، ويرجع في اجتماعية إلى إمام المركز لكل الإنسانية أو يجعل اجتماعية جزء الاجتماعية الإنسانية العمومية بشرط كونه جزءا أو يستحضر تلك الشرطة دائما فهو يكون موحدا. ومن يكون قيوم فرقة يكون عكس التجلي القيوم، فالتجلي لايكون تجليا إلا إذا كان ذريعة للتوجه إلى التجلي فقط لايكتفي إلى التجلي أوفي لغته، فالإله الحق معناه: المحبوب. ومعنى الحب: يكون الجذب. إذا نظرنا إلى اجتماع يصير معناه الإله العدل فالحب يكون كالمفردات، والعدل مثل تركيب المركبات، وتدبيرها. فالمفرد في انفراده، والمفرد في حال امتزاجه، وتركبه لايتغيرعن فطرته، فالشئ الواحد يظهر في موضع بالفردية، وفي موضع بالتركيب. هكذا تقولون الإله الحق يكون في موطن إله الحب، ويكون في موطن إله العدل. هذا الذي تحققنا به، وهو عندنا مركز الحكمة. قوله: **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْه رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنهم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ 34**. بيان صنف من الناس يعني اجتماع صغير طبيعتهم هكذا إذا مسهم ثم ذكروا ربهم، وتوجهوا إليه، فإذا أذهب الله ذلك الضر ينسون ربهم ثم هذا النسيان ينشئ فيهم استبدادا فيشركون بالله مثاله: قسم من الأطفال إذا خاف من أستاذهم، وهم يقرءون، وإذا ذهب خوفهم يلعبون، وليس عندهم ذوق العلم، وحب القراءة. هكذا ذلك الصنف ليس عنده ذوق المعرفة بالرب إذا أصابتهم مصيبة يعرفون أن لا دافع لها إلا الله فيتوجهون إلى هذا الصنف إشارة في هذه الآيات ثم في قوله: "**وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ"36** ذكر صنفا آخر إذا أصابتهم رحمة يفرحون، فيجعلون هذا حظهم وحقهم، ويذكرون ربهم أيضا في نشاطهم. **وإن تصبهم سيئة**. . فإن عملوا عملا سيئا تأثيره كان سلب تلك النعمة يكونون مايوسين لايذكرون الرب؛لأنهم لايتفكرون أن زوال النعمة كان بسوء

عملهم. هذا صنف آخر. ومثل هذه الأصناف يكونون أسباب التفرق فجمعهم كلهم على كلمة واحدة إصلاح لهم؛فلذلك أمروا في قوله :**فأقم وجهك للدين**. . لاتلتفت إلى وجهة أخرى فيكون الإنسان متوجها راضيا عنه عارفا بحبه لعبده، وتحريمه على نفسه ظلم عبده، فيتفكر في أسباب زوال النعمة، ويصلح لنفسه، ويعرف في وقت الفراغ أنه نعمة من الله وحده لاشريك له، ولايظن أنه حق له فلايكون في فراغه الإشراك بالله فلايتفرقون بل يجتمعون على دين واحد. هذا النوع من منبع التفرق ثم نوع آخر منبع للتفرق. التفرق المذكور أولا كان تفرقا باختلاف الذهنية. والنوع الثاني يكون تفرقا بمواد الحياة لمواد الحياة. رجل رزقه واسع، وآخر ضيق هم ينضمون فرقا مختلفة. إليه الإشارة في قوله تعالى:"**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"**37** إقامة الاجتماعية المطلوبة لاتمكن إلا بقانون يمنع هذا التفرق لاختلافهم في أسباب المعاش في قوله تعالى: "**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّه وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْه اللَّه وَأُولَئِكَ همُ الْمُفْلِحُونَ**" **38** ذلك القانون. **فآت ذا القربي** . . . . . الناس إذا أحسوا أن أرباب الأموال لنا في أموالهم حق، وهم كالأمراء يجمعون الأموال، ويحفظونها فلا يتفرق الفقير من الغني بل كلهم فرقة واحدة. وهذا لايكون إلا إذا التزمنا الإنفاق على أنفسنا دائما على من يستحق، والإنفاق أحيانا إذا استخف. مثال الأول ذوو القربى مثال الثاني: المسكين وابن السبيل أنفقنا عليهم؛لأن ذلك حقهم لانجعلهم بذلك مستعبدين لأنفسنا. هذا يكون قانونا يرفع الافتراق والاختلاف بين أرباب الأموال والفقراء . الإنفاق يمكن من الإنسان؛لكن لكونه على وجه مخصوص يعني ذلك حق المسكين، ولايجعله عبد إله. وإنما يكون مستقلا إذا استيقن المنفق أن ذلك بأمر الإله هو يرضى عني، ويجازيني به. أما المنفق عليه فما استحق منه شئ، فالاستمرار على الإنفاق على هذا الوجه لايمكن إلا بقوة الإيمان بالله، وإليه الإشارة في قوله تعالى : **ذلك خير للذين يريدون**. . ثم بعد ذلك قانون آخر اخترعه الناس يستعبدون بذلك الفقراء بطوع رغبتهم

هو طريق أخذ الربا من محتاج يستعين بأرباب الأموال، وإليه الإشارة في قوله :" وَمَا **آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّه وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْه اللَّه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ"39** هذا هو اقتضاء الدين الحنيف في حقوق الأموال يجبر الناس على التزام الناس. هذا القانون الحنيفي يفرض عليهم الزكوة. من لم يؤد يقاتل. يحرم عليهم الربا. من أخذه يقاتل. نحن ذكرنا منتهى ما اقتضاه الدين الحنيفي. والقرآن في السور المكية يقتصر على ترغيب فقط، فقال إن الربا لايربو عند الله . **وما آتيتم من زكوة** . . فمثل هذا القانون الجامع للفرق المختلفة في الذهنية، والجامع للفرق المتفاوتة في الملك لايكون عند ذوي الأفهام إلا من الرب الواحد الذي يريد أن يرتفع الظلم من الاجتماعية الإنسانية. هل يتفكر إنسان أن غير الله يأمر بمثل ذلك القانون؟ الجواب. كلا! إلى التفكر بمثل ذلك تنبيه في الآية الآتية:"**اللَّه الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**"40 فهمنا من سياق الآيات أن قوله ثم يميتكم ثم يحييكم . . المراد منه الإحياء بالقانون والعلم والموت هو الذي يطرء عليهم بجهلهم من الافتراق. فهل يوجد في الأديان المشتركة قانون مثل هذا؟ سبحانه وتعالى : "**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَه مِنَ اللَّه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْه كُفْرُه وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهمْ يَمْهدُونَ". 44** في 41 يشير أن جزاؤهم بالعذاب لازم بدون القوة الحاكمة التي تحاسب الناس، وتجازيهم لايذهب الفساد العمومي ما دام الترغيب فقط. ثم في 42 إشارة أن هذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر مبناه على التفرق الذي يستلزم الشرك، فنفي التفرق ونفي الشرك إذا لم يكن بقوة حاكمة لايمكن متن الآية : **قل سيروا في الأرض** . . . **فأقم وجهك**. . . . معناه عندنا الآن أقم وجهك للدين

القيم : معناه جمع القوة الاجتماعية لإقامة الدين القيم **من قبل أن يأتي يوم لا مرد له** إلى آخره هذا كالفريضة على ذلك إن لم تمنع أنت بالقوة ذلك الفساد يأتي انقلاب عظيم من آثار القدرة، والعذاب الذي يأتي بأيدي الناس يكون أهون من عذاب الله. إلى ذلك إشارة في قوله:**مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُه وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِه إِنَّه لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**" 55 من كفر أي الكافرين. إذا كانت المحاسبة بواسطة الجماعة الإنسانية هم يقرءون أن يفرقوا بين الكافرين والصالحين يكون العذاب للكافرين، والصالحون لهم فضل من الله. وأما إذا كان العذاب من مظاهر القدرة فلايكون رعاية هذا القانون حق الرعاية ثم بعد ذلك تنبيه أن يكون هذا الدين عموميا في البر والبحر، وعاما في جميع الأقوام. ذكر التنبيه في قوله: **وَمِنْ آيَاتِه أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِه وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِه وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** 47. قوله: **وَمِنْ آيَاتِه أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ**. . إشارة إلى أن تبليغ الدين مثل الرياح التي تبشر بالأمطار. **وليذيقكم من رحمته** إشارة إلى أن المطر، والدين سبب للحياة **ولتجري الفلك** . . توسيع هذا الدين في البحر أيضا في الجزائر، والممالك إلى البحار حائلة فيها. **ولتبتغوا من فضله** إلى توسيع هذا الدين في البر. **ولعلكم تشكرون.** معناه تعملون بأوامر الدين للفوائد المرعية في الأوامر. ولأمر الله ورضاه هذه الآية. 46 فيها إشارة إلى تعميم الدين : العلوم والمعارف، وفي التي بعدها إشارة إلى تعميم القوة الدينية إلى جميع الأقوام **وكان حقا علينا نصر المؤمنين.** وقبل ذلك ذكر إرسال الرسل إلى الأقوام بالبينات، فالذين أجرموا انتقم الله منهم معنى: فبقي في كل قوم مؤمنون يحتاجون إلى النصرة وتعليم، فإيصال الدين إليهم ألزم. هذا معنى الدين القيم الحنيف إقامته كما كانت واجبة لرفع الافتراق من قوم واحد مثل أهل الحجاز مثلا كذلك واجبة لرفع الافتراق بين الأقوام عامة. وفي قوله:" **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ**

الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 50 ذكر إحياء الله الأرض بعد موتها بالمطر. ذكر بعد ذلك **أن ذلك لمحيى الموتى** معنى: بالعلم والنظام، وهو على كل شئ قدير إذا أراد الله إحياء الموتى من جميع الناس، فهناك أسباب تقتضي تأخر الحياة عن أفراد أوعن أقوام، فلاينبغي أن ييأس الإنسان.

نشر هذا الدين من أول المبعث في جزيرة العرب والفارس والروم كان في نحو خمسين سنة ليس ذلك ينشأ في آن واحد أو شهر أو سنة. وكل ذلك لاقتضاء التدبير الإلهي، فالإنسان المستعجل يصير مايوسا في بعض الأوقات، وهذا لجهله. وفي تلك الطبقة جماعة مصرة على جهلها، فلايكون هؤلاء قبلة توجهك حتى لايضيع الوقت والمحنة. إلى نحو هذه المعاني إشارة في قوله:**وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ 54. ولئن أرسلنا ريحا** . . يعني إذا لم يروا مطرا على الفور يكفرون لايراعون التدبير، ولايفهمونه، ولايتركون الاستعجال يكون نتيجه كفرا. هذا الصنف ليس يقدر النبي على هدايتهم **فإنك** . . . يعني لاتلتفت إليهم مثال ذلك: أستاد ماهر عين برنامج تعليم متدرجا في أربعة سنين مثلا؛وذلك إذا اشتغل الأستاذ والتلميذ بكل القوة يحصل المهارة في أربع سنين قطعا. وإذا نقص منها شهر واحد نقص التعليم، ورجل يصرأن يحصل له المهارة بدون التقليد بتلك الأوقات. أليس بواجب على الأستاذ أن يعرض عنه، ويتوجه إلى من

يلتزم شروط الاستفادة؟ وإليه الإشارة **أن تسمع** . . تغير الحالات طبيعي في الإنسانية لايمكن رفعه. مثاله أشار إليه الله فيما نفهم . . **الله الذي خلقكم** . . فمثل هؤلاء الذين لايراعون الشروط، ولايتفكرون في التدبير ملحقون بالمجانين، وللإشارة عندنا ذكر الله: **ويوم تقوم الساعة** يعني أن قواهم الإدراكية قد فسدت المدة التي كانت لازمة الطلب كان كثيرة لايمكن الاقتصار فيها هم استطالوها. الآن يظهر أثر إدراكهم بالعكس يوم البعث إذا قاموا، فتلك المدة الطويلة يقولون: **ما لبثوا غير ساعة** . . . . كذلك كانوا يجعلون القليلة طويلة. في قوله:"**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ 56**. وقال الذين أوتوا العلم. . هؤلاء مستقيمو الأفكار فيومئذ "**فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ"57** إذا أفسدوا الأمور، ومضى الوقت فلايرجع. الآن يوم البعث إذا اعتذروا فهل يمكن أن يتعلموا القرآن؟ أي فائدة في هذه السورة؟ "**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ"58** تفصيله عندنا: أن القرآن لايذكر قانونا أو قاعدة أصلية أوفرعية إلاويأتي بالأمثال لتلك القاعدة. كل قاعدة تحتاج إلى مثل آتينا بها حتى يفهمها الناس. وبعد ذلك من أعرض عنه لاينفعه عذره. وبدون المثل يمكن أن لايفهم الناس المطالب العالية على حسب ما أفهم. إشارة إلى هذا في قوله : **ولئن جئتهم بآية** . . . إذا كانت آية بلامثال لايقدرون على إدراك حقيقتها هل يحكمون عليها بالبطلان؟ فلإزالة هذا العذر ضربنا في هذا القرآن من كل مثل فالذين لايريدون أن يعلموا هم لايتوجهون إلى فهم الأمثال لفهم القواعد[1]. إليه الإشارة عندي في "**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ 59 وكذلك يطبع الله** . . أي لايريدون أن يتعلموا، وهم مع وضوح المسائل

---

(1) يؤيده قول الإمام ابن كثير في تفسيره: ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي قد بينا لهم الحق، ووضحناه لهم، وضربنا لهم فيه الأمثال ليستبينوا الحق ويتبعوه ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون أي لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره، لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل.لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام الدمشقي،293/6.

لايفهمون. مثال ذلك في الكلمة الرياضية كثيرا يذكر قاعدة للحساب ثم يأتي مؤلف الكتاب بالأمثلة. فمن أراد فهم القاعدة يتوجه إلى مثال أو مثالين أو أكثر من ذلك فلم يتقنها فيصرف وقته وقوته بفهم القاعدة في مدة. فمن كان يريد تحصيلها يصرف وقته ودماغه في ذلك. ومن لايريد تحصيلها فهم لايفهمون منها شيئا كان الله طبع على قلوبهم. رأينا هذا الاختلاف واضحا في جماعة التلامذة سالمة القوى، من يتوجه منهم إلى تحصيل القواعد يصرف الوقت والهمة يحصلها، وأولاد الأغنياء لاأهمية في قلوبهم إلى تحصيل هذا العلم، فلايتوجهون كأنه طبع الله على قلوبهم، وهم فيما يرون تحصيله أنشط من آخري.

التعلم القرآني الانقلابي لايريده كل الناس لازما. ومن لم يرد لايستطيع أحد أن يعلمه، ولوكان نبيا. هذا المعنى محسوس عندي بتمامه:" **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ**. 61 فكري أن هذا الوعد هو المذكور في الآية السادسة **وعد الله** . . . وهو وعد غلبة الدين الحنيف على الروم والفارس **لايوقنون** . . لايعرفون طريق تحصيل اليقين، ولاتخاطبهم بكلام خفيف ليس له معنى يرجع إلى التحكم. هذا كلام خفيف ليس له قوة لايشعر أن الدين الحنيف لايحكم على الدولتين. في 7 يعلمون عندنا معنى الآخرة هو علم التدبير لو توجهوا إلى ذلك لأقروا بالآخرة. سلسلة من الأشكال الهندسية المقصود منها هو الشكل الآخر. فلو توجه طالب العلم بالترتيب حصل له المطلوب إذا كان دار الآخرة هو منبع التدبير. فإذا اشتغل الإنسان بسلسلة التفكر في التدبير اهتدى. في8 **أولم يتفكروا** . . يعني يتفكرون في حاجاتهم النفسية، ويتفكرون في خلق السموت والأرض. فيها تقضى حاجاتهم الضرورية فيتيقنون أن السموت والأرض ومابينها في جانب، والإنسانية في جانب آخر بينهما ربط شديد لايستغني أحدهما عن الآخر فيهتدون إلى أنواع من التدابير، ويهتدون أن الحياة الإنسانية في دار الدنيا ليست غير متناهية.

جملة معترضة : ذهبت في جبال الملح في بلادنا، ورأيت يخرج الملح منها إلى الأسواق، ونأكل منها فوقع في قلبي شئ تعجبت منه أني عالم بأن هذا الجبل مخلوق من ألوف السنين تصورت من هذا الجبل بأنه مخلوق بألوف الآلاف من السنين قبل وجودي، وليس في خلق المخلوقات جزاف. فالحكمة التي توصل هذا الملح إلى معدتي إذا تفكرت فيها أتعجب ثم قست إلى ذلك بقية الأشياء التي انتفع من نور الشمس والقمر وتراب الأرض فأقول: هل يجوز أن يخلق مخلوق مثلي؟ ولايوجد قبله نظام في السماء والأرض من الأشياء التي بالانتفاع منها سير حياتي، فتيقنت أن كل ذلك بالحق والتدابير القويمة. فإذا قرأت بعد ذلك. . . **أولم يتفكروا في أنفسهم** فلاأستبعد منها شيئا، وأرى نفسي قبل ذلك بليدا منها. وكذا أرى كثيرا من العلماء يقرءونها تبركا، ولايفهمون منها شيئا حرفا . وهذا أيضا جربت تجربتي لأطفال المكتب ثم عندي دليل عقلي رياضي: أن هذه الأجسام كلها متناهية فهل يمكن أن يكون حياتي غير متناهية؟ وبعد ذلك فهمت قول الله . . **وأجل مسمى**. . حياتي لها عندي قيمة عظيمة. تلك الأجسام الكبار خلقها الله قبلي بآلاف من السنين لأجل انتفاعي. وبعد ذلك أشياء تؤثر في الفهم لايمكن جمعها تفصيلا في هذا الموضع يكون حاصل تلك الأمور الكثيرة التشوق إلى رؤية الله : أعلى لطيفة الحجر البحت[1]تتنبه. وصحبة الصالحين تؤثر. فالطبيعة لاتشتهي إلا رؤية الرب، ولايكون للحياة وزن إلا برؤية الرب. فلولم يكن صحبة الصالحين منضمة إلى ذلك التفكر فلعل الوصول إلى تلك النتيجة كان صعبا. قرر مولانا قاسم[2] بمقدمات عقلية إذا كان كل الأشياء للإنسان، والإنسان ليس لشئ من الأشياء لايحتاج شئ من القمر والشمس إلى الإنسان. فالإنسان ليس إلا لله يفصله تفصيلا، ويكون مع ذلك

---

(1) لينظر:لمحات،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق وتقديم:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،لمحة:58،ص84،ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.وأيضا:سطعات،الإمام ولي الله الدهلوي،تصحيح وتحشية:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،سطعة :19،ص21،ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.

(2) سبق ترجمته

صحبة الصالحين أيضا. فالفكر الذي ابتدأنا به ينتهي إلى لقاء الله فيظهر بعد ذلك حكمة تلك الآية **إن كثيرا من الناس**. . فالنظر في التدابير المختلفة يهتدي به الإنسان إلى الإيمان بلقاء الله. قوله: في **أولم يسيروا**. . . . الإنسان يقرأ التاريخ ثم يرى مساكن هذا القوم التي مضت في التاريخ، ويرى آثارهم ثم يتفكر، أين ذهب هؤلاء؟ يعرف تدبير الحق في الإنسانية أنه يقيم على الإنسان حجته ثم ينكرها فيسلب تلك النعم عنهم يتبين بذلك سلسلة المجازاة لأفعال الإنسانية في الدنيا. إذا غلب علي ذلك الفكر أرى نفسي محاطا إلى أمر بعيد بالظلمات، وعجيب أني لاأرضى بالموت، وأرجو الحياة_ حياة القوم حياة الدين_، وانقطع عن جميع ماسوى الله. هذا عندي روح تلك الآية إذا لم يحصل مثل هذا الانقطاع من الناس في الفكر لايتوجه النفس إلى لقاء الله. والذين يكفرون بلقاء الله هم لايتفكرون مثل هذا الفكر. ليس هنا ذكر رجل مملو باليأس قاعد لايريد أن يقوم ينبغي أن يكون نفس لايرضى بحكومة أحد عليه سوى ربه، وفي نفسه قوة هو يقلب الدنيا أن توافقه على نصب عينه، فمثل هذا الإنسان يتفكر في الأقوام الماضية ثم يهتدي بالقرآن من القرآن. وتلك السورة متعلقة بالدولتين الإمبراطوريتين. **ثم كان عاقبة الذين** . . . هذا متفرع من التفكر في الآية السابقة **أن كذبوا**. . التكذيب يكون من الأمراء والسلاطين الذين يحسبون أنفسهم من أرباب الدنيا فقط ليس لهم تفكر أعلى من ذلك، ومنهم يكون مستهزئا أيضا بعد التكذيب، ويأتي في بالي أنه يمكن أن يجعل. **وكانوا بها يستهزؤن**: طائفة أخرى هؤلاء أرباب الديانات من مشائخ، وعلماء انضموا إلى الملوك، حياتهم تكون حقيقة حياة المستهزئين بالله. والقوم إذا عذبوا لايكون الكل من الذين ينكرون الرب أو ينكرون الدين. الأقوام الماضية قبل الإسلام يمكن أن يظن فيهم رجل مسلم أنهم كانوا كلهم كفارا ينكرون آيات الله. وأي شئ يقول هذا المتفكر إذا تفكر في زوال دهلي؟ ج: هل يقول أنهم كلهم كفروا بالله؟ وهل كان في طبقة السلاطين والملوك رجال لايبالون بآية الله؟ ج: إن جاء على لسان أحدهم كلمة كفر يتكلمون بها بدون خوف. ج:

ثم يقرون بالإيمان بآيات الله في بعض المواطن، فإنهم لايعرفون شيئا من الدين والقرآن إلا أشعارا من الشعراء فيها كفر، وفيها كل شئ، ومعهم طائفة أخرى متدينون إذا رآهم متبصر لحكم عليهم بأنهم مستهزؤن.

الله يبدؤ الخلق. . . إذا تفكر الإنسان في هؤلاء الذين كانوا من قبلهم، وكانوا أشد قوة يستنتج أن الله يبدأ الخلق، وينشأ قوما لهم صنائع وارتفاقات. هذا الخلق للاجتماع في الدنيا ثم يعيده بصورة أخرى؛لأن اتصالهم بالأراضي لايدوم هم يموتون. وبعد الموت حالاتهم أعمالهم يعيد لهم بصورة أخرى ثم لايمشون إلى الولاء بل يتقدمون إليه ترجعون. فمن قوله: **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ 16**. ذكر رجوعهم إلى يوم تقوم الساعة إذا لم يرجعوا إلى الوراء يتقدمون حتى تقوم الساعة. وفي بيان حالاتهم **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17) وَلَه الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ** 18. فيه أمر بتسبيح الرب، والحمد له في الأوقات المختلفة. إذا تفكر رجل مثل هذا التفكر، وعرف أنه يرجع إلى ربه يلزم أن يسبح ربه. وتلك الآية مثل الجملة المعترضة في أثناء **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون**.

قوله:يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ. 19 الأمم مبدأها يكون ممن هو كالميت بالنسبة إلى الحياة الاجتماعية ترون آباء كثير من السلاطين كانوا رجالامن أوساط الناس يخرج من أولادهم سلاطين كبار مثل ظهير الدين بابر(1) أبوه وجده

---

(1) ظهير الدين محمد بابُر (888هـــ/14 فبراير 1418م - 5 جمادى الأولى 937هـــ= 26 ديسمبر 1530م) مؤسس الدولة المغولية في الهند. ظهرت الأسرة المغولية بقيادة محمد بابر شاه سنة 932هـــ، ووحدت الهند تحت راية واحدة، خرج بابر إلى الهند في غزوات متتالية بدأت في سنة (925هـــ= 1519م) حتى تم له السيطرة على السند والبنجاب.لينظر:

كانا من أمراء العائلات ليس لهم في السلطنة من نصيب ثم قوله تعالى: **ويخرج الميت من الحي**. . والد سلطان عالمكير[1] كان محمد معظم بهادر خان[2] من أولاده الثلاثة أو الأربعة متماسكون ثم من أولادهم خمسة أو ستة لاقيمة لهم، ويسمون سلاطين الهند. هذا مثال إخراج الميت من الحي. وهذا الانقلاب في أصناف الإنسانية موجود، وفي النباتات أيضا موجود. **يحي الأرض بعد موتها** فهل يكون أن مثل هذا لايمكن في النوع الإنساني؟ نبه عليه بقوله **وكذلك تخرجون** ثم بعد ذلك قوله: **وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20) وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آيَاتِه خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آيَاتِه مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِه الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِه ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَه مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

---

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B8%D9%87%D9%8A%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%B1.

(1) وُلد محي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بن شـاهجهان بن جهانكير ابن شـاه أكبر بن أبي النصـر محمد همايون، في بلدة دوحد في كجرات بالهند في 15 من ذي القعدة 1028هـ الموافق 24 من أكتوبر 1619م. وقد قرأ أورانجزيب العلم على مولانا عبد اللطيف السـلطانبوري ومولانا محمد هاشـم الكيلاني،وعلى غيرهم من علماء الهند،وبرز في كثير من العلوم والفنون. وبعد حياة طويلة من الإصلاح والجهاد توفي السلطان المظفر والإمبراطور الصالح أورانك زيب عالمكير في أحمد نكر في الجنوب بعيدا عن عاصمته،وذلك في 28 ذي القعدة سنة 1118هـ/ 20 فبراير 1707م، بعد أن حكم 50 سـنة، وعمره نحو تسـعين سـنة، ودفن في أورنك أباد،ولا زال قبره هناك.لينظر:نزهة الخواطر لعبد الحي الحسني، 6/ 738.

(2) **بهادُر شاه أول** ولد 14 أكتوبر 1643م في برهان بور 27 – فبراير 1712م لاهور، هو السلطان السابع لسلطنة مغول الهند،والذي حكم شبه قارة الهند، في الفترة مابين 1707-1712. وكان اسمه الأصلي قطب الدين محمد المعظم، ولقَّبه أبوه لاحقاً شاه علم. وقد اتخذ اسم العرش بهادر شاه في 1707. الاسم بهادُر يعني "شجاع" وقد حكم لمدة خمس سنوات فقط،وقد أبرم تسويات مع المراثا، وأخضع الراجپوت، وأصبح صديقاً لوهلة مع السيخ في الپنجاب. وقد أمضى فترة حكمه مسافراً وعاد ليستريح في لاهور في آخر شهور في عمره.لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D8%B4%D8%A7%D9%87_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84

كُلٌّ لَه قَانِتُونَ. **26** ذكر آيات تدابير كلية في أنواع المخلوقات1: التراب لاحياة له ظاهرا لاحس له ولاحركة ينشأ منه المعدن، النبات ثم الحيوان ثم الإنسان. هذا التراب الساكن بعد تدابير كبيرة كثيرة صار على صورة الإنسان " **من آياته** " لازم على الإنسان أن يتفكر في هذه السلسلة. 2: الإنسان الذكر يكون له زوج من الأنثى يوجد بينهما محبة ومودة ثم ينتشر فيه نسل سلسلة للتدابير مرة أخرى. أوصاف الرجل والأم تنتقل إلى الأولاد بطنا بعد بطن. يخرج علماء كبار ماهرون وغيرذلك من أصناف الإنسانية. فإن تفكرمتفكر في هذه السلسلة فالرجل الأول الذي نشأ عنه الإنسانية كأنه جامع لجميع أوصاف أولاده ثم ينقسم الأشياء في الأولاد، فالتفكر في مثل هذه التدابير يهدي إلى حل كثير من المسائل المشكلة من الآخرة. هذا كله مبين في كتب الإمام ولي الله خصوصا في تأويل الأحاديث[1]. **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** 3 **ومن آياته خلق السموت** . . . . كل يوم يكون السماء جديدا والأرض أيضا . **واختلاف ألسنتكم**. . فالأسود له ولد أسود، والأبيض له ولد أبيض. والأولاد تتعلم من أولاد الوالد، والألفاظ تختلف على صور كثيرة. فالألوان المختلفة تجمع معنى واحدا من الإنسانية. والألسنة المختلفة تعبر عن معنى واحد. والسماء والأرض مع تبدل هيئاتهما كل يوم المعنى المشترك في جميع الأيام واحد، كذلك يمكن جمع الإنسانية كلها على دين واحد. **إن في ذلك**. . . . 4 تقسيم الأوقات: الليل للمنام، والنهار لابتغاء الرزق. وكل الإنسانية مع اختلاف القوميات اتفقت على ذلك، فعلم أن الفطرة الدينية تهدي الإنسانية إلى ارتفاقات صالحة . . **إن في ذلك** 5 ينزل من السماء ماء، وهذا الماء يكون معه الثلج فيحي به الأرض بعد موتها. لنا في تفسيرها مطالعة خاصة. قوة الإحياء في الماء ترجع إلى عنصره آكسيجن، والماء يصور بصورة البخار من البحر، ولايكون فيه آكسيجن بالقدر الذي يحتاج إليه في إحياء الأرض. فإذا ارتفع البخار في الجو هذا البرق الذي يبرق فيه هو يفيض فيها

---

(1) لينظر: تأويل الأحاديث،الإمام ولي الله الدهلوي،مثلا:10-16،تحقيق وتقديم:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد،السند باكستان.

آكسيجن، فينزل ويحي الأرض. فلو جعلنا الماكينه نخرج من البحر المالح ماء عذبا، ونسقي به الأرض لايكون الإنبات مثل الإنبات بماء المطر. **إن في ذلك** ... 6 السماء والأرض لاتعتمد على شئ فتقوم بتجاذب القوى. **ومن آياته أن تقوم السماء... ثم إذا دعاكم** ... فكما أن القوة الجاذبية تمسك السماء والأرض بأمر الله كذلك النسمة تجذب إليها ما احتاج إليها بجذب فيها **ثم إذا دعاكم**... ؛لأن الإنسان كله لاينتشر في الأرض. وهكذا **وله من في السموت**. . بعد ما فهم الرجل مثل هذه التدابير، وتفكر فيها نذكر له تفسير **الله يبدء الخلق**. . . . 11 في قوله: **وَهوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه وَهوَ أَهوَنُ عَلَيْه وَلَه الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** 27. يعني في عالم المثال؛لأن الأرض تتبدل **وهو أهون عليه** ؛لأن التأثير في عالم المثال أسرع من التأثير في عالم العناصر. **ولله المثل الأعلى**. . . . في عالم المثال يعني التجلي الأعظم القائم على العرش يدبر السموت والأرض. إليه الإشارة **وله المثل الأعلى**. . . ثم هذا الإنسان الذي أعاده الله في عالم المثال ينجذب إلى التجلي الأعظم. هذا معنى ثم إليه ترجعون. **وهو العزيز الحكيم**. . فالرجوع كله يكون تحت قواعد الحكمة، ويكون عزة الرحمن قائمة في كل موطن هو يغلب على كل شئ ينزل إليه التجلي. ولنعم ما قيل الرب رب؛وإن تنزل، فاجتمع الرب والإنسان في موطن واحد فذهب استبعاد لقاء الله. وهذا لايكون إلا بعد التفكر الطويل في آيات الله. **ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيه سَوَاءٌ تَخَافُونَهمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ 28**. معنى: تفهمون ملاقاة الإنسان لتجلي الرب **هل لكم** : الإنسان يجعل من عبيد قيما لأصناف من أمور من داره من حكمه؛لكن كيف ما زادت درجة العبد المفوض إليه أمورالسيد حتى ينفذ حكم العبد على أولاده وأزواجه وأتباعه؛لكن هل تجعلونه مثل أنفسكم؟ ثم هل تخافون هذا؟ لايمكن، ويجعلون الوزراء، وهم في الأصل عبيد قيما لأمور السلطنة؛لكن إذا كان الملك صاحب عقل وتدبير لايطلق

يده إلى أن يبغى على سيده أيضا. هؤلاء الخلفاء العباسية كانوا يقتلون الوزراء إذا أحسوا شيئا من البغي. **كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون**. . . . الرب رب، وإن تنزل. فلوكان الإنسان يتدبر لإدراك معاني كلمات كتاب الله موافقة لعقله؛لكن بعض الناس يتبعون الأهواء بغير علم، فلايدركون القواعد، ولايقدرون على إدراك معاني كتاب الله. ففي قوله: **بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهوَاءَهمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّه وَمَا لَهمْ مِنْ نَاصِرِينَ** 29 إشارة إلى هذا **بل اتبع الذين**. . . أما الذين يتفكرون منهم يفهمون. فالإنسان يدرك أن له خطرة لاتتبدل. والدين القيم ليس إلا خواص النوع الإنساني كما بينه الإمام ولي الله في حجة الله[1] **ولكن أكثر الناس لايعلمون**.

سورة لقمان

في بعض المصاحف مدنية، والصحيح أنها مكية[2]، وفي الهندية[3] مكية. آلم. هذه السورة مختصة بالحكمة[4]. فعلى ما صح لنا معناه: أن الحكمة تجتمع في الاجتماعية الإسلامية في ثلاثة مدارج 1: من تعليم النبي _صلى الله عليه وسلم_؛لأن الله ذكر في سورة الجمعة فريضة النبي :"**هوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهمْ يَتْلُوا عَلَيْهمْ آياتِه وَيُزَكِّيهمْ وَيُعَلِّمُهمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**" [5] والحكمة، وتلاوة الآيات تفيد الإيمان. ثم كان اجتماعهم فاسد

---

(1) لينظر:حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي،باب انشقاق التكليف من التقدير،1/56-58.

(2) يقول الإمام ابن عاشور في تفسيره: "روى البيهقي في "دلائل النبوة" عن ابن عباس: أنزلت سورة لقمان بمكة. وهي مكية كلها عند ابن عباس في أشهر قوليه وعليه إطلاق جمهور المفسرين وعن ابن عباس من رواية النحاس استثناء ثلاث آيات من قوله تعالى: ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام إلى قوله بما تعملون خبير [لقمان: 27-29] .وعن قتادة إلا آيتين إلى قوله إن الله سميع بصير [لقمان: 28] . وفي «تفسير الكواشي» حكاية قول إنها مكية عدا آية نزلت بالمدينة وهي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون [لقمان: 4] قائلا لأن الصلاة والزكاة فرضت بالمدينة. ورده البيضاوي على تسليم ذلك بأن فرضها بالمدينة لا ينافي تشريعها بمكة على غير إيجاب. والمحققون يمنعون أن تكون الصلاة والزكاة ففرضتا بالمدينة فأما الصلاة فلا ريب في أنها فرضت على الجملة بمكة، وأما الزكاة ففرضت بمكة دون تعيين أنصباء ومقادير، ثم عينت الأنصباء والمقادير بالمدينة ويتحصل من هذا بأن القائل بأن آية الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة إلى آخرها نزلت بالمدينة قاله من قبل رأيه وليس له سند يعتمد ".فتحقق أنها مكية.لينظر:التحرير والتنوير،ابن عاشور (المتوفى : 1393هـ)21/ 137

(3) أي في المصاحف الهندية مكية أيضا.الباحث.

(4) موضوع هذه السورة الحكمة.الباحث.

(5) الجمعة : الآية :2

الأخلاق. الزنا، وشرب الخمر، والربا مفاسد اجتماعية كانت فاشية فالنبي يزكيهم بتأثير الإيمان على الأخلاق مثلا: الرجل يؤمن بالله[1] يحب الحب، والمودة فيؤثرهذا في خلقه حتى هو يحب أعدائه أيضا ثم رجل يؤمن بأن الله يحب العدالة، فهو يتباعد عن الظلم، وتصير العدالة ملكة له فيتقيد بالنكاح، وبالمعاملات الارتفاقية بالتراضي وأمثال ذلك. بعد ذلك هم يستحقون أن يعلموا الكتاب يعني القانون يجتمع في حظيرة القدس الملأ الأعلى على صورة مخصوصة أنها تنفع الإنسانية فتوجبون تلك الصورة. هذا هو القانون مثال ذلك : الأستاذ الكامل يريد أن يفيد تلامذته فيرى أن استعدادهم لايتكامل إلاإذا كان عندهم مكتوب يرجعون إليه، وليس عند الأستاذ كتاب مصنف بنفسه فينظر في الكتب المصنفة في ذلك الفن يتخير أحسنها، ويجعله نصابا للتعليم، من قرأ ذلك الكتاب، وفهمه صارعند الأستاذ كأنه تعلم العلم في الحقيقة . قراءة هذا الكتاب ماكان عنده علم الناس يسمعون مباحثه، ويتذاكرون، ويدركون حقيقة الأمور. هذا هو العلم حقيقة مثل ما يذاكر سقراط[2]. أما حفظ هذا العلم ليس من المستطاع عند كل أحد فيتناول الأستاذ، ويجعل قراءة الكتاب علما فهو[3] يرجو أن هذا الرجل لواشتغل بالكتاب درسا، وتفكيرا، وتذكيرا يصل[4] إلى حقيقة العلم. هذا نسميه بالقانون. فإذا تقرر شئ مثل ذلك في حظيرة القدس لقوم أو للإنسانية، ونزل في قلب نبي هذا هو الكتاب. وأما العلم الذي كان أولا أصل العلم الذي هذا الكتاب موصل إليه فالحكمة. فالنبي يعلمهم القانون، ويعلمهم الحكمة,والحكمة[5] في الدرجة الرابعة في تعليم النبي فيتخرج من صحبته طائفة من الحكماء. هؤلاء في اصطلاح القرآن يسمون بالصديقين فتخرج من

---

(1) في ن ح : بأن الله

(2)سقراط باللاتينية Socrates باليونانيةΣωκράτης فيلسوف وحكيم يوناني (470 ق.م- 399 ق.م)فيلسوف يوناني كلاسيكي .يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات، وجل ما نعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه. ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة، تعتبر حوارات" أفلاطون "من أكثر الروايات شمولية وإلمامًابشخصية"سقراط"لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B7

(3) في ن ح: إذ هو

(4) لوصل إلى حقيقة العلم: هذه العبارة تكون أنسب حسب التركيب النحوي.

(5) في ن ح: ويعلمهم الحكمة في الدرجة الرابعة

صحبة النبي صديق، وعلي من رؤساء الصديقين، وجماعة معهم. هؤلاء أساس الحكمة في الاجتماعية الإسلامية. مقصد القرآن إنما يفهم هؤلاء.[(1)]الصديق في زمانه جعل مدارج للعالمين في الاجتماعية الإسلامية باعتبار المعيشة بل جعلهم في درجة واحدة. كل رجل يأخذ كفايته من بيت المال[(2)] حسب حاجاته، وعمر فرق بين المدارج. وفي الآخر تنبه لو اتبع الصديق لكان أحسن[3] ذكره الطحاوي[4] في باب تقسيم الخمس من شرح معاني الآثار[(5)]. جعلنا هذه المساواة هي أساس الإسلام. النبي كان في زمنه، والصديق في زمنه[(6)] يعملان عليه، والفاروق، وإن فرق كان يرى المساواة أحسن فتلك بمنزلة العزيمة، وما عمل به الفاروق بمنزلة الرخصة تمت. ثم لاعبرة عندنا بالفقهاء، والسلاطين إذا خالفوا الصديقين بل حصل لنا اجتماع يكفي لإقامة الحكمة ثم خالفوها نقتلهم مثل قتل عاد وثمود، كما جاءت تلك الكلمة في حق الخوارج[(7)]. [(8)]ثم كان تلك الدرجة

---

(1) في ن ح : جملة معترضة : ثم يبدأ الكلام بكلمة" الصديق".

(2) في ن ح : على حسب حاجاته.

3 ما يدل عليه معنى ذكره الشـيخ ابن حزم في كتابه "المحلى"عن سـفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين؟ هذا إسناد في غاية الصحة والجلالة.لينظر: المحلى بالآثار،المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)283/4،الناشر: دار الفكر – بيروت بدون سنة الطبع.

4 أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي،(239 - 321 هـ = 853 - 933 م) أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ثم تحول حنفيا. ورحل إلى الشام سنة 268هـ وتوفي بالقاهرة.من تصانيفه شرح معاني الآثار, بيان السنّة مشكل الآثار وغير ذلك. لينظر: الأعلام للزركلي, 1/ 206.

(5) لينظر:شـرح معاني الآثار ت: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سـلامة بن عبد الملك بن سـلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) 247/3 الناشر: عالم الكتب ط: الأولى - 1414 هـ، 1994م.

(6) في ن ح : كانا

(7) إن اسـم الخوارج يقع على تلك الطائفة التي خرجت علي بن أبي طالب رضـي الله عنه ، وخروجهم عليه هو العلّة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي رضي الله عنه لما حكم" فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صـفّين، ولهم ألقاب أخرى عُرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية والشـراة والمارقة والمحكّمة، وهم يرضـون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السـهم من الرميّة.لينظر:مقالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين للإمام الأشـعري 1/ 207 وأيضـا :الملل والنحل للإمام الشهرستاني 1/ 132 وأيضا هدي الساري في مقدمة فتح الباري 495.

(8) في ن ح : انتهت

من الحكمة مصداق ألف[1]. ثم الدرجة الثانية مصداق للاجتماعية التي حدثت بعد فتح العراق والشام ومصر. في عهد الفاروق الأعظم انجذب الحكماء من كل قوم إلى الحجاز، بواستطهم توسعت الاجتماعية الإسلامية خارج المركز في البلاد المفتوحة، وارتسخت فيها ما قدر الناس أن يتراجعوا إلى الاجتماعية الأولى، وتميز هؤلاء عن عامة الفقهاء عسير جدا وأمثاله؛لكن لوتوجه حكيم يقدر على جمعهم في كتاب، ثم ميم مصداقها الحكمة التي حصلت باجتماع الحكماء في زمن توسيع دار الإسلام إلى فارس والروم، فاجتمعت جماعات من الحكماء الإلهية والرياضية والطبيعية. وأصحاب الحكمة العملية طوائف فهم نشروا تعليم القرآن على حسب أمزجة الأمم المختلفة.

الفصل : الدرجة الثانية مصداق لام امتدت إلى مقتل عثمان ثم انضمت إليه عصر معاوية. والدرجة الثالثة: مصداق ميم شرع من آخر أيام معاوية إلى آخر الدهر. وفي ضمنها بعض تقسيمات مثلا ألف لام ميم را مأتا سنة بعد معاوية درجة خصومية . الغالب في ذلك الزمان ذهنية العرب، وبعد ذلك ذهنية العجم. وكذلك في ألف لام را تحت الدرجة الثانية من الحكمة إلى مائة سنة إلى أن انتقل مركز الخلافة إلى سامرا زمن المعتصم[2] . بعد هذا انتقل تلك الدرجة إلى الترك إلى التوران

---

(1) مر الكلام على اختلاف المفسرين في تفسيرحروف المقطعة في تفسير سورة الدهر فليراجع هذا البحث.ومن المعلوم أن العلماء قد اختلفوا في تفسير الحروف المقطعة،لكن مفهومها حسب ضوء فلسفة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي هو أن المراد من "الف" الدرجة الأولى للاجتماع الإسلامي،وهي تبدء من زمن النبي _صلى الله عليه وسلم_ فهو قد علم الناس القانون الإلهي في ذاك الزمن وزكاهم كما في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ آل عمران:64 ﴾ ، والمراد من "ل" الدرجة الثانية للاجتماع الإسلامي وهي تبدء من زمن أبي بكر إلى _شهادة عثمان رضي الله عنهما_ وفتح فيه العراق ، والشام وغيرهما، والمراد من "م " الدرجة الثالثة للاجتماع الإسلامي وهي تبدء من زمن معاوية _ رضي الله عنه _ إلى زمننا هذا.لينظر:روائع البيان في تفسير القرآن من أمالى الشيخ غلام مصطفى القاسمي(خ) رتبها الدكتور محمد إدريس السندي حينما كان يدرس لدى الشيخ غلام مصطفى القاسمي في أكاديمية الشاه ولي الله ،4/1.

(2) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي: (179 - 227 ه = 795 - 841 م) خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة. بويع بالخلافة سنة 218 ه يوم وفاة أخيه المأمون،وهو فاتح عمّورية Amorium من بلاد الروم الشرقية، في خبر مشهور. وهو باني مدينة سامرا سنة 222ء حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى، من الخلفاء، فقيل المعتصم بالله وكان لين العريكة رضيّ الخلق، اتسع ملكه جدا. وكان له سبعون ألف مملوك.خلافته 8 سنين و 8 أشهر، وخلف 8 بنين و 8 بنات، وعمره 48 سنة. توفي بسامرا.الأعلام للزركلي 7/ 127-128.

فيمتد درجة الفاروق إلى المعتصم. وبعد المعاوية كأن الحكمة تنقسم إلى درجتين الثانية والثالثة. الثانية تغلب منها ذهنية العرب إلى زمن المعتصم ثم تغلب عليه ذهنية الترك. طريقة الشيخ بهاؤ الدين نقشبند[1] -رحمه الله- في زمن المتأخر بقية مما كانت عند الأتراك. والدرجة الثالثة إلى زمن المعتمد تغلب عليه ذهنية العرب ثم تنقلب إلى ذهنية الفرس. والفرق بين الفارس، والترك عندنا اللطافة في ذهنية الفرس، والشدة في ذهنية الترك. والأقوام منهم درجتان مختلفتان قسم: منهم يميلون إلى اللين واللطافة. قسم:يميلون إلى التصلب والشدة مثال للتوضيح فقيه الإمام أبي حنيفة أساس على مزاج الفارس؛لكن بقائه في الأقوام بتصلب الترك. وهكذا يجتمع المدارج في الأمور المختلفة ــ فلايكون ذلك شدة بل ثبات ــ.

فصل: الاجتماعية المولودة للحكم عندنا مصداقها حاعسق ميم. وكان انتهاؤها إلى مقتل عثمان ثم كان بعدها ثلث[2] مدارج لتلك الاجتماعية 1: في زمن بنى أمية مصداق عين 2: في زمن بني عباس مصداق سين. فالأول للعرب، والثاني لفارس. كل ما أقام العرب حكومة حسب ذهنيتهم مثلا: الخلافة الراشدة كأنها ممتنعة يكون في بعض الأوقات مثلا برق بارق فغالب ما يكون من العرب يكون على طريقة بني أمية. نحن نرى في أيامنا هذه الدعاة إلى إحياء الإسلام من العرب كلهم لايعرفون من تاريخ الإسلام إلا حكومة الهند ليس ذلك عندنا شرح لذهنيتهم. وكذلك كل ما قام الفارس، والهند معهم بقيام حكومة الإسلامية يكون على منهاج بني عباس في بغداد، فرأينا من ذهنية أهل الهند كأنهم لايعرفون من تاريخ الإسلام إلا بغداد[3] ثم قاف درجة ثالثة اجتماعية

---

(1) ولد محمد بهاء الدين شاه نقشبند سنة 717ه، الموافقة 1317م في قصر هندوان، والتي سميت فيما بعد بقصر العارفان، وهي قرية في أوزباكستان بالقرب من بخارى، فبعد أن تلقى العلوم الشرعية صحب الشيخ محمد بابا السماسي،أخذ عنه السكينة والخشوع والتضرع.وبعد وفاة السماسي صحب الشيخ كلال الذي اعتنى به ورباه أفضل تربية.من مصنفاته: أهمها: الأوراد البهائية، كتاب تنبيه الغافلين، وكتاب سلك الأنوار، وكتاب هدية السالكين،وغير ذلك.توفي ليلة الاثنين 13 من ربيع الأول سنة 791 ه الموافقة 1388م،ودفن رحمه الله في بستانه كما أوصى في بخارى بأوزبكستان.لينظر: الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية محمد بن سليمان البغدادي / مطبوعة في مصر.وأيضا: مناهج السير لأبي الحسن المجددي طبع في دلهي عام 1957م.

(2) ثلا ثة مدارج : الباحث

(3) يذكر الشيخ السندي هنا شعرا باللغة الأردية لذا جعلته أنا في الهامش: شعر: بڑا غلغله جن كا تها كشوروں ميں – وه سوتے هين بغداد كے مقبروں ميں. الشاعر:حالي.

مولدة للحكومة. هذا في زمن المعتمد[1] تأسس حكومة في بخارى، فكل ما قام الأتراك بتأسيس الحكومة يكون مثل ذلك بخارى فقط. الأتراك فتحت استنبول، وجعلت حكومتها مثل حكومة بخارى.

فصل:الاجتماعية المولدة لانقلاب أصلها في أول وقت المعراج. الانقلاب الأول كان في بدر. هذا للعرب. والثاني في دمشق ط,س هذا كان للأمم المسلمة الاجتماعية في الثانية 20 في الثالثة ثم بعد ذلك الانقلاب الثالث ط,س,م هو تجهيز الجيوش على القسطنطية زمن سليمان عبد الملك[2]. فالاجتماعية الانقلابية في الإسلام مثل الدرجة الأولى مثل بدر كأنها ممتنعة عندنا إلا أن يبرق بارق. والاجتماعية الثانية هذه ممكنة لجمع الروم والفارس والعرب. والاجتماعية الثالثة في إستانبول بجمع الترك والروم. في أي بلدة يكون الانقلاب في الإسلامية يكون على هاتين الدرجتين، [3] والهند ملحق بالفارس. تتمة للفصل الثاني.

بعد الاجتماعية في الدرجة الثالثة التي شرعنا فيها في زمن معاوية مصداق ألف لام ميم ممتد إلى آخرالدهر. ثم ذكرنا له درجتين 1: الف لام را 2: الف لام ميم را فالأقوام من تلك الدرجتين درجته ألف لام ص. فمن زمن معاوية إلى زمن المنصور[4] انتهت الذهنية العربية ثم من زمن بغداد غلبت ذهنية فارسية فيها اجتماع العرب والروم والترك والهند، كان هذا درجة أقدم من ألف لام را، وألف لام ميم را. فالاجتماعية العمومية للأقوام الإسلامية لها نوعان. 1: تحقق زمن معاوية في

(1) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم(229 - 279 هـــ = 843 - 892 م)، أبو العباس، المعتمد على الله: خليفة عباسي.ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة 256هـ بعد مقتل المهتدي بالله بيومين. وكان مقام الخلفاء قبله في سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، فلم يعد إليها أحد منهم بعده.لينظر:الأعلام للزركلي،107-106/1.

(2) سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (54-99 هـ/674-717 م)، الخليفة الأموي الســابع، وهو يعد من خلفاء بني الامية الأقوياء.ولد بدمشــق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 96هـــ. ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور. (حكم: 96-99 هـــ/715-717 م).اختار عمر بن عبد العزيز قبل موته ليكون وليا للعهد،ويخلفه من بعده.لينظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـــ) 138/1، 140/11، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، الطبعة الثانية، 1985م،

(3) في ن ح :الدرجتان لكن " الدرجتين " صحيح حسب التركيب النحوي.الباحث

(4) سبق ترجمته.

دمشق 2: تحقق في زمن المنصور في بغداد، وبعد ذلك الترك خالصا ألف لام را يعني أرباب الشدة، وأرباب اللين ألف لام ميم را الفارس تم هذا . قوله:" **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ"2** الكتاب هو القانون، والحكمة روح القانون، فالقانون بدون الروح يكون لهو الحديث.

جملة معترضة: نحن نقدم فقه أبي حنيفة من الفقهاء؛لأنه يشتمل على الحكمة لاتجدون في كتاب مسألة إلا ومعها عقليتها أخطأوا أو أصابوا لابحث لنا في ذلك؛لأن هذا يرجع إلى أفراد المصنفين. المحقق يكون كلامه صائبا أكثر، وغير المحقق يغلط أكثر؛لكن تروج كتاب معاني الآثار للطحاوي[1] كتاب حديث؛لكن في كل باب طريق النظر مذكور فيه.طوائف من أهل الحديث يستنكفون من ذلك، ونحن نحبه لذلك. كتاب الهداية علمه بالرواية ضعيف، وقد جبره الزيلعي(2) بتخريج أحاديثه(3)؛لكنه يأتي في كل مسألة بدليل سمعي إن كان، ودليل عقلي بعده، فطريق الحنفية خلاف طريق الأشاعرة(4) من الشافعية والمعتزلة(5). الأشاعرة اعتمدوا على النقل فقط عموما، والمعتزلة على العقل فقط عموما. ونحن نرى الإمام ولي الله هو محقق الحنفية يجمع بين الطريقتين النقل والعقل وهو قوي فيهما. كثير من الناس لايحبون أن يكون عد الإمام ولي الله من الحنفية؛ لكنه صرح في

---

1 سبق ترجمته

(2) عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي،(000 - 762 هـ = 000 - 1360 م) أبو محمد، جمال الدين: فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع (في الصومال) توفي في القاهرة. من كتبه " نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية - ط " في مذهب الحنفية، و " تخريج أحاديث الكشاف وغير ذلك. لينظر: الأعلام للزركلي, 4/ 147.

(3) خرج الزيلعي أحاديث كتاب الهداية في كتاب نصب الرأية في تخريج أحاديث الهداية.الباحث

(4) **الأشـاعرة** هم جماعة من أهل السـنة،لا يخالفون إجماع الأئمة الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشـافعي وأحمد) ولا يعارضـــون آية واحدة من القرآن ولا الحديث، وما ثبت عن الصـــحابة والعلماء الأعلام، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة، وتعتبر منهجاً وسـطاً بين دعاة العقل المطلق وبين الجامدين عند حدود النص وظاهره، رغم أنهم قدموا النص على العقل.الأشعرية نسبة إلى إمامها ومؤسسها أبي الحسن الأشعري، اللذي ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشـعري، هي مدرسـة إسـلامية سـنية، اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السـنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي. ومن كبار هؤلاء الأئمة: البيهقي، والباقلاني،والغزالي، والفخر الرازي وغيرهم.الباحث

(5) **المعتزلة**: في أوائل القرن الثاني ظهرت فرقة المعتزلة بقيادة واصـــل بن عطاء،وعمروبن عبيد بأصـــولها المعروفة، وقويت شوكتهم في عصر الدولة العباسية حيث كانت ميول خلفائها إلى هذه الطائفة، فأوقعوا بمخالفيهم في الرأي.لينظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:324ه) 235/1،تصحيح: هلموت ريتر مط: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)ط: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م.

فيوض الحرمين:"أن النبي وصاه[1] بموافقة مذهب قومه، وهو بين أن في الفقه اكتفى طريقا عميقا، وأوفق الطرق بالأحاديث المجموعة في زمن البخاري ومسلم. "[2] فإن كان[3] رجل يقول إنه ليس حنفيا مثل عامة الحنفية فلابأس؛لأنه إمام مجتهد مستقل[4] فالمذهب الذي يكون فيه أبويوسف[5] ومحمد[6]؛ فليكن فيه[7] الإمام ولي الله أيضا، ونحن نرى أنه أقوى من أبي يوسف. وبعض المواقع يسبق الحنفية قاطبة؛لكنه حنفي، وهو جمع بين حنفية الشافعية أيضا. هذا صحيح مثل ذلك مضى في الأئمة رجال. الإمام عبد القادر[8] كان يفتي في المذهب الشافعي، والحنبلي وكان ابن دقيق

---

(1) في ن ح : أوصى بدل وصى.

(2) لينظر: فيوض الحرمين للإمام الشـــاه ولي الله الدهلوي 60-61 مط : الشـــاه ولي الله أكيدمي حيدرآباد عام 2007م.

(3) في ن ح : فإن رجل يقول.

(4) المجتهد المستقل في الدراسات الإسلامية للفقه وأصول الفقه هو الذي استقل بنفسه بوضع قواعده في الاجتهاد، وصـــاغ لنفســـه أصـــول منهج الاســـتدلال التي يبني عليها الفقه، وتعد رتبة المجتهد المســـتقل درجة علمية عليا هي أعلى مراتب الاجتهاد، حيث أن المجتهد المستقل هو مجتهد مطلق أي: أنه مجتهد في جميع أحكام الشرع، ويشترط أن تتوفر فيه أعلى شـــروط الاجتهاد، كالأئمة الأربعة أئمة المذاهب الأربعة وهم :أبو حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل .وتسمى هذه الطبقة: طبقة المجتهد المستقل، أو طبقة المجتهد المطلق المستقل، أو غير المنتسب، وسمى ابن عابدين هذه الطبقة: طبقة المجتهدين في الشرع. لينظر: الفِقْه الإسلاميُّ وأدلَّتُه، الدكتور وهبة الزحيلي،62/1.

(5) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي(113 - 182 هـــ = 731 - 798 م)، أبو يوسف: صـــاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشـــر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، وولي القضـــاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشـيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضـــاء.من كتبه " الخراج - ط " و " الآثار - ط " وهو مســـند أبي حنيفة، و " النوادر " و " اختلاف الأمصار " و " أدب القاضي " و " الأمالي في الفقه "وغيرها."لينظر:الأعلام للزركلي،193/8.

(6) محمد بن الحسن الشيباني (131ه – 189ه) عالم،فقيه. ولد بواسط سنه 131هـ، ونشأ بالكوفة، وأخذ عن أبي حنيفة بعض الفقه، وتمم الفقه على القاضـــي أبي يوســـف، ورحل إلى مالك بن أنس في المدينة. انتهت إليه رياســـة الفقه بالعراق بعد أبي يوســـف.لينظر: تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادي،169/2،دار الكتب العلمية وأيضا:بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني، محمد زاهد الكوثري،4، المكتبة الأزهرية.

(7) في ن ح : فليكن فيه مثل.

(8) هو الشيخ الإمام العالم الكبير العارف عبد القادر بن ولي الله الدهلوي أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، توفي والده في صغر سنه،وتعلم على يد صنوه الكبير عبد العزيز ابن ولي الله، وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد العدل الدهلوي، وكان من تلامذته الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي والشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي والشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي والشيخ إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي المدفون بمكة المباركة السيد إسحاق بن عرفان البريلوي، وخلق كثير من العلماء من مصنفاته : تفسير موضح القرآن وتوفي يوم الأربعاء 19 من رجب 1230ه بدهلي فدفن عند والده لينظر: نزهة الخواطر، للحسني 7/ 127.

العيد[1]كان جامعا بين المالكية والشافعية ينسب مثل هؤلاء من الأئمة إلى المذهب الغالب عليهم. فالإمام ولي الله حنفي حقيقي حقيقة ثم بعده أتباعه حنفيون، وانشعب من أتباع الشيخ إسماعيل الشهيد[2] جمع تركوا الاقتداء بالمذاهب، وارتضوا باسم أهل الحديث، وأكثر ميلهم إلى اليمانين مثل الشوكاني، [3] والنجديين من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، [4] فيقتدون بالشيخ ابن تيمية[5] وابن القيم[6] ثم. قوله :"**هدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ**"3 فيه إشارة أي أن الحكمة من مدارج الإحسان. فالصديقية أعلى ما تمكن للأمة المحمدية، وهي تكون جامعة للحكمة. قوله: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هزُوًا أُولَئِكَ لَهمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْه وَقْرًا فَبَشِّرْه بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". 7** كل قانون صار خاليا من الحكمة باعتبار الأكثر، فصورته إن كانت صورة دين، لكنه ملعبة للملوك عباد البطون، والفروج، ولمن اتبعهم من الأحبار والرهبان هؤلاء إذا عرض عليهم دين صحيح

---

(1) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد: (625 - 702 هـــ = 1228 - 1302 م) قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصله من مصر ثم انتقل والده إلى قوص فنشأ بقوص.تعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولي قضاء الديار المصرية سنة 695 ه فاستمر الى أن توفي بالقاهرة . له تصانيف، منها إحكام الأحكام - ط مجلدان في الحديث، الإلمام بأحاديث الأحكام،وغير ذلك.لينظر:الأعلام للزركلي,6/ 283-284.

(2) سبق ترجمته

(3) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: (1173 - 1250 هـــ = 1760 - 1834 م) فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان _من بلاد خولان_باليمن ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة 1229م ومات حاكما بها. وكان يرى تحريم التقليد. له 114 مؤلفا، منها نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار, فتح القدير في التفسير، خمسة مجلدات وغير ذلك من الكتب القيمة.لينظر: الأعلام للزركلي 6/ 296-297.

(4) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب (1115 - 1206 هـــ = 1703 - 1792 م) ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل إلى الحجاز،فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها. وعاد إلى نجد.وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها كتاب التوحيد،ورسالة كشف الشبهات،وتفسير الفاتحة وأصول الإيمان وغير ذلك.لينظر:الأعلام للزركلي 6/ 257-258.

(5) سبق ترجمته

(6) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: (691 - 751 ه = 1292 - 1350 م) أحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق،وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس،.له مصنفات قيمة منها إعلام الموقعين، و الطرق الحكمية في السياسة الشرعية،وكشف الغطاء عن حكم سماع الغناء وغير ذلك.لينظر:الأعلام للزركلي 6/ 56-57

يخالفونه، ويعاندونه مثل الكفار. [1] لهو الحديث فسره أكثر المفسرين بقصص الفارس: جاء به رجل من أهل مكة يحدثهم عن رستم[2] وغير ذلك[3]. في هذا دلالة على أن أهل مكة كانوا يميلون على الصابئة أهل الفرس. وهذا عندنا مثال لاتعيين. والأمر الكلي عندنا كل علم إذا صار خاليا من المقصد، وبقيت صورته فهو **لهو الحديث**. اليهود يقرءون التوراة؛لكن هو خال من مقصد التوراة فهو لهو الحديث بل كذلك كل الكتب الإلهية. فالقرآن يتلى بدون توجه إلى مقصده، وكذا الحديث، وكتب الفقه، والتصوف، والنحو، والمنطق كلها لهو الحديث[4]. تلك الطوائف تكون أضر الأشياء على تبليغ الدين. "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ**". **8** الجماعة الممثلة لاتباع الحق تعيينها من أهم مسائل الحكمة، فتلك الآيات إشارة إليه:نحن فسرناها في السور:التين، والعصر بالمعنى العمومي، وهو المراد عندنا هاهنا أيضا. [5]فالمؤمن كل رجل جعل نفسه مهيأ للقربان، والنصيحة، والفداء في سبيل الله الذي وصل إليه فإن كان أخطأ فهو معفو عند الله. وكل ما يظهر له خطأه يرجع عنه على الفور. ومثاله في المثنوي: قصة الراعي الذي أنكر عليه موسى_عليه السلام_ ثم عوتب في ذلك موسى، والقصة مشهورة[6] فليقرأ الحكيم، وليفهم معنى الإيمان:وحي آمد سوئ موسى أز خدا – بنده مارا جرا كردي جدا- تو برائ وصل كردن

---

(1) في ن ح : الكفار عبدة الأصنام.جملة معترضة.

(2) يذكر الإمام الخازن في تفسيره وغيره: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن،فأنزل الله هذه الآية لينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ت: علاء الدين علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)396/3 تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، 1415 هـ.

(3) رستم فرخزاد هو قائد الجيش الفارسي في عهد آخر ملوك الدولة الساسانية يزدجرد الثالث .(651 - 632) أصله من أرمينيا، وكان يخدم ملك الفرس بإخلاص. كان رستم حكيماً عاقلاً ذا حنكة يرى من خلال الصراعات السابقة. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D9%85_%D9%81%D8%B1%D8%AE%D8%B2%D8%A7%D8%AF

(4) لو قرأت تلك الكتب بدون توجه إلى مقصدها لكانت لهو الحديث.الباحث

(5) في ن ح : فالمراد بمعناه عندنا كل رجل.

(6) مثنوى،باللغة الفارسية،الإمام جلال الدين الرومي،ترجمته بالسندية،غلام محمد شاهواني،94-95،ط:سنديكا أكيدمي كراتشي،عام:2003م.

آمدي نه برائ فصل كردن آمدي[1]. ثم السعي في إتمام الكلمة الإيمانية بكل قوته هو عمل صالح. هؤلاء ثابت **لهم جنات النعيم**[2] هم على الحق من أي قوم، ومن أي طائفة كانوا، [3] والاجتماعية القرآنية يجمع كل هؤلاء على مركز دام.

المسألة الثانية:مسألة الحكمة أولا ينظر الرجل إلى المخلوقات، ويفهمها. بيان ذلك: "**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... "10** فالحكيم يأتي بفكر يطمئن على هذا الخلق **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي** هكذا محقق المسائل **وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**[4] **وأنزلنا من السماء**...هذه النباتات الربط بين هذه: فإذا فرغ من ذلك يجعل ذلك طريقا لمعرفة ربه [5]الذي خلقه فلايبتلي بالظنون والأوهام والشكوك. النظر في تفاصيل السموت والأرض وما بينهما يجعل الإنسان مضطرا في أن يحكم بأنها لاتكون بدون الخالق. فالحكيم لايؤمن بالإله الذي خلق كل هذه. فإذا قام رجل يعارض فليأت بخلق آخر يخالفه فنعتقد لايوجد مخلوق خارج هذه فلايكون لله الذي خلقها شريك. إليه الإشارة في "**هذَا خَلْقُ اللَّه فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**"11 يعني هم يقرون أن هذه خلق الله إذا سألتهم ليقولن الله، وبعد ذلك فأين تذهبون؟.

مسألة : الحكيم يدعو الناس إلى إتباع أمر الله؛لأن هذا في الحقيقة فرض لنفسه على نفسه كما ذكرنا من الإمام ولي الله من حجة الله : أن في قلب الإنسان لطيفة جميع الحقوق في الحقيقة ترجع إلى تلك اللطيفة. [6]عندنا في 12 إشارة إليه "**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّه وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِه وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ حَمِيدٌ"12** هذا رجل حكيم ليس بنبي، والنبي

---

(1) المصدر السابق نفسه:95 وترجمة الأشعار بالعربية : جاء الوحي إلى موسى من ربه- لم فارفت عبدي مني؟- بعثت للوصل بيني وبين عبادي لا للفصل.الباحث
(2) في ن ح : خالدين فيها
(3) في ن ح : كان بدل كانوا لكن كلمة "كانوا " صحيح حسب التركيب النحوي.الباحث.
(4) في ن ح: وبث فيهامن كل دابة:الحيوانات.
(5) في ن ح : ربها بدل ربه لكن جملة " ربه " صحيح حسب التركيب النحوي.الباحث.
(6) حجة الله البالغة،الإمام ولي الله الدهلوي،131/1

بإلهام الله يحكى عنه فليعرف الناس منزلة الحكيم. اختلف المفسرون في تشخيص هذا الرجل[1] وقد ذكروا أن لقمان ابن عاد مضى في العرب[2]، والعرب يرجح هذا، والعجم عموما يقولون إنه رجل عجمي. هذه الخصومة لاقيمة لها عندنا إذا لم يكن الرجل نبيا فليكن من العرب أو من العجم سواء. تفصيل لمسألة الحكمة . أثبتنا[3] في الإنسانية ملتين عظيمتين 1:الصابئة من إدريس إلى إبراهيم 2: الحنفاء من إبراهيم إلى نبينا _عليه الصلوة والسلام_ فالذي يطمئن به قلبي أن النبي، والرسول من مختصات الحنفية. أما الصابئة فمدارها على الحكمة فقط. الحنفاء إذا حكوا شيئا من الصابئة فيسمون عظمائهم بالأنبياء جريا على اصطلاحهم. فالحكمة هي اقتضاء الفطرة الإنسانية، والإلهام يأتي في قلبه مثل النحل جبلته تأمره، وتلهمه ثم إذا اجتمع في حظيرة القدس حكماء كثيرون، وحدث هنا الاجتماعية بين الحكماء. فمن قرأ هذا الاجتماع من يكون مأمورا بتعليم الناس الحكمة، وحظيرة القدس تكون مؤيدة له بالإجماع. هذا هو النبي. وأما قبل اجتماع الحكماء الكثيرين[4] في حظيرة القدس ما كان يعرف النبي بهذا المعنى من أمره الله بتعليم الناس، وألهمه في قلبه بأنه مأمور بل هو كان يسمى في الحكماء محدثا صديقا، وهو يسمى بلسان الحنفاء نبيا ، فواحد من الأئمة قد يكون صديقا نبيا. فإذا كان الرجل المأمور قبل تقرر أن اجتماع الملأ الأعلى دخل في تعيين النبوة إن كان رجل أمر من الله بالتعليم، وعرف الملأ الأعلى منزلته عند الله فتوافق على تأييده يسمى رسولا أعظم من نبي. أما هذا التوافق من الملأ الأعلى ليس أمرا قانونيا إنما هو

---

(1) قيل: هو لقمان ابن عنقاء بن سرون وكان نوبيا من أهل أيلة، ذكره السهيلي. قال الزمخشري: وهو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته،وقيل كان من أولاد آزر، عاش ألف سنة،وأدركه داود عليه_ الصلاة والسلام_ وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود، فلما بعث قطع الفتوى فقيل له، فقال: ألا أكتفي إذ كفيت.قال الواقدي: كان قاضيا في بني إسرائيل. وقال سعيد ابن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة، وعلى هذا جمهور أهل التأويل أنه كان وليا ولم يكن نبيا.وقال بنبوته عكرمة والشعبي، وعلى هذا تكون الحكمة النبوة.والصواب أنه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى- وهي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل.لينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)59/14، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

(2) لينظر:لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف ب تفسير "الخازن"،الإمام الخازن،219/2.

(3) في ن م : نحن أثبتنا

(4) في ن م : الكثيرون

من اقتضاء فطرتهم، وبعد تقرر الحكماء صارلاجتماع الملأ الأعلى دخل قانوني في تعيين النبي، فمثل هذا الفرق ينبغي أن يلاحظ في معرفة أكابر الملتين ثم مسألة من الحكمة. قوله:"**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهوَ يَعِظُه يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "13**. الشرك يستلزم التفرق، وهو مستلزم الظلم. فإن كان لازم الظلم في بعض المواقع لأمر واقعي فهو ظلم. وإن كان لأمر غير واقعي فهو ظلم عظيم على الفطرة الإنسانية. تفصيل ذلك : الأخ ينازع أخاه، وكل يستبد بفرقته، ويجعل الحق منحصرا في فرقته. هذا لابد أن يستلزم الظلم؛لكن كلها أمور واقعية. وأما إذا جعلنا لله شريكا، وهو ليس بوهمي أيضا، وجعلنا التفريق المستلزم للظلم مبنيا على ذلك كان ظلما عظيما. مسألة حكمية "**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْه أُمُّه وَهنًا عَلَى وَهنٍ وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ "14** هذا حكم الجبلة فإذا كان رجل يعرف ربه فيكون الحكم **أن اشكر لي ولوالديك**. . . . لأن الأم **حملته وهنا على وهن** ثم الوالدان يأمرانه بخلاف الله الحق **فَلَا تُطِعْهمَا وَصَاحِبْهمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ. . 15** من مقتضى الفطرة الإنسانية الصحيحة:الإنسان يعتقد بربه بالحكمة يتيقن، ويطمئن فإذا كان أبواه جاهلين بتلك الحكمة هل يمكن من الولد أن يتبعهما، ويترك الحكمة؟ ج: كلا! فالحكمة أنها مع مخالفته من معاملة الرب يؤيد حقهما في صحبة الدنيا. إلى هذا إشارة "**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْه أُمُّه وَهنًا عَلَى وَهنٍ وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)وَإِنْ جَاهدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِه عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهمَا وَصَاحِبْهمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ 15** مسألة: أن الله لايخفى عليه شئ هو مبنى الإحسان. قد ذكرنا من قبل لما كان ربنا ينظر إلينا دائما فالواجب علينا أن نعبده كأننا نراه بعلة ذلك العلم العمومي لله، وأخذنا هذا من شيخنا رشيد أحمد، [1]وإلى تلك المسألة إشارة في

(1) سبق ترجمته

"يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ"16. فالواجب عليك أن تعبده كأنك تراه. مسألة برنامج الحياة الأساس فيه على أصول الحكمة هو هذا : أولا يعبد ربه كأنه يراه. ثانيا يكون مقيما للحق الذي يعلم أنه حق، والناس أيضا يعترفون بأنه حق يقيم[1] في الاجتماع، ويصبر على ذلك لايترك لأذى من الناس أو مشقة. هذا هو طريقة الارتقاء في الإنسانية، إليه الإشارة في قوله: **"يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْه عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ "17** مسألة: يلزم على الإنسان أن يكون فردا في الاجتماع الصالح لايتكبر عليه، ولاينفرد عنه من الاجتماع. هذا هو مقتضى الفطرة الأنسانية الموجبة للتمدن، فالمدينة الصالحة مبنية عليه، إلى هذا إشارة **"وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"18** مسألة : يكون الرجل في وسط الاجتماع لا في طرف منه. إلى هذا إشارة في قوله: **"وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ "19** مسألة : الاجتماع الذي هذا الرجل فرد منه يحتاج في اجتماعية إلى السموت والأرض، وتنتفع منه، وقد ثبت أن هذه السموت والأرض خالقها هو الله؛فليكن هذا الاجتماع معترفا بالخالق:الجاهل يعلم، والغافل يذكر لايكون فيه رجل يغلب على الاجتماع، وينكر الخالق به تفسد فطرة الاجتماع. إليه إشارة في **"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَه ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ "20** مسألة : كما يكون في قلب الإنسان إدراك وبصيرة، كذلك في الاجتماع يكون إدراك وبصيرة لأمور توافق الفطرة، وقد يكون في الاجتماع رجل ذكي يدرك بالإلهام حاجات الاجتماع فهذا لذكائه، وما أدرك إذا بينه ليفهم كل الناس أنه موافق للفطرة. هذا حكم واجب اتباعه وإلا يتأخر الاجتماع عن التقدم، فيكون بجانب من هذه

---

(1) في ن ح: كلمة " لايقيم " لاتوجد.

الطائفة طائفة ممن يجادل في الله يعني في إلهام الله على هذا الرجل المبارك، وينازعه لابإلهام بل بأنه يتبع آياته، وإن كانوا على خلاف الفطرة. فالجماعة الأولى على الحق، والطائفة الثانية على الباطل. إلى هذا إشارة من قوله:" **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهه إِلَى اللَّه وَهوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّه عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُه إِلَيْنَا مَرْجِعُهمْ فَنُنَبِّئُهمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ. 24**

مسألة : ثبت بطلانهم بلسانهم إذا سألناهم عن خلق هذه السموت والأرض يعترفون بأن الخالق هوالله، وبعد ذلك كيف يكون الحكم خلاف الفطرة التي خلقها الله؟ فالأمر الحق يكون مدركا بفطرة الإنسان، والشياطين يلجمون على الإنسان بخلاف الفطرة الإنسانية. إليه الإشارة في قوله تعالى:"**وَلَئِنْ سَأَلْتَهمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه قُلِ الْحَمْدُ لِلَّه بَلْ أَكْثَرُهمْ لَا يَعْلَمُونَ (25) لِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّه هوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26)**

جملة معترضة : قرأنا حجة الله البالغة فعرفنا بالتفصيل أن جميع جزئيات الشرع المحمدي موافق للفطرة الإنسانية، وقدرنا بعد ذلك أن نصدق جميع الأنبياء، والحكماء الربانيين بأن أوامرهم موافقة للفطرة الإنسانية. فالذي يقدم على ضدهم هو شيطان خلاف الفطرة الإنسانية . ومعركة الشيطان وآدم ذكرت مرارا في القرآن. فالذي تقرر في فهمنا أنه ممثل لضد الفطرة الإنسانية. [(1)] فالدين القيم هوالخواص النوعية للإنسان التي لاتتبدل دائما، فما كان ضدها هو إلهام الشيطان. [(2)] فلنذكر أمثلة للتوضيح. 1: النكاح موافق للفطرة الإنسانية يتكاثر به النسل ينتظم به التمدن، ويحسن

(1) في ن ح: نحن بحمد الله نفهم كل كلمة نسبت إلى الشيطان أنها مضادة للفطرة.
(2) في ن ح: فباعتمادنا على حكيم رباني استرحنا من تشويشات كثيرة،ونرى الإنسانية مبتلاة بها لعدم توجههم إلى الحكمة.

الرجل من ذوى القربى مودة يتخفف بها الثقل. وفوائد النكاح كثيرة 2:ترك النكاح إما يسرف في إخراج مادة التوليد بدون نتيجة أو يزني فالخسارة التي تلحق بسبب ذلك تعرف بالبداهة مثل ذلك البيع والشراء 3:مثل ذلك الحكم بالتشاور. فإذا ركب الإنسان خلاف الفطرة لايجد لذة الحياة فأمر الله ليس إلا مقتضى الفطرة الإنسانية، ولايخالطه إلا الشيطان. مسألة : مخلوق الله غير متناهية؛ فليتوجه الإنسان إلى إصلاح أمره بمقتضى الفطرة الإنسانية، ولايدعي إحاطة العلم بالمخلوقات فبقيد أمره أيضا. [1] إليه إشارة في :"**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّه مِنْ بَعْدِه سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّه إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ** "27. كلمات الله تكون بلاتأييد. هذا غير معقول. كلمات الله إذا كانت غير متناهية فليصرف كل قوته إلى اقتضاء فطرته. فماكان خارجا عنها لايلتفت إليه. وإنما فسدت عقول طوائف من الحكماء لخروجهم عن الحد صرفوا قوتهم في ما لايقتضيه فطرتهم فاستنجوا مسائل على ضد الحكمة، والفطرة. مسألة : النوع الإنساني كنفس واحدة؛فليتوجه إلى فهم ذلك الاجتماع، فلايفرغ منها إلى آخر الدهر. وعندنا في قوله:"**مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ بَصِيرٌ "28** مسألة : النوع الإنساني له تعلق بالأشياء الكثيرة؛فلينظم فكره في توجهه إلى الأشياء باعتبار احتياج النوع فقط. فلايتغير علمه بمعرفة التضاد بين المخلوقات؛لأن ميزان التفكر شئ واحد. النوع الإنساني إذا تفكر الرجل في شئ من وجهتين يتناقض الأنظار؛فليؤدي إلى الاعتراف بالباطل أحيانا. وإذا توجه من جهة واحدة جهة النوع ما وقع الفساد في فكره. [2] وإذا أخذنا الإشارة إلى ذلك من 29 إلى 30 لايكون بعيدا " **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ". ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّه هوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِه الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّه هوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ** . مسألة :ويزيد روحا أن النظر في الكون يلزم أن يكون

(1) في ن ح :في فهمنا.
(2) في ن ح :ولذا أدركناه بالتفصيل في حجة الله البالغة.لاتوجد في ن إ.

من جهة واحدة : النوع الإنساني ابتلاء الإنسان في البحر. فكيف يتوجه إلى الله بالإخلاص؛لأن توجهه في تلك الحالة يصير منحصرا في خلاص نفسه من المخمصة يتوجه إلى ربه بمثل ما يتصل به العارف الكامل في أدنى التفات، والأمرهو وحدة الوجهة في التوجه. فإذا التزم الرجل من طول حياته وحدة النوع الإنساني، ومنها التوجه إلى المخلوقات يكون واصلا إلى الله حكيما ربانيا بسهولة. أخذناه من قوله: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ 32**. مسألة : الاجتماعية الإنسانية تقسيم الحقوق على الأفراد. فالفرد إذا لم يؤد حقه، وفرضه لايستفيد من الإجتماعية بشئ. في قلب كل إنسان، وجعله حاكما على جميع معاملاته، والإشارة في ذلك إلى التوجه إلى التجلي القائم في الحجر البحت، وجعله حاكما على جميع معاملاته. هذا من مقتضى الاجتماعية الإنسانية : الحكم في الصورة فردي، وفي المعنى اجتماعي ثم مسألة مقررة في نظام اللطائف الإنسانية : أن كل لطيفة لها غلبة في بعض الحالات على جميع اللطائف فكذلك يكون للحجر البحت أيضا غلبة. ففي تلك الحالة لاينجو الإنسان إلا بتحكيم التجلي على جميع المعاملات. هذا يتحقق لكل إنسان بالاجتماع يوم المحشر. وإذا تحقق لرجل مثل تلك الغلبة في غير يوم المحشر يكون له خاصة هو أيضا مثل يوم المحشر، إليه إشارة في قوله: "**يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِه وَلَا مَوْلُودٌ هوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِه شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّه الْغَرُورُ**. 33 فالمسألة صارت راجعة إلى اجتماعية خواص النوع الإنساني. مسألة : الإنسانية في تعلقها بالكون الاستفادة منها محتاج إلى توسط التوجه إلى الإله الحق. فالإنسانية ليست لها قبلة إلا الله : التجلي القائم في إمام النوع الإنساني، وبواسطة هذا التجلي لها تعلق بجميع الكون. وكذلك الإنسان له تعلق بالتجلي القائم على الحجر البحت، ويستفيد منه،

ففي هذا التعلق أيضا توسط التجلي القائم في إمام النوع ثابت. قد جاء في القرآن وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [1] . فالحاصل أن الإنسان يتعلق بقلبه أو يتعلق بالكون إذا أراد ذلك فواجب عليه يتوجه إلى الله وبالتغافل عن هذا لايستفيد عن شئ: الاستفادة تناسب النوع الإنساني. وإليه إشارة في . "**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**". هذه الساعة تعلقها بالتجلي على الحجر البحت. هذه تعلق بالكون هذا هو غاية الحكمة. [2] فائدة :يقول الشيخ محمد إسماعيل[3] في تقوية الإيمان:"ليعلم عامة المسلمين أن التوجه إلى الله قبل كل شئ فرض على المؤمنين، فلايتوجه إلى شيخ ولاابن ولاملك إلابعد التوجه إلى الله. هذا عندي من أهم الأمور الإسلامية"[4] فسره الشيخ باللسان الهندي تفسير يفهمه النساء والولدان والمحترف والعالم سواء، وحصر جميع أنواع علوم الغيوب في الله فاشتد ذلك على جهال المسلمين الذين قبضوا مناصب الزعامة، والإمامة بصورة العلماء والمشائخ؛لأنهم متلوثون بالشرك، والتوجه إلى غير الله. فإذا شاع هذا العلم في عامة الناس تكون تجارة هؤلاء الزعماء خاسرة، فأقاموا القيامة على أتباع الشيخ، وكفروا، وفعلوا كل ما أمكن لهم من الشنائع. [5]فتعجبت أن تفسير تلك الآية في فتح

---

(1) الأنفال, الآية:24

(2) في ن ح : تمت السورة بحمد الله.

(3) سبق ترجمته

(4) ذكر الشيخ السندي معنى ما ورد في تقوية الإيمان لينظر :تقوية الإيمان،للشاه إسماعيل الدهلوي(1246ه)92،139، نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (المتوفى: 1420هـ)اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري الناشر: دار وحي القلم - دمشق، سورية ط: الأولى، 2003 م.

(5) في ن ح : أنا لما فرغت من ديوبند رجعت إلى السند كانت لي مباشرة في التعليم والوعظ العامة،واتخذت كتاب الشيخ الإمام إماما لي للتخاطب في العوام،فطالعت ما كتبوا على خلافه للتحقيق إن كان شئ عند الشيخ أخطأ به نتركه،ونستفيد بالباقي.

الباري[1] في آخر كتاب التوحيد، وكذلك في العين[2] منقول عن ابن أبي جمرة[3] من المقاربة هو شرح "مختصر صحيح البخاري" وكان من كبار الصوفية فكان ابن حجر[4] ما وجد شيئا أحسن منه فنقله بحروفه، ولخصه العين، فتعجبت أن تفسير شيخ الهند[5] ترجمة لذلك التفسير بالهند بدون إضافة شئ. [6]

سورة السجدة

الذي فهمنا أنها[7] مختصة بالكتاب القانون في تبدل الاجتماعية. وقد ذكرنا معنى الكتاب في سورة لقمان هو معنى القانون. وفي الكلمتين نوع من الفرق. إذا تقرر صورة للمعنى، وعرف الناس أن هذا يقوم مقام المعنى صار قانونا. فإذا استقر ذلك صار كتابا. فالأمر المستقر أو الكتاب يكون فيه قوة تولية القانون مناسبا لكل عصر إذا استقر الكتاب في حظيرة القدس. وتبدل القانون بعد تبدل الاجتماعية لازم. فالكتاب المستقر في حظيرة القدس يكون كالبذر لتلك التبدلات. [8]النبي_

(1) وجدت تفسير قوله تعالى: ."إِنَّ اللَّهَ عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"حسب ما ذكره الشيخ السندي نقلا عن كلام الشيخ إسماعيل الدهلوي معنى في تفسيرسورة لقمان تحت قوله تعالى المذكور، وفي آخر كتاب التوحيد أيضا في باب قوله تعالى:ونضع الموازين القسط ليوم القيامة...لينظر:الكتاب: فتح الباري شرح صحيح البخاري ت: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي،514/8، و544/13 الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379م.

2 المراد منه عمدة القاري شرح صحيح البخاري للشيخ بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ) الباحث.

(3) عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، أبو محمد(000 - 695 هـ = 000 - 1296 م) من العلماء بالحديث، مالكي. أصله من الأندلس ووفاته بمصر. من كتبه القيمة جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري، ويعرف بمختصر ابن أبي جَمْرة، و بهجة النفوس " في شرح جمع النهاية، و المرائي الحسان في الحديث والرؤيا لينظر: الأعلام للزركلي 4/ 89.

(4) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: (773 - 852 هـ = 1372 - 1449 م) من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره. من مصنفاته :الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ,لسان الميزان ,الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام,فتح الباري شرح صحيح البخاري وغير ذلك.لينظر: الأعلام للزركلي 1/ 178-179.

(5) سبق ترجمته

(6) في ن ح: رأيت حماقة المخالفين،وتعصبهم، ورضيت بحمد الله على طريقة مشائخنا. تمت فائدة بحمد الله.

(7) أن هذه السورة .الباحث.

(8) من هنا يبدء الشيخ السندي تفسير آلم_أول الآية من سورة السجدة_ لكن هذه الحروف لاتوجد كتابة في نص المخطوط.الباحث.

صلى الله عليه وسلم_ ما أتى به من علمه على الكتاب هو القانون الأول الذي يكون مصداق ألف[1] إذا كان يقتدي به الناس في ذلك العمل. أما ما يكون خاصا به فهو خارج عنه فحفظ الناس من الصحابة أقوال النبي وأعماله، وتفطن جماعة بالتفريق:ما يكون قانونا وما ليس بقانون. فالجامع للروايات من صغار الصحابة يعرف أبوهريرة[2]. أما العارف بالقانون فهو عمر الفاروق ثم ابن مسعود[3] وعلي بن أبي طالب. ثم جاء الدور الثاني مصداق لام. فالفاروق جمع الفقهاء بعد التشاور على قانون. وسنة عمر هو القانون يشرحه ابن مسعود كان الإمام فيه علي ابن طالب. ومعاوية كان يجمع الناس على ذلك القانون ثم بعد ذلك جاء المجددون في كل مائة سنة. فالذي نعرفه إماما كبيرا هو الإمام أبو حنيفة ثم تشبعت تحت فكره مدارس للفقه الحنفي مدرسته في العراق، مدرسته في مصر، مدرسته في بخارى. ثم من مدرسة بخارى مدرسة في غزنة ثم منها انشبعت في دهلي. نحن نعرف تجدد كل مدرسة، وكيفيات خاصة بها[4]. قوله: **"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيه مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه بَلْ هوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهمْ يَهتَدُونَ"3.** الذي يثبت في الأرض هذا ظاهر في التاريخ. وإنما صار بصورة متجددة؛لأن القوم ما كان عندهم قانون فيحتاج إلى تنزيل الكتاب من حظيرة القدس ثم ذكر حظيرة القدس في قوله: "**اللَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى**

---

(1) آلم :إن الله عزرجل لما منح رسوله النبوة وأنزل عليه القرآن_القانون الإلهي_ فكر رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _كثيرا كيف يغلب القانون الإلهي؟ثم أنزل الله الحروف المقطعة المذكورة،فالمراد من الف من حيث علم الأبجد 1، ومن "ل" 30 ، ومن "م"40 ، كأنه إشارة إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم _بأن القانون الإلهي يغلب في إحدى وسبعين سنة،ففتحت الممالك فيها كما لايخفى. أو المراد من الحروف المقطعة المذكورة ثلاث درجات للاجتماع الإسلامي التي ذكرتها في تفسير أول آية من سورة لقمان في الهامش.لينظر: روائع البيان في تفسير القرآن من أمالى الشيخ غلام مصطفى القاسمي(خ)29/1-30.

(2) أبو هريرة الدوسي قد اختلف في اسمه اختلافا كثيرا.قال ابن إسحاق: قال لي بعض أصحابنا عن أبي هريرة كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس، فسماني رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي، فقيل لي: أنت وأسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم.قال الهيثم بن عدي: توفي سنة ثمان وخمسين، وقال الواقدي: توفي سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة.الأعلام للزركلي 313/6-314.

(3) سبق ترجمته

(4) في ن ح : أما المدارس الأخرى فليس عندنا معرفة بتفصيلها.

عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِه مِنْ وَلِيّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْه فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"5. الله الذي. . . فالتجلي القائم على العرش هو الباعث لانجذاب حظيرة القدس[1] وفي 5 ذكرها **يدبر الله الأمر** ثم يرجع إليه هو الذي نسميه حظيرة القدس مثل ذلك من الأمور العظام التي تتعلق بالأقوام يجتمع لها الملأ الأعلى في كل ألف سنة مرة نسمي ذلك بيوم، وإليه الإشارة. **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ.** في يوم يتعلق بتدبير الأمر فصنف من التدابير أمرها[2] ألف سنة. فالقانونية التي يتضمنها الكتاب تكفي لألف سنة يكون له منهج واحد في ذلك الألف. معنى ذلك أن القانون يتجدد في الألف الثاني.

جملة معترضة : الأمور المتعلقة بالأقوام يكون اليوم فيه مقداره ألف سنة فقط. والأمور المتعلقة بقوم واحد يكون اليوم فيه مقدار ألف شهر فقط، وذلك يعد مائة سنة بالتخمين. كما جاء في الرواية: أن في كل مائة سنة يجدد الدين[3] معناه التجديد القومي. أما مجمع الأقوام الداخلة في اجتماع الإسلام يكون تجددا فيه بعد ألف سنة. قوله : **ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. 6** شهادة الذي تقرر له القانون، وبعد ذلك غيب فهو بالنبي يأتي التجديد من جملة الأئمة المجتهدين. إليه الإشارة في " **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَه مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاه وَنَفَخَ فِيه مِنْ رُوحِه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ**

---

(1) توضيح مصطلح حضيرة القدس :اعلم أن للأرواح البشرية حضرة تتجذب إليها انجذاب الحديد إلى المقناطيس وتلك الحضـــرة هي حظيرة القدس محل اجتماع النفوس المتجردة عن جلابيب الأبدان بالروح الأعظم الذي وصـــفه النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الوجوه والألسن واللغات وإنما هو تشبه لصورة نوع الإنسان في عالم الأمثال راجع حجة الله البالغة للإمام الدهلوي باب ذكر الملأ الأعلى 1/ 48 ت: الســـيد ســـابق، مط:دار الجيل، بيروت – لبنان ط:الأولى: 1426 هـ - 2005م.

(2) في ن ح : كلمة " أمرها " لاتوجد.

(3) الحديث ورد عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».لينظر: مختصر سنن أبي داود تأليف: الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى: 656 هـــ)3/ 123 , ت: محمد صبحي بن حسن حلاق (أبو مصعب) حكم الألباني: صحيح: الصحيحة (599) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ط: الأولى، 1431 هـ - 2010 م.

قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ". **9** معناه الاجتهاد في التجديد. [1] فالتجديد من الأئمة. . **وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)** فيه بيان أن المقصد من القانون، ومن تجديده هو بقاء الإيمان بلقاء الرب يعني تكميل لطيفة الحجر البحت. فإذا كان الناس كاملين يأتي منهم التجديد، والحاجة إلى التجديد ليس إلا لذلك. كل ما صار القانون في حالة لايتأتى منه اليقين بلقاء الرب صار منسوخا. والذين يتيقظ منهم الحجر البحت أشير إلى حالتهم في قوله: **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. 17** فصورة القانون في بعض الأوقات يجتمع مع عدم التوجه إلى الحق فلايكون مقصودا في الأديان في تلك الحالة.

جملة معترضة: الذين اشتغلوا بالقانون، ولم يلتفتوا إلى تيقظ الحجر البحت أو نقول لم يلتفتوا إلى تحصيل الإحسان لمسلم المدارج: الطبقة الأولي تجعل مطمع نظرها تحصيل الفوائد المعاشية فقط يأتي بالاحتيال إذا رأى فوت الغرض منه؛لكنه إذا كان لايصرح بتقديم غرضه الدنياوي على الآخرة بل يجعل الإيمان بالآخرة ملحوظا في الاجتماع. فالجماعة تحسبه من المسلمين لايأتي بشئ يخرجه من الدين. هؤلاء منافقون عمليا الذين ذكرهم النبي في قوله: أربع من كن فيه كان منافقا خالصا الحديث[2] الطبقة الثانية لايعبدون بالإيمان بالآخرة، ويتكلمون بكلمة الإيمان رياء للناس. أما في العمل فالفرق بين الكفر والإيمان ليس عندهم. هؤلاء منافقون نفاقا عمليا هم ملحقون بالكفار. أما في نظر القانون فداخلون في المسلمين فالذين لايحبون الفقه، ويشنعون على الفقهاء المراد بهم

---

(1) في ن ح:" جملة معترضة":لاتوجد

(2) أخرجه البخاري في صحيحه:عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر " لينظر: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري" تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي رقم الحديث 34 باب علامة النفاق 1/ 16 ت: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، 1422هـ.

هاتان الطبقتان، والقرآن سماهم فاسقين. ذكر تلك الطبقات في قوله: **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ 18** المراد بالفاسق[1] هو المتظاهر بالقانون، والتارك للإحسان قطعا وفسق دون فسق مثل شرك دون شرك. **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.** 20 هؤلاء الطبقة الآخرة التي وصلت إلى الكفر **كلما أرادوا**[2]. . . فالذين يتظاهرون بصورة القانون، ويعرضون عن الإحسان فإن نبهوا أو ذكروا ثم أصروا على خطيئتهم ينتقم منهم في الدنيا والآخرة. إليه الإشارة "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّه ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُون** "22. فليتنبه القارئ أن سلب الحكومة عن قوم إنما يكون بشؤم هؤلاء إذا اتخذهم الناس أئمة وملوكا، وهم يستحقون الانتقام يسلب عنهم الحكومة يذهب عن القوم؛فلذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أهم الفرائض. ولما تيسر لنا في زمننا طريقة الجمهورية ففيها يكون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أسهل، واختيار ذلك النظام في الحكم ألزم للمسلمين. ومساواة المسلم، والذمي في بعض الحقوق الراجعة إلى الدنيا ليست بعيب في القانون. والفقهاء بسبب تباعدهم عن السياساسيات نسوا تلك الفروض المضروبة، فلايكون ترسم بذلك حجة في الدين.

فصل: الأمر مفوض في التجديد إلى الأئمة المجتهدين، واختلافهم في الاجتهاد طبيعي لهم. هل يمكن القيام بذلك الفرض منهم لازدياد الاطمينان؟أشار إليه في الآيات الآتية إن هذا كائن بلا ريب في قوله تعالى: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِه وَجَعَلْنَاه هدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهمْ أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)** حاصل المطلب: لقد آتينا موسى الكتاب، وجعلناه هدى لهم، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا إذا لم يقم في بنى إسرائيل مثل موسى بعد موسى جعلنا منهم أئمة. هذا أمر معلوم أن البعض كان نبيا،

(1)في ن ح : من الفاسق
(2) في ن ح : في تاريخ العباسية رجال من أهل الفارس أسلموا حصلت لهم عند المسلمين منزلة.

والمحدثية، والصديقية لما كانت قائمة باقية عند المسلمين أيضا سهل قيام أئمة منهم **فلاتكن في مرية** . . . . . بعد[1]ما أتممنا إلا يكن بلقائه مثل ذلك الأمر تلاقي أنت أيضا يلاقيك بلامرية يكون الكتاب هدى. ثم يجعل من الأمة أئمة يقومون بالهداية. وبعض المفسرين جعلوا ضمير لقائه لموسى هذا عندنا غلط بالمرة في الهم ثم يؤلونهم على قصة المعراج[2]. فالأصل والتأويل خطأ لفظي **إِنَّ رَبَّكَ هوَ يَفْصِلُ بَيْنَهمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ** 25 إشارة أن اختلاف المجتهدين لايمكن فصله في الدنيا قطعا فليس الطريق إلا اتباع الأكثر. هذا هو أساس الجمهورية اتباع الأكثر هوالذي يسميه الفقهاء إجماعا، [3]ولم يتفطن لمعنى الإجماع إلا قليل من الإجماع، ونحن نتبع في ذلك الإمام ولي الله فقط.

فصل في إزالة الخفاء: ورأينا كثيرا من الناس، وكثيرا من كبار العلماء لايعلمون معنى الإجماع قد أدركنا سبب غلطهم نظام الحكومة يكون على قسمين انقلابي ، ارتقائي. فالانقلابي لايمكن فيه اتباع الأكثر هنالك يكون القيم بالانقلاب رجلا، [4] وأنصاره يكونون في الأقلية فلايمكن اتباع الإجماع والأكثر. والإسلام في ابتدائه نظام انقلابي. والنظام الارتقائي إنما يكون بعد استقرار الإسلام الذي نسميه بالاجتماعية[5]. بعد الانقلاب فيه يكون اتباع الإجماع، والأكثرية، وإقامة النظام الجمهوري.

---

(1) في ن ح : وبعد ذلك.وجعلنا فلأن ما أتممنا.

(2) كما يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب، وهو التوراة، وقوله تعالى: فلا تكن في مرية من لقائه قال قتادة: يعني به ليلة الإســـراء، ثم روي عن أبي العالية الرياحي قال: حدثني ابن عم نبيكم، يعني ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أريت ليلة أسري بي موســـى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شـــنوءة، ورأيت عيســـى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار والدجال» في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أسري به.ويذكر أيضا: في قوله: "فلا تكن في مرية من لقائه" قال: من لقاء موسى ربه عز وجل.لينظر:تفسير ابن كثير،الإمام الدمشقي،331/6-332.

(3) الإجماع في اللغة: العزم المؤكد، يقال: أجمع أن يفعل كذا أي عزم عليه.وفي الاصـــطلاح: اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم شرعي.لينظر: أُصُولُ الِفقه الذي لا يَسَعُ الفَقِيه جَهلَه.المؤلف: عياض بن نامي بن عوض السلمي،124 الناشر: دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية،ط: الأولى، 1426 هـــ - 2005 م.

(4) في ن ح : سجدا

(5) لينظر :إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق:الأســـتاذ تقي الدين الندوي،تعريب،فيروز أختر الندوي،131/1،ط:دار القلم دمشق عام:2013م.

أَوَلَمْ يَهدِ لَهُمْ كَمْ أَهلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ26 . الأمم الهالكة إنما هلكت لم يكن فيهم أئمة الاجتهاد، وأكثريتهم تقوم بقيام الملة فاستحقوا الهلاك. فإن كان الله أراد أن يقيم القرآن إلى يوم القيامة يخرج منهم أئمة يهدون بأمر الله . **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِه زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْه أَنْعَامُهمْ وَأَنْفُسُهمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ 27** التنبيه بالتدبير في النبات، والحيوان على التدبير في الإنسان. حاصله: إذا أراد الله قيام إنسان، وحيوان على الأرض فلابد يسوق الله الماء إلى الأرض الجرز يخرج نبات يأكل منها الأنعام، والإنسان. فإذا لم يخرج هذا أفلايعرفون هذا؟ تقيسون الأمم الهالكة لم يخرج فيهم مثل هؤلاء الرجال. والذين يريد الله إبقاءهم يخرج فيهم رجالا. القانون لايقوم إلا بالحكمة والحكومة. فإذا حصل العزم بأن القانون يستمر في تلك الملة، والسورة مكية يأتي سؤال في الطبائع على حسب العادة متى يكون ذلك الحكم موافقا للقانون الإلهي ؟ فالإشارة أن السؤال لاحاجة إلى الجواب عنه فإنه لايتعلق بفهم ماهية القانون، فالإشارة إلى هذه الآيات **وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ** 30. فالجواب معناه : أنتم في هذا الوقت تكملون إيمانكم بفهم ماهية القانون، وضرورته، وتحصيل ذلك بالاجتهاد. هذه الأمور تحصيلها قبل الفتح لازم. فإن كنتم أكملتم هذا ثم سألتم وقت الفتح كان جائزا أما الآن أنتم تحتاجون إلى تكميل إيمانكم فالسؤال[1] غير جائز فلايجاب عنه، وإليه الإشارة في 30 فَأَعْرِضْ عَنْهمْ وَانْتَظِرْ[2] إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ

(1) في ن ح : هذا السؤال.
(2) أي أعرض عن الذين يخالفون حكومة القرآن_غلبة الدين على الأديان كلها_وانتظر كما يقول الإمام الدهلوي في حجة الله البالغة : فالمراد من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا، وألا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام. ويؤيده قول الإمام ابن كثير في تفسيره: وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعد وسينصرك على من خالفك.لينظر:تفسير ابن كثير، الإمام الدمشقي،334/6 وأيضا:حجة الله البالغة للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه) 39/2،ت: السيد سابق مط: دار الجيل بيروت لبنان، ط:1، 1426ه=2005م.

سورة الأحزاب[1]

الاجتماعية التي يحدثها انقلاب القرآن[2] يلزم أن تكون بصورة حزب واحد لا بصورة الأحزاب حتى يمكن إقامة حكومة على قانون القرآن تغلب على جميع الحكومات الأرضية. فلتمام هذا الانقلاب يشترط نفي الأحزاب من الاجتماع . هذا يسميه أهل عصرنا بتطهير الحزب عن الضعفاء الذين لم يطمئن أنفسهم على الملك تماما. فالظاهر من إسم سورة الأحزاب أنها تخبر عن الأحزاب التي هاجمت المدينة، وباطنها نفي الأحزاب من الاجتماعية الإسلامية المدينة هي صورة الاجتماع الإسلامي. فالله ــعزوجلــ نفى هجوم الأحزاب عليها كذلك يجب على النبي ــصلى الله عليه وسلم ــ ثم على المؤمنين أن يطهروا الاجتماع الإسلامي عن الأحزاب. وهذه[3] السورة نقسمها على 12 فصلا:

الفصل الأول إلى 3 تعيين مقصد السورة[4] **يَا أَيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا** 1. اتق الله :معناه اجتهد في جمع قوة لأقامة العدل والإحسان[5] ولاتطع الذين هم داخلون في جماعتك وليس[6] المراد عندنا الكفار والمنافقون الخارجون من المسلمين[7] ومعنى لاتطع أي حاربهم[8]. **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** 2. فكل من لم يتبع ما يوحى إليك بالتمام فكان في قلبه مرض أو كان منافقا أخرجهم من

---

(1) سبب تسمية السورة بالأحزاب هذا بأن قبائل العرب المختلفة هاجموا على المدينة،وكان يهود المدينة ومنافقوها معهم؛لكن حزب الله فازوا في غزوة الأحزاب فالله عزوجل ذكرهم كالنموذج للمسلمين بأنهم فازوا فيها مع أنهم كانوا قليلين فهم يستطيعون بأن يقضوا على ملوكية كسرى وقيصر،ويقيموا العدل لجميع الإنسانية.الباحث.

(2) غلبة القرآن أي غلبة الدين على الأديان كلها.الباحث.

(3) في ن ح : تلك السورة.

(4) هو جمع قوة لإقامة العدل والإحسان.الباحث

(5) معنى التقوى عند الشيخ عبيد الله السندي:هو إقامة العدل والإحسان،ويؤيده قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: جماع التقوى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ...النحل:90 ﴾.لينظر:الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني (المتوفى 561ه) 274/2،باب مجلس التقوى، بتحشية أبي عبد الرحمن بن صالح بن عويضة مط: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى : 1417ه.

(6) في ن ح : ليس.

(7) يؤيد قول الإمام الآلوسي الموقف المذكور:" ولاتطع المنافقين المضمرين" لينظر: روح المعاني لشهاب الدين الآلوسي (المتوفى 1270ه) 142/11،ت: علي عبد الباري عطية مط:دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى : 1415ه.

(8) المراد من قوله تعالى:(لاتطع) اي حارب الكافرين والمنافقين؛لأن كل من لم يتبع ما يوحى إليك_النبي صلى الله عليه وسلم_ تماما ففي قلبه مرض أو هو منافق.

جماعتك حتى لاينسب إليك أنك لاتتبع ما يوحى إليك. **وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا 3.** ؛لأن هذه الحرب[1] الحرب الداخلي صعب؛لكن ليس شيئ يترك مهملا فتوكل على الله في إكمال مقصد نزول القرآن، واشتغل برفع هذا النزاع والخصومة.

الفصل الثاني:في تعيين البرنامج من قوله تعالى: **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهنَّ أُمَّهاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهوَ يَهدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهمْ لِآبَائِهِمْ هوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِه وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5) النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهمْ وَأَزْوَاجُه أُمَّهاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (6) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا 8.** المسألة الأولى:جعل التوجه إلى تكميل المقصدين يستلزم فشلا في كل منهما. هذا أمر طبيعي للإنسان أن لايكون له مقصد أصلي إلاشئ واحد؛ لأن كل نظام بدنه عامل تحت نظام مركز واحد. مركزنظام البدن في عامة ألسنة الدنيا يسمى بالقلب؛لأن حركة القلب أقرب علة، وأقرب جزء من العلة التامة لحياة البدن. في الزمان الأول كان الأطباء ينظمون الحركات البدنية تحت نظام، ومنذ ثلاث وأربع مائة سنة حدث فيه تجدد، فأطباء العصر ينظمون على نظام غير نظام الأول؛لكنهم أيضا يجعلون سكون حركة القلب سببا سكون دوران الدم المستلزم للموت، فكان الأمر في تعيين مركز الحياة ما تغير؛ولذلك يستعملون ما يساوي معنى القلب بالعربية في جميع ألسنة العالم لمركز الحياة. فقوله: **ما جعل الله لرجل**[2]. . . . . . إشارة إلى

---

(1) من المعلوم أن الحرب له نوعان أحدهما الحرب الخارجي وثانيهما الحرب الداخلي، فالمقصـــود لدى الشـــيخ الســـندي من قوله تعالى:" لاتطع الكافرين " هي الحرب الداخلي،وهي صـــعب جدا؛لأن الحرب بالكافرين والمنافقين الخارجين عن المسـلمين سـهل، والحرب بالمسـلمين الداخلين _أي المنافقين _ في جماعة النبي _ صـلى الله عليه وسلم _ وهم لايتبعونه تماما صعب.الباحث.

(2) قد ذكر غير واحد من المفســـرين أن هذه الآية المذكورة نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين،وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليه.لينظر:تفســـير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,336/6.

توحيد المقصد لازم لفطرة الإنسان وله أمثال: إذا خالف الرجل فطرته هذا وجعل له مقصدين متفردين أحدهما من الآخر فيكون حركته هذه مثل أفعال الآخرعلى خلاف الفطرة التي يعملها على خلاف الفطرة فيكون أمرا منكرا عند العامة والخاصة. والمثال الأول من الأمور الغير الفطرية ما كان رائجا في الجاهلية يجعلون الزوجية التي[1] هي تابعة له في تكميل بعض أعماله منزلة الأم[2] التي كانت أصله. يجمعون الأصلية والفرعية في موضع واحد[3]:جمع مثل هذين الأمرين منفردين منكر لاجمع كل أمرين. إذا كان أحدهما أصلا والآخر لازما له لابأس بالجمع؛ لأنه في الحقيقة لايتعدد الكل. إليه الإشارة في **وما جعل أزواجكم**. . والمثال الثاني لهذا الأمر غير الفطري يجعل الرجل ولد غيره المتولد من ماء الغير ولدا له فلايمكن أن يكون متولدا من مائه أيضا. هذان القولان يخالفان الحقيقة، ولايغيرانها إليه الإشارة في **ذلكم قولكم بأفواههم**[4]. . كذلك فعلكم إذا جعلتم مقصدكم أمرين متضادين غير فطري مثل قولكم في هذين المثالين فعلكم هذا أيضا لايغير الحقيقة. والله يريد أن ينبهكم على هذا الخطأ، وتريدون أن تقيموا جماعة عاملة بالقرآن عملا حقيقيا، وتريدون أن تصطلحوا مع جماعة لاتريد العمل بالقرآن بل تريد العمل بخلافه فتوجهكم إلى مثل تينك الجماعتين غير فطرى. مثل أن يكون لرجل قلبان في جوفه فمن أتى بمعارضة هذه الآية برجل خرجت طبيعة عن سنتها فكان له تحت ثديه الأيمن لحمة تشبه القلب مثل الإصبع الزائدة في يد الإنسان لم يفهم القرآن **والله يقول الحق**. . إشارة إلى تبيين الحقيقة، والمنع عن أمور تنافي الفطرة هو يهدي السبيل مترجم بلسان عصرنا هو يقدر لبرنامج قوله في 5 **أدعوهم لآبائهم**[5]. . منع

---

(1) في ن ح : التي لاتوجد

(2) لا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنت علي كظهر أمي أما له.الباحث.

(3) مثلا: كما في التفسير الكبير : "كان في الجاهلية يعتبر قول الزوج للزوجة أنت على كظهر أمي طلاقا حتى كان للزوج أن يتزوج بها من جديد أما في الإسلام فلأنه ظهار لايحرم الوطئ فلا تصير هي أما بإجماع الكل" لينظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (المتوفى 606ه)155/25،مط: دار إحياء التراث العربي بيروت ط: 4، 1420ه =1999م.

(4) قولكم بأفواهكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,336/6.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه عن طريق سالم عن عبد الله بن عمر قال: إن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله.لينظر:صحيح البخاري,الإمام البخاري,رقم الحديث:62

عن تبني الرجل ولد غيره[1]، وجعل المحبة كلها حق أولاده الحقيقة فالذي يتكلف بالظاهر أنه ابن لهذا الرجل لايستحق من الحب ما يستحقه أولاده، ففيه إشارة إلى أن المنافقين والذين في قلوبهم مرض إن كانوا لايستحقون الالتفات إليهم مثل ما يستحقه المؤمنون، فتمثيل التبني إظهار المتبع والمخادع ببداهة فطرته يفهمها كل الناس على السواء. **النبي أولى بالمؤمنين**. . . . هذه[2] الآية تفسيرها من خواص مولانا محمد قاسم[3] هو اعتنى بها في تصانيفه المختلفة اعتناء تاما معنى قوله: **أولى بالمؤمنين** عنده أنه علة لوجودهم فإن هذا التعبير لايمكن أن يصدق على شئ أنه أقرب، وأولى شئ من نفس ذلك الشئ إلاعلى العلة فإنها لو لم تكن لم يكن شئ فهو أولى بالشئ من نفسه، فكذلك معنى النبي أولى أنه علة لهم، والذي هو يكون كالعلة بوجود المؤمنين يكون أبا لهم؛ولذلك جاء في قراءة ابن عباس هو أب لهم[4] :قال[5]: **وأزواجه أمهاتهم** يدل على أنه أب لهم إذا كان زوج الرجل أما فالرجل أب فالمعنى أن النبي بتأثيره الإيماني يتولد الإيمان في قلوب المؤمنين بتأثيره الروحاني فهم مثل أبناء النبي. والذين يعتقدون بأصول مأخوذة من غير هذا النبي من المنافقين والكافرين إذا دخلوا أنفسهم في جماعة أهل الإيمان فهم يكونون مثل الأدعياء لامثل الأولاد فيسندون. فإن أراد رجل أن ينشأ له عائلة مقيمة لأصول التي بني عليها نظام العائلة فليجتنب من الاعتماد على رجل نسبته إليه غير فطري لئلايزيل بذلك اعتماد. ومن يكون في فطرته الاتباع له من الأولاد فكذلك إذا أراد النبي أن ينظم حزبا على أصل القرآن فليجتنب عن رجال أصول أفكارهم غير القرآن فانتظمت التمثيلات مع أصل المسألة. ذلك الفكر وجدنا في كلام بعض أهل

---

(1) فائدة: يجوز دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب، فليس مما نهي عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي،من حديث سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العرني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حمرات لنا من جمع، فجعل يلطخ أفخاذنا ويقول «أبيني لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشـــمس» قال أبو عبيدة وغيره: أبيني تصـــغير بني وهذا ظاهر الدلالة، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,337/6.

(2) في ن م : تلك

(3) قد سبق ترجمته

(4) جاء في قراءة أخرى:أخرجها الإمام الطبري عن بشر قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفســهم وهو أب لهم .لينظر:جامع البيان في تأويل القرآن، ت: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هــ)208/20 تحقيق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة ط:1، 1420 هـ - 2000 م.

(5) في ن م: شيخنا

العلم؛لكنهم ليسوا محققين لذلك الفكر وشيخ شيخنا له كتاب[1] مستقل[2] على نحو مائتي صفحة أثبت تلك الأصول كلها التي يحتاج إليها تفسير الآية ثم توجه إلى دفع الشبهات التي تخطر على بال الرجل في هذه المسألة وسماه آب حيات[3]، وله توجه إلى تلك المسألة في أكثر تصانيفه استطرادا. ومن أذكياء أهل عصره عارضوه في[4] هذا الفكر فأزال شبهاتهم بكتاب مستقل. ومثل ذلك الاعتناء لم ينقل من أحد أهل العلم وبأمثال ذلك صدقنا تلك المقولة : كم ترك الأول للآخر؟

وأولو الأرحام تفسيره معروف؛لكن جمعه في هذه الآية فيه إشارة عندنا أن نسبة المؤمنين إلى النبي وأزواجه ليست كنسبة أولى الأرحام بعضها ببعض. نسبة أولى الأرحام جسمية . نسبة المؤمنين إلى النبي نسبة روحية إيمانية معنى قولنا نسبة روحية أن شيئا من الروحانية ينتقل إلى المؤمنين حقيقة يكون مثل البذر في قلوبهم لإيمانهم. فالنسبة الروحية عندنا مثل النسب الجسمي حقيقة متحققة ليس هذا كلاما على سبيل التجوز والتشبيه فقط. وقد ثبت مثل ذلك الانتساب من تولد عيسى بن مريم بتأثير روحاني. **وإذ أخذنا من النبين**. . والغرض من هذا الميثاق ما ذكر في 8 **ليسئل الصادقيق عن صدقهم**. . . الذين اتبعوا الأنبياء بالصدق يعنى بأخذهم الإيمان منهم حقيقة يمتاز هؤلاء عن الكافرين المنتسبين إلى الأنبياء أخذنا منهم ميثاقا أن لايجعلون من مستويين؛لأن الله يريد أن يميز الصادقين بواسطة الأنبياء من غيرهم. فالنبوة مقصدها تمييز الصادق من غيره[5]؛ولذلك يكون الرسول شهيدا عليهم. فإذا تعين المقصد مقصد النبوة هل يمكن بعد ذلك إطاعة الكافرين والمنافقين بإنشاء الصلح معهم؟لا.

الفصل الثالث: تمييز الكافرين، والمنافقين، وتعيين أوصافهم، وذلك من قوله تعالى: **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْها وَكَانَ اللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّه الظُّنُونَا (10) هنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)**

---

(1) آب حيات للإمام قاسم النانوتوي.الباحث.
(2) في ن ح: في هذا
(3) كتاب في الاستدلال والمناظرة ضد الملاحدة.الباحث.
(4) في ن ح : من
(5) تمييز الصادقين المؤمنين من غيرهم _ الكافرين والمنافقين _ وهو مقصد النبوة.الباحث.

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهِمْ يَا أَهلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَمَا تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيرًا (14) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهدُ اللَّه مَسْئُولًا (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّه إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهمْ مِنْ دُونِ اللَّه وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْه مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّه أَعْمَالَهمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرًا (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّه وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّه كَثِيرًا (21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هذَا مَا وَعَدَنَا اللَّه وَرَسُولُه وَصَدَقَ اللَّه وَرَسُولُه وَمَا زَادَهمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهدُوا اللَّه عَلَيْه فَمِنْهمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه وَمِنْهمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّه الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّه كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّه الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّه الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّه قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهرُوهمْ مِنْ أَهلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهمْ وَدِيَارَهمْ وَأَمْوَالَهمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا 27. ذكر الله أولا غزوة الأحزاب[1] في الآية 9 **أذكروا نعمة الله. . .** فكان الهجوم من جميع قبائل العرب أوأكثرهم على مركز الإيمان. وكان في المدينة جماعة المؤمنين

(1) كان الهجوم من أكثر قبائل العرب على مركز الإيمان في غزوة الأحزاب سنة 5 من الهجرة،وارتكز في المدينة اجتماع المؤمنين لإقامة الحكومة القرآنية.وفي هذه الغزوة ظهر كل من المؤمنين الصـــادقين،والمنافقين،ومن في قلبه مرض فصاروا كالنموذج.الباحث.

وفيهم منافقون وبجنبهم وجوارهم كفار اليهود مصطلحون مع المسلمين في نظامة الحكومة، وكانوا منهم. هذا الذي ذكرنا في تفسير أول الآية: أن المراد من الكافرين والمنافقين الذين هم داخلون في جماعة المؤمنين هو هذا. فاجتماع المؤمنين لإقامة الحكومة ارتكز في المدينة وكل الجماعة منسوبة إلى الإمام والأمير هو نبينا فأمر بأن يفرق من يجعل نفسه منتسبا إليه في الأمور السياسية على قسمين: مؤمنون صادقون. الآخرون أصناف 1- منافق 2- ومن في قلبه مرض 3- كافر. في هذا الهجوم وحالة ضعف المسلمين ظهر كل منهم بأصل حقيقة. رعب الحكومة ارتفع عن قلوبهم فأظهروا ما كان باطنا في قلوبهم فصاروا كالنموذج في 12. **وإذ يقول المنافقون**. . . **إلى غرورا**. أولا كانوا آمنوا بالمواعيد. هذا كان اعتمادا منهم في السياسة على المسلمين ماكانوا دخلوا كلهم في الإسلام. فإن اليهود كانوا يصرحون بديانتهم؛لكنهم كلهم اعتمدوا على السياسة الموعودة. وبعد ذلك الهجوم تبين لهم أن هذا الاعتماد كان خطأ فصرحوا أن ما وعد الله ورسوله غرور. والذين في قلوبهم مرض فيهم أصناف: طائفة قالوا للمهاجرين لايستقيم لكم القيام في المدينة فارجعوا إلى أوطانكم فإن العرب اجتمعت على عداوتكم فلاتقدرون أن تقاوموهم بالحرب، ولاتجعلوا أهل المدينة أيضا معكم في مصيبة. فالأحسن لكم ولأهل المدينة أن ترجعوا إلى أوطانكم. فريق يتعلل بالأعذار الكاذبة **يقولون إن بيوتنا عورة**. . يعني لايجب علينا القتال إلا إذا فرغنا عن حاجات عيالنا. ولنا في بيوتنا حاجات فنترك القتال فأنذرهم في 17 ونبههم أنهم عاهدوا الله أنهم لايولون الإدبار مطلقا، ولم يشترطوا في ذلك أن يكونوا فارغين عن حاجات الأهل.

جملة معترضة : نحن لانجد مساغا لأهل العلم إذا كانوا وقت تعلمهم العلم يظهرون أنهم يجاهدون في سبيل الله بدون شرط، وكان فحوى قولهم يشتغلون بأمور منعهم عن الجهاد ثم إذا جاء وقت ضرورة انضمامهم إلى المجاهدين فدعاهم شيوخهم فجلسوا بأعذار لهم عذرهم إن كان لعدم كفاية الأموال لعيالهم فهذا عذر بخلاف ما عاهدوا الله. أليس إن ماتوا على الفور؟ يتركون العائلة بلانفقة. فإذا سألهم الرجل بفرض تلك الواقعة واقعة الموت فيوكلون حاجاتهم إلى الله فليس لهم حق أن ينقضوا عهد الله بمثل تلك الأعذار. وعندنا في الهند عذر آخر أيضا أن المشائخ ليسوا أمراء فلايجب الوفاء. وهذا جهل منهم بفلسفة السياسة الاجتماعية؛فليشتغلوا بقراءة كتب الدعاة إلى سوشيالزم.

ونحن استفدنا في ذلك من كلامهم مولانا محمد إسماعيل[1] وتأييده شيخنا تبعا لشيخه محمد قاسم مسألة مولانا الشهيد ثم كتب دعاة الاجتماعيين من أوروبا نفعتنا في مزيد التأييد، وسهلت علينا تنظيم البرنامج النهضة الدينية ما تغلب الكفار على بلادنا. وعرفنا أن[2] القاعدين من الجهاد كما أنهم مطعونون عند الصالحين بالاتفاق جاهلون عن إدراك المبادئ الفطرية، ولايذكرون من أهل العقول إلابالمرتجعين. فليس لهم عزة لاعند المسلمين ولاعند غير المسلمين، والعجب أنهم يزعمون في أنفسهم أنهم هم القوة المركزية للإسلام تمت المعترضة.

وهذا الإنذار تنبيه لهم على أغلاطهم إذا تدبروا فيها. وصنف آخر منهم المعوقون يجمعون الناس إليهم، وهم ينتظرون، ويؤخرون الأمر بإسم الإعداد والتحصيل، ولايفرغون منها إلى أن يموتوا أنذرهم إلى 20. حالتهم تكون بحيث إذا جاءهم الخوف يموتون من الجبن. وإذا ذهب الخوف اعترضوا على المجاهدين بكل قوتهم **سلقوكم**. . . ونحن قد رأينا هذه الطائفة، وأكثر من انتظر لمجئ المهدي هم من هذا الصنف" المعوقون". والذي فهمنا من سياق الآيات أن القرآن يجعلهم غير المؤمنين بالقرآن إما في قلوبهم عقائد السياسية تخالف ما في القرآن وإما ليس في قلوبهم عزيزة يكون بها الإيمان. فالذي يغلب عليه الجبن والبخل والتشرف لايمكن منهم أن يؤمنوا بالإيمان على هؤلاء لايعدون في جماعة أهل الإيمان. هذا كان حكم غزوة الأحزاب. **ولما رأى المؤمنون إلى**. . . . . . **22** في أهل[3] الإيمان كانوا مثل الأولين يعتمدون على النبي في مواعيده. فلما هجم عليهم الأحزاب أيقنوا بأن وعد الله ورسوله لايمكن تحققه إلابانهزام الأحزاب. وهذا كان مشكلا كيف نذهب إليهم؟ فهذه الصورة تسهيل للانهزام فاشتدوا في الشجاعة. مدحهم الله في 23 **من المؤمنين رجال**. . وفي 24 إلى 25 بيان أن الصادقين يجزيهم الله، ويعذب المنافقين يعني أن الصادق والمنافق تبين، وامتاز في هذه الغزوة. وفي 26 إلى 27 ذكر مغلوبية اليهود والكفار. في هذا الفصل ظهر إيمان المؤمن، ونفاق المنافق، وكفر الكافر. فمن تلك الأمثلة يمكن أخذ الحدود للأصناف فالنبي مأمور بتقوية الصادقين، وتخذيل المنافقين.

---

(1) قد سبق ترجمته
(2) في ن ح: المجالسين
(3) في ن ح : أول

الفصل الرابع : في تنظيم توليد المؤمنين الصادقين. هذا من قوله: **يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَه وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَها الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِه وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَها رِزْقًا كَرِيمًا (31) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَه إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ الْبَيْتِ وَيُطَهرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُه أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)** أمر النبي بامتحان أزواجه أمهات المؤمنين، فقال **إن كنتن تردن**. . . ففرض اجتماع أمهات المؤمنين في بيت النبي ليس إلا الله ورسوله والدار الآخرة فالواجب عليهن أن يجعلن أنفسهن معلمات؛لأن الإيمان لايتولد إلا بالتعليم وتوليد المؤمنين. وجمع الحزب منتظم بأمرين بالتعليم والجهاد. فالرجال على الدوام يشتغلون بالجهاد والنساء بالتعليم يتم بذلك إقامة حزب الله للحكومة القرآنية، فنساء المؤمنين يقتدين بأزواج النبي فالنبي نظم بيته لتعليم الآيات، والحكمة في 34 **واذكرن ما يتلى**. . . فكماكان الله أوجب على النبي ما ذكره في سورة الجمعة **يتلو عليهم** . . [1] أوجب على أزواجه أيضا تعليم ذلك؛لأنهن لصحبتهن مع النبي أقدر على أخذ العلوم حقيقة ففرض عليهن التعليم؛ولذلك عين

(1) سورة الجمعة: الآية:2

لأمهات المؤمنين المعلم أب والنبي قال: إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم [1]كل شئ، والمعلمة تكون كالوالدة. ولهذا السر كثرت أزواج النبي. في الحقيقة هن معلمات. ولايمكن إصلاح النساء بمعلمة واحدة. والأخذ عن الرجال إنما يكون إذا كان أصلح ما يكون للنساء هو أن يأخذ النساء عن أزواجهم. فالنبي إذا اقتصر على زوجة واحدة لاتكون المعلمة إلاواحدة، والواحدة لاتكفي؛فلذا تزوج كثيرة؛لتكون معلمات إذ أخذ عنهن الميثاق أولا أنهن لايرون الدنيا فالذين تخرجوا بتعلم أمهات المؤمنين ذكرهم في قوله: 35 **إن المسلمين والمسلمات**. . إن المؤمنين أصناف من الرجال والنساء، فالإجتماعية الصالحة لاتقوم إلا بهم وبهن، فالمسلمون من زمن لماجعل أكابرهم بيوتهم بيوت الزينة والدينا بطل الاجتماعية الإسلامية. وشعار هذه الجماعة المتخرجة ذكرهم الله في 36 **وما كان لمؤمن ولامؤمنة**. . . هؤلاء هم المؤمنون الصادقون.

الفصل الخامس: **من وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْه أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّه وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّه مُبْدِيه وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّه أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاه فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَرًا زَوَّجْنَاكَها لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّه مَفْعُولًا (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّه لَه سُنَّةَ اللَّه فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّه قَدَرًا مَقْدُورًا (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّه وَيَخْشَوْنَه وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّه وَكَفَى بِاللَّه حَسِيبًا (39) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.** 40 أداء فرضهم إذا كان مستلزما للاعتراض من أهل النفاق، والكفرعليهم، وتشنيعهم فالذي ارتسخ في العلم لايتأثر بالاعتراض والتشنيع، ولايتأخر عن أداء فرضه. القرآن بين في حالات القوم أن أكثر ابتلائهم كان بسبب أنهم أثبتوا لله أولادا، وليس هذا مختصا بالنصارى كما غلب هذا الزعم على طائفة من المفسرين[2] بل هو موجود عند الصابئة[3]. هذا المرض عمومي في الإنسانية. فالمفسر لفطرة عامة الناس الذي جعل قبول هذا الفكر الباطل

(1) أخرجه الإمام أبي داؤد في سننه:عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم لينظر: سنن أبي داود تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) 1/ 3 ,باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة(حكم الألباني: حسن) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

(2) كما لايخفى فليراجع تفاسير أهل السنة لتلك المسألة.الباحث.

(3) في ن ح : في اليهود والصائبة.

سهلا عندهم هو تجويزهم تبني الرجل لولد غيره إذا كان هذا جائزا فالله يجعل ولد غيره ولدا له لايكون منكرا في عقولهم. فإصلاح الإنسانية بإصلاح فطرتهم لئلايقبلوا أن يكون لله ولد كان أمرا ضروريا من أهم الضروريات هذا لايمكن إلابإبطال التبني والنبي كان[1] تبنى ولدا زيد بن حارثة[2] ثم زوجه بإمراة من عائلته، وكان حدث بينهما شقاق ففي تلك الحالة كان يتفكر لإبطال التبني فيجيئ في فكره لوترك هذا الولد زوجته أتزوج بها؛فبذلك يخرج هذا الرسم من قريش؛وبذلك يبطل هذا الباطل كان هذا الفكر يغلب عليه. وإذا رفع شقاق الزوجين إليه كان يأمر زيدا بإمساك زوجه، وكان غرضه أنه لايسعى في التفريق؛لأن بذلك تأتي إليه التهمة فلايتم الإبطال؛لذلك لم يكن يأذن له أن يترك زوجه، ومع ذلك كان يحب لو ترك بقرار من نفسه بدون مداخلة النبي أتزوج بها قطعا لإبطال هذا الرسم. إليه الإشارة **إذ تقول للذي** . . . . . فالمصلحة الدينية تقتضي هذا الزواج؛لكن طبيعته كان فيه التأثر من الناس؛ولذا قيل له **وتخشى الناس**. . أنهم يعيدونكم **والله أحق أن تخشاه** يعني: أن المصلحة الدينية يلزم أن تغلب على الحقوق الطبيعية **زوجناكها** أي أمرنا بالتزويج. والذي جاء في بعض الروايات أن الله زوجه إياها في العرش[3] معناه أمر بالتزويج. فالنبي أبطل رسم التبني بفعله لإصلاح ذهنية الناس أن لايقبلوا لله ولدا بعد ذلك، ولايقعون في شرك وفي قوله : **الذين يبلغون رسالات الله**. . إشارة إلى ما ذكرنا من مقصد هذا الفصل فالانقلاب لايمكن إتيانه إلا اذا انتفى خوف الناس من قلب الانقلابي في الأمر الحق. وما جاء في 40 **ماكان محمد**. . . هو ما اعتنى به شيخ[4] شيخنا[5] أشد اعتناء[6] أثبت أن معنى تلك الآية أن محمدا ليس أبا لأحد بالنسب الجسماني؛ولكنه أبو المؤمنين روحانيا؛لأنه رسول الله بل هو أبو الأنبياء روحانيا لكونه

(1) في ن ح : كان لايوجد
(2) هو زيد بن حارثة بْن شراحيل بن كعب من أشهر موالي رسول الله _صلى الله عليه وسلم _وهبته خديجة للنبي _صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ_ بمكة قبل النبوة وهو ابن ثمان سنين، كان زوج زينب بنت جحش، وهي ابنة عمة رَسُول اللَّه_ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ_ وهي التي تزوجها رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ بعد زيد.واستشهد في موتة من أرض الشام في 8 من الهجرة فبكى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ لما سمع خبر شهادته.لينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير (المتوفى 630ه) 2/ 350-351.
(3) أظن أن الشيخ السندي روى الحديث بالمعنى أما لفظ الحديث نصا فقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.رقم الحديث 7420 , باب وكان عرشه على الماء.
(4) الإمام قاسم النانوتوي.الباحث
(5) الشيخ محمود الحسن.الباحث
(6) إن الشيخ النانوتوي اعتنى به اعتناءا تاما في كتابه "آب حيات".الباحث

خاتم النبيين لكونه رسول الله هو موجد الإيمان في قلوب المؤمنين، ويكون في أعلى درجات النبوة مؤثر في نبوات الأنبياء، وله في تشييد هذه المعاني كلام بسيط. وأنا أخذت من تفسير خاتم النبيين: أنه نبي الأمم، ودينه آخر الأديان، وليس فوق نبوة الأمم نبوة فالنبي باعتبار أوصافه الذاتية إن كان أبا روحانيا لجميع أمته؛لكن ليس أبا جسمانيا لأحد لالزيد ولاغيره، ففي الحقيقة لم يتزوج بإمرأة ابنه. وفي نفي أبوة نبينا عن رجال الأمة إشارة إلى أن توريث الخلافة من النبي لايكون على طريقة النسب الجسماني إذا لم يكن له ولد؛فليكن الخليفة أخوه وعمه وبنو أعمامه بل يكون على النسبة الروحانية من يكون أقرب الناس في أخذه العلوم من حظيرة القدس يكون أحق بالخلافة، وهكذا وقع. فإن الصديق كان صديقا نحن سمعنا من مناقب الصديق من مشائخنا كلاما حكيما وقت أخذ الحديث، والإمام ولي الله شرحه في الإزالة تبين قلب النبي يوم بدر[1] قال النبي في دعوته: إن أردت أن تهلك هذه العصابة. [2]والصديق ثبت ذلك اليوم وقال له حسبك" فقد اشترك في أخذ العلم من حظيرة القدس. هذا باعتبار شرح الحكومة وأمثال ذلك. نحن ما رأينا إلى اليوم كتابا بين مناقب الصديق على ما يناسبه. ومن أعلى مناقبه أنه ما غير شيئا كان في زمن النبي. هذا دليل على أن الصديق كان ينظر في حكمة الدين مثل ما كان ينظر النبي وقد جاء شئ من ذلك يوم الحديبية[3]. هو ليس بنبي، وكان في استعداده أن يأخذ من منبع النبوة :من حظيرة القدس.

الفصل السادس: إن هذا النظام أقامه الله لتعليم المؤمنين، وتربيتهم يعلم الأمهات، ويكمل تعليم النبي الذي هو بمنزلة الوالد من. . **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّه ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوه بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُه لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ**

---

(1) لينظر:إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء،الإمام ولي الله الدهلوي،321-323،مناقب أبي بكر الصديق.

(2) أخرجه الإمام مســلم في صــحيحه:حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثني أبو زميل هو سماك الحنفي، حدثني عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وســـلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشـــدتك ربك، فإنه ســـينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: {إذ تســـتغيثون ربكم فاســـتجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: 9] فأمده الله بالملائكة إلى آخره لينظر:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـــ)3/ 1383, باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر, ت:محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(3) وافق رأي الصديق رأي رسول الله _صلى الله عليه وسلم_الباحث.

بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَه سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا 44 فالله أمر المؤمنين أن يذكروه، ويسبحوه؛لأنه هو الذي يصلي عليهم الصلاة عندنا معناه :تبرئة الإنسانية عن الغشوش، والفساد فالله وملائكته يصلون على المؤمنين يعني أن حظيرة القدس متوجه إلى المؤمنين هو الذي أقام نظاما لإخراجهم من الظلمات إلى النور **وكان. . . كريما.**

الفصل السابع: النبي مأمور بالدعة، وتكميل المؤمنين، وعدم اصطلاحه الكافرين والمنافقين هذا الفصل تتمة للأول. الله أقام نظاما هو كله بواسطة نبينا_ عليه الصلوة والسلام_ **ولاتطع الكافرين.** فالكافرون والمنافقون يريدون شيئا غير القرآن، ويبثون الدعايات في المؤمنين أن لايطيعوا أحكام النبي لقصرهم على العمل بالقرآن. هذا كان إذا هم قاصرون. . **وَدَعْ أَذَاهمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلًا** . إذا اشتغل برد الدعاية يلزم منه التقليل في تعليم المسلمين، وفي تكميل إرشادهم. فالمعنى توكل على الله في رد أذاهم، وتوجه نظرك في الدعوة إلى الله، وتشييد المؤمنين، وتكميل قواهم العلمية.

الفصل الثامن: في تنظيم بيت النبي بحيث لاتسري إليه الدعاية. هذا من قوله:**يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهنَّ وَسَرِّحُوهنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49) يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّه عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّه غَفُورًا رَحِيمًا (50) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهنَّ كُلُّهنَّ وَاللَّه يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّه عَلِيمًا حَلِيمًا (51) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا** 52. المرأة التي لم تدخل بيت النبي، وتركها قبل أن يمسها ليست من أمهات المؤمنين. إليه الإشارة في 49 **يأيها الذين آمنوا** . . حكم عمومي، والنبي داخل فيه ثم في

50 طريقة زواج النبي غير طريقة زواج المؤمنين في بعض الأمور. وفي 52 حصر النبي على أزواج يعني ليس النبي بمختار من كل الوجوه. بعض القيود يزيد عليه بالنسبة إلى عامة المؤمنين فإن جعلهن معلمات إنما يستقيم إذا استدامت صحبتهن، ولايجعلن النبي مثلهن شريكا في المعاشرة بل يسلمن درجة عالية في بيوتهن. بهذا النظام لايأتي في بيت النبي من لايحبه إذاكانت النساء كثيرة من بيوت مختلفة فلوجعل لهن من الأمر شئ لأشغلن كثيرا بهن من أهم الأمور، وكان مساغ لأهل العداوة أن يبث فيها الدعاية أيضا. وبهذا النظام انقطع طمع المخالفين.

الفصل التاسع:في تنظيم بيت النبي بحيث لايأتي إليه دعاية بواسطة المؤمنين أيضا في **قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاه وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَه مِنْ بَعْدِه أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا 53**. . فلايدخلون بيته بدون الإذن، ولايجلسون في بيته فوق الحاجة إذا دعوا؛لأن ذلك يفتح باب المداخلة في نظام بيته من جهة المؤمنين ثم أمرنا بالحجاب لقطع وصول الدعاية إليهن **ولاتنكحوا أزواجه**. . لأن نساء النبي قد قرر لهن أن يكن معلمات إلى آخر حياتهن فإذا جاز للمؤمن أن ينكح أزواجه يتغير منهم عما تركهن عليه النبي_عليه الصلوة والسلام_في قوله **لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّه إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.** 55 ذكر لأولى الأرحام أقارب الأزواج لايحتجبن عنهم[1]. وتنظيم هذا البيت لإقامة تعليم القرآن قد توجه إليه حظيرة القدس. إليه الإشارة في **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا**

(1) لما أمر تبارك وتعالى النســــاء بالحجاب من الأجانب، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى: ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نســــائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء [النور: 31] وفيها زيادات على هذه.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,404/6.

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. 56 هذه[1] العبارة تستعمل لتوجه[2] حظيرة القدس. فأوجب الله على المؤمنين أيضا أن يتوجهوا تماما إلى تنظيم هذا البيت كما أقامه النبي إليه الإشارة **يأيها الذين آمنوا**. .

جملة معترضة : بيت النبي كان مشتملا على أزواج لم يكن له ولد من الذكور إنما كانت البنات، وهن يقمن في بيوت أزواجهن بيتهم وبيتهن يكون منفردا من بيت النبي؛لكن النبي_عليه الصلوة والسلام_ دعا لبنته فاطمة أن يكون بيتها منضما إلى بيت النبي وليس في ذلك شئ خلاف الفطرة أمر طبعي. هذا ما قاله النبي اللهم هؤلاء أهل بيتي[3]

فائدة: كما نظم النبي بيته كان واجبا على المؤمنين إبقاء هذا التنظيم على حاله. ولما ادعت فاطمة ميراث النبي[4] ماغيرالصديق من نظام أقامه النبي هذا من كمال علمه بحظيرة القدس، وإن سخطت فاطمة فلم يخش الصديق من الناس، وسعى في إرضائها بعدم تغييره مسلك النبي في بيته. ونحن منذ ما فهمنا حكمة الاقتصاد، وعرفنا أن النبي جعل ما يملكه وقفا ثم إبقاء الصديق على ذلك رأينا أن التثبت على ذلك كان أهم الأمور الإسلامية فالذين أقاموا الغوغاء من الشيعة[5]، والروافض[6] ليسوا إلا جهلة لايعلمون حكمة الله في دينه .

---

(1) في ن ح : تلك

(2) في ن ح : توجه لاتوجد.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده:حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا» . فقالت أم سلمة فقلت: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: «إنك إلى خير»لينظر:مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل،رقم الحديث:26597.

(4) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن طريق عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة والعباس عليهما السلام، أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك، وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال» قال أبو بكر: والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت.لينظر:صحيح البخاري,الإمام البخاري,رقم الحديث:6725.

(5) قد سبق الكلام عن هذه الفرقة.

(6) سبب تسميتهم بهذا الاسم يرجع إلى رفضهم إمامة أبي بكر وعمر _رضي الله عنهما_ لكن الإمام الرازي يرى أن سبب تسميتهم بهذا الاسم يرجع إلى رفضهم لموقف زيد بن علي من أبي بكر الصديق حيث يقول : " إنما سموا بالروافض لأن زيدا بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم خرج على هشام ابن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه، ولم يبق معه إلا مائتا فارس . فقال : - أي زيد بن علي – رفضتموني . قالوا : نعم ، فبقي عليهم هذا الاسم " وقال الإمام ابن تيمية : " قيل للإمام أحمد : من الرافضي ؟ قال : الذي يسب أبا بكر وعمر . وبهذا سميت الرافضة، فإنهم رفضوا زيدا بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر

الفصل العاشر:الدعاية لعدم تعميل أمر النبي في حياته، وبعد مماته حرام من قوله: **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52) يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاه وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَه مِنْ بَعْدِه أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوه فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه لَعَنَهمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهمْ عَذَابًا مُهينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58) يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59) لَئِنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا 62**. . النبي لايتأتى من شئ مثل تأذيه من مخالفة أمره. هذا الأمر يعرفه من كان من أولى الأمر ثم يعرفه من كان قيما للانقلاب ثم يعرفه من كان معلم الحكمة لقوم أميين، فبث الدعاية المرتبة ليخالف الناس أمر النبي ملعون أشر اللعنة. **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات**. . معناه عندنا الذين يتهموهم بأنهم لايطيعون أمر النبي **فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**. هذا يعرفه

وعمر؛ لبغضهـم لهمـا، فالمبغض لهما هـو الرافضي.لينظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:324ه) 89/1، وأيضا: مجموع الفتاوى للشيخ بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) 435/4 ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشـريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ط: عام: 1416هـ/1995م.

من كان له محبة في شيخه ثم شيخه يكون مثل أبيه ثم شيخه يكون من أولى الأمر[1] ثم يعرف أن الشيخ يعتمد عليه في مقاصده العالية. فإذا عرف بعد ذلك أن ناسا أوصلوا إلى شيخه أنه يخالفك بدون جرم منه كيف يكون تأذية؟هذا أمر باعث على لعن هؤلاء الناس، وأشد من ذلك أنهم يوصلون إلى النبي أن المؤمنين لايطيعونك في نظام بيوتهم خاصة، ويشيعون الفواحش بهتانا عليهم . ومقصدهم من ذلك هو رفع اعتماد البعض على البعض. هذا هو فساد الاجتماعية التي هي مركز الارتقاء. فالنساء يؤمرن بخصوصية لباسهن فيكون اجتماعة أهل الإسلام في المعاشرة ممتازة. وبعد هذا الامتياز إذا تعرض المنافقون لاتهام المؤمنين يجازون فيخرجون من المدينة فلايقبلهم اجتماعة ما بالعزة والإكرام. بهذا يتحقق عدم إطاعة النبي للكافرين والمنافقين ثم تطهير جماعة عنهم.

الفصل الحادي عشر: إخراج هؤلاء من المدينة يحتاج إلى تمكن تام في الحكومة. وهذا يكون بعد إتمام الانقلاب الذي يعبر عنه بالساعة في لسان القرآن. يسئلون متى يأتي الانقلاب؟ وجواب السؤال المذكور في الآيات المذكورة **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوههمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهِمْ لَعْنًا كَبِيرًا** 68 وهو لاينبغي أن يسئل عن وقت الساعة بل يجب التفكر في النتائج التي تأتي بعد الساعة ذكر الله ما يأتيهم من الإهانة في السعير. وتنيجة لعنهم لايجدون وليا، ويرجون أن يكون لسادتهم ضعفان من العذاب معنى هذا: أن اجتماعتيهم لاتبقى قائمة يسبون، ويتسابون، ويتركونهم، ويرجون أن يكونوا مهانين.

الفصل الثاني عشر: في استلزام تلك الاجتماعية للحكم، والملك، والخلافة. هذا من قوله: **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

---

(1) في ن ح: هذا يعرفه من كان له محبة في شيخه ثم شيخه يكون مثل أبيه ثم شيخه يكون من أولى الأمر.لاتوجد

وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الْإِنْسَانُ إِنَّه كَانَ ظَلُومًا جهولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّه الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّه غَفُورًا رَحِيمًا 73 . كالذين آذوا موسى. . والذين آذوا موسى ذكرهم الله في المائدة في **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّه لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيها قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوه فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّه فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَدًا مَا دَامُوا فِيها فَاذْهبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هاهنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25)** كان هذا الإيذاء[1] عدم الايتماربأمر موسى أمرهم وقال **ادخلوا الأرض**. . . وفي 22 **إن فيها قوما**. . . وفي 24 **قالوا يا موسى**. . . أصروا على العصيان فتأذى منه موسى **قال رب إلى الفاسقين**. . فإن كان المسلمون أيضا يؤذون النبي ويخالفون أوامره فيما نظم لهم من منازلهم هل يمكن أن يكونوا مالكين للخلافة؟**فبرأه الله**. ما قالوا في البخاري في تفسيرذلك حديث[2] هو معلول من الإسرائيليات، والصحيح هوما حكاه الله في 23 **قال رجلان إلى مؤمنون** هؤلاء أطاعوا موسى ففتحوا البلاد، ولم يذهب إلى فتح البلاد لاموسى ولاهارون **فبرأه الله مما قالو**: أن أحدا من بني اسرائيل لايطيعه في أمر الجهاد، ويقاتل هو بنفسه. **فاذهب أنت وربك**. . . **وكان عند الله وجيها** فألهم الله رجلين من بني إسرائيل فقاموا وفعلوا ما أمروا به وكان معنى تهمة بني إسرائيل على

---

(1) في ن ح : كان هذا الإيذاء كان.

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة: وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها.لينظر:صحيح البخاري,رقم الحديث:3404.

موسى أنه يريد إهلاك بني إسرائيل، وإبقاء نفسه. هذه التهمة أشاروا إليه **اذهب أنت وربك**. . **فبرأه الله** . . . رجلان من بني إسرائيل ذهبوا وقاموا بالأمر وفتحوا ورجعوا سالمين. وكل هذه موجودة في التوراة. تلك الكلمة فبرأه الله هي التي كانت سبب قبول الرواية الإسرائيلية فإن استلزم عدم الاعتماد لاتهام موسى بتهمة ممالايتفطن لها عامة الناس **يآيها الذين آمنوا اتقوا** أقيموا العدل. . **وقولوا قولاسديدا** يعني إذا أمرتم بأمر يؤيد الحكم والملك ليسهل لكم إقامة التقوى فقولوا قولاسديدا: ايتمروا بذلك الأمر **يصلح لكم أعمالكم** الأمور العظيمة الفاسدة تصلح ببركة هذه الإطاعة **ومن يطع الله** . . . يعني يحصل لهم الخلافة[1] على جميع وجه الأرض. **إنا عرضنا الأمانة**. . . . الأمانة معنى التكليف لإقامة حكومة نظامها مبني على العلم والعدل. عرض الله هذا الأمر من يقوم برد الجهل والظلم فنجعله أقرب إلينا من كل شئ على السموت والأرض والجبال من الملأ الأعلى أي على المدبر للسموت والأرض من الجن وملأ السافل والجبال والجمادات كلها **فأبين أن يحملنها**:معناه باعتبار الاستبداد، وتفصيل ذلك الحكم : الملك له خدام هو يريد أن يستخدم بعض خدم أمرهم ثم يكرمه بتفضيل على جميع الخدم هو يعرف أنه إذا فوض الأمر إلى هؤلاء لايصلحون لذلك ؛لكن ما إذ لم يشركهم في اختيارالأمر يشكونه في آخر أمره إذا فضل عليهم ذلك العامل؛فلسد هذا الفساد ولقطع لسانهم يقال لكل واحد منهم من فعل منكم كذا وكذا نعطيه كذا وكذا. هذا مباح واحد. ففي تلك الحالة يتفكرون في حقيقة الأمر لابالتنافس فقط فإذا تفكروا رأوا أنهم لايصلحون لذلك فينقطع لسانهم بعد ذلك من الشكوى، ولذلك قيل من أراد منكم أن يقيم الحكومة لإقامة العدل ورفع الجهل والظلم فأهل السموت وأهل الأرض السهلة وأهل الأرض الجبلية أو الجبال أيضا نظروا إلى أنفسهم فرأوا من هو عالم وعادل يعرف معنى الجهل والظلم، ومن هو جاهل لايعرف معنى العلم والعدل. هذا أمر لايتأتى إلا من جامع بين الأمرين، ولم يكن في السماء والأرض نوع يصلح لذلك إلا الإنسان؛لأنه جاهل، ويستطيع أن يكون عالما. وهذا معنى قوله **جهولا**:وهو ظالم، ويستطيع أن يكون عادلا. وهذا معنى قوله: **ظلوما** فمعنى قوله **إنه كان**. . أي لأنه كان وهو وجه امتيازه من المخلوقات كلها. فإذا أقيمت حكومة مثل ذلك

---

[1] في اصطلاح الإمام ولي الله الدهلوي المراد بالخلافة حكومة عالمية للمسلمين.لينظر:حجة الله البالغة،الإمام الدهلوي ،27/1.

يكون نتيجة أن الله بواسطة هؤلاء الحكام **يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** ويتوب الله بالرحمة على أهل الإيمان بواسطة هذه الحكومة **وكان الله**. . . . إنما أمر الله أن يطيعوا أوامر النبي، ولايؤذونه بإتهامه أنه يريد الحكم عليهم فإذا أطاعوا أوامره يجعلهم ملوكا لايصير هو نفسه ملكا عليهم بل إنما يعلمهم. وبعد ذلك لايتهمونه يكون بريئا وجيها.

جملة معترضة : لما كان الناس تكلموا في حادثة زينب[1] يعني أنهم اتهموا النبي[2] أيضا جاء في أفهام الناس أن موسى أيضا اتهموه بشئ مثل ذلك فقيل أنه كان آدر يعني بشئ يتعلق بالنساء مثل أمر زينب، وهم لم يتفطنوا أن بنى إسرائيل اتهموا موسى بقتل كل بني إسرائيل بإخراجهم إلى الأعداء. ومثل ذلك الكافرون والمنافقون يتهمون النبي_عليه السلام_ أنه يريد أن يتحكم عليهم. فإذا أطاع بنوإسرائيل أمر موسى تبين لهم أنه ما يريد إهلاك بني إسرائيل **فبرأه الله مما قالوا وكان**... وبعد ذلك ثبت وجاهته أنه أراد أن يجعل بني إسرائيل حاكمين على الناس. بنوإسرائيل إلى الآن لايجوزون أن يكون في البشر رجل آخر مثل موسى. هذا من ظهور وجاهته على بني إسرائيل. وهكذا إذا أطاع المؤمنون أمر النبي يجعلهم خليفة من أعظم الخلفاء على وجه الأرض، وليس له ولالعائلته حظ منه إلا التعليم وإلا النصيحة فظهر وجاهة النبي عند ربه على الناس. فالمسلمون طوائف منهم يعدون من الممتنع أن يكون بشر أفضل منه، ويرجحون في القوة على أربعين مثل موسى، فالمقصد ليس إلا إقامة الحكم. ونظام الحكومة يكون الخليفة يجازي المشركين والمنافقين بحكم من عنده يثبت عليهم بالدلائل والبراهين، ويتخذون نائبا لنفسه ثم يترافعون[3] أحكام خليفة

---

(1) هي أم المؤمنين زينب بنت جحش ، من قبيلة أسدية ،كانت قديمة الإسلام ،ومن المهاجرات وقد تزوجها زيد بن حارثة، مولى النبي _صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ_ ثم إن الله تعالى زوجها النبي _صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ _،كانت كثيرة الخير والصدقة وبسببها أنزل آية الحجاب،توفيت سنة 20ه،وصلى عليها عمر بن الخطاب _رضي الله عنه _ ودفنت في البقيع بمدينة المنورة.لينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين ابن الأثير (المتوفى 630ه) 127-126/7.

(2) ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (38) يقول تعالى: ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب رضي الله عنها التي طلقها دعيه زيد بن حارثة رضي الله عنه. وقوله تعالى:سنة الله في الذين خلوا من قبل أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودعيه الذي كان قد تبناه وكان أمر الله قدرا مقدورا أي وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,380/6.

(3) في ن ح : ثم يتعارف الناس أحكام خليفة الله يرحمهم.لاتوجد في ن إ.

إلى الله يرحمهم، ويغفرلهم، ويشكرونه. وبدون إقامة الحكومة لايمكن إثبات تلك الصفات لله رب العالمين عند عامة الناس.

سورة سبا

الاجتماعية تولد الحكم. قد بحثنا في سورة الأحزاب عن الاجتماعية، وبحثنا عن تطهيرها من المخالفين حتى يكون باعثا للقوة. الحكم يحصل إما بالاجتماعية وإما بالانفرادية. الرجل يملك القوى الخارقة للعادة فالناس يطيعونه، وهو يقدر أن ينشأ الاجتماعية والحكم؛لكنها غير مستقرة إذا مات هذا الرجل لم يقدر أحد أن يخلفه(1) فتنشر الاجتماعية الحاصلة بقوته الخارقة. هذا النوع الثاني إنما يمكن إذا لم يترق الإنسانية حق الترقي، فكلما ارتقت أخذت الاجتماعية مكان الانفرادية، فالحكومات في الأزمان السابقة تستند أكثرها إذا كانت جامعة للأقوام إلى أمور خارجة. فالاجتماعية التي تنشأها(2) القرآن هي ليست مشتملة على أمور خارقة بل مشتملة على علم، وحكمة اجتماعية . هذا النوع من الحكم أحسن من النوع الأول، وإن كان الناس معجبين بالنوع الثاني. فإنشاء حكم على أصول الاجتماعية تجمع الأقوام إن كان في الظاهر ليس إلاعلى طريق خرق العادة الذي يعجب الناس. فارتقاء الاجتماعية إلى تلك الدرجة لم يكن معتادا فكان كالقوة الخارقة؛لكن نوعيتها تختلف من نوعية القسم الثاني في الانفرادية في القرآن. إنما هي لله وحده لاشريك له. الأمور الخارقة في الحقيقة راجعة إلى أسباب؛لكن تلك الأسباب عالية من الجسمانية المحضة، فالقرآن يهدي الناس إلى الاتصال بالأسباب العالية فيكون كل شئ في الظاهر خارقا للعادة يرجع بأسباب عالية إلى سنة الله المقررة. والناس عامة يسندون تلك الصداقة إلى أسباب غير عالية إلى أسباب سافلة فيخطأون في فهم الاجتماعية، وقوتها. اجتماع الناس كلهم في قانون واحد لايمكن إلا بعد رفع الالتباس بين الأسباب السافلة، وبين الأسباب العالية. فالأسباب العالية كلها منتظمة بواسطة حظيرة القدس تحت أمر الله الواحد القهار. فتنظيم الأسباب بتدبير وحداني بأمر الله وحده لاشريك له :هو توفية حق الفطرة الإنسانية. فالاجتماعية في الإنسان تكون من

(1) في ن م : يخلفه بدون أن
(2) في ن ح: أنشأ .

فروع ذلك التدبر العالي تكون موافقة للفطرة. أما إذا حذفنا تنظيم الأسباب العالية في تدبير واحد إذا لم نستطع أن نحيط به فيضطر الإنسان إلى قبول الشرك الضد للفطرة الإنسانية. فكان المقصد الأهم هو إثبات الاجتماعية تحت تنظيم الأسباب العالية هو الأمر الحق في تحصيل الحكومة، والخلافة للإنسانية. وأما الاعتماد على أسباب بدون تنظيم ، وإن كان بتقليد رجل من المحققين فلاينفع نفعا تاما للإنسانية إذا خرج ذلك الرجل الصالح من البين يفسد النظام كله بأدنى سبب مخالف ثم لايقدر الناس على إصلاح ذلك الفساد. قوله تعالى: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَه الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيها وَهوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**. هاتان الآيتان تثبتان نزول التدبير الإلهي الوحداني في حظيرة القدس. فالأمر في الحكم كله يرجع إلى الله. يعلم كل شئ ما ينزل وما يعرج: الأمور التي تكون بالأسباب العالية أو السافلة كلها منظم بتدبير وحداني فالرجل الذي يتدبر في نظام التدبير، ويتفكر في المبدأ يحمد الله الذي له ما في السموت والأرض. وكل شئ في السموت والأرض لله وحده ثم إذا تدبر في المرجع أيضا يرى منظما في تدبير وحداني، وإليه الإشارة في قوله: **وله الحمد في الآخرة. . وهو الحكيم الخبير**. فأسماء الله ذكرت هنا الحكيم الخبير، فأساس جميع النظام في السموت والأرض تحت الحكمة نعني: تحت القوانين الكلية يحيط [1]بجميع أطراف الحكمة ربنا الله، وإليه الإشارة في إسم الخبير. فالاجتماعية التي يريدها القرآن أن ينشئ من الحكومة ليس مبناها على القواعد الجزئية، وليس مبناها على الأسباب لايحيطها العلم، فبهذا المعنى تكون اجتماعية القرآن أعلم من كل اجتماعية مضت في الدنيا. وفي الثانية إشارة إلى حظيرة القدس مظهر العلم التفصيلي. والناس على قسمين: قسم لايعترف بتلك المبادئ. هؤلاء الذين لايؤمنون بالساعة. فالعالم الإنساني في الدنيا لايختتم بل يرجع إلى عالم عالي أعلى من هذا العالم الجسماني. فمن لم يتفكر في الإنسانية بقبول ذلك المبدأ لايفهم التعليم القرآني الذي في هذه السورة الواجب عليه أن يصحح أفكاره ثم أن يتفقه في الاجتماعية. إليه الإشارة في قوله: **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي**

---

(1) في ن ح: محيط

الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ. 5. أكثر المفسرين يجعلون هذا القدر كافيا في إثبات الساعة، ولايطمئن به قلوب طلبة الحق. وعندنا يكون في بعض الحالات للإعراض عنهم في سلسلة الكلام فيصرح فقط أنهم ليسوا على الحق يعني الكلام مبهم يأتي في موضع آخر. في هذه السلسلة لازم أن لايجعلوا مخاطبين. ولاحاجة إلى إقامة الدليل أو إيضاح المطلب إلى حد يتبين خطأهم بل إظهار إنا مطمئون بذلك إليه الإشارة **قل بلى**. . . قوله: **عالم الغيب إلى رجز أليم**. كله إشارة إلى حظيرة القدس، وبيان كيفيتها هومبدأ المجازاة. ويكون الكلام لنا في إثباتها في موضع آخر. **والذين سعوا**. . التدبير الوحداني الذي يدل عليه القرآن هم يسمون أن لايفهم الناس، ويظهرون للناس أن الكتب الإلهية غير كافية في تفهم. هذا معنى قوله: **معاجزين** :عندنا حظيرة القدس علة لمجازاة هؤلاء بعذاب من رجز أليم، فتلك الطائفة ليس لنا الكلام في هذا الموضع معهم إنما الكلام إلى رجال أوتوا العلم، وإليه الإشارة في **وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هوَ الْحَقَّ وَيَهدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ 6** ثم يفهمون معنى الاجتماعية الصالحة التي بحثنا عنها في سورة المتقدمة،[1]ويسندون إنشاءها إلى أسباب عالية منظمة في حظيرة القدس بتدبير إلهي، وهؤلاء الذين أعرضنا عنهم هم في استبعاد، وفي تردد ليس عندهم قوة توجيه الواقعات على نظام مثلا :يقولون . **هلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ7**. فالتمزيق إنما يرجع إلى الجسد الإنساني فقط . وإعادة الجسد هو المدعى لمن أثبت الآخرة ليس بصحيح، فهم إلى الآن ما فهموا مورد النزاع ثم لايقدرون أن يقرروا إقرارا في حق هذا الرجل بل هم في تردد يقولون **أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِه جِنَّةٌ 8** رجل يتعمد الكذب أو فاقد للعقل رفع عنه القلم فلايقدرون أن يعينوا في حق القائل قولا، فعدم الفهم، وعدم الاهتداء إلى الحق يكون سببا لعذابهم لايطمئن قلبهم بشيء، إليه الإشارة في قوله: **بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ** والعذاب هو عدم الاطمينان. والضلال البعيد كل شك يأتي لهم تحت شك. وفي قوله:**أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ**

---

(1) أي سورة الأحزاب.الباحث

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهِمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ 9 إشارة إلى ما يذهب باضطرابهم حتى يحصل لهم الاطمينان: إن كان فيهم مسألة التحقيق يعني يرون إلى ما بين أيديهم، وما خلفهم، وما فوقهم، وما تحتهم هل شئ منها صادر بعقلهم، وتدبيرهم؟ وإذ ليس فليعتمدوا على من أنشأ هذه القوى كلها، وتتصورون وسعة قدرته بالنظر إلى الواقعات التي وقعت في التاريخ، ويعرفونه يرون بعد ذلك أن الخسف في الأرض، ونزول العذاب من السماء كلاهما ممكن بالنظر إلى قدرة الإله الحق. فإذا كان شئ ممكنا فلايصرون على إنكاره، وإبطاله. فإذا أنابوا إلى الله بهذا الطريق يهتدون. لو أقمنا مع هؤلاء المنازعة يستحقون بيانا بنوع آخر؛لكننا نريد أن نبحث في أمور يعرف أهل العلم كونها حقا، فنؤخر الكلام إلى زمن آخر حتى لاينتشرالبحث فيهم رجال عندهم شكوك، لكن استعدادهم قريب للاهتداء. هذا النوع من التأخير في المباحثة يصعب عليهم، وهم يريدون أن يفهموا هذا البحث العلمي فهم لايريدون إلا التنبه على طريق الهداية فيشار إليهم. والآن نبحث مع أهل العلم. كانت قبل ذلك خلافة لداؤد، وسليمان : إن شئت من اجتماعية صالحة أقامها نبي الله موسى فمثل ذلك الاجتماعية التي يقيمها القرآن تكون سببا لإنشاء الخلافة مثل داؤد وسليمان. في السورة السابقة المقارنة بين موسى، ومحمد_ عليهما الصلوة والسلام_ لاتكونوا كالذين آذوا موسى يستمرالذهن بقبول هذه المماثلة، فالبحث في خلافة داؤد وسليمان من قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَه وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَه الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَه عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْه بِإِذْنِ رَبِّه وَمَنْ يَزِغْ مِنْهمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْه مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَه مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْه الْمَوْتَ مَا دَلَّهمْ عَلَى مَوْتِه إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**14 الأعمال التي أتى بها داؤد وسليمان تحت قوانين جزئية تختص بذواتهما تأتي بها الأمة المحمدية تحت قوانين كلية اجتماعية عامة. إلى هذا الفرق إشارة في 14. **وَلَقَدْ آتَيْنَا**

دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا: فضلناه على الاجتماع[1] ([2]). فمن ذلك التفضيل[3]: **يا جبال أوبي**. . الجبال، والطيور يتأثر بكلامه قد ذكرنا من قبل أن التجلي القائم في حجر الكامل البحت يزيد في قوة المعدنيات والنباتات والحيوانات فيتأثره العارض يصدر منها آثار مثل أعمال الإنسان فلايكون ذلك إلا تأثير الإنسان الكامل. وكذلك قوله **وألنا له الحديد**. . هذا كان مختصا بداؤد، وهو يستعين بذلك الفضل في ارتقاء الارتفاقات الاجتماعية[4]. إليه الإشارة في 11 **أن اعمل سابغات**. . ومعنى قوله **واعملوا صالحا**. . أي للاجتماع. ثم فضل سليمان: أولا **تسخير الرياح غدوها شهر ورواحها شهر** ونسخ الرياح مرجعه إلى نزول التجلي القيوم للرياح. **وكذلك أسلنا له عين القطر**[5]. . والريح والجن متقاربان في قسم الحياة، فالتجلي المسخرللريح يسخر الجن أيضا. والجن والشياطين قسمان: قسم من الإنس يقال له شياطين الإنس وشياطين الجن. والجن القسم الصالح منهم أيضا ينقسم مثل الشياطين إلى الإنس والجن. وبعض الإنسان يقال له الجن أيضا والجن الذي هو مخلوق مثل الملائكة من نار، ودرجتهم درجة النسمة في بدن الإنسان هم لايرون ظاهرا لابقوة التخييل أو يتمثلون بصورة الإنسان، فالجن الذي يعمل لسليمان طائفة منهم الجن الحقيقي؛لكنهم متمثلون بصورة الإنسان، وطائفة من الإنسان متقاربون في الطبع إلى الجن فهم يقتدون بهم في أعمالهم . أما إذا بقي الجن على حالته الأصلية فلايرى بالعين ظاهرا. كانوا مسخرين بالجن الحقيقي بتأثير القيوم، والجن الإنساني من خوف العذاب عليهم رجال مقررون يضربونهم إذا افتروا في

---

(1) يؤيده قول الإمام الشـــوكاني حيث أنه ذكر أقوالا عديدة في تفســـير الفضـــل منها:قيل: القوة وقيل:الحكم بالعدل.لينظر:فتح القدير،الإمام الشوكاني،361/4.

(2) أي أعطانا الحكومة الكبيرة لداؤد _عليه السلام_الباحث.

(3) يقول الإمام الشـوكاني:والأولى أن يقال: إن هذا الفضـل المذكور هو ما ذكره الله بعده من قوله:يا جبال إلى آخر الآية، لينظر:فتح القدير،الإمام الشوكاني،361/4.

(4) يقول الإمام الشـوكاني في تفسـير قوله: ألنا له الحديد:جعلناه لينا ليعمل به ما شـاء. قال الحسـن: صـار الحديد كالشمع يعمله من غير نار.وقال السدي: كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضـــرب بمطرقة، وكذا قال مقاتل، وكان يفرغ من عمل الدرع في بعض يوم. لينظر:فتح القدير،الإمام الشوكاني،362/4.

(5) قال ابن عباس رضـي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وغير واحد: القطر النحاس. قال قتادة: وكانت باليمن، فكل ما يصـــنع الناس مما أخرج الله تعالى لسـليمان عليه السـلام قال السـدي: وإنما أسـيلت له ثلاثة أيام.لينظر:تفسيرابن كثير:440/6.

العمل[1]. في صحائف التوراة ذلك[2] أنهم قوم استعارهم سليمان من ملك مجاور له أشداء في القوة صناعون ماهرون فاشتركوا مع الجن المتمثل فعملوا[3] له تماثيل[4] وجفانا[5] وقدورا[6] . كل شئ يحتاج إليه في تعظيم مسجد القدس. هذا الأمر أيضا كان مختصا بسليمان إذا مات لم يخلفه أحد يقوم مقامه. في 14 **فلما قضينا**. الاصطلاح في الأمور القدسية التي تأتي من الله أنه إذا مات رجل قام آخر مقامه فما انقطع توجه حظيرة القدس عند الرجل الثاني لايقال إن الرجل الأول مات فإذا بقي هذا التوجه إلى الخلفاء بعده مثلا إلى عشرة مدارج فمضى في تلك المدة خمس مائة سنة، وتوجه حظيرة القدس قائم على حاله يقال على حسب ذلك الاصطلاح أن الرجل كان عمره خمس مأئة سنة فإذا انقطع توجهها في حياة ذلك الرجل يقال على حسب ذلك الاصطلاح أنه مات، وإن كان حيا في الدنيا. هذا اصطلاح عمومي في صحائف التوراة. نحن نستعين به في حل تلك الآيات، وذلك اجتهاد مني في 10 **ولقد آتينا**. . . توجه حظيرة القدس كان إلى داؤد وفي آخر 13 **اعملوا آل داؤد**. علمنا أن توجه حظيرة القدس إلى سليمان لم يكن مستأنفا بل دوام التوجه الذي كان من حظيرة القدس إلى داؤد أي آل داؤد **فلما قضينا عليه**. أي على آل داؤد الموت انقطع عنهم توجه حظيرة القدس، وكان ذلك بعد وفاة سليمان ودفنه في قبره مات سليمان طيبا مثل أسلافه ما جرى عليه شئ ينقصه من مرتبته هو كان النموذج الأعلى للخلافة في بني إسرائيل ما استحق أحد مثله من بنى إسرائيل الملك بعده. ولما دفن هو في مقابر أجداده هذا هو كان موته **ما دلهم على موته**. موت آل داؤد **إلا دابة الأرض**. إذا انقطع عن كامل

---

(1) يذكر الإمام الشوكاني في تفسيره:ومن يعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه به: وهو طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير قال أكثر المفسرين: وذلك في الآخرة، وقيل: في الدنيا. قال السدي: وكل الله بالجن ملكا بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فتحرقه.لينظر:فتح القدير،الإمام الشوكاني،363/4.

(2) في ن ح :ذكر

(3) في ن ح : فيعملون.

(4) والتماثيل: جمع تمثال: وهو كل شيء مثلته بشيء، أي:صورته بصورته من نحاس، أو زجاج، أو رخام، أو غير ذلك. قيل: كانت هذه التماثيل صور الأنبياء، والملائكة، والعلماء، والصلحاء، وكانوا يصورونها في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهادا.وقيل: هي تماثيل أشياء ليست من الحيوان. وقد استدل بهذا على أن التصوير كان مباحا في شرع سليمان، ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,363/4.

(5) الجفان جمع جفنة: وهي القصعة الكبيرة.المصدر نفسه:363/4.

(6) قال قتادة: هي قدور النحاس تكون بفارس، وقال الضحاك: هي قدور تنحت من الجبال الصم عملتها له الشياطين.المصدر نفسه.364/4.

توجه حظيرة القدس ذكرنا أنه مات. وإذا جلس رجل لم يتوجه إليه حظيرة القدس من الأصل مقام رجل مجتبى نقول أنه جلس دابة الأرض مقام إنسان كامل ليس له نسبة إلى السماء فولد سليمان قام مقامه وشقى اجتماعية بني اسرائيل الذين جمعهم داؤد. كان قبيلتان مع ولد سليمان، وعشر من القبائل بغت عليه. هذا هو دابة الأرض[1] أكلت عصا حكومة آل داؤد **فلما خر**. هذه عشرة قبائل من بني إسرائيل كانوا شكوا إلى ابن سليمان شدة الخراج عليهم، وتضييق العمال في الأعمال فاجتمع أكابر القبائل، وقدموا إليه أنه يخفف عنها فهو أخرهم إلى الاستشارة بوزرائه فاستشار أولياء الأمور التي كانوا بقايا من أصحاب سليمان هم أشاروا إليه أن يخفف ليرضى الناس ثم استشار في اليوم الثاني الشبان الذين انضموا إليه هم أشاروا إليه بالتشديد أزيد من الأول فهو وافق الشبان، وما خفف ثم هم القبائل بغوا عليه، وخرجوا من إطاعة هؤلاء، كان فيهم الطوائف فيهم من الجن الذين عملوا مع الجن المتمثل زمن سليمان، والجن المتمثل كانوا يلاقونهم. فالوقت الذي هم بعد سليمان بغوا تحت طاعة ولده، وهم تحملوا الشدائد من ابنه بعد البغي حصل لهم أنه قد انقطع توجه حظيرة القدس فعلموا أن الجن لايعلمون الغيب، وإلا أخبرونا من انقطاع التوجه، وما تحمل الشدائد ابن سليمان **فلما خر** آل داؤد من الحكم، ووقع البغي، وفاز البغاة هم اجتمعوا على أخذ ابن سليمان ففر منهم هذا أو أن خرروه، وهو المعبر عنه بالموت **تبينت الجن** يعني للناس أن لوكانوا يعلمون الغيب **ما لبثوا** يعنى الناس متعلقين بالجن **في العذاب المهين**. من ولد سليمان ولايوما. هذا كله مذكور في صحائف التوراة فلاحاجة إلى اختراع تلك القصة الخرافية يقول الخازن: قيل في معنى الآية :"أنه ظهر أمر الجن وانكشف للإنس أن الجن لايعلم الغيب **تبينت الجن**. يعنى ظهر أمر الجن".[2] فالاجتماعية التي أنشأها القرآن تصغر وتكبر حسب

---

(1) ملاحظة خاصة : " إن ضميرعليه في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْه الموت...﴾ يرجع إلى أولاد داؤد عليه السلام لا إلى سليمان عليه السلام " فيكون كلام الشيخ صحيحا استدلالا من القاعدة النحوية وهي" أن الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور" لأن كلمة " آل " في الآية السابقة قوله تعالى :﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا... سبا:13﴾ أقرب باعتبار مرجع الضمير في (عليه) أما كلمة " سليمان " أبعد باعتبار مرجع الضمير .أما مفهومه هو عدم أهلية ابنه.والمراد من الموت إنهاء الحكومة ، ودابة الأرض كانت تستعمل للإنسان في زمن نزول القرآن الكريمو ثم خصصت فيما بعد والمراد هنا في الآية هو ابن سليمان عليه السلام والمنسأة يراد بها الحكومة".لينظر: البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (المتوفى 794ه) 39/4،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه , ط: الأولى , 1376ه =1957م.وأيضا:تفسير سورة سبا،باللغة السندية،من أمالي الشيخ السندي،تقديم وترتيب:الشيخ غلام مصطفى القاسمي،81.

(2) لينظر:لباب التأويل في معاني التنزيل ت: الشيخ الخازن (المتوفى: 741هـ)444/3

الحالات إلا أنها لاتموت. **لقد كان لسبإ**[1]. . الأمر الأول كان في شمال المدينة إنشاء اجتماعية الخلافية ثم كان إنشاء اجتماعية الحكم في جنوب الحجاز في اليمن ليس هذا خاصا ببني إسرائيل بل قبائل العرب أيضا لهم صلاحية لتلك الاجتماعية[2] فالإشارة إليه في. **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَه بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ 15**. فالبلدة الطيبة، وتنظيمها للاستفادة من الجنتين كلها نتيجة الاجتماعية الصالحة في قوله: **وَجَعَلْنَا بَيْنَهمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيها قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيها السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** 18. اتصال اليمن بالشام للتجارة مذكور، وذلك ارتقاء في الاجتماعية: الزراعة من الدرجة الأولى، وكان عن يمين المسكن، وشماله جنتان ممتدتان فكأنهم وصلوا إلى الغاية في الدرجة الأولى. والثانية التجارة المبادلة بحاصلات البلاد بحاصلات البلاد الأخرى، ويحتاجون إلى تنظيم النقليات، و تأمين السيل، فكل هذه لاتكون إلا بعد صناعات عديدة، وبعد ارتقاءهم في الصناعات يقدرون على تنظيم التجارة . هذا الطريق من اليمن إلى الشام هو الشارع العمومي للتجارات العالمية. اليمن تأتي إليها بضاع الهند، وتنتقل من طريق سرايا إلى أوروبا. هؤلاء السبا كانوا واسطة في تلك التجارات **جعلنا بينهم**. . . هي قرى الشام فكان الطريق كلها معمورة الناس في الطبقة النازلة الذين يمشون على الأرجل هم أيضا كانوا واسطة في التجارة لسهولة الطريق. المراحل متقاربة، وعلى كل مرحلة قرية تجمع حاجات الناس.وقوة الحكومة جعلت الطريق مأمونا عن السراق، والقطاع، فبشيوع التجارة فيهم صاروا أصحاب ثروة وتمدن. والمقصود من ذكر هذا التمدن، وكذلك من ذكر مدينة داؤد وسليمان على ما اطمئن به خاطري إثبات أن الحجاز كان مرة مظهرا للتمدن

---

(1) سبا إحدى قوم اليمن لها تاريخ مستقل من حيث الحضارة، والحجاز يجمع الشام واليمن،وكان لجنتهم العليا مشتملة على المهاجرين والأنصار،وهم المخاطبون الأولون للقرآن الكريم كما لايخفى من أحد لما نزل القرآن الكريم كانت الإنسانية منقسمة إلى مركزين كسرى وقيصر أولهما كان ملك ايران،وثانيهما ملك الروم،وكان المقصد الأصلي لنزول القرآن هو إنهاء الملوكية، وإنفاذ الحكم الإلهي كما ذكره الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في إزالة الخفاء، 122/1.

(2) ملاحظة خاصة: إن العرب هم المخاطبون الأولون للقرآن الكريم _الكتاب المملوء بالحكمة_ فكيف يعترض بأن العرب ليس عندهم حضارة وليسوا قوما من حيث الاستقلال بل هم الأعرابيون؟ لذا يثبت قومية العرب وحضارتهم في هذه السورة كما لا يخفى من أحد بأن في شمال الحجاز الشام،وفي جنوبه اليمن، والشام مركز كبير مستقل للثقافة، وفي اليمن ثقافة مستقلة؛لأن أجداد العرب إثنان عدنان وقحطان، فعدنان_ من أولاد إسماعيل عليه السلام_ هو وقومه كانوا في الشام،وجعلوه مركزا ،وقحطان،وقومه كانوا في اليمن وجعلوه مركزا.لينظر:تقديم الشيخ القاسمي على تفسير سورة سبا(باللغة السندية) 3-4

أي للاتصال بين اليمن والشام، فإحياء ذلك التمدن بالاجتماعية الصالحة هو مقصود الدعوة القرآنية لاإنشاء التمدن برجال كالملائكة أوبرجال كالجن فإنه لايستقر، فالأمر المستقر هوالاعتماد على الاجتماعية، وإنشاء معاني تلك البلاد القضرية[1]. . ليس هو بسبيل الاعتماد، وعلى القرى الخارجة بل ثبت بالتاريخ أنه كان مرة فيها قرى ظاهرة سير الأيام والليالي معين، والأمر كان عاما فإحياء تلك الحالة ليس من الأمور الخارقة. التمدن الذي كان في الشام في آل داؤد ذكر الله انقطاعه بانقطاعه من المنبع فكانت هناك دواب الأرض يغلبون على الإنسان، وكذلك في تمدن السبا أيضا ذكر فسادهم. وفي قوله: **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهمْ بِمَا كَفَرُوا وَهلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ بيان فساد زراعتهم وفي فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ فَجَعَلْنَاهمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**17. بيان فساد زراعتهم. وفي قوله: **فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ فَجَعَلْنَاهمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ 19** [(2)]بيان فساد تجارتهم وفي بيان سبب فساد زراعتهم قوله: **فأعرضوا** أي رب غفور رحيم كلما كان منهم خطأ كانوا يتصدقون على المساكين؛ليغفرلهم الرب فارتقى تمدنهم وأصلح هذا. هو مدار الارتقاء في الزراعة. الناس الذين ليس لهم أراضي، وليس لهم عمل يعملون إذا كان أرباب الأراضي وأرباب الجنات يتكفلون معاشهم إما بإشراكهم في الأعمال أو بالتصدق عليهم. هم في ارتقاء، ويغفر الله لهم خطاياهم . فإذا أعرضوا عن هذا العمل الصالح الباعث على المغفرة فينحصر ثروة القوم كلهم بأيدى رجال مخصوصين فقط ثم يسلب عنهم إما بقيام العامة عليهم أو بهجوم العدو عليهم أو بقوة قاهرة من غير الإنسان من الحوادث الطوفان،

---

[1] لم أفهم تلك الكلمة.الباحث

(2) إن الله بين نعمه على أهل اليمن أي كان الطريق الواسع بين اليمن والشام للتجارة ،وكان على يمينه وشماله جنات مع سهولة التجارة لكل شخص مسكينا أو أميرا ،وكان سكان قوم سبا مركزا لتجارة الدنيا باعتبار الثقافة من حيث كانوا يوصلون أشياء التجارة إلى الشام ثم إلى أوروبا بسهولة وكانت سفن جنوب الهند تصل إلى اليمن من العدن كما لايخفى هذا أيضا بأن كان في الروم ملوكية كبيرة أنذاك والأشياء التجارية من خارج الأوروبا كانت تصل عندهم بسهولة لأقوام اليمن فثبت من هذا بأن حياة أهل اليمن كانت حضارية ولكنهم لما كفروا نعم الله أي بنوا الشركات الكبيرة والإدارات لأنفسهم باعتبار الرأسمالية، لم يبق التجارة بسهولة لعامة أفراد المجتمع، فالنتيجة بأنهم هلكوا كما يشير إليه القرآن قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ فَجَعَلْنَاهمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ..سبا:19﴾لينظر:تفسير سورة سبا(باللغة السندية) 88.وهذا الكلام لخصته أنا بالعربية.الباحث.

الخسف. هذه سنة الله. فلما أعرضوا، وانحصرت الثروة بأيدي رجال أرسل عليهم سيل العرم، وذهب نظام زرعهم هذا حاصل الآية(1). وفي 16 وفي 17 بيان أصل الجرم **ذلك جزيناهم بماكفروا**. فقهاؤنا عامة يجعلون معنى الكفر الإنكار للألوهية، والصحيح أن الكفر هو كفر النعمة حق المساكين غضب هذا هو الكفر. والمجازاة في الدنيا لاتتأتى سريعا إلى المجرمين إلابكفر النعمة، وبالظلم على المساكين إليه الإشارة :**وهل نجازي إلا الكفور** أي في الدنيا أما الأمور التي بين العبد وربه فيأتي في الآخرة هذا هو فساد الاجتماعية. وذكر الله فساد التجارة في 19 **فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**. معناها لما انحصرت الثروة في طبقة خاصة هم أرادوا أن لايشركهم في التجارة عامة الناس بدلوا سهولة الطريق بتطويل المراحل حتى لايمكن قطعها إلالأصحاب المراكب. فالماشي على رجليه لايقدر أن يسير ذلك السير. فلما انحصرت التجارة في رجال مخصوصة قلت حاجات الناس لاتقضي. فإنشاء الرومان طريق البحر للتجارة بواسطة ثم بطلت تجارتهم فتفرقوا بطلت اجتماعيتهم فليس يقضي حاجته لهم فتفرقوا في البلاد. هذا كله كان كفرا لنعمة تسهيل الطرق كان منبع الثروة **فقالوا ربنا باعد**. . . المراحل المتقاربة لانجد فيها لذة السفر. كل الناس يشتركون في المسافرة، وظلموا أنفسهم بإبطال ثروتهم **وجعلناهم أحاديث** أي كل يؤول قصة على فكره لايعرفون أصل المرض. **ومزقناهم**. . . انتقلت في البلاد فبطلت اجتماعيتهم بالمرة دخلوا في أقوام آخرين، وذهب المهم من الدنيا **إن في ذلك لآيات**. الإنسان لايقدر أن يقضي حقوق المساكين إلا بنحو من التضييق على نفسه فقضاء الحقوق شكر، والتضييق على أنفسهم صبر إن أراد الإنسان الارتقاء في الدنيا فليكن فرد الجماعة لايكون متفردا عن الجماعة. وعندي تفطن إن ذلك كان لبث الدعاية من قوم آخرين مثل أفسد أهل الهند اجتماعيتهم منذ مأتي سنة بدعاية منظمة تحت الحكمة من أعداء الهند المتغلبين عليه أولا قبضوا على أزمة التجارة ثم على أزمة الصناعة لعل السبا أيضا أثر فيهم دعاية الرومان. وعندى في قوله : **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّه فَاتَّبَعُوه إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ 20** معناه: قوم عدوهم ظنوا أنهم بهذا الطريق يمنعون العامة من حقوقهم فنظموا دعاية لذلك، وبثوا فيهم **فاتبعوه إلا فريقا**. . . الغلو في التمدن يجعل الإنسان في نسيان من الآخرة.

(1) لما فكر أصحاب المال لأنفسهم، ونقصوا التجارة المشتركة مع عدم تفكيرهم لإصلاح الاجتماعية عذبهم الله بأن جاء الفيضانات،ودمر الطرق وقلت التجارة.الباحث.

هذا أيضا طبيعة الإنسانية، ونسيان الآخرة يضعف مقومات الإنسانية فيتبع إبليس. إليه إشارة في **وَمَا كَانَ لَه عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ** 21. . اي لإبليس من غلبة يعني لايغلب إلا على من كان في شك في الآخرة فاليقين بالآخرة يوصل الإنسان إلى الله. والله بسط هدايته في الناس في حفظ حقوق المساكين. فإذا تذكر ربه لايظلم عليه. انتهي ذكر سبا. وكان المدار في فساد التمدنيين هو نسيان الرب، وانقطاع التعلق بحظيرة القدس، والاعتماد على أسباب سافلة جزئية. فالإنذار من اتباع الشركة، والدعوة إلا اتباع الحق بواسطة الملائكة هو المذكور في: **قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِه شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هوَ اللَّه الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. وما أرسلناك إلا**. . . أي لاتباع التمدن الإسرائيلي والعربي الماضي في التاريخ. فالمراد من الناس من هذا الموضع خاصة هم العرب[1] عندنا، ورسالة إلى الأقوام **وما أرسلناك إلا**. . . في **وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ29** . هذا الانقلاب متى يكون؟فالجواب هذا نظام قوي ميعاده مقرر؛ لكنكم لاتستحقون أن يجاب لكم,أنتم تتأملون في المفاسد التي اشتملتم عليها، وتتركونها. فمن قوله: **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْه وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّه وَنَجْعَلَ لَه أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**

---

(1) من المعلوم أن قريشا كانت من الأقوام القوية ،جامعة لحضارة أقوام اليمن والشام،وإن كانت قوة البحر لدى الروميين بعد أقوام اليمن والشام؛لكن قريشا كانوا يريدون إحياء الطريق التجاري.وكان مقصدهم وراء ذلك هو التجارة بالشام كما لايخفي بأن اليمن قد دمر لترك الطريق التجاري فأحيا القريش التجارة القديمة _تجارة أقوام اليمن_ قبل بعثة رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ بقليل،وكان فيهم استعداد تام وقوة الغلبة فهل كان انقلابهم دينيا أو لا؟ يجيب الشيخ القاسمي_تلميذ الشيخ السندي_عن السؤال المذكور في تفسير سوة سبا ما ملخصه : إن السؤال المذكور يحل أولابدراسة تاريخ قريش القديم،وبالتالي أنهم كانوا بدؤا التجارة عن طريق الشام؛لذا يكون انقلابهم دينيا؛ولكن البرنامج الديني الخاص لم يكن لديهم وهو شوهد بصورة الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْه سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ. سبا:28-30 ﴾لينظر:تفسير سورة سبا(باللغة السندية)94.

وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِه كَافِرُونَ (34) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه وَيَقْدِرُ لَه وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهوَ يُخْلِفُه وَهوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) وَيَوْمَ يَحْشُرُهمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهمْ بِهمْ مُؤْمِنُونَ (41) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (42) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهمْ إِنْ هذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (43) وَمَا آتَيْنَاهمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (44) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (45) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّه مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّه وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِه وَأَنَّى لَهمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَرُوا بِه مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَحِيلَ بَيْنَهمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54) إنما هو تذكير لهم. المسألة: إنهم يقولون نحن في ارتقاء التمدن لانتبع الأديان بل الناس باجتماعيتهم يتقدمون، ونحن ندخل فيهم. إليه الإشارة في قوله وقال الذين كفروا...يعني هم باجتماعية الطبيعية يريدون

الارتقاء ثم في 33 بيان المناظرة بين المستكبرين والمستضعفين.فإن الاجتماعية الطبيعية تجعل الناس على طبقات، ويظلم البعض البعض، ويتنازعون حتى يوم القيامة. ذكر الله حالاتهم مراجعة الأقوال فمن أراد النجاة من تلك الفساد فليتبع الكتب الإلهية التي لاتجعل السلطنة لرجل منهم، وتنشأ الاجتماعية التي يتكفل المعاش كل منهم **إذ تأمروننا**... معناه: هو ترك اتباع الكتب الإلهية. المسألة :هذا الكفر الذي شاع في الناس أصله من المترفين بيان هذا إلى 39. فيه أن الأموال، والأولاد ليست بباعثة إلى التقرب إلى الله يعني التفضل على الناس بل الباعث للتقدم هو التقييد بالنظام الصالح. وإليه الإشارة في 37. المسألة : التقرب إلى الله يكون بواسطة الملائكة؛لكن طائفة من منحرفي الطبائع لايرتقون إلى عبادة الله بل يجعلون الملائكة هم المعبودة هؤلاء ما وصلوا إلى الملائكة إلا بالإسم، وهم في الحقيقة لايعبدون إلا الجن فلاينفعهم شئ يوم القيامة مثاله:رجال يقتدون بالأئمة المجتهدين؛ليتوصلوا بهم إلى اتباع النبي؛لكن طائفة منهم لايقصدون بالاتباع إلا المجتهدين، ولاينظرون إلى الرسول . هؤلاء حقيقة ما وصل إليهم علوم المجتهدين إنما اتبعوا طائفة من المتفقهة الجهلة. المسألة: النبوة **وإذا تتلى عليهم**... في43 إلى 54 **وما آتيناهم**... فالواجب عليهم التدبر البالغ. فالتنبيه 46 **قل إنما أعظكم**. . وهولايرجو منكم أجرا **قل ما أسئلكم**... المراد هو المودة في القربى. كل رجل يحسن أهل قرابته، وقد ذكرنا تفسيره من قبل[1] في 48. **قل إن ربي**... إشارة إلى إقامة الحكومة وفي 49 **قل جاء الحق**... لاتقدر[2] حكومة مقابلة حكومة القرآن: السلطان في تلك الحكومة يكون لله لا للنبي. إليه الإشارة في 50 **قل إن ضللت**...فالاهتداء ليس إلا بوحي الرب يعني اتباع القرآن. فالحكم للقرآن لا للنبي فلايقول رجل أن[3] يريد أن ينشئ حكومة لنفسه بعد قيام الحكومة، ورجوع المؤاخذة منها إلى الكفار إذا قالوا آمنا لاينفعهم. هذا وقت التدبر لابعد المؤاخذة. إليه الإشارة في 51إلى54 **كما فعل بأشياعهم** من سبا.

(1) أي المودة في القربى.
(2) في ن ح : لاتقتدر
(3) في ن ح: أنه

سورة فاطر

هذه الدعوة إلى الاجتماعية المستلزمة للخلافة هي فطرة الإنسان. الإنسان بفطرته منقسم إلى قسمين:فالقسم الذي يكون الملكية فيه غالبة هو يكمل فطرته، ويكون غالبا على القسم الثاني هذا هو معنى الدعوة.

الفطرة معناها:كل شئ مخلوق على حكمة خاصة وخواص لابد لها تكميل تلك الحكمة. هذا فطرة شئ. فالإنسان بفطرته يحتاج إلى تأييد مخصوص فنصب إليه حظيرة القدس لتكميل فطرته. وما يأتي شئ من حظيرة القدس هي فطرة الإنسان. ما يغلب عليه شئ من خارج حظيرة القدس هو خلاف الفطرة فالتنبيه والتذكير للفطرة الإنسانية بخواصها هو مقصد هذه السورة يجعل الاجتامعية والخلافة ما يصدر من باطل الفطرة الإنسانية. في الظاهر يأتي الحكم بالوحي بواسطة الأنبياء من خارج، وفي الحقيقة هو تأييد لما يقتضيه باطن الفطرة الإنسانية فبتفهيم تلك المسألة يسهل أمر الدعوة القرآنية، وشرح الفطرة في كلام الإمام ولي الله أكمل ما وجدنا في كتب علماء الإسلام. ونرى[1]النهضة الإسلامية في الألف الثاني إنما تقوم إذا صار مركز المسلمين متوجها إلى تكميل الفطرة فقط ويكون جزئيا قويا من حذف زوائد لحقت الفطرة الإسلامية في الألف الأول، فإذا لم يقدروا على حذف الزوائد، وتجريد النظر إلى تكميل الفطرة عن اتباعهم للأقوام الغالبة في الأرض لايرجى من الخبر[2] شئ لهم. الاعتماد على الفكر الصحيح والعمل الصالح المتولد من الفكر الصحيح هو الفطرة، وهو اقتضاء الفطرة والاعتماد على رجال يكونون كالملائكة والاعتماد على اتباع أقوام غلبوا في الأرض ليس من الفطرة في شئ. إذا خلص النظر إلى هذا المفهوم يفهم تفسير السورة بالسهولة. قوله: **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** 1. [3]خلق

(1) في ن ح : أن النهضة بزيادة أن .
(2) في ن ح : الخير.إن كلمة"الخير"أنسب بدل كلمة" الخبر" الوارد في ن إ.الباحث
(3) في ن ح : الله ربنا فاطر السموت والأرض...

الله السموت والأرض على أحسن ما يمكن فله الحمد. وهذه الفطرة تقتضي خلق الملائكة. الملأ الأعلى رجال حظيرة القدس. فالملائكة[1] في نزول الرحمة الإلهية هم على أقسام 1: أولو أجنحة مثنى قسم القوة العلمية والقوة العملية نظير ما يكون في الإنسان من العقل والقلب 2: أولوأجنحة ثلاث. اتصالهم هوالجناح الثلاث. للنفس الكلية نظير ما يكون في الإنسان من لطيفة الأنانية الكبرى من لطيفة اتصال النفس الناطقة بالأنانية الكبرى. أولوا أجنحة أربعة والجناح الرابع هو اتصالهم القائم على النفس الكلية نظير لطيفة الحجر البحت في الإنسانية. **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** بعد تكميل الحجر البحت يسير الكاملون سيرا لايمكن بيانه في الحياة الدنيا تفصيلا لعله إشارة إلى مثل ذلك في الملائكة. ما اجتمع في حظيرة القدس من الملائكة والكاملين من الإنسان حكمهم راجع إلى الله وحده لاشريك له. وتلك الحظيرة هي مفتتح الرحمة للإنسانية إليه الإشارة في قوله: **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَه مِنْ بَعْدِه وَهوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**. 2فالله فطر السموت والأرض. وفي ضمن ذلك جعل لكل جزء ولكل نوع فطرة مخصوصة ليس الاهتمام بها مستقلا إنما هي في ضمن السموت والأرض تعينت فطرة كل شئ. هذا الذي إليه الإشارة في الآيتين، ويلزم منه أن من غير فطرة الإنسان هو يريد أن يغير فطرة السموت والأرض كلها فلايقدر على ذلك ولايفوز[2]. **يَا أَيُّها النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّه عَلَيْكُمْ هلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّه يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَه إِلَّا هوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** 3 تشير إلى أن التوجه إلى حظيرة القدس، وبواسطتها إلى الله هو الواجب على الإنسانية فإنها نعمة خاصة. الإنسان إذا توجه إليها يكون تكميل فطرته أسهل ما يمكن، وإذا أعرض عنها يكون التكميل أصعب[3] وفي الآخر يكون مجبورا إلى الرجوع إليها، ولايفوز في تكميل فطرته، ولوسار ألف ألف سنة . ففي الآخرة يتبين له أنه لاملجأ إلا إليه. فالإعراض عن هذه النعمة ليس مقتضى الفطرة كلما سنح . للإنسان في

(1) في ن ح : وسائط

(2) في ن ح : في ذلك.

(3) في ن ح: ما يكون .

وصوله إلى المقصد طريقتان: أحدهما[1] أسهل من الآخر. فالفطرة توجب عليه اختيار الأسهل إلا من كان منخدج الفطرة، وفي التوجه إلى حظيرة القدس أيضا يلزم اختيار الأسهل إليه الإشارة في يآيها الناس. . فدعوة الرسل هي الدعوة إلى الفطرة يعني التوجه إلى حظيرة القدس. في قوله: **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4)**إشارة إلى هذا وإن يكذبوك. . . فالتكذيب في أنهم يريدون تكميل الفطرة بدون أن يتوجهوا إلى حظيرة القدس. مثاله[2]: لو فرضنا أن المولود في أول وقت ولادته له فهم وقوة للاستبراء بنفسه فهو يعرض في تكميل فطرته عن الوالدين. كيف يصعب عليه؟والاستعانة بهما هو اقتضاء الفطرة ففرغ الإنسان كله بفهم حظيرة القدس مثل الوالدين فالإعراض[3] عنها تكذيب للدعاية إليها وفي الآخرة هذا الطفل إذا تكامل حسب الاجتماعية يجد نفسه محتاجا إلى الوالدين فيفرض من المعاونين له رجالا مثل الوالدين ثم في الآخر أن هذا لايكفي لشئ فيدرك أن إعراضه عن الوالدين كان جرما فإن تمكن له رجوع يرجع فورا؛لكن بعد قطع المسافة البعيدة للتباعد عنهما يتأخررجوعه إليهما إلى زمن مديد. هذا هو حياته في جهنم. بعد إحساسه أنه يريد الرجوع؛ لكن البعد عنها بسيره الأول لايقدر على قطع العلائق المانعة إلا بعد مدة طويلة. وتلك المدة هي مدة مكثه في جهنم إليه الإشارة في قوله: **وإلى الله ترجع**. . يعني بتكذيب الرسل إلى طريق اختار في الآخر، ولوبعد ألف ألف سنة يتيقين برجوعه إلى حظيرة القدس قوله: **إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ** 5 هو كمالكم بواسطة حظيرة القدس، ويتيسر التكميل. والذي يدعو إلى الإعراض عنها إنسانا أو جنيا هو الشيطان فقد يأتي في الحياة الدنيا مالاتحبونه لاقتضاء نظام فطري في السموت والأرض ؛لذلك فبعروض ذلك الأمر العارض لاتعرضوا عن حظيرة القدس، والشيطان يجعل ذلك ذريعة لدعوته ثم يعلمكم في ضمن ذلك أشياء لاتقتضيها الفطرة الإنسانية بذاتها بل

(1) إحديهما يكون أحسن حسب التركيب النحوي,الباحث
(2) في ن ح : مثال ذلك.
(3) في ن ح : فإعراض.

هي اقتضاء أمور مندمجة في الإنسانية مثل الحيوانية والنباتية والمعدنية والعناصر. فكل ذلك مندمج في الإنسانية، فالشيطان إذا قدر على تلقي الإعراض لكم في وقت مصيبة أصابتكم فقبلتموا دعوته، فبعد ذلك هو يشغلكم في شهوات تقتضيها الحيوانية مثل الجماع بالمحرمات بدون قيد، وبدون اتباع قانون ذلك الأمر هو اقتضاء الحيوانية لا الإنسانية. فإذا ارتسخت فيكم ملكة الحيوانات حصل التباعد عن الإنسانية، ومقتضى الإنسانية أعني حظيرة القدس بعدا بعيدا فإذا تنبههم في مستقبل الحياة إلى توفية مقتضى الإنسانية، والرجوع إلى حظيرة القدس فلاتقدرون عليه بالسهولة بل لإزالة الملكات الحيوانية عن أنفسكم تحتاجون إلى أمد طويل. هذا الوقت يكون وقت مكثكم في جهنم. فكل ذلك بتغرير الحياة الدنيا في وقت المصيبة التي هي لازمة لتكميل نظام الفطرة الكلي فلوجر الإنسان على تلك المصيبة، وما ترك توجهه إلى حظيرة القدس يأتي منها جزاء ذلك متكاملا. فإن انخدع في ذلك الوقت بدعوة شيطان وهي غرور في غرور فدخول جهنم لازم، وإليه الإشارة في قوله: **يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّه الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوه عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَه لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**. وبعد تبيين هذا ينقسم الإنسان إلى قسمين: قسم يتبع الشيطان، ويعرض عن حظيرة القدس. قسم يتبع الرسل ولايعرض[1] عنها. أشار إلى هذا التقسيم في **الذين كفروا**... الإعراض عن حظيرة القدس بدعوة الشيطان يسمى كفرا. هذا هو حقيقة الكفر. وكل شئ يكون مفضيا إليه أو تمثيلا له أو نتيجة له يسمى بالكفر على الدرجة الثانية فيلتحق[2] بالكفر بالدرجة الثانية رجل يعمل أعمال المؤمنين في الصورة، وروح تلك الأعمال هو الإعراض عن حظيرة القدس، فتلك الأعمال الصالحة أيضا ملتحقة بالكفر في القيامة فمن اتباع الرسل تكون جماعة مثل هؤلاء يتخذون طريقة الرسل ويريدون أعمال الشيطان من أكل وشرب وجماع إليه الإشارة في **أَفَمَنْ زُيِّنَ لَه سُوءُ عَمَلِه فَرَآه حَسَنًا فَإِنَّ اللَّه يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ**

---

(1) في ن ح : ولايعرضون.
(2) في ن ح : فيلحق.

حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ8. [1] فالناس كثير يشتغلون بالعلوم الفاضلة من القرآن والحديث والحكمة ولايريدون به تحصيل مقام في حظيرة القدس فهو خال من المقصد مثل لهو الحديث هم يريدون اشتغالهم بهذه العلوم أمن على كل حال، وذلك من مصاديق من زين له سوء عمله ومن اتبع الرسل يأتي إليه رحمة منزلة مثل المطر يؤتيه حياة طبية يحصل له العزة في الدنيا والآخرة هو يتكلم بالكلمات الطيبة، ويعمل الصالح، ويتمكن بذلك في حظيرة القدس إذا مات رجع إليها، ويمكن أن يحصل له انجذاب في بعض الأوقات في الحياة الدنيا أيضا إليه الإشارة في قوله: **وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاه إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِه الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّه الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هوَ يَبُورُ 10** أي قوله: والعمل الصالح يرفعه **كذلك النشور**. أكثر ما تستعمل هذه[2] الكلمة في القرآن للحياة بعد الموت، وتستعمل كذلك في حياة القوم بعد موته بالجهل واتباع الشيطان.فالنهضة الدينية باتباع الرسل كأنها نشور بعد الموت **من كان يريد العزة**...هذا أحد المواضع التي يغلط فيه الإنسان فيقع في حبائل الشيطان. الإنسان يكون قوي العزيمة يريد أن يستزله في الدنيا أحد. ودعوة الرسل في ابتداء حالاتها يكون أعداءهم أقوياء أعزاء؛لأن الانقلاب إنما يتأتى بعد قوة الباطل.فهذا الرجل يريد العزة ولايرى أن تحصل له العزة في اتباع الرسل في ابتداء دعوتهم فيشترك الشيطان بابتغاء العزة، وفيه يكون اغترار وانخداع. فإن هذا الرجل الذي يريد العزة، ولايتحمل الذلة لحظة إنما يريد عزة متدائمة لاعزة تزول بعد أيام. فالعزة الدائمة لاتحصل إلا باتباع الرسل والحق. [3] إنما باتباع الشيطان فقر يحصل العزة أياما تزول عن قريب. إذا غلب أهل الحق على الباطل هذا وجه انخداعه بالصورة الظاهرة فيكون عندنا معنى قوله: **من كان يريد**...العزة الدائمة التي لايتأتى بعدها ذلة **فلله العزة** جميعايعني بالتوجه إلى حظيرة القدس باتباع الرسل. والذي ظن هذا المغتر ذلته في أول الأمر هو

---

(1) في ن ح : قال الحكيم السنائي: ولنعم ما قال في ترجمة هذا الكفر.
(2) في ن ح : تلك.
(3) في ن ح: اتباع الحق.

أيضا كان انخداعا منه. فإن الإنسان إذا اتبع الحق، وعرف أنه حق يجد في نفسه عزة لايساويها إعزاز الناس كلهم في الذلة ثم الجماعة التي تجتمع مع هذا الرجل من اتباع الرسل تكون عزة هذا الرجل عندهم حقيقة متدائمة لامثل عزته عند حزب الشيطان، فإنهم يتبدلون كل يوم إذا رأوه غير موافق لغرضهم فنزيد الآن كلمة أخرى: العزة الحقيقة الدائمة لله جميعا، وبجنب هذه الجماعة رجال زين لهم سوء أعمالهم هم يعملون السيئات، ويظهرون بتدابيرهم الحقيقة أنها حسنات فلايستحقون العزة **لهم عذاب شديد ومكر أولئك**. هذا الفصل الثاني للدعوة إلى حظيرة القدس من 3 إلى 10. الفصل الثالث من قوله: **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِه وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِه إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُه وَهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيه مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَه الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِه مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ 14**. النعم في الدنيا سلسلة كلها تنتهي إلى الله فكان بحسب أن يتوجه إلى الله في تحصيل النعم، وتوجه الإنسان إلى الله إنما يتسير بواسطة حظيرة القدس **والله خلقكم**. فالإنسان يخلق ويعمر بمقدار معين عند الله فإذا توجه إلى الله يجعل ذلك المقدار من عمره قليلا كان أو كثيرا سبب تمكنه في حظيرة القدس فيسعد حياته. قوله:**ويستوى البحران** هذه النعم من الله بواسطة البحر خلق البحر هو من فاطر السموت والأرض فكما ذكرنا[1] أني بعد ما رأيت جبل الملح. فإذا رأى الرجل حظه من البحر يشكر ربه **يولج**... كل ما يتعلق بالسمويات من فاطر السموت والأرض فالتوجه إلى غيره حمق، إليه الإشارة في مابعدها **والذين تدعون**. .

(1) في ن ح : بزيادة لكم

الفصل الرابع: **من يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللَّهُ هوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِها لَا يُحْمَلْ مِنْه شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِه وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيها نَذِيرٌ (24) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ 26**. الفطرة الإنسانية يستلزم أعمالا. وتكميل تلك الأعمال يكون بإرسال الرسل والكتاب فيكون اتباع الرسل من الفطرة. **يأيها الناس**...يعني أن فطرتكم التي خلقكم عليها هوالأولى بكم فكان من خواصها تلتزموها بطوع أنفسكم **أن يشاء**... فيه إشارة أنكم إن شلتم من هذه الحياة، وتريدون حياة من نوع آخر فاعلموا أن الله قادر على تبديلكم بذلك النوع؛لكن هذا لاينفعكم. مضرة التبديل لاتعرفونها إلا بعد التبديل؛لأن خلق كل نوع فيه مراعات فطرة السموت والأرض بعض خواص الفطرة الإنسانية إليه الإشارة في 18 **ولاتزر وازرة**. . هذه خصوصية الإنسان **وإن تدع مثقلة**...فالنوع الإنساني تقتضي أن يكون كل فرد من أفراده يسعى بنفسه لتكميل خواص نوعه فينقسم الإنسان إلى قسمين: قسم يتمم تلك الخاصة قسم لا. فالقسم الأول: يحتاج إلى الرسل، وإليه الإشارة في **إنما تنذر الذين**... 18 ثم الإشارة إلى الأقسام إلى 22 القسم الثاني: **وما يستوي**. . هؤلاء إن كذبوا الرسل فلايتأتى بذلك الرسل؛لأن هذه سنة من فطرة القسم الثاني **إن أنت**. . إليه الإشارة من 23 إلى 26 **إن أنت إلا نذير**. .

الفصل الخامس: الانقسام إلى قسمين فطري. جرى ذلك القانون في الحيوانات والمعدنيات **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِه ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُها وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ**

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27. هذا اختلاف في النبات **ومن الجبال جدد** هذا في المعدنيات. ومن الناس والدواب هذا في الحيوانات، فكذلك الأمور الخاصة بالإنسانية يختلف فيها أيضا أفراد الإنسان مثل العلم والجهل. الإنسان يمتاز بعقله وعلمه ونظره ونطقه، والكمال في العلم ينتج الخشية، فالعالم الذي يخشى يكون قسما(1) والذي لايخشى يكون قسما آخر. **إنما الله يخشى.** .

.

الفصل السادس: في أعمال القسم الأول ونتائجها من قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهمْ أُجُورَهمْ وَيَزِيدَهمْ مِنْ فَضْلِه إِنَّه غَفُورٌ شَكُورٌ (30) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْه إِنَّ اللَّه بِعِبَادِه لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه وَمِنْهمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّه ذَلِكَ هوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهمْ فِيها حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَذْهبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِه لَا يَمَسُّنَا فِيها نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيها لُغُوبٌ** 35. **إن الذين يتلون** في ضمن تلك الآيات قوله. **والذي أوحينا** . للاجتماعية الإنسانية أول أعمال الخير تلاوة كتاب **الله ثم أورثنا**. . . هم المستخلفون بعد النبي. فالجماعة فيها ثلاث درجات؛لكن المجموع من حيث المجموع مصطفى على الأمم الآخر؛لأنهم يريدون الاجتماع العمومي لجميع الأمم، وبعد ذلك تعريف الخبات(2) على نتائج أعمالهم.

الفصل السابع : من قوله: **وَهمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيه مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ**

(1) في ن ح: ومن لايكون كذلك يكون قسما آخر.
(2) في ن ح : الجنات.كلمة"الجنات" أنسب بدل الخبات؛لأن السياق يوافقه.الباحث.

اللَّه عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) هوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْه كُفْرُه وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهمْ إِلَّا خَسَارًا (39) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهمْ كِتَابًا فَهمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْه بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40) إِنَّ اللَّه يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِه إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا 41. أعمال القسم الثاني وجزاؤهم **والذين كفروا**. . بعض الآيات **أولم نعمركم**. . فكل قوم وكل فرد لم يحصل لهم تلك الدرجة لم يكن لهم من العمر مايتذكرون، ولم يأتهم نذير. **إن الله يمسك السموت**...فالإنسان لايكون له حياة إلا في الأرض أو في السماء فهو لوتبصر رجع إلى ربه ثم في التفاصيل يقع الحاجة إلى النذير فكل من تعقل، وحصل له فراغ يتفكر في حياته ليس له عذر من عدم رجوعه إلى الله الحق؛لكن تفاصيل الشرع وتفاصيل مراتب الإيمان بالغيب إنما يكون بعد النذير.

الفصل الثامن: **وَأَقْسَمُوا بِاللَّه جَهدَ أَيْمَانِهمْ لَئِنْ جَاءَهمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهمْ إِلَّا نُفُورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهلِه فَهلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّه تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّه تَحْوِيلًا (43) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّه لِيُعْجِزَه مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّه كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّه النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهرِها مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهمْ فَإِنَّ اللَّه كَانَ بِعِبَادِه بَصِيرًا 45.** معاملات. معاملة أمة الدعوة من أهل مكة مع النبي ونتائجها وأقسموا بالله. . هذا الذي هو منبع نظرياتنا أن في قريش كان ذوق السياسة، والتقدم على اليهود والنصارى وفارس ؛ولذلك كانوا اقتسموا على ثلاث فرق في النظريات السياسية: 1-قسم إلى فارس هم الأكثر؛لأن وثنيتهم كانت مأخوذة من الصابئة 2- قسم يميل

إلى الروم وتنصروا. 3- قسم يستقل بنفسه هم الحنفاء يريدون إقامة ملة إبراهيم، والغلبة على الأمم [1] هذا القدر من السياسة كان موجودا في مكة قبل المبعث. ورأينا المصنفين في الإسلام في التفسير والحديث والكلام والسيرة كان كلهم اتفقوا على أن المخاطب بالقرآن من أجهل الناس في الإنسانية، ولإدارة نظام فغلطوا في شرح الإسلام منذ ألف سنة، ونحن لم نتنبه إلا بحجة الله البالغة ثم إذا فتشنا وجدنا أن المذاهب السياسية كانت عندهم، وفي حجة الله لاصراحة بالمذاهب السياسية على اصطلاحاتهم. أما المعاني فكلها موجودة، وإن صعبت في تطبيق تلك المعاني على اصطلاحات ذلك العصر فقدرت على اتخاذ الدستور[2] من القرآن في عصرنا هذا لبلادنا. وكذلك يقدر كل مسلم على اتخاذ الدستور لإصطلاح قومه في هذا العصر أن يتخذ برنامجا من القرآن لوتدبروا فيه على معنى الحكمة، وأدخلوا السياسة نظرياتها في الإيمان، وعملياتها في الجهاد.

جملة معترضة: يعلم من اشتغل بمعرفة مقالات الناس المتفرقة في الملة الإسلامية يجد فيهم من المرجئة[3] ينكرهم السلف كثيرا ثم لايتقرر لهم قرار في تفسير معنى المرجئة. والذي استقرعليه فكري أن المرجئة أصلها الأول أنهم لايدخلون العمل في الإيمان ثم يختلفون في تفسير العمل؛لأن بعض الأعمال لايمكن إخراجه من الإيمان مثل التكلم بكلمة الشهادتين أو[4]الإتيان بأعمال تكون من شعار الملة مثل الذبح بإسم الله، والتوجه إلى الكعبة في الصلوة، وتعظيم المصحف فلم يتقررقولهم

---

(1) جماعة المشركين وكان رئيسهم أباجهل،وكانت الجماعة المذكورة مائلة إلى كسرى. الثانية: جماعة الحنفاء النصرانية،وكانت متبعى الدين الحنيف ثم مالت إلى النصارى كورقة بن نوفل وغيره فالخلاصة بأنها كانت مائلة إلى الروم.الثالثة : جماعة قريش المسمى بحنفاء_ محيي مذهب إبراهيم عليه السلام_ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم.الباحث

(2) المراد منه هو القانون.الباحث

(3) المرجئة هم فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، خالفوا رأي الخوارج وكذلك أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقدية،وقالوا بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله تعالى وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها.والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية. والمرجئة الخالصة. ومحمد بن شبيب، والصالحي،والخالدي من مرجئة القدرية، وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي، أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء، ونحن إنما نعد مقالات المرجئة الخالصة منهم.لينظر: الملل والنحل تأليف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) 1/ 139 الناشر: مؤسسة الحلبي.

(4) في ن ح : والإتيان.

في تعيين العمل الذي يخرجه المرجئة من الإيمان، وعندي معنى قولهم إن العمل خارج من الإيمان هو الأعمال السياسية فقط، ومنهم تأسس جماعة المنافقين المتقاعدين المتباعدين عن السياسية، فذلك الأمر الخبيث إنما نشأ في الإسلام لجهل المصنفين، وعدم تعرفهم[1] للسياسة الاجتماعية التي كانت عليها فريق قبل نزول الوحي. فالآيات التي تتعلق بالسياسة قطعا يجعلونها راجعة إلى أمور غير سياسية فأفسدوا فهم القرآن حتى رأينا جماعة من أهل الصلاح[2] في بلادنا أن من تداخل في السياسة خرج من الإسلام تمت.

فلما جاءهم نذير. . والمانع لهم كان الأمران 1: كانوا يريدون بالسياسية أن يتكبروا في الأرض وجاء القرآن بسياسة المحبة والعدالة وهو[3] يخالف هواهم ومرادهم 2:مكر السئ . **والمكر السئ** عندهم أعمال غير صالحة فإذا صاروا في الأرض ملوكا لاينكر عليهم أحد. تمويه سياستهم بالحيل. السياسية يضعون قانونا مثل لايتكلم في الملك أحد، والقرآن جاء بسياسة مؤسسة على الأخلاق الحسنة هذا كان سبب نفورهم من النبي **ولايحيق المكر السئ** إلابأهله بالتمويه لاينجو أحد من عمله الفاسد. من هنا رأينا الملوك الذين عملهم ليس إلا المكر السئ يمنعون عن التدبر في القرآن بالحيل فمن كان لحنه حسنة في قراءة القرآن يعظمونه ويكرمونه غاية الإكرام حتى صارعند الناس لاقيمة للقرآن إلا استماع نغمائه[4] وكذلك يعظمون من يأتي بفقه أو فلسفة تعظم فيها الملوك؛لأنهم ملوك فيكرمونهم، ويفوضون إليه أمور الدولة. هؤلاء كلهم يمكرون مكر السيئات لمنع الناس عن القرآن. ومن ذلك الزمان مازاد الإسلام في حدوده ملكا جديدا، ووجهتهم إلى الانحطاط يبثون الوعاظ يعظون بقرب القيامة ومرادهم: أن فساد اليوم هو اقتضاء العصر لايمكن إصلاحه هم كذابون دجالون. الكفار في جهنم كانوا أذلة تحت الإسلام هم كل يوم وجهتهم إلى الارتقاء[5] فلوكان ذلك حكم العصر لما تقدموا. **فهل ينتظرون إلا سنة**. . . بعد ذلك آيات في بيان سنة

(1) في ن ح : تصرفهم.
(2) إشارة إلى الصوفياء والمتصوفين الذين يبعدون أنفسهم عن السياسة.الباحث
(3) في ن ح : هذا.
(4) في ن ح: ويكرمونه غاية الإكرام حتى صارعند الناس لاقيمة للقرآن إلا استماع نغمائه.
(5) كمالايخفى.الباحث.

الأولين. **وماكان الله**... أن القرآن سياسيته تنفذ على وجه الأرض بإعراض الناس لايكون عاجزا **ولويؤاخذ الله الناس**...الذين يخالفون النبي(1) لايتركهم على وجه الأرض إلا إذا رجعوا إلى اتباع سياسة الإسلام.

(1) كائنا من كان من المنافقين والمشركين واليهود والنصارى.الباحث.

سورة يس

كان في خاتمة فاطر **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَه**...وقبيل[1] ذلك **لن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا**. سنة الله هي الفطرة. ولايقدر شئ[2] على تبديل الفطرة، وتحويلها فلايعجزه ومعنى قوله: **وماكان الله ليعجزه** ما قدره الله من الفطرة لابد أن تتم على حسب مقتضاها. تلك الحالة كانت أشد ما أتى على المسلمين في مكة. قريش منعوا بكل قوة أن تتمكن الحركة الإسلامية في مكة فكانوا يتصورون أنهم يقدرون إفناء هذه الحركة بهذه الطريقة. والنبي_ عليه السلام _كان فهم من بعض الآيات القرآنية أن الهجرة واقعة لابد للضرورة فكان يتفحص محلا صالحا لها. وقعت الهجرة إلى الحبشة؛لكنها ماكانت تصلح مركزا للإسلام؛لأنها خارج الحجازلايتعلق بها بنوإسماعيل، وماكانت هذه الهجرة للاستقرار بل ليتنفس المسلمون عن مظالم قريش، ويقدرون على التفكر. لماكان ضعفاء المسلمين موجودين بمكة[3] وكانت تقع وقائع ظالمة فكانت طبيعة النبي وأصحابه الخاصة مشتغلة في تلافي المظالم فقط، وماكانوا فارغين للتفكر في تفحص محل صالح. [4] ولما هاجر المظلومون إلى الحبشة قصرت يد قريش عن الظلم لعدم المحل ففرغ النبي وقوته المشاورة لتعيين محل يصلح لمركزية الحكومة فكان النبي ذهب إلى الطائف، وهولم يكن صالحا له فكانوا في اضطراب وطلب وتعب. هذا الزمان هو زمن نزول سورة ياسين[5]. من لوازم الفطرة أنها تمشي بنفسها إلى

---

(1) في ن ح : قبل .
(2) في ن ح : أحد ولاشئ.
(3) في ن ح : في مكة.
(4) في ن ح: يصلح.
(5) يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: قال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن، وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها. وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه، فجعل يذرها على رؤوسهم ويقرأ يس والقرآن الحكيم- حتى انتهى إلى قوله تعالى- وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته، وباتوا رصدا على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمدا، قال: قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا، ثم ذهب لحاجته، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب. قال: وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: «وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحا وإنه أحدهم»لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,501/6.

من يصلح لها. فأعلى ثبوت على كون تعليم فطري أن يتنبه له الطبائع السليمة بنفسها بدون إرشاد معلم فتنبه أهل يثرب لدعوة النبي إلى بلدتهم. وهذا كان ثبوتا بديهيا على أن النظام التعليمي، ونظام الحكومة الذي أقامه القرآن فطري. وهذا المعنى الذي تنبهنا له دليل على حسن[1] سور القرآن فيما بينها فإتيان يس لسورة فاطر أمر يهتز به أهل الطبع إذا أدركوا السر.

قوله : **يس** يا 10 س 60 في السنة العاشرة جاء الوفد الأول من الأنصار في ذي الحجة وتخيلوا من أنفسهم وتنبه شاب منهم للدعوة إلى هجرة المدينة ثم في 11 و12 تعاقب الوفود واستقرار المعاهدة. وفي مبدأ الثالثة عشر وقعت الهجرة عندنا معنى يا التنبه لقبول تعليم القرآن للطبائع السليمة ومعنى س أن هذا الأثر تسلسل[2] إلى آخر خلافة معاوية فكان هذا دور تنبه الأقوام بطبائعهم السليمة حتى دخلوا في الإسلام. في الظاهر كان دور الغزو؛لكن الغزو كان مع الحكومات التي أفسدت فطرتهم. وبعد انهزام الحكومات بقيت الملل المظلومة فتنبهت فطرتهم السليمة فدخلت الإسلام في تلك السنين الستين. أولا دخلت العرب أفواجا في دين الله بعد هزيمة حكومة قريش في مكة. تنبهت قبائل العرب بسلامة الفطرة لقبول الدين ثم في تلك المدة فتح العراق والشام، ومصر زمن عمر، فبانهزام الحكومات دخلت الملل بالاختيار، وسلامة الفطرة في الإسلام. تلك البلاد لم تكن عربية ثم صارت بعد قبولها الإسلام صالحة لتكون مراكز الخلافة الإسلامية. ومن يعرف حكمة الارتفاق أن مركز الخلافة لايمكن إقامته بين الأعداء أعداء الحكومة. ففي زمن قريب انتقلت الخلافة إلى الشام ثم إلى العراق بل أولا إلى العراق ثم إلى الشام وكان مصر عديلا للشام هذا دليل بقبول كل تلك الملل الإسلام بخلوص القلب والإخلاص طوعا[3]. وبعد قيام مركز الخلافة انصبغوا بالعربية. وكل ذلك دليل على انتباه الفطرة، وتنبه الفطرة لقبول دين الفطرة، فكان هذا العمل متواصلا إلى آخر خلافة معاوية ما أثر في ذلك الأمر الفتنة التي وقعت بين المسلمين بل من مبدأ حركة الهجرة في السنة العاشرة إلى آخر السنة الستين كان على منهاج واحد. أرباب الحكومة من المسلمين يقاتلون أرباب الحكومة من الكفار أويقتتلون في ما بينهم هذا باب مستقل. وتأثر

(1) في ن ح : حسن ترتيب.
(2) في ن ح : يتسلسل.
(3) في ن ح : ورغبة.

الفطرة الإنسانية من تعاليم القرآن، وتنبه الفطرة بقبولها. وللسعي في إقامتها من سليم الفطرة قائم على منهاج واحد. ثم بعد ذلك جر[1] هذا العمل لكن بوقفات للحزق؛لأن طبائع هؤلاء الناس كانت مستأنسة بالعربية خارجة جزيرة العرب الأقوام المجاورة العراق والشام ومصر ماكانت بعيدة من العربية مثل فارس والروم والهند والتوران فتنبه تلك الأقوام يحتاجون إلى ترجمة العربية إلى لسانهم أو إلي تعلمهم اللسان العربي فكانت وقفات في تنبه فطرتهم إلى آخر زمن معاوية. فطرائق الأمور على طريق واحد **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** 2 الحكمة:بيان الفطرة أو الاعتماد على الفطرة. فأيام تنبه الفطرة وكتاب الفطرة وتأييده في التذكير دليلان على إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ؛لأن الرسول إنما يأتي للتنبيه على الفطرة ولتذكيرها فأمرك للناس أن يتبعوا كتاب الحكمة، وكتاب الفطرة هو الذي يثبت أنك نبي مرسل، وذلك الكتاب يعين برنامجك على سبيل القطع فتبين بذلك أنك **عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** 4 إذ لاإبهام في دعوتك. كل ذلك مذكور في كتاب يجد المفكرون أن الدعوة قائمة على الفطرة تبين بقوة الكتاب إنك على صراط مستقيم **تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** 5 قريش منعوه عن التمكن في مكة فسهل الله الهجرة إلى المدينة يعني أن القوى الإنسانية لاتقدر على إفنائه فنعلم أن إرادة الحق تعلن بكونه فكان **تنزيل العزيز لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهمْ فَهمْ غَافِلُونَ 6**. هم أميون لايعرفون الكتاب، وهم يستحقون أن يؤتوا كتابا؛ لأن فيهم رجالا يسبقون الأمم لو أوتي لهم الكتاب. هذا الفصل الأول في بيان مقصد سورة يس كالمقدمة.

الفصل الثاني: من قوله: **لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهمْ فَهمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْه بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاه فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)** قد ذكرنا أن الذين أفسدوا فطرتهم قاتلهم المسلمون فصفا لأهل الطبع التنبه إلى الفطرة. وحالة عدم الجهاد وعدم القتال يعرض عمن أفسد فطرته؛لئلا يضيع الوقت، ويتوجه إلى سليم الفطرة فقط ليتنبه وفي هذا الفصل بيان من

(1) في ن ح : جرى

ينبغي أن يعرض عنهم، وبيان سليم الفطرة الذين يتنبهون. من 7 إلى 10 بيان أهل الفساد **إنا جعلنا**... كبر فيهم لاينظرون إلى من هو تحتهم يريدون أن يستكبروا فقط. قوله:**وجعلنا من بين أيديهم**...ليس لهم تفكر في المستقبل، وليس عندهم علم من تاريخهم الماضي هذا معنى السدود من بين الأيدي ومن ورائهم وليس عندهم توجه إلى حظيرة القدس بالإمام عند الله ليأخذوا العلم إليه الإشارة **لقد حق القول**. . فتلك القوة لاتنتفع بالإنذار فينبغى أن يعرض عنهم إذ لم يقدروا على قتالهم، وإليه الإشارة في **10وسواء عليهم**...وأشار إلى[1] القسم الثاني: سليم الفطرة يتنبه باستماع القرآن في 11 **إنما تنذر**...يعني إنما يفيد إنذارك ويقع في محله إنذار من **اتبع الذكر**.. الذكر هو القرآن. **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**[2]. ومعنى هذا التوجه إلى حظيرة القدس يتنبه الإنسانية إنما تقوم بالاجتماعية، ولابد له من علل اجتماعية يجمعون مختلف الطبائع لإقامة النظام في الإنسانية سابقة على وجود الإنسان فيتقارب ذهنه إلى فهم حظيرة القدس ثم يتأثر لطيفة الحجر البحت فيخشى الرحمن بالغيب يعني يتوجه إلى التجلي القائم في حظيرة القدس، ويحصل له حال مثل الفناء في ذكره لحبه له. والمحب إذا تذكر محبوبه يعني لحظة ما فكره من كل شئ أو تقول أنه ينسى كل شئ والمعنى واحد. هذا إذا توجه إلى الغيب يعني حظيرة القدس، وتذكر الرحمن يعني تجليه القائم على الحجر البحت صار سببا لانجذابه إلى الرحمن فيضمحل قواه كلها بخضوعه للرحمن؛لأنه ينسى لحظة ما كل ما هو غير الرحمن. هذا معنى الخشية. **فبشره**...قبل ذلك كل ما صدر من إفراط وتفريط في حق الرحمن صار مغفورا. وبعد ذلك يكون له خلافة في الأرض، وتمكن في حظيرة القدس هو المراد من أجر كريم، ويعبرعن مجموع هذا الأمر بالجنة **إنا نحن نحيي**..يعني نعلم الجاهل[3] لابصورة العلم الذي لايفيد الحياة بل بحقيقة العلم الذي يكون سببا لحياة الفرد والقوم **ونكتب ما قدموا**. . في حياتهم **وآثارهم**. . يعني من يتبعهم بعدهم . كل هذا يكتب في صحيفة أعمالهم يعني مبدأ الحركة إلى منتهاه كله متعين من قبل إليه الإشارة في قوله: **وكل شئ أحصيناه**. . .

---

(1) في ن ح : القسم الثاني.وأشار إلى هذه الجملة لاتوجد.الباحث
(2) القمر: الآية :22
(3) في ن ح : الجاهلين يعني.

الفصل الثالث فيه مثال :الذين يتنبهون بأحكام الفطرة من **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ:27 قرية** يعني مجتمع سوسائتي **إذ جاءها المرسلون** أولا إثنان ثم أضيف إليهما ثالث فأنكرعامة المجتمع رسالة هؤلاء، وأنكروا اتصالهم بالله يقول بعض أهل التفسير: أنهم حواريو عيسى[1] والتحقيق أنهم غيرهم. الحواريون هم رسل عيسى لايستبعد بشريتهم. إنما كان الناس يستبعدون بشرية رسل الله. أنكرت القرية رسالة هؤلاء وتشائمت بهم يعني أنهم لواستمع قومهم هدايتهم يقع بينهم افتراق وتقاتل إليه الإشارة في **إنا تطيرنا بكم**. . ولذلك هم عزموا منعهم[2] من التبليغ[3]، وإن أصروا لايتقاصرون في قتلهم. إليه الإشارة **لئن لم تنتهوا**. . فأجاب المرسلون أن منبع التشاؤم فيكم جهلكم هو الشؤم فيكم **بل أنتم قوم مسرفون** يعني مبالغون إلى الجهل المركب ومع جهلهم يدعون أنهم عالمون لايحتاجون إلى تعليم هذا كان مثل عامة قريش؛لكن فيهم رجال يتنبهون. من 20 إلى 27. ذكر

---

(1) كما يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره:"زعم قتادة بن دعامة أنهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل أنطاكية قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا أي فكيف أوحي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحي إلينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام ابن كثير,505/6.

(2) في ن ح : أن يمعنوهم .

(3) كما يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره قوله"عند ذلك قال لهم أهل القرية إنا تطيرنا بكم أي لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا.وقال قتادة: يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم،وقال مجاهد: يقولون لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها لئن لم تنتهوا لنرجمنكم قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد:بالشتم، وليمسنكم منا عذاب أليم أي عقوبة شديدة، فقالت لهم رسلهم طائركم معكم أي مردود عليكم".لينظر:المرجع نفسه:505/6-506.

رجل جاء من أقصى المدينة فيه لطافة هذا الذي جاء من يثرب جاء من أقصى مدينة في الحجاز جاء رجل يسعى، وأنذرهم، وهو من قومهم، وأيد دعوة هؤلاء الأنبياء وليس لهم تعلق بهؤلاء من قبل لما سمع دعوتهم انشرح صدره فقام من عند نفسه يأتي بأدلة على قومه. [1] هذا الذي نريد من تنبه الفطرة لعلهم لم يؤمنوا بدعوة هذا الرجل أيضا بل قتلوه إليه الإشارة **قيل أدخلوا الجنة**. فالشهداء يدخلون الجنة على الفور بعد قتلهم. تلك النظرية فكرناها مرارا، وغفل عنها أكثر المتكلمين، وأبعدوا الناس عن فهم القرآن. نوعان من العلم علم عقلي فالشيوخ يعلمونه فإذا أدركناه بعقولنا[2] صرنا مثلهم، ونجد في قلوبنا لذة العلم، وقرأنا كتب الحديث على الفقهاء الحنفية على الدرجة الثانية أيضا فكانوا يؤولون الحديث إلى أقوال الفقهاء. وإذا رجعنا بعد ذلك إلى أنفسنا نجد كأننا لم نفهم حقيقة علم الحديث أو أننا لانريد موافقة الحديث. هذا بسبب[3] كثرة التأويلات. هكذا المتكلمون يحققون المسائل الكلامية بوجه يؤولون أكثر الآيات فيجد الإنسان في قلبه أنه لم يفهم القرآن أو لايريد اتباعه. والذي أخذنا من الإمام ولي الله من الكتاب والسنة بواسطة المشائخ المحققين هو مستثنى من ذلك.

الفصل الرابع : هذا القوم النوع الأول من الذين لايسمعون كلام الرسل يهلكون إما بالقتال أو بقواهر القدرة من قوله: **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِه مِنْ بَعْدِه مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ (30) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهلَكْنَا قَبْلَهمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهمْ إِلَيْهمْ لَا يَرْجِعُونَ (31) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32) وما أنزلنا... إلى محضرون ياحسرة...** يستهزؤون

(1) يؤيده تفسير الإمام ابن كثيرحيث يقول في تفسيره" قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الأحبار ووهب بن منبه: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى، أي لينصرهم من قومه، قالوا: وهو حبيب، وكان يعمل الجرير وهو الحبال وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة. وقال ابن إسحاق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: اسم صاحب يس حبيب، وكان الجذام قد أسرع فيه. وقال الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز: كان اسمه حبيب بن مرى.وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اسم صاحب يس حبيب النجار، فقتله قومه".المرجع نفسه:506/6.

(2) في ن ح : وفهمناه.
(3) في ن ح : السبب

بالرسل، ويستحقون الهلاك فالذي لايسمع القرآن يهلك القرآن، والفائدة من المثال هذا وبعدها جاء رجل يسعى.

الفصل الخامس: الكتب الإلهية ليست مغلقة حتى يعتذر رجل بعدم إمكان فهمها، ويحتج بعدم الفهم الإعراض. هذا الفصل من قوله: **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاها وَأَخْرَجْنَا مِنْها حَبًّا فَمِنْه يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيها مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِه وَمَا عَمِلَتْه أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْه النَّهارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاه مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِه مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ 44.** فطريق التفكر في كتاب على ثلاثة أقسام. 1: ينظرون فيما يخرج من الأرض النباتات، ويستحضرون احتياجهم إلى تلك النباتات، ويستحضرون أن شيئا فيها ليس بقدرتهم فالرب الذي ينبت لهم يعرفون أن له حكمة وغاية يعرفون أن ذلك ليس بحكمة يجب على المفكرأن يتفكر أي عمل مقصود من خلفه فيفهم تعليم الرسل. إلى ذلك إشارة من 33 إلى 34 **وآية لهم الأرض.** هذا أراده بالتفصيل، ويجدون فيه آيات كثيرة لتوجههم إلى حظيرة القدس ثم يقيمون عليه ما أنبت لهم من أنفسهم من أولادهم ثم يقيمون عليه دائما الذي لايعلمونه الآن، وينكشف عن معرفة في المستقبل فيقيمونه على هذا. أشياء جديدة يتولون من مواد لانعلمها تعلقها بحياتنا واضح ظاهر نتفكر بعد في مقصد حياتنا، ونرجع إلى فهم هذا النظام، وعلله الغيبية فنتوجه إلى حظيرة القدس، وبواسطتها إلى الله. 2: التفكر في تبدل الأوقات والمواسم. هذا مذكور في 31 إلى 40 **وآية لهم الليل.** . فالإنسان إذا تفكر في الشمس والقمر والليل والنهار ثم في تبديل المواسم المختلفة، ويطبقها على حياته، ويستحضر احتياجه إليها ثم ينظر أن شيئا من ذلك ليس بقدرته، ويكون تحت نظام لاعلى الجزاف. فإدراك هذا النظام يهديهم إلى التوجه إلى حظيرة القدس ثم

يفهمون كلام الأنبياء. **وكل في فلك**. . . أي يستديرون في دائرته فالأفلاك التي أثبتها بطليموس[1] في الحقيقة ليست إلا أشياء مثالية ليست جسمانية مثل العناصر فسير كل كوكب مثل السفينة في الماء؛لكن أهل الكلام حملوا هذا على أفلاك بطليموس فأفسدوا. 3:الأمر الثالث: في مراكب البحر والبر[2] هذا من 41 إلى 44 **وآية لهم إلى** . . . **حين**. إذا تفكروا في مراكب البحر والبر يستحضرون حاجاتهم إليها ثم يريدون أن شيئا منها ليس منهم، وكلها تحت نظام لتوسع ذهنهم لإدراك الأمور العالية فيتوجهون إلى حظيرة القدس. تلك نظريات التعليم.

الفصل السادس:عمليات التعليم ليست بمشكلة حتى يعتذروا عنها. هذا من قوله: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَه إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهمْ وَهمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وإذا قيل لهم إلى**. . **معرضين**. كل آية أتت بين أيديكم أو من خلفكم يلزم عليكم أن تعاملوها معاملة العدل والإحسان؛لكنهم يعرضون عن ذلك. ولوعملوا بها صار سببا للرحمة، ولاتصالهم بحظيرة القدس قولنا اتقوا الله أواتقوا آيات الله.... معناهما واحد. كل آية جاءتنا تحدث تفسيرا في الحالات. وعلى حسب تفسير الحالات واجب إقامة التقوى. فالنفوس لاتترك بحال. كانت علينا حكومة إسلامية. أما اليوم فعلينا حكومة إنكليزية. هذه أمثلة آيات الله فالواجب علينا أن نتمسك بالتقوى في كلتا الحالتين، وليس ذلك بمشكل،

---

(1) كلوديوس بطليموس أو بَطْلُمْيوس باليونانيةΚλαύδιος Πτολεμαῖος حوالي 100م – حوالي 170 هو رياضي وعالم فلك وجغرافيّ ومنجم من أهل القرن الثاني للميلاد. ولد سنة 87 م وتوفّي قُرْب الإسْكَندريّة نحو 150م.وهوصاحِب كتاب المَجَسْطي يقوم نظامُه الفَلَكيّ على أَساس أنّ الأَرْضَ ثابِتَة، وأَنَّ الأَفْلاك تَدُور حَوْلَها.بطليموس هو مؤلف العديد من الأطروحات العلمية ، كان لإثنان منها لهما تأثيرعلى العلوم الغربية والشرقية و ذلك عن طريق كتبه العديدة و المتنوعة المجالات.أولهما هو كتاب المجسطي و الآخر هو كتاب الجغرافية ويعد هذا الأخير تجميعا للمعرفة الجغرافية للعالم اليوناني الروماني.يعد عمل بطليموس إستمرارية لتطور طويل في العلوم القديمة يقوم على ملاحظة النجوم والأعداد والحساب والقياس لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B7%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%88%D8%B3.

(2) في ن ح : مراكب البر.

والناس يعرضون عنه **وإذا قيل لهم أنفقوا**... هذا الإنفاق[1] مما رزقه الله كان سهلا، وهم احتالوا، وأعرضوا عنه **ويقولون متى هذا الوعد**: هذا يسألونه كأنهم لايريدون أن يعملوا بالأحكام دائما لتحصيل نفعهم بل يريدون أن يعملوا لتحصيل نجاتهم من عذاب الله في الدنيا إن وقع فيسألون عن وقته يعني إلى ذلك الوقت يكونون أحرارا ليس لهم تقييد بشئ. ووقت الهلاك ليس ممتدا هو آت. في تلك الحالة لايقدرون على عمل ينجيهم، إليه الإشارة في 49 إلى 50 **ماينظرون**. .

الفصل السابع. . آثار حظيرة القدس. الأول المحشر بيانه من قوله: **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ 54. ونفخ في الصور**. . هذا جذب من[2] حظيرة القدس للنوع الإنساني في مثل جذب المقناطيس للحديد. الأمر الثاني:أهل الجنة في نعيم من قوله: **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيها فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ** 58. أن أصحاب الجنة. هذا نزلهم ومنهاج واحد إلى الاتصال بحظيرة القدس في قوله:**سلام قولا**... إشارة إلى الاتصال بحظيرة القدس،وإن كان يظهر تجلياته على كل من دخل الجنة في بعض الأحيان. أما استمرار هذا لايكون إلا في حظيرة القدس.

الفصل الثامن:الأمر الثالث: عذاب المجرمين من قوله: **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّها الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هذِه جَهنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْها الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاههِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهدُ أَرْجُلُهمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا**

(1) في ن ح: هذا الأمر للإنفاق.
(2) في ن ح: من لاتوجد.

يَرْجِعُونَ (67) وَمَنْ نُعَمِّرْه نُنَكِّسْه فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68) وامتازوا اليوم. هذه حالاتهم بعد المحشر. **ومن نعمره ننكسه**... علم أن الحياة المادية العنصرية لاتوافق الكمالات الإنسانية إلى آخرها. الإنسان في شيشوخته يكون عقله راسخا تجاربه واسعة، فالمناسب لتلك الحالة أن يكون له وجود أكمل من الأول، وترونه في شيخوخته يتنزل وينحط ويضعف فالعقل السليم يهدي الإنسان إلى أن الرب الذي جمع للإنسان المقدار الكثير من العلوم والتجارب الواسعة لايضيعها بسبب عدم موافقة هرمه(1) بل ينشئ نشأة أخرى. إليه الإشارة **أفلا تعقلون**. فالنشأة الأخرى تكون موافقة للأعمال السابقة. هذه الآثار كلها من تأثير حظيرة القدس.

الفصل التاسع: تشريح البرمن قوله: **وَمَا عَلَّمْنَاه الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه إِنْ هوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهمْ لَها مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاها لَهمْ فَمِنْها رَكُوبُهمْ وَمِنْها يَأْكُلُونَ (72) وَلَهمْ فِيها مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّه آلِهةً لَعَلَّهمْ يُنْصَرُونَ (74) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهمْ وَهمْ لَهمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاه مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَه قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيها الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْه تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهمْ بَلَى وَهوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَا أَمْرُه إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَه كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ(83)**شرح الدعوة القرآنية للطبائع المنتجة بعد التذكير اي الملتحقين بالمتنبهين بسلامة الطبيعة جماعة فطرتهم سليمة مثال ذلك: أن الأستاذ يقرأ مرة واحدة شعرا أوقاعدة علمية فمن التلاميذ من يفهمها، ويحفظها في أول مرة. هذا مثال سلامة الفطرة. الأنبياء إذا ذكروهم بالقرآن يحفظونه، ويفهمونه، ويدركونه بأول مرة ثم جماعة ماتنبهوا أول وهلة؛لكن إذا تمارسوا مع هؤلاء الطبقة العالية، وكرروا كرة بعد كرى يتنبهون مثال ذلك من التلاميذ من يفهم كلام الأستاذ

---

(1) في ن ح : بدنه.

بعد تكراره ثلاث مرات ثم يكرر التكرار مع التلاميذ التي من الطبقة الأولى فيفهم ثم يكرر في نفسه عشر مرات فيحفظ. هذا القسم الثاني ملحق بأصحاب الفطرة السليمة، وهم مثل أصحاب اليمين، والأولون مثل السابقين. وفي هذا الفصل شرح الدعوة القرآنية لتلك الطائفة الثانية. والثالثة يعرض عنها؛لأنهم لايلتفتون أبدا نذكر في الفصل مسائل. المسألة : فهم معنى القرآن يتيسر لهم بعد رجوعهم إلى كلام الشعراء ثم إلى كلام الحكماء. فإذا قاسوا بين القرآن، وبين كلام هؤلاء يجدون في القرآن مزية عالية فيدركون أنه ذكر، وأنه قرآن مبين؛ لتبيين أصناف الإنسانية، وحالاتهم، ولإيتاء الحياة لطائفة، ولإلزام الحجة على الآخرين. هذا المعنى لايدركونه أول مرة إليه الإشارة في قوله:**وماعلمناه الشعر**. .

المسألة: الإنسان يملك أنعاما يستعملها في حاجاته ثم يتنبه. أن نسبته إلى ربه مثل نسبة الأنعام إليه بعد ذلك يتنبه إلى قصوره عن القيام بحق الرب المتفرد في حظيرة القدس. أما بدون هذه المدد لايفهم هذه المسألة. من 71 إلى 74 **أولم يروا**. . . فإذا تنبهوا على الشكر يجدون في أنفسهم عدم الالتفات إلى الله، واتخاذ الآلهة، وعدم إرادة اتباع الأنبياء، وإرادة مخالفتهم فلولم يقيسوا حالاتهم على حالات الأنعام ماتنبهوا على أغلاطهم[1]. **واتخذوا**. . نحن آتيناهم أنعاما؛ليستفيدوا منها ويستفيدون علما، وهم يشركون[2]. هذا هو ظاهر السياق. ونحن استنبطنا من قوله. . أولم يروا أنهم يرون بعد ذلك؛لأن الخطاب خطاب ملايمة لا خطاب إعراض.

المسألة:إعادة الإنسان وحشره يبحث فيه الإنسان ولايهتدي ثم إذا رأى آيات يهتدي. هذا من 77 إلى 83. أولا أنظروا في **وضرب لنا مثلا**. . يعني هو ينكرها بحجة **قل يحييها** جوابه :الذي أنشأها أول مرة. هل تعرف من أين؟وكيف إنشاءه عنده؟ المثال الأول: الأشياء الكثيرة موجودة ينشئها من مثال المادة الأولى:توضيح ذلك نرى صائغا يصوغ لنا حلية من ذهب وفضة فيشتري منه إنسان ويضيعها، فإن قال هذا الرجل أن الصائغ لايقدر على صوغ حلية مثلها. هل يجوز العاقل هذا؟ وهذا يمكن أن يسلم في صورة واحدة إذا لم يكن عنده ذهب مثل الأول الذي

(1) في ن ح : وقد ذكرنا شيئا من هذا في تفسير سورة العاديات.
(2) في ن ح : يشكرون.

صاغ منه تلك الحلية فيقول الإنسان أن الصائغ لايقدرعلى ذلك. أما إذا كان الذهب موجودا بكثرة فهو يقدرعلى صوغ كثيرمثلها. الحكم بذلك إنما يصدر من جاهل. مثل ذلك الخياط خاط قميصا، وأضاعه رجل فإذا كان عند الخياط ثياب مثل الأول يقدر أن يخيطه مثل الأول مرة ثانية، فالذي خلق السموت والأرض. ومن مادة مأخوذة من السموت والأرض خلق الإنسان، فلوفرضنا أن تلك المادة صارت رميما، وهو يملك مادة لخلق الإنسان مثل الأولى إلى مقادير لانهاية لها. هل يمكن عاقل أن لايخلق مثله؟**وهو الخلاق العليم**. فالخطاب في تلك الآيات خطاب التفهيم مثل 77 **أولم ير الإنسان أنا خلقناه** . هذا الخطاب ليس خطاب إعراض. **إنما أمره**. . لولم يكن مادة خلق الإنسان موجودة فالله يقدر أن يخلقه بأمره في نشأة مبتدعة، فإنكار إعادة الإنسان ليس بصحيح. بعد هذ القدر من التفهيم يتوجه إلى حظيرة القدس نتيجة هذا التفهيم هي تلك العقيدة.

سورة الصافات

في سورة يس كان[1] تعيين المركز بعد الهجرة. أصل الدعوة القرآنية كان مركزها المسجد الحرام، فلذلك أصر الكفار في منع تمكن الدعوة في المسجد الحرام، وغلب الظالمون على الحرم، وكان جزاؤهم أن يقاتلوا ويخرجوا. وهذا لم يكن بدون الهجرة وتعيين المركز. فلما تعين المركز فالعمل الذي يكون في المركز الثاني بيانه في سورة الصافات. كل من يقرأ القرآن يعرف بالبداهة أن ثلاثة مسائل[2] يبحث عنها في القرآن أصالة 1: توحيد إله الحق2: كون النبي رسولا صادقا يعني كون القرآن كتاب الله 3: الدار الآخرة. وتلك الثلاثة هي العنوان لحظيرة القدس. التجلي الإلهي يشير إليه التوحيد وقرار الملأ الأعلى هو الكتاب، وتعيين الرسول، وجذب الملأ الأعلى للنوع الإنساني هو الدار الآخرة. فالأمر الذي ينبغي أن يرتكز في المركز هو محاكاة حظيرة القدس. وهذا معنى قول عيسى بن مريم فليكن في الأرض حكمك كما هو في السماء[3]. فالأنبياء كافة لايريدون إلا هذا. العمل في المركز الثاني يكون مقصده فتح المركز الأصلي، وإخراج الظالمين منه. فالأمر الأهم هو العمل. فالملائكة في حظيرة القدس قسموا أعمالهم ولهم صفوف في الآية 165 من هذه السورة **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وقبل ذلك وَمَا مِنَّا إِلَّا لَه مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164)**. وكل رجل يشتغل بتكميل ما يناسب تربيته من العمل ثم يصفون ومثل هذه الأعمال هو المقصود من هذه السورة. **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ 5**. هو **الفصل الأول** في السورة في بيان ما يراد من صفات حظيرة القدس أن ينقل إلى الأرض. والأقسام الثلاثة بمعنى الشهادة[4] على أن الحكم لواحد ومعنى هذا: أن الصفوف منظمة تكون تحت حكم الرب الواحد يعني كتاب الله **رب السموت**. معناه المتجلي في حظيرة القدس **ورب المشارق** معناه: الإشارة إلى شؤون الإلهية. كل

(1) في ن ح : كانت لكن كلمة كان أصح بدل كانت حسب التركيب النحوي.الباحث
(2) في ن ح : من المسائل بزيادة من .
(3) إن القول حسب المراد صحيح لكن لم أطلع على مصدره من خلال مطالعة المصادر والمراجع.الباحث.
(4) في ن ح: والثلث قسم بمعنى الشهادة.

يوم يكون للشمس مشرق جديد كذلك لطلوع التجلي في حظيرة القدس، وتأثيره في السموت والأرض كل يوم شأن غير شأن يوم الآخر. إليه الإشارة **ورب المشارق**.

الفصل الثاني: في بيان اتصال حظيرة القدس للسموت والأرض من قوله: **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَه شِهابٌ ثَاقِبٌ (10)** عندنا السموت قوى مثالية، وهي تتبدل صورها على حسب تبدل الشؤون. والسبع السموت مثل السبع الأرض. والأرضون المراد عنها عندنا الأقاليم وكما قسم أهل النجوم السبع السيارة على سبعة أقاليم. وتعيين الأقاليم عندنا خلافه هم قسموها تحت مناطق الطول والعرض، ونحن نقسمها على حسب مساكن الأقوام قد ذكرنا من قبل نقلا عن تكميل الأذهان: الأقوام السبعة(1) الصين الهند الإيران التوران العرب الحبشة الروم واليونان وكذلك كل أرض مختصة بسماء فتكون الكواكب السيارة السبع مختصة بسماء سماء وقد يختبط(2) من فهم من مثل هذا الكلام أن السيارات واقعة في السموت؛لأن تخصيص السيارات ليس إلا مثل تخصيص الأقاليم. وكما أن الأقاليم كلها تحت السماء كذلك الكواكب السيارة كلها تحت السماء. تلك الكواكب أخذناها؛لأن لها تعلقا بالأرض والثواب الغير المتناهية لها تعلقات بعوالم آخر لايعلمها إلا الله، ويكون لتلك السيارات السبع أيضا اتصال بالكواكب الثابتة فيكون تأثيرها في الأرض أيضا بواسطة السيارات، وكلها تحت السماء. إليه الإشارة في 4 **إنا زينا السماء الدنيا**... قد اشتهر بين المسلمين عامة نظريات أرسطو(3) في الأفلاك، وهيئة بطليموس(4)؛لأن المترجمين في زمن المأمون(5) توجهوا إلى ذلك, فالمفسرون يؤولون

---

(1) الأقوام الكبيرة باعتبار اللغة والفكر الاجتماعي سبعة وهي الصين ، الهند ، الايران ، بخارى ، والعرب _وهي قوم مستقلة_ ، الحبش _ وهي في الجنوب _ واليونان كان يقال له فرنكستان والآن معروف ب "أوروبا". فهذه أكبر مجتمعات الإنسانية.لينظر:تكميل الأذهان،الإمام رفيع الدين الدهلوي،23-24،ط:ايج ايم سعيد كراتشي،عام:1998م.

(2) في ن ح : يخبط

(3) سبق ترجمته

(4) سبق ترجمته

(5) هو المأْمُون العَبَّاسي عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور،(170 - 218 هـ = 786 - 833 م) أبو العباس: سابع الخلفاء من بني العباس في العراق.نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما

الآيات تطبيقا على تلك النظريات. وللهنود آراء في الهيئة مخالفة لهيئة بطليموس. [1]عندنا وعند مشائخنا من اتباع الإمام ولي الله التقيد في الهيئة بمذهب حكيم ليس بمرضى قول أي حكيم يوافق ظاهر القرآن يأخذون به. الأفلاك التي قدرها أرسطو، وتبعه بطليموس لايثبتها الهنود. وكذلك لايتبعهاحكماء عصرنا. وليس في نصوص القرآن ما يعين موافقة أرسطو فلاحاجة إلى التقييد بقوله في التفسير. والشيخ عبد القادر[2] ابن الإمام ولي الله في ترجمة القرآن اتبع آراء الهنود فقال كل في فلك يسبحون كل يدور في دائرة[3] وفي مثل قوله ولقد زينا. . فرض الكواكب كلها تحت سماء الدنيا. وقدر الشيخ محمد إسماعيل[4] في العبقات[5]: أن السموات من حقائق عالم المثال فبهذا[6]. فبعدم تقيد مشائخنا بمذاهب اليونان يجعل علينا تلقين القرآن للمتخرجين في الكليات الغربية وهذا من أعظم الفوائد لنا في اتباعنا للإمام ولي الله وإلا هم يشنعون على المسلمين بعد رد نظريات أرسطو بتجارب محققة، وإصرار المقلدين للمصنفين على أن جعلوا آراء أرسطو عين الإسلام. [7]

في آية 7. **وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7)**. الشيطان هاهنا قسم من الجن والجن متقارب للملأ السافل فالجن مثاله مثال النسمة في الإنسان؛لكن النفس المحافظ لهيئتهم يغلب فيها القوى المثالية والجزء الطبعي، النار الأسود الدخان المخلوط بالنار فهم أنزل درجته ممن خلق من النور من الملائكة؛لكن يتقاربون إلى ملائكة الملأ الأسفل مثل تقارب نوع القرد للإنسان فيعملون بعض أعمال الملائكة فإذا رأوا[8] أن الملائكة يكونون رسلا بين الله، وخلقه المتمرد منهم يحاكي صورة الملائكة، ويتخذ شياطين الإنس محل تأثيره فيحتاجون إلى أن يأخذوا علما من الملأ الأعلى حتى

وراء النهر والســـند. تمم ما بدأ به جده المنصـــور من ترجمة كتب العلم والفلســـفة.توفي في " بذندون " ودفن في طرسوس لينظر: الأعلام للزركلي 4/ 142.

(1) في ن ح : وأرسطو، وكذلك في اليونان فيثاغورس،وأصحابه يخالفون بطليموس.
(2) سبق ترجمته
(3) لينظر:مستند موضح قرآن مع فوائد الشيخ عبد القادر الدهلوي،تصحيح،الشيخ أخلاق حسين القاسمي،سورة يس،607،ط:ايج ايم سعيد كمبني كراتشي،باكستان.
(4)سبق ترجمته.
[5] أحسن كتاب في علم الحقائق وفيه شرح مصطلحات فلسفة الإمام الدهلوي.الباحث
(6)لينظر:العبقات،الشـــاه إســـماعيل الدهلوي،ترجمته بالإردية،الشـــيخ مناظر كيلاني،تحقيق عالم المثال،عبقة:1، 410،ط:إدارة إسلاميات لاهور.
(7) في ن ح : ونحن قد خلصنا من تلك المخمصة بحمد الله.لاتوجد في ن إ.
(8) في ن ح:أرادوا

يحاكوا رسالة الملائكة إلى الأنبياء فهم يريدون الصعود، ويقدرون أن يأتوا إلى حدود النجوم؛لكن فوق ذلك من عالم المثال لايرتقون، وعامة أخذهم العلم عن المنابع في أسفل عالم المثال الذي يختلط فيه الصدق والكذب. فتلك المسألة محققة في حكمة الإمام ولي الله: أن الصدق الخالص والحق المحض منحصر في حظيرة القدس، ويرتفع إليها الطبقات السافلة فيأتي إليها الحق من حظيرة القدس، ويرتفع إليها الحق والباطل من الأرض فالشيخ يحكم أن كل ولي الله إذا كان مأخذ علمه دون حظيرة القدس يختلط في رواية الحق والباطل، فلذلك كان مدارج الأولياء غير محفوظة من الخطأ. وهذا من أعظم المسائل التي يحتاج إليها العالم المحقق. وهذا أيضا من الفوائد الخاصة التي استفدناها باتباعنا للإمام ولي الله وإلا فقد رأينا أهل العلم يختلفون في أمثال الشيخ الأكبر(1) وما ينقله من مشاهداته في عالم المثال. والتحقيق أن فيه الغلط والصحيح مثل آراء أهل الاجتهاد، وطائفة رأى فيها بعض الخطيئات فأنكر كلها مثل أتباع ابن تيمية(2) يجعلون أمثال ذلك من الكشوف من العلوم الشيطانية، وطائفة صدقوها في كل مايقول، وصعب عليهم تطبيق كلامه بكلام الشارع ونحن في مخلص من هذه المصيبة(3)، ولذلك إذا رأينا أن كشف الإمام ولي الله يخالف ما قد ثبت عندنا قطعيا نحكم بخطأه، ولايؤثر ذلك في اتباعنا لحكمه، والشيخ حقق المسألة في التفهيمات(4) الإلهية(5). وذكرها على الإجمال في فيوض الحرمين(6). فالشياطين يريدون أن يأخذوا عن مركز الحق حظيرة القدس شيئا فيجلسون في حدود الكواكب، ويصاحبون ملائكة الملأ السافل يأخذون منهم بالتفري فيقعون في الخطأ والصواب لتخمينهم. وأما إذا ارتفعوا عن حدود الكواكب ليأخذوا من الملأ الأعلى فقد يصل إليهم شئ جزئي **ويقذفون من كل جانب** ليرجعوا إلى حدودهم

---

(1) محمد بن علي بن محمد ابن العربي،المعروف بمحيي الدين بن عربي،(560 - 638 هـــ = 1165 - 1240 م) الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشـام وبلاد الروم والعراق والحجاز و أخيرا اسـتقر في دمشـق، فتوفي فيها. وهو، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. من مؤلفاته: الفتوحات المكية عشر مجلدات، فصوص الحكم وغير ذلك. لينظر: الأعلام للزركلي:6/ 281.

(2) سبق ترجمته

(3) في ن ح : بحمد الله.

(4)لينظر: التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،تفهيم:66، 2/209-212،

(5) في ن ح : بأتم التفصيل.

(6) لينظر:فيوض الحرمين،الإمام ولي الله الدهلوي،233.

فالقرآن أثبت هذا بالنصوص الواضحة. وهذا لايمكن تحقيقه إلا بإثبات عالم المثال[1]، وكتب المتكلمين خالية عن تلك المسائل؛لأن أرسطو لم يذكرها فيأتون بتأويلات بعيدة عن الفهم فإذا غلبت الحكمة التجريبية التي هي لسان عصرنا على رجل هو يتشكك في نصوص القرآن، ولايتوجه هذا الصنف من أهل العلم إلى إصلاح تلك المفسدة، ونحن نثبت عالم المثال باتباع الإمام ولي الله، ونقدر على تصور الحقائق على وجهها، ونجعلها أعلى من تجارب أهل عصرنا[2] ، فالحكمة ليست وقفا على رجل معين حتى نتبعه. ومثال ذلك في عمل مشائخنا مسائل النحو، فكثير من المفسرين اختاروا في النحو مذهب سيبويه[3] فيشكل عليهم بعض الآيات القرآنية فيؤولونها بتأويلات سخيفة، ومشائخنا من أتباع الإمام ولي الله لايتقيدون في نحو القرآن مسلك رجل دون رجل فيقدرون على حل كل إشكال بالسهولة وهذا الأمر ليس بمتيسر لكل من تكلم في العلوم إلا من رزقه الله من لدنه علما وفضلا. [4] في ضمن ذلك حصل توجيه تلك الآيات الخمس. **لايسمعون**. **الشهاب الثاقب** عندنا شهاب مثالي لكن طبقة عالم المثال للتوازي آخر حدود الكواكب. فالكواكب لها تعلق بتلك الطبقة من عالم المثال فإذا احتاجوا إلى نور في قذف بالشهاب الثاقب إلى قليل من نور مادي يأخذونه من الكواكب فكان للكواكب في حفظ سماء الدنيا من الشياطين دخل ما لايتكامل ذلك الدخل مثل دخل العلة التامة، فالقاذف هم الملائكة وأصل قوتهم من عالم المثال، وفيه اختلاط لنور الكواكب أيضا فالشهاب الثاقب الذي نراه في السماء الطبيعية هو صنف آخر غير الصنف الذي يرى به الشياطين، وإن كان المتبصر في عالم المثال يراهما سواء[5] مثل الذي يرى في المنام من طلوع شمس أخرى مع هذه الشمس فما يراه من الشمس الأخرى فيأتي محض؛لكن

---

(1) هو عالم غير عنصري تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة وتتحقق هنا لك الأشياء قبل وجودها في الأرض نحوا من التحقق" ثم يوضحه الشيخ الشهيد الشاه إسماعيل قوله : " الجاحد بالوجود المثالي ليس من أهل السنة حقا بل فيه شوب من الاعتزال لما أنه يضطر إلى تأويل ألف نص بل أكثر تأويلا بعيدا"لينظر:حجة الله البالغة،الإمام الدهلوي،13/1، وأيضا: عبقات،الشاه إسماعيل الدهلوي،170

(2) في ن ح : وعندنا تجارب العارفين مؤيدة لكل ما نقوله.

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة،(148 - 180 ه = 765 - 796 م) أول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه "المسمى" كتاب سيبويه في النحو ورحل إلى بغداد، إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز. وكانت في لسانه حبسة. وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح.توفي شابا.الأعلام للزركلي 81/5.

(4) في ن ح : ونحن نحمد ربنا أننا تعرفنا بالإمام ولي الله فسهل علينا فهم كتاب الله.

(5) في ن ح : لايفرق بين هذا وهذا.

لايفرق من الشمس الحقيقية في عالم المنام هذا كان إثبات اتصال حظيرة القدس بما تحت السموت من الكواكب والأرضين.

الفصل الرابع:تأثير حظيرة القدس في الإنسانية فإن نسبتها في الأصل إلى النوع الإنساني نسبة القوى الدماغية إلى أفراد النوع. هذا الفصل من 11 إلى 74 لذلك قسمناه إلى فصول ثانية من تلك الفصول:

1-جذب حظيرة القدس للنوع الإنساني إلى المحشر من قوله: **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14) وَقَالُوا إِنْ هذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هذَا يَوْمُ الدِّينِ (20) هذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) فاستفتهم**. . في عالم المثال تحت إدارة حظيرة القدس كل يخرج من هذا العالم الجسماني يحفظ في عالم المثال **فإنما هي زجرة**. مثال ذلك الإنسان لايفهم مسألة اجتماعية فيتباعد عنها بكل قوته مثل سوشيالزم(1) ينظر فيه الرجل أنه يخالف الأديان يتجنب عنه المتدين بكل قوته ثم يأتي يوم ينكشف على هذا المتدين أن سوشيالزم شئ، واللادينية شئ آخر. وسوشيالزم لايستلزم اللادينية إنما خلط هذه بالآخرى عند بعض المتخبطين ثم يظهر له فوائد سوشيالزم. هذا الانقلاب في الدماغ كله في وقت محدود آت أو نومة فالدماغ يجذب جميع القوى البدنية، ويجعل هذا الرجل من أئمة سوشيالزم . هذا الانقلاب هو انقلاب الدماغ، وتأثيره يكون في اجتماعية هذا الإنسان في جميع أجزائه، حالته تتبدل بالمرة يذهب إلى موضع لم يكن يراه أولا ومثل هذا يكون حشر النوع بجذب حظيرة القدس، وهي دماغه. ومن تلك الفصول:

---

(1) الاجتماعية.الباحث

2 – في منازعة الناس المجرمين وأئمتهم من قوله: **مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39)** ومن تلك الفصول.

3– في كون الصالحين في الجنة ونظرهم من الجنة إلى أهل الجحيم يقيسون حالهم مع أحوال هؤلاء، ويلتذون تاما من قوله: **إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِه وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيها غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآه فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّه إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59) إِنَّ هذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61) أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُها كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمَالِئُونَ مِنْها الْبُطُونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهرَعُونَ (70) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ**

(73) **إِلَّا عِبَادَ اللَّه الْمُخْلَصِينَ** (74) إلا عباد الله. ثم في الفصل من ابتداء إلى استقرار كله جذب من حظيرة القدس فتخرج من كل تلك المباحث أن تأثير حظيرة القدس يجعل الإنسان أصنافا يعني صفوفات الصف الواحد منها إسمه عباد الله المخلصين. هذا كان خلاصة هذه المباحث.

الفصل الخامس: فصل طويل من قوله: **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75) وَنَجَّيْنَاه وَأَهلَه مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَه همُ الْبَاقِينَ (77) وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الْآخِرِينَ (78) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِه لَإِبْرَاهيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّه بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيه وَقَوْمِه مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهةً دُونَ اللَّه تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْه مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهتِهمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْه يَزِفُّونَ (94) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّه خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96) قَالُوا ابْنُوا لَه بُنْيَانًا فَأَلْقُوه فِي الْجَحِيمِ (97) فَأَرَادُوا بِه كَيْدًا فَجَعَلْنَاهمُ الْأَسْفَلِينَ (98) وَقَالَ إِنِّي ذَاهبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهدِينِ (99) رَبِّ هبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100) فَبَشَّرْنَاه بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَه السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّه مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّه لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاه أَنْ يَا إِبْرَاهيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هذَا لَهوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاه بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْه وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِه مُبِينٌ (113) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهارُونَ (114) وَنَجَّيْنَاهمَا وَقَوْمَهمَا**

مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115) وَنَصَرْنَاهمْ فكَانُوا همُ الْغَالِبِينَ (116) وَآتَيْنَاهمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهدَيْنَاهمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكْنَا عَلَيْهمَا فِي الْآخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِه أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوه فَإِنَّهمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللَّه الْمُخْلَصِينَ (128) وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الْآخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاه وَأَهلَه أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140) فَسَاهمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَه الْحُوتُ وَهوَ مُلِيمٌ (142) فَلَوْلَا أَنَّه كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144) فَنَبَذْنَاه بِالْعَرَاءِ وَهوَ سَقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْه شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَلْنَاه إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهمْ إِلَى حِينٍ (148) فَاسْتَفْتِهمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهمْ شَاهدُونَ (150) أَلَا إِنَّهمْ مِنْ إِفْكِهمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّه وَإِنَّهمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157) وَجَعَلُوا بَيْنَه وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا عِبَادَ اللَّه الْمُخْلَصِينَ (160) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْه بِفَاتِنِينَ (162) إِلَّا مَنْ هوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَه مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166) فيه بيان حالات الأنبياء السابقين الذين ذكرهم عند أهل الكتاب.وفي أهل مكة رجال

تنصروا،وهم ترجموا الكتب المقدسة إلى العربية فمعرفة قريش بها من وجه حاصلة في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. فكل نبي قسم قومه إلى قسمين: قسم منهم عباد الله المخلصين. وتلك الأقوام كلها موجودة على وجه الأرض قوم نوح، موسى، إبراهيم كلها موجودة. وفي كل قوم هذا الصنف أو الصف عباد الله المخلصين موجود قليلا أو كثيرا. هذا هو موضوع هذا الفصل. وقد قسمنا هذا الفصل ثانية [1]على فصول:

1 – من تلك الفصول فيه ذكر نوح من 75 إلى 82 **ولقد نادانا نوح**. . **هم الباقين**. اختلف أهل التفسيرمن زمن التوراة في تفسير هذه الآية: التوراة لايحكي عن أهل الأرض إلا ما يتعلق بعمود نسب موسى. الإنسان البصير إذا تأمل فيها يعرف أن ليس المراد حصر الأرض كلها في تلك لكن طوائف أهل التفسير اليهود والنصارى والمسلمين فهموا منها أن كل الأرض منحصرة في تلك هم يجعلون الأرض كلها واحدة، وليس بصحيح عندنا بل الكرة الأرضية منقسمة إلى سبع أراض، ويزيد عليها ما للوحش ففي لساننا إذا أطلق أرض لايكون المراد منها إلا قطعة وهذه[2] حقيقة لغوية.وكرة الأرض كلها أرض واحدة إنها هي اصطلاحية لايعرفها العامة ونحن حسب تحقيقنا نفسر القرآن والتوراة أن كل ذلك حكاية الأرض واحدة. الأرض المقدسة بلسان آل إبراهيم فيكون قوله: وجعلنا ذريته هم الباقين معناه غير ما فسر به هؤلاء[3] نحن نعتقد أن أهل التوراة هم أعلى دينا من كل الأديان الموجودة على وجه الأرض في تاريخ الأديان. فإذا توجه أهل النظر لتحقيق التاريخ لايقدم على التوراة نظرية تخالف نظرية التوراة، فالباقية الصالحة من الأسلاف ليس إلا أولاد نوح وإليهم يتوجه الرجل في تحقيق التاريخ بهذا المعنى هم الباقون.وقد ذكرنا ترجيح أهل

---

(1) في ن ح : على فصول ثانية.
(2) في ن ح : تلك.
(3) لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم،وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم، ولهذا قال عز وجل:ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون أي فلنعم المجيبون له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وهو التكذيب والأذى وجعلنا ذريته هم الباقين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول:لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,19/7.

التوراة على آخرين من أهل الأديان فيما سبق لتقريب هذا التأويل إلى أذهان عامة أهل العلم نأتي بمثال أليس المسلمون عامة يحصرون الحق في الديانة في اتباع نبينا؟ فلوقيل جعلنا آل محمد هم الباقين ألايكون هذا ترجمة لما في ذهنهم؟ ثم ينظرون بالتحقيق أليس في الدين دين آخر يدعي الحقانية أو يوجد فيه شئ من الحقانية؟ لكن المسلم إذا رأى تلك الأديان أديانا منسوخة فما حسب لها حسبانا. فكذلك في لسان أهل التوراة أن ذرية نوح هم الباقون تم هذا.

2 – فصل منها في بيان ملة إبراهيم من 83 إلى 113 **إذ جاء ربه**. . أي مفطور على الحق الذي قدر الله الإنسانية عليها بعد ذلك معارضة.

3 – من الفصول كما ذكر الله في بيان نوح **إنا كذلك نجزي من عبادنا المؤمنين** كان هذا تفسير لعباد الله المخلصين، وكان دليلا على أن هذا التقسيم تقسيم النوع إلى قسمين: وكون عباد الله المخلصين قسما أعلى. محقق في زمن نوح فإن كان من قومه يكون فيه ذلك الصنف أيضا موجودا كذلك ذكر في إبراهيم تلك الآية بعينها **كذلك نجزي المحسنين**, فكان دليلا على وجود ذلك الصنف في ملة إبراهيم.

4- ثم من الفصول في ذكر موسى وهارون، وورد في حقهما **إنا كذلك نجزي المحسنين** فيكون دليلا على وجود عباد الله المخلصين في ملتهما

5- في ذكر إلياس[1] وفيه ذكر عباد الله المخلصين مثل الأول.

6-في ذكر لوط[2] فيه ذكر نجاته ونجاة أهله فقط.

(1) في ن ح : من قوله تعالى: 123 إلى 132
(2) في ن ح : من قوله تعالى: 133 إلى 138

7-في ذكر يونس[1] فيه **فآمنوا فمتعناهم**. . تم هذا الفصل الكبير. فالملأ الأعلى في المحشر يجذب جماعة هم عباد الله المخلصين إلى أعلى الدرجات، كذلك الأنبياء في الأرض من نوح جعلوا أمتهم منقسمة إلى قسمين، والمقربون إليهم هم عباد الله المخلصين هؤلاء مقتدون بحظيرة القدس.

الفصل من 149 إلى 166 فيه بحث عن عقيدة قريش في الملائكة ثم الجنة أي حظيرة القدس والملأ السافل. وقع قريش في الغلط جعلت الملائكة أناثا، وجعلوها بنات الله، وكذلك جعلت بين الله وبين الجنة نسبا أنهم من أولاده ثم إثبات التغليط بحكاية قول الملائكة **فاستفتهم**...**ومامنا**.. .**وإنا**... قريش خالفت حظيرة القدس، وإجماع الأنبياء الكرام.

الفصل: فيه ترجى قريش قبل نزول الوحي لكونهم من عباد الله المخلصين. هذا الذي نحن نقول أن فيهم كان روح الديانة، وروح السياسة موجودة. وإنما غلط الناس وجعلوا قريشا والعرب في طبقة واحدة وقعوا في الأغلاط، وتباعدوا عن فهم القرآن. قريش بقية عن قوم متمدن مثل اليهود. وتمدن قريش كان على درجة التوسط[2] فهم مركز دعوة القرآن لا العرب. قوله: **وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّه الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175)** في 175 **فكفروا به** يعني أن النبي لايكون إلا بجمع عباد الله المخلصين من جميع الأمم، ويجعلهم حاكمين على الإنسانية هل هو مخالف لمقصد قريش فلم يكفرون؟ وإذا كفروا هم يغلبون.

الفصل: من قوله: **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**

(1) في ن ح : من قوله تعالى: 139 إلى 148
(2) في ن ح : وقد ذكرنا ذلك.

(175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182) مايكون عاقبة قريش وعاقبة نبينا **ولقد سبقت**. . نرجع في تفسير هذه الآية إلى فاتحة السورة والصافات صفا نبينا يجمع عباد الله المخلصين من أمة نوح إلى أمم سائر الأنبياء ثم يجعلهم صفوفا مثل الملائكة 1:صف **الزاجرات زجرا** هم المجاهدون الملائكة[1] كانت تزجر شياطين الجن هؤلاء يزجرون شياطين الإنس، وتلك الكلمة الواحدة تفضي إلى تكميل أمر الجهاد؛لكن المصلحة في ابتداء الأمر أن لايزيد عن إشارة إجمالية 2:الصف الثاني **التاليات ذكرا** يعني صف يعلم القرآن. كل بلد[2] فتح يعمرون اجتماعية على نظام القرآن فصفوف الجنود الجند الإلهي هي هذه يكون المعنى أن النبي يتوجه في المركز الثاني من أول الأمر في تجنيد الجنود، وكتب لهم أنهم هم الغالبون **فتول عنهم حتى حين**. . . جعلوا تفسيره تنظر إليهم والذي يظهر لي معناه إجعلهم بصيرا واشتغل بتعليمهم وتبصيرهم **فسوف يبصرون** كل شئ تعمل بعمل بحيث يظهر حكمة لهؤلاء حتى لايكونون في غفلة بل يرون كيف يرتقي أمر الله درجة درجة؛لأن منهم يؤمن البعض، ويكونون أئمة لأقوام آخرين. فإذا كانوا بصيرين بالأمر من الابتداء لأدوا ما فرض عليهم بنوأمية إنما آمنوا في آخر الأيام؛لكنهم ماكان يخفى عليهم من أمر النبي ــعليه السلامــ بشئ. أبوسفيان[3] لما حضر عند هرقل[4] فهل يقدر

---

(1) فالزاجرات زجرا هي الملائكة قال قتادة: الملائكة صـــفوف في الســـماء.لينظر:تفســـير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,3/7.

(2) في ن ح: بعد.

(3) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: (57 ق هــ - 31 هــ = 567 - 652 م) صحابي، من سادات قريش في الجاهلية. وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره: قاد قريشا وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأسلم يوم فتح مكة سنة 8 ه وأبلى بعد إسلامه البلاء الحسن.ولما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان أبو سفيان عامله على نجران. ثم أتى الشام،وتوفي فِي خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين.وصلى عَلَيْه عثمان. وقيل: صلى عَلَيْه ابنه معاوية، وَكَانَ عمره ثمانيا وثمانين سنة.وقيل: ثلاث وتسعون سنة. وقيل غير ذَلِكَ لينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة 5/ 148-149

(4) فلافيوس أغســـطس هرقل Heraclius ,(641 - 575)كان امبراطور بيزنطياً حكم من اكتوبر 610 – فبراير إلى 641.كان ابن هرقل الأكبر،واللذي كان وأحد جنرالات الامبراطور موريس فى الحرب ضد الفرس عام 590.وهو الإمبراطور البيزنطي اللذي عاصـــر الرســـول محمد ،فخســـرت الامبراطورية البيزنطية فى عهده بلاد

مؤمن أن يحكي من النبي أكثر من هذا(1)؟. هذا أمر أمر به النبي فتول عنهم وأبصرهم **أفبعذابنا**. **سبحان ربك** هذا الذي جاء مرة ثانية **وأبصرهم** معناه عندنا أخبرهم بأن عذاب الله، وإن جاء

الشام ومصر والجزائر وشمال افريقيا بفتحها على أيدى المسلمين لينظر. https://arz.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%B1%D9%82%D9%84

(1) أخرجه الإمام البخاري عن طريق عبد الله بن عباس: أن عبد الله بن عباس، أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ [ص:9] قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " و {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} قال أبو سفيان [ص:10]: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من

قريبا منهم يمكن نجاتهم إذا تابوا مثل قوم يونس. وعندنا أهل مكة تابوا تابوا مثل قوم يونس معنى هذا لاتخف عنهم إخفاء مثل مابين الأعداء المتحاربين بل تجزم أنك منصور، وجند الله غالب فلاتحتاج إلى تكلف في الاستتار بل أبصرهم كيف تنظم جنودك للغلبة عليهم ثم أبصرهم كيف تقبل توبتهم بعد إحاطة الجنود.

الإمام عبد العزيز الدهلوي[1] ذكر في بعض تصانيفه: أن بني أمية هم جند النبي، فلوأضفنا إليه كلمة أن بني هاشم هم الصف الثاني التاليات ذكرا لاستبعد[2]. [3]**سبحان ربك**. . الذي أتم أمر المسلمين ببعث خاتم النبيين، وجمع العالمين على طريقة الأنبياء.

الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل.لينظر:صحيح البخاري,باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله_صلى الله عليه وسلم_رقم الحديث:7.

(1) سبق ترجمته.

(2) لم أطلع على مصدر القول المذكور.الباحث

(3) في ن ح : فلوأضفنا إليه كلمة أن بني هاشم هم الصف الثاني التاليات ذكرا لايستبعد" لاتوجد في ن إ.

سورة ص

جنود الله أوصفوف المسلمين كيف تحدث بيانها في سورة ص المنشئ بهذا الأمر، وإلى أن منه يحصل النصرة والغلبة هو القرآن فقط. تذكيره وتعليمه ينشئ كل مايراد. قوله:**ص** 1. (90) عددها تسعون. وبعد تسعين سنة في اجتهاد يحدث خلافة للمسلمين مثل خلافة داؤد وسليمان. ففي 77 الهجرية الموافقة لتسعين من المبعث استبد عبد الملك[1] بالغلبة على الخوارج، [2] وكان خلافته، وخلافة أولاده الوليد[3] وسليمان[4] وعمر بن عبد العزيز[5] تضاهي خلافة داؤد وسليمان. تلك الخلافة كانت جامعة لجميع الأقوام المسلمة تحت حكم القرآن ماكان للمسلمين إلى ذلك الوقت شئ[6] سوى القرآن أو فهم أوتي رجل.

(1) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي الخليفة،الفقيه،ولد: سنة 26ه. تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة،وقتل أخاه مصعبا في وقعة مسكن،واستولى على العراق،وجهز الحجاج لحرب ابن الزبير، فقتل ابن الزبير سنة 72ه واستوسقت الممالك لعبد الملك توفي: في شوال، سنة 86ه عن نيف وستين سنة.لينظر :سير أعلام النبلاء 4/ 246-249.

(2) قد سبق الكلام عن هذه الفرقة.الباحث

(3) الوليد بن عبد المَلِك (48 - 96 هـــ = 668 - 715 م) كنيته أبو العباس: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي بعد وفاة أبيه سنة 86 هـــ فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد.وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين، شرقا، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال.وبنى المسجد الأقصى في القدس. وبنى مسجد دمشق الكبير، المعروف بالجامع الأموي،وكانت وفاته بدير مران _من غوطة دمشق_ ودفن بدمشق. ومدة خلافته 9 سنين و 8 أشهر. وكان نقش خاتمه: "ياوليد انك ميت " لينظر: الأعلام للزركلي 8/ 121.

(4) سبق ترجمته

(5) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي،(61 - 101 هـــ = 781 - 720 م) أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد،وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 هـــ فبويع في مسجد دمشق.سكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب (وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به،ومدة خلافته سنتان ونصف. لينظر: الأعلام للزركلي 5/ 50 -51.

(6) في ن ح: من سوى القرآن.

قوله:**والْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)**القرآن فيه ذكر داؤد وسليمان، وفيه ذكر الأقوام الكافرة المغلوبة جوابه محذوف القرآن ذي الذكر يشهد على أمر لتعلمن نبأه بعد حين[1]. أنه يجمع حكمه على العالمين فلما كان جوابه[2] أمرا عظيما ماكان التصريح في مكة مناسبا في أول السورة فلما تم التشريع والتشريح أجمل بالمقصد في آخر السورة.

الفصل الأول من قوله تعالى: **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنهم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهتِكُمْ إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَأُنْزِلَ عَلَيْه الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هم فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8) أَمْ عِنْدَهمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهابِ (9) أَمْ لَهمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10) جُنْدٌ مَا هنَالِكَ مَهزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11) كَذَّبَتْ قَبْلَهمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14) وَمَا يَنْظُرُ هؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَها مِنْ فَوَاقٍ (15) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)** ذكر الأقوام المغلوبة: هذه الأقوام الذين لايتوجهون جند واحد مهزوم من الأحزاب. وكان قبله قوم نوح وعاد وفرعون وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة :هؤلاء أولئك الأحزاب. هؤلاء الأحزاب حزب من الأحزاب، وعاقبتهم واحدة. من 2 إلى 10 شرح لما عليه قريش من المخالفة هؤلاء يغلبون إنما بذكر تغلبهم، وتغلغلهم يحكم

(1) واختلف في جواب هذا القسم ما هو؟ فقال الزجاج والكسائي والكوفيون غير الفراء: إنه قوله: إن ذلك لحق وقال الفراء: لا نجده مســـتقيما لتأخره جدا عن قوله: والقرآن ورجح هو وثعلب أن الجواب قوله: كم أهلكنا وقال الأخفش: الجواب هو إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب وقيل: هو صـاد، لأن معناه حق، فهو جواب لقوله: والقرآن كما تقول حقا والله وجب والله. ذكره ابن الأنباري، وروي أيضــــا عن ثعلب والفراء: وهو مبني على أن جواب القســــم يجوز تقدمه وهو ضـــعيف.وقيل: الجواب محذوف، والتقدير: والقرآن ذي الذكر لتبعثن ونحو ذلك.فتح القدير، الإمام الشوكاني،481/4.

(2) في ن ح : كلمة " جوابه" لاتوجد.

عليهم بأنهم يغلبون تحت حكم القرآن. وقد رأينا في المعلمين للتفسير أنهم يقطعون الآيات بعضها من بعض[1] ولايأتي مضمون القرآن في قلب طالب العلم مثلا هذه الآيات الأولى فيه مبالغة في الإنكار على الرسل. هذا يتأثر به ذهن طالب العلم ثم بعد ذلك حكم القرآن أنهم يغلبون. تلك المسألة مستقلة فلوجعلوا الآيات متسقة ببيان اشتداد الكفار في الإنكار ماكان إلا لبيان شدة غلبة القرآن على الأعداء. نحن إذا وصفنا عدونا بجمعه[2] لأسباب الحرب، والقوة مثل الإنكليز في الهند ربما نبسط فيه بسطا لايعلمه المخاطبون مثلنا فالناس يتعجبون منا، وفي آخر الكلام نقول كلمة[3] واحدة فقط نحن بحمد الله قادرون بدون استعانة من خارج الهند على إخراجهم من بلادنا إما اليوم وإما غدا_ إن شاء الله_، فالمتفطن يفهم إن بسطنا الكلام في قوة الإنكليز إنما كان لتثبيت قوتنا على الإنكليز فلايعلم الناس أن أهل الهند محتاجون إلى هؤلاء الذين يعتقدون بعظمة الإنكليز على أنفسهم بحيث لايقدرون أن يتعاونوهم.

رأينا مرارا تكلمنا بمثل هذا الطريق فلم يتفطن لمقصودنا إلا القليل. كذلك رأينا المفسرين لايتفطنون[4] أن المقصد هو بيان غلبة القرآن **أجعل الآلهة**. . . لنا في تفسير هذه الآية مطالعة مخصوصة: الناس يعتقدون أن كل قوم إلهه على موافقة ذهنيتهم يجب أن يكون كذلك فالأقوام اختلافها بين معلوم فتعدد الآلهة لازم لتعدد الأقوام ثم يكون الله فوق هؤلاء الآلهة لاينكرونه فيتعجبون كيف يمكن نفي الآلهة؟ يعني التي يثبتونهم تحت الإله الواحد هذا ذهن الناس. هذا وهذا أيضا هي ما ثبت في حكمة الشرائع أن كل قوم لهم شريعة مخصوصة، وإن كان أصل الدين واحد فلايقدر حكيم على نفي الشريعة لكل قوم في الدنيا. مثل ذلك نظن ونفهم أنهم كانوا يتعجبون من نفي الآلهة. وهذا لازم في صورة يعتقدون في واجب الوجود أن تأثير قدرته بالإيجاب على منهج واحد لايتغير والآلهة تحته يحكمون بالإرادة المتجددة، فأرباب الإرادة المتجددة هم الآلهة في الأقوام

(1) أي لاينظموها في سلك واحد.الباحث
(2) في ن ح : بجهة
(3) في ن ح :حكمة
(4) المراد من كلام الشيخ السندي بأن المفسرين يطنبون في بيان المراد إطنابا تاما حتى يفوت المقصد.الباحث

عندهم، وفوق ذلك قوة عالية موجبة لاحاجة لهم في إنكاره. والقرآن العظيم أتى برد فكرهم أنه يثبت للرحمن إرادة متجددة في حظيرة القدس، ويحكم هو رأسا فالذين يحكمون في الشرائع المختصة إنما يكونون مثل الحاكم التحتاني الذي يأمر بأمر الحاكم الفوقاني، والأمر(1) إنما ينشأ بالإرادة. فإذا كان إرادة الحكام التحتانية لااستقلال لها بل هي فانية في إرادة الرحمن فلايستحقون التأله. وتلك المعرفة أثبتها الإمام ولي الله بكل قوة لأنا لانرى كبارالأئمة في المتكلمين يتفطنون لهذا الفرق. فهذا أحد وجوه التي أبعدت فهم القرآن على من اشتغل بالفلسفة اليونانية المترجمة إلى العربية هي إنما توجب إثبات الواجب الوجود الموجب في تأثيره وإرادته، والمتكلمون لايأتون إلا بتغيير اللفظ يعبرون عن الإيجاب بالإرادة، وإثبات الإرادة الحقيقية المتجددة حسب تجدد الحوادث لايمكن إثباته للواجب إلا بواسطة التجلي، والمتكلمون لم يلتفتوا إليه، ومأأحسوا بكونه ضروريا هم لايقدرون أن يتفطنوا في مثل تلك المباحث الدقيقة في الإلهيات. والقرآن يثبت للرحمن استوائه على العرش بعد التأثير الإيجابي، وحدوث مخلوقات مختلفة باستعداد المادة. فالفرق بين التجلي الإيجابي، وبين التجلي الرحماني المستوى على العرش مفصل غاية التفصيل في كتب الإمام ولي الله يحس فهم المحصلين من مدارس الفلسفة اليونانية لتلك المعرفة العظيمة؛فلذلك استقر فكري أن المسلمين إن لم يوجهوا إلى تحصيل حكمة الإمام ولي الله لايتغير ضعفهم الذهني الذي أرادهم إلى أن يفهموا القرآن بعد تلاوة تحت اللفظ لايحتاجون إلى تفسيروتأويل. وهذا الفهم يكون نتيجة حكمة الإمام_ إن شاء الله_ لايبقى بعد ذلك للمؤمنين احتياج إلى كتاب إلا كتاب يهديهم إلى طريق عمل النبي _عليه الصلوة والسلام_ على الأحكام القرآنية، ويكفي في ذلك موطأ الإمام مالك. والشافعى والمالكي والحنبلي

(1) في ن ح: والله

يأخذ برواية يحي بن يحي[1] والحنفي يأخذ برواية الإمام محمد بن الحسن[2] فكل المسلمين يجتمعون على العمل بالقرآن على منهاج متقارب. وهذه الدفاتر العظيمة للفقه والتفسير والحديث هم أحدثوها لحاجة زمانهم خاصة. ونحن نحدث لحاجات زماننا الخاص لانقلدهم، وإنما نستفيد للتمرين فالمتبع ليس إلاكتاب الله فيكون تلك الكلمة أيضا ثقيلة على أذهان الفقهاء كما ثقل على أسماع المشركين لاإله إلا الله فقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا ثم الآيات بعدها إذا اعتبرناها منها حال عصرنا في عدم التفاهم[3] إلى القرآن بعد اعتمادهم على مانقل إليهم من الشيوخ والأئمة لايكون في التطبيق تكلف. ففي الألف الثاني على الأمة المحمدية لولم يجددوا أنفسهم[4] لصاروا جندا مهزوما من الأحزاب.

الفصل الثاني:من قوله تعالى: **اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّه أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَه يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَه أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَه وَآتَيْنَاه الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20) وَهلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هذَا أَخِي لَه تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِه وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا همْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)**

---

(1) يحيى بن يحيى بن كثير ابن وسلاس بن شملال بن منغايا الإمام الكبير فقيه الأندلس، أبو محمد الليثي البربري المصمودي الأندلسي القرطبي.ولد في سنة 152ه سمع أولا من الفقيه زياد بن عبد الرحمن شبطون، ويحيى بن مضر وطائفة.ثم ارتحل إلى المشرق في أواخر أيام مالك الإمام فسمع منه الموطأ.بلغ أن يحيى بن يحيى الليثي كان عند مالك بن أنس رحمه الله فمر على باب مالك الفيل فخرج كل من كان في مجلسه لرؤية الفيل سوى يحيى بن يحيى، فلم يقم فأعجب به مالك وسأله: من أنت؟ وأين بلدك؟ ثم لم يزل بعد مكرما له. وتوفي في رمضان سنة 298ه.لينظر: سير أعلام النبلاء 8/ 517-518.

(2) سبق ترجمته

(3) في ن ح : التفاتهم

(4) إشارة إلى مجددي شبه القارة الهندية ك الإمام الرباني،والإمام ولي الله الدهلوي وغيرهما.الباحث

فَغَفَرْنَا لَه ذَلِكَ وَإِنَّ لَه عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاه إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِه وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29) وَوَهبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْه بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّه جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَه الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِه رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) وَإِنَّ لَه عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40) ذكر داؤد وسليمان فقط في التوراة. أن إبراهيم بشر[1] في حق إسحاق، وإسماعيل بأن الله يبارك عليهما، ويجعلهما أمما عظيمة. فقد تحقق هذا في بنى إسرائيل. أولاد إسحاق في زمن داؤد وسليمان وهو المثل الأعلى عندهم إلى يومنا هذا فكذلك يتحقق في أولاد إسماعيل في قريش بعد تسعين سنة في خلافة عبد الملك[2] وأولاده. قد رأى الإمام عبد العزيز[3] في الرؤيا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فسأله عن اختلافه مع قريش فقال كان بيننا شكاية عن بعضهم في أمور حقيرة مثل ما يكون بين إخوان فوقع المعاملة بأيدى رجال جهلة فمدوها إلى كلام بعيد مثل هذا أو نحوه[4]. هذه المعارضة بدعة مستحدثة من أهل النفاق. وإنما يتأثر بها ضعفاء العقول من المسلمين، ونحن نعترف بأن هذا المثل

---

(1) في ن ح : بشير
(2) سبق ترجمته
(3) سبق ترجمته
(4) لم أطلع على مصدر القول المذكور.الباحث

الأعلى للعرب في المسلمين ثم لحق بهم أقوام آخرون فبنظرهم الخاص المثل الأعلى خلافة بغداد، وهي دون خلافة دمشق. فالمسلمون إذاكانوا متحدين تحت كلمة واحدة، وأولو الأمر فيهم العرب فالمثل الأعلى خلافة دمشق من زمن عبد الملك؛لأن خلافة معاوية نحن نجعلها من تتمة الخلافة الراشدة. كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان أوصى بأن يكون معاوية أميرا للمؤمنين بعده[1] مثل ماكان الصديق أوصى بعمر فإمارة معاوية لحقت بالخلافة الراشدة وهي دونها ثم بعد ذلك خلافة إنما استقرت بعد غلبة عبد الملك على الخوارج، وذلك في 77 من الهجرية وتسعين من المبعث فالخلافة الراشدة مثل خلافة يوشع بعد موسى، وخلافة دمشق مثل خلافة داؤد وسليمان، وخلافة بغداد ملحقة بها. داؤد ذكره الله **وشددنا ملكه**. . . هذا صادق على خلافة دمشق؛لأن الحكام[2] لم يكن بأيديهم إلا القرآن فقط. بعد ذلك قصة خصم معركة الآراء بين اليهود وبين المسلمين.

مقدمة:جملة معترضة:الإنسانية عندنا منقسم على ثلاث لطائف الأول: العقل الثاني:القلب الثالث:النفس. الدرجة العالية للإنسانية قوة هذه اللطائف الثلاث ومتانتها أولا ثم غلبة العقل على القلب، وغلبة القلب على النفس. الدرجة الثانية مرافقة العقل والقلب بينهما، وغلبتهما على النفس، والحالة الأولى تناسب السابقين. والثانية لأصحاب اليمين فيهم يكون بعض الأقوال على خلاف العقل إلا أن النية صالحة، والقلب على حالة ثم حالة ثالثة[3] هي أردأ حالات الإنسان. والثالثة غلبة النفس على العقل والقلب كليهما.

المقدمة الثانية: كل ملة تأتي عليها الحالات الثلاثة الأولى[4] والثانية تكونان من أحسن حالاتها مثلا نجعل خلافة الراشدين حال السابقين حالة تقديم العقل ثم نجعل خلافة دمشق وبغداد في ارتقائهما من أصحاب اليمين ثم تأتي حالة ضعف بنى أمية، وضعف بني عباس، وأمة إلى أمة في حالة الضعف تأتي أوقات تغلب النفس على العقل والقلب.ونحن قرأنا في تاريخ ملتين تاريخ اليهود

---

(1) لم أطلع على مصدر القول المذكور بعد ماطالعت المصادر والمراجع.الباحث.
(2) في ن ح : الحاكم
(3) في ن ح : حالة ثانية.
(4) في ن ح : الأول لكن الأولى أصح حسب السياق.الباحث

وتاريخ الهنود زمان:زمان غلبة النفوس على عقولهم وقلوبهم[1] يحصل منا بعد هاتين المقدمتين مطالعة مخصوصة: أن الروايات الدينية لكل ملة عظيمة تمرمن بين الطبقات الثلاث . في الطبقة الأولى تكون الرواية غضة طرية، [2] وفي الثانية تختلط معها افتخارات قومية، ويجعلونها جزء من الدين. الآن نرى نحن في الروايات مدح العرب، مدح أنساب العرب، ولسان العرب، والأمر بحب العرب في رواياتنا الدينية. وفي نظر الحكيم كلها من اختراعات هذا العصر، وليس معها في الدين من الأصل ولاأثر يمكن أن يذكر شئ على سبيل العادة والطبيعة لا أنه تعليم دين. وقليل هذا ضموا إليه كثيرا مختلفا، وجعلوه جزء للدين، ولايتفطن له المصنفون في علم الحديث[3] ثم يأتي دور يغلب فيه النفس القوة النفسية على أهل ذلك العصر فلايجدون اللذة إلا في ذكر الجماع، ومايؤيده، ويحبون إباحة وطئ. كل إمرأة أحبوها بنتا كانت أو أختا، ويستثقلون حكم التحريم في المحارم مثل ذلك الدور جاء على اليهود والنصارى ورأينا مثل ذلك جاء على الهنود. لانعلم[4] تفصيل حالات بني إسرائيل. وأما حالات الهند فكثير من المحققين منهم فصلوا تفصيلا عن مرور الهند بذلك الدور. كل كتبهم صارت محرفة أدخلوا فيها حكايات شهوية بالنسبة إلى أكابرهم، وكلها كذب ثم أدخلوا تصاويرفاحشة بالمرة في معابدهم حتى نشأت فيهم فرقة سوفسطائية[5] تجعل آلات التوليد من الجنسين قبلتهم في العبادة هؤلاء فرقة شاذة كتبهم معلومة حصل لهم غلبة في الحكم في بعض الأيام فأفسدوا جميع ديانات الهنود. الفارس أمة عظيمة لها ديانة صحيحة. والمحققون من المسلمين

(1) في ن ح : على قلوبهم
(2) في ن ح : سالمة.
(3) في ن ح : قد قرأنا في بعض الروايات أن "الرطانة" بالعجمية منعها الفاروق ولما رأينا إسـنادها رأيناه ضـعيفا صرح به ابن حجر في كتاب الجهاد لولم يكن الإمام البخاري فارسيا لم يذكر شيئا أشير إلى ضعفه فلإشارة الإمام البخاري صـرح ابن حجر بضـعف تلك الرواية وكذلك وجدنا أن الفاروق قرأ التوراة بين يدى النبي فما رد النبي _صلى الله عليه وسلم_ ثم إذا حققنا وجدنا رواية ضعيفة لا معنى لها في متنها وسندها. لايوجد في أصل المخطوط (ن إ)
(4) في ن ح : ليس لنا علم تفصيلي بحالات بني إسرائيل.لاتوجد في ن إ.
(5) هي فرقة من حمقاء الفلاسفة،وزعم نصير الطوسي أنه ليس في العالم قوم يختارون هذا المذهب، ولكن كل من غلط في الدليل فهو سـوفسطائي، ومن زعم خلاف ذلك وقسـمهم إلى ثلاث طرق فلم يصـب.لينظر:النبراس شـرح العقائد النسفية للشيخ محمد عبد العزيز الفرهاروي،59، ط: مكتبة البشرى كراتشي عام :2015م.

يسلمون أن زردشت[1] كان نبيا؛لكن إذا رأيتم دور غلبة مزدك، [2] وتحليله المحرمات، وتحريف ديانات المجوس باختلاط الروايات هذا أمر قريب من تاريخ العرب يعرفونها فتقيسون عليه حال الهند في أشنع حالاتها. الآن يقدر إنسان سليم الطبع قراءة كتب الهنود المحرفة، وتجدون مثاله في الإيران في طوائف من الشيعة في تحليل المتعة[3] وتقديسها ثم تقرؤن الحكايات الفاحشة في مثل سعدي[4] ورومي[5] لايقدر إنسان أن يقرأها في مجلس. وهذا الكتاب كتاب "كلستان" في الباب الخامس منه هو المفسد لأخلاق الطلبة في المدارس الدينية، [6] فتلك التحريفات لايجوز أن يقرأ، ويسمع، وينسب إلى أحد. وهذه القصة التي ذكرت في التوراة أنا أتيقن أنها من صنائع تلك الطائفة الخبيثة ولايكون الإثم فيها لكل أمة؛لكن الروايات إذا مرت من أيدي هؤلاء الشياطين هم يفسدونها، [7] وكذلك أجعل أنا روايات كتب الحديث عند المسلمين في مثل هذه الدرجة إلاكتب مثل الستة،

---

(1) زرادشت بالأفستية (Zaraϑuštra):هو رجل دين فارسي، يعد مؤسس الديانة الزرادشتية، وقد عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهورالإسلام.لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D8%B4%D8%AA.

(2) مزدك _بالفارسية مزدك _(Mazdak) توفي ح. 524 أو 528) كان مصلحاً فارسياً من أوائل الإشتراكيين وكان ناشطاً دينياً جمع قدراً كبيراً من النفوذ في عهد الشاهنشاه الساساني قباد الأول .وقد ادعى أنه رسول الله، وأمر بالمِلكية المشاع وببرامج الضمان الاجتماعي لينظر: https://www.marefa.org/%D9%85%D8%B2%D8%AF%D9%83

(3) تعريف المتعة: هو أن يقول الرجل لامرأة: خذي هذه العشرة وأتمتع بك مدة معلومة، فقبلته.لينظر:التعريفات,الجرجاني,246.

(4) سعدي الشيرازي (القرن السابع الهجري)هو شاعرومتصوف فارسي،اختُلِف في اسمه فقيل: هو مشرّف الدين بن مصلح الدين السعدي، وشرف، ومصلح، وعبد الله، وغير ذلك، ومنهم من جعل مشرف الدين؛ أو شرف الدين، ومصلح الدين لقباً له .وتخلص في شعره باسم «سعدي»، وهو نسبة إلى سعد بن زنكي حاكم شيراز،.تميزت كتاباته بأسلوبها الجزل الواضح وقيم أخلاقية رفيعة، مما جعله أكثر كُتاب الفرس شعبية، ومن أشهر آثاره» :الگلستان « و«البستان».لينظر:تذكرة الأولياء (باللغة السندية)للشيخ فريد الدين 24/2-25،ط:سنديكا أكاديمية كراتشي.

(5) محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرُّومي ، جلال الدين(604 - 672 هـــ = 1207 - 1273 م) عالم بفقه الحنفية والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف (ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو عند غيرهم صاحب المثنوي المشهور بالفارسية ولد في بلخ بفارس،وعرف بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس بعد وفاة أبيه (سنة 628) ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف (سنة 642) أو حولها،فشغل بالرياضة إلى أن توفي بقونية،وقبره فيها معروف إلى اليوم.لينظر: الأعلام للزركلي: 7/ 30-31

(6) في ن ح : فأكثر شئ من هذا الباب أنا أعرفه في الهند وأبكي على ذلك.

(7) في ن ح : نرى في عصرنا هذا " كميونست" في روسيا لو استقامت نحو عشرين أيضا هل يمكن بعد ذلك تصحيح تاريخ روسيا؟وذلك العصر كل الناس عندهم كتب مطبوعة موجودة من القديم؛لكن لايعتمد عليها،وكذلك ترون لو استمر تجديد حركة تركيا في أنقره على هذه الطريقة يكون تصحيح تاريخ الترك صعوبة عظيمة.

وذلك بعد الانتقاء فهي الستة عند المسلمين مثل صحائف التوراة (الستة على طريقة الإمام[1]) القرآن مستثنى، وهومصون ومحفوظ من كل تلك الإفسادات. هذا المصحف فقط لاكل قراءة وكل وجه وكل تفسير ينسب إلى القرآن. ولي فكر مخصوص في تفسير دفع هذه المخاصمة إلى داؤد بواسطة رجلين أو ملكين أوتأويلهما لم أستفد من أحد، وهو اجتهادي في الرأي فقط، [2]وذلك يحتاج إلى فهم مسألة الإمبراطورية.

الخلافة لها درجتان أو مدارج فصلها الإمام الشهيد له في "منصب إمام"[3]؛لكننا إنما نبحث عن درجتين خلافة الراشدين يكون السير فيها على القانون العقلي المعروف بواسطة الأمناء في الحكم فلايكون فصل جمع الأحوال[4] ولاتحقير الناس ثم يأتي دور آخر متصل به، ويطلع آثار هذا الدور قليلا قليلا فيه يكون العمل[5] ترفع قوم على الآخرين بجمع المال من المساكين، ولايؤخذ من المثرين بداية ذلك تكون خفية، وينتهي هذا إلى ظلم عظيم. فالتنبيه على[6] الفرق بين الخلافتين مثل في هذه المخاصمة، ويكون عندي بعض التفريعات صدر من داؤد في حق ترفع عائلته لإدارة أو سبطه بإدارة أن ذلك من لوازم الخلافة، ومن ضرورياته فتنبه على ذلك. قال: **إن هذا أخ له** . . هذا تمثيل لإمبراطور أو خليفة وفرد من الرعية إما يزرع وإما يرعى فنسبة ماله بالنسبة إلى مال الخليفة مثل نسبة واحد إلى 99؛لكن الحكومة مع ذلك تستخلص من أموالهم. . . . **وعزني في الخطاب** له قوة، وبقوة الحكومة يأخذون **ذكر داؤد**. . . **وإن كثيرا من الخلطاء**. . . فيما يخرج من الأرض يكون فيه حصة للحكومة، وحصة للعالمين. هؤلاء صاروا مثل الخلطاء. وإنما يقيم العدل الذين آمنوا وعملوا الصالحات **وقليل ماهم**. . **إنما فتناه**. . أخلصنا فكره بالامتحان أولا ما كان يحدث في نفسه تلك الإدارة أن في أخذ الحكومة الأموال من الناس لضرورة الناس يكون فيه ظلم ما كان

(1) لينظر:حجة الله البالغة،الإمام الدهلوي،باب طبقات كتب الحديث،230/1،
(2) في ن ح : إنما هو فهم من الله أوتيته ورأي اجتهدت فيه.
(3) وهما خلافة منتظمة وخلافة مفتونة.لينظر: منصب إمامت،الشاه إسماعيل الدهلوي،ترجمته بالأردية للشيخ محمد حسن العلوي،114-115، ط:حاجي حنيف ايند سنز لاهور عام:2008م.
(4) في ن ح : الأصول
(5) في ن ح : العقل بدل العمل
(6) في ن ح : ذلك

يتخيل مثل ذلك هذا كان امتحانه **فاستغفر ربه** وعلم خطأه في معاملة الناس. بعد ذلك **إنا جعلناك خليفة**. . . يعني تلاحظ الدرجة الأولى من الخلافة هذا الذي شكاه الناس عند ولد سليمان فمارفع شكايتهم، وذهب من يده حكمه ليس شئ غير ذلك. هكذا كان عندنا عثمان استأثر قومه بالأموال، وظن أن الإدارة لاتصلح إلا بذلك فقالوا عليه وقتلوه. فالمسائل الأساسية[1] لايتوجه إليها المفسرون. . **سبيل الله**. . هو كتاب الله هو الصراط المستقيم فالله خلق السماء والأرض وخلق ما فيهما كلها يراعي فيهما الحكومة. وحكمة خلق الإنسان تقتضي أن يفرق بين المفسدين، والمتقين ذلك. . . خلفاء وجعلنا داؤد خليفة في الأرض. إلى هذا إشارة من 26 إلى 28 يأتي في 29 **كتاب أنزلناه**. . . يعني يفهم الإنسان الحاجة إلى الخلافة، ويفهم حاجة الخليفة إلى الأمانة، ويفهم أن ذلك لاتكون إلا بقانون معروف فيتبين عنده حكمة نزول الشرائع، وإرسال الرسل[2] إليه الإشارة في 29 هذا الكتاب إنما أنزل عليك لتكميل خلافته مثل خلافة داؤد[3] ثم من 30 إلى 40 ذكر سليمان. القصة الأولى هي **عرض الصافنات** والتفسير المعروف أنه ذبحها[4] وهو صحيح عندي[5] ذكرها الشيخ ولي الله من مقامات الإحسان:رجل من الأنصار كان يصلي

(1) في ن ح : السياسية
(2) في ن ح : ويفهم حق الفهم أن تشريع الله موافق كل الموافقة تقديما.
(3) في ن ح : إليه الإشارة في 29 هذا الكتاب إنما أنزل عليك لتكميل خلافته مثل خلافة داؤد.لاتوجد
(4) روي: أن سليمان عليه السلام، غزا أهل دمشق ونصيبين، وهي قاعدة ديار ربيعة، فأصاب ألف فرس عربي، أو أصابها أبوه من العمالقة، فاستخلف عنه فيها؛ لأنها من مال المصالح، وعلى كل تقدير قعد سليمان يومًا، بعدما صلى الظهر على كرسيه، وكان يريد جهادًا، فاستعرض تلك الأفراس؛ أي: طلب عرضها عليه، فلم تزل تعرض عليه، وهو ينظر إليها، ويتعجب من حسنها حتى غربت الشمس، وغفل عن صلاة العصر، وكانت فرضًا عليه، كما في «كشف الأسرار»، وعن ورد: كان له وقتئذ من الذكر، وتهيبه قومه فلم يعلموه، فاغتم لما فاته بسبب السهو والنسيان، فاستردها، فعقرها تقربا إلى الله، وطلبا لمرضاته على أن يكون العقر قربة في تلك الشريعة، ولذا لم ينكر عليه، أو مباحا في ذلك اليوم، وإنما أراد بذلك: الاستهانة بمال الدنيا، لمكان فريضة الله، كما قاله أبو الليث. فلم يكن من قبيل تعذيب الحيوان، فلما عقرها لله تعالى، أبدله الله خيرًا منها، وأسرع. وهي الريح تجري بأمره حيث شاء.لينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ت: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي،377/24 الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

(5) يتبع الشيخ السندي الإمام ولي الله في تفسير قوله تعالى: عرض الصافنات..لينظر:هامش فتح الرحمن بترجمة القرآن،الإمام الدهلوي،458.

في حديقته[1] فشغله عن الصلوة تصدق بها في سبيل الله[2]. مثل هذا ذبح سليمان، وأطعمها[3] الفقراء هذا هو المناسب أنه أواب. وتلك النقصان المادي لاقيمة لها بمقابلة الرجوع إلى الله، وتأثر أهل إدارته كلها من تلك الحادثة فيذكرون ربهم هذا الأمر هو المقيم للأمانة في قلوب الناس **ذكر ربي**. إذا كان فعل سليمان هذا ينشئ الأمانة في عمال مملكته فإن الناس على دين ملوكهم فذبح أفراس عديدة لانقصان فيها. والقصة الثانية إلقاء جسد على كرسيه ذكر الإمام ولي الله تفسيرها إذا أراد أن يكون له أولاد كثيرة ولم يولد إلا نصف ولد[4] معنى هذا هو أراد أن يجعل إدارة الخلافة منحصرة في بيته وهذا ظن فاسد في الإدارة فنبه الله على هذا الخطأ مثل تنبيهه على داؤد كانت عند سليمان مائة من الأزواج فقال لأطوفن الليلة[5]، فاستبعد بعض أهل العلم[6] أن هذه[7] القدرة لاتكون في رجل. وهذا عندنا ليس بصحيح. عند الأطباء في بلادنا حكايات في وصف بعض الأدوية لم يصل أطباء أوروبا إلى عشره إلى اليوم فالاعتماد على قواعد الطب الغربي استبعاد مثل تلك الواقعات عندنا ليس بمحمود، ونحن نعرف في القوى النفسية أيضا الأفكار تولد المادة

---

(1) في ن ح : فطارد به فتبعه

(2) أصل النص هكذا. منها إيثار طاعة الله تعالى على ما سواه وطرد موانعها والنفرة عما يشغله عنها كما فعل أبو طلحة الأنصاري كان يصلي في حائط له،فطار دبسي وطفق يتردد، ولم يجد مخرجا من كثرة الأغصان والأورق، فأعجبه ذلك، فصار لا يدري كم صلى، فتصدق بحائطه.لينظر:حجة الله البالغة, الإمام الدهلوي,153/2.

(3) أي ذبح سليمان_ عليه السلام_الخيل وأطعم لحومها الفقراء.الباحث.

(4) مترجم گويد: سليمان_عليه السلام_ امراي خود منغص شد و به خاطر آورد كه امشب با صد زن صحبت دارم و هر زني پسري زايد و هريكي شهسواري باشد، جهاد كننده، مرا احتياج متعلق امرا نيفتد. فرشته گفت : انشاءالله بگو. سليمان سهو كرد، پس هيچ زن حامله نشد. الاّ يكي طفل ناقص الخلقت[ي] زاد و آن طفل را بر تخت سليمان انداختند. سليمان_عليه السلام_ متنبه شد و رجوع به رب العزت كرد، والله اعلم.لينظر: هامش فتح الرحمن بترجمة القرآن,الإمام الدهلوي،458.

(5) يدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن هرمز، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون "لينظر:صحيح البخاري,الإمام البخاري,رقم الحديث:2819

(6) أظن أن المراد منهم القرآنيون؛لأنهم ينكرون السنة تماما.الباحث.

(7) في ن ح : تلك

لايحتاج إلى الأدوية، ونعرف طريقة تمرين الفكر في هذا. هذا من بقايا حكمة الهنود[1] فتنبه لذلك سليمان ثم أناب يعني فهم أن اشتراك الأمة في الإدارة لازم لايجوز اختصاصه ببيت ثم مثل رب الحكومة الاجتماعية نموذجا لا على درجة توجد في الدنيا. فقال: **وهب لي ملكا لاينبغى**. . . أحسن منه، فتكميل الحكومة يكون بالقدرة على الهواء والرياح، وبالقدرة على الماء والأرض وذخيرة محفوظة فإذا اجتمع هذه الأمور في يد حكومة كانت مثلا أعلى للإنسانية إليه الإشارة في 36 إلى40. 1: فسخرنا له الريح 2 والشياطين3 وآخرين مقرنين هذه ذخيرة **وإن له عندنا**. . أنه يريد إقامة الحق على كتاب الله بواسطة أمناء الله يذكرون بعض الأشياء في تأسيسه للاجتماعية الصالحة لإقامة العدل في النوع الإنساني مثل الألماسونية إثم أدخلوا فيه الأشياء هذا أمر في جر حكومة الإنكلترا تقتدي بحكومة داؤد وجعلها إمبراطورية وهي التي نبه على خطأه فيها؛لكن المقتدين لايبالون بالإصلاحات كذلك يمكن أن تكون الماسونية[2] أبطلوا ما أراد سليمان. ومثل حكومة داؤد وسليمان تكون في المسلمين بتأسيس القرآن.

الفصل الثالث من قوله: **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّه أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42) وَوَهَبْنَا لَه أَهلَه وَمِثْلَهمْ مَعَهمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِه وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاه صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ (44) وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَاذْكُرْ**

(1) في ن ح : هذا الاستبعاد عندنا ليس بشئ.

(2)**الماسونية** أو **البناؤون الأحرار** هي منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة فيما يخص الأخلاق، الميتافيزيقيا وتفسير الكون والحياة والإيمان بخالق (إله)، تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض الشديدين خاصةً في شعائرها مما جعلها محط كثير من الأخبار حول حقيقة أهدافها، في حين يقول الكثير من المحلّلين المتعمقين بها أنها تسعى للسيطرة على العالم والتحكم فيه وتوحيدهم ضمن أفكارها وأهدافها كما أنها تتهم بأنها "من محاربي الفكر الديني "و"ناشري الفكر العلماني حينما يؤكد الكثير من المحللين في الشرق الأوسط أنها تابعة لتنظيمات صهيونية استنادًا للكثير من العقائد والافكار المتشابهة معها " https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9

إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48) هذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِنْدَهمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52)هذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هذَا لَرِزْقُنَا مَا لَه مِنْ نَفَادٍ (54) فيه ذكر جماعة من الأنبياء في آخر الآية. وكل من الأخيار هذا ذكر. . والذي نأخذ بالاعتبار(1): هو أن المسلمين يوجد فيهم رجال أصحاب المقامات مثل مقامات الأنبياء، ويكون ذلك كله بتعليم القرآن. رجال يصبرون على البلايا، ورجال أولو الأيدى والأبصار، وآخرون من المصطفين الأخيار. علم التاريخ عند المسلمين أكمل من علم تاريخ كان عند الأمم السابقة كلهم. وتصانيف أهل الإسلام على قسمين 1: قسم يختص بطائفة طائفة من الاجتماعيات مثل طبقات أهل الحديث، طبقات الفقهاء، النحاة، وتاريخ الأطباء والشعراء فيها كثير من العلم الحق والحقائق 2:تاريخ عمومي في ذكر السلاطين والفتوحات الباطل في هذا القسم أكثر من الحق، وأكثر الناس يعتنون بالتاريخ، ويتوجهون إلى القسم العمومي فقط لايجدون إلا شيئا قليلا خياليا أما إذا قرأوا كتب الطبقات فيعلمون أن المسلمين أعظم أمة على وجه الأرض.

القرآن يغلب على الطاغين فعذابهم مذكور من قوله: **هذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) جَهنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهادُ (56) هذَا فَلْيَذُوقُوه حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ (58) هذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوه لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هذَا فَزِدْه عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهمُ الْأَبْصَارُ (63) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهلِ النَّارِ (64)**إلى تخاصم أهل النار ففرض النبي مقرر في آخر فصول السورة من قوله: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَه إِلَّا اللَّه الْوَاحِدُ الْقَهارُ (65) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66) قُلْ هوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْه مُعْرِضُونَ**

---

(1) لينظر: مقدمة البحث لهذه الرسالة وأيضا:**الفوز الكبير في أصول التفسير** الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي،103. بيت العلم، كراتشي: 2006ء.

(68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُه وَنَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَه سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْه خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَه مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهمْ أَجْمَعِينَ (85) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَه بَعْدَ حِينٍ (88) قل إنما أنا. . فقط لاأريد الخلافة مثل داؤد بل يكون الحكم كله لله، ولكتابه **ومامن الله**. . . فالإنذار الذي أنذر أن **قل هو نبأ**. . . خلافتهم الاجتماعية تكون حاكمة على جميع الأرض **أنتم عنه معرضون**؛لكن تفكروا هل أقدر أنا أن أقول للناس هذا من عندي إذ هذا علم خاص بالملأ الأعلى، فإن الإنسانية مجموعها لايتقرر أمرها إلا في الملأ الأعلى. وهذا النبأ العظيم يتعلق بالإنسانية كلها تعرفون بذلك أنه من عند الله إليه الإشارة في 69 إلى 70 **ماكان لي من علم**. بعد الآية 70 ذكر لقصة آدم 71 إلى 85 هذا عندنا مثل الجملة المعترضة. نتكلم عليها بعد إتمام السياق الأول **إنما أنا نذير**. . . بعدها يتلو86 **قل ما أسئلكم**. . . فلوحصل له حكومة لكان حصل له الأجر يعلمون أهل بيت النبي يعلمون، ويبصرون إلى ما يصل إليهم من الإيذاء، والنبي ما أخذ أجرا **إن هو إلا ذكر للعالمين**. . يعني الأقوام الغالبة على الإنسانية **ولتعلمن نباه بعد حين** يتحقق هذا بعد تسعين سنة المشار إليها ب ص . بقي الكلام على قصة آدم. هذا ذكرناه أولا أيضا إنها إشارة إلى عموم النوع الإنساني؛لأن جميع البشرية مندمج في وجود آدم، والملائكة أمرت بالسجود، وإبليس استكبر ثم لعنه الله، وهو

سأل الإنظار إلى يوم البعث، وأنظره إلى ذلك الوقت لايؤخذ بجرمه إلا بعد الوقت المعلوم هو **قال فبعزتك**. . . مقصود القصة في هذه السورة **إلا عبادك المخلصين** فحكم الله **لأملئن**. . هذا تلخيص الواقعة، ونأخذ منها حكمة:أولاد آدم صارت على قسمين1:عباد الله المخلصين 2:الغاوون هؤلاء الغواة مع إبليس في جهنم. بقي المخلصون للملائكة فالسجود كان لآدم؛لأنه مشتمل على عباد الله المخلصين هؤلاء يحكمون على الملائكة الأرضية. فتنظيم الخلافة بواسطة عباد الله المخلصين هو مقصد القرآن. وفرض النبي أن يعلم القرآن حتى يستنتج تلك النتيجة. في السورة السابقة_الصافات_ذكر أن عباد الله المخلصين في كل قوم جمع عباد الله من كل قوم، وتحكيمهم على الإنسانية هو النبأ العظيم، وتعرفون أن مشروعية الحج إنما هو لجمع عباد الله المخلصين فقط. فالخليفة الراشد يعمل بإجازة هذا المجمع، ويكون مسئولا عندهم. هارون[1] من خلفاء المسلمين كان من آخر خلفاء الذين كانوا يحجون، وهو الثاني عشر من الخلفاء، وبذلك يتم البشارة الموعودة لإبراهيم في حق أولاد إسماعيل. وبعد ذلك تكون اجتماعات على الاقتداء بتلك الاجتماعية الصالحة متشتتة متفرقة في الأقوام كلها هؤلاء هم الزمر. يأتي بيانها بعد هذه السورة.

---

(1)قد سبق ترجمته.

سورة الزمر

الدِّينُ الْخَالِصُ:الإخلاص في الدين له مدارج، آخردرجته أن يحصل للإنسان معية الرب فلايلتفت إلى غيره، ويكون ظهورذلك بنزول جمل إلهي بظهور التجلي الإلهي على قلبه. ولنذكر من تشريح ذلك المقام قول الشيخ إسماعيل الشهيد"(1) إذاكان الرجل ذا نفس كاملة غاية الكمال فطرة، وكان حكيما، وأراد الرب أن يتجلى على هذا العبد كما يتجلى على نفس الكلي، وعلى قلب الشخص الأكبر[2] فحينئذ ينقلب روحه تجليا، ونفسه عرشا مستوى للرحمن ونسمته حظيرة القدس لامتلائها بنور التجلي، فينخضع له مكان الصقع الأعلى، والملأ الناري الأسفى، وليس هذا الخضوع بين يديه إنما هو بحضرة الرب العلي الأعلى، فلتسبحه له الملائكة الكروبيون، وتنفجر أنهار النور من التجلي إلى نسمته فيمتلئ قلبه، ولسانه نورا، ويصير هو نورا أعظم، وحينئذ يتكلم الله على لسانه، ويبطش بيده، وهذا التجلي من حظيرة القدس التي هي شجرة التجليات، ومنبع البركات من تدبير العالم والتكميل. فالله سبحانه أمر نبيه أن يحصل ذلك المقام أن يهيأ نفسه ليتجلى على قلبه الرب، وينزل حكم الله بواسطته إلى الأرض. وكل شئ يصدر منه لايكون لنفسه حظ بل كل الأمور تكون راجعة إلى التجلي حتى يصح أن يقال في الدين الذي ينتشر نوره أنه لله"(3) . ألا لله الدين الخالص إلى هذه الآية هو مقصد هذه السورة يعني تنزيل الكتاب إلى قلب النبي ـعليه السلامـ فيصدر الحكم منه على وجه الأرض فيكون نموذجا لعرش الرحمن محل التجلي الأعظم الثاني أويكون مثل النفس الكلية محل التجلي الأعظم الأول.

---

(1) قد سبق ترجمته.

[2] توضـيحه: أن الشـخص الأكبر شـيء واحد بوحدة من الواحدات، ولكنا إذا حللنا وشـققنا (في العقل) يظهر له جزعان: النفس الكل والنفس الرحماني. فالنفس الكل حال ومحصـل، والنفس والرحماني محل وموضـوع (والأولي هي القوه الفاعلة والثانية هي القوة القابلة) والنفس الكل متنازلة إلي الجنس والنوع والفرد.وتنازل النفس الرحماني تبع لتنازک النفس الكل؛لأن كل صـورة لها هيولي مخصـوصـة والواحد الجامع لهاتين القوتين هو الشـخص الأكبر. راجع سطعة ٣ من "سطعات". الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي.لينظر: سطعات،للإمام الدهلوي،تحقيق:الشيخ القاسمي،سطعة 3، ص5.ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي.

(3) لينظر: العبقات،الشاه إسماعيل الدهلوي،عبقة:21 ص 223.

الفصل الأول: من **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ 3**. يكون الأثر الأول لهذا التجلي الذي ينزل بإخلاص الدين لله هو سلب الملك عن المنكرين الذين يعبدون غير الله أو يتخذون غيره شفعاء أو يشركونهم في الحكم **والذين اتخذوا**. . **يحكم بينهم.** معناه عندنا ينزع منهم الملك **ذلكم الله ربكم.** . . ذكر قبل ذلك صفاته الخاصة التي يعرضها الدين عامة، وأثبت لذاته الملك بدون شريك له فالمقصود من **تنزيل الكتاب** إلى النبي هو إظهار ذلك الكمال، وتدبير العالم موافقا لأمره هذا هو آخر السادسة. نرجع من هنا إلى آخر السورة فيه تدبير المحشر، وتقسيم الناس إلى الجنة وإلى جهنم. الذي نفهم من هذا البيان في آخر هذه السورة أن يكون على وجه الأرض حكم الله جاريا مثل ذلك نشرح تلك الآية أولا حتى يسهل علينا ربط السورة. **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًاقَبْضَتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** 67. يعني أن كل من يتصور من الناس ربه إنما يتصور بقدر السموت والأرض، فهذا على شأن عظمته، ويمكن أن ينشأ فكرا شريكا لله؛لأن نظام السموت والأرض كله راجع إلى الصادر الأول مثلا أو إلى الصورة والمادة الأوليين مثلا فيقع الاشتباه في اشتراك هذه الأشياء للرب، فلو تصور الناس أصل الحقيقة، وماقاسوا الرب للسموت والأرض فقط لايمكن تصور الشريك. والسموت والأرض نسبتهما إلى الرب مذكورة في تلك الآية **والأرض جميعا**. . إذا تخيل الإنسان مثل ذلك لايأتي في قلبه خيال الشريك، إليه الإشارة في قوله بعده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ثم ذكر الله واقعة المحشر، ونفخ في الصور. . فالله يتصرف في النفس الواحدة كذلك يتصرف في جميع النفوس التي في السموت والأرض، فالحياة لنفس واحدة أو لمن في السموت والأرض عنده سواء، ففي الحياة الثانوية تكون المحاسبة والقضاء بالحق. وتوفيت كل نفس ما عملت إليه الإشارة في **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** 69. والأرض أرض المحشر أرض

عالم المثال، والمراد عندنا على حسب ما فهمنا أن الله يريد أن يقيم شأنه ذلك في الأرض بواسطة نبيه لكون هذه الأرض أرضنا أشرقت بنور الرب انتفى الشرك منها، ويكون مرجع الحكم بالكتاب المنزل فقط، ويأتي من علم الكتاب وحكم به إلى مركز الاجتماع مثل بيت الله حرم ربه، وهناك يظهر بين عامة الناس أن القضاء بينهم كان بالحق على وفاق الكتاب، وهم لايظلمون وكل نفس توفي إليها جزاء عملها. ظهر في التاريخ مثل ذلك الأمر في زمن أمير المؤمنين الفاروق هوكان يأمر أمرائه أن يحضروه مواسم الحج إما بالذات أو بصورة التوكيل(1)، وكذلك يأتي من يكون له الحق عليهم فيقضي بالحق من الظلم، ويؤخذ الحق من الحكام. هذا كان بعد قيام الخلافة العربية، وبعد فتح ممالك كسرى وقيصر، والناس يعرفون أن الحكم بالكتاب في زمن فاروق كان أدون من زمن الصديق، وزمن النبي عليه السلام، فإذا كان الأمر زمن الفاروق هكذا فليصور الإنسان ماكان زمن الصديق، والنبي_ عليه الصلوة والسلام_ هذا هو حالة المحشر ثم بعد ذلك ذكر الكفار **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوها فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ 71**. فهذا تحقق بوجود هذه النبوة على وجه الأرض تامة الحجة على المنكرين، ونحن نريد أن ننبه الناس أن لايقيسوا حال زمن النبي _عليه السلام_ والخلافة الراشدة على حالات ملوك المسلمين بعدهم، فإن في الزمن الأول كانوا يفهمون الناس ثم يحكمون عليهم، والتفهيم ماكان صورة التفهيم لرفع العذر كما يرى الناس من المسلمين في الأعصار المتأخرة بل كان التفهيم حقيقة في الآيات الثلاث من قوله: **وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَه وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى**

---

(1) وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة للسياسة، وليحجزهم بذلك عن الرعية، وليكون لشكاة الرعية وقتا وغاية ينهونها فيه إليه.لينظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري المؤلف: محمد بن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ)(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ) ذكر عزل عمار عن الكوفة،166/4،الناشر: دار التراث – بيروت ط: الثانية - 1387 هـ.وأيضا:الفاروق،الشيخ شبلي نعماني،175،ط:إسلامي كتب خانه أردو بازار لاهور.

الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75) في ضمن ذلك الحمد لله الذي. . . عندي هنا وقفة خلاف ما يفسر المفسرون[1]: هم يذكرون ذلك عن حالاتهم الماضية في الدنيا، والله كما وعدهم أنهم يملكون ممالك كسرى وقيصر صدق وعده، وأورثنا الأرض[2] تم هذه الجملة ثم نعمة ثانية: **نتبوأ من الجنة**. . . فكان الأمر في الدار من أحسن ما يمكن لكن عامة المفسرين حملوا الأرض على أرض الجنة[3] لأن المساكين مجبورون على أن لايذكروا حكم الله على وجه الأرض في كتبهم الدينية من جهة ظلمة الملوك فحرفوا القرآن، وتلك النعمة إنما حصلت بعد نزول القرآن بواسطة النبي _عليه السلام_. المحاملون للكتاب كانوا حكام الأرض **وترى الملائكة**. . . تمثيله يكون في الدنيا اجتماع أصحاب النبي _عليه السلام_ حوله فليحافظ الإنسان أن أعداء الله الذين لايريدون أن يكون حكم الكتاب نافذا فيهم كما أنهم حرفوا القرآن كذلك غيروا تاريخ المسلمين. فمن رأى في كتبهم يظن أن ذلك الأمر لم يكن إلا في قليل من الأوقات لايعبأ بها. فإذا وقع شئ من النقائص، وإن كان صغيرا لايمكن خلو البشر منه يعظمونه، وماكان من انقلاب الزمان عظيما يغفرونه، ونحن ننبهها على ذلك بتفسير الإمام ولي الله لأيام الراشدين من إزالة الخفاء[4]. إذا قابلنا كتاب مع عامة التواريخ فهمنا التغير الذي جاء في التاريخ فالحاصل أن بنزول القرآن انتظم الخلافة في قريش إلى أيام هارون فيهم مبالغون، وفيهم مقتصدون، وعددهم قريب من 12 خليفة، وفيهم ظالمون، ولايمكن خلو أثر ما

---

(1) مثلا:يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره تحت قوله تعالى: وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (73) وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (74)وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة زمرا أي جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكالهم والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا حتى إذا جاؤها أي وصلوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.لينظر:تفسير القرآن العظيم, الإمام الدمشقي,107/7.

(2) لما نزل القرآن الكريم كانت الإنسانية منقسمة إلى مركزين كسرى وقيصر أولهما كان ملك ايران وثانيهما ملك الروم وكان المقصد الأصلي لنزول القرآن هو إنهاء الملوكية وإنفاذ الحكم الإلهي كما ذكره الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في إزالة الخفاء.لينظر: تفسير سورة سبا باللغة السندية،من أمالي الشيخ عبيد الله السندي،69.

(3) لينظر: تفسير ابن كثير,107/7.

(4) لينظر: إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (باللغة الفارسية) للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه)139/1-145.

من الطبقة الثالثة؛لكن الاعتبار يكون للغالب فقط. وتلك المسألة كأنها نسيها أهل التاريخ نذكر لذلك مثالا قالوا:بعد ما توفى الله نبيه وقع على الفور في المسلمين اختلاف فيعدون فهرسا طويلا أولا: اختلفوا هل مات أم لا؟ ثانيا:ثم اختلفوا في الخلافة؟ثالثا: ثم اختلفوا في محل دفنه؟ وهكذا والإمام ولي الله فصل المسألة: أن الاختلاف لم يقع بين الصحابة إلا في فتنة عثمان ثم بعد رفع الفتنة اتفقوا على معاوية، وجرى الأمر على مجراه فالآن إذا رأى التباعد في طريق التفكر مثل هذا يفهم أن تاريخ الإسلام أيضا يحتاج إلى إصلاح وترتيب جديد مثل تفسير القرآن، وإلا فالموجود بأيدينا لايكفي ونحن اتخذنا الإمام ولي الله قدوة في هذا وفي ذلك، وسهل علينا الأمر ثم بعد مضي الخلافة زمن هارون[1] قامت طوائف من المسلمين يتبعون أمر القرآن اليوم في مملكة، وبعد اليوم في أخرى هكذا يتسلسل في التاريخ القائلون بأمر القرآن؛لكن بصورة الزمن الأمر الأول كان في قريش خصوصا ثم كان بعض ملوك فارس يقومون بإقامة الحق في دائرة المملكة ثم بعض ملوك التوران ثم البعض يقومون بإقامة ذلك الفرض في العرب ثم ملوك في الهند يقومون بإقامة ذلك الغرض. هكذا بالتبادل في آية الزمر كان أمر الله قائما. ولاشك في أنه كانت تأتي وقفات انقلابية مثل الفتن في دور قريش. فالفتنة الأولى كانت من قتل عثمان إلى زمن الاجتماع على معاوية، والثانية بعد موت معاوية إلى أن استبد عبد الملك[2] بالأمر، والثالثة قيام بنى هاشم على بني أمية إلى أن اتفقوا على المنصور[3] فمثل تلك الفتن كانت واقعة الانقلاب جارية فلايكون في مثل ذلك الوقت نظام ما إلا ما يحكم به الانقلابيون الغالبون ثم بعد ما هدأ الأمر قيام زمرة تحت حكومة ملك في قطعة من قطعات الأرض بأمر القرآن.نرجع إلى الابتداء فتنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم على نبي يكون

(1) سبق ترجمته
(2) سبق ترجمته
(3) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس،(95 - 158 هـ = 714 - 775 م) أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء. ولد في الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة 136 هـ وهو باني مدينة " بغداد " أمر بتخطيطها سنة 145 وجعلها دار ملكه بدلا من " الهاشمية " التي بناها السفاح. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا. وكان أفحلهم شجاعة وحزما إلّا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما بالحج. ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته 22 عاما. لينظر:الأعلام للزركلي ,4/ 117-118.

مثل تقرر الأمر في حظيرة القدس تحت العرش ثم يكون من حظيرة القدس تأثير مختلف على حسب استعداد الأقوام. هكذا مما تقرر في الأرض في النبي وأصحابه هو الأمر المقرر يظهر أثره على حسب استعداد الأقوام في أطراف الأرض. ونحن الآن في زمن الانقلاب نرى ــإن شاء اللهــ يظهر قوم من المسلمين بالقيام بأمر الكتاب أحسن من الأول؛لأن الأول دور الجمهورية، ووسائل الاجتماع متوافرة. وظني أن تجديد الإمام ولي الله يكون نعم العوان لإقامة حكم القرآن نرجع إلى الأول: تعيين مقصد السورة كان مشكلا بدون هذه؛فلذلك جمعنا أول السورة بآخرها. تنظيم الخلافة ابتدأ من فتح مكة، وتم زمن الفاروق بعد فتح القدس، وقبل إتمام أمر الخلافة ارتقاء أمر القرآن كان على أيدى الزمر. في زمن النبي يؤمن قبيلته ثم المتصل بتلك القبيلة قبيلة كافرة ثم تكون قبيلة تدخل في الإسلام. هذا عندنا مثال للزمر. وبعد ما تراجع الخلافة من قريش كان الحكم راجعا إلى الزمر. نحن رأينا في ابتداء الألف الثاني زمرة كانت تحت الملوك العثمانية على أحسن الحالات من زمن الصديق، وكذلك ملوك دهلي كانوا زمرة، كذلك في الإيران ملوكهم زمرة فيهم تغافل في القيام بأمر القرآن أحدها كالسابقين، والثاني كالمقتصدين، والثالث كالظالمين؛لكن هذا باعتبار مراكز الحكومة. وأما الرعايا فيكون الحق مساويا تحت الظالمين أيضا فتسمية ذلك الدور بالخلافة كأنها مجاز.وإنما هو دور الزمر، فالملوك الثلاثة السلطان سليم [1]شاه عباس[2] السلطان جلال الدين[3]

---

(1) **السلطان سليم الأول** (تركي: Selim I Yavuz، *الشجاع*) (تولد يوم 10اكتوبر1465 م – مات: يوم 22 سبتمبر،1520م)كان سلطان الامبراطوريه العثمانيه بين 1512م- 1520م ، فى عهده احتل العثمانيين بلاد الشام و الحجاز و مصر و ضموها لامبرطوريتهم. وكان أول سلطان عثمانى استعمل نفسه لقب الخليفة لينظر: https://arz.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%84

(2) الشاه عباس الصفوي الأول (27,يناير 1571م -19 يناير ,1629م.)كان الحاكم الأكثر سمواً من سلالة الصفويين .كان يعرف أيضاً باسم **عباس الأكبر** (بالفارسية :شاه عباس بزرگ). أصبح شاه إيران في بداية شهر أكتوبر عام 1588، بعدما تمرد على أبيه محمد خدا بنده وسجنه لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D9%88%D9%8A

(3) جلال الدين أبو الفتح محمد أكبر هو أحد السلاطين المغول الكبار الذين حكموا الهند عاش بين عام 1556 و 1605، وسّع رقعة بلاده فسيطر على شمال الهند وباكستان ووصل البنغال، عرف بسياسته المميزة في الحكم، حيث عامل الهنود كمواطني دولة بدل ان يعاملهم كسكان أراضي مفتوحة.ودخل هو وعائلته في علاقة مصاهرة مع المجموعات الدينية والإثنية المختلفة في الهند مما وطّد حكمه. كما منع إجبار أحد على الإسلام، خلفه بعد وفاته عام

أكفاء فيما بينهم، وكلهم مع انفراد البعض من البعض حصون لأمر القرآن. هذه الزمر الكبيرة مثل الزمر صغيرة القبائل زمن النبي ـعليه السلامـ فمقصد تنزيل الكتاب قيام نموذج في القرآن حاصل في طول عزمنا.

الفصل الثالث:من قوله **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمَّنْ هوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)** بيان زمرة أعظم كمال عندها الإيمان الحقيقي ثم أعمال القوة العقلية على حسب ذلك فيكون لهم لون مخصوص أعمالهم أعمال الحكماء. أرباب العقول يرجحون في كل شئ بثبت، وترون الإيمان فيهم واضحا؛ لأنه بدون الكفر، فتلك الزمرة كانت زمن النبي ـعليه السلامـ وكانت في الخلافات، وكانت بعد الخلافات وستكون إلى يوم القيامةـ إن شاء اللهـ. **إن تكفروا فإن الله**. . يعني أمره بالإيمان والإطاعة لايرجع نفعه إلا إلى العباد **ولايرضى**. . علمنا أن المراد من الكفر هو عدم استعمال النعمة في مقصدها المراد منها إليه الإشارة في **إن تشكروا**. . **ولاتزر**. . يشير إلى أن حكم الزمرة مستقل. فالزمرة الشاكرة لاتؤاخذ بأعمال الزمرة الكافرة ثم التنبيه إلى حصول الإيمان، واختيار الإنسان الكفر مذكور في 8 **وإذا مس الإنسان**. . إشارة إلى الإيمان فكل رجل يدعو ربه على حسب استعداده بلسانه هذا يكفي في إيمانه. فالزمر المؤمنة اختلاف الصور لايؤثر فيها الإيمان. في لسان اليهود والنصارى والهنود أي صورة تختلف، والمعنى اتباع الأمر الحق عندهم من الله ثم استعمال القوى على حسب الاقتضاء العقلي موافقا متابعا مشترك في جميع الزمر، والحكيم لاينظر

1605، ابنه جهانگير.لينظر: طقُّوش، مُحمَّد سُهيل (1428هـــ - 2007م). تاريخ مغول القبيلة الذهبيَّة والهند215 – 217.ط: بيروت - لُبنان: دار النفائس.

إلا إلى ذلك. في الثامنة إشارة إلى الإيمان وإشارة إلى الكفر هو قوله **ماكان يدعو إليه**. . . . . أنه أناب إلى غير الله هذا هو الكفر. في 9 إتمام أمر الإيمان بالأعمال **أمن هو قانت**. . هو مؤمن ينيب إلى ربه فإن فيه هذا قانت يحذر الآخرة يرجو رحمة ربه ثم رجل عالم يقتضي عقله أن الإنابة إلى الله في ذلك يختص هكذا فيفهم به إليه الإشارة **هل يستوي الذين**. . . والعلم والعقل يستعملونهما في الإنابة. مثال ذلك رجل من العارفين حج سبعين سنة رأى بعد ذلك أتى إلى قافلتهم كلب ظمآن فقال في القافلة من يشتري بسبعين حجة بقليل من الماء يكفي لهذا الكلب فأعطاه رجل، وسقى الكلب[1]، ومثل هذا هم يستعملون عقلهم، وعلمهم في تكميل الإنابة. نحن نعد هذا العارف من أولى الألباب.

الفصل الرابع:من قوله : **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَه الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَه دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِه قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّه بِه عِبَادَه يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنَابُوا إِلَى اللَّه لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه أُولَئِكَ الَّذِينَ هدَاهمُ اللَّه وَأُولَئِكَ همْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)**

زمرة المقيمين للتقوى يعني العدل. **قل يا عبادي الذين**. . . يشير إلى هذا **للذين أحسنوا**. . . الصدر لاتعتبر إذاكان الإحسان إلى رجل هو حسنة **وأرض الله واسعة**. . يعني أن تعميم هذه الفروض في أقطار الأرض هو المقصود. **إنما يوفى الصابرون**. . معنى هذا عندنا يخرجون من أوطانهم؛لأن إقامة الحق في الأرض محتاج إلى ذلك؛لأن هؤلاء يعرفون حقيقة الأمر، فلايتقيدون

(1) هذا العارف هو عبد الله بن المبارك الباحث.ولينظر:تذكرة الأولياء,باللغة السندية,فريد الدين العطار198/1، ط:سنديكا أكاديمية, عام:2015م.

بصورة ما، وكذلك لايتقيدون بملك أوقوم يتحملون المشاق في إقامة التقوى في أرض غير أرضهم. **قل إني أمرت**. . . **11 إلى 13 قل الله أعبد مخلصا له الدين**. . . **14** فالنبي_ عليه الصلوة والسلام_ مأمور بإقامة التقوى، والعدل؛لكن لله خالصة لالنفع يرجع إلى النبي، فإقامة العدل مع اشتراط أن يكون خالصا لله هو مقصد النبوة، وإقامة العدل بدون هذا الشرط يكون مقصدا لغير من يتبع طريق الأنبياء هم يعملون ذلك العمل الصالح؛لكن لا لاتباع أمره وكتابه بل لاتباع قانون مخالف لذلك. هؤلاء هم الخاسرون. **قل إن الخاسرين**. . فإقامة العدل مشروط فيه أن يكون على حسب كتاب الله إذا كان وصل إليهم كتاب من كتب الله يجعل تلك الزمرة زمرة الإسلام. في 17 إلى 18 إشارة أن سيرتهم أن يجتنبوا حكم غير الله، وما يجدون من غيره، ولاشك الذين هداهم الله هم أولوالألباب.

الفصل الخامس: الفصل الثاني كان أقوى من الأول. الأول هو الإيمان والثالث: الإحسان أعلى الإسلام أيضا وذلك من قوله: **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَه يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِه زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاه مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُه حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَه لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22)**. في 19: إشارة إلى من ترك الإحسان، وارتجع إلى الكفر يعني نفى مصلحة الكتاب، وأتى بمصلحة تخالف الكتاب. **أفأنت تنقذ**. . هم يدخلون النار وفي 20 إشارة إلى درجة عالية في التقوى؛لكن الذين إلى الميعاد. . **غرف من فوقها**. . الأولى للإسلام الثانية للإحسان رعاية الحكمة. **ألم تر أن الله**. . . فالنباتات كلها من الماء الواحد، ففيه دلالة أن الأشياء المختلفة في الصور ترجع إلى معنى وحداني، وتفطن ذلك الأمر الوحداني هو الحكمة، فالذين وصلوا في إقامة التقوى إلى درجة الحكمة هم فوق المسلمين بشرح حالهم إشارة في أول 22 **أفمن شرح الله**.

. . هم ينظرون الإسلام منظما تحت مصلحة واحدة ينزل في قلوبهم نور من الرب. هؤلاء زمرة ثالثة صدرهم مختلف معناهم واحد **فويل للقاسية**. . المراد من ذكر الله هو القرآن، والمراد من القاسية الذين لايتدبرون في تطبيق أحكامه بعضها على البعض حتى يجعل كله تحت نظام واحد يرتقي به أولو الألباب **أولئك في ضلل مبين**. . .

الفصل السادس:من قوله تعالى:**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْه جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّه ذَلِكَ هدَى اللَّه يَهدِي بِه مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّه فَمَا لَه مِنْ هادٍ (23)** إلى فيه بيان أن القرآن نزل لتربية تلك الزمر كلها يستفيد منه كل منهم على حسب استعدادها فيه فصول ثانوية:

الأول: من 23 **إلى أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهه سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ** (24) الكتاب يهدي إلى الإيمان، وإلى الإحسان. **الله نزل أحسن**. . فيكون متوجها لاتباع زمرة الإسلام **كتاب متشابه** لايختلف البعض من البعض. **مثاني** إجمال ثم تفصيل أوتفصيل ثم إجمال أوحكم، وحكمة كلها داخل في المثاني. **تقشعر**: إشارة إلى إنشاء الإحسان **ذلك هدى الله** الذي يتبع جميع طوائف الناس. **ومن يضلل** يعني من لم يكن يهتدي من مثل ذلك البيان لايهتدى بشئ، فالذين يكذبونه يكون لهم عذاب وجزاء في جهنم. إليه إشارة في الثلاث بعدها **أفمن يتقى**. .

الثاني:بيان التعليم، وتوضيح القرآن: **ولقد ضربنا** يعني إذا ذكرنا قاعدة نأتي لها بمثل أيضا. **قرآنا عربيا**. . طبيعة العرب تناسب هذا البيان إذا فهموه يقيمون العدل. **ضرب الله مثلا** :مثال واحد: النبي يعلم الناس إطاعة الرب فقط. فكان رجل سلما لرجل. . والناس يعلمون إطاعة شركاء كثيرة. وقد ذكرنا من قبل أن قريشا كان فيهم حنفاء يعتمدون على إله واحد، وكان ناس إلى كسرى، وإلى قيصر مثال للدعوة إلى طريقتين. **هل يستويان مثلا**: ليس القضاء على تلك الدعوة منحصرا في فوائد الدنيا فقط، تلك الدعوة تنفع في الآخرة أيضا للصادقين. ومن يخالف من أهل الكفر

يضرهم، وذلك؛لأن دعوة النبي إلى إطاعة الله الذي يملك الدارين تنفع في الحياة، وبعد الممات **إنك ميت إلى بأحسن الذي كانوا يعملون**. فالدعوة مبنية على الاختلاف. والاختلاف تلازم الإنسان بعد الموت أيضا.

الثالث: الحاجة للإنسان تقضي بأسباب كثيرة؛لكن دعوة القرآن تجعل لجميع الحاجات حلا واحدا وهذا من حسنه وكماله. **أليس الله بكاف عبده**. فالاعتماد على الله يكون سببا لقضاء جميع الحاجات.

الرابع:الله يتصرف في حياة الدنيا فالقرآن يدل على أن الإنسان كله لله، ففيه إشارة إلى أن يتقرب الإنسان، ويتصرف في حياة الإنسان في الآخرة، والقرآن يدل عليه فالقرآن يدل على أن الإنسان كله لله ففيه إشارة إلى أن يتقرب الإنسان بإخلاص دينه لله من النبي فيكون كالملائكة حافين حول العرش. **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَه الدِّينَ 2**. يعني كل إنسان باتباعه يقتدر على التمكن في حظيرة القدس بعد الموت، وعلى مقامه في جماعة المركزية المقيمة للقرآن في الدنيا. هذا هو الحق فيما نفهم. **فمن اهتدى فلنفسه** بيان التصرف في الحياة الدنيا في قوله: **الله يتوفى الأنفس**. هذا أمر جار في جميع نفوس بني آدم كلهم ينامون، ولايكون في حال النوم اختيار ما بيده، وتكون حياة قائمة إلا من أراد الله موته. فقيام تلك الحياة في حال النوم إنما هو بتدبير الله يفهم الإنسان من ذلك مسألة البعث بعد الموت ليس نسبتها إلا على السواء. والتصرف في الحياة الأخروية في قوله: **أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّه شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّه الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ (44)** فالأمر الذي بالشفاعة في الآخرة كله لله لا لغيره. فالقرآن حكمة هو إرجاع جميع الأمور إلى الله فينتج منه إخلاص الدين لله. ومن هنا الناس في التفكر الذين لايقدرون تفكر الأمر إلى آخره هم لايؤمنون بالآخرة يعني إرجاع الأمر كله إلى الله وحده لاشريك له. هذا دليل على قصور عقلهم، فإن النظم لابد أن ينتهي إلى أمر واحد إليه الإشارة في قوله: **وإذا ذكر الله وحده**.

الخامس :دعاء النبي أن يكون القرآن حكما قائما على وجه الأرض؛لأنه مخلص في دينه لله، ولايلتفت إلى غير الله كما هو تعليم القرآن، فمقتضى فطرته أن يقتضي بجهدهم إقامة القرآن على وجه الأرض.

جملة معترضة: نتكلم على لسان عصرنا في شرح تعليم النبي_ عليه الصلوة والسلام_ رجل ادعى أنه يريد انقلاب العالم، وبين برنامجه، وهو يصرح من أول أمره أنه يكون ديكتاتورا في الأمر لايتبع أمرا في تفسير البرنامج كائنا من كان، وليس عنده شئ من الأموال، ومن الحكومة من جمع الرجال يعني اجتماعية متوارثة تؤيده حتى ليس له كفاية في أمر معاشه يحتاج إلى تجارة ونحوها فهو يصيرناجحا فائزا بمقابلة الإمبراطوريتين العظيمتين، ويبقى أمره في الناس إلى ألف سنة سالما مثلا الرجل المؤمن بالله هل يحكم في حقه بأنه قدر على ذلك من تدبير في نفسه؟كلا! إذا كان رجل سليم الفطرة يؤمن بالله بأي نحو كان حنيفيا أوصائبا إذا تفكر في أمر النبي أنه لايسلم شركة أحد في أمره. إنما يدعو أدنى الناس، وأقاصيهم إلى إتباع أمره فقط، وهو يجزم من أول أمره أنه يفوز ثم هو فاز. فإذا رأى أنه يرجع جميع أموره إلى الله ألا يجب عليه أن يحكم أن الله هو الذي جعله ناجحا. . نرى أنه لايكون ريب لمتفكر فالنبي_ عليه الصلوة والسلام_ يأتي ببرنامج منظم هو القرآن في طول ما يزيد عشرين سنة لايتناقض البعض البعض، وفي جميع القرآن الدعوة إلى الله وحده لاشريك له فكما يحكم أن الله هو الذي جعله ناجحا كذلك يحكم بأن ذلك من فطرة النبي _عليه الصلوة والسلام_ وجبلته:هذا الدعاء إنما هو من جبلة النبي _عليه الصلوة والسلام_ (المفصل الأول من الثانويات) **قل اللَّهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ.** 46. يعني أنا أطلب منك أن تحكم بالقرآن بين الناس . **وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَه مَعَه لَافْتَدَوْا بِه مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهمْ مِنَ اللَّه مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ. 47** خالفوا القرآن يفتدون من أنفسهم بجميع ما على وجه الأرض ومثله معه وكان ممكنا؛لكن بدى لهم من الله. . . أنهم يؤاخذون بجميع أعمالهم الباطلة

التي نافقوا فيه القرآن في تعليم الاختلاف مثال لذلك من قوله: **فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاه نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ بَلْ هيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لَا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلَاءِ سَيُصِيبُهمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) فإذا مس الإنسان**. . . يدعو ربه حتى أزال ضره هوبعد ذلك ينكر فضل الله عليه، وينسب إلى كمال عنده يقول **إنما أوتيته**. . . **ولكن أكثرهم لايعلمون**. . أنه كان له جرعة إلى الله لامن علم. هذا معنى في التاريخ مثاله: أنكروا رجوعهم إلى الله فأهلكوا **أولم يعلموا أن الله**. . . تحت النظام، وتدبير كذلك الحكم بالقرآن يؤتى قوم أكثر من قوم آخرين.

السادس:من قوله: **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّه إِنَّ اللَّه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّه هوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)** إلى بعد نزول القرآن نشأة جديدة للإنسانية فإذا كان رجل أخطأ قبل ذلك، وأذنب، وبعد ذلك أراد أن يتبع القرآن على أحسن وجه يغفر له ما تقدم كله، ويفوز بتعليم القرآن على مدارج هذا التجديد، وأخذ الأمر من ابتدائه رحمة على الناس. نفوس ابتليت بالفساد؛لكن في قلوبهم التمني لوهداني الله لكنت من المتقين أو تمنى أن يرجع إلى الدنيا مرة أخرى فيكون من المحسنين أوبعد ما جعل الله علم أن يبدؤ الأمر من الأول لايبقى لهم حق أن يقولوا في الآخرة مثل ذلك ، فإن كان في قلوبهم عزم صادق على تدارك ما فات منهم فهم يتبعون القرآن فيغفرلهم جميع ما سبق. كذلك نوع آخر من أصناف الإنسان هم في الأصل من أهل يقظة، ويرجعون إلى تفكرهم في أنفسهم فيصيبون؛لكنهم ما قدروا على رعاية قرارهم بسبب من الأسباب لاتباعهم قومهم أو مثل ذلك، وفي آخر الحياة تنبهوا فيسر الله لهم العمل بالقرآن مجددا يذهب عنهم الحسرة التي تقربهم. هم إذا رجعوا إلى أنفسهم يرون جميع الأمور التي ارتكبوها بإسم الله هي مثل السخرية مع الرب لوكانوا حكموا ضميرهم. من هؤلاء الأصناف الثلاثة في آخرالأمر يكون رجعا من الله أن يؤتيهم موقعا للعمل مرة ثانية. فلما كان قضاء الله قد جرى

أن بعد الموت لايكون رجع قضى الله حاجتهم في دار الدنيا بأخذ حسابهم مبتدأ من أول يوم عملهم بالقرآن، وجعل جميع ما تقدم مغفورة لهم لايحاسبون، فمن خالف القرآن بعد ذلك العذاب في جهنم يكون شديدا. إلى هذا المعنى إشارة في الذين أسرفوا أنفسهم. هذا أيضا استجابة لدعاء النبي في نزول الحكم بالقرآن يعني الناس الذين فيهم قوة العمل؛لكن لم يعملوا، ولم يستعملوها على طريق صحيح يرجعون إلى العمل بالقرآن فيفوزون.

3-من 42 إلى 44. الأمور الكونية يحتاج إليها الإنسان بعد الأمور الشريعة ففي الاجتماعيات إنما اعتمدنا على القرآن كله فالقرآن يوجب على الإنسان أنه في حاجات الكونية مهما كانت لايتوجه إلا إلى ربه فقط. فالاعتماد في التشريع والتكوين على الله وحده لاشريك له مثال للإيضاح لنا في عصرنا حكمة جمهورية في قطعة من الأرض للمسلمين أو جعلنا القرآن قانونه الأساسي ثم نحتاج في تكميل ذلك النظام إلى أشياء كونية مثل الطيارات، ومثل الوايورات[1] مثل السكك الحديدة وغير ذلك من الماكينات، وهي كلها بأيدى الكفار أفلانخضع لهم؟فيكون لنا قانونان قانون شرعي بين المسلمين، قانون غير شرعي لطلب الحوائج الكونية للكفار، فمثل ذلك نأخذ من القرآن أنه لايجوز الاتباع للكفار في ذلك، وهذا يكون باعتبار رسوخ الإنسان في حظيرة القدس، وتوكله على الله يفتح له مالايفتح لغيره؛ليسلم قوم من المهندسين، ويلتجأون إلى الإقامة في تلك الحكومة، والأرض غنية بالمصارف من المهندسين في أيام قليلة يستغني عن إطاعتهم، وقبول قانون غير شرعي مثال ذلك من تاريخ بني أمية كان الناس يستعملون دراهم رومية، وعبد الملك[2] يخاطب قيصر كلمة التوحيد، والدعوة إلى اتباع النبي _عليه الصلوة والسلام_ وشق ذلك على قيصر، وهدده إما يترك ذلك وإلا تكتب على الدراهم مايسوئكم. عبد الملك استشار أهل الرأي والمشورة فقالوا نحن نجعل مكة لبلادنا، ولانستعمل دراهم رومية فقام المهندسون بصنع الدراهم في أيام قليلة، واستغنوا عنها، ومثل ذلك الفتح لايرجى لرجل لايريد الخروج من الاعتماد على الله في جميع قوانين. إلى

(1) لم أفهم تلك الكلمة، ولم أطلع عليها من خلال كتب اللغة.الباحث
(2) سبق ترجمته.

الإشارة إلى مثل ذلك جاء. . . **الله خالق كل شئ.** . 42 إلى 43 وفي قوله **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّها الجْاهلُونَ (64)** رد على مثل ذلك من الأفكار الغير الصحيحة. إلاطاعة للكفار في مثل تلك الأمور أنا أعلم حقيقتها أنها متسقة لعبادة غير الله. أنا جالست الكفار رأيتهم إذا اضطر المسلمون إلى موافقتهم يفرحون؛لأن دينهم غلب على المسلمين فيما بينهم. المعاملة مع الكفار على درجة المساواة مثل التجارات. هذا شئ صحيح جائز، والمعاملة باعتراف تفوقهم على المسلمين هم يحسبون ذلك فتحا لدينهم. قل أفغير الله تأمروني. . إلى الشاكرين. فإذا كان أخلص دينه لله تاما في جميع أموره يكون هو خليفة الله في أرضه، ويكون معه نموذج حظيرة القدس، ونموذج الجنة وجهنم قائما، فالآيات بعد ذلك من قوله: **قُلْ لِلَّه الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ (44) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّه وَحْدَه اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45) قُلِ اللَّهمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ (46) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَه مَعَه لَافْتَدَوْا بِه مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهمْ مِنَ اللَّه مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) وَبَدَا لَهمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ (48) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاه نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ بَلْ هيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لَا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَها الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50) فَأَصَابَهمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلَاءِ سَيُصِيبُهمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا همْ بِمُعْجِزِينَ (51) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّه إِنَّ اللَّه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّه هوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَه مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّه وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ**

السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوههمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جهنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهمُ السُّوءُ وَلَا همْ يَحْزَنُونَ (61) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62) له مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ همُ الْخَاسِرُونَ (63) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّها الْجَاهلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيه أُخْرَى فَإِذَا همْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهمْ بِالْحَقِّ وَهمْ لَا يُظْلَمُونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوها فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهنَّمَ خَالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوها وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهمْ خَزَنَتُها سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَه وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) قد لخصناها من قبل، والآية **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)** خاتمة السورة إذا كان رجل يدخل الجنة ينظر إلى الملائكة

حول العرش وقيل **الحمد لله رب العالمين**. . **رب العرش** هو رب العالمين ففهم حكمة الحمد إنما يتيسرلأهل الجنة فيقولون **الحمد لله** أن. . [1] من خاطرهم.

(1) في ن إ وفي ن م : كلام محذوف لذا لم أفهم الجملة.الباحث

سورة يونس

هذه السور الست من يونس[1] إلى سورة الحجر[2] الابتداء فيها بالمقطعات. آلر 231 عددها مائتان وإحدى وثلاثون تساوي 218. انتقل مركز الخلافة إلى سامرى[3] زمن المعتصم[4]. قومان في الشرق الإيران والتوران فيما تجانس وتخالف. المركز الشرقي للخلافة تأثر بهما على الترتيب قيام بنى هاشم على بنى أمية. الفتنة الثالثة كانت الاستعانة فيهما بالإيران. ولما بلغ العباسيون، وارتكز خلافتهم في بغداد، والوزارة كانت دائما بأيدى الفرس. وفي الجندية كان القومان العرب والفرس مشتركين. الفرس قوم عظيم قديم لهم تمدن خاص هم بعد دخولهم في الإسلام كانوا يريدون الاستقلال في الإسلام. ولواهتدى الخلفاء إلى مسألة الوفاق في السياسيات لما حدث الاختلاف بين العرب والفرس؛لكن المسلمون في الدور الأول في المعاشرة كانوا يساوون بين جميع الأقوام أما في السياسة فحدث امتياز قريش ثم امتياز العرب بالتدريج فوق الضرورة الدينية، وكانت لها أسباب. أميرالمؤمنين الفاروق قتل بيد رجل[5] من الفرس في دارالخلافة فتأثر السياسيون في تلك الواقعة بكثير؛فلذلك كان أمير المؤمنين عثمان يقدم أقاربه؛ليتقدم العرب على الفارس؛لكن لم يتفطن لمصلحة أكثر الناس هم فهموا أنه يقدم قبيلته على أكابر العرب؛لكن الحالات في ذلك الزمان كانت تحتاج إلى تعمق في البصيرة؛لأن الديانة الإسلامية لاتقدم العرب على العجم إذا أسلموا، وغضب المفتوحون من الفرس للانتقام، وظهرمرة بعد أخرى، فليس من المصلحة التساوي بين الإيران والعرب؛لكن تقديم العرب يصادم النظرية الدينية. فأمير المؤمنين عثمان سلك في السياسة مسلكا رقيقا هو يقول إني أقدم أقاربي، فأقدمهم بنو أمية هم السادة في الجاهلية على العرب. فإذا قدم يتقدم العرب بالطبع؛لكن منافسة بني هاشم على بنى أمية هى التي صارت سببا للفتنة. أمير

(1) هي مكية في قول الجمهور.لينظر:التحرير والتنوير،لإبن عاشور،77/11.
(2) سورة يونس,هود,يوسف,الرعد,إبراهيم,الحجر.الباحث.
(3) مدينة سامرا (سنة 222) حين ضاقت بغداد بجند.
(4) سبق ترجمته.
(5) هو أبو لؤلؤ المجوسي.الباحث.

المؤمنين علي نظم له حزبا بمقابلة بنى أمية في آخر زمن عثمان فوقع المنازعة بين الحزبين، وانتهت بقتل عثمان. المؤرخون لايحبون أن ينسبوا إلى علي مسئولية هذه الفتنة أومسؤولية هذه البغاوة بوجه ما. وهذا الاستتار للحقيقة ومسطرها. بعد ذلك لايكون الرجل المسلم سياسيا فصيحا بل هو ينظر إلى رأي الأكابر أو يقلدهم. هذا أعظم عائقة في فهم القرآن. والذين دخلوا في فهم السياسيات هم ما قدروا على إحاطة الحوادث التي أحدثت الفتنة فانشق الفرق مثل الخوارج[1]، والشيعة[2] ثم قام من بينهم المعتزلة[3] هؤلاء هم الذين صاروا مصدرا للفرق الإسلامية كلها. لوتعمق أهل العلم في المسألة ما وجدوا بين أهل الاختلاف، وبين المنازعين اختلافا دينيا إنما كان اختلاف في تعيين المصالح السياسية فلايكفرون ولايفسق المخطئ فيها، وليس في هذا تفريق السياسة عن الدين. كثيرا من مسائل الدين الاختلاف فيها مباح . من شاء أخذ بصورة ومن شاء أخذ بصورة أخرى، وكذلك يكون الاختلاف بين أهل الاجتهاد، ونجزم أن المصيب أحدهما لا على التعيين فنرفع الملامة من أهل الاجتهاد، وقد يكون مجتهد مصيبا، ومخالفه مخطئا؛لكن لايلام المخطئ بل يثاب بأجر واحد. فالديانة في مثل تلك الواقعة تبيح لأهل الحل والعقد الاجتهاد في تعيين المصالح. فالآن تقديم العرب على العجم عثمان يرى فيه مصلحة، وعلي لايرى فيه مصلحة. هذا اختلاف في المباح فلايكفر ، ولايفسق أحدهما[4] ثم هذا الاختلاف يفضي إلى التقاتل المحرم فهو أيضا مباح

---

(1) قد سبق الكلام عن هذه الفرقة.الباحث.

(2) تعتبر الشيعة من أقدم الفرق الإسلامية، حيث ظهروا بمذهبهم السياسي في آخر عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونما فرقة الشيعة في عهد علي. ولما جاء العصر الأموي اتسع نطاق المذهب الشيعي، وكثر أنصاره. ويمكن القول بأن بذور الاختلاف وظهور التشيع يرجع أيضا إلى وجود فئة من المنافقين، الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر لمحاربة الإسلام والمسلمين من الداخل لعدم قدرتهم على ذلك علانية، وقد تزعم تلك الجموع عبد الله بن سبأ اليهودي؛ولذلك يلاحظ أن أكثر المعتقدات، التي آمنت بها الشيعة كالرجعة والولاية والوصاية وغيرها ترجع إلى عبد الله بن سبأ وأتباعه الذين نشروا الفتنة والفرقة بين المسلمين .لينظر: تاريخ الجدل للشيخ أبو زهرة ص119 . مط: دار الفكر العربي بيروت ط: عام , 1934م.وأيضا الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب ، ص32 . مط: مكتبة الأقصى عمان – الأردن ط: 1 :1404ه= 1984م , 2 :1406ه= 1986م.

(3) مر الكلام عن هذه الفرقة في سورة لقمان.الباحث

(4) جاء بعد عصر الخليفتين الأوليين قوم لم يستضيئوا بنور النبوة, ولم يشرفوا برؤية النبي فاستغلوا أحيانا اختلاف الصحابة في بعض المسائل، واتخذوا من هذا الخلاف سبيلا يسلكونه إلى تفريق كلمة هذه الأمة حقدا وحسدا لهذا الدين الحنيف خاصة أولئك الذين دخلوا فيه بقصد إفساده وزرع الفتنة مثل : ابن سبا اليهودي،وأضرابه الذين لم يقنعوا بتأليب الأمة على إمامها العادل عثمان بن عفان_رضي الله عنه حتى ثاروا عليه وقتلوه مظلوما بل لما بويع

والجهل متبين هنا. الإنسان لايريد قتل مسلم فيقتل برميه. المباح ماحكمه؟:ارتكب حراما؟لا. هكذا تلك المسألة: السياسيات المباحات تفضي إلى التقاتل قطعا، ولايكون فيه اعتراض على أحد. هذه المسألة أخطأ فيها الخوارج[1] والشيعة[2] والمعتزلة[3]. فائدة : إن قلنا الفتن ما الحكمة في وقوعها؟ مسألة مشكلة. والإحاطة لجميع المصالح ليست بسهل؛لكن بالإجمال يتعين أن فيها فوائد ومضرات فلينظر الإنسان لولم يقع اختلاف بين الأخوين من أب وأم. هل يمكن تنظيم بيت بنين مع بيت أبيهما. فالاتفاقات الراقية في الإنسانية مدارها على الاختلاف إذا أحس رجلان ضرورة واحدة لايقع بينهما اختلاف. وإذا أحس أحدهما ضرورة، ولم يحس به الآخرفهذا اختلاف مباح مستند إلى أسباب جبلية. فمن أحس ضرورة هو يتفكر في إنشاءأمرجديد يرفع ضرورته هذا هومدارالارتقاء. فالقرآن نص أن بني آدم يختلفون؛ولذلك خلقهم فليتفكر الإنسان في معنى هذه الآية: هل يمكن تميز شخص عن شخص إلا بالإمارات المختلفة فلولم تختلف الإمارات هل يمكن وجود أفراد كثيرة؟. فالله أراد أن يكون لأبي البشر أولاد كثيرة فكأنه خلقهم للكثرة وهي تساقط الاختلاط فكماله يلزم الاختلاف مطلقا هو بعيد عن أصول الحكمة. الفوائد التي تحصل بسبب الاختلاف تجعل في جانب، والفوائد التي تحدث بدون أن يحدث اختلاف في جانب فأي جانب فوائده أكثر هو الأولى وهو الحق . تلك الحقيقة قد خفيت على أكثر الناس. ثم مسألة أخرى: الإسلام في حد ذاته يقتضي الاختلاف أم لا. والمراد من الاختلاف هنا هو الاختلاف من وجه. البحث في السياسيات يكون عن الاجتماعيات القومية فباعتبار أن الإسلام يجمع قومين الأميين من العرب ثم الأميين من غير العرب يلتحقون بهم فهو في أساسه مجمع القومين ثم يلتحق بهما أقوام العالم، ففي أساسه موقع للاختلاف من وجه أم لا؟ فالجواب نعم!وتلك حقيقة أخرى قد

على _رضـي الله عنه _ , جعل ابن سـبا يدعى الوصـاية لعلي بالخلافة من رسـول الله , وأن عليا فيه جزء إلهي , وأخذ ابن سـبا ينفث سـمومه في جسـم الأمة , كما اتخذ أتباعه ومن هم على شـاكلته بعض مسـائل الاختلاف بين الصحابة , إما للطعن في بعض الصحابة , وإما جعلوه أساسا لنحلتهم , وشعارا لهم بعد ذلك.الباحث.

(1) مر الكلام عن تلك الفرقة.الباحث
(2) مر الكلام عن تلك الفرقة.الباحث
(3) مر الكلام عن تلك الفرقة.الباحث

خفيت على الناس فالذين يذمون الاختلاف مطلقا ليسوا على حق بل الواجب هو البحث في كل اختلاف عن إشارة فإن كان نفعه أغلب فهو الأولى فالفتنة مسألة. مستقلة الفتنة تكون مستعملة على القتال بين المسلمين هذا حرام لايجوز لمسلم أن يقاتل مسلما أما في الفتنة التي لايريدون أن يقتتل؛لكن الاختلاف يفضي إلى القتال فالاختلاف المفضي إلى القتال في النظر الظاهر يكون حراما هذا هو الذي يستحسن له أرباب الديانة، وليس بصحيح من كل وجه. أمير يصر على حرام نقاتل به أم لا. فالذين تأثروا بالذهنية الآدمية الجواب عندهم لا. وهذا شئ مستحدث في الإسلام ليس من أصوله. فإذاكان الأمير وحزبه يريدون رأيا، والمسلمون يرونه منكرا يأمرونهم بالمعروف أم لا؟ فإن استطاعوا بالقتال على المنع يقاتلونهم أم لا؟. الغرض القتال في كل صورة حرام. فكل من ارتكبه يحكم عليه بحكم إجمالي ليس بصحيح بل فيه سد عن ارتفاع الارتفاقات، وكذا يكون سدا لانتشار الهداية. ففي تلك المسألة نظريتنا تخالف أهل العلم. القتال بين الأحزاب السياسية يقع قطعا، ولايكون حراما في كل حالة لدفع الفتن، وبين الأحزاب السياسية. بعد هذه المقامات نرجع إلى أصل المسألة نظرية سياسة عثمان كانت أحق بذلك المقام[1]، ونظرية علي كانت ناموسا شرعيا عاما، والمصالح الخاصة تستثنى من الأمور العامة، وترجح دائما؛فلذلك كان أنصار عثمان فازوا في المسألة، واستخلف معاوية لوكان النظر في الاستخلاف إلى عثمان كان ينظر أولا أحد الرجلين إما معاوية[2] وإما مروان[3] ثم يرجح معاوية؛لأنه صحابي؛ لأنه من بيت الأمارة من بين أمية؛ولأنه نصبه عمر الفاروق على مركز من مراكز الإسلام؛فلذلك يتعين في فكرنا لولم يقتل عثمان، وفوض إليه الأمر لاستخلف معاوية فلما كانت سياسة صحيحة

(1) كما ذكره الشيخ السندي من قبل في بداية السورة.الباحث.
(2) سبق ترجمته
(3) مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف(2 - 65 هـ = 623 - 685 م)، أبو عبد الملك: خليفة أموي ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وشهد صفين مع معاوية،توفي بالطاعون،ومدة حكمه تسعة أشهر و 18 يوما. وهو أول من ضـرب الدنانير الشـامية وكتب عليها قل هو الله أحد وكان يلقب (خَيط باطل) لطول قامته واضطراب خَلْقه. وكان نقش خاتمه: العزة لله لينظر : الأعلام للزركلي : 7/ 207 -208.

كان منصورا، ولايلام المخالفون، ولايحكم عليهم بشئ من الكفر والفسق بل لايلام على أنهم أخطأوا في السياسة معاوية — مروان — علي.

جملة معترضة: إن كانت تلك النظرية صحيحة فلم جاء ذم الفتنة من النبي_ عليه الصلوة والسلام_ ومنع الناس أن يقاتلوا فيها؟ فالجواب منه عندنا:النبي يشرح الناموس الأصلي. وأما الحاجات الضرورية الموجبة لاستثناء تلك الواقعة من العموم فهي مفوضة إلى رأي أولي الأمر لايكون للنبي فيه حكم. وتعين الضرورة المرجحة لتقديم العرب على العجم ليس واضحا حتى يلام فيه المخالفون بل الأمر دقيق من أصاب لمدح، ومن أخطأ لايلام. والإصابة والخطأ لايظهرإلا بعد وقوع الواقعة بالنظر إلى النتائج ثم ملال النبي من وقوع الفتن بين أمته أوبين أصحابه طبيعي مثل أن يموت ولد الرجل أو أخوه ليس هذا الحكم شرعيا. فعلى تلك النظريات يختلف مطالعتنا للفتن. من رأى عامة أهل الرأي، ونحن نرى أنهم جعلوا المسائل السياسية من مسائل الدنيا فلايصرفون في طلب الحق في ذلك تمام قوتهم الفكرية فيتأخرون عن فهم الحقائق؛ولذلك تنتظم الحكومات غير الشرعية في المسلمين فلورأوا عاقبة تساهلهم لاجتنبوها؛ولكن أمر الله غالب والقدر ألزم. ونحن نرى رأي عثمان في تقديم العرب كان مصيبا مثل رأي تقديم المهاجرين على الأنصار من أبي بكر. فبعد ترجيح العرب على العجم من أساس السياسة الفاروقية هو رتب من بيت المال مرتبات لجميع قبائل العرب المهاجرين والأنصار فكأنه استأثرهم على المسلمين. وسياسة ما جرى عليها النبي_ عليه الصلوة والسلام_ والصديق فعثمان اتبع في ذلك عمر فمن كان سلم من الفاروق تدوينه الديوان لايقدر على عثمان أن ينكر اجتهاده أساسا نحن نجزم أن نظرية علي كانت ناموسا شرعيا مضى عليه النبي_ عليه الصلوة والسلام_ والصديق، ونظرية عثمان حاجته دقيقة ضرورية أحس بها عمر أولا، وأحس بها أكثر الصحابة على وفاته، وأتبعه عثمان.

مسألة:الفرس كانوا يدركون حقيقة نظام الفاروق، ويدركون أن في ذلك ترجيح العرب على الإيران، وهم ما كانوا يطاوعون تلك النظرية فكانت مخالفتهم سياسة تزيد كل يوم حتى لما قام بنو هاشم

على بنى أمية أعانوهم بكل قوتهم. فالخلافة العباسية كان فيه فتح للفرس على العرب ضمنا، ومزج بين قومين من وجه، فالعباسية كأنها اجتماعية بين الأقوام. لما فتح الفاروق العراق والشام ومصر، ودخل أقوام هؤلاء البلاد في دين الإسلام كان أيضا نوع من التحقيق لاجتماعية الأقوام. فابتداء الاجتماعية من زمن الفاروق، وانتهاءها على زمن المعتصم. لما فر المعتصم[1] من بغداد إلى سامرا للاجتناب من الفرس، وشرع في جمع الجنود من الأتراك فحصل لنا معنى ألف لام ميم رابعد هذه المقدمات المتشتتة؛لأن مطالعتنا في تلك غير مطالعة أهل العلم، فالألف مبدأ النبوة ولام هو إنشاء الاجتماعية بين الأقوام تحت حكم القرآن، وعدم امتياز قوم من قوم بل تلبسهم بلباس العربية، والراء هو تفرق الأقوام على شخصياتهم تحت حكم القرآن، واجتماعهم تحت حكم القرآن. وقدر مائتى سنة نضج ارتباط الأقوام البعض بالبعض، وتغلب عليهم نظام القرآن ثم ظهر بعد ذلك تشخص الأقوام مع تغلب القرآن عليهم في الديانة. هذا الاجتماع الذي استمر كان له شأن إلى زمن معاوية ليس بعده على تلك الرتبة. ونجعل هذه الاجتماعية على ثلاث مدارج 1: زمن الفاروق إلى آخر أيام معاوية أربعون سنة 2: من معاوية إلى آخر بني أمية درجته ثانية 3: وفي زمن العباسية درجته ثالثة. هذه المدارج الثلث باعتبار إخوة مداخلة العرب في الاجتماعية. إلى زمن معاوية كانت مداخلة العرب قوية، وبعده إلى آخر زمن بني أمية انحطت قليلة، وزادت قوة الروم في الاجتماعية بقدر ما نقص من العربية ثم في زمن العباسية انتقص قوة العرب أزيد، وزادت قوة الفرس بقدر انتقاص العرب. فدور العباسية إلى زمن المعتصم[2] دور قومي إلى هارون[3] الدرجة الأولى، والمأمون[4] والمعتصم في الدرجة الثانية.

فصل: الدرجة الأولى للقوة العربية في الاجتماع انتهت إلى معاوية، ومن معاوية بعد مائتي سنة بعد ذلك كان أثر الدرجة الثانية للعربية قائما. مرادنا بذلك تبتدؤن بالدرجة الأولى من عبد الملك[5]

---

(1) سبق ترجمته
(2) سبق ترجمته
(3) سبق ترجمته
(4) سبق ترجمته
(5) سبق ترجمته

مثلا فمن عبد الملك إلى آخر بني أمية درجته أولى من العربية فكأننا جعلنا من عمر إلى معاوية المثل الأعلى للقوة العربية لانظيرلها فيما بعد، فشرعنا في القوة المتبادلة يعني تستمر القوة ثم تضعف ثم تعود مثل الأول:هذه القوة من العرب في الاجتماع الدرجة الأولى من عبد الملك إلى آخر بني أمية. فإن القوة الأولى المثل الأعلى ماكانت تعاد مرة ثانية ثم في زمن العباسية إلى زمن المعتصم الدرجة الثانية ثم بعد زمن المعتصم إلى المعتمد[1] الدرجة الثالثة. حصل لنا من ذلك معنى ألف لام ميم را. ألف لام ميم إلى معاوية. قد ذكر مرارا ألف لام ميم را يكون عددها 271 تساوي مائتي تسع وخمسين من الهجرة 259ء. في تلك السنة تغلب يعقوب بن الليث الصفار الفارسي[2] على الخليفة، ونظم دولة فارسية. ألف لام را مبدأ تفوق الفارسي. ألف لام را مبدأ تأسيسهم الدولة فالأقوام اجتمعت تحت حكم القرآن على درجتين 1:الأولى ارتباط الأقوام بعضها ببعض بدون تشخص 2:الثانية ارتباطهم تحت حكومة الإسلام مع تميز شخصياتهم. العجم، الإيران لهم أهمية بعد العرب، ويمكن شرح تلك الأهمية بوجوه الأول: لحوقهم بالعرب منصوص في القرآن فكان القرآن خاطب العرب، والفرس كليهما الثاني: أهمية باعتبار الذهنية فقد جاء في روايات رب مبلغ أوعى لها من سامع[3]. والظاهر أن المراد منهم الفرس؛لأن أهل الكتاب، وفضلهم على العرب كان معلوما. والعرب الأمي يعلم الأمي الآخر فيكون التلميذ أوعى من الأستاذ، وهذا إنما تحقق في

---

(1) أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم،(229 - 279 هـــ = 843 - 892 م) أبو العباس، المعتمد على الله: خليفة عباسي.ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة 256هــــ بعد مقتل المهتدي بالله بيومين وطالت أيام ملكه،وكان مقام الخلفاء قبله في ســامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، فلم يعد إليها أحد منهم بعده. ومات أخوه (الموفق) ســنة 278هـــ فأهمل أمر الرعية، ومات مسموما، وقيل: رُمى في رصاص مذاب. وكان موته ببغداد، وحمل إلى سامراء فدفن فيها لينظر: الأعلام للزركلي: 1/ 106-107

(2) سبق ترجمته

(3) أخرجه الإمام ابن أبي شـيبة في مسـنده عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه، فإنه رب مبلغ أوعى لها من سامع» لينظر مسند ابن أبي شيبة ت: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) رقم الحديث:296 , 1/ 2000 ت: عادل بن يوســف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي الناشـــر: دار الوطن – الرياض ط: الأولى، 1997م.

الفرس، وكذلك الحديث المشهور لوكان الدين عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء[1]. وبالنظر إلى ذلك توجه فكري في حل تلك المقطعات في جميع السياسة العربية والفارسية، والفارسية ممتدة حدودها إلى التوران والهند فكلها باعتبار اللسان فارسية. الفارسية، وسانكريت أختان شقيقان من أم واحدة، وأديان الهند والفرس متقاربة في الصائبية. ديانة بودا لها أثر عظيم في الفرس والتوران، فالذهنية والألسنة في تلك الأمم متقاربة. ويونس كان من نينوى هي من الإيران، وإبراهيم أصله من الإيران فالفكر والنظرية عندي أن هؤلاء الأنبياء للأقوامية الناقصة. والقرآن أتم الاجتماع. إبراهيم، هود، يونس، ويوسف كانوا من المؤسسين للاجتماعية الأقوامية الناقصة، والقرآن أتم الاجتماعية العالمية. إبراهيم كان أصله من الإيران ثم وصل إلى الشام. يوسف من الشام، وذهب إلى مصر. هود كان له تأثير في جنوب العرب، وأفريقا. وكذلك يكون يونس أيضا. فالبحث من الاجتماعية القائمة تحت حكم القرآن باعتبار مبادئها، وليس شيئا مبتدعا في ابتداء كل سورة ألف لام را. حم –الإسلام– الحكمة في الفتن لايريد هداية العالمين، والوصول إلى العالمين من جماعة واحدة مقررة غير معقول وغير ممكن فالاجتماعية الأساس[2] يحدث اجتماعات ثم كل واحدة من الاجتماعات الثانوية تحدث اجتماعات ثالثة ثم كل واحد من الثوالث تحدث روابع فصاعدة. فالاجتماع الأول الإنساني كيف يحدث الاجتماعيات الثانوية؟. ذلك لايكون إلا بالتفريق في الاجتماع الأساس بين الطوائف والتفريق يمكن حدوثه بصورتين الأول:عدد يغلب على الاجتماع الأساسي ويمزقه. كل يذهب إلى جانب، ويستغرق موضع هذا غير منسوب بالنسبة إلى دين يغلب على الأديان. الثاني: صورة أخرى بعد ذلك ليس إلا التضارب، والتقاتل بين أعضاء الاجتماع الأساسي الأول فاختلفوا في المسالك السياسية الاجتهادية مع حفظ اتفاقهم على اتباع الناموس

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان الدين عند الثريا، لذهب رجال من فارس - أو أبناء فارس - حتى يتناولوه» لينظر: مسند الإمام أحمد ت: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) رقم الحديث:8081, 13/ 444 ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

(2) لعل تلك الجملة أساس الاجتماعية.الباحث

الإلهي القرآن فلولم يقم علي وأولاده على بنى أمية ماانتظم لفارس حكومة ولادين. بنوهاشم لما قاموا مانصرهم من العرب أحد. بنو أمية كانوا أمراء العرب في الجاهلية، وهم أعرف الناس بتأليف قلوب العرب؛ولذلك اجتمعوا على معاوية ثم على عبد الملك. أما بنوهاشم فهم أحفظ الناس، وأدعاهم للناموس خدمتهم لاتصل إليها أفهام العرب متجاوزة عن سياسة العرب اتباعا للناموس يعني أن بني هاشم إنما يريدون حفظ الناموس فقط فإن لاتؤثر في العرب فقام لهم أنصار من الفارس فإن كان للفرس خدمة للدين فسببه هو تفرق علي عن عثمان فالفتنة وإن كانت مضرة من حيث التقاتل؛لكنها مفيدة بانتشار الهداية في قوم جديد مقر؛ولذلك فإن تم الأمر بتقديم العرب على الفرس إلى آخر الزمان هل أمكن للفرس أن يتعلموا القرآن، ويقومون به؟ثم من الفرس انتشر إلى التوران والهند. الأحزاب السياسية يفتح بذلك باب التعليم والإرشاد للأقوام المهجورة، ونحن نرى من الحكمة أن شيئا لايوجد إلاويكون فيه نفع فوجود التقاتل يخلو من نفع الجواب:وإن كان المنافع والمضار من حيثيات متعددة أنا جازم بأنه لولم يحتج أهل البيت إلى جمع الأنصار لتنظيم حكومتهم ما عملوا الفارس الدين الإسلامي الحاوي على سياسة أبدا. ولو لم يتعلم الفارس السياسة الإسلامية ما قدروا على تنظيم دولة. وإن لم تنظم الدولة مافتحوا البلاد مثل الهند، وما وصل إلينا الهداية الإسلامية أبدا إلا ما كان منهم من فتح السند، وإلحاقها بدار الخلافة. أما بفتح الفارس للهند انتظم للهند دولة مستقلة بالتدريج. سلطان محمود الغزنوي[1] كان أراد أن يسكن في الهند، ويجعل عاصمة دولته في بتن كجرات؛لكن الأمراء ماوافقوه فرجع إلى غزنة؛لكن فكر تأسيس الدولة في الهند هذا كان بذره فانتقل أولاده إلى هؤلاء، وجعلوه مقرحكومتهم هكذا استقامت، وكذلك كان في بخارى وغيرها من الحكومات، والحكومات كانت فارسية لسانا وتورانية جنسا وعرقا تم.

(1) أبو القاسم محمود بن سبك تگين (971-1030) مؤسس الدولة الغزنوية وفاتح الهند. حكم من 998م حتى 1030م. أثبت أنه واحد من كبار الفاتحين في تاريخ الإسلام.ظل السلطان محمود الغزنوي يواصل جهاده حتى مرض، وطال به مرضه نحو سنتين، ومع ذلك لم يحتجب عن الناس أو يمنعه المرض من مباشرة أمور رعيته حتى توفي قاعدًا في (23 ربيع الأول 421هـ= 29 أبريل 1030م) بعد أن أنشأ دولة واسعة.لينظر: https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D9%86%D9%88%D9%8A

سورة يونس: أوساط سور القرآن منقسمة إلى ثلاثة أقسام1: قصار المفصل 2: أوساط المفصل 3: طوال المفصل(1). والبعض يستثني السبع الأولى نحن لانقبل هذا الاستثناء ليس له حظ في تقسيم السور باعتبار المعاني. كل السور مفصل. (2)

فصل :نحن نجعل بعض السور كالأبواب وبعضها فصولا لتلك الأبواب والفصل قصار وأوساط، فالطوال عندنا هي الأبواب وهي على قسمين 1: قسم لإرشاد العرب خاصة 2: قسم لإرشاد العالمين، فقصار المفصل تكون كالتعليم الابتدائي هي في قوة المسألة، المسألة أو مثل أبواب كتب الحديث. وأوساط المفصل هي مسألة تحتها مسائل أو مسألة معها أدلتها مكملة ثم الأبواب. وطوال السور فالطوال والمثاني عندنا كلها في طوال المفصل. فالمثاني عامة لتعليم العرب، والطوال عامة للعالمين. ونحن الآن نشرع في تلاوة السور الست هي أعلى مانزل لتعليم العرب خاصة ولاتقرأ تلك السور إلا بعد ما فرغ الإنسان من القصار والأوساط والمسائل المفروعة عنها في القصار أو الأوساط إذا أثنيت في المثاني أو باصطلاحة الطوال القسم الثاني منها فلايبحث فيها عما سبق في المفصل بل ينظر إلى فرق في التعبير في المفصل وفي المثاني. الإنسان يقرأ كتابا في علم؛ليستفيد ثم هو يصنف كتابا ليفيد أمثاله. المسائل حقائقها لاتتبدل؛لكن التعبير عنها يتبدل في الابتداء. في الأول يكون المقصود فهم المسألة من وجه، وحفظها تماما، وفي الثاني يكون تكميل الفهم فمثل هذا ينبغي أن يراعى في الفصول المفروعة المتكررة في القرآن. علماء البلاغة جعلوا هذا موضوعا للعلم؛لكن ما قدروا على إتمامه؛لأنهم لايعتقدون بربط مسائل سورة واحدة بعضها مع بعض ربطا

---

(1) يقول الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان:"قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام خصوا كلا منها باسم معين وهي: الطوال والمئين والمثاني والمفصل.فالطوال سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. فهذه ستة واختلفوا في السابعة أهي الأنفال وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة أم هي سورة يونس؟؟.والمئون: هي السور التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.والمثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات. وقال الفراء: هي السور التي آيها أقل من مائة آية لأنها تثنى أي تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون.والمفصل: هو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولا فقيل أوله ق وقيل غير ذلك وصحح النووي أن أوله الحجرات. وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وقيل لقلة المنسوخ منه ولهذا يسمى المحكم أيضا كما روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم.والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار. فطواله من أول الحجرات إلى سورة البروج. وأوساطه من سورة الطارق إلى سورة لم يكن. وقصاره من سورة إذا زلزلت إلى آخر القرآن.لينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ت: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)352/1،ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(2) إنه موقف الشيخ السندي.الباحث.

طبيعيا أو عقليا، فكلام أهل البلاغة في فصل المفصل يمكن أن يفتح شيئا؛لكن اعتقادهم بعد الارتباط أيضا. سورة تشتمل على سبع آيات مثلا لايطالعونها بأن الآيات مربوطة بعضها مع بعض بل يتفكرون في آية أو آيتين على حدة هذا حال الأئمة فكيف حال الذين نزلوا عن درجة الأئمة. في ذلك كله على تتميم الألفاظ، وكون لسان العربية أكمل الألسنة كان القرآن ليس له غرض إلا مدح العرب، ولسانها إذاكان رجل قرأ شيئا من الحكمة العملية على طريقة أرسطو[1] هو يفصل الأخلاق ثم تدبير المنزل ثم المعاملات ثم سياسة المدنية ثم سياسة المدن كلها مع ربط طبعي أو عقلي أو كثير من المسائل مسائل الحكمة العملية. ومسائل شرائع الأنبياء متحدة . فإذا قرأ الإنسان كتاب حكيم يقرأه منظما مرتبا. وإذا أخذ من صحيفة الله يقرأها منثورة متشتتة أفيرجو إنسان أن يكون في نظر هذا الرجل ترجيح كلام الأنبياء على كلام الحكماء؟ إن شئتم الحقيقة فالجواب كلا!لكن الناس ينافقون أويقولون لا. نحن نؤمن بمزية كلام الله على كلام الحكماء فكان الواجب على أهل البلاغة أن يكملوا فنفهم حتى يظهر على الإنسان المنصف فضل بيان الأنبياء على كلام الحكماء. نحن نعرف أن أهل البلاغة أبعد الناس من إحساس تلك الضرورة. ومن أحس منهم فهو يجزم بأنه لايقدر على إزالة هذا النقص فيجبرون هذا النقص بأعمال غير طبيعية فيفسدون أفهام المسلمين، وهم يجزمون أن الدين فوق العقل. والمراد من تلك الكلمة دون العقل. نحن رأينا الإمام ولي الله أصلح الحكمة العملية لأرسطو، وجعلها يقرب إلى مفاهيم الكتاب والسنة. والذين توجهوا إلى الحكمة والفلسفة في الآثار المتوسطة هم يعتمدون على مسائل أرسطو فيتباعدون في بعض الأوقات عن حكمة القرآن فيأتون بتأويلات، وتبين بالناس ضعف بيان القرآن بالقياس إلى بيان الحكماء. ورأينا هذا النقص مرفوعا في حكمة الإمام ولي الله لأنه غير أساس الأخلاق من الابتداء، وجعله قريبا إلى مفاهيم الكتاب. والناس عامة يعرفون أن المسلمين في مسائل الحكمة مقلدون

(1) سبق ترجمته

لأرسطو فيحملون أن الإمام ولي الله أيضا منهم فلايفرقون بين كلام الغزالي[1] وابن خلدون[2] وبين كلام الإمام والفرق بينهما مثل السماء والأرض؛لكن يلزم من ذلك أن يكون فوق من تقدم عليه. وهذا الذي لايجوزونه؛لكن الإمام أيضا مما يلتفت إلى تنظيم السورة باعتبار المعنى فقسم جميع ما أوتي في القرآن إلى خمسة أبواب 1:التذكير بآلاء الله . . على التفصيل في الفوز الكبير[3] فإذا فككنا نظام السور، وأرجعنا المسائل المشتركة إلى باب باب فكلام الإمام ولي الله بلغ إلى الغاية في بيان الحكمة لايحتاج في موضع ما إلى التأويل، والأخلاق عنده أربعة مثل أرسطو؛لكن التعبيرات والتأسيسات مختلفة الطهارة، السماحة ، الخضوع، العدالة[4] فهذه الكلمات الأربعة لها معنى مخصوصة، ويزيد عليها تعظيم شعائر الله فيكون حكمة الدينية كالأمر الطبيعي بالإنسان فهذا لايمكن إنتاجه من حكمة أرسطو أبدا فلذلك يجعل ابن خلدون احتياج الناس إلى النبوة منحصرا في الأمور الآخرة، وأما في تنظيم المعاش فلاحاجة إلى الأنبياء[5]. وعلى طريقة الإمام[6] يكون

---

(1)محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي،(450 - 505 هـــ = 1058 - 1111 م) أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته.. من كتبه إحياء علوم الدين تهافت الفلاسفة الاقتصاد في الاعتقاد محك النظر معارج القدس في أحوال النفس الفرق بين الصالح وغير الصالح مقاصد الفلاسفة وغير ذلك لينظر : الأعلام للزركلي : 7/ 22-23.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن محمد،(732 - 808 هــــــ = 1332 - 1406 م) ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس،وتوجه إلى مصر وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده.وعزل، وأعيد.توفي فجأة في القاهرة.من مؤلفاته: حياة ابن خلدون لمحمد الخضر بن الحسين فلسفة ابن خلدون لطه حسين، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري، ابن خلدون، حياته وتراثه الفكري لمحمد عبد الله عنان ابن لينظر: الأعلام للزركلي, 3/ 330.

(3) 1:علم الأحكام: كالواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، سواء كانت من قسم العبادات أو المعاملات، أو الاجتماع أو السياسة المدنية.2:علم الجدل: وهي المحاجة مع الفرق الأربع الباطلة، اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين.3:علم التذكير بآلاء الله: كبيان خلق السموات والأرض وإلهام العباد ما يحتاجون إليه، وبيان الصفات الإلهية.4:علم التذكير بأيام الله: وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله - تعالى - إنعاماً على المطيعين ونكالا للمجرمين (كقصص الأنبياء - عليهم الصلوات5: علم التذكير بالموت وما بعد الموت: كالحشر والنشر والحساب والميزان، والجنة والنار.لينظر : الفوز الكبير للإمام ولي الله الدهلوي,29-30.

(4) لينظر:حجة الله البالغة, الإمام الدهلوي,106/1-108.

(5)النص هكذا في مقدمة ابن خلدون:وأحكام السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط[يَعْلَمُونَ ظاهراً من الْحَياةِ الدُّنْيا.30:7] "ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم،لينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ت: ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هــــ) ،238/1،ت: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت ط: الثانية، 1408 هـــ - 1988 م.ولعل ابن خلدون يخاطب الفلاسفة في إثبات أن السياسة لاتخرج من دائرة العقل.الباحث.

(6) المقصود منه هوالإمام ولي الله الدهلوي.الباحث

الإنسان محتاجا إلى الأنبياء في كلا الأمرين سواء؛لكن تنظيم السور ينكره الشيخ مثل عز بن عبد السلام[1] ونحن نعترف أن الناس بعد مطالعتهم كلام الإمام يعترفون بتكميل الأنبياء للإنسان على أحسن الوجوه، وانحطاط كلام الحكماء في تكميل الإنسانية؛لكن في البيان فالناس كلهم يقدمون كلام الحكماء على بيان الأنبياء في قلوبهم، وإن لم يصرحوا باللسان. الناس إذا طالعوا إحياء العلوم[2] يعلمون أن فيه أغلاطا في بعض المسائل؛لكن ترتيبه وتنظيمه يجذب القلوب هذا رجل فارسي ثم يقرأ بعد ذلك القرآن يعتقد بحقيقة المسائل كلها؛لكن التنظيم هل يجذب قلبه مثل إحياء العلوم؟ الناس لايصرحون بذلك في قلوبهم نفاق فلما لم يحسوا بالنقص يتوجهوا إلى الإصلاح، وصاروا يستعينون بطرق غير الطبيعية مثلا يوجبون على الأطفال أن يتعلموا القرآن قيل كل شئ، وإن لم يفهم المعنى، وفساد طريق التعليم هذا بينوا عند الحمقى أيضا؛لكنهم يعتذرون لالتزام الطريقة الغير الصحيحة إننا لو تركنا الأطفال فإنهم بعد بلوغهم لايقرؤون القرآن لاجاذبية فيه، وذلك لايرجع إلى المقاصد فإن المؤمنين يعتقدون بحقيقتها ويقاتلون ويقتلون عليها فعدم الجاذبية يرجع إلى نظم الألفاظ فقط ثم إذا جعل الرجل يقايس بين الكلام العربي وبين كل رجل من حكماء الفرس يجد في قلبه تفوق طريق الفرس على العرب، وغاية علماء البلاغة هي تشكيك قلب من يعتري عليه مثل هذه الشبهات بالبحث أن تقديم، وتأخير الكلمات ثم المبالغة في تفخيم العربية وهذا لاينفع ثم الاستعانة بالحكومة إذا جعل الرجل حقيقة القرآن راجعة إلى معانيه دون نظمه يجعلونه زنديقا، ويقتلونه بقوة الحكومة أهذا تبليغ القرآن إلى العالمين؟ أن لايقدرون على تعليم القرآن إلا بعد قيام الحكومة الإسلامية المؤيدة له، والأمر كان في الحقيقة على العكس. القرآن هو كان منشأ للحكومة؛لكنهم يرجعون إنشاء الحكومة إلى تشخص نبينا _عليه الصلوة والسلام_ وتدابيره، وينتقض هذا الفكر إذا جعلوا القرآن معجزة النبي المثبتة لنبوته الباقية بعده إلى يوم القيامة. وعندنا القصور كله راجع إلى عدم توجههم فقط إلى مطالعة الارتباط بين آيات سورة واحدة، وجعلهم

---

(1) هو الشـــيخ العز بن عبد الســـلام عالم وقاضٍ مســـلم،برع في الفقه والأصـــول والتفســـير واللغة، وبلغ رتبة الاجتهاد،ولد بدمشق سنة 577هـــ (1181م) ونشأ بها، ودرس علوم الشريعة واللغة العربية،واشتُهر بعلمه حتى قصــده الطلبة من البلاد،توفي بالقاهرة ســنة 660هـــــ 1262م ودُفن بها من مؤلفاته:تفســير العز بن عبد السلام,الغاية في اختصـار النهاية وغير ذلك من الكتب القيمة.لينظر:الأعلام للزركلي,660/3, وأيضـا: العز بن عبد السلام، محمد الزحيلي،39, ط: الأولى، 1412هـ-1992م، دار القلم، دمشق.

(2) كتاب في التصوف للإمام الغزالي.الباحث

السورة كالباب أوكالفصل. ورأينا من تنبه إلى إثبات الارتباط يصرح بعكس ما يصرح تلك الطائفة:هؤلاء الجمهور يقولون القرآن نزل منجما في زمن ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع فإنشاء الترتيب في تلك المنزلات شئ غير طبيعي. والذين يثبتون الارتباط يقولون لماكانت السور مختلفة تنزل في واحد فإذا أنزلت آية أمر النبي بوضعها في سورة كذا وموضع كذا[1] فعلم الارتباط ثم يكون بعد ذلك طريقة بيان الأنبياء أفضل مفضلا على بيان الحكماء بوجوه: الأول طريقة الأنبياء تشمل الخواص والعوام، العامة يحفظون المسألة بدون ترتيب فلايكلفون أنفسهم فوق استعدادهم؛لأن عادتهم أخذ العلم بصحبة الأستاذ وبمجاورته، والمرشد يتكلم على حسب ما يفترض عنده من الواقعات. يأتي هذا السؤال من باب النكاح وآخر سؤال من باب الطهارة فالشيخ يجيبها، والمصاحب له من العامة يحفظ المسئلتين كلتيهما بدون ارتباط بينهما. والأذكياء والحكماء إذا توجهوا إلى نظم سورة وجدوها على أكمل نظام، ويكون مرآة المسئلتين، وهذا لايمكن أن يوجد في كلام الحكماء. ولايستفيد من كلام الحكماء إلا أفراد خواص. استثناء:رأينا كلام الإمام ولي الله في الفوز الكبير: ينكر ضرورة الارتباط بين الآيات[2] فهذا مداراة منه لأهل العلم المصنفين فإن جمهورهم ينكرون الارتباط. أما في فتح الرحمن فيشير في مواضع إلى ارتباط الآيات في سورة طويلة

(1) مثلا:قال البغوي في شرح السنة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرّقاً عند الحاجة وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة لينظر: شرح السنة ت: أبو محمد البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)521/4-522. تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهيرالناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ط: الثانية، 1403هـ - 1983م

(2) يقول الإمام الدهلوي: وقد ربط عامة المفسرين كل آية من آيات الأحكام وآيات المخاصمة بقصة تروى في سبب نزولها، وظنوا أنها هي سبب النزول، والحق أن نزول القرآن الكريم إنما كان لتهذيب النفوس الإنسانية، وإزالة العقائد الباطلة، والأعمال الفاسدة إلى قوله: أما الأسباب الخاصة والقصص الجزئية التي تجشم بيانها المفسرون فليس لها دخل في ذلك إلا في بعض الآيات الكريمة، التي تشتمل على تعريض بحادث من الحوادث في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أو قبله، بحيث يقع القارئ بعد هذا التعريض في ترقب وانتظار لما كان وراءه من قصة أو حادث أو سبب، ولا يزال ترقبه إلا بسيط القصة وبيان سبب النزول.لينظر:الفوز الكبير,الإمام الدهلوي,حقيقة أسباب النزول,30.

مثل سورة البقرة(1) ثم رأينا ولده عبد العزيز(2) التزم بيان الربط بين الآيات(3) نحن بحمد الله متوجهون إلى ذلك. وكان رجال في بلادنا من علماء عصرنا متوجهين؛لكن طريق كل واحد غير طريق الآخر فعلمنا أن إنشاء الربط يمكن بوجوه فلوكان المسلمون توجهوا لاختاروا الأصح الأرجح ثم رأينا التوجه إلى هذا المقصد أهم أبواب التفسير في هذا العصر فإن قوة الحكومة المؤيدة لحكم القرآن سلبت من المسلمين عامة، وإجبارهم الأطفال على تعليم القرآن أيضا قد تعطل لغلبة طريقة تعليم أوروبا على الشرق، وفيها يراعى تعليم لسانه الطبيعي والارتقاء في الفكر تدريجا يؤخر تعليم القرآن طبعا ولما كان التلميذ أخذ شيئا من العلوم العقلية فإذا جاء في القرآن ما يناقضها يتشكك هو ولايرجح حكم القرآن إلا في الظاهر على طريقة النفاق، وبذلك فسد ذهنية شباب المسلمين عن التوجه إلى تعليم الدين عامة فالمعيار في تعليم القرآن اليوم لشبان المسلمين هو المعيار الذي يؤثر في تعليم غير المسلم، فإن قدر الأستاذ على إقناع غير المسلم يتعلم القرآن هو الذي يقنع ويقدر على إقناع المسلم. أنظروا عدم التدبر في القرآن في أمر زائد على المقصد ملازم معه كيف أفضى إلى الفساد فإذا تركوا التدبر في نفس مسائل القرآن بعدم تطبيقها على عقليتهم يكون الفساد أكمل. تم الحمد لله. فتلك السور الست نجعلها من نصاب دار المعلمين. المسلم تعلم أولا تلك المسائل في القصار والأوساط فحفظها، وأكمل فهمها الآن هو يصير معلما يفهم تلك المسائل بعنوان آخر فقط. ألف لام را فرغنا في المقدمة يعني الحكمة المنزلة على النبي المكملة باجتماع الأقوام على تسليمها في زمن الفاروق تنزل في قلوب الأقوام بتعليم المعلمين المجتمعين زمن الفاروق درجة بعد درجة إلى سبع أرضين في مدة مائتي سنة قبل انقضاء حكومة قريش، وتبدل حكومة فارسية عوضها. **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** (1). تعلم الناس الحكمة على طريقة منظمة في الكتاب المحفوظ من التغير، فإن تداول أقوام مختلفة ذهنيات شتى تورث التحريف والتبديل فإذا كان

---

(1) إن الإمام ولي الله الدهلوي يثبت الارتباط بين الآيات في سورة البقرة مثلا:بين قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ همْ فِيها خَالِدُونَ (39) إلى قوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُها شَفَاعَةٌ وَلَا همْ يُنْصَرُونَ (123) لينظر:هامش فتح الرحمن بترجمة القرآن, الإمام ولي الله الدهلوي,10

(2) سبق ترجمته.

(3) لينظر:تفسير عزيزي،الإمام عبد العزيز الدهلوي،تفسير سورة البقرة،قصة آدم_على نبينا وعليه الصلوة والسلام_122-126،ط:كتبخانه رحيمية ديوبند كرديد.

حكمة معقولة ومحفوظة في كتاب يصير محفوظا من التغير والتحريف. وإذا جرب في أقوام مختلفة في قدر قد نبين يكون أمينا على أنه يكفي للإنسانية إلى آخر الدهر هذه الآية كأنه عنوان السورة، وبيان مقصودها ثم يأتي في سورة تفصيل المسائل. في السورة تفصيل المسائل بلسان المعلم يعني أن المعلم إذا أراد إلقاء مسألة إلى الناس كيف يتكلم معهم؟ من أي جزء يشرع أولا، وإلى أي جزء ينتهى ويتمه؟هذا المثال مذكور من قوله: **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) قُلْ هلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34)** وتفسيره نأتي به في موضعه هذا التفصيل إلى آخر السورة على هذا المنهاج مثبت. ولما تم أجمل في آخره تمام السورة فصار الأمر مضبوطا نحن نقدم الإجمال ثم نأتي بالتفصيلــ إن شاء اللهــويكون أيسر لنا في الفهم. الإجمال من. . **قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَه إِلَّا هوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِه يُصِيبُ بِه مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه وَهوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107) قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهتَدَى فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفْسِه وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْها وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)** ختم السورة **قل يأيها الناس**. . المراد من الناس العرب ثم أهل مكة ثم قريش **إن كنتم في شك**. . المسألة الأولى بيني وبينكم هي هذه تكونون مني في يأس أن أتبعكم في تعيين المعبود وأراعي رأيكم ولوقليلا. بعد هذا اليقين تباحثون إن كان عندكم شك أما إن لم توافقواني على هذا فلاتكلموني أمر فاه في إضاعة الوقت بدون تعيين المراد **ولكن أعبد الله**. . يعني الذي يملك الإنسانية أمورا دون الموت والحياة فأنا لاأتخذه إلها أبدا **وأمرت أن أكون** ليس هذا في اختياري

أنا مأمور بهذا فلايتوقع أحد مني أنا أتنازل من هذا **وأن أقم وجهك**. . فإبراهيم لما سأل ملك[1] عصره عن ربه قال **ربي الذي يحيى ويميت**. . فرجل من الملوك يملك النفع والضرر في بعض الأمور لايطيعه النبي أو نقول بكلمة أخرى لايعبده فإن كان هو رجلا ذا عقل واحد من أفراد الناس نستفيد من عقله ومشورته ومن قوة الاجتماعية أما هو يريد أن يسلم حكمه فوق الإنسانية يعني أن يتخذه الناس معبودا فالنبي مأمور أن ينكر هذا، ويكون النبي في عمله هذا على طريقة الحنفاء، والحنفاء كلهم ينكرون. . . **ولاتكونن من المشركين**. . هذه الإطاعة في العبادة، وبذلك يكون الرجل مشركا مع كونه يحكم بحصر الخلق والإبداع في الله الحق، فالقانون بعد ذلك في تلك المسألة **ولاتدع من دون الله مالاينفعك**. المراد أن الذين يخالفون الحنفاء هم في وقت التجائهم أي في تحصيل نفع أو دفع ضرر لايخاطبون إلي رأسا بل يدعون الوسائط أما النجوم فلتنتج النجوم عند الصابئة شرائع مفصلة هم كانوا يخاطبون النجوم، ويمدحونها باعتقاد منهم أن لهم أرواحا فاضلة هذا الذي منع عنه في كتاب الله **ولاتدع من** . . . ثم اليهود والنصارى لما خالطوا الصابئة فماكانوا تنازلوا إلى أن يدعو النجوم والكواكب بل توجهوا إلى الملائكة والأنبياء فكل ملك عندهم متعلق بكوكب، وكذا كل نبي طالعته تأثير للكوكب هذا أيضا مبسوط في حكمة الصابئة، فأهل الكتاب أخذوا بتلك الحكمة، وغيروا الألفاظ إذا قالوا ياجبريل فمعناه ياروح الشمس فالنهي في كتاب الله جاء بلفظ عام يدعون الكواكب أو الملائكة أو الأنبياء أوالأولياء كله ممنوع **فإن فعلت** يعني المشركين التاركين للحنيفية **إن الشرك**[2]. . . نزل في سورة لقمان **وإن يمسسك الله** . . المقصود من هذه الآية آخرها قوله:**يصيب بها من يشاء**. . هذا أمر بالتوجه إلى الله المتجلي في حظيرة القدس القاهر على الملائكة والأنبياء والأولياء من الملأ الأعلى، والقاهر على من يسوق بقدر الكواكب من الملأ السافل، والقاهر على الكواكب والعناصر والكائنات كلها هو يصيب من يشاء برحمة ومغفرة فتيسر التجلي بالقهر على من عداه لازم، وهو المشار إليه في قوله: **إن يمسسك** بفضله فإن وجود التجلي في حظيرة القدس يوهم مساواة الملائكة مع الله؛لكن إذا أثبتنا قهره على الملائكة يذهب هذا الوهم روح الدين هو هذا. 1:الإعراض عن غير الله 2: التوجه إلى الله في

(1) نمرود.الباحث.
(2) لقمان, الآية :13

جميع الأمور. وهذا التفصيل يعني أن الله يعطى كل شئ عظيم وحقير قليل وكثير أفيمكن إضافته إلى الله على منهج الحكمة بواسطة التجلي القائم في حظيرة القدس القاهر على من عداه؟ فالاعتقاد بربه أوجد الخلق لايخرجه عن الشرك إلا إذا اعتقد أن كل قليل وكثير يأتي منه على نظام حظيرة القدس. **قل يأيها الناس قد جاءكم**. . يعني تنزل الحق من حظيرة القدس إلى اجتماعكم يتكلم بلسانكم يجيب على سؤالاتكم يقضي حاجاتكم، فكل شؤون يحتاجون إليه منحصرة في الله، وهو تنزل بهذا الوصف على قلب النبي، ويتكلم بلسان النبي، فالاستفادة تيسرت لكم وإلا فماكان ممكنا إلا بارتفاعكم إلى حظيرة القدس **فمن اهتدى**. . حكمة هذا التبري أنكم تقدرون أن تعملوا الأعمال بعد فهمكم، وإنشاء الإرادة منكم فلوكان الأمر في الاستفادة من الرب راجعا إلى حظيرة القدس ماكان إليكم شئ لافي العلم ولافي الإرادة بل كنتم مجبورين فلايرجع الفضل إلي ألوم إليكم. ولما أنزل الله كلامه على لسان النبي وهومن جنسكم، وليس قاهرا عليكم فاتصالكم بربكم يكون منكم. وتلك المزية للإنسان لاتساويها مزية **واتبع مايوحى**. . . القانون هو الذي يأتي من حظيرة القدس بالوحي، ولنرجع في تفسير كلمة الوحي إلى بيان اصطلاح الإمام ولي الله قال الشيخ الصدر الشهيد[1]:وانحدار العلوم من هذا التجلى يعني القائم على نفس الرجل الكامل وعلى أوجه يسمى بالوحي إذا كان هذا الكامل نبيا[2]. يتبين بذلك ما جاء في قلبه من الأفكار الطبيعة عما يجئ من طريق الوحي إن كان بعد قيام التجلي في قلبه فوحي وإن لم يكن التجلي قائما في قلبه فأفكار طبيعية فكان معنى فاتبع ما يوحى إليك ما ترى أن الرب قال به وأمربه فاتبع فكماكان الدعاء خالصا لله الرب المتجلي في حظيرة القدس كذلك الاتباع في الدين كله منحصر في أمر الله المتجلي على قلب النبي هذا يدرك في نفسه، وينطبق عليه انحدار العلوم من حظيرة القدس فيتحد أن مثل الظاهر والباطن شئ واحد **حتى يحكم الله**. . فإن حدث لك حادث فلاتمهل فيه لفكرك حتى يأتيك الوحي وإن تأخر **فاصبر وهو خير الحاكمين** يعني إن تأخر عن الوقت الذي تريد نزول الحكم فلايفوت مصلحة ما بل تصبر أنت، ويكون الحكم حاويا لجميع المصالح حكمه تعالى لايفوت منه مصلحة هو المراد بقوله **خير الحاكمين** تمت السورة. سورة يونس "**أكان للناس إلى**

---

(1) سبق ترجمته
(2) منصب إمامت،الشاه إسماعيل الدهلوي،58.

مبين توجيهه لأذهان العامة إلى التفكير في هذه المسألة . صورة المسألة يقوم رجل يقول أوحى الله إلي أن أنذر الناس أنهم إن لم يتوجهوا إلى قبول برنامجي يهلكون، والذين يقبلونه يتقدمون على الناس، وهذا التقدم تحت أصول الفطرة **قدم صدق**. . فالذين لايتفكرون بل عادتهم ينكرون كل ما في خلاف مزموعاتهم هؤلاء إسمهم في القرآن الكافرون[1]. إن رأينا إلى اشتقاق الإسم فهو مأخوذ من الكفر هم يدفنون فطرتهم السليمة تحت غواشي الجهل، والرسوم الباطلة، ويقومون لإنكار الحق ومصادمته فمثل هؤلاء الناس قالوا **إن هذا لساحر مبين** هو يدعي أنه يوحى إليه فكيف نعرف هو يدعي أن قوما هم في أخريات الناس يتقدمون على جميع الدنيا هذا على خلاف القوانين الفطرية يعني أنه لسحر كيف يصدق؟ الكلام مع هؤلاء الناس يكون على أصول الحكمة في التفهيم، ويسمى هذا الباب تصفية ذهن العرب لقبول برنامج القرآن فهذا ممتد من قوله: **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِه ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) إِلَيْه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّه حَقًّا إِنَّه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَه مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّه ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَمَا خَلَقَ اللَّه فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِها وَالَّذِينَ همْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهدِيهمْ رَبُّهمْ بِإِيمَانِهمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهمُ الْأَنْهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9) دَعْوَاهمْ فِيها سُبْحَانَكَ اللَّهمَّ وَتَحِيَّتُهمْ فِيها سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّه لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهمْ أَجَلُهمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهمْ يَعْمَهونَ (11) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِه أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْه ضُرَّه مَرَّ كَأَنْ**

---

(1) تعريف الكافر في اصطلاح القرآن:يقول الشيخ غلام مصطفى القاسمي في تفسير سورة سبا ما ملخصه :إن مفهوم الكلمة الطيبة هو أن الملك الحقيقي ليس أحد سوى الله فالناس الذين ينكرون ملوكية قواعده المقررة ويأخذون ملوكهم معبودين هم كافرون ومنكرو الحساب لأن نتيجة إنكار حساب الله عزوجل هي إنكار ملوكيته لينظر: تفسير سورة سبا،باللغة السندية, من أمالي الشيخ عبيد الله السندي، 73-74.

لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّه كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) وَلَقَدْ أَهلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذَا أَوْ بَدِّلْه قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَه مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّه مَا تَلَوْتُه عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ به فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِه أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِه إِنَّه لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لَا يَضُرُّهمْ وَلَا يَنْفَعُهمْ وَيَقُولُونَ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّه قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّه بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهمْ فِيمَا فِيه يَخْتَلِفُونَ (19) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِنْ رَبِّه فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّه فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهمْ إِذَا لَهمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّه أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21) هوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِها جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهمْ أُحِيطَ بِهمْ دَعَوُا اللَّه مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هذِه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنْجَاهمْ إِذَا همْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاه مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِه نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهلُها أَنَّهمْ قَادِرُونَ عَلَيْها أَتَاها أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاها حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّه يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهقُ وُجُوههمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هم فِيها خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَتَرْهقُهمْ ذِلَّةٌ مَا لَهمْ مِنَ اللَّه مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوههمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هِمْ فِيها خَالِدُونَ (27) وَيَوْمَ نَحْشُرُهمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29) هنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّه مَوْلَاهمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّه فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) قُلْ هلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه قُلِ اللَّه يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34) قُلْ هلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّه يَهدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهدِّي إِلَّا أَنْ يُهدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36) وَمَا كَانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّه وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْه وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيه مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِه وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه وَلَمَّا يَأْتِهمْ تَأْوِيلُه كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) وَمِنْهمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِه وَمِنْهمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِه وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّه لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهمْ يَظْلِمُونَ (44) وَيَوْمَ يَحْشُرُهمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّه وَمَا كَانُوا مُهتَدِينَ (45) وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهمْ ثُمَّ اللَّه شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهمْ قُضِيَ بَيْنَهمْ بِالْقِسْطِ وَهمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّه لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُه بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْه الْمُجْرِمُونَ (50) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِه آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِه تَسْتَعْجِلُونَ (51) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّه لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِه وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهمْ بِالْقِسْطِ وَهمْ لَا يُظْلَمُونَ (54) أَلَا إِنَّ لِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) هوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ (56) يَا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ بِفَضْلِ اللَّه وَبِرَحْمَتِه فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّه لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْه حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّه أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّه تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّه لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لَا يَشْكُرُونَ (60) وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْه مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيه وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّه لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا همْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّه ذَلِكَ هوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّه جَمِيعًا هوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65) أَلَا إِنَّ لِلَّه مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ همْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66) هوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيه وَالنَّهارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّه وَلَدًا سُبْحَانَه هوَ الْغَنِيُّ لَه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّه مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّه الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهمْ ثُمَّ نُذِيقُهمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70) تحت هذا الباب فصول:

الفصل الأول: من 3 إلى 10 إله الحق في نظر الطبائع السليمة، ولقاؤه هذا الذي يعبر عنه في حكمة الإمام ولي الله: الحجر البحت لطيفة نورانية في نفس كل شئ تميل طبيعتها إلى الله[1] لولم يكن في جبلة الإنسان هذه القوة ما أمكن دعوة الإنسانية إلى الله أوما انتظم تلك الدعوة. في الآية الثالثة بيان حظيرة القدس، وقيام التجلي الإلهي فيها. الأمر كالمسلم وفي آخر 3 **أفلاتذكرون**. والآية 4 بيان انجذاب الإنسانية إلى حظيرة القدس هذا الذي يعبر عنه بلقاء الله ثم في 5 إلى 6 تشريح لتصرف الرحمن المستوى على العرش في عالم الخلق، وفي ضروريات الإنسان لايقدرإنسان أن يعرض عنها فالآية 5 **هو الذي جعل الشمس**. . . والآية 6 **إن في اختلاف الليل**. . . وفي 7 إلى 10 تشريح مزيد للحياة الأخروية يعني انجذاب الإنسانية، ولقاء الله ثم في 11 إلى 14 بيان اقتضاء الفطرة الإنسانية الرجوع إلى الله في حالته لاتكون عليها غلبة البهيمية، والاستغراق في الارتفاقات للحياة الدنيا إذا حصل التجرد عن هذا في بعض الأحيان يتوجه الإنسان إلى الله باقتضاء فطري بدون تعليم أحد. وإفساد هذه الفطرة يبطل نظام الإنسانية بإشاعة الظلم وترك العدل. هذا في 13 وفي 14 إشارة إلى أن القرآن يريد أن يستيقظ تلك القوة في المخاطبين يعني العرب **ولويعجل الله إلى كيف تعملون**. **استعجالهم بالخير**. يعني كما يعجل الله الخير في الناس لما يسألونه فإن عجل لهم الشر كذلك لما يسئلونه عن جهل لهلكوا فهؤلاء الجهال لايستحقون الخطاب إلا في حالة مسهم الضر أما إذا كشف عنهم الضر يغلب عليهم الاستغراق في الارتفاقات الدنيوية. فكل واحد لايريد إلا نفسه خاصة فينشأ الظلم فيقيم عليهم أسلم البينات يعني الذي تعمله للناس لاتحبون أن يعمله الناس لكم فإذا لم يتوجهوا إلى الفهم يهلكون. فالآن جاء دوركم فهل تقومون بالحق أي باقتضاء الفطرة الإسلامية أم لا؟يقدم إليهم برنامج للحياة إن التزموا العمل به يتقدمون على الناس يعني يستحقون بقرار من الناس فهو قدم صدق، وإن أعرضوا يهلكون فالتبشير لقوم يكون مع الإنذار له فلايرجع إلى ذواتهم بل يرجع إلى قوة البرنامج وتقوية الفطرة فأي

---

(1) لينظر:حجة الله البالغة,الإمام الدهلوي,131/1.

عجب في هذا القوم ضعيف ولابائس؛لكنهم لو صمموا العزم على العمل ببرنامج صحيح أعلى من جميع البرنامج لحصل لهم الخير الكثير في أدنى مدة، وأقل محنة فهذا المعنى في البرنامج.

الفصل الثاني:البرنامج هو القرآن، ولايريدون اتباعه فيلزمون بذلك بتسلسل التفكر. هذا الباب الثانوي تحته (ب) من 15 إلى 17 يريدون برنامجا غير هذا، والجواب أن هذا لايمكن أبدا فإن كل ما دونه فهو باطل هذا قوله :**وإذا تتلى عليهم**. . . **إلى المجرمون**. . **آيات بقرآن غير هذا**. . . البحث في الارتفاقات يكون تحت مصالح مختلفة، وبعض الناس يرتبون جميع الارتفاقات على ما تقتضيه الحكمة الطبيعية والطب مثلا كما حققه الإمام في حجة الله البالغة:والأنبياء رتبوها على الإحسان فكل ارتفاق إذا كان على صورة عينها الأنبياء ينتج تقريب الإنسان إلى وصوله إلى مقامات الإحسان من التشبه بالملأ الأعلى، والتطلع إلى التجلي القائم وسط حظيرة القدس فالارتفاقات الطبيعية لايقدر الإنسان أن يتركها فهم يثبتون ترتيبها على الإحسان والعدل يعني التقوى التي هي نظام القرآن، ويريدون نظام ارتفاقات على وجه آخر تحت أصول الطب والنجوم وغيرها كما حققه الإمام في حجة الله. ج. المانع لهم عن اتباع القرآن هو جهلهم في معرفة الرب. هذا الفصل ممتد من 18 إلى 35 المذكور في هذا الفصل أولا من 18 إلى 20 عبادتهم بغيرالله، واختلافهم في ذلك هذا يعبد هذا والآخر يعبد ذلك، فإذا تركوا التوجه إلى الرب وحده يكون فيهم شرك واختلاف، وهم يريدون هل تلك المسألة بنزول آية خارقة ؟هذا البيان ممتد إلى 20 **ويعبدون إلى المنتظرين** ثم المذكور بعده أنهم يعرضون عن حجج الله القائمة عليهم، ويكون ذلك بسبب اشتغالهم بمرافق الحياة الدنيا، ونتيجة هذا الإعراض تكون فساد الحياة الآخرة، والدخول في جهنم بعد إقامة الحجة عليهم، وبعد اعترافهم بها فالإعراض مذكور إلى 23 **وإذا أذقنا إلى**. . . **تمكرون** وبيان هذا المكر في الآية **هو الذي يسيركم** . . . . إلى لغير الحق. هذا سبب اشتغالهم في المرافق مذكور في. . **يأيها الناس إنما بغيكم**. . . إلى يتفكرون. فما هو سبب إعراضهم يعني المرافق كلها بالموت، وبعد ذلك يتنبهون لامحالة، ولاينفع إلا التنبه في الدنيا فالذين تنبهوا بيانهم تأخر إلى. . .

والله يدعو إلى خالدون. والذين لم يتنبهوا في الدنيا يتنبهون في الآخرة ذكر في 30 **والذين كسبوا إلى غافلين**. فتقوم عليهم الحجة؛لأن المعبود ينكر عليهم في هذا الوقت ينبغي أن يتوجه إلى الله ذكر في **هنالك تبلو**. . . **إلى يفترون** . هذا الفصل تم على ذلك.

الإعراض عن الله، والتوجه إلى الشركاء سيظهر للناس في استمرار حياتهم من فطرتهم أنه باطل إنما كان لغلبة الغواشي على الفطرة. فالإنسان يتفكر في صفات الله يتوجه إلى الله هذا.

الفصل الثالث من 31 إلى 34 هذا الذي ذكرنا أمس **قل من يرزقكم إلى**. . . **يفعلون** هذا الفصل التفكر في صفات الله 31 إلى 34 من صفات الله القرآن وكيف يمكن تبديله؟ تلك المسألة أشكلت على الفلاسفة كثيرا. المسلمون وغيرهم سواء. وفي حكمة الإمام توضيح تام لما هو المراد من تلك الكلمة. وفي السطعات[1](2) بيان مفيد على قدرة الضرورة، ومذكور في جميع كتبه في حجة الله البالغة. حاصلها بالإجمال أن الله لما قدر نوع الإنسان قدر لارتقائه نبذة من العلوم توافق فطرته هي مثل الغذاء للحيوان فكما ينزل غذاء الحيوان على الصور المختلفة بالمطر والنبات يكون فيه تحقيق لما قدره الله للحيوان من أسباب حياته، ويقال له رزق الله كذلك تنزل تلك الطائفة من العلوم في حظيرة القدس بصورة، وفي قلوب أنبيائه على صورة أخرى حتى يصل إلى أذهان كل الأقوام. هذا هو كلام الله فلايقدر رجل على تغييره؛لأن قدر الله لايغير بيانه في. . . في أوله لايمكن أن يفترى هذا القرآن يعني فلايمكن تبديله هذا 38 ثم تمنى التبديل إنما ينشأ من تكذيبه، والتكذيب راجع إلى عدم الإحاطة بمفهومه هذا 39، وعدم الإحاطة بعلمه مفصل إلى 43 وجزاء هذا التكذيب يلزم على الإنسان ذكر في 45 والأمر في ذلك لله، والنبي كالواسطة فقط فلقاء الجزاء في الدنيا ليس بلازم أن يقع في حياة النبي ذكر46 وتم على ذلك الفصل.

---

1 كتاب في فلسفة الكون.الباحث.

(2) لينظر:سطعات،الإمام ولي الله الدهلوي،تصحيح وتحشية:الشيخ غلام مصطفى القاسمي،سطعة :13،ص 21-22،ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.

وما كان هذا القرآن إلى لايبصرون. التكذيب إنما نشأ بعدم الإحاطة بعلمه لاينظرون، ولايسمعون، ولايؤمنون معناه لايتفكرون فالإنسان إذا أراد أنه مع كونه سميعا بصيرا ذا رأي وفكر لاينظر هذا الأمر، ولايسمع، ولايتفكر فيه فكيف يمكن أن يفهم فإن كذبه في تلك الحالة أليس يكون ظلما؟ هوظلم يجازى عليه، والإشارة إلى هذا **أن الله لايظلم**. . . **إلى مهتدين**. هذا الظلم يمكن أن يكون جزاؤه في الدنيا ولايلزم أن يكون في حياة النبي إذ هو ليس بمالك الأمر، والإشارة في 46 **وإما نرينك**.

(ح) الفصل من صفات الله العدل مذكور في 47 إلى 54 **ولكل أمة رسول**. . . **وإليه ترجعون** الفصل هل إذا تفكر الإنسان في صفات الله بمثل هذا ينتج في قلبه أن اتباعه واجب فيكون اتباع القرآن لازما آخر الفصول الثانوية للباب. **يأيها الناس**. . . هو إقامة الحكم لهم، وبرحمة هو تعليم الحكمة **قل بفضل الله**. . **قل أرأيتم ما أنزل الله**. . . أي لايشكرون فإذا كان أمر الله بين فيه الحلال والحرام، ولايمكن لهم أن يقوم لهم الحكم إلا باتباع ذلك الكتاب، فالإعراض عن حلاله وحرامه حرمان من الحكم والحكمة. **وماتكون في شأن**. . إلى كتاب مبين. تجازون على حسب ذلك **ألا إن أولياء الله**. . . الذين اتبعوا القرآن لهم البشرى 57 إلى 64 تتمة هذا الفصل. 65 إلى 70 أوليس له ولد حتى يقدر الرجل بالتعلق به أن يترك القرآن **ولايحزنك**. . ليس له ولد ولاشريك في 65 **ألا أن لله من** . . . **إلى يكفرون** تم هذا الباب الثانوي اتباع القرآن. وأصل الباب هو تصفية الذهن عن الجهالات من عدم الرجوع إلى الله، وعدم التقيد بدينه في الإجمال الذي في الأمس. **قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّه الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104)**. إشاعة هذا الأمر في الأمة هي مقصد الباب الأول ثم في الآيات بعده **وأن أقم وجهك**. . شرحه في الباب الثاني فأمر الدين الذي هو من واجبات النبوة يساوي معه ذهنية القوم هذا هو إقامة النظريات يعني العقائد والأخلاق ثم الباب الثاني إثبات النظريات بالتاريخ من قوله: **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ**

لِقَوْمِه يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّه فَعَلَى اللَّه تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّه وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوه فَنَجَّيْنَاه وَمَنْ مَعَه فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِه رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِه مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْه آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِه السِّحْرُ إِنَّ اللَّه سَيُبْطِلُه إِنَّ اللَّه لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّه الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه وَلَوْ كَرِه الْمُجْرِمُونَ (82) فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِه عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّه لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّه فَعَلَيْه تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّه تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيه أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَه زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُه بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَه الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّه لَا إِلَه إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِه بَنُو إِسْرَائِيلَ

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92). هذا الباب باب التاريخ تقسم إلى فصول.

1: ذكر نوح من 71 إلى 74. هذه الأرض المقدسة تاريخها الديني يبتدأ من نوح أما قبله آدم وإدريس فلم يتعين إلى الآن أنهم كانوا في الأرض المقدسة أرض النيل والفرات، والمذكور في كتب الإسلام إنما هو الأساطير، وليس في التعيين شئ ثابت لافي التوراة ولافي القرآن بل قد اشتهر أن آدم كان في الهند فنحن نظرا إلى تلك الأساطير قدرنا لعله كان كشمير[1]_الجنة التي أنشئت له على وجه الأرض_. ولما أخرج منها وقع في جنوب الهند في سرننيدنب، ولم يكن في ذلك الزمن منقطعا من الهند على صورة الجزيرة. وقد ثبت في بعض تواريخ الهند أن جنوب الهند كان مركزا للتمدن العالي إلى أيام والذين يأتون بكل ما جاء في القرآن، ويثبتونه في جزيرة العرب، وبلسان العرب كله خرافات دعايات باطلة بها قد أفسدوا الأفكارالدينية. كل ما يتفكر هؤلاء العرب بعد خروج الخلافة من أيديهم أوقبل الإسلام زمن الجاهلية ينسبوها إلى أصل الدين، وفطرة آدم واضحا لهم ذلك قبل أن إبراهيم لم يكن عربا، والإسلام إنما جاء العرب بواسطة قريش أولاد إبراهيم. ليس نشأة الإسلام من جزيرة العرب في معنى هذه الخرافات، ورجحها في التفاسير والأحاديث. عامة المساكين يأتون إلى الحج؛ليتعلموا الإسلام دين الفطرة، وينظروا إلى آيات أنه كيف خرج الإسلام، وحكمه على الأرض من الحجاز، فإذا رأى حالة الحجاز، ورأى عروج الإسلام يتيقن بأن ذلك ليس إلا من أمير ولاعامي. الأمراء يدعون دعايات فاسدة لقيام الأمارة فقط، وعامتهم يضلون العوام بالأراجيف والسخائف لجمع الفلوس فقط فكيف قيام المسلمين في مركزهم؟والأمر القوي في هذا البلاد هو قراءة بالتجويد، وقراءة الفقه على المذاهب الأربعة، وشئ من علم الحديث أو الزهد فهذا لايكون منه نصيب للعامة شئ وماكانوا يرجحون إلا بمناقب الحكومة، ودعاية الحج لجمع الفلوس للحكومة فقط فعلى هذا يكون حياة للإسلام والمسلمين. ألايستحيون من الله؟. في

---

(1) هي قطعة أرض متنازعة بين الهند وباكستان لامثيل له في الحسن والبهاء.الباحث

تاريخ نوح في 73 **فنجيناه ومن معه**. . في 74 **فماكانوا ليؤمنوا** مستفاد منه أنه لايمكن قلع الباطل من أصله إنما يجعل مغلوبا، وبعد غرق قوم نوح بقيت عقيدتهم الفاسدة على وجه الأرض.

2 -في موسى وهارون من 75 إلى 92 في 83 **فما آمن لموسى**. . يشير إلى أن توجه الدعوة الشبان والفتيان أولى. في 87 **اجعلوا بيوتكم قبلة**. يشير إلى أن تقوم الخلافة، والسلطنة لقوم إصلاح منازلهم مقدم فإن تدبير المنزل كالفرد، وتدبير المملكة مثل المركب، ووجود المركب يتوقف على وجود أجزائه فإصلاح تدبير المنزل واجب أولا.

جملة معترضة: سريان الفساد في اجتماعية المسلمين مقصور على أرباب الحكومة، والطبقات العالية فقط بل لتغلب الملوك في القرون الآخرة سرى الفساد إلى منازل المسلمين في البلاد والأمصار فبدون الانقلاب في منازل البلاد لايمكن إقامة السلطنة لأهل الإسلام سالما. هذا الانقلاب الذي ندعو إليه، وما قدرنا فهمه، والإحاطة بجوانبه إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية وإلا بعد رؤية انقلاب الروس. ونحن في بلادنا، وبكل قوتنا نجبر المسلمين، وبالتبع الهنود على إنشاء انقلاب في البلاد، وتنظيم بيوت الناس على مصالح يقتضيها ذلك العصر. وفي بلادنا لكانت القرى باقية على البساطة الطبيعية، ونستعين بهم في انقلاب الأمصار هذا الذي يخالفنا فيه أولا المتغلبون على الهند، وثانيا من هو ركن في حكومتهم من المسلمين، والهنود وثالثا المترسمون برسوم العلم والزهد البعيدون عن حقيقة الدين وفهمه هم يعارضون لحفظ صورة المسلمين في معاشهم، ونحن متوكلون على الله نحاربهم كلهم في ميدان واحد. والذي نعلم من قلوبنا لانريد بذلك إلاإقامة الحق دين القرآن. هذا من جهة عامة جماعتنا نترجم عنهم ولي خاصة نظر في هذا الانقلاب إقامة الدين على حسب حكمة الإمام ولي الله شارحا للكتاب والسنة، وشارحا للاجتماعية الإسلامية التاريخية نترك من حكمة ما يعارض حكم العصر، وهو أقل قليل، ونأخذ تحت أصول الحكمة عن جميع الحكماء كانوا في الزمن المتقدم أو في عصرنا بالتزامنا أصول حكمة الإمام يكون لنا جرأة في أخذ ما أ صح من التجارب عن غير المسلمين ذلك القدر لايجعل الكفر غالبا في تشريحنا للدين. تمت

باب النتائج التي تحصل لهذه الأمة بالانقلاب من قوله: **وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93) فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يقرءون الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (95) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97) فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100) قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103)** قد ذكرنا في ترجمة أول الآيات التبشير **أن لهم قدم صدق** عند ربهم فالنتيجة التي نأخذ من التاريخ تصدق ذلك تاريخ نوح تسلسل إلى موسى، ومن تاريخ موسى حصلت النتيجة التي ذكرت في 93 **ولقد بوأنا بني إسرائيل**. . فكما كان باجتهاد الأنبياء السابقين الذين أوحى الله إليهم أن بني إسرائيل تبوأ مبوأ صدق فلم يتعجب أن أوحي إلى رجل من العرب **أن لهم قدم صدق عند ربهم**. **ورزقناهم من الطيبت** يشير إلى أن المسلمين أيضا يحصل لهم مأكل، مشرب، ملبس، مسكن طيب معنى هذا: أن الانقلاب ينتج النفع الاقتصادي للانقلابية **فما اختلفوا** حتى يشير إلى أن ارتقاء التمدن يفضي إلى تحزب الأحزاب **إن ربك يقضي**. . معنى هذا: أن الاختلاف الذي يحدث بعد الانقلاب وتكميله لايمكن رفعه في الدنيا فالمسلمون لما يحصل لهم تقدم على الأقوام بالحق والاستحقاق؛لأنهم يسعون في إزالة الظلم عن الأقوام، وبعد ذلك يأتي فيهم الاختلاف، ولايرفع عنهم هذا يكون سبب ذهاب ملكهم.

تاريخ بني إسرائيل موجود أن بعد سليمان ورثه رجل مثل دابة الأرض[1]، فاختلفوا، وذهب الملك[2] هكذا يختلف العرب، ويخرج الملك من أيديهم إلى قوم من المسلمين لاحقوا بهم. في 94 **فإن كنت في شك**. . يعني من النتائج كما يكون في الانقلاب فوائد عظيمة، وتستمر إلى زمن يكون بعده اختلاف وارتجاع أيضا، والقرآن يدوم للإنسانية إلى آخر الدهور فيخرج الحكمة والحكم من أيدى العرب إلى العجم، وهذا هو الذي عبر عنه بالقيامة في أحاديث شككوا الناس في فهم المطالب الصحيحة، وأتوا بالأكاذيب والمكذوبات لبقاء حكمهم إلى يوم القيامة[3] فكان ذلك مقدرا للإسلام لاللعرب فأثبتوا ماوقتهم للإسلام بالخرافات فاسدوا العلم الصحيح فكل ما يأتي في كتب الأحاديث من باب أشراط الساعة لايقدررجل أن يفهم منه شيئا بالسهولة، والأمر بنظر الحكمة كان واضحا. العرب محكومون لضعف بهم مثلا 500 سنة تم ذلك الأمر؛لكنهم لايريدون أن يأتي في قلوب الناس أن الأمر خرج من أيدي العرب، وبقي للإسلام **لقد جاءك الحق**. . أن تطابق النتائج لايقع فالنبي صرح بأنكم تطيعون اليهود والنصارى، والمراد من الذين يتبعون هم العرب خاصة ثم بعد ذلك أيضا يكون؛[4]لكن ذلك ليس بداخل في النفس **ولاتكونن من الذين كذبوا**. يعني بالاستعجال هذا هو فكري، والقرينة على ذلك الإتيان بعدها 94 إلى 95 **إن الذين حقت** . . إلى العذاب الأليم يعني يقع قتال في قريش، ويقتلون **فلولاكانت قرية**. . . الإشارة أن قريشا

---

(1) إن كلمة دابة الأرض كانت تستعمل للإنسان في زمن نزول القرآن الكريم،وخصصت فيما بعد والمراد هنا في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾(سبا:14) أما مفهومه هو عدم أهلية ابنه والمراد من الموت إنهاء الحكومة،والمراد هنا في الآية: هو ابن سليمان عليه السلام والمنسأة يراد بها الحكومة.لينظر: تفسير سورة سبا، من أمالي الشيخ عبيد الله السندي،81.

(2) لما مات سليمان عليه السلام جلس ابنه على مسنده وكانت حكومته كبيرة، ثم ظلم على عامة الناس ظلما كثيرا حتى جاء الوفد إليه وعرض عريضة بأن تنتهي نفسك من الظلم على عامة الناس ثم شاور الملك _ ابن سليمان عليه السلام _بوزرائه أي وزراء أبيه ووزراء نفسه فشاوره وزراء أبيه بأن لاتظلم على عامة الناس ولكن وزراءه شاوروه بأن تظلم عليهم كثيرا كي لاتكون أقوياء ،فعمل الملك على مشورة وزراءه حتى خرج الناس عليه وانتهى الحكومة لأعماله السيئة.المرجع السابق نفسه:82.

(3) تكلمت عن هذا الاختلاف مبينا موقف الشيخ السندي في تفسير سورة الزخرف.الباحث.

(4) يدل عليه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله آليهود والنصارى؟ قال: «فمن»لينظر:صحيح مسلم,رقم الحديث:2669.

أيضا تنتفع بمثل قوم يونس ففي فتح مكة استفادة ذلك، وهذا الاستشهاد عندي راجع إلى قبول العذر من جانب الله لذلك القوم قوم يونس أيضا ماكان عائد حكم الله. هكذا عامة أهل مكة بعد من رياسة بدر واحد، وغير ذلك مابقي منهم إلارجال معذورون لامعاندون فانتفع بمثل قوم يونس **ولوشاء ربك** . . في قوله **أفأنت تكره**. . . إشارة إلى أن الإكراه إذا ثبت لايقبل الإيمان فأهل مكة ماكانوا مكرهين بل كانوا يريدون الإسلام؛لكن مع شئ من بقايا الاحترام، فالنبي جعل لهم الحرمة فأسلم الكل فالإيمان إنما يحصل بعد التفكير والأنبياء والكتب وواقعات التاريخ كلها تعين في التفكر أما من ترك التفكر فلاينفعه شئ. إليه الإشارة في 101 **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** لايريدون الإيمان، ولايتفكرون، ويتبين بعد ذلك معنى الآية 100 **ويجعل الرجس**. كل المصائب ترجع إلى الذين لايستعملون عقولهم، ووضح لهم بعد ذلك حكمة قوله **فانتظروا**. . . . يعني إذا أدرتم التفكير والتعقل وكنتم في حاجة إلى وقت فنعطيكم ذلك الوقت **ثم يجئ رسلنا والذين آمنوا** بعد مضي وقت الانتظار إذا قام الذين لايتفكرون منهم على عداوة الرسل والمؤمنين فالنجاة مكتوبة؛لأنهم ما تأخروا إلا لتبليغ الحكم إلى الناس، ورحمة بهم فكيف يغتالون الكفارمنهم، ويغلبون على المؤمنين ظهر من ذلك معنى قوله **كذلك حقا علينا**. . لأنهم تأخروا في الحرب أداء لما فرض عليهم فمتى هذا التوضيح يفهم المؤمنون من قريش:أن معاملاتهم مع الأقوام الآخرين في تبليغ الدين والقتال يكون على هذا المنهج فيفوزون؛لأنهم هم في أداء ما أوجب الله عليهم لايحصل لهم ضرر أبدا تحت باب النتائج على 103 تتمة باب النتائج :تلخيص تعليم النبي كيف علمه الله؟هو لايعلم الناس إلا بمثل ذلك فالذي تقدم من السورة ليس إلا تصفية أذهان العرب وأذهان قريش مع ما فرض الله على نبيه هذا ينتج ما حصل لقريش في زمن الفاروق الأعظم الذي أشير إليه بقوله لام ثم يجب عليهم أن يعملوا بمثل ذلك مع الأقوام الآخرين إلى نحو مائتي سنة التي يكون فيها القوة، فالحكم والعلم والحكمة محفوظ فيهم ثم يقع الانشقاق فيأتي قوم آخرون في الأميين أخذوا عنهم الدين فيقومون مقامهم، وهكذا إلى آخر ما أراد الله من إمضاء أمره وهو خير الحاكمين.

سورة هود

آلر مر شرحها.فالعرب زمن الفاروق وصلت إلى درجة عالية في الاجتماعية فجمع أقوام العالم حول هذا المركز في مدة مائتي سنة هو فرضهم الوقتي، فلأداء هذا الفرض حيثيات مختلفة مبحوث عنها في تلك السور الست. ففي سورة يونس كان توضيح الدعوة إلى ثلاث درجات 1: النبي ماعنده من التأثير بالدعوة القرآنية 2: ثم ما عنده من النبي 3 :ثم ما حصل بهذين، ويفيدون الأقوام برؤية تلك الآثار في العرب بتوجه الأقوام إلى هذا الدين مثل ماكان جرى على قوم موسى، وعرف الناس بذلك فضل بنى إسرائيل على العالمين مثل ذلك يرون على بني إسماعيل وأتباعهم من العرب، ومن انضم إليهم من الفرس والروم فكلهم انصبغوا بصبغة واحدة مثل بني إسرائيل. والفرق بينهما أن بني إسرائيل انحصروا في أنفسهم، وهؤلاء أشركوا معهم الإنسانية عموما. هذه خلاصة سورة يونس ثم سورة هود فيها تفصيل الدعوة القرآنية ثم إثباتها بتاريخ الأنبياء ببسط أزيد من سورة يونس ثم تنبيه في النتائج على مثل ما نبه داؤد قبل إعطاء الخلافة على ما فسرنا في قصة الخصمين بأن الحكومة لاتشتد في أخذ الأموال من أضعف أصناف الاجتماع مثل رعاة الشاة فإذا طغى عن ذلك الحاكم، وما أنصف في أخذه المال من الخلطاء العالمين لايبقى على منهاج النبوة بل يكون سبيله سبيل الفراعنة. في سورة (ص) أرشد الله داؤد قبل إيتاء الخلافة إلى التميز بين الدرجتين كذلك نبه في آخر سورة هود نبينا خاصة فإنه هو خليفة الله حقيقة. وقدم قبل ذلك تفصيل في مجازاة القيامة من الله، ودفع شبهة أن عملا قليلا في الحياة الدنيا يستوجب عذابا عظيما أليما في الآخرة إلى زمن غير متناه، وكذلك النعيم فكيف التناسب بين العمل والجزاء وهذا من أهم المسائل في مجازاة الآخرة. فسورة هود كأنها شرح سورة يونس. **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُه ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)**. هذا مثل المتن ومثل الشرح وهذا هو أحسن طريق في التعليم يلقن كل المسائل إجمالا ثم يفصل شرحا فمركز أحكام الآيات مذكور **إلى أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّه إِنَّنِي لَكُمْ مِنْه نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4)** وفي الثانية حصر العبادة لله، وكون النبي نذيرا وبشيرا فقط فيكون التبشير

راجعا إلى أعمال يعبدون بها ربهم وحده فإن تركوها فإنذار فلم يرجع التعليم إلى تحصيل ذوات أوقبائل وأقوام كما يزعم القائلون بالديانات بعد استمرارهم على التقيد أن ذلك راجع إلى قومهم خاصة، ويكون هذا كالتحريف للدين كمانرى عند المسلمين طوائف تزعم أن الإسلام دين العرب أي لذواتهم أو دين قريش أو دين أهل بيت النبي هؤلاء لهم مزية على الناس يعني لايلتزمون أحكام الدين مثل الناس، ويحصل لهم النجاة. هذا هو مبدأ التحريف في الأديان كلها فالقرآن يصرح دائما أن النبي نذير وبشير، وفي يونس كان **أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ**. **وفي هود إِنَّنِي لَكُمْ مِنْه نَذِيرٌ مبين**. فإذا ترك الرجل ما يلزمه لحصول البشارة لايكون له البشارة بالنجاة بل يلزم عليه الإنذار والنذارة يكون ترديدا لمبدأ التحريف قال بعض العارفين من شيوخنا في السند: أن الله أنذر ليخاف عباده فيغفر لهم وبشر ليرجو رحمته فيرحمهم[1]. والمقصود من الإنذار والتبشير ليس إلا المغفرة؛لكن بدون تحصيل الفرض للحكم بترتيب النتائج تحريف بعد ذلك في 3 الإنسان إذا التزم العمل على وفاق حكم فالطبيعة الإنسانية يقصر في مطابقة العمل للحكم تماما عامة فعلاجه هو الاستغفار من الله. ومعنى هذا العزم على إتمام هذا التقصير في المستقبل فيستحق أن يغفر الإنسان فالحكم على الرجل يكون باعتبار مجموعة أعماله من الابتداء إلى الانتهاء، فيكون فيه التيسير. هذا هو معنى الإنسان بالمرة فإن قصرنا في بعض الأعمال، وحصل لنا الإحسان في البعض أزيد من الواجب ينجبر القصور به هذا رحمة عظيمة في المؤاخذة ثم الإنسانية في تكاملها تمر بأدوار. الدور الأول: دور الأعمال الدور الثاني: دور الأخلاق الحاصلة من الأعمال الدور الثالث: دور التقرب إلى الله ونتائج الإحسان الحاصلة من الأخلاق، فكما كان إرجاع المؤاخذة من عمل عمل إلى مجموعة الأعمال نوعا من الرحمة والمغفرة. كذلك إرجاع مؤاخذة دور إلى دور آخر رحمة فوق رحمة فإن قصر في مجموع الأعمال؛لكنه أحسن تسهيل الأخلاق ثم إن قصر في الأخلاق؛لكنه أكمل في المقامات والأحوال فالمؤاخذة بحساب المجموع هو مجموع الأدوار، فالسؤال والمؤاخذة باعتبار المجموع من الأدوار هو توبة بعد الاستغفار يعني العبد يستلزم على نفسه أنه إن لم يأت في دور الأعمال بما كان يجب عليه فهو نادم على ذلك، ويريد جبره في دور

(1) لم أطلع على مصدر هذا القول.لعل الشيخ السندي سمعه أحدا من العارفين من خلال مجلسه.الباحث.

الأخلاق، فهذه هي التوبة إليه الإشارة في قوله: **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْه يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَه وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3)**. **يمتعكم متاعا إلى آخره**:يعني يسهل لكم أسباب التقرب إلى الله **ويؤت كل ذي فضل**. . من أكمل أعماله ثم أخلاقه ثم ثمراتها فهو ذو فضل فيؤتيه الله المراتب العالية، فالأول درجة النجاة والثاني درجة الكمال وكله موقوف على استمرار العمل، وإرادة التكميل **وإن تولوا**. . إن لم يستمروا في الأعمال للتكميل يبتلون بحالات لاتوافق فطرتهم ذلك هو العذاب فلما تركوا المضي لتكميل الفطرة يأتي في حكمة الله النتائج خلاف الفطرة، ولايقدرون على الصبرعليها، ويتألمون بذلك هو العذاب مثلا الإنسان ترك الاجتماعية الإنسانية، وصحب قردة مثلا في الغابة لايحصل له الطعام الذي يقتضيه الفطرة الإنسانية بل يمكن أن يحصل له ما يأكله القردة، والفطرة لاتتحمل ذلك فتتألم؛لكن هو نتيجة تركه اجتماعية الناس ليس في حكمة الله أن يأتي القرد بما لايقتضيه فطرته. من مقتضيات الفطرة الإنسانية يبتلى بعذاب الله إليه الإشارة في **إِلَى اللَّه مَرْجِعُكُمْ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4)**. هذا هو نتيجة الإحسان الاتصال بالله هو غاية كمال الإنسانية **وهو على كل شئ قدير** إما يترقى الإنسان إلى حظيرة القدس فيكون مرجعه إلى الله أو يتدلى الرب إلى منزلة في الجنة فيكون مرجعه إلى الله على كلتا الصورتين هو قادر,وإليه إشارة وهو على كل شئ قدير تم إجمال الآيات المحكمة ثم يأتي تفصيله **ثم فصلت من لدن حكيم**. . من قوله: **أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْه أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّه رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6) وَهوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُه عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُه أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ (8) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاها مِنْه إِنَّه لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاه نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْه لَيَقُولَنَّ ذَهبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّه لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**

(11) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِه صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْه كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَه مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّه وَأَنْ لَا إِلَه إِلَّا هوَ فَهلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهمْ أَعْمَالَهمْ فِيها وَهمْ فِيها لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيها وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه وَيَتْلُوه شَاهدٌ مِنْه وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِه وَمَنْ يَكْفُرْ بِه مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُه فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْه إِنَّه الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهمْ وَيَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه وَيَبْغُونَها عِوَجًا وَهمْ بِالْآخِرَةِ همْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهمْ مِنْ دُونِ اللَّه مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهمْ وَضَلَّ عَنْهمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهمْ فِي الْآخِرَةِ همُ الْأَخْسَرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ همْ فِيها خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24) ثم بعد ذلك التاريخ إثبات التفصيل من 25 إلى 102 ثم النتائج من 103 إلى 123 وتمت بعده السورة. التفصيل **ألا إنهم يثنون**. **ومامن دابة**. فالمسائل المذكورة هي التي تذكر مرة بعد أخرى، ونتكلم على البعض الميل إلى الله في قلب الإنسان موجود إليه الإشارة في **أَلَا إِنَّهمْ يَثْنُونَ صُدُورَهمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْه أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهمْ**. يأتي في قلوبهم خطرات أن يتوجهوا إلى الله فهم يدفنون تلك الخطرات تحت خطرات أخرى، ويلتفتون إلى أمور الدنيا، وما يشتهون فوجود الخاطر المتوجه إلى الله هو الحجة عليهم لايقدرون على نفيه فالإنسان إذا كان يأتي في خاطره يأتي في قلبه خاطر الجوع علمنا أن في خاطره طلب الطعام، فإذا جاء في قلبه خاطر طلب الرب فكيف نقول أن ليس في فطرته توجه إلى الله فإذا كان الرب يطعم كل دابة

لما يأتي في خاطرها أن طلب الرزق كذلك يوحي الله الرزق بعد الخاطر أيضا إليه الإشارة في قوله: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** على قدرما يحتاج يعطي كل رزقه. هذه الأرض فيها أسباب رزق الحيوانات فلايخلقها، ويدبرها إلا الرب يرزق فرزق الفطرة الإنسانية في انجذابها إلا الله الذي دبره الله، وإليه الإشارة في. **وَهوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُه عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**. فالتجلي على العرش إنما هو لتهيأة رزق الفطرة الإنسانية. **وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**. إشارة إلى جذب الإنسانية إلى التجلي. **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه وَيَتْلُوه شَاهِدٌ مِنْه وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِه وَمَنْ يَكْفُرْ بِه مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُه فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْه إِنَّه الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)**. الاتصال بالله يعني بأهله إلى حظيرة القدس هذا الرجل يكون على بينة من ربه هو يرى ربه أو كأنه يرى **ويتلوه**. . شاهد النبي يأمر بهذا الأمر بعينه **ومن قبله كتاب موسى** أيضايين ذلك **أولئك يؤمنون به** هذا هو درجة تكميل الإيمان بالله. النبي السابق كان يدعو إليه، ونبي عصره يدعو إليه أيضا، وفي قلبه جاذبية إليه هؤلاء يستقيمون في الإيمان فإذا كان في الإنسانية يوجد مثل هذا الصنف **فلاتك في مرية** منه إنه الحق من ربك. . ليس المراد أن كل الناس يؤمنون به **بل أكثر الناس** . . **ومن يكفر به**. . يعنى إصلاح كل فرد من الإنسانية إذا تجاوز من حدود الإنسانية الرد إلى الإنسانية فإن كان في قلبه مانع من ذلك، وإزالة المانع لاتمكن بدون الإحراق بالنار **فالنار موعده**. . . لرده إلى الإنسانية. الإنسانية ماهي؟ هؤلاء الأصناف الفاسدة تقول إن الإنسانية ما نحن عليه؛لكن ذلك ليس بصحيح. الإنسانية حقيقة إنسانية ذلك الصنف الذي ذكرناه أولا موسى أقام للإنسانية، وارتقائها نموذجا صالحا. وهذا النبي أيضا مثل ذلك، وذلك الصنف فطرته تقتضي ذلك يعني ما أقامه موسى ومحمد_ عليهما الصلوات والتسليمات _ فالذين يخالفون هذا الصنف هل هم أثبتوا للإنسانية مركزا مثل هؤلاء الأنبياء؟ ج: هل هم يردون الإنسانية إلى الوراء إلى الحيوانية،وإلى الظلم فالعذاب الأليم. الظلم معناه: أن هؤلاء المفسدين لايجوزون أن يعلمهم الناس مثل مصمم يعلمونهم يحكمون من أنفسهم أنه هو الظلم ثم يبتلون بأمر آخر لاتجدون لها دواء وشفاء هذا عذاب أليم فكيف

يحكم على تلك الإنسانية التي هم عليها أنها هو الأصل إليه الإشارة في قوله: **وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهمْ بِالْآخِرَةِ همْ كَافِرُونَ (19)** نشأة الإسلام لم تكن من جزيرة العرب. إبراهيم لم يكن عربيا. وقريش أولاد إبراهيم، فالدين أصله لم يكن من العرب. [1]

بقية من سورة هود(من ن ح)

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(24)هذان. . . [2]سواء فإذا كان الأعمى لايذهب مرضه، وكذا الأصم إلا بالإحراق يحرقون فليس في تعذيب الإنسان مقصد سوى إصلاحه يعني إصلاح تلك الجذبة المائلة إلى التجلي.

الباب الثاني في هذه السورة هو باب التاريخ، وفيه فصول: الفصل الأول في ذكر نوح من 25 إلى 49 في آخر آية منه: **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)**معنى هذه عندنا مثل ذلك يجري عليك في المستقبل ضعفهم بعد ذلك الإنسان أن النبي مثل نوح.

الفصل الثاني: في هود من 50 إلى 60

الفصل الثالث: في صالح من 61 إلى 68

الفصل الرابع: في إبراهيم ولوط من 69 إلى 83

الفصل خامس: في شعيب من 84 إلى 95

الفصل السادس: في موسى من 96 إلى 102 وتم على ذلك باب التاريخ.

(1) في ن إ : سورة هود ليست بكامل فبقية الحصة منها توجد في ن ح:لذا جعلتها في أصل المخطوط.الباحث
(2) لم أفهم الكلمة مع دقة النظر في العبارة.الباحث

قصص الأنبياء وتبصيرها عن تدبير إلهي ثم إتيان مثل ذلك أنه به في سيرة النبي هو تأويل الأحاديث، وتفصيله في كتاب تأويل الأحاديث للإمام ولي الله، وقد ذكرنا البعض فيما سبق.

نتكلم في الباب الثالث باب النتائج.

تذكر الجزاء في الآخرة مذكور في 103 إلى 109.

في 106 إلى 108 فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107) أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)الإنسان في تكميل حياته في الدنيا بالاستفادة من بعض كون السموت والأرض. وتلك الكون مسلسلة بتدبير وحداني يعني قطعة منها لايمكن إتيانها إلا بوجوه هذه السلسلة كلها فمن استفاد منها بقطعة هذا هو استفاد كلها، فإن كان استعمالها في فساده يكون جزاؤه للفساد، ومثل طول السموت والأرض لاأزيد ولاأنقص إليه إشارة في قوله: **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106)** غاية الخلود هي على قدر دوام السماء والأرض، وليس كل رجل يفسد جميع أموره بأن أفسد الفطرة الإنسانية بجميع أجزائها يكون خلوده في النار بقدر عمر السموت والأرض هذه.فإن كان لم يفسد الإنسانية كلها يكون خلوده في النار دون ذلك إليه إشارة في **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)** يعني يتمم ما يقضيه حكمته،فالإنسان المجرم إلى آخر الغاية لايزيد جرمه عن إفساد السموت والأرض كلها بقدر ذرة.هولايقدر قوة ذلك في إفساد شئ. فإن كان بلغ أقصى الغايات الفساد فعذابه لايزيد عن تلك المدة فإنها من مقتضيات قضية السموت والأرض.فالعقيدة التي زينها المتكلمون أن الإنسان يجب عليه أن يعتقد أن من دخل جهنم لايخرج منها أبدا،ويقررون هذه[1]في حق الكفار،ومن ينازعهم يكفرونه.هذا ليس من مقتضيات نصوص القرآن إنما هي فهم من بعض أهل العلم لايجب على الناس من تقلدهم.ويقول

1 يقررونها.الباحث

شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وأصحابه مثل إبن القيم[2] إنهم ذكروا من الصحابة والتابعين أن جهنم يخلو عن المعذبين أو أن جهنم تفني[3]، ونازعهم مثل ابن أبكم[1] وأبلغوا النزاع إلى الغاية والنهاية،

---

(1) سبق ترجمته

(2) سبق ترجمته

(3) خلاصة ما ذكره ابن القيم في المسألة:تعرض ابن القيم لمسألة دوام النار وأبديتها في كتابين له: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح من ص 254 إلى ص 280.وأيضا: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة التعليل من ص 252 إلى ص 264.وزبدة ما ذكره في كتابيه يتلخص فيما يلي:أولاً: ذكر في أبدية النار أو فنائها سبعة أقوال، أفاض القول في سابعها وهو: أن للنار أمدًا تنتهي إليه، ثم يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى. وقد أيد هذا القول بوجوه عديدة - على لسان أصحابه منها:أن الله تعالى أخبر في ثلاث آيات عن النار بما يدل على عدم أبديتها1:سورة النبأ: (لابثين فيها أحقابًا) (الآية: 23). فتقييد لبثهم فيها بالأحقاب يدل على مدة مقدرة يحصرها العدد، لأن ما لا نهاية له لا يقال فيه: هو باق أحقابًا، وقد فهم ذلك من الآية الصحابة - وهم أفهم الأمة لمعاني القرآن -.2: آية سورة الأنعام: (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) (الآية: 128).3:آية سورة هود: (خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) (الآية: 107).. وقال بعدها في الجنة وأهلها: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)(الآية: 108).ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها، لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحدًا. كيف؟ وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فإنه قال تعالى في أهل النار: (إن ربك فعال لما يريد) فعلمنا أنه تعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: (عطاء غير مجذوذ) فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبدًا - وسنذكر ما قاله الصحابة في الاستثناء.2: هذا القول منقول عن عدد من الصحابة والتابعين وجلة الأئمة:فمن الصحابة:عمر رضي الله عنه قال: "لو لبث أهل النار في النار عدد رمل " عالج " لكان لهم يوم يخرجون فيه."وابن مسعود رضي الله عنه قال: "ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا."وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه روي عنه نحوه،وأبو هريرة قال: "أما الذي أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ: (فأما الذين شقوا..) الآيتين.وأبو سعيد الخدري قال في آية: (إلا ما شاء ربك): "أتت على كل آية في القرآن، أي آية وعيد."وابن عباس - في رواية عنه - قال في الآية: (إلا ما شاء ربك): "استثنى الله قال: أمر الله النار أن تأكلهم."ومن التابعين وأئمة السلف:الشعبي قال: "جهنم أسرع الدارين عمرانا، وأسرعهما خرابًا."وأبو مجلز قال عن النار: "جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه."وإسحاق بن راهويه - وقد سئل عن آية هود - قال: "أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن."3: دل العقل والنقل والفطرة على أن الرب تعالى حكيم رحيم:والحكمة والرحمة تأبيان بقاء هذه النفوس في العذاب أبد الآباد، وقد دلت النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله وقدره من العذاب والعقوبات في الدنيا، إنما هو لتهذيب النفوس وتصفيتها من الشر الذي فيها، ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ، وقطع النفوس عن المعاودة - وغير ذلك من الحكم - وفي القرآن والسنة ما يدلنا على أن جنس الآلام إنما هو لمصلحة الإنسان (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) (التوبة: 120). الخ، (وليمحص الله الذين آمنوا)(آل عمران: 141).إلخ ورب الدنيا والآخرة واحد، وحكمته ورحمته موجودة في الدارين، بل رحمته في الآخرة أعظم، فقد ورد في الصحيح: أن رحمته في الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته في الآخرة، فإذا كان العذاب في هذه الدار رحمة بأهله ولطفا بهم ومصلحة لهم، فكيف في الدار التي تظهر فيها مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض.وليس لله غرض في العذاب كما قال تعالى: (ما يفعل بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) (النساء: 147). كما أنه لا يفعله سدى، وإذن فلا بد من حكمة ومصلحة تعود على عباده، وهي إما مصلحة أحبائه وأوليائه بتمام نعيمهم وبهجتهم بما يفعله في أعدائه وأعدائهم، وإما مصلحة الأشقياء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا. وعليه، فالتعذيب مقصود لغيره، قصد الوسائل لا قصد الغايات، والمقصود من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها. ونعيم أهل الجنة ليس متوقفًا في أصله ولا كماله على استمرار عذاب أهل النار ودوامه،ولو كان أهل الجنة أقسى خلق الله لرقوا لحال أعدائهم بعد طول العذاب.ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام واستمرار العذاب،وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.4: أخبر الله تعالى أن رحمته وسعت كل شئ:وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه كتب على نفسه الرحمة، فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب إلى غير غاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جدًا، والثابت أن رحمته لا بد أن تنتهي حيث ينتهي العلم كما قالت الملائكة: (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلمًا). (غافر: 7) وقد تسمى الله بالغفور الرحيم ولم يتسم بالمعذب ولا بالمعاقب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله: (نبئ عبادي أني أنا

ونحن لانوافق إبن أبكم، وبه نرجح طريقة ابن تيمية وأصحابه هذا الذي استفدناه من تلك الآية، ويوافقها الحكيم ولي الله، وكثير من العارفين فإصرار على نظرية المتكلمين ليس من الإسلام في شئ.

جملة معترضة : من اشتغل علينا في علوم الكتاب والسنة وحكمة الإمام ولي الله رجل من المحصلين للفلسفة الأوروباوية العصرية، وكان هو يجلس مع" سوسائين" فكانوا يكلفونه أنه يقرأ لهم القرآن يفسر. وهو كان يمتنع؛لأنه كان يخالف أن يأتي تعذيب الكفار في جهنم وخلودهم فيها إلى غير النهاية. فإذا ناقشوه لايقدر على إقناعهم، وهم يسيئون الظن.القرآن وتعليمه فلما قرأ في حجة الله

الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم) (الحجر: 49، 50). وغيرها من الآيات، فإنه يتمدح بالعفو والمغفرة والرحمة والحلم... إلخ ويتسمى بها، ولم يتمدح بأنه المعاقب ولا الغضبان ولا المنتقم إلا في الحديث الذي فيه تعديد الأسماء الحسنى ولم يثبت.5: يوضح هذا أن الله لم يخلق الإنسان عبثًا ولم يخلقه ليعذبه:وإنما خلقه ليرحمه ولكن اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له، فتعذيبه ليس هو الغاية، وإنما تعذيبه لحكمة ورحمة، والحكمة والرحمة تأبيان أن يتصل عذابه سرمدًا إلى غير نهاية، أما الرحمة فظاهر، وأما الحكمة فلأنه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها، ولم يخلق عليه من أصل الخلقة، لأن الله خلق عباده حنفاء، ولم يخلق له؛ لأنه لم يخلق للإشراك ولا للعذاب. بل خلق للعبادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب العذاب فاستحق العذاب، وذلك الموجب - وهو الكفر - لا دوام له فكيف يكون موجبه دائمًا؟6: أهل السنة على أنه يجوز تخلف الوعيد:بل إخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تعالى به، ويثني عليه به، لأنه حقه، والكريم لا يستوفي حقه فكيف بأكرم الأكرمين؟ واستشهد ابن القيم لذلك بآثار وأشعار. هذا في وعيد مطلق، فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله: (إن ربك فعال لما يريد)؟ ولهذا قالوا: أتت على كل وعيد في القرآن.ثانيًا: فند ابن القيم الأدلة التي استند إليها القائلون بدوام النار، وأهمها 1: الآيات التي دلت على خلود الكفار وتأبيدهم في النار، وقد قال: إن ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية، والخلود هو المكث الطويل كقولهم: قيد مخلد والتأبيد في كل شئ بحسبه، فقد يكون لمدة الحياة، ولمدة الدنيا. وقد ورد النص بالخلود على بعض الكبائر من الموحدين وقيد في بعضها بالتأبيد، كما في قاتل المؤمن عمدًا: (فجزاؤه جهنم خالدًا فيها) (النساء: 93). وكما في قاتل نفسه: "فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا." 2: الآيات التي دلت على عدم خروجهم منها: (وما هم بخارجين من النار) (البقرة 167). (وما هم منها بمخرجين) (الحجر: 48)، (لا يقضى عليهم فيموتوا) (فاطر: 36).إلى آخر تلك الآيات قال: فطائفة قالت: إن إطلاقها مقيد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة، فيكون من باب تخصيص العموم وكأن هذا قول من قال من السلف في آية هود: أتت على كل وعيد في القرآن.والذي صححه ابن القيم أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، فهم باقون فيها لا يخرجون منها ما دامت باقية، ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائمًا بدوامها، وبين أن تكون هي أبدية لا انقطاع لها، فلا تستحيل ولا تضمحل.3: الإجماع، قال ابن القيم: وإنما يظن الإجماع في المسألة من لم يعرف النزاع، وقد عرف النزاع فيها قديمًا وحديثًا، كيف وقد نقل عن الصحابة والتابعين التصريح بخلاف ما يدعون؟ثالثًا: بعد سرد هذا كله مال ابن القيم إلى التفويض في المسألة إلى مشيئة الله فلا جزم بفناء النار، كما لا جزم بدوامها. قال في شفاء العليل: وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين على؛ فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء، وعلى مذهب ابن عباس حيث يقول: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا. ذكره في تفسير قوله تعالى: (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: (إن ربك فعال لما يريد)، وعلى مذهب قتادة حيث يقول: (إلا ما شاء ربك): الله أعلم اثنياه: علام وقعت؟، وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول: أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.الباحث.

(1) لم أطلع على ترجمته.الباحث

البالغة بعض أطراف تلك المسألة، وفصلنا له أزيد منه انشرح صدره بأنه من الآن يمكن أن يدعون فلاسفة الغرب إلى الإسلام وأما قبل ذلك فلا ثم لما ذكرنا تلك المسألة من حجة الله البالغة مع بعض إخواننا في ديوبند المقلدين للمتكلمين فأنكروها. فلما ناقشناهم وأبطلنا فكر المتكلمين، وكادوا أن يكفروني؛لكن شيخنا كان موجودا فلإنكاره عليهم سكتوا عن الإظهار.

ورأينا بعض سنين لما اشتغل الشبان بحجة الله البالغة وقصروا وفسروا القرآن على وفاقنا رجعوا عن بعض أفكارهم وعن التشدد فيها. في ذلك الزمان ما كنا نعرف الانقلاب، وما قدرنا أن تقدم عليهم بسرة الآن نعرف جمع أهل الأرض إلى اتباع القرآن بالانقلاب. فمن صدنا عن هذا نقتلهم كائنا من كان. وأهل التشكيك هؤلاء في أحكام القرآن، والمقلدون لآراء أهل الكلام لفرقة خاصة إذا قاموا يمنعون عن الانقلاب، ونعرف منهم أنهم يمانعون لابد نقتلهم. وبدون ذلك لايمكن الدعوة إلى القرآن أبدا نعرف من جبنهم أنهم إذا رأوا أنهم يقتلون فإن أكثرهم يرجعون، ونحن اليوم تقرر عندنا إن قمنا بالانقلاب هذا نتركهم، وإن لم نقم بالانقلاب فلا نشوش جماعة أهل الإسلام بمثل ذلك الحقائق.

قوله:. **وأما الذين سعدوا**. ثم قوله : **إلا ما شاء**. . . . هو ليس للانتقاص من الجنة ليس في الإنسانية ارتجاع. به الاستثناء للحد كالإنسانية بحظيرة القدس غاية ما يمكن له به أن يبقى في الجنة هي بقدر طول السموت والأرض ثم يتوفى منها. ومن كان ذا فضل يكون ارتقاؤه قبل تمام ذلك إليه الإشارة في **إلا ما شاء**. . . . . . . هذا ارتقاء اللحوق بحظيرة القدس لاينتهي، وإليه إشارة في **قوله عطاء غير مجذوذ**. وبيان ذلك كله في كتب الإمام ولي الله مفصل. فيصير الإنسان مثل شعاع الشمس متصل بالتجلي، والتجلي هو وجه إله. إليه إشارة. **كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ**(1). عندنا في طريقة الإمام ولي الله برنامج مقرر لتفهيم تلك المسائل بالتدريج إذا سلكه الإنسان لايأتيه شك. أما إذا تكلم في بعض المسائل قبل استيفاء مقدماته فقد يفضي هذا عندنا. لايتم عندنا إلا

(1) الرحمن, الآية: 26

بتنظيم درجة التكميل لدرس الحكمة، وشيخنا قد كان شرع في تأسيس تلك الدرجة في ديوبند؛لكن باشتغالنا في الأمور السياسة خرجنا قبل إتمامه فما رأينا من أفكار الناقصين، وما رأينا من أخفاء الكاملين. كل ذلك لعدم درس المسألة على وجهها.

البرنامج: المسلمون يجب عليهم أن يؤسسوا دار الحكمة. فإذا تخرجت جماعة، ولو فئة قليلة مطمئنة بالأمر لخرج الفساد من العامة. من أراد البحث فيه ندله على سلوك الطريق وإلا فنأمره بعدم الخوض وإلا فمصيبة بين أهل الإسلام مثل ابن تيمية يكفره، وأصر من أهل العلم، ولم يخرج أهل الإسلام مثله من العلماء الماهرين بالكتاب والسنة فتكفير بعض أصحابنا أي لاقيمة له بالنسبة إلى تلك المسائل هذا من وجه. وعندي الآن وجه آخر : يجب بعد ذلك إقامة مثل دار الحكمة أشد وجوب وهو نحن ندعو حكماء الغرب إلى الإسلام فلانقدر على ذلك إلا بتنظيم دار الحكمة. أما هؤلاء الفقهاء المتكلمون فقد انهزموا ببطلان حكوماتهم. فمن اعتنى أن يكون للإسلام عروج وظهور يجب عليه أن يشرح الإسلام بأصول الحكمة شرحا يقبله جمهور الحكماء من أوروبا وإلا فبعد مائة سنة هذا الإسلام الذي هو عندنا اليوم لايقبل أولادنا؛لأنهم يصيرون مثل حكماء الغرب اليوم. وهذا الأمر لايقدر على منعه أحد: إن أولادنا تمشي خلف الغرب فمن ارتجى من فقيه أو متكلم أنه يقنع حكيما من حكماء الغرب هو لم يدرك شيئا من اشتمل عليه الغرب ونحن بحمد الله مطمئنون لو قدرنا على تدريس حكمة الإمام ولي الله على انتظام نحن نبتلع، ونطلب على

فلاسفة أوروبا كلها وإلا فلايخرج إلا مدعيا مثل غلام أحمد القادياني[1] أو مثل طنطاوي الجوهري[2] لايقدر لا هذا ولا ذاك على دعوة الغرب إلى الإسلام تمت.

نحن إذا نظمنا دار الحكمة فيكون في مركزها قطب الإمام ولي الله، وفي دائرة متصلة به كتب الصوفية العارفين من الحكماء مثل ابن العربي[3] والشيخ أحمد السرهندي[4] وكتب المحققين من المتكلمين الحكماء مثل الإمام الغزالي[5] وابن تيمية[6] ثم يكون في دائرة ثانية حوله فلسفة فلاسفة أوروبا الحديثية. وبعد تكميل المطالعة وحصول المهارة في المدارج الثلث يقتدر الرجل أن يفسر القرآن بالحكمة، ويقبله جمهور الحكماء من أوروبا فإذا قام الانقلابيون إلى تأييد هذه الحكمة ورد كل ما خالفها يظهر المصداق قوله تعالى: **هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا**[7] بهذه الطريقة يمكن وبدونها لانفهم شيئا قوله: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيه وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْه مُرِيبٍ (110)** يعني جاء الكتاب وقامت الخلافة من داؤد وسليمان ثم اختلفوا فذهبت. وقد شرحنا من قبل هذه 110 قوله : **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّه بِمَا تَعْمَلُونَ**

---

(1) أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني،(1255؟ - 1326 هـ = 1839 - 1908 م) يسمى مرزأ غلام أحمد بن غلام مرتضى ابن عطاء حمد، ويلقب بالمسيح الثاني: زعيم القاديانية ومؤسس نحلتهم.هندي له كتابات عربية. نسبته الى (قاديان) من قرى (بنجاب) ولد ودفن فيها. خدم الحكومة الانكليزية (أيام احتلالها للهند) مدة عمل بها كاتبا في المحكمة الابتدائية النكليزيد بمدينة سيالكوت. لما تم القرن الثالث عشر (الهجريّ) نعت نفسه بمجدّد المئة. ثم أعلن أنه (المهدي) وزاد فادعى أن الله أوحى اليه،وآمن به جمهور من الهنود، على انه نبي تابع للشريعة الإسلامية، وأنه أحمد المعنيّ بآية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ووضع كتبا بالعربية والأردية. منها، مما تغلب عليه العربية، حمامة البشرى الى أهل مكة وصلحاء أمّ القرى وترياق القلوب، حقيقة الوحي. لينظر: الأعلام للزركلي 1/ 256 -257.

(2) طنطاوي بن جوهري المصري(1287 - 1358 هــ = 1870 - 1940 م) ولد في قرية عوض الله حجازي، من قرى الشرقية بمصر، وتعلم في الأزهر مدة،ثم في المدرسة الحكومية.ألقى محاضرات في الجامعة المصرية،وناصر الحركة الوطنية،صنف كتبا أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم في 26 جزءا،نحا فيه منحى خاصا،ابتعد في أكثره عن معنى التفسير،وأعرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير،وتوفي بالقاهرة.لينظر: الأعلام للزركلي: 3/ 230 -231.

(3) سبق ترجمته

(4) سبق ترجمته

(5) سبق ترجمته

(6) سبق ترجمته

(7) الفتح: 28

بَصِيرٌ (**112**). هذا إشارة إلى قيام الخلافة على الدعوة القرآنية مثل قيام الخلافة على دعوة التوراة ثم قوله: **ولاتطغوا** . . . تنبيه على الاجتناب عن حكومة فرعونية فقد ذكر الله **اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّه طَغَى** (**24**) هذا التفريق مثل ما ذكرنا في صورة ص من التفريق، وتتمة ذلك قوله :ولاتطغوا **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّه مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** (**113**)فالخلافة، والحكومة القائمة على ما ذكرنا في سورة النحل: **إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** (**90**)أمر بإقامتها النبي هو المراد من قوله : **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (**112**) والحكومة الفرعونية منعوا عنها، ومنعوا عن الركون إلى أعضائها من الظالمين، والمخالفين في سورة النحل ليس فيه فرق بين المسلم والكافر. السلطان المسلم يجب عليه أن يقيم الدين بقوته وسلطنته وإن لم يفعل ما أمر يطرد عن سلطنته؛لأنه إذا قام يصلح مثل العجائز يغفر له طغيانه وظلمه كليا. فكل رواية جاءت لتأييد مثل هذا الفكر، وإن كانت في البخاري إلى داؤد معلولة. وفي قوله تعالى: **أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** (**114**)وقوله **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّه لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (**115**)عندنا إشارة أن تعليم القرآن الذي هو رفع إقامة الصلوة هو كفيل لإقامة تلك الخلاف أما إذا أعرضوا عن القرآن والتدبر فيه فلاينفعهم يختلفون، ويخرج من أيديهم الحكم.

قوله: **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيه وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** (**116**)يعني إذا كانوا هم نهوا عن الفساد في الأرض، وإقامة الحكومة الطاغية لما غلب الظالمون على الناس، وماكان الناس استوجبوا أن يهلكوا بالانقلاب، وإليه الإشارة في قوله: **وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهلُها مُصْلِحُونَ** (**117**) وما يريد الذين يتركون القيام بهذا الأمر، وكذلك لايريد المسلمون أن لم يقوموا بهذا الأمر. ألا يرون أن الاختلاف واقع لايمكن اتفاق جميع الناس على الحق فمنع الظالمين من الظلم هل يمكن شركة في زمن إذا كان هذا الأمر مستمرا فتوجههم في بعض أوقاتهم هل يمكن الإصلاح؟رد

أن بعض الأوقات وجود النبي في القدم فكما يجب في وقت النبي كذلك يجب بعده على ما يتبع النبي، وإليه الإشارة في قوله: **ومن تاب معك**. . فإضافة قوله : **ومن تاب معك** سواء كانوا من أهل عصرك أو كان بعدك ترشد العمل. نعم!لوكان اختلاف مرتفعا كان هذا الأمر أيضا يجب على الناس إليه الإشارة في قوله: **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)**. أنهم لايزالون مختلفين؛لأن ذلك ذاتي من خلقهم إليه الإشارة في قوله: **وَلِذَلِكَ خَلَقَهمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)** الأفراد المتكثرة هل يكونون بالاختلاف أو بالاتفاق؟تكثير الأفراد مبني على أن الله أراد أن يخلقهم مختلفين قوله: **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)** في هذه إشارة إلى الطائفة المتصدرة في الانقلاب حزب من أحزاب الله الغالب على جميع الأحزاب. هؤلاء مرحومون لايختلفون. إذا أراد الله أن يبقي حكمهم فإذا جاء وقت حكمهم يختلفون. قوله: **وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122)** الذين لايقبلون القرآن بأن يفتح ذلك فيعلموا على . . . .[1]لكننا نحن نعم بالقرآن، وسترون إليه الإشارة في قوله: **وَلِلَّه غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْه يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّه فَاعْبُدْه وَتَوَكَّلْ عَلَيْه وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)** نتيجة القرآن تكون الخلافة إليه وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. تمت السورة ولله الحمد.

الفرق بين الحكمة على طريقة الأنبياء، وبين الحكمة على طريقة حكماء اليونان : الإشراقية والمشائية عندنا محفوظ تحت أصول. الأنبياء يقررون قاعدة على منهاج، وتلك القاعدة عند الحكماء مع فقد بعض الشروط، وعندنا لذلك أمثلة معينة لامثل المتكلمين يريدون التشويق والتشكيك فقط. فاتباع النبوة واجب على الحلماء؛لكن بعد التبليغ ولم يثبت عندنا أنهم حق فأنكروا، وكثير من المسائل مشتركة بين الحلمتين فنصدقهم. وبعض المسائل يتوجه إليه الحكماء اليونانيون ولايلتفت إليها الأنبياء رأسا فنعرف حكمة حذف الأنبياء من مناهجهم. (تمت مسألة واحدة)

(1) هنا كلام محذوف في أصل المخطوط(ن إ).الباحث

المسألة الثانية أن الفرق بين حكماء الهند واليونان :حكماء الهند أخذوا من حكماء اليونان :بودا نبي أو كليم، ودعوته بلغت أطراف الأرض، وكان هو قبل المسيح وقبل إسكندر[1]. هو يتبع حكماء الهند الذين مضوا قبلهم، وتلك الكتب التي قبل بودا موجودة اليوم في الهند، وحكمة منظمة على طريقة دعاة الدين. وحكمة اليونان على طريقة لادين له؛لكن الفرق أن المسلمين هم أصيدوا حكمة اليونان، ولم يصلوا إلى حكمة الهند في ابتداء توجههم إلى الحكمة ثم توغلوا في اتباع اليونان. وإنما توجد إلى حكمة الهند رجال بعد الألف الثاني غاية يغتر به من يتكلم بالعربية. هذا كتاب أبي ريحان البيروني[2] هو يعرف الرياضيات، وعدم حكماء الهند فيها أيضا ولايعرف شيئا من الاجتماعيات ولا الإلهية حتى يصير حكما على حكماء الهند، وكان لايعرف لغة الهند، ولاكان يعرف حكمة الدينية أيضا.رجل شيعي فلايقدر على جميع أديان العالم تحت الحكمة، ولايؤتى أهل الهند حقهم، وكان يتعصب على طريقه. المسلمون يفتخرون بكتب ابن العربي[3] في مسألة وحدة الوجود[4] مثلا : هذا رجل كبير عالم بالكتاب والسنة ومسألة التوحيد أما إذا جردنا أفكاره في التوحيد خالصا، وقسناها بكتب أهل الهند الموجودة اليوم يظهر الفرق مثل السماء والأرض.

---

(1) هو الأسكندر المقدونى ابن فيليبس وُلد في مدينة "بيلا" قرابة سنة 356 ق.م، وتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعه السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التي عرفها العالم القديم ،كان من أشهر القادة العسكريين والفاتحين توفي الإسكندر في مدينة بابل سنة 323 ق.م انظر http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1 حملت هذه المعلومات من موقع الأنترنيت 8 من فبراير 2019م.

(2) محمد بن أحمد،(262 - 440 هـ = 973 - 1047 م) أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم.أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. له مصنفات قيمة :منها " الآثار الباقية عن القرون الخالية ,الجماهر في معرفة الجواهر , و تاريخ الأمم الشرقية و القانون المسعودي. تاريخ الهند. لينظر: الأعلام للزركلي 6/ 314-315

(3) سبق ترجمته.

(4)إن مسألة الوجود من أعظم مسائل الفلسفة والتي ما زالت موضوع الكلام عند الفلاسفة منذ التاريخ اليوناني القديم، وأما الشيخ الشاه ولي الله فقال في هذه الصدد: لما ننظر إلى الموجودات نرى فيها حيثيتين: الاشتراك والامتياز، يعني أن الموجودات يشترك بعضها بعضا في الأوصاف المختلفة، مثلا إن أفراد الإنسان يشتركون في الإنسانية، وبعد ذلك يتميزون فيما بينهم في الميزات، وكذلك إن الأمر المشترك في الأجسام الحية أنها حية، ونفس الأمر في الموجودات كافة فإنها تشترك في الوجود، والوجود هي الصفة المشتركة في الممكن والواجب، والمراد من الوجود كون الشيء

سورة المطففين

التجارلهم ذهنية مخصوصة. وفي هذه السورة يبين[1]أحوال القيامة على ذهنيتهم. قوله:" **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**[2] (**1**) **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** (**2**) **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** (**3**) **أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ** (**4**) **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** (**5**) **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" (**6**). التاجر يكون في القرية فيكون له علم بحاجة في الاتصال إلى المدينة. وهذه المدن إنما نظمها التجار ثم انتقلت تلك القوة إلى الحكام، فهم إذا كانوا في مدينة يحتاجون إلى العلم بالتعلق بالمدن الأخرى. فالارتقاء الاجتماعي حقيقة هو من طبيعة التجار ثم إذا كان لهم تعلق بالمدن يحتاجون ويحسون الاحتياج إلى العالم كله هم يعرفون بطبيعتهم أن قيمة الأشياء التي تقرر في القرى يراعى في ذلك النظام قيمة الأشياء في المدن. وهكذا بالارتقاء مراعاة النظام الأعلى واجب في مراعاة النظام الأدنى؛لأن التجارة إنما تكون بأيدي أرباب أموال كثيرة. هم يقتدرون بالتصرف في تقويم الأشياء،

موجودًا وهذا الوجود يحوي الأشياء كلها، وما كان خارجًا من إحاطة الوجود يكون معدومًا، فالأشياء بدون الوجود أمور اعتبارية محضة، ومن ثم قال بعض الصوفية إن الله عبارة عن الموجودات، يعني أنه أظهر نفسه في الموجودات وهؤلاء الصوفية يسمون بالوجودية العينية. والنسبة بهذا الواحد كنسبة الوحدة مع باقي الأعداد، مثلا الواحد يكون قبل الاثنين ويكون داخلا في جميع الأعداد حتى يبقى في النهاية هو وحده. وهناك طائفة أخرى من الصوفية يقال لها الورائية والذين يعتقدون أن الوجود الذي يشترك في جميع الموجودات، هو الذي يضمن بقاؤها وقيامها، وهو في ذاته عكس الوجود الأعلى، فالمراد من الورائية أنهم يعدون ذات الإله ما وراء الكون. إن فلسفة ابن عربي امتزاج لهاتين الفلسفتين، فإنه تارة يقول عن الموجودات بأنها عين الذات وتارة يعدون ذات الإله وراء الكون. يقول الشيخ الشاه ولي الله إن الحقيقة في حد ذاتها أمر واحد ولكن ظهورها يكون في صورتين: لما تتجلى في الزي الأصيل لوجودها نقول لها الجوهر، ولما تتجلى في صورة لباس الوجود الآخر فإننا نقول إنه عرض. فالحاصل أن الإنسان وصل بعد تفكر طويل إلى نتيجة أن النفس الكلية هي منبع جميع الموجودات وجميع الأشياء تنبثق منها وتنتشر، وعند الشاه ولي الله قد صدرت هذه النفس الكلية من ذات الإله بطريق الإبداع، يعني أن النسبة بين النفس الكلية وبين الذات الإلهي هي نسبة الإبداع وليست نسبة الخلق، ومعنى الإبداع إيجاد شيء من العدم، وبألفاظ أخرى تخليق شيء بدون المادة. والظاهر أن ذات الحق بعيد عن هذا العالم. فما هو طريق الإبداع؟ يقول الشاه ولي الله إن النسبة التي تتحقق بين المبدِع والمبدَع بمنأى عن الفهم بتمثيل شيء من العالم المادي، والتحقيق أن المراد من الإبداع نسبة معلوم حقيقتها مجهول كيفيتها والعقل يعجز عن إدراكها. وخلاصة الكلام السابق أنه توجد وحدة بين ذات البارئ والنفس الكلية (أي المبدِع والمبدَع) ولكن ليست هذه الوحدة وحدة حقيقية، وإن العقل الإنساني يمكن وصوله إلى النفس الكلية (الوجود المنبسط) ولكنه عاجز عن ما وراء ذلك، وإنه عاجز عن إدراك النسبة التي توجد بين النفس الكلية وذات الحق، والتي تعبر عن الإبداع، ولاهو قادر على إقامة التمييز بينهما، فنتيجة ذلك أن المبدِع والمبدَع يعدان تارةً بمثابة شيء واحد. لينظر: ، **شاه ولی الله کی تعلیم**، غلام حسين جلباني لاہور:، سندھ ساگر اکیڈمی، 2017ء.

(1) في ن م : فيها

(2) يقول الشيخ ابن كثير في تفسيره قوله:عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى: ويل للمطففين فحسنوا الكيل بعد ذلك لينظر:تفسير القرآن العظيم ,الإمام ابن كثير الدمشقي,343/8.

والباقي كلهم وكلاء لهم سماسرة[1]، وهم يعرفون أن المعاملة التي يعملونها مع الناس لايكون مثل ذلك المعاملة مع التجار. في الطبقة العالية أصحاب الأموال والأملاك الكبيرة. [2] المعاملة مع عامة الناس يمكن فيها الغش والغلول. ولا يكون مثل ذلك مع قيم التجارات. هنا يكون كل معاملة بالصدق. تلك الأشياء كلها مقررة في التجار في جميع أقطار الأرض.

الفساد في التجارة واستعمال مكرهم وعقلهم بمقابلة أناس لايعرفون معاملة التجارة يكون على أنحاء مختلفة منها التطفيف. وهذا معروف عندهم أنه جرم. ونفعه يكون قليلا وإلى زمان فقط ثم يفتضحون. هذا أيضا معروفا عندهم. وهذا النقصان إذا ظهر فيهم وظهرت خسارتهم في أعمالهم الباطلة يكون عندهم تعيين بأن هذا جزاء أعمالهم، فالاعتقاد بالمجازاة كما هو موجود في صنف التجار لعله لايكون في صنف آخر مثله. عندهم كل يوم تجارة كثيرة. فالطبقة الأدنى التي لم تتكامل في علم التجارة وأصولها المقررة إذا ألزمناهم كما تقررعند كبرائهم وعقلائهم ينتظم تفسير تلك السورة. وهذا الوحي كأنه إظهار لما في أسرار قلوبهم وبطائن عقولهم. قوله: **ويل للمطففين** تفسيره موجود في[3] قوله: **إذا اكتالوا . . . . إلى يخسرون**. وصورة العمل عندهم على نوعين: المكيال والميزان يكونان مختلفين يستعملون أحدهما في الأخذ، والآخر في الإعطاء. [4] وصورة القسمين واحدة فلا يفهمه المحاول. والآخر يكون عندهم خفة إليه الميزان والمكيال واحد بعينه؛لكن في الاستعمال مهارة[5]. فهذا التطفيف بكلتى الصورتين جرم عند التجار الكاملين. فإذا أثبت الله لهم الويل فكأنه صرح بما هو مقرر عندهم. وبمثل هذا يتفرق مطالعة القرآن على طرز[6] الحكماء،

---

(1) سمسر: السمسار، بالكسر: المتوسط بين البائع والمشتري لإمضاء البيع، قال الأعشى:فأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع سمسارها وهو الذي يسميه الناس الدلال؛ فإنه يدل المشتري على السلع، ويدل البائع على الأثمان، جمعه: سماسرة لينظر: تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـــ)86/12,المحقق: مجموعة من المحققين, الناشر: دار الهداية.

(2) في ن م : هذه العبارة" مع التجار في الطبقة العالية أصحاب الأموال والأملاك الكبيرة." لاتوجد فيها.
(3) في ن : نفس الآية.
(4) في ن م: العطاء.
(5) كما لايخفى هذا.الباحث
(6) كلمة منهج أو طريق أحسن بدل كلمة طرز؛لأنه تستخدم باللغة الأردية.الباحث

ومطالعة القرآن على طرز الفقهاء، فعند الفقهاء أثبت سيئا لم يكن ثابتا وجازاهم بقبيح أعمالهم. وعند الحكماء هذه المجازاة على وفق ما كان يقتضيها عقولهم. هذا الذي هو مشهور أن الاسلام دين الفطرة إنما يصح على تفسير الحكماء. قوله:"**ألا يظن اؤلئك** . . . . " يعني يظنون لمقتضى صنعتهم :**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**. التجار يحتاجون إلى حكام بدون الحكومة لايمكن حفظ تجارتهم. فإذا وصلوا بقوة حسابهم أن الناس اجتماعهم في التجارة لازم، فالحاكم عليهم في هذا الاجتماع لا يكون إلا رب العالمين فهم إذا توجهوا إلى ما هو مختلف في ذهنيتهم يتبين لهم ذلك.

تنبيه: ينبغي أن يرى هذه المقدمة التي نذكرها في كل موضع من أمثال هذا المقام. الإنسان إنما يتفكر فيما يأتى على وجه الأرض هذا. [1] أما لانتقال إلى دار آخر فليس هذا من طبيعة البشرعلى الفطرة؛لكن بعض الأمور يتفكر بعض الإنسان أن وجوده واجب أن يكون على الأرض ثم لا يجد الأرض بطبيعته صالحا لذلك، فينقل باللطافة ذهنه إلى أرض صالح لذلك وهو يجوزأن يكون على الأرض مثل هذه الأرض محقق في عالم الوجود، وإن لم يصل إليه نظره إلى الآن. واستكشاف قطعات من الأرض كل يوم في كل زمان يؤيد هذه الفكرة ثم ينبغي أن يحفظ إنما فتشت عالم المثال متشابها في الصورة لهذا العالم فانتقل ذهن الإنسان إلى أرض كهذا صالح لجمع جميع الناس، فهذه الأرض لا تكون إلا أرض المثال؛لكنه لايفرقها بإسم آخر. فالفطرة الإنسانية تهتدي من هذا الطريق إلى إحساس حاجته في تكميل فطرة الإنسانية إلى أرض المثال. فهذا انتقال من دار الدنيا إلى دار الآخرة بدون شعور. فالكتب الإلهية في تعلقها تعتمد على الشعور الفطري لا الاصطلاحي المكتسب بالبرهان فنحب أن يحفظ تلك القاعدة في تفسير[2] مثل هذه الآيات. فظن التجار لازم أن يبعث الناس كلهم فى موضع مخصوص. ففي الظاهر لايجدون على هذه الأرض موضعا. فبهذا السبب لاتبطل عندهم اقتضاء هذا الاجتماع من الفطرة الإنسانية فيجبر عقولهم، و يهديهم إلى وجود أرض مثل ذلك. فهذا انتقال بالصرفة لفهم الدار الآخرة مثل الولد[3] من أمه بالصرفة فيسير

(1) في ن م : هذه
(2) في ن م : تنبيه
(3) في ن م : يتولد

مجبورا لانتقال فكره من الحالة الأولى إلى الثانية. فتلك الفطرة التي تحصل للطفل تكون أساسا لتكميل حياة الدنيا. هكذا ينبغي أن يقرر أن الإنسان الذكي إذا حصل لعقله أوصاحب الكشف إذا انكشف عليه شئ من دار الآخرة بالصرفة هذا الأساس الفطرى لتكميل الإيمان بدار الآخرة مرعي في تعليم الكتب الإلهية كلها. تم التنبيه.

حساب التجار إذا حاسبه الحكام الذين لهم تعلق بعطاء رأس المال ينقسم إلى قسمين:1 قسم حسابهم خالد يؤاخذ بأنواع من المؤاخذة. 2:قسم حسابهم صحيح فيتنعمون بحصول الأرباح والمنافع. على قياسهم يبين أحوال يوم القيامة . "**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**"7 يكون لهم محل حسابهم موضع تحت الإنسانية فهذا الكتاب يعني محل احتسابات قيل لها "كتاب مرقوم"؛ لأن تلك الجواهرإذا نظر إليها الإنسان من بعيد لا تظهر إلا في صورة إعراض. "**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**" ثم ذكر حالاتهم التي صارت سببا للتكذيب ثم ذكر جزاء التكذيب، ونبهوا أن هذا ليس إلا صورة من صورأعمالهم. "**بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**"هذا بيان سبب تكذيبهم المستمر ثم قوله: **المحجوبون**: بيان مجازاتهم. نقصان الأول الذي يحصل لهم ألا يتشرفون بحضورهم عند الرب؟. ولصاحب العزة الرجال الكبارهذا يكفي في توبيخهم **ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ 16**يعني يحبسون في السجون. **ثُمَّ يُقَالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ** 17 تنبيه على أن الجزاء ليس إلا صورة طبيعية لأعمالهم ثم هذا على أصول الحكماء. **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ** 18 بيان للطرف الأعلى الذين حسابهم صحيح كلهم يرفعون إلى محل احتسابهم يقال له "علييون" هو محل واسع مدارج مختلفة؛لكنها يظهر من بعيد كأنه كتاب مرقوم كأنه أرض هناك يكون للناس درجتان. الأبرار وفوقهم المقربون يعني:السابقون. فالمقربون[1] قوتهم الضميرية. مَحْجُوبُونَ أي حرمان عن رؤية المحبوب الحقيقي. **لَصَالُو الْجَحِيمِ** جزاء ثان كما يلقى الحديد في النار يشربون لإزالة رهنه كذلك يلقون في النار لإحراق رهنهم يشربون من تسنيم. ويكون للابرار مزاجه نقطة فيه إشارة إلى أن الابرار يرتقون

(1) في ن م: يشربون من تسنيم،ويكون للأبرار مزاجه نقطة فيه إشارة إلى أن الأبرار يرتقون بالتدريج إلى مرتبة المقربين.

بالتدريج إلى مرتبة المقربين. هذا الفرق بين الطائفتين في التنعيم. والتعذيب أيضا صورة من الصور لأعمالهم الاجتماعية في دار الدنيا. فالمجرمون[1] كانوا يضحكون من المؤمنين، وكانوا في فرح واستبشار. فقلب هذه الحالة في هذا اليوم لازم. فالمؤمنون يكونون مستبشرين على الأرائك ينظرون، والكفار يكونون في جهنم فإذا نظروا إليهم من فوقهم هم أيضا يضحكون من الكفار، فليس هذه السورة الخاصة إلا مجازاة لما كان أمر الكفار في الدنيا؛لذلك قيل **هلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** 36ليس هذا إلا صورة طبيعية لما عليه الكفارمع المؤمنين. فالذين يثبت عليهم من التجارالإفلاس يسلب منهم كل النعم هنا، ويرد إلى الذين أفلسوهم أولا. في بلادنا في هذه الأيام الأخيرة أملثته كثيرة لرجال من أهل الثروة الحشرية ساروا مفلسين فسلب الحكومة أموالهم وأعطاها لأصحاب الديون الذين أفلسوهم، وهؤلاء التجار الكبار صاروا محتاجين إلى أدنى درجة الاحتياج. فمثل التجارة إذا عمل فيها خلاف الديانة والأمانة يجعل الراحة معكوسة على صاحبها. فإذا كانت حالات جميع الناس على تلك القاعدة فالتاجر لايقدر أن ينكرها. تمت السورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانشقاق

الحكماء الطبيبون عندهم قاعدة: كل شئ زال عن حيزه لازم أن يرجع إلى حيزه. وفناء بعض أجزاء المادة كما يرى في بعض الأوقات ظاهر ليس بصحيح. إنما هو تبديل صورة بصورة. فالمواد تبديل صورها لاشك فيها. أما فناء جزء منها فهذا عندهم غير صحيح ثم رجوع تلك المادة إلى حيزها أيضا لازم عندهم. انفكاك شئ عن حيزه بدون قاسر لايمكن عندهم. فإذا زالت القواسر ترجع المادة إلى أصلها، والمواد والصورعندهم فيها اختلاف؛لكن التطابق بينهما أيضا لازم. فإذا كان شئ مركبا من مادة وصورة فانفكاك الصورة عن المادة ورجوع الصورة إلى منبع الصور, ورجوع المادة إلى

(1) في ن م : فالذين أجرموا

معدن المواد واجب طبيعي لجميع الكائنات[1]. هذا عند المحققين القدماء الأئمة منهم. أما المتاخرون فكثير تغافلوا عن تلك المسائل. حكمتهم في الأصل ما كانت معارضة لتعليم الانبياء. الانبياء لايبحثون إلا عن الحالة الاجتماعية لنوع البشر فقط. أما المسائل الطبيعية فلايريدون استقصاءها إلا بقدر ما يحتاج إليه الاجتماعية بفطرتها. فالمتجردون[2] لتكميل الطبيعة ما كان عندهم شئ يخالف طريق الأنبياء؛لكن حدثت انقلابات سياسية فغلبت في ذيلها جماعة ليس لهم نسبة إلى الحكمة، ولا إلى علوم الأنبياء. هم كانوا فقراء أقوياء مظلومين، والظالمون لهم أصحاب الأموال ضعفاء حمقاء فغلب عليهم المظلومون. ففي تلك الانقلاب بطل كثير من علوم الحكمة، ودخل فيها مالم يكن عند أئمتها على هذا الطريق بطلت حكمة الإشراقيين إلا لاهية على أصولها. والحكمة الطبيعية على أصولها لاتعارض تعليم الأنبياء أبدا بل هؤلاء الحكماء يخدمون ذلك التعليم. أما في الانقلابات السياسية الاقتصادية دخل غير الحكماء في الحكماء فأفسدوا العلوم، وظن أتباع العلوم أن تلك العلوم في أصلها مناقضة لتعليم الأنبياء، فاشتد الخلاف، والنزاع في الطرائف، واختفى الحق. وحكمة الإمام ولى الله من خواصها اللازمة إزالة تلك الشكوك والأوهام وتنظيم تعليم سهل محقق على الايتلاف والاتفاق، [3]و يسميه الإمام بالتطبيق. ولهم لأتباع الإمام ولى الله في تكميل فن التطبيق مبادئ حسنة يعترف بعد النظر إليها العارفون بأنه كم ترك الأول للآخر؟وسورة الانشقاق عندنا منتظمة على ذهنية الطبيعيين الحكماء. فالسماء فيها صورة خاصة، ولها مادة مخصوصة اجتماعها لقسر قاسر، وحكمة موقتة. فإذا انتهى الأجل لازم أن يرجع صورة السماء إلى منبع الصورة، والمادة إلى معدن المواد. هذا هو الانشقاق. وهكذا يكون التأثير في الأرض. وهذا معنى قوله : **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ** 4 ثم من اقتضاء حكمة طبيعية أن المواد، والصور لا تكون معطلة عن العمل يأتي فيها التغيير والتظاهر بصور أخرى تحت المصلحة التي اقتضاها حكمة الله. هذا معنى قوله : **وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5)** في كليهما أي السماء والأرض يعني أنهما متحيرتان لما يريد

(1) الكون.الباحث
(2) في ن م: فالمتجسرون
(3) في ن م: الاختلاف والإتقان بدل الايتلاف والاتفاق.

الله تعالى منهما بايتمار. تم هذه المقدمة. التشبيه تأسيس الأصل ثم نرجع إلى الانسان. ففي حكمة الشيخ ولي الله: الإنسان مركب من أربعة أركان متطابقة بعضها فوق بعض. البدن، النسمة، النفس الناطقة، الروح الملكوتي. وفي قلب الروح الملكوتي نقطة فيها المرآتية فيكون التجلي الإلهي القائم على العرش تتجلى في تلك النقطة. [1]هذا في كل إنسان صغير وكبير وجاهل وعالم . الفرق في عوارض البعض يكون فيه نقطة جلية، والبعض يكون فيه خفية. وعلى طريق الحكمة الطبيعية رجوع هذه النقطة إلى التجلي القائم على العرش منبعه وحيزه لازم. وحكمة الإمام ولي الله في شرح الحكمة الاجتماعية الإنسانية كلها ترجع إلى استيفاء نقطة حقوقها. قال في حجة الله البالغة: اعلم أن في روح الانسان لطيفة نورانية تميل بطبعها إلى الله عزوجل ميل الحديد إلى المقناطيس. وهذا أمر مدون بالوجدان. فكل من أمعن في الخوض عن لطائف نفسه وعرف كل لطيفة بخيالها لابد أن يدون هذه اللطيفة الوجدانية, ويدور ميلها بطبعها إلى الله عزوجل, وسمي ذلك الميل عند أهل الوجدان بالمحبة الذاتية مثله كمثل سائر الوجدانيات لايقتضي بالبراهين كجوع هذا الجائع, وعطش هذا العطشان ثم بعض كلمات يكون كالميل إلى صقع الجبروت في الحقيقة حق هذه اللطيفة النوارانية لتجذبه إلى آخره. باب الإيمان بأن العبادة حق الله. [2] :**يَا أَيُّها الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه (6)** يعني تذهب بطبيعتك تنجذب إليه. فإن كان لطائفة موافقة لذلك المزاج يكون ممن ذكره الله بقوله: **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَه بِيَمِينِه (7)** ومن كانت حالات لطائفه معارضة لتلك النقطة فيظهر في لطائفه تعارض بتلك النقطة التي تنجذب إلى العرش وحظيرة القدس. أما لطائفه الأخرى فمثقلة لاتتركها فتنجذب بحكم الغالب على خلاف مقتضى الطبيعي إلى أسفلي. هذا هو الذي ذكره بقوله: **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَه وَرَاءَ ظَهرِه (10)**لأن وجهه منصرف إلى أسفل بسبب غلبة اللطائف الأسفلية، وكتاب متوجه إلى العرش فيظهر له كتابه من ورآء ظهره يعني أنه يذهب إلى السفلى معكوسا عن فطرته **فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11)** هذا بيان حالاته، وبيان تألم بالآلام؛لأن انجذاب تلك النقطة إلى الأصل لايجعله مطمئنا على شئ.

(1) حجر البحث: قد مر الكلام عن هذا الاصطلاح مفصلا في تفسير سورة الروم.الباحث
(2) لينظر:حجة الله البالغة,الإمام ولي الله الدهلوي,131/1.

تنبيه :قد غلط بعض العارفين في تحقيق حالات أهل جهنم بأنهم بطول المكث سيعذبون تلك الحالة _هذا خطأ_ إنما يمكن ذلك لوسقط هذه النقطة النورانية عن الالتحاق بأصلها. فإذا كان هذا الاضطراب موجودا في قلوبهم فلاينتفعون في جهنم بشئ أبدا. فلوفرضنا أن تلك النقطة مات انجذابها فعندنا هذا الفرض خرج عن الإنسانية كما لوفرضنا أن فردا واحدا بطل نطقه فهو خارج عن الإنسانية. فالذين الفطرة الإنسانية منخفضة فيهم لانبحث عنهم. فإذا كان اقتضاء الفطرة تاما في الإنسان فلايمكن أن يستقر في القرار: **إِنَّه ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ**. . . (**14**). ثقل اللطائف المعارضة إنما اطمأنت بالحياة الدنيا ونسي اقتضاء هذه اللطيفة. **بَلَى إِنَّ رَبَّه كَانَ بِه بَصِيرًا** (**15**). إنه يحتاج إلى تيقظ فبعث الأنبياء والمرشدين معنى ذلك:فإن لم يتيقظ في دار الدنيا فيأتي إليه المحن والمصائب، وبسببها لازم أن يتيقظ. فقوله:**فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ** (**16**) يكون فيه النور قليلا باقيا من النهار. . **وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ** (**17**). يكون فيه الكواكب المجتمعة في ظلمة الليل هو أقوى في الرتبة من الشفق. **وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ** (**18**) بعد نور الكواكب القمر يكون اتساقه من هلال إلى بدر فكما يكون في الليل التدرج في الأنوار؛كذلك يكون في جهنم تيقظ[1] اللطيفة النورانية، وحصول النور بسببها بالتدرج. فإذا تم وسهل عليه الانجذاب إلى الأصل على الفور يخرج من جهنم هذا معنى قوله: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ** (**19**) **فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** (**20**). إذا كان فيهم ذوق الحكمة الطبيعية فماالمانع لهم من الإيمان بعد ذلك؟ وإذا كان رجل حكيما طبيعيا حقيقيا إذا قرأ القرآن يسجد بطبعه. هذا هو الحق. هذا معنى قوله: **وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ** (**21**) **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** (**22**) بعنادهم الرجل الحكيم إذا كان إلاهيا هو يؤمن بالقرآن على الأول؛لأنه يدعوه إلى ربه، وإن كان طبيعيا يسجد للقرآن إذا فهم معناه. وهل يقدر ذوعقل في الدنيا أن يعارض القرآن إلا بالعناد؟ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ** (**23**). في قلوبهم اللطيفة محفوظة_والله أعلم_ فإذا خالفوا حكمها يحدث في قلوبهم تعارض، تحير، واضطراب ثم عذاب أليم **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (**24**) **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (**25**) يعني الذين استوفوا حق هذه اللطيفة النورانية، وجعلوا جميع لطائفهم موافقة لمزاجها فالعقل لايتيقن إلا بحظيرة

---

(1) في ن م :بتيقظ

القدس، والقلب لايريد، والنفس لاتتمنى إلا الوصول إليها. هذا معنى الإيمان، والعمل الصالح. **لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ارتقاء هذه اللطيفة ليس له حد. هذا معنى قوله: لهم أجرغير ممنون.

سورة والنازعات

حكمة يوم القيامة بالنظر إلى الاجتماعية الإنسانية . جماعة من الحكماء هم يتفكرون في الحكمة الاجتماعية، ولايجدون لها مقيسا صالحا يعتمدون عليه في تصحيح أفكارهم إلا الرجوع إلى الحكمة الكونية. كذلك إذا أشكلت عليهم مسألة في الحكمة الكونية في تطبيقها على الحكمة الاجتماعية فإنهما متطابقان عندهم، فرعايته لأفكار تلك الجماعة ينتظم عندنا. سورة النازعات قوله تعالى:**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا** (1) الحكمة الكونية تنزل فيها الصور على حسب استعداد المواد فيحتاج العمال في الخدمة الكونية في بعض الأوقات إلى إظهار استعدادات المادة ونزعها من باطنها إلى الاستغراق فيها، فبذلك يأتي الواقعات الانقلابية . الانقلاب دائما يكون في صورة التصادف. وفي الحقيقة يكون اتصال بعضها بالبعض قويا يأتي السيل من الماء فيغرق كثيرا من الزراعات والحيوانات. ففي الظاهر يكون عند الناس الصدمة، وفي الباطن لايكون إلا كل قوة تعمل في محلها. وسلسلة الأسباب قائمة على ساقها. ففي مثل الانقلاب التأثيرات الباطنية تخرج[1] إلى الظهور بالقوة القاهرة؛ ليتم سلسلة الأسباب لايكون خروج تلك الاستعدادات بالتدرج فيكون إصلاحا لاانقلابا. قوله تعالى: **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** (2) حل العقدة بالقهر بل بالنشاط الطبيعي يكون سببا لإظهار القوة المادية على التدرج فيكون باعثا للإصلاح. فالعمال من الملائكة والإنسان وغيرهما يعملون أعمالا للإصلاح، وكلهم داخلون في الناشطات نشطا. قوله تعالى: **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** (3) تكون في إنزال الهواء **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** (4) طائفة من العمال الملائكة وغيرهم يسعون في إنزال الصورة على موافقة المادة فيسبق منهم سابقون فيأتون بالصور منطبقة على المواد. هم أيضا طبقة من عمال

(1) في ن م : يخرج

الملائكة وغيرهم. **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** [1]**(5)**. تلك الطوائف تكون من جنود المدبرات. فطبقة العمال التي قسمها بالمدبرات ينزل عليهم الأمر بتدبير فينظرون إلى أجزائه ويحللون، فإن كان أمر الاستعداد مختفيا شديدا بعيدا يأمرون النازعات غرقا. وإن كان الاستعداد قريبا فيأمرون الناشطات نشطا ثم يأمرون لإنزال الصور فيسمى لذلك جماعة: هم السابحات سبحا فيفوز بإنزال الصورة من يكون أقرب إليها. هؤلاء هم السابقات سبقا. فلما تهيأت الموادوتنزلت الصور يدبرون الأمر ويجعلونه موجودا مثل ما أمروا. فهذه الأقسام جواب القسم محذوف بهذا الطريق ينتظم الأمر في المكونات وفي الاجتماعيات سواء. فالتطابق الذي عند الحكماء في المسئلتين هو هذا يسعى العمال لتهيئة المواد وتنزيل الصور والجمع بينهما على أحسن نظام في كلا البابين على السواء. فمن هذا الطريق يمكن مقايسة أحدهما على الآخر. **هلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاه رَبُّه بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّه طَغَى (17) فَقُلْ هلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاه الْآيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَه اللَّه نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)**. هذا أمر اجتماعي ذكر الله تدبيره كان فرعون طغى فأظهر موادا قدسية من موسى المختفية في روحه. بعد ذلك ناداه ربه بالواد المقدس طوى فأمره بدعوة فرعون. هذا تدبير الأمر إن كان في فرعون صلاحية, ويصلح أمره فلاحاجة إلى إهلاكه. وإذا لم يهتد مع استعمال الآلات التي هي كافية لاهتدائه، واستمر على التكذيب والعصيان ثم أراد الغلبة على الحق. فإن لم يهلك[2]هو يهلك الحق في ذلك الحادثة فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. قوله تعالى:**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى**. . الخشية في القرآن ارتقاء في العلم كأنه صرف تلك الكلمة عن موضوعها اللغوي مثل الصلاة والحج بإضافة قيود وشرائط فاستعمل في معنى مخصوص. العلم يحصل باليقين، ومدارجه ثلاثة. فإذا ارتقى الواصل إلى آخر درجات اليقين يترقى في درجة الخشية

---

(1) قال علي، ومجاهد، وعطاء، وأبو صالح، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي: هي الملائكة لينظر: تفسير ابن كثير , الإمام الدمشقي,313/8.
(2) في ن م : فإن لم يهلك الحق في ذلك الحادثة.

المصطلحة عندنا، وهي اضمحلال للنفس يحدث عند اتصاله بمنبع النفوس إمام النوع الإنساني المتمثل في حظيرة القدس النازل على قلب الإمام التجلي القائم على العرش. وإذا حصل للنفس الإنساني عروج إلى كلية فيترك تخصصات بالتدريج، ويبقى قائما بالمعنى، ويتصل بعد ذلك بإمام النوع الإنساني فيحصل[1] له اضمحلال، ويحسب نفسه عين إمام النوع، ويكون أقرب الإنسان إلى ربه أي التجلي القائم على قلب إمام النوع فيحصل له في تلك الحالة علوم تتعلق بتدبيرات المكونات والاجتماعيات. فإن كان رجل عنده من الخشية فهو منتقل من تلك الواقعة واقعة فرعون وهلاكه إلى فهم مسألة القيامة. فهذا كان هلاك فرعون دالا على القيامة الصغرى. وعللها وأسبابها ونتائجها كلها مبنية. فلولم تقع تلك الحادثة الهالكة بطل نظام الحق في الإنسانية؛لأن فرعون بعد غلبته لايترك شيئا. فيه نوع من الحقانية قائما على ساقه، وهو أيضا لايستقر بعد ذلك؛لأن فطرة الإنسانية لاتحمل تلك الصورة المضادة للفطرة، فوقوع تلك الواقعة كان ألزم شئ في الفطرة فليقس[2] الإنسان الواصل إلى درجة الخشية أن الإنسانية كلها لووصلت إلى درجة اجتماعية آل فرعون أما تكون مستحقة للهلاك سواء بسواء؟

الآن نقرأ الآيات التي تركناها يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُها خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10). تلك الواقعة هي حكاية القيامة أولا يكون رجفة ثم أخرى. وبالتدريج يتزلزل السماء، فكل شئ، فيبعثون في حياة غير حياتهم الدنيوية تغير حالاتهم تغيرا عرضيا أقوى مما يتغير الشيخ عن الطفولية. وبعد هذه التغيرات هذه النفس قائمة على حالها. بتلك الواقعة العظيمة أردفها الله بقوله: **هل أتاك حديث موسى**. . **وختمها بقوله: إن في ذلك لعبرة لمن يخشى**. فحدوث هلاك فرعون، ومجئ يوم القيامة مدبر بتدبير واحد. هذا ما نظم لنا من اتساق الآيات:قوله تعالى: **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاها (27). رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَها وَأَخْرَجَ ضُحَاها (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاها (30) أَخْرَجَ مِنْها مَاءَها وَمَرْعَاها (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاها (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**

(1) في ن م : فحصل
(2) في ن م : ليس

(**33**). نسبة هذه المكونات إلى الاجتماعية الإنسانية نسبة أعضاء بدن الإنسان إلى قلبه. فإذا جاء وقت انقلاب عظيم في الاجتماعية الإنسانية يسري ذلك الانقلاب إلى المكونات الخارجية من السماء والأرض أيضا. فإذا بطل استقراء الإنسان على هذه الجسمانيات يستقر النفس الإنساني نسمته التي تجمع جميع ما سعى له في حياته، ويكون المعاملة بعده مع طبقات من عالم المثال منها الجحيم ومنها الجنة. إلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى: **فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)** بين أن ذلك الانقلاب ليس تخريبا للاجتماعية الإنسانية بل ارتقاء لها، فاستغراب القيامة يذهب أثره عن الإنسانية بل يحبونها، ويتمنون إذا وصلوا إلى حقيقتها. هذا السؤال الذي يسأل الناس كثيرا. **أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42)** يذهب أهميته؛ لأن هذا لايتعلق بالإنسانية. إلى هذا إشارة في قوله تعالى : **فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44)**. الأسباب المختفية الباعثة للانقلاب إنما يعرفها الرب لاغيره فلايقدر أحد إلى تعيين وقته. قوله تعالى: **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45)**عنده نوع من الفهم والعلم لذلك الانقلاب فأنت تفصل له كثيرا من الإبهامات، وترجعها إلى أفعال الاجتماعية الإنسانية فيصيرالأمر بالظاهر بأيدى الناس إن هم أصلحوا في الاجتماعية لايأتي القيامة، وإذا أفسدوها لايتأخرعنها. هذا المعنى هو معين عند الأنبياء، وهم ينذرون الناس بذلك: أن[1] فساد هذه السماوت والأرض كله راجع إلى فساد الإنسانية. يبين هذا النوع من العلم هومن لوازم الإنذار. وهذه الآيات التي بعدم إصلاحها استوجبوا تلك الواقعة العظيمة ليس لها وقعة إذا تصوروا الحادثة على حقيقتها. وإليه الإشارة في قوله تعالى: **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46)** فهم لم يقدروا على إصلاح مثل عشية أوضحاها واستلزموا القيامة فإن كان فيها شئ يثقل عليهم فلايلومن إلا أنفسهم.

تنبيه:القضاء الإلهي[2] كالعلة التامة لوجود الشئ. والأسباب والعلل والشروط تكون كالعلل الناقصة. وقد تقرر في الحكمة أن وجود العلل الناقصة لايستوجب الحادثة. أما عليتها في تلك

---

(1) في ن م : أن

(2) في ن م: لقضاء الإلهي، لكن جملة القضاء الإلهي أنسب حسب التركيب النحوي.الباحث

الحادثة لاتبطل. والعلة التامة متى وجدت تجمع جميع العلل الناقصة. فإذا كان في قدرتنا تأخير علة ناقصة من علل الحادثة فكان وجود الحادثة متعلق بقدرتنا بأفعالنا، وإن كان في الحقيقة لاتأتي الحادثة إلا بوقت وجود العلة التامة. فبهذا الطريق ينحل الإشكال أن إتيان القيامة لايعلمها غير الله. وإن إتيان القيامة نتيجة لأعمالنا فالأمر الأول: لأن قضاء الله علة تامة. والأمر الثاني: لأن أعمالنا بفسادها تكون علة ناقصة من علل يوم القيامة فليحمل الحكيم كل شئ على محله.

سورة عبس

طائفة الرأسماليين والأشراف أياما تريدون تقولون صور الأعمال والحيثيات تختلف (أما المعنى فلا) لها ذهنية مخصوصة, وهي حصر كمالات الإنسانية في طائفتهم. وهذا الفكر هو إفساد للاجتماعية الإنسانية. وفساد الاجتماعية يستلزم القيامة فإن قلنا: إن سبب إتيان القيامة الكبرى انقلاب عظيم في قطعة من الإنسانية الذي هو نموذج القيامة. أصل نسبتها تلك الطائفة وذهنيتهم فليس ذلك بعيدا عن الحق؛لكن في بعض الأوقات تجتمع قوة تلك الطائفة على مركز يظهر فسادها. وقعت واقعة النبي _عليه السلام_ رأى طبقة الشرفاء في قريش ليس لهم قوة مستقرة على مركز فما جعلهم مستوجبا في الفساد بل رجا منهم الإصلاح، وإذا كان شرذمة قليلة من تلك الطائفة يميلون إلى الإصلاح ويتركون ذهنيتهم الفاسدة يكون تأثيرهم قويا في إصلاح الإنسانية . هذا إنما يكون بعد حدوث الانقلاب في ذهنيتهم. أما قبل ذلك فالأمر ليس بهم لاإحداث الانقلابية في ذهنيتهم، ولا الاستعانة منهم بوجه من الوجوه في الإصلاح مع كونهم باقين على حالاتهم. فالفساد الذي نتيجة إتيان القيامة إذا قررنا أن فساد اجتماعية الإنسانية فليفهم الإنسان أن المراد من اجتماعية الإنسانية في تلك القضية ليس إلا فساد اجتماعية تلك الطائفة فقط. وفساد تلك الطائفة يرى في الاجتماعية العمومية ثم يتسلسل النتائج. فإن قدر الإنسان على قطع تلك المادة الفاسدة من الاجتماعية الإنسانية يتأخر إتيان القيامة.فالنبي ظن أن إصلاح الأشراف يؤدي إلى إصلاح القوم. وكان الصحيح أن قطع تلك العضو كان سبب الإصلاح حقيقة. ففي هذه السورة وقع البحث: جاء

الأعمى[1] يسعى، وهو يخشى لطلب العلم، وبمقابلته جماعة من تلك الطبقة الفاسدة، والنبي في ذلك المجلس توجه إلى تلك الطائفة، وأعرض عن الأعمى ذكر ذلك في الآيات العشر الأولى فأنكر على النبي ذلك. **كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11)**. إشارة إلى أن ترجيح صنف من الأصناف الإنسانية بأوصاف لاترجع إلى فهم الحكمة، وإدراكها يبطل موضوع نزول القرآن. فإنما هو نزل تذكيرا للإنسان الصالح الذي يتذكر لالإجبار كل إنسان مع كونه لايفهم. هذا معنى **إنها تذكرة فمن شاء ذكره**. فتقديم رجل يفهم طيبا هذا جائز. وأما تقديم رجل يعرض عنه فيفهم أن هذا التعليم مخصوص لهذا الرجل هو يعرض، والتعليم يتبعه. هذا قلب الموضوع لانقلاب ثم في قوله تعالى: **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16)**إشارة أن الحاملين الكتاب المبارك[2] رجال كرام بررة يأتي بهم الله، وينتشر العلم في الدنيا، فالإسماع[3] لطائفة من المعرضين أن يقبلوه توهينا للعلم؛لأنه يظهر منه أنه ليس في الأرض أحد يقبله. الآن نريد أن تتوجهوا إلى سورة القيامة، وماذكرنا في تفسير قوله: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)**[4]بيانه أن هذا التزمه الله على نفسه أن يجمع في صحف مكرمة ويقرأه ويبينه سفرة كرام بررة. فإذا أراد النبي أن يتعجل للسعي في إقامة ذلك منع عنه لاحاجة إليه ، كذلك في هذه السورة: النبي يتعجل في تلقين الحق لطائفة من المعرضين، ويريد أن لايكون في الأرض معرض عن القرآن فينكرعلى[5] فعله ذلك. تلك واقعة انقلابية مدبرة تحت تدبيرات قاهرة. **لاتحرك لسانه**. لايحتاج إلى حركات مثل هذه حقيقة في الدعوة بل جميع رجال كرام هو مقرر في قدر الله وقضائه. أما تلك الطائفة فواجب قطعها من الإنسانية. **أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)**. فتعليم القرآن لهؤلاء الأشراف[6] ليس

---

(1) ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم-وكان ممن أسلم قديما-فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) لينظر: تفسير القرآن العظيم,الإمام بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) 319/8.

(2) في ن م: لكتاب مبارك

(3) في ن م: فالإلحاح

(4) القيامة : الآية :13

(5) في ن م : عن

(6) في ن م : والرأسماليين

بمقصود بل رجال آخرون هم إذا سمعوا القرآن وجوههم مسفرة ضاحكة مستبشرة تخيلوا في أنفسهم، وما اهتدوا لإتمامه. فلما سمعوا القرآن عرفوا طريق عملهم. فإن كان الإنسان يريد بقاء الإنسانية على وجه الأرض فواجب عليه قطع تلك الطائفة. هذا حاصل ما فهمنا من تلك السورة. تمت السورة.

سورة التكوير

خلقة الإنسان ونفسيته: بعض الناس لايتوجهون إلى ذلك إلا[1] أصحاب الذهنية الإنسانية ــأرباب علوم النفســ. كل مسألة عرضت عليهم لها تعلق بالإنسانية فيحلونها على أصول لذهنية الإنسانية. فسورة التكوير يوافق ذهنية عندهم ذهنية الإنسانية في جميع الإنسانية واحدة أصل من أصول الإنسانية عندهم. الذهنية الإنسانية تتأثر بما يقع في الخارج. هذا أيضا مقررعندهم. فلنفرض إلى يوم القيامة ووقعت الواقعات. فإذا كانت هي منطبقة على الذهنية الإنسانية[2] تتأثر من ذلك ويبطل اعتمادها على المكونات كلها يبطل أولا اعتماده على البدن ثم كل شئ كان له دخل في خلق هذا البدن من السماويات والأرضيات، فالذي يتأثر بذلك بعد عدم اعتماده على كل الأشياء هو إحضار ما عنده من العلوم والأحوال والأخلاق المكتسبة. إليه الإشارة في قوله تعالى: **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)** ويكون من حالات ذلك اليوم الراجعة إلى النفوس الإنسانية، وذهنيتها كل نفس تنضم إلى نفس مقاربة لها في الذهنية فيبطل الانفرادية ويحدث صنوف مختلفة من النفوس ثم يكون ترتيبها ترتيب الصنوف حسب الفطرة الطبيعية الإنسانية. فكل ماكان أقرب إلى الفطرة يكون في الدرجة العالية ثم فثم. وهذا اقتضاء ذهنية الإنسان؛لأنه لايجتمع إلا مع جنسه، واجتماعه الطبيعي إنما يكون بقرينه. ففي هذا العالم عالم الأجسام لايكون الاقتران بين النفوس باعتبار الذهنية، فلتكميل تلك الجذبة الطبيعية من الذهنية الإنسانية لازم أن يرفع كل حجاب جسماني عن الاقتران بقرينه. هذا هو حاصل بيان تلك السورة. قوله تعالى:**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**

---

(1) في ن م: إلا إلى ذلك ..

(2) في ن م : فهي حقة عند تلك الطائفة قوله :إذا الشـــمس....تذكار لواقعة تقع في الخارج في ذلك اليوم والذهنية الإنسانية.

(15) **الْجَوَارِ الْكُنَّسِ** (16)الذهنية الإنسانية كما تترتب من المواد الأرضية كذلك تتأثر من الكوائن السماوية.والمؤثرات السماوية سبع سيارات عند عامة من اعتنى بحكمة السماويات، وتأثيرها في الأرضيات منها الشمس والقمر سيرهما منتظم. وإليه الإشارة في قوله تعالى: **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** (17) **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** (18). القمر يختص باليل، والشمس بالصبح، وحركاتها منتظمة ومقومة، ويقال[1] لباقي السيارات الخمس الخمسة المتحيرة يظهر للواحد أنها ترجع إلى الوراء، وتستقر في محلها أو تتقدم أكثر من سيرها الطبيعي. وإليه الإشارة في قوله تعالى: **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ** (15) **الْجَوَارِ الْكُنَّسِ** (16)فالحركات الفلكية المنتظمة أو متحيرة كلها توافق على هذا التعليم الذي يأتي موافقا للذهنية الإنسانية المتأثرة بالماديات. فالذهنية نقسمها على قسمين: قسم الغلبة فيه للسماويات. فهذه الذهنية تقدر على رد كل حركة في السماء، وإن [2] في الظاهر غير منظمة إلى علتها. وعلم الهيئة نتيجة هذا التفكير الذهني الإنساني.

جملة معترضة: علم الهيئة منقسم على مدرستين: يجعل الأرض مركز الحركات، وينظم حركات الكواكب إلى آخر ما يحتاج إليه الإنسان. يجعل الشمس مركزا للكواكب، وينظم جميع الحركات والأوقات والتأثيرات تحت نظام قوي. فاختلاف الصورة في علم الهيئة ليس مرادنا الآن. المقصد هو الذهنية الإنسانية نظمت الحركات السماوية واطمأنت على تحصيل نتائجها. فبأي صورة تكون هذا لابأس بها عندنا مثل هذا الحنفية, والشافعية بالنظر إلى رجل يريد العمل على ماكان عليه النبي وخلفاء الراشدين قبل حدوث الفتن. فأي فقه منهما أتقنه الرجل يحصل المطلوب. فلنرجع تلك التخصيصات إلى الأسباب الخارجة عن أصل المقصد. هكذا إذا بحثنا عن السماويات، ورأينا وسعة الذهنية الإنسانية بتعيين علة ومانع لكل شئ يقع في الحركات السماوية للكواكب لقضينا العجب من كون الذهنية الإنسانية مخلوقة على شأن عجيب. فاختلاف المسلك في تعيين المركز لايؤثر في ذلك. أشار الشيخ محمد قاسم[3] إلى ذلك في بعض مكاتباته مع السيد أحمد[4] مؤسس عليكره :أن ترجيح هيئته على هيئة أخرى ليس يهمنا إنما المقصود هو معرفة نظام الأوقات والأيام

(1) في ن م : كلمة "يقال " لاتوجد.وفيها ثم باقي السيارات.
(2) في ن م : كان. لكن جملة"وإن كان" أنسب.الباحث.
(3) قد سبق ترجمته
(4) قد سبق ترجمته

والشهود والسنين ومعرفة الحر والبرد وأشياء أخرى مثل ذلك يتأثر به الأرض والاجتماع الإنساني من السماويات. أما تقديم هيئة بطلموس(1) أو فيثاغورس(2) فليس هذا بمهم عند الإنسانية بل نقدر نحن أن نفرض صور أخرى غير التي قررها هؤلاء الحكماء مثلا نجمع(3) الشمس والأرض كليهما متحركين؛لكن الحركة التي هي للأرض نفرضها بنسبة مقررة مع حركة الشمس حتى لايتأخر الأرض على تلك النقطة. ولانتقدم فنقدر بعد ذلك على تنظيم الحركة والأيام مثل هذين المسلكين فإذا كان في نظريات إمكان مسلك ثالث أيضا لم يبق تعيين المسلك مهتما به عند الإنسانية. (4)

تنبيه: فتلك الذهنية بعد الفراغ من تنظيم حركات الكواكب ترتقي وتجعل جميع السماويات راجعا إلى مركز معين نسمي ذلك باصطلاحهم بالعرش، وتحت العرش قوى منظمة بصورة الملائكة والإنسان. تلك الصورة هي مظهر لما في العرش من المكونات فينظمها الذهنية. وبعد التنظيم يقال لها حظيرة القدس فقوله: **إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** (21). إشارة إلى ذلك يعني أن الذهنية الإنسانية كما نظمت حركات الكواكب المستقيمة والمرتجعة، كذلك نظم الاجتماعية الإنسانية تحت العرش في حظيرة القدس. فكل شئ يخرج من تلك الحظيرة يكون عين الفطرة الإنسانية كما ينزل من الكواكب السيارة النور والحر والبرد وغيرذلك وتؤثر في عالم الأجسام كلها؛لذلك تنزل من حظيرة القدس تعليمات تؤثر في الإنسانية كلها. **إنه لقول رسول كريم**. . جواب ذلك القسم: أي نزول الأنوار من الكواكب شاهد على نزول العلوم من أركان حظيرة القدس. وهذا القرآن نزل بواسطة رسول كريم مطاع أمين ذي قوة مكين في حظيرة القدس فكما يتأثر المنجم والكاهن بحالات الأفلاك، كذلك يتأثر أذكى رجل في

---

(1) قد سبق ترجمته

(2) فيثاغورس (570 - 495 ق.م) هو فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاغورية كما يُعرف بمعادلته الشهيرة) نظرية فيثاغورس أتتنا معلومات حوله من كُتب كُتبت بعد قرون من وفاته،لذلك لا يوجد معلومات موثّقة حول أفكاره وأعماله.ولد في جزيرة ساموس وسافر إلى بلاد عديدة منها اليونان ومصر وربما الهند .أقام في مستعمرة كروتوني اليونانية في إيطاليا حوالي سنة 530 ق.م. حيث أنشأ مدرسة لمناقشة موضوعات فلسفية مختلفة من مثل ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد. واهتم فيثاغورس كثيراً بعدد من المواضيع العلمية والرياضية لـــيـــنـــظـــر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%AB%D8%A7%D8%BA%D9%88%D8%B1%D8%B3

(3) في ن م: تجنع لكن كلمة نجمع أنسب حسب السياق.الباحث

(4) في ن م : تم التنبيه

العالم من علم نازل من حظيرة القدس، وهو نبينا_صلى الله عليه وسلم_ كونه [1]أذكى رجل ثابت بأنه **رَآه بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**(23). ذهنية متراقبة ينظر في ملكوت السموت إلى رسول كريم، وما حصل له من العلم لايبخل به، وهو ذو عقل تام يفهم تنظيم الإنسانية. هذا أيضا تطور من الذهنية الإنسانية **وَمَا هوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**. (25). هذه الذهنية الإنسانية الجامعة للإنسانية كلها هي تقتضي ذلك **إِنْ هوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** (27) هذا دليل على تكميل الذهنية **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ**. . (28). هذا راجع مثل ماذكر في التنبيه :العلل الناقصة والعلة التامة كل رجل من مشيئته دخل من وجه، والأمر لايتم إلا بمشيئة رب العالمين. فالذهنية الإنسانية باقتضائها السماوي كما ارتفعت إلى تنظيم الهيئة كذلك ارتقت إلى نزول العلم من حظيرة القدس. فتلك الذهنية لإتمامها محتاجة إلى تجريد الموانع الجسمانية عن ارتقائها هذا هو يوم القيامة. **إن هو إلا ذكر للعالمين**. . [2]الذهنية الإنسانية في ارتقائها لاتصير دون اجتماعي عالمي؛لأن الاجتماع في البيت يؤثر فيه الاجتماع في المدينة، والاجتماع في المدينة يؤثر فيه الاجتماع في المملكة، والاجتماع في المملكة يؤثر فيه الاجتماع في الممالك، والاجتماع في الممالك يؤثر فيه الاجتماع في العالمين. فالرجل الذكي لايطمئن على اجتماعه في المنزل إلا إذا كان لايأتيه شئ من الاجتماعات العاليات يخالف مما قرر في بيته؛فالحاصل أن الذكي لايجعل حالاته إلا موافقة للاجتماع العالمي. هذا هو مقتضى الذهنية الإنسانية إذا كانت متأثرة من السماويات، فالقرآن موافق لتلك الذهنية العالية. هذا معنى قوله تعالى: **إن هو إلا ذكر**. . . فالإنسان لايستقيم طبعه إلا إذا جعل حياته موافقا لما يقتضيه اجتماع العالمين. فمن أراد الاستقامة في تلك المرتبة فالقرآن له غذاء لروحانيته وتصقيل ذهنيته. **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه رَبُّ الْعَالَمِينَ** (29) فالحركة الاجتماعية في قوم موافقة لما يقتضيه اجتماع العالمين لاتقوم إلا إذا نزل ذلك الأمر من رب العالمين بواسطة حظيرة القدس، فنزول القرآن على أمة العربية نعمة عالية من رب العالمين. ومن كان مستأهلا لذلك العلم والفضل من العرب لايستحق الاستفادة من القرآن إلا هو. ولعله هذا معنى قوله تعالى :**وما تشاؤن**. . . . مشيئة رب العالمين؛لأن تجمعوا على ذلك وتقوموا بحركة العالمية فالمستأهل من العرب هو المستحق لهذا الفضل.

(1) في ن م : وكونه
(2) في ن م: تمت السورة بقي من سورة التكوير.

وينضم إلى ذلك جماعة من كل قوم فكان رب العالمين أراد أن يقيم الحركة العالمية في الأرض وبدأ في ذلك من العرب من أولاد إسماعيل وإبراهيم. تمت السورة.

سورة الانفطار

الذهنية الإنسانية كما تتأثر من السماويات. [1]وذكرنا هذا الصنف في السورة المتقدمة. فالقسم الثاني ذهنية بالأرضيات. وبرعاية مقتضياته إثبات يوم القيامة هو موضوع سورة الانفطار[2] عندنا. الانفطار:الذهنية الإنسانية إذا ارتقت من القوة الحيوانية, وأول شئ يقتضيه هوتقسيم الحقوق المادية حسب مااقتضاه نظره العقلي. وهذا نسميه ارتقاء الذهنية الإنسانية باعتبار الأرضيات. ويرمز إليه الحكماء عامة أن الإنسانية تقتضي تقديم العقل على القلب والنفس. وهذا هو الذي نسميه بالإنصاف، فإقامة الإنصاف العالمي هي مقتضي كمال النفس الإنسانية. ومن كان لايقدر على نسيان هذا الفرض ليس لهم طريق إلا إثبات يوم القيامة؛ولذلك ماوجدنا ملة من الملل ودينا[3]من الأديان إلاوهم يثبتون يوم القيامة. المتكلمون منهم طائفة خارجة من الفقهاء متقدمة عليهم باعتمادهم على نظريات عقلية أكثر من الفقهاء؛لكن ليس من الحكمة في شئ هم يقيمون الخصام مع جميع أقوام العالم في معرفة يوم الدين معتمدين على خصوصيات خاصة من ذلك اليوم جاء ذكرها في القرآن أوعلى لسان النبي، فالملل الأخرى لاتتبعونها تلك الألفاظ فجعلوهم منكرين ليوم القيامة. وإذا نظرحكيم من الحكماء معتقدات تلك الطائفة يجد أنهم قائلون به؛لكن بألفاظ لاتلائم ذهنية المتكلمين. المقصد أن هذه المعرفة من مقتضى الطبيعية الإنسانية إذا ارتقت في معرفة الاجتماعيات. والطبقة السافلة في كل ملة تقلد الطبقة المتوسطة فيقع فيهم إنكار لجهل المتوسطين مثل المتكلمين.فالقرآن العظيم لايحتاج إلى إقامة الجدال معهم بل أنه يختار التنبه والتذكير.قوله:**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**

---

(1) في ن م : مقتضيات لذهنية كما تأثر من السماويات.
(2) عن ابن عباس قال: نزلت إذا السماء انفطرت بمكة.وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.لينظر:فتح القدير,الإمام الشوكاني,478/5.
(3) في ن م: ولادينا

(4) **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)**. إذا انقطع تعلق النفوس الإنسانية بالكائنات[1] السماوية مثل السماء والكواكب والأرضية مثل البحار والبراري التي فيها القبور يرجع النفوس الإنسانية إلى ما عندها من العلم. هذا معنى قوله:**علمت نفس ما قدمت وأخرت**. فيجد في نفسه حقوقا له الإنسانيه لم تقض, وحقوقا له للإنسانية عليه لم تقض أيضا، فيقتضي طبيعة أن استيفاء هذه الحقوق كان يحتاج إلى إقامة السماء والأرض على حالهما إلى زمان حتى يصير كل واحد فارغا عن حقوق الغير موفيا لحقوق نفسه. وهذه الحقوق هي مبنى الإنصاف فنبه على خطأه في ذلك أن النظام الدنياوي، وإن امتد لايحصل منه ذلك المطلب فيتسق بعد ذلك قوله: **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** (6). هذا النظام الدنيوي لماكان غير كاف لذلك، وربك الكريم أقام لجبرهذا النقصان طريقا آخر قوله: **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ** قواك المعنوية **فعدلك** سوى لك القوى الظاهرية والأسباب الخارجية، فجعل لك صورة مخصوصة تركبها في هذا العالم فلايتم جميع المقتضيات في هذا العالم الجسماني المظلم بل في نفس الإنسان أجزاء لطيفة توفية حقوقها في هذا العالم غير ممكن، فلابد من نشأة أخرى. قوله تعالى: **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** (12). لماكان استيفاء جميع الحقوق في دار الدنيا غير ممكن، والحقوق التي مضت قبل ذلك صارت منعدمة في تلك الدار فلاستيفاء حقوق الإنسانية جعلنا عالما آخر غير مادي مثل الدنيا بحفظ جميع ما يصدر من الإنسان من العلم والإرادة والعمل. هذا كله تمهيد يوم الدين. وأنتم لاتتذكرون بل تكذبون له. هذا جهل منكم. فهل عندكم في فكركم صورة لاستيفاء حقوق الإنسانية من غير إقامة يوم الدين؟ إن توجهتم إلى التفكر وتركتم التكذيب لعلمتم أنه ليس سوى هذا. قد قالت جماعات[2] بمشي المجازات في هذا العالم الدنيوي بإعادة الولادة والتناسخ في تلك[3] الدار مرة بعد أخرى فصد ذلك كثيرا من فهم يوم الدين. وبعد هذا الفكر فكر التناسخ مظهر جزئي لاستيفاء بعض الحقوق مثل ما يعتقد القائلون بيوم الدين بعذاب

---

(1) الكون أنسب.الباحث

(2) مثلا الهنود هم قائلون بالتناسخ.الباحث.

(3) في ن م: ذلك

في البرزخ، فالتناسخ يمكن أن يكون بدلا من تلك المجازاة التي يقع نظيرها في البرزخ. وأما الحقوق العالية للنوع الإنساني فلاتمكن قبل انقضاء النوع، ولايمكن في هذه الدار. هذا انقضاء النوع منها القائلون بالتناسخ لايمكن بتلك النظرية على جميع أفراد الإنسان بل هو عندهم نوع من العذاب يجب للإنسانية أن يتخصص منها بما أمكن له ثم عندهم رجال كاملون جزاء أعمالهم في تلك الدار غير ممكن؛لأن الروح السعيدة عندهم لما عملت في حياتها الدنيا أول مرة أحسن الأعمال فيكون ارتقاءه في الدنيا إلى[1] مرتبة أعلى من ذلك. فإذا استمرت مرارا في سعادتها فلايمكن في الدنيا أن يجازي بشيء؛لأن جميع أجزية الدنيا هي دون أعمالها فهذا الرجل واجب عندهم أن ينتقل إلى الجنة. وهذا هو مثل الأعلى. كل روح من الإنسانية، وإن كان مضى مدة غير متناهية واجب أن يصل إلى درجة ذلك الروح ويدخل الجنة. فما تلخص لنا من أقوالهم رأيناهم يجمعون بين عذاب في البرزخ وعذاب في جهنم كلامها بصورة التناسخ. أما الذي نجا منها فليس جزاءه عندهم الجنة. هذا في جانب، وفي جانب آخرالمجازاة في البرزخ. والمجازاة في جهنم يعترفون بها. فالذي غلب ظني أن مسألة التناسخ إنما حدثت من جهة بعض حكماء الرياضيين الذين ليس لهم معرفة بالإلهيات فهم صوروا مسألة المجازاة الإنسانية في صورة عليه محضة، ويريدون بذلك تعليم الناس الذين لايفهمون المسائل الإلهية بسهولة ثم دخل الخلل والتحريف في التعليم بسبب الانقلابات السياسية. وهذا نظيره.عندنا من المعتزلة جماعة يداولون جميع الأمور الإلهية بكلمات توافق العلوم الطبيعية فقط. وبذلك يرتقي بعض الناس إلى فهم الإلهيات بالتدريج. فإن في أول أمرهم ما تذهبوها عدم التكذيب إنما كان بسبب تأويل المعتزلة. والأمر في التحقيق لايزيد إلى ذلك_والله أعلم_. في حكمة الإمام ولي الله: الإقرار بعالم يجازي ذلك العالم، ويحفظ جميع ما خرج منه لازم. فأعمال الإنسانية مثل عامة المخلوقات تكون محفوظة في ذلك العالم. **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**. . . . . . . (13)الأبرار هم الذين يقيمون ما اقتضاه عقلهم من الحقوق، والفجارمن يخالف ذلك فينقسم النوع إلى قسمين قسم: يمشي على صراط مستقيم ويصل إلى مقصود بسهولة. والفجار أيضا يأتون

---

(1) في ن م:"إلى " لاتوجد

إليه؛لكن بطريق يسلكون في جهنم. قوله: **يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ**. . . . (15). الفجار يدخلون جهنم يوم الدين ثم لايغيبون عنها مادام بقي فيهم ذرة يطلق عليهم بسببها إسم الفجار، فهذا الدوام مشروط بهذا الوقت. وهذه حكمة غامضة لايصل إليها أفكار المتكلمين والفقهاء. تلك مسألة خاصة بالحكماء. فمن كان متصلا بهم يفهمها حقيقة قوله تعالى:**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**. (18) قد ذكرنا من قبل أن في قلب الإنسان لطيفة نورانية تنجذب بطبيعتها إلى الله، وهو الحاكم على جميع لطائف النفس، فتوفية حقوق اللطائف لاتمكن قبل توفية حقوق تلك اللطيفة[1]. ومن هذا الوجه يصير الأمر. تمت السورة.

سورة المرسلات

معرفة خواص النفس الإنسانية فمن مختص الطوائف من المتصوفة والحكماء. فكل شئ ثبت من هذه الجهة من اقتضاء النفس الإنساني يكون طبيعة النوع الإنساني. **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا**[2] **(1)** فقرأ **أولا من أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ** (16). الإنسان إذا خلق في زمان وحصلت له اجتماعية في الأرض ثم هو خرج عن مقتضى طبعه فأهلكهم الله ثم قام قوم آخرون ونظموا اجتماعية هم أيضا اتبعوا الأولين وخرجوا عن النظم الإنساني وأهلكهم الله مرة ثانية. وهكذا إلى أمثال كثيرة في الأدوار المختلفة. أليس يفهم منه مقتضى الطبيعية الإنسانية؟ وإذا خرج الإنسان عن مقتضى الطبيعية لايرضى عنه الرب؛لأن الخلق والهلاك إنما يستندان إلى الرب. الإنسان لايقدر أن يخلق إنسانا، ولاأن يهلكه فماتنبه الناس. ما السبب في ذلك الهلاك مع كثرة التوارد؟ هو تقريب يوم الدين. الإنسان أولا يغفل عن فكر؛لكن إذا نبه[3].

(1) لينظر:حجة الله البالغة, الإمام ولي الله,131/1.
(2) أخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المرسلات بمكة. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال:«بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذا نزلت سورة: المرسلات عرفا، فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اقتلوها، فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقيت شركم كما وقيتم شرها» لينظر:فتح القدير,الإمام الشوكاني,429/5.

(3) إذا نبه لايغفل؛لأن الشرط لابد له الجزاء.الباحث.

تنبيه: فإذا مضى من تلك الدرجة يعني بعد التنبيه لايتنبه عليه مصائب يعجز عنها. وفي تلك الحالة يرجع إلى الحق ويتفكر في يوم الدين اللازم للإنسانية. فإذا مضي من ذلك الدور أيضا، ولم يرجع إلى الحق يصير مكذبا من يتذاكر معه يستهزئ به. وإذا سئل بأدلة من نفسه على عدم إمكان ذلك، وإن كان بقي من ملامة الفطرة شئ من قلبه فنفسه يكذبه في تلك الأدلة. فهذا التكذيب يكون سبب هلاك قوم فوضح بذلك عندنا قوله:**ألم نهلك الأولين**. . . . يعني كل ما كذبوا بيوم الدين نهلكهم أولين كانوا أوآخرين. **كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** (18)إذا اشتركوا في جرم نجعل لهم جزاء مشتركا، فالويل ليس إلا للمكذبين من جهة تكذيبهم. وفهم يوم الدين يومه فيه فكر الإنسان في خلقة نفسه، فلذلك نبه الله. . **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاه فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ** (23). وكذلك الاجتماعية الإنسانية التفكر فيها يهدي إلى الاعتراف بيوم الدين. وإليه أشار بقوله: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيها رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا** (27)فنفسية الإنسانية المنقسمة إلى لطائفها الثلاثة: العقل,القلب,النفس[(1)] المتفق عليها الباحثون عن تلك الحقيقة الفكر فيها يهدي إلى الاعتراف بيوم الدين. وإليه أشار بقوله : **انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِه تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّه جِمَالَتٌ صُفْرٌ** (33). ترون في جهنم ظلا ذا ثلثة شعب هي في الحقيقة ظل شعبات نفسيتهم الثلاث كما أن فساد عنصر من عناصر البدن يفضي[(2)] إلى أمراض مثل الجذام؛ كذلك فساد لطائف الإنسانية الثلاث, وغلبة النفس, أو القلب على العقل يوصل الإنسان إلى جهنم. من وصله القرآن أو تعليم نبي من الأنبياء ينبئهم على الإيقان بيوم الدين فماالتفتوا إليه وصاروا مصرين على التكذيب فلايقبل منهم عذر. وإليه أشار بقوله تعالى: **هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ** (35) فجعل هذا الكلام عاما حتى[(3)] يشمل من لم يبلغه دعوة الأنبياء, وهو لم يقصر فيما جاء في قلبه من الحق كما يصدر عن عامة المتكلمين فهو ليس[(4)] بتفسير القرآن عندنا بل نزعة سياسية غلبت

(1) لينظر:حجة الله البالغة,الإمام ولي الله,136/2.
(2) في ن م: كما أن فساد عنصر البدن ينقضي.
(3) في ن م: على التعميم من.
(4) في ن م: عندنا ليس هذا

عليهم فيتكلمون بهواهم. وجمع تمام الإنسانية في مسطر واحد, وتقسيمها على أجناس, وأنواع, وأصناف منظمة هو مقتضى يوم الفصل، فلايمكن لأحد إبطال الترتيب في ذلك اليوم. فمن يقدر على إنجاء نفس لم تهذب اللطيفة النوارنية المنجذبة إلى الله فلايمكن هذا لا[1] من ملك ولابشر. وإليه أشار بقوله تعالى: **هذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ** (39) فيكون الفصل هكذا المقيمون للعدل, والإنصاف. والذين يراعون الإحسان هم المسمون في لغة القرآن بالمتقين هم في نعمة. وإليه أشار بقوله تعالى: **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِه مِمَّا يَشْتَهونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** (44)والذين يمنعون في ذلك اليوم من تلك النعمة هم المجرمون الظالمون. فإن استفادوا في الدنيا بشئ قليل يظهر للناس أنهم تقدموا فلابأس في ذلك؛لأن عذابهم ينسيهم ذلك. وإليه أشار بقوله تعالى: **كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ** (46)هذا التعليم القرآني تكميله يكون بتهذيب النسمة, وتكميل النفس الناطقة. ففي شرع الأنبياء يكتفي من الإنسان أن يعلموا بالجزء[2] الأول فقط في حياتهم الدنيوية. وتكميل النفس الناطقة إن لم يحصل في دار الدنيا لاعتاب عليهم، فإن في حياة الأخروية مواقع كثيرة لتكميل[3]. فقبول التعليم بكلا الجزئين جعل سجدة الإنسان لربه إشارة إليه, والركوع إشارة إلى قبول نصف التعليم يعني تهذيب النسمة التي لايمكن تهذيبها في الدار الآخرة إلا لمشقة عظيمة، [4] فالشرائع الإلهية كلها خلاف لطرق الصوفية,ومدارس الحكماء يكتفون بتهذيب النسمة فقط. فإذا لم يتوجه الإنسان إلى ذلك كونه معذبا لايختلف في الإنسانية. وعندنا في قوله: **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ** (48)إشارة إلى هذا. وإذا لم يقبلوا هذا التعليم المبني على الرخص **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَه يُؤْمِنُونَ** (50).

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) هنا نظامان 1- نظام يقيمه الإنسان يبذر بذرا ثم يحصل الزرع يكون مشتملا على حصص مختلفة حشيش وحبوب وثمرات وأوراق. هذا كله نتيجة النظام الإنساني.

---

(1) في ن م : الأصل.
(2) في ن م: بالجزاء
(3) لتكميلها أنسب.الباحث
(4) في ن م: لابمشقة عظيمة

فالإنسان في آخره يحتاج إلى فصل الحبوب عن الحشيش وفصل الثمار عن الأوراق وغيرها. هذا يوم الفصل لازم في النظام الإنساني الموقوف عليه حياة البشر على وجه الأرض بحسب ذلك نظام آخر. 2- يبذر الأفكار بواسطة الخطرات في قلوب الناس. هذا كله نظام إلهي ونتيجة ذلك أيضا تكون مجموعة الإنسان يشتركون في حياة الدنيا. وباعتباربذر الخطرات ينقسمون على قسمين قسم كأنه حبوب وثمار. قسم كأنه حشيش وأوراق. فصل هؤلاء عن أولئك يكون بعيدا من الفطرة الإنسانية كلا! فقوله تعالى: **وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا** (1) **فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا** (2) **وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا** (3) **فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا** (4) ذكر لطوائف الرياح تنفع الإنسان في زراعته وحرثه. وقوله تعالى: **فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا** (5) **عُذْرًا أَوْ نُذْرًا** (6) إشارة إلى الملائكة[1] الذين في عملهم يشبهون الرياح يلقون الذكر من طريق الخطرات أولا ثم يسقون ويكملون بواسطة المعلمين المرشدين الملهمين. أفلايكون الفصل أيضا لازما؟ وإليه الإشارة **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ** (7) الإنسان في زرعه وحرثه وعمله ينقسم على قسمين إذا بذر بذرا أو غرس شجرا فيسهل طرق وصول الماء إليه من العيون والأنهار ويجعل تسهيل الطرق لمجرى الماء أهم الأعمال عنده ثم إذا ركب الزرع وطاب ثمرة الشجر يهدم جميع ما بناه لإيصال الماء إليه، كذلك فعل الرب في النشأة الدنيوية للإنسان على وجه الأرض[2]. وإذا أدرك الزرع وجاء أوان الحصاد فالعمل في مؤيدات ضروريات البشر يكون بعكس الأول. أولا نظمت الكواكب والرياح للإتيان بالأمطار وإنبات الزرع والحيوانات في الأرض ليتم مقتضيات الحياة الإنسانية. فإذا أدرك ذلك الزرع تقارب وقت حصاده عن الأرض فطرق إيصال الرزق إلى ذلك النوع تخرب. وإليه الإشارة في قوله تعالى: **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** (8) **وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ** (9) **وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ** (10) نسفت: تلك الحكمة استفدناها من كلام الشيخ محمد قاسم في مخاطباته مع الهنود القائلين. قوله تعالى : **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ** (11) الملقيات ذكرا فأمرهم يكون الرسل هم متممات[3] إلى إدراك الزرع. إليه إشارة في قوله تعالى:**وإذا الرسل**. . أي وإدراك ما يوم

---

(1) لينظر: فتح القدير, الإمام الشوكاني,429/5.
(2) في ن م: كلمة "أرض" لاتوجد.
(3) في ن م: مؤخر

الفصل. الضرر والنقصان إنما يأتي في ذلك على من كذب بيوم الدين فقط. أما إذا لم يكذب فلهم درجات بعضها أولى من بعض؛لكن لايحرمون من الرحمة الإلهية المكتوبة لنوع الإنسان، ولذلك أعيد قوله تعالى: **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ** مرارا[1] كان المقصد ليس إلا النهي عن التكذيب. بعد ذلك يتسق ما ذكرناه أولا.

سورة النبأ

الحكمة التي خلق تحتها الإنسان إذا كانت هي المقتضية ليوم القيامة هل لأحد من العقل أن يتردد أو يتخاصم في ذلك. هذه السورة شرح لكون الأرواح الإنسانية كلها راجعة إلى روح. ومن مقتضى ذلك الروح يوم القيامة. قوله تعالى: **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**[2] (1). التسائل دليل على أنهم يدركون بعض أجزاء المسألة بفطرتهم ويختلفون في بعضها. قوله: **عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ** (2) جهالة يأتي بعد ذلك على الإنسان وعلى العالم، فالإخبار بذلك التي حصلت من جهة الأنبياء الحنفاء والحكماء الصابئين أمر عظيم يتفق عليه الطبقة العالية من الإنسانية كلها، فإقناع الطبقة المتوسطة سهل قوله تعالى: **كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** (4) يعني في هذه السورة يعلمون حقيقة النبأ العظيم بوجهين. وهذا سبب تكرار **ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** (5). فالأمر الأول بيانه من قوله: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِه حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيها أَحْقَابًا (23) لَا يَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً**

---

(1) في ن م: مرات في هذه السورة.

(2) قال الواحدي: قال المفسرون: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم يقولون: ماذا جاء به محمد وما الذي أتى به؟ فأنزل الله: عم يتساءلون لينظر: فتح القدير تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)437/5, الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط: الأولى - 1414 هـ.

وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاه كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهاقًا (34) لَا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهما الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْه خِطَابًا (37)

فمن الابتداء[1] بيان نظام الكائنات[2] والأرض والجبال والنهار والليل وإنزال المطر لإنبات النباتات أن كل ذلك لقضاء حوائج الإنسانية، وخلق الإنسان أزواجا يتناسلون وهذا كأنه زرع، فيأتي يوم الفصل ثم تفصيل يوم الفصل الحشيش والحبوب ما هو؟ جماعة من الإنسانية هم طاغون، وقد شرح الله معنى الطغيان من ابتداء نزول القرآن, وجماعة أخرى مقيمون للعدل مسمون بالمتقين كلاهما مختلطان مثل اختلاط الحشيش والحبوب، فذكر مآل الطاغين إلى قوله إلا عذابا، وذكر مآل المتقين إلى قوله حسابا. فهذا الفصل هو لازم على منهاج الإنسانية في مزروعاته. والوجه الثاني هو خاص بالعارفين رجوع الروح الإنساني إلى إمام الأرواح, وبواسطة حضوره بين يدى الله محقق هذاهو يوم القيامة بيانه في آية **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَه الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** (38) جاء في التفاسير تفسير هذا الروح: أن له وجوها كثيرة, وأيدي كثيرة هذا هو روح النوع الإنساني[3], والملائكة هم ملائكة الملأ الأعلى, ويكون هنا تجلي إلهي قائما في وسط حظيرة القدس. قوله تعالى:**ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّه مَآبًا** (39) حقيقة هذا بانكشاف الحقائق على العارفين متفق **فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّه مَآبًا** فليس معنى دعوة القرآن إلا دعوة إلى الوصول إلى الحق والإنصاف، والتقوى كله مبارك لذلك قوله: **إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاه وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** (40)مثل هذا القيامة يأتي انقلاب عظيم على الإنسانية. هذا معنى قوله تعالى:**إنا أنذرناكم**. . . في هذا تشريح لحكمة بيان

---

(1) في ن م : ابتداء بدل الابتداء.

(2) الكون أنسب. الباحث

(3) يذكر الإمام الآلوسي في تفسيره:"قيل الرُوحُ خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين، وقيل: هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه. عن ابن عباس أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة صفا. وعن الضحاك أنه لو فتح فاه لوسع جميع الملائكة عليهم السلام.أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال: «الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل»لينظر: روح المعاني للإمام الآلوسي 220/15.

يوم القيامة بالكثرة والتكرار. إن ذلك إشارة إلى وقوع الانقلاب العظيم. وفي هذا الانقلاب يحاسب الإنسان فإن كان موافقا بنظام القرآن فيفوز في الانقلاب، وإن كان خلافه[1] فيتحسر. قوله تعالى: **وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** . حمله المفسرون عامة على يوم القيامة,ويقولون إذا كانت الحيوانات جعلت ترابا فيتمنى الكافر أنه ليت كان كذلك[2]. وعندنا يمكن حمله على محاسبة الانقلاب أيضا بعد ما رأى الكافر شدة المؤاخذة يتمنى أنه لم يخلق إنسانا.

---

(1) في ن م : وكان خلافة لكن جملة وإن كان خلافه أصح.الباحث.

(2) يؤيده قول الإمام الآلوسي في تفسيره حيث يقول:"عن ابن عمر وأبي هريرة ومجاهد أن الله تعالى يحضر البهائم فيقتص لبعضها من بعض ثم يقول سبحانه لها كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فإذا رأى الكافر ذلك تمنى مثله".لينظر:روح المعاني,الإمام الآلوسي,222/15.

سورة ق

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)على حسابنا قيمة ق مأئة[1]. ومن المبعث إذا أخذنا المائة تكون في 87 الهجرية. هذا العصر القرن الأول من الإسلام، وهو قرن القرآن نزل فيه القرآن علم فيه النبي_صلى الله عليه وسلم_ الناس القرآن. تعلم جماعة من المسلمين القرآن العرب ثم الروم والفرس والترك والحبش والإفرنجيون والهنديون، وتخرج من كل قوم علماء القرآن، وحصلت اجتماعية على نظريات القرآن، وحصلت فتوحات على نظام القرآن، وانتظمت حكومات تحت حكم القرآن. في ذلك الزمان ولم يكن[2]عند المسلمين شئ مكتوب يرجعون إليه في حل مشكلات سوى القرآن. وعلى رأس المائة سنة قرر الوليد بن عبد الملك[3] ثم عمر بن عبد العزيز[4] أميرا على المدينة. عندنا هذا الرجل فاتح الدورة الجديدة للمسلمين، وخاتم دورة سابقة. وللإمام ولي الله نظرية مخصوصة في الفاتحين والخاتمين، وكلامه مفصل في التفهيمات[5]. نحن أخذنا هذا الفكر منه؛لكن رتبنا الأدوار ظاهر تاريخ الإسلام، فعمر بن عبد العزيز في إمارته على المدينة جمع فقهاء المدينة على الأخذ بالحديث والإجماع فهذا هو الدور الثاني، وأمر الناس أن يكتبوا الحديث. وكل ذلك لتغير ذهنية المسلمين عن[6] الأصل. القرآن العظيم يفرق بين الناس، ويجعلهم منقسمين إلى مؤمن[7] ظاهرا وباطنا. أما في الباطن يسمى بالمنافقين، وأما بالظاهر والباطن يسمى الكفار. وأما التقسيم على لغات وأقوام، فليس له ذكر في تعليم القرآن. رجل يكون من أعلى العليا قريشي، ولايؤمن بالقرآن لاقيمة له قدر ذرة بل أكثر التشديدات الواردة في عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة واردة في حق قريش عموما. والرجل يكون من الحبش[8] ويؤمن بالقرآن فيستحق جميع مدارج الارتقاء في الدنيا

---

(1) إن العلماء قد اختلفوا في تفسير الحروف المقطعة لكن الشيخ عبيد الله السندي قد فسرها في تفسيرسور القرآن حسب ضوء فلسفة الإمام ولي الله الدهلوي.الباحث
(2) في ن م : لم يكن بدون الواو.
(3) سبق ترجمته
(4) سبق ترجمته
(5) لينظر: التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،225/2.
(6) في ن : من
(7) في ن م : موطن لكن كلمة المؤمن أصح عندي حسب السياق.
(8) مثلا:بلال الحبشي.الباحث

والآخرة. وهذه[1] ذهنية أوجدها القرآن في الدور الأول من المسلمين؛ولذلك قدروا على تنظيم مركز اجتماعي عالمي، وفازوا بالفتوحات على من يقربهم من الملوك والقياصرة والأكاسرة إنما سهلت الفتوحات هذه؛لأن رعايا التابعة لهؤلاء الملوك سرى فيهم روح الانقلاب أنهم إذا خرجوا من عبودية هؤلاء الجبابرة يجدون قدامهم إجماعية الأمير فيها، والوزير كلها مأخوذ على درجة واحدة في تلك الاجتماعية. وهذا الباعث صار سببا لميل الرعايا إلى المسلمين خلاف ملوكهم. وهذا كله كان ببركة القرآن بإيجاد ذهنية المساواة بين جميع المؤمنين بالقرآن. ثم لما ارتسخت حكومة بني أمية رأوا أنفسهم عاجزين عن المشي على نظام القرآن. عندهم استيثار لطائفتهم كل من يؤيد بنى أمية مقدم على من لايوافق بني أمية في أفكارهم. هذا ذهنية خلاف ذهنية القرآن. فإن كان يقرأ مثل ماكان يقرأ أولا لاينقطع الخروج من المؤمنين. العرب الذين يفهمون القرآن بذهنيتهم على ملوك بني أمية فليس التدبير لانقطاع خروج الناس إلا تبديل ذهنيتهم. وهذا لايكون إلا بعد تغيير نصاب التعليم فجعلوا الحديث أقدم على القرآن في التعليم، وأمروا بكتابة الحديث. والحديث ليس معناه إلا الإخبار عن ذهنية العرب الخاصة. النبي كان عربيا، وكان أكثر جماعة العرب قريشا والأنصار وغيرهم. فإذا أردنا ذكر معاشرة النبي مع أصحابه في تعليمه في جهاده في شيونه يكون أمر دينيا ثم نذكر معه ما عمل به الخلفاء الراشدون إلى زمن عثمان ــ رضي الله عنه ــ، ونجعلها مختصا بإسم علم أهل المدينة، فتنشأ عصبية لترويج هذا العلم ويجعل الذهنية ذهنية العرب. فإذا القرآن بعد ذلك فسروه بطبيعتهم أن القرآن إنما جاء لهداية العرب وتقديمهم على الأقوام. وهذا الذي يريده أمراء بنى أمية أنهم يثبتون على الدنيا أن القرآن قدم العرب، ونحن مقدمون من العرب. ليس هذا المحل مناسبا لذكر ذلك؛وإلا فنحن نقدر كيف صار المسلمون مدفوعين إلى هذه الذهنية تحت أسباب طبيعة كلها؟. فهذا فرق بين الدور الأول والثاني. المؤرخون للإسلام عامة لايذكرون إلا غزوات نبينا ثم فتوحات الخلفاء الراشدين ثم محاربات التي وقعت بين المسلمين، ويسمونه تاريخا للإسلام. هذا كله نبذة من ظاهر تاريخ الإسلام. والتاريخ إنما ينتظم تحت بيان تبدل الذهنيات ولايريدون ذلك؛لأنه نشأ فيهم

(1) في ن م:هذا

جماعات أن كل شئ يأتي فيه ذكر الدين، والإسلام لايعلل بشئ سوى أن الله فعله باختياره. ذكر الحكمة، والبحث في ذلك كلها بدعة عند هؤلاء، فتلك الذهنية أيضا كانت مفيدة لاستبداد ملوك بني أمية، وهي من نتائج ذلك العصر. عمر بن عبد العزيز[1] رجل صالح رأى تغير ذهنية الناس، ورأى أن الناس يتفاخرون بعربيتهم خاصة فأراد إصلاح هذه البدعة فجمع فقهاء أهل المدينة على رواية حديث، وأثر صالح من الخلفاء الراشدين فيكون الافتخار بالعربية راجعا إلى الافتخار بالنبي وأصحابه. وبهذا الوجه يصير الأمر دينيا وينفع في الدين، وإن درجته دون درجة في القرن الأول. فالقرن الأول كان المتن فيه القرآن العظيم، وكان يذكر أحوال النبي وأحوال الراشدين والصالحين على سبيل التمثلات. والآن صار تلك الأحوال متنا، والقرآن يقرأ بعد ذلك؛لأنه متن هذه الاجتماعية فبين الذهنيتين تشابه مع الفرق العظيم. وإيجاد هذا التشابه في هذا العصر كأنه نصرة الدين، وقام به عمر بن عبد العزيز، وهو جمع فقهاء أهل المدينة في أمور يمكن إجماعهم عليها، وأجاز لكل واحد أن يمشي على رأيه في أمر ليس الاجتماع عليه مقصودا في الإسلام فانتظمت جماعة الفقهاء في المدينة، وكانوا سبعة، [2] والناس بعد ذلك كلهم تبع لهم، فكل شئ اجتمع عليه الفقهاء السبع ما تجد الفقهاء مختلفين في ذلك. وكل شئ اختلفوا فيه على قولين أو ثلثة فقهاء الإسلام بعدهم مختلفون في تلك المسائل إلى يومنا هذا على قولين أو ثلثة، فكان فيه فتح دور جديد.

---

(1) سبق ترجمته.
(2) سبق ذكرهم.الباحث

فائدة :جمع الإمام مالك[1] في موطأه فقه فقهاء أهل المدينة أخذ الأكثر بواسطة واحدة واحتاط في تصحيح الروايات فكان قدوة للمسلمين. الشافعي، ومحمد بن الحسن الشيباني[2] أخذا عنه؛ فبذلك دخل علم مالك في فقه الشافعى والحنفية تمت.

هذا كله من الآثار الصالحة لعمر بن عبد العزيز، واستمر عمر على إمارة المدينة إلى آخر عهد الوليد ثم رجع إلى دمشق في خلافة سليمان، [3] وكان كالصدر الأول في تلك الخلافة. وفي تلك الأيام أيضا سعى في استحكام نظام الذي أحدثه بالمدينة. فهذا العمل نحن نعده من أفضل أعمال عمر بن عبد العزيز.وبعد موت هو صار خليفة لنحو سنتين، والناس يعدون خلافته على رأس المائة الهجرية من أحسن أعماله خلاف ما نحن نعتقده. فإنه عندنا في أيام خلافته ما قدر على تنظيم مثل تنظيم فقهاء أهل المدينة. الرجل صالح لانريد انتقاء أعماله إنما نعين ما كان من مزاياه الحقيقة، فهذا إنشاء في الفقهاء. والاجتهاد بعد التشاور بعد حكم القرآن، والسنة من بقايا عمر بن عبد العزيز تمت المقدمات.إذا تبين اختلاف ذهنية العصرين فذهنية العصر الأول لو امتدت في القرن الثاني أيضا لأكل المسلمون جميع الأرض؛لكن بعد التغير في ذهنيتهم انقطع روح الانقلاب عن المسلمين، والفتوحات التي حصلت بعد ذلك هي مثل ما يفتح الملوك باستعانة الشجاعين من الرعية، واستيجارهم بالفلوس لابالقوة الانقلابية لإقامة الحق. فلنرجع الآن إلى البحث أن القرآن كيف أنشأ هذه الذهنية؟والذي تقررعندي بعد اجتهادي هو الاعتماد على تذكيرهم بيوم القيامة. الإنسان بعد الموت إذا قدر أن يتصور حاله يرى نفسه خاليا عن جميع نزعات التقدم الانفرادي. فإذا ذهب ذلك الأثر عن ذهنية رجل فإيجاد حسب النادي بين الأفراد في تلك الذهنيات سهل

---

(1) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري،(93 - 179 هـــ = 712 - 795 م) إمام دار الهجرة،وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف الموطأ ورسالة في الرد على القدرية تفسير غريب القرآن. " لينظر: الأعلام للزركلي:5 / 257-258.

(2) سبق ترجمته

(3) سبق ترجمته

إذا كان القائم بالتنظيم خلفاء الله النبي، [1] وأمرائه الذين يتقدمون على الناس لابحجة ترجع إلى أنفسهم بل بحجة أن الكتاب الإلهي الذي أمروا بتنفيذ أحكامه من جهة اجتماع المسلمين عامة هو الذي جعله مقدما فصار مقدما، فكل رجل من المؤمنين يجعله كتاب الله مقدما يصير مثل خلفاء النبي الراشدين . النبي أوضح لهم ذلك لوأن حبشيا تأمر عليكم يقودكم بكتاب الله فاتبعوه[2] فماكان تقدم الخلفاء الراشدين على عامة إخوانهم راجعا إلى شرفهم في قومهم، وكونهم ذونسب عال، وكونهم من أقرباء الرسول. كل ذلك من بدعات الدور الثاني. فماكان المتقدم إلا بحكم القرآن فقط. بهذا الروح، وبهذا التعليم غير ذهنية الناس القرآن العظيم فكان سببا لاجتماعهم بطريق يكون[3] نموذجا للعالمين.

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1): المائة سنة الأولى من الإسلام إنما كانت، والقرآن الكريم يشهد أن ذهنية ذلك العصر ماكانت موروثة من آبائهم إنما كانت بتأثير القرآن. فلما أخذو في التباعد عن التدبر في القرآن خرجت تلك الذهنية من بيتهم، فماكان ذلك إلا تأثير القرآن. ونستشهد على ذلك بآية خاتمة هذه[4] السورة قوله تعالى: **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ** (45). حالتهم الأولية معلومة عند الله وعند الناس لاشك فيهم شاك، وأنت ليس فيك قوة الجبارية والدكتاتورية في الحكم حتى تجبرهم على ترك بعض الأشياء يضر بذهنيتهم، وأخذ بعضها ينفع بذهنيتهم. [5] فإن كانت حكومة جابرة أمرت الناس بأمور، ومنعتهم عن أمور واستدامت على ذلك بنحو عشرين سنة يتبدل ذهنيتهم؛لكن هل عندك شئ من ذلك نقدر به على تبديل ذهنيتهم هذا معنى قوله تعالى: **وما أنت عليهم بجبار** فليس لك سبيل إلا تذكيرهم بالقرآن، وانتخابهم الأمثل، فالأمثل لأخذ تعليم القرآن فتقدر بالاجتهاد على هذا الطريق على

---

(1) في ن م :الذين
(2)لم أجد الحديث بتلك الألفاظ الواردة في النص لكن وجدته بهذه الألفاظ في متون الحديث: عن يحيى بن حصين، قال: سمعت جدتي، تحدث، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع، وهو يقول: «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا له وأطيعوا» لينظر:صحيح مسلم, الإمام مسلم بن الحجاج القشيري,رقم الحديث:1838 ,باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

(3) في ن م : بطريق نموذج بدل بطريق يكون نموذجا.
(4) في ن م: تلك
(5) في ن م: وأخذ بعضها ينفع بذهنيتهم لاتوجد

تبديل ذهنيتهم بفضله تعالى. فليس هذه القوة الإسلامية التي انتشرت بالاجتماع في المائة الأولى إلا بتأثير القرآن، واهتمام النبي بتعليمه لاغير. من ابتداء المبعث إلى 87 سنة مائة سنة دور القرآن. (1)

ق والقرآن المجيد: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)

القرآن يفيد ذهنيتهم فيتعجبون عن تعليم أول أثره على الذهن. كل إنسان في قلبه قوة الفيصلة للباطل والحق موجودة. فإذا عمل رجل أو قوم عملا سيئا يعرفون مساءته فهم يحتالون الحيل في نجاتهم عن المجازاة، وقلبهم لايطمئن بذلك. في تلك الحالة يقوم رجل يتعذرهم بالمجازاة فيتأثرون به؛ لأن أساسه موجود في قلبهم. إنما كان تعتريهم شبهات بالتزوير من طبيعتهم. فإذا أنذروا من رجل(2) قوي العلم قوي العزم يذهب عنهم ظلمات الشبهات فيرونهم في معرض المجازاة, ثم يتفكرون في كيفية المجازاة. أما أصلها فمتيقن عندهم فينظرون من يجازينا؛لأنه ليس حكومة قائمة فهم لايخافون من المجازاة في الدنيا، فيقال لهم أن الحياة ممتد بعد الموت. فإن لم يقع المجازاة في الدنيا فلابائس. المجازاة قطعية؛لأن هذه المجازاة من فطرة الله التي فطر الناس عليها، وفطر العالم على وفق الفطرة الإنسانية. فإن لم تكن الحياة ممتدة تحت القانون الطبيعي الفطري وفقط قانون المجازاة يوجب إحياء الأموات يحيون يعذبون ثم يحيون. فهذا ليست مسألة امتداد الحياة بل مسألة المجازاة فقط. وهذا طريق يؤثر في قلوب المجرمين هم لايقدرون أن ينكروا جرمهم، ولايقصدون أن ينكروا علم الإله النافذ في العالم. فإن لم يكن إنسان حاكم يجازيهم فالله يجازيهم. لابد من هذه الجهة يأتي عندهم شبهات. كيف يكون الحياة بعد الموت؟ فالقرآن لايثبت ذلك على وجه الإلهية؛ لأن المخاطب ليس أهلا لذلك إنما يثبت (3)بقدر ما يحتاج إليه المجازاة. وله نظائر موجودة يرونها كل يوم المطر ينزل من السماء فيحيي بلدة ميتة، كذلك الخروج ليس معناه دوام الحياة بعده؛لأن الحياة بعد المطر أيضا تمحي؛لكن هذا القدر يكفي للمجازاة. المفسرون يغلطون في تفسير أمثال تلك السورة في موضعين. 1 يريدون أن يثبتوا الحياة بعد الموت على وجه العقلية مثل ما يخاطب به الحكماء. وهذه

(1) في ن م: هذه العبارة"من ابتداء المبعث إلى 87 سنة مائة سنة دور القرآن "لاتوجد.
(2) في ن م: وجع لكن كلمة الرجل أنسب حسب السياق.الباحث
(3) في ن م : ذلك

الطريقة ليست في القرآن مسبوقة، فاتساق القرآن لايدل على معنى هم يثبتونه، فلذلك ينتشر فكر طالب العلم. 2 :إنهم لاينظرون إلى محاكمة الرجل في نفسه على جرائمه فطرة محاكمة. فالقرآن إنما يخاطب المجرمين الذين يعترفون بالجرم في باطن نفوسهم، وإن أنكروا في الظاهر ألف مرة فهو يؤثر على نفسيتهم يجعلهم بحيث لامناص لهم من تلك الجرائم لافي الدنيا ولافي الآخرة، وهم المجرمون إذا تفكروا يجدون شواهد في تاريخ وفي عصرهم بقطعية المجازاة. ونحن رأينا نساء محتجبات يمنعن أولادهن عن الظلم لا لأنهن عالمات بالدين بل فطرتهن متجسسة جمعت وقائع وشواهد أن الظالم لايغفر له يعذب يستأمن ماله وأهله ولوبعد حين. فمن هذا الطريق يهتدين بالحق مع كونهن جاهلات. وهذا طرف ظاهر من الفطرة الإنسانية. الأشقياء إذا دخلوا السجن يعترفون بجرائمهم فلايعلمون أن ما وصل إليهم الظلم، وهم احتالوا في النجاة عن ذلك العذاب الدنيوي. فكل حيلة قدروا عليها؛لكن لم ينفعهم ذلك فتحقق عندهم أن الجرم جزاءه لازم. هذا معنى الإنذار تنبيه الناس على الأمر المفطور في الأرض. والمفسرون قاطبة غافلون عن طرز[1] تعليم القرآن إلا ما شاء الله. فالقرآن كان قريبا إلى أذهان الأميين ولسوء[2] تصرفهم جعلوه بعيدا عن أذهان الحكماء، وليس ذلك إلا لاعتمادهم[3] على اللغة فقط وأتباعهم رأى الأشاعرة: أن لاحاجة إلى أن يعلم الأحكام بالحكم[4] فهؤلاء أبعد الناس عن فهم القرآن. فقد وضح بذلك معنى الإنذار، وليس المقصد من مخاطبة الناس إلاتحضيرماهو كامن في نفوسهم بمشهد منهم لاالإتيان بالبراهين والأدلة المصلحة. إذا أيقن رجل بمثل هذا ثم قرأ القرآن يجد فيه علما، وهم يجعلونه جدالا مخاطبة الناس بما هو مسلم عندهم، ولايفرقون بين الفطرة ومسلمات الناس إذا أيقن فطرة الإنسان فلايكون هذا جدال بل إيصال الهداية إلى قلبه بطريق أعلى من طريق البرهان الواصل إلى عقله. **فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا**. يعذب بعد ذلك أيضا. هذا آخر ماكان عندهم في نجاتهم عن مؤاخذة قلبهم. الإنسان يسعى طول حياته أن لايبتلى بالمجازاة فإذا خلص. فلما نبههم النبي أن

---

(1) كلمة "الطريق أو المنهج" يكون أحسن لأن كلمة " طرز" من كلمات اللغة الأردية.الباحث
(2) في ن م: سوء
(3) في ن م: اعتماد
(4) الأشاعرة أنهم قائلون بأنه لايعرف من أحكام الله إلا بعد بعثة نبي.لينظر:منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر،الشيخ علي بن سلطان محمد القاري الحنفي(ت:1014ه) 192،ط:دار العلم كراتشي،عام:2003م.

الخلاص منه غير ممكن؛لأن الحاكم أوجب على نفسه أن لايوجد في ملكه ظلم فهو لقضاء هذا الحق الذي عليه لايترك الإنسان، وإن مات؛لأن إحيائه ليس بصعب عليه فيحييه ويعذب يقولون **ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** (3) فنبهوا أن لابعد فيه[1] **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ** (4). فالتراب لايصير إلا هذا البدن، وإن الإنسان ليس عبارة من البدن فقط بل شئ آخر أيضا هو في البدن.

جملة معترضة: للتنبيه على هذا الجزء الإنساني الذي نسميه نسمة لعلماء النفسيات طرق مختلفة إذا ذكرما للإنسان هل رأى هو في منامه يوما أنه صار إلى موضع لم يره قبل ثم وجد ذلك المنام حقا فيصدقه الناس كثيرا بطرق مختلفة كذا وكذا ويكون حقة في تلك الحالة يكون للبدن ساكنا. فإذا يعترفون بأن في البدن شيئا آخر أيضا. هو أصل للإنسانية. فاعتراف من هذا الطريق يكون أسهل على عامة الناس. أما هؤلاء السالكون مسلك البرهان لتخبطهم تقليد أرسطو[2] لايقدرون أن يجزموا بذلك الروح الإنساني فهم كيف يفسرون القرآن، ويهدون الناس إلى الإسلام. تمت المعترضة.

فالبدن يصير ترابا **وعندنا كتاب حفيظ** تلك هي النسمة. الرجل يأخذ القرآن بألفاظ فيقول: الكتاب لازم أن يكون مكتوبا فلايحمله على وجود النسمة، وذلك جهل؛لأن كتاب الله لايشبه كتاب المخلوقين. والحكماء في الإسلام تنبهوا لذلك. والإمام الغزالي[3] لكونه فقيها معروف عند الناس؛لكنا نقول مع الأسف أن الاستفادة من كلام الغزالي لايتسير إلا للحكماء فنقول كما يجب على طالب القرآن أن يتعلم اللغة العربية واجب عليه أن يغير ذهنه على منهاج الحكماء، ويخرج عن تقليد المتكلمين والفقهاء حتى يتيسر له فهم القرآن. فإذا فرغ من فهم القرآن ثم ليرجع مرة ثانية إلى كلام المتكلمين والفقهاء ويستفيد منهم في معارك مخصوصة. فالكتاب الحفيظ عندنا هو النسمة . ومن هذا البدن يمكن أن يخرج ألف بدن مثل بدن الإنسان الأول **بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**

---

(1) في ن م : أن لايعذبه.
(2) سبق ترجمته
(3) سبق ترجمته

فَهِمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5) هو قطعية المجازاة الأمر الحق لاالقرآن ولاالنبي. والفقيه[1] يكون غاية جهده أن يقول الرجل آمنت بالقرآن, وآمنت بالنبي فهؤلاء يقدرون أن يميزوا معنى الحق في المواضع المختلفة في القرآن، ويحملوا الحق دائما على الإقرار بالقرآن والنبي. هذا أمر كان محققا عندهم المجازاة. فإذا طالت حياتهم في الدنيا يخافون كل يوم أن يأتيهم مجازاة. أما إذا ماتوا فكان في قلوبهم أنهم نجوا من هذا العذاب الآن جاءهم الأمر الحق. أن الموت أيضا لاينجيهم عن ذلك العذاب هم يريدون أن يكذبوا هذا الأمر؛لكن ليس عندهم شئ قطعي يرد هذا بل يجدون منامات وواقعات يجعلهم أضعف في مقاومة الحق. **فهم في أمر مريج**. . فالنجاة من هذا الأمر الحق المشكك ليس إلا في البحث والتدبر تحت أمور فطرية قطعية فهداهم الله إلى التفكر حتى يحصل لهم النجاة من هذا الأمر المريج، وهو قوله: **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاها وَزَيَّنَّاها وَمَا لَها مِنْ فُرُوجٍ** (6) هذه الآيات الثلاثة:فالإنسان يحتاج إلى أشياء تأتيه من السماء، ويحتاج إلى أشياء تأتيه من الأرض إذا ذهب جزء الأرض واختلط بالأرض فهل يبطل مع ذلك الجزء السماوي أيضا؟ والإنسان إذا كان ماشيا على رجليه فقطع إحدى رجليه أفلايمشي إلى رجله الأخرى؟ بمثل ذلك يتذكر ويتبعه فيكون له دليل على بقاء البذر ثم ذكر قوله : **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِه جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِه بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** (11) وهذا أيضا موجود للبذر. وجاء الماء المبارك من السماء تكون النشأة الثانية مثل الأولى كذلك الخروج. هذا يكفي لهم لمشيهم في التفكر على منهاج الفطرة. وهذا دليل على أن القرآن نزل لجميع من في الأرض؛لأنه في تذكيره لم يتبع طريقة مخصوصة لقوم دون قوم بل ذكر الإنسان معتمدا على فطرته فيستوي فيه الحاضر، والباد. إنما يحتاج الناس أولو الألباب بترجمة الألفاظ العربية إلى لغتهم أوتعليمهم اللغة العربية على قدر فهم القرآن. وهذا سهل ميسر لكل إنسان بالفطرة. التاجر يتجر قوما لايعرف لسانهم فيتعلم كذلك طالب علم إذا كان لايجد غاية إلا في لسان يتعلم اللسان. فهذا ليس بخارج عن الفطرة الإنسانية . وقد بين الإمام ولي الله حكمة الاقتصاد على لغة واحدة في باب حاجة الناس إلى دين ينسخ الأديان من حجة الله[2]. تلك

---

(1) في ن م : الفقيه بدون الواء في ابتدائه.

(2) لينظر:حجة الله البالغة،الإمام الدهلوي,208/1-2010.

النظرية التي علمها النبي وأنذرهم بها أن المجازاة لايمكن أن يغفل عنها بوجه من الوجوه قد وافق تلك النظرية قرأ بني آدم. هذا عندنا معنى قوله: **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ** (14) كذب الرسل في قطعية المجازاة وتكذيبهم كان عنادا فقط لابحجة **فحق وعيد**. . فالأمر المبحوث عنه بين الرسل وبين الأمم ليس إلا تحقق الوعيد وعدمه، وبذلك يسهل فهم مقصد الأنبياء. وأما إذا جعلنا الفلسفات الإلهية كلها من ابتداء حياة الإنسان إلى لحوقه بالملأ الأعلى أمرا مختلفا فيه بين الرسل وبين الأمم فلايجد لإلزام الرسل الأقوام العامية بتلك المعارف الدقيقة حتى هذا أيضا غفلة المتكلمين، وتبعهم المفسرون جعلوا القرآن كله جدليا مواعظ إرشادية لاحجة ولابرهان ولاانقلاب. فالناس إذا كانوا يقرؤن القرآن على رجال أمثال هؤلاء كيف لايهجرون القرآن؟ وعرف المعلمون ضعفهم في ذلك المطلب فجلبوا الناس بتحسين أصواتهم بالأغاني[1] ثم بتشكيل المصاحف بالزينة، وليس ذلك إلا مثل عبادة الأصنام. . **أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** (15) معناه جديد بالنسبة إلى الخلق الأول ليس بجديد من كل وجه. فالخلق الأول صورته ظاهرة. وله معنى أيضا وهو ما يتوسوس به نفس الإنسان. فهل توجه الرجل إلى هذا المعنى أيضا؟ كما أن البدن الإنساني ابتدائه من نطفة، ويكبر بالتدريج إلى الشيخوخة. كذلك في معناه أيضا ارتقاء مثل النطفة هاهن الوسوسة. وتلك الوساوس يتبنى عليها الحياة المعنوية للإنسان. وهذا يظهر بعد الموت فليس بخلق جديد بل إظهارما كان كامنا في باطن الإنسان. . . **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** (16) يعني نحاسبه عليه كما يكون المسافر يقطع المسافة بالخطوات لايمكن الفترة فيها، كذلك الإنسان في معناه كل وسوسة مثل الخطوة الواحدة تبتني عليها وسوسة أخرى. وهكذا يرتقي الإنسان، ويخرج عن الحيوانية إلى الإنسانية. المراد من ذلك أن يكون مايتفكر به هو الحاكم على جميع القوى البدنية. هذا من خواص الفطرة الإنسانية بل خاصيتها اللازمة. فإذا رأينا إنسانا تخلف عنه تلك الخاصة رأينا إنسانية. والله يحاسب الإنسانية بنفسه "**إذ هو أقرب إليه من حبل الوريد**". وذلك أن في قلب الإنسان

(1) كما يوجد هذا العمل في بلاد المسلمين عامة.الباحث

نقطة نورانية يتجلى فيها الرب مثل ما ينطبع صورة الإنسان في المرآة؛ لكن الإنسان إذا لم يلتفت إلى مرآة يحسب الصورة المنطبعة عين الرجل في المنام، ولايجد في منامه أن هذا منام؛لأنه لم يلتفت إلى كونه نائما. كذلك الإنسان إذا لم يلتفت إلى مرآتية قلبه للرحمن فيجد الرحمن أقرب إلى نفسه بدون تنبه إلى أنه محل للتجلي. وبواسطة هذا التجلي يحاسب كل إنسان حساب عقائده وعزائمه حتى مشكوتاته ووساوسه فلايكون ذلك فقط بواسطة التجلي بل يكون مثبتا من خدام الملأ الأعلى أيضا. هذا عندنا قوله تعالى : **إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ** (17) الملك النائب للملأ الأعلى، وكذلك الملك النائب للملأ السافل لازم وجودهما مع تجلي الرحمن في أي موضع كان. فإذا كان نفس الإنسان محل تجليه كان هناك نواب الملائين أيضا موجودة. **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ** (18) الخطرة الوسوسة لايحاسب بها الملائكة إلا إذا كان باعثا لعمل من الأعمال في البدن الإنساني، وأدنى الأعمال هو القول فكان كل قول يلفظ به مكتوبا عند الملائكة.

جملة معترضة:كل وسوسة في النفس لم تصل إلى درجة القول والعمل الملائكة لايكتبونها؛لكن الله يحاسبه بهما أيضا. فالحساب الأول في الحشر على كتاب الملائكة، وهذا هو اقتضاء النوع الإنساني. وإذا دخل رجل بسبب ذلك الحساب جهنم يكون الحكم نافذا؛لكن إن كان لهذا الرجل عند الله قليل من الحسنات بصورة الخطرات والوساوس فالله لايظلم به بل يأمر الأنبياء وأتباعهم أن يشفعوا له بمجازاة تلك الحسنة التي لايعرفها إلا الله فانتظمت مسألة الشفاعة أيضا. فإنها ليست إلا جزاء لبعض أعماله. تمت المعترضة:

كما يكون لظاهر حياته أجل مقرر ورزق مختوم فإذا جاء أجلهم يموتون، كذلك لمعناه أيضا حد مقررلايمكن الزيادة عليه. فإذا كمل الإنسان جميع ما توسوس به نفسه يأتي الموت. هذا معنى قوله:**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْه تَحِيدُ** (19) باطن الإنسان لايقدر أن يأخذ بالفكر فوق ذلك الحد، فينتقل من هذه الدار. هذا هو الموت. أفتعرفون أن جميع ما وسوس الإنسان في نفسه كان منظما، وكان نتيجة حياته الظاهرة تماما؟ هل يبطل ذلك بالموت؟لا:كلا! بل يتبدل درجة حياته **ذلك ماكنت منه تحيد**. . باعتبار الجسد الإنساني باعتبار معنوياته؛لأن

المعنوية توجب الانتقال من تلك الدار إلى الأخرى؛لتكملها. هذا الانتقال إلى دار الآخرة ليس بخلق جديد بل هو لنقل[1] حاصلات الزرع من الحبوب من المزارع إلى البيوت. تأتي حياة أخرى أعلى ما حصل بالموت كان حياة شخصية مثل حياة الدنيا. والدرجة الثانية من الحياة هي الاجتماعية. الإنسان ينقسم[2] إلى صفة ويحاسب حساب الصفوف. هذا معنى قوله : **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ** (20) تسلسل الحياةوبيان جميع منازلها ليس بمقصود . إنما المقصود ما يحتاج إليه إصلاح الحياة الدنيا، [3] وسميته "الاجتماعية". وهذا يكون ببيان حال المحشر. فلما انتقلنا بالموت إلى الدار الأخرى، وصار كل هذا نتيجة الحياة الدنيا فنرتقي من تلك المرحلة إلى المحشر بتفكر الإنسان في الاجتماعيات. **ونفخ في الصور**. المجازاة كلها تحاسب في هذا المحل لايبقى بعد تأخير شئ. وهذا معنى قوله: ذلك يوم الوعيد **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** (21) كتبة الأعمال دخلوا في جنس الشهيد، وانجذاب اللطيفة النورانية إلى الحق يستلزم خداما له، وهم داخلون في جنس السائق. السائق والشهيد ليس بواحد فقط. **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** (22) أنت ترى ببصرك كل شئ ليس إلا جزاء أعمالك، وليس هذا إلا ما توسوس به نفسك. أتكون هذه حياة جديدة؟ بل لجهلكم لاتتفكرون في أنفسكم. فإذا حضروا في ميدان المحشر قال كتبة الأعمال، وهم شهداء أعماله، وهو المراد بقوله: **هذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ** (23) من أعماله فيأمرون **أَلْقِيَا فِي جَهنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** (24) الذي كذب بالعناد **مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ** (25) كان عنده من المال، وكانت المحاويج يحتاجون إلى ماله، وهو يجد في نفسه أن لهم حقوقا علي ثم يمنعهم الخير، وهو يعترف بجرمه. ذلك من ابتداء أمره قوله: "**معتد مريب**" بطغيان على الحق قبله يكون عدوانا، فالاعتداء الذي يفضي إلى الطغيان يكون موصلا إلى جهنم.

---

(1) في ن م : كالنقل.
(2) في ن م: ينضم.
(3) في ن م : الحياة الدنياوية الاجتماعية

جملة معترضة:في سورة البقرة: "**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ**" [(1)]يعتدون تفسير تلك الآية: أن العصيان والعدوان كانا ابتداء مرضهم إذا أمروا بأمر إما يقصرون دونه وإما يعتدون فوقه. إفراط أو تفريط لايفهمون الأمر ولايحققون اتباعه. هذا باستمرارهم على ذلك أوجب أن يكفروا بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق، وباستمرارهم على الكفر والقتل سلب عنهم الحكومة وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله. هذه نتيجة العدوان. فالعدوان والعصيان بالاستمرار يوجبان هذا كل قوم آمنوا بالنبي وعرفوا الشريعة جرمهم لايتحقق إلابتلك الصورة انتهت. هذا هو المعتدي. "**مريب**". الذي لايتعلق باتباع قانون الإلهي بعد اعترافه به يجعله، ويجعل ما يفعله الناس من القانون سواء بسواء. هذاهوالرجل المريب. قوله:**الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاه فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** (26) كل قوم ينكر الاجتماع في الإنسانية، ذلك إنما يكون لأنه اتخذ إلها لنفسه خاصة فإن الله هو رب الناس. [(2)] فإذا كانوا لايدخلون في الناس فجعلوا مع إله الناس إلها آخر لأنفسهم، فمثل هذه الأعمال إذا وجدت في صحيفة رجل[(3)] فألقياه في العذاب الشديد. التثنية خطاب للقرينين. وقد قدمنا أن كل إنسان له قرين من الملائكة، وقرين من الجن فقرينه من الجن يعتذر عن نفسه **رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُه وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** (27) أنا لم أكن إلا آمره في ما أستعد لذلك، فالإثم كله عليه قال الله تعالى: **لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ** (28) أنت لاتكون بريئا عن ذلك؛لأنك بنفسك لاتقدر على شئ عملك هو أن تأمر قرينك بالعصيان فإذا كنت شريكه في ذلك فإنك لست ببرئ. فالاختصام غير منج. **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** (29) الوعيد لازم لمن اشترك كائنا من كان إنسا أو جنا فإذا كان الإنس والجن لايختلف فكيف يستثني بعض الناس عن المشتركين في الجرم؟ فالوعيد واصل إليهم لابد إذاكان الوعيد يصل البعض دون بعض كان الله ظلم بعض الناس. **ومأأنا بظلام**. . . هذا القول فقط يوجب الحياة الأخروية. هذا كله تتمة الحياة الأولى لاحياة جديدة. **هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ** (30) فرجل لايترك عن العذاب لعدم وجود محل تعذيبه؛لأن جهنم واسعة

(1) البقرة: الآية: 61
(2) في ن م : آلها خالصا لأنفسهم.
(3) في ن م : إذا وجدتما وصحيفة رجل.

غاية السعة. والطرف الثاني من الإنسان المتقون. الدرجة الأولى هم لايظلمون الناس، والسابقون منهم يمنعون الظلم عن الناس فيقربون إلى الجنة. كل رجل يكون في فكره وفي وساوسه أن يرجع إلى الله هو أواب، ذلك الذي سماه الصوفية بعد ذلك بدوام العبودية **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ** (32) يخطئ فيحفظ خطأه لاينساه إما بجبره وإما يتوب إن لم يقدر على جبره يلتجئ إلى الله في جبره **مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ** (33)الخشية تحدث من العلم بأن الله يراه، وهو إلى الآن لم يرالله فكان بالغيب يخشى الرحمن **وجاء بقلب منيب**. . هذا هو الأواب التواب. الإنابة في كل حالة يرجع إلى الله فانظروا أكثر الحساب فيه للوساوس قوله تعالى: **ادْخُلُوها بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ** (34) لايأتيكم وعيد بعد ذلك **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيها وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** (35) من أمثال حاجات الدنيا **ولدينا مزيد**. مقامات القرب. فهذا هو انتهاء الإنسان ووصوله إلى حظيرة القدس محل تقربات غير متناهية. فالإنسان باعتبار حوادث خاطره مردود إما إلى جهنم وإما إلى الجنة. وإذا كان عذاب نزل في الأرض قبل موتهم يكون موصلا إلى ذلك سواء جوزي الإنسان في الدنيا أو لم يكن المجازاة في الدنيا في حياته ليس بمحيص عن ذلك. فالنبي إذا أنذره مختصا بالآخرة لم يكن مختصا بالآخرة بل هو ينذرهم بإنشاء حكومة تؤاخذهم في الدنيا. إلى هذا إشارة في قوله تعالى: **وَكَمْ أَهلَكْنَا قَبْلَهمْ مِنْ قَرْنٍ هِمْ أَشَدُّ مِنْهمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هلْ مِنْ مَحِيصٍ (36) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَه قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهوَ شَهِيدٌ** (37). فمن بقي من ذلك ولم يجاز بواسطة حكومة دنياوية قائمة على نظام القرآن فهو يبتلى في الآخرة. وإتيان الآخرة بعد تخريب[1] الدنيا ليس بصعب علينا؛لكن وصول الوعيد إلى محله لازم. ففي قوله: **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْه وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ** (44) إثبات يسر الحشر مع إبطال هذا العالم لمجرد إيصال الوعيد

---

(1) في ن م : التعذيب

لأهله. ففي ضمن ذلك آيتان نشرحهما **فاصبر على مايقولون**. لأنهم لايفوتوننا، وأنت تعمل أعمالا تنظم جماعتك لمؤاخذتهم في الدنيا، وذلك بأن تصلوا قبل طلوع الشمس. وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب العصرين. **ومن الليل فسبحه**. فهذه الأوقات الثلاثة تذكرون ربكم وتسبحون بحمده جمع التسبيح مع الحمد. عندنا معناه على أصول الحكمة:أن ينظر الرجل في الاجتماعية الإنسانية، وماسهل الله لها من النعم وينظم ذلك الفكر بحيث لايقع فيه الحزم حتى ينسب شئ من النقص إلى الله فيسبحون الله عنه. هذا أمر منتهى ما يصل إليه الإنسانية لتفصيله اجتماعة من الناس اجتمعوا على الأمر الحق أيدهم الله ورزقهم من الطيبات. هذا أمر سهل فهمه وكل يحمد ربه على ذلك. أما إذا كانت جماعة قائمة على الحق ومبتلاة بمصائب يقدرالرجل على تنظيم الفكر بسهولة: كلا! الإنسان ييأس وينكر أفعال الرب. لم فعل هذا؟لم لم يطعنا؟فهم الحكمة في ذلك الوقت وإرجاع النقص كله إلى الجماعة وتنبيههم على خطيئتهم، وبذلك الغلط حرموا عن الإنعام. هذا التنبيه على خطأ يهيئهم لتنزيه الرب عن النقائص. فإذا وصل الإنسان في الحكمة إلى الدرجة العالية يعرف أن الله لم يظلم أحدا من الناس. والمصائب إنما هي من خطأنا من ظلمنا أنفسنا. لايمكن لأحد أن يرجع في ذلك النقص إلى الله. فمعنى اجتماعنا للصلوة أن نعرف الأنعام التي أنعم الله علينا، فلنحمد بذلك ربنا ونعرف الأغلاط التي ارتكبنا ونسبح بذلك ربنا. فوقتان للاجتماع قبل طلوع الشمس وقبل الغروب. ووقت يتخلى الإنسان بنفسه مع ربه هذا معنى قوله: **ومن الليل فسبحه وإدبار السجود**. هذا أشكل آية في الفقه كانت علينا فمالمراد بالتسبيح بإدبار السجود؟ والذي اطمئن به خاطري، ولم يكن أحد قال به هو أن ذلك دعاء التشهد بعد السجود، وظني أن الإمام أبا حنيفة قال بوجوب التشهد؛لأن الناس لم يتفقوا على تعيين معناه والإلكان فرضا. فهذه الآية: "**فاصبر على مايقولون**" دليل على أن المقصد من تعليم القرآن وتذكيره هو فهم اجتماعية الإنسان وتعلقه بالله. والناس الكفار إنما يعذبون بتغافلهم عن ذلك. وآخر الآية فسرناه أمس.

سورة الذريات

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6) المقصود من هذه الشهادات هو إثبات أن المجازاة لابد. فما توعدون بواسطة الأنبياء أنكم تجزون في جميع أعمالكم صغير وكبير[1] هو صادق فانظر أن المقصد من هذه السورة أن الدين لواقع، والجزاء أن تحقق في الدنيا والآخرة، فلابد أن الناس يحيون ويجازون. **والذريات ذروا** شهادة بالهواء الذي بذري الأشياء ذروا يفرق إذا كان الحشيش والحبوب مختلطا فالهواء يفرقها. ومثل هذه الأعمال الكثيرة تصدر من الهواء "**فالحاملات وقرا**" الهواء يكون حاملا للماء ويوصله إلى موضع يقع فيه المطر فيكون سببا لإحياء بلد ميت "**فالجاريات يسرا**" السفن تجري بالهواء الموافق باليسر يقطعون مسافات بعيدة طويلة "**فالمقسمات أمرا**" الهواء يقسم الأمر بين البلاد المختلفة في الحر والبرد بهذه الصورة صارت الأقسام كلها أقساما بالهواء. وفسر بعض[2] المقسمات بالملائكة[3]، وهم أيضا في وجودهم يتمثلون على شكل الهواء. فالأقسام المختلفة من الهواء، وأعمالها دليل على وقوع الدين شهادة على وقوع الدين في الأمور الماشية في الحياة الدنيا. تقسيم الأرزاق عامة بين الأقوام إنما يكون بواسطة الهواء. وإذا فتشنا الحكمة في تقسيم الأرزاق ينتج أن الرزق إنما يصل إلى الناس نتيجة أعماله نتيجة ابتغاء الرزق. أكثر الناس غلطوا في فهم الحكمة في تقسيم الأرزاق؛لأنهم ينظرون إلى الواقعات الجزئية كثيرا. وفي تلك الواقعات تقع الاستثناءات لموانع، فيجعلون ذلك الأمر الاتفاقي قاعدة كلية كثيرا ما يكون الرجل ساعيا في ابتغاء الرزق، ولايصل إليه شئ مما يريد. ليس معناه أن عمله باطل بل كانت هنا الخصوصية مانعة عن هذه النتيجة، فلايقاس عليها واقعة أخرى. ثم يكون رجل لايسعى في الظاهر لابتغاء الرزق، ويصل إليه مما يصل إلى المبتغين. هذا أيضا يكون تحت أسباب خاصة لايتفطن إليها عامة الناس. بمثل هذا سوء التفاهم[4] شاع في عامة الناس، والأمر ليس كذلك. أنهم لايتفكرون أولا في الكليات لما

---

(1) في ن م : صغير كبير.بدون الواؤ بينهما
(2) في ن م: يجعل بعض أهل المقسمات للملائكة.
(3) ذكرالإمام الشوكاني وغيره في تفسيره عنها: هي الملائكة التي تقسم الأمورلينظر:فتح القدير,الإمام الشوكاني,98/5.وغير ذلك من التفاسير القيمة عند أهل السنة.الباحث
(4) في ن م : ابتغاؤهم بدل التفاهم.

وقعوا في مثل هذه الأغلاط يتركون حكم الأفراد ينظرون إلى حكم الأقوام أولا. أفليس أن كل قوم نظموا أمورهم لابتغاء الرزق أقوى من قوم آخرين؟ يصل الرزق إلى الأولين أكثر بالنسبة إليهم. وإذا فتشتم حال الأقوام لاترون هذا ينقضي أبدا. فالذين يسعون في ابتغاء الرزق يصل إليهم الرزق من جهة الرب. الآن تنظرون في تقلب الهواء في حالاتها المختلفة أليس توافق مبتغيات الأقوام؟ فإذا كان نظام الفطرة في أمور المعاش يوصل النتائج إلى الأعمال. أفلايكون نظام الفطرة مؤيدا لإيصال نتائج الأعمال الباطنة التي تتعلق بالعلم والعزم. من نظر في النظام الأول بتحقيق يتيقن بالتحقيق في النظام الثاني. هذا هو الدين. قوله: **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** (7) قسم بالسماء ذات الطرق: النجوم المتكثرة في السماء تحدث باجتماع بعضها مع بعض أشكال مختلفة[1] مثل الأسد والجمل والعقرب. وهذه أسماء البروج عند الماهرين بالهيئة السماوية. قد تقرر في الحكمة العالية أن الصورة السماوية ونجومها لها تأثير في حوادث الأرض يقينا. وأما تفصيل التأثير والإحاطة بأنواعه المختلفة فخارج عن طاقة البشر. إنما يحصل هذا بنوع من الإلهام من الله لبعض الناس فقط لعدم تعين طرق تحصيل العلم بالتأثير. منع الأنبياء عن الالتفات إلى هذا الفن، وليس هذا مبنيا على إبطال التأثير. قوله: **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ** (8) في بيان طرق تأثير تلك الصور السماوية أنتم تختلفون كثيرا. ومن يكون عادته التخمين والخرص يحرم عن الوصول إليه. فإذا كان رجل مستقيم الذهن صادقا يمكن أن يكون خبيرا بتلك التأثيرات. هؤلاء المحققون متفقون على يوم الدين. هذا الذي لايعرفه الناس من علماء الهيئة أنهم يؤمنون بيوم الدين بقرار علمهم. هذا العلم علم النجوم في الحقيقة من تتمة علم المعيشة. اعتنى بذلك إدريس_عليه السلام_ الذي بعث بعد آدم_عليه السلام_ متصلا. فكما أن نظام العناصر يؤيد تدبير ابتغاء الرزق كذلك نظام الأفلاك يؤيد لإيصال الجزاء للأعمال الباطنة للإنسان,وإن كان أعمال الإنسان الباطنية لكونه ملكا. وفي الظاهر هو فقير لايعبأ به، فتأثير الكواكب يجعله ملكا هذا متفق عليه عند أهل النجوم. هذا هو الدين. الرجل فيه صلاحية إقامة الحق، والعدل أتم ما يمكن. هذا كله من أعماله الدماغية والقلبية هو لايريد أن يصدق شيئا

---

(1) يقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية المذكورة: قال الحسن بن أبي الحسن البصري:ذات الحبك حبكت بالنجوم، وقال قتادة عن ســـالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضـــي الله عنهما والسماء ذات الحبك يعني السماء السابعة، وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع.لينظر: تفسير القرآن العظيم, الإمام الدمشقي,387/7.

غير واقف أبدا، ولايريد أن ظلما ما أبدا. وهذا كلاهما من أعماله الباطنية. استعداده هذا يوجب أن يكون هو ملكا على القوم، وليس هو من عائلة الملوك، والموانع غير ذلك تقع دونه فتأثير الكواكب يرفع ذلك الموانع كلها بالتأثيرالباطن. ويصل هذا الرجل إلى درجة الملاكية. تلك الحكمة إذا أتقنها الرجل على طريقة الأنبياء يتيقن بأن النظام السماوي كله يؤيد لإيصال النتائج إلى أعمال الإنسان من طريق البطون. أفلايكون ذلك دليلا على أن الدين واقع؟. هذا الذي ذكرنا يتحاشى عنه المفسرون عامة؛لأن الشريعة الإسلامية منعت عن النجوم لفساد طرق تعلمها حتى شاع بين عامة أهل العلم نفي تأثير الكواكب، وعد ذلك في بعض الحالات شركا. فالاجتناب من الشرك والجهل أعرض المسلمون عن النجوم فلايجعلون كتبهم يكون فيها تصديق شئ من التأثيرات[1]. ونحن نعرف أن هذا الشرك مثل من قال" مطرنا بنوء كذا وكذا"[(2)] بسبب جهل عامة الناس عن جعلهم التأثيرات السماوية مثل تأثيرات العناصر الطبيعية لافرق بين ذلك وبين هذا؛ لكنهم يعظمون ما ينسب إلى السماء فيخرجونها عن كونها سببا عاديا طبيعيا ثم إذا نسبوا أثرا[(3)] إليه يكون شركا. فهذاوأمثال كله اعترى بجهل الناس بحقيقة. ومثاله عندنا مثال التوراة علم صحيح حرفوه وخلطوا معه غيره، فعامة المسلمين يمنعون عن قراءتها، والناس لايعرفون أن الديانة الصابئة التي كانت أولا عامة في جميع البشر قبل إبراهيم_عليه السلام_، وتحقيق طريقة الحنفاء وإلى الآن الديانة المجوسية[4]،

---

1 ملاحظة خاصة :الحكماء الربانيون وعامة الناس كلهم اتفقوا علي أن للكواكبب تاثيرات في عالم العناصر.أما الحكماء فهذا التاثير عندهم بالخاصيات التي أودعها الله سبحانه في كل شيء كالحرارة في النار، والبرودة في الماء، وأما غير هم فالتثير عندهم بسريان حقيقتهم المنزهة بنعت التسخير. قال المؤلف إنا إذا تكلمنا بلسان الشرع حكمنا بأن النجوم والطيرة والعدوي والصفر وعبادة غير الله سبحانه والاستعانة بمن سواه والنذر والايمان لمن دون الله كلها إشراك بالله، ثم إذا أورد علينا العامة وجود تأثيراتها أجبناهم أليس أن الخمرلها تأثير في صحة البدن وحرمت مع ذلك كما أجابهم رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم بقوله: فمن أعدي الأول يعني إما التأثير القدسي فمن الله وإما التاثير العادي فلا كلام لنا فيه...لينظر:التفهيمات،الإمام الدهلوي،147/2، طبع المجلس العلمي.أبو سعيد غلام مصطفي السندي.

(2) عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصـرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسـوله أعلم، قال: " قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "لينظر:صـــحيح مســـلم,الإمام مســـلم بن حجاج القشيري,رقم الحديث:125.

(3) في ن م : أمرا.

4 الديانة الزرادشتية اسمٌ يُطلق على الديانة المجوسية في بعض الأحيان، وذلك نسبةً إلى مؤسّس هذه الديانة وهو زرادشت، وهي من الديانات القديمة، حيث تُعدّ أقدم ديانة توحيدية معروفة في العالم، وقد تأسّست هذه الديانة قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام، ويعتقد معتنقوها بوجود إله أزليّ واحد هو أهورامزدا، أيْ "الإله الحكيم"، الذي يمثّل بالنسبة لهم الخير، ولا يُسبّب الشرّ أبدًا، ويعتقد أتباع الزرادشتية أن زرادشت هو نبي الله، وهذه الديانة لم تزل موجودة إلى اليوم،

والديانة الهندية البرهنية،والسمنية[1]التي محيطة هي على أكثر أفراد البشر كلها مبنية على تحكيم أحكام النجوم، فكما خلط الإسرائيليون في التوراة خلط الصابون في علم النجوم. وفي نظر المحققين يكون أمر الملتين سواء. إذا كان رجل مسلم عالما بالكتب المتقدمة يقدر أن يأخذ الحق من التوراة، ويقدر أن يجتنب عن الباطل الذي أحدثوه فيها[2] يجوز له الاستفادة من التوراة إذا احتاج إليها كذلك حكم النجوم. وإنما أطنبنا في ذلك؛لأن حكمة الإمام ولي الله مبنية على تحقيق ذلك العلم[3] فنحن لانقدر على ترك الحق من ذلك إذا وضح لنا؛ لأن بذلك ينحزم فكرنا في تعليم حكمة الإمام ولي الله. قوله: **قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**. . (10) الناس جهال لايعرفون الحكمة، وفي ما نشاء علمية متفرقون لايقدرون قدر ذرة أن يخرجو منها إلى تحقيق الحق مستديمين على حالتهم الباطلة يتكلمون في كل فن بدون تحقيق وبدون فهم. هؤلاء هم الخراصون هم يقولون **أيان يوم الدين**؟ الذي يعرف علم الأفلاك في الدرجة المتوسطة يحكم لجهله على دوام الحركات الفلكية، وإنكار يوم الدين، وعدم فساد نظام طلوع الشمس والقمر هذا كله في الطبقة المتوسطة من علماء الأفلاك الجاهلين من تأثيرات المؤثرات التي هي فوق الأفلاك. وأما المحققون في علم الأفلاك فهم يعترفون بعالم المثال[4] معه فيكون علومهم منطبقة على حكمة الأنبياء، فسؤال هؤلاء الجاهلين، وإنكارهم لايعبأ به عند الحكيم. والقرآن العظيم أيضا أعرض عن جوابه؛لأنه أشار إلى إثبات ذلك من نظام الأفلاك أولا فأجابهم بقوله: **يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ** (13)بسبب قصورهم في تربية القوى الباطنة الفطرية للإنسان، وإفراطهم في تكميل بعض القوى وتفريطهم في تكميل بعضها يعذبون بالنار مثل ما

لكنّ أتباعها أقليّات قليلة جدًا.لينظر: **تحقيق ما للهند من مقولة**،أبو ريحان البيروني،ص:19،عالم الكتب بيروت ط:2011م.

(1) ذكر أبو الريحان البيروني السمنية بلفظ الشُّمَنية في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة"، قائلاً بأنهم "أصحاب البُدّ" أي البوذيون وبأن خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام كانت قديماً على دين هؤلاء حتى ظهور زرادشت الذي دعا إلى المجوسية، فلما انتشرت المجوسية على أيدي الملوك بعده في فارس والعراق انجلت السمنية إلى مشارق بلخ وبقي المجوس بأرض الهند. لينظر: **تحقيق ما للهند من مقولة**، البيروني،ص 21.

(2) في ن م : كلمة "فيها" لاتوجد

3 اعلم أن الكواكب إذا يجتمع بعضها مع بعض في برج ينظر واحد منهما إلى آخر بنظر رحمة أو غضب أو غيرهما فيحصل منها وجود روحاني ممزوج بأثر قوة الكواكب فيتمثل ويتشكل ذلك الوجود الروحاني في جزء الفلك فينقل القمر تلك الروحانية إلى الأرض فتؤثر في أفراد الإنسان فتنقلب خواطرهم وخيالاتهم حسب تلك الروحانية فيقع في العالم انقلاب عظيم من تغيير الدول وغيره ويقال للقمر في علم النجوم ناقل أحكام الفلك إلى الأرض.لينظر:هامش لمحات للشيخ القاسمي،ص:43.

(4) قدر مر الكلام عن هذا الاصطلاح.الباحث

يحدث الحمى بسبب تضارب الأغذية في المعدة وفساد الخلط الحادث منها، فلوكان الهضم تاما ما صارالرجل محموما. هكذا قواه الباطنية إذا وقع في توفية مقتضاها اختلاف يحدث نار من بطونهم من قلوبهم ثم تؤيد نظام الفطرة فيعرضون على النار. فالإنسان إذا أخذ بعلم وادعى التبحر فيه ودعا الناس إلى إمامة لازم عليه أن يقصر في بعض الفنون الضرورية. وهذا يتبين بعرض حالاته على تعليم الأنبياء. فإذا تبين له شئ من التقصير فليجبر ذلك إنما تقول هكذا؛لأن الذين يشتغلون بالنجوم في زماننا هذا أكثرهم مقصرون في تكميل القوى المهمة. فلوأخذوا بسنن الأنبياء وجبروا هذا النقص ما أضرهم علمهم؛ بل يمكن أن يكون له أجران مثل رجل آمن بكتاب نبيه ثم آمن بنبينا. تم هذا. قوله تعالى:**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (15) العالم بالحكمة النظرية يتعلق بالعناصر مثل الطب أو يتعلق بالأفلاك مثل علم النجوم ليس بحكيم تام الحكمة إلا إذا كان عالما بحكمة الاجتماع الإنساني أيضا الذي نسميه بالحكمة العملية. عندناكلمة المتقين تقع بمقابل هذا الحكيم الجامع بين النظرية والعملية. هم في عيش فارغ في جنات وعيون يأخذون ما يعطيهم الرب بدون مشقة. **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** (16) الإحسان هو: أن يعمل الرجل بالعدل كأن الله يراه وهو يراه. فإذا كان الرجل محسنا مثل ذلك لايترك شيئا من ضروريات الإنسان الفطرية لاعلما ولاعملا . **كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهجَعُونَ** (17) يتفكرون في فساد نظام الإنسانية ويعرفون أن هذا ليس من الله. إنما هو بسبب حكمة لإعطاء الاختيار لبعض الإنسان على بعض، فليس الظلم إلا من جهة الجماعة الإنسانية، ولايرضاه الرب لااليوم ولابعده يتفكرون كيف يصلحون هذا الفساد؟ وهذا هوكمال الإنسانية. وأصحاب نبينا في الدور الأول من المسلمين كانوا هكذا. عامة الليل يتفكرون، وتفكرهم كان في القرآن العظيم فماكانوا يتلون مثل تلاوة أيامنا هذه. يعرف بعض المخلصين أنهم بقوا في التفكر في آية واحدة نحو ستة أشهر. ونقل أن النبي_ عليه السلام_ كان يتلو طول الليل آية واحدة[1]: **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: {إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم} [المائدة: 118] ، فلما أصبح، قلت: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد بها قال: "إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا "إسناده حسن لينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل ت: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 241هـ) رقم الحديث:21328 تحقيق: شعيب الأرنؤوط -

(**118**). [1] النبي مأمور لتأييد من آمن به، وإظهاره على الكافر الذي لم يؤمن به. ففي وقت أداء هذا الفرض أليس يمكن بعض من آمن يكون قابلا للعذاب وبعض من كفر لايكون كفره للعناد بل لعدم وضوح طريق الحق عنده. هذه الحالة كانت مستحضرة في قلب النبي. فلما تلا الآية: **إن تعذبهم عبادك**... حملها على المؤمنين. وإن تغفرلهم حملها على الكفار. فالآن أراد أن يثبت في قلب النبي أن لايكون عمله معارضا لتلك الآية أدنى معارضة، فإصلاح الإنسانية بالنسبة إلى العمل محتاج إلى الفكر أكثر عنه. **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (18) نتيجة فكرهم هي الاعتراف بقصورهم. الإنسان سليم الطبع إذ تنبه على خطأه يصرف كل قوته إلى الإصلاح. فإذا أعرفوا أن هذا الفساد سبب قصورهم يتقدمون بكل همتهم للإصلاح. **لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** (19)تنبيه على أن الإصلاح ليس إصلاح الفكر خاليا. مداره على إثبات حق الاجتماع في أموالهم الخاصة. وتلك النقطة تنبه بها الحكماء الاجتماعيون، وغلبوا على الناس مع اشتمالهم على أقبح الأخلاق يلزم على الإنسان أن يتفكر في هذه الآية. أنا كتبت المقالة فأول إسنادي كان بتلك الآية. والأموال التي عندنا هي أموالنا أو أموالهم فيها حق للسائل والمحروم. فإذا أخذ المسكين مني إنما يأخذ حقه، ونحن نظن إنا نتفضل عليه بإعطائنا. هذا الخطأ لم يكن في العصر الأول للمسلمين. وكلما تراجع المسلمون إلى إصلاح هذا الغلط يقدمون على الفور، والقرآن نص على ذلك. "**أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**" [2]فبدون الأموال لاتكون الأمة أبدا لاتقدم أبدا. فهؤلاء تفكروا. وبعد التفكر كان علمهم هذا هو. هذا أساس التنظيم. والاجتماع في الصلوة صورة التنظيم فقط. فعلماء[3] الذين يستحقون أن يسموا سفهاء يسعون في إقامة الصورة بدون المادة بدون الروح. **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ** (20) إذا استخبر الناس أحوال الأرض يجدون شهادات على هذه المطالب التي ذكرها القرآن فيكون سببا لليقين زيد من الأول. وفيه إشارة إلى أن النظريات العقلية لازم أن تقيد بالاستقراء. وتلك الحكمة أخذ بها أوروبا بجمع الأعداد لكل شئ، ومدارسنا

عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ط:1، 1421 هـــ - 2001 م.

(1) المائدة:الآية:118
(2) النساء, الآية:5
(3) في ن م:فعلماؤنا

الخالية عن الفهم يضحكون على الذين يستقرؤن[1] الحالات؛لأنهم أخذوا عن أتباع أرسطو[2] أن البرهان يفيد اليقين، والاستقراء يفيد الظن فزعموا كأنهم كلما أخذوا عن مشائخهم في كتبهم براهين، وما يسعى له حكماء أوروبا شئ لايحتاج إليه. قوله تعالى: **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (21) يعني آيات. وحقيقة الأمر إذا لم يؤيد شهادة من قلب الإنسان لعلمه الذي أخذه عن الآخرين لايستقر في قلبه. فالمعلمون في مدارسنا عموما لايتنبهون الطلبة على أن يقيسوا كل شئ إلى أنفسهم؛ولذلك صارت علومنا اليوم ألفاظا بلا معنى. قوله : **أفلاتبصرون**. . فتح الدين لمعرفة ما في الأرض، ومعرفة ما في النفس من واجبات طلبة العلوم. إذا كان رجل مالكا لأمرما، ويعمل له أقوام أفلايحاسب ذلك الرجل أعمال عماله؟ وكذلك ترون في الأرض هل يمكن رجل اجتماعي يتغافل عن ذلك؟ فالبنظر إلى ذلك وقوع يوم الدين لازم. قوله تعالى: **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** (22) رزق الإنسان يخرج من الأرض؛لكن بواسطة الماء الذي يأتي من السماء، وبواسطة الحر والبرد، والأنوار التي تأتي من السماء[3]، وكذلك ما توعدون من حساب أعمالكم مخزونة في السماء في الملأ الأعلى في حظيرة القدس. قوله تعالى: **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّه لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ** (23) الإنسان إذا كان فيه حياة والقوى الطبيعية كلها تكون سالمة فهو يتكلم، ويخلق كلاما فالنطق دليل على إثبات جميع الأنظمة التي ينظمها النفس الإنساني. فوصول الرزق ووصول العلم من حظيرة القدس إلى الإنسان دليل على ثبوت جميع الفطرة الذي يقتضي وقوع يوم الدين. **فالله خلقكم وما تنطقون** هذا شخص أصغر مثله خلق الله السماء والأرض بصورة الشخص الأكبر. [4] فكما أن نطقكم لازم لوجودكم، وهي نتيجة أفكاركم . كذلك مجازاة نوع لازمة، وهي نتيجة أعمال الشخص الأكبر. ذكر الله تعالى بعد ذلك أحاديث الأنبياء. الأول: حديث ضيف إبراهيم أي الملائكة بشروه بغلام عليم, وجاءوا لإهلاك قوم لوط، فالأمر الواحد بركة للصالحين وهلكة للكافرين، فالمجازاة هكذا تكون:الرجل الصالح مثل إبراهيم يبشر، وقوم لوط يهلكون. بعد

(1) في ن م : ستقرؤون
(2) سبق ترجمته.
(3) في ن م : هذه العبارة"وبواسطة الحر والبرد والأنوار التي تأتي من السماء" لاتوجد.
(4) إن الإمام ولي الله يجعل الشخص الأكبر في حكمته مثل الشخص الأصغر، ويجعل حظيرة القدس دماغه ولسانه.لينظر:تفسير إلهام الرحمن للإمام عبيد الله السندي,57/1, تحقيق: الشيخ غلام مصطفى القاسمي ط: حيدرآباد.

ذلك ذكر حديث موسى ثم عاد ثم ثمود ونوح. مثل ذلك مجازاة في الدنيا. فلينظر الإنسان في هذا إذا استحق هذه الأقوام الهلاك فأهلكهم الله فإن كان أقوام آخرون مثل المذكورين في الأعمال، ولم يهلكوا في الدنيا لمعارضات في أسباب الحكمة أفيتركون مهملين؟ لايجازون. إن كان هذا فهو ظلم. لم لم يتركوا هؤلاء؟ مثل: والله حرم الظلم على نفسه[1] **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**. . . (47) السماء والأرض في الأزمنة الماضية ظهرت منها قوى واستفاد منها الناس فبعد امتداد الزمان لاتكون تلك القوى هي المكررة بل الله في قدرته سعة كبيرة يأتي بأشياء جديدة كل زمان. وفي كل موضع جميع الأسباب لمن يتذكر للتذكير. فالإعراض عن تلك الأسباب وعدم تذكرهم بها يعذبون قوله: **فَفِرُّوا إِلَى اللَّه إِنِّي لَكُمْ مِنْه نَذِيرٌ مُبِينٌ** (50) الأشياء العجيبة تخلق في الأرض والسماء، فحظ الإنسان منها أن لايتعلق بقلبه شئ بل يكون سببا لانجذابه إلى الله توفية لفطرته. قوله تعالى: **وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّه إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْه نَذِيرٌ مُبِينٌ** (51) معناه عندنا كلما ارتقى التمدن يحدث إمبراطورية قوية قاهرة تأخذ القانون بيدها إذا أسلم الإنسان ذلك الحق لإمبراطورية فكأنه اتخذه إلها. كل ما يمتد الزمان يرتقي الارتفاقات، وينتظم حكومات قاهرة. فإذا خالفوا ذلك يجازون لابد يتسق على هذا قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** (56) الذي وقع بعد ثلاث آيات: الإنس هو الإنسان. والجن مخلوق في عالم المثال في أدنى طبقاته. والنسمة الإنسانية تشبه الجن. فالتكليف راجع إلى النسمة الإنسانية، والجن في درجتها. وهذا الجن يخلق مع كل إنس فيكون تكليفهما سواء سواء إذا جعلوا ملكا قابضا على قانون كأنهم تركوا أن يعبدوا ربهم متصل بذلك قوله: **مَا أُرِيدُ مِنْهمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ** (57) الناس يتبعون الملوك لتحصيل

(1) أخرجه الإمام مسلم بهذه الألفاظ حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، حدثنا مروان يعني ابن محمد الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه» قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه.لينظر:صحيح مسلم, الإمام مسلم القشيري,رقم الحديث:2577.

الرزق، وحقيقة الملوك أنهم يأخذون من الرعايا ويعطونهم. والله لايأخذ عن رجل شيئا بل **هوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** (58) معنى من يعتمد عليه يهديه طرق ابتغاء الرزق، وإن كان لايستطيع فيوصل إليه في كل حال. فهذا أيضا سبب كامل لاتباع أمر الله. والآن نذكر الآيات الثلاث التي تركناها. قوله تعالى: **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ** (52). النبي إذا قال لرجل اتبع ربك، ولاتجعل الحكومة الحاكمة آلها لك أنكروا دائما **وقالوا ساحر أو مجنون**. إذا تركنا الارتفاقات الطبيعية فكيف يكون الإنسانية؟ فيأتي بالأسباب الغير الطبيعية فيكون ساحرا أو يمنع الإنسان عن الارتقاء فيكون مجنونا. **أتواصوا به ؟**كلهم مسلسلا يفعلون هكذا. **بل هو قوم طاغون**. يظلمون المساكين ويأخذون من الإمبراطوريين الأموال بالكذب والخداع، فطغيانهم هذا محتاج إلى الانقلاب الكبير، وهولايمكن إلا بعد دعوتهم إلى عدم انقياد إمبراطورهم، وتلقين البغاوة عليهم فهم لايفهمون[1] المطلب فنقول عنهم قوله تعالى:**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ** (54). ليس للنبي أن يضيع وقته في مخاطبة قوم لايعرفون المبادئ الابتدائية أيضا. قوله: **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** (55) نبه الناس أن الإنسانية لاتتحمل ذلك الظلم، فإن رجالا فيهم قوة التدبير[2]والتفكر ينتفعون به. هذا عندنا معنى قوله: **فإن الذكرى تنفع المؤمنين**. المؤمن هنا صاحب الطبيع السليم المتفكر لاالمؤمن الاصطلاحى الفقهي تمت الثلاث. إنما جاء الله بتلك الآيات في خلال الدعوة إلى رد الشرك؛لأن الآيات الثلاث الأخرى من البديهيات عند المتفكرين_ أصحاب الفطرة السليمة_ قوله : **فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ** (59). إذا ثبت أن المجازاة لازمة. وهذا ثابت أيضا[3] في تاريخ الإنسانية أن كثيرا من الأقوام عذبوا في الدنيا، وجاء الأنبياء بالانقلاب العظيم فالمخاطبون بالقرآن أيضا يأتي لهم يوم[4] الانقلاب الكبير في الدنيا مثل ما أتى به الأنبياء الكرام فلايستعجلون. فإن الانقلاب يحتاج إلى إقامة نظام أعلى من الأول، وجمع الناس لذلك الأمر العظيم. أولا ينشئون الانقلاب ويهدمون القيصروية والكسروية ثم يقيمون نظاما أحسن من نظامهم، فجمع القوة لانتظام ذلك الأمرهو من أهم الأمور. إنما يتأخر

---

(1) في ن م : فهؤلاء لايفهمون المطلب.
(2) في ن م : التدبر.
(3) في ن م : المجازاة إذا تحقق أنها لازمة.وهذا أيضا ثابت.
(4) في ن م : يوم في الدنيا يوم الانقلاب الكبير.

الانقلاب لذلك. وإذا اجتمعت القوة الكافية لايكون بعد التأخير. قوله: **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** (60) هذا يوم الانقلاب. الانقلاب لأهل مكة كان يوم بدر. وللأرض يوم الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك الغلبة على كسرى وقيصر في زمن الشيخين. (1) وهذا المنهاج واجب أن ينتهجوه إلى يوم القيامة. ونحن نمدح في ذلك رجالا من تاريخ الإسلام مثل سلطان محمود الغزنوي(2) أنشأ الانقلاب في الهند، ومثل سلطان محمد خان الفاتح(3) ومثل السلطان قطب الدين(4) وصلاح الدين(5) الذين حاربوا أهل الصليب وأمثالهم. فالخلفاء الراشدون وهؤلاء الملوك المتدينون تركوا سننا صالحة للقيام بالانقلاب. فإن قصرنا في ذلك فالإثم كله علينا. (6)

---

(1) المراد منه أبوبكر وعمر الفاروق _رضي الله عنهما_الباحث

(2) سبق ترجمته.

(3)**السُلطان الغازي مُحمَّد خان الثاني بن مُراد بن مُحمَّد العُثماني** هو سابع سلاطين آل عُثمان وخامس من تلقَّب بِلقب سُلطانٍ بينهم بعد والده مُراد،وثاني من لُقِّب بِالـــ«ثاني» من سلاطين آل عُثمان، وأوَّل من حمل لقب »قيصر الروم «من الحُكَّام المُسلمين عُمومًا والسلاطين العُثمانيين خُصوصًا. يُلقَّب بِـــ«صاحب البِشارة» اعتقادًا من جُمهور المُسلمين أنَّ نُبُوءة الرسول مُحمَّد القائلة بِفتح القُسطنطينيَّة قد تحققت على يديه، كما لُقِّب في أوروپَّا بِـــ«التُركي الكبير) «بِاللاتينيَّة:) Grand Turco) لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%AD

(4) **قطب الدين أيبك** هو أول حاكم من المماليك على سلطنة دلهي، وهي أول دولة مستقلة في الهند، وكانت من قبل تتبع سلاطين غزنة من الغوريين.وكان قطب الدين قائدا ماهرا وحاكما عادلا يتمسك بالإسلام ويكره الظلم والعسف،ويبغض نظام الطبقات الذي كان سائدا بالهند،ويُنسب له في دلهي مسجد رائع، ذو منارة سامقة، ما تزال قائمة حتى اليوم تُعْرف باسمه "قطب منار"،ويصل ارتفاعها إلى 250 قدمًا. لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%B7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A3%D9%8A%D8%A8%D9%83

(5) يوسف بن أيوب بن شاذي،(532 - 589 هـ = 1137 - 1193 م) أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. نشأ هو في دمشق، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية، واشترك صلاح الدين مع عمه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة 559 ه فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية.لينظر: الأعلام للزركلي 8/ 220 -221.

(6) في ن م : يغفر الله لنا وللمؤمنين.

سورة والطور

الإنسانية لها نظام أما في الطبقة العليا، وتنتشر منه الأفراد على وجه الأرض مثل الكلي والجزئي. الكليات كلها تكون موجودة بوصف جزئي في موطن. والجزئيات تنشعب منها بصورة الانطباع والمعكوس. فنظام الجزئيات يرجع إلى الكلي. والله فطر الأشياء على نظام خاص بنوع نوع فلايمكن لنوع أن يخرج عن فطرته. كل من تجاوز عن حدود الفطرة يعني الأفراد عن حكم النوع إن كان فيها إدراك وتمييز فهي تتعذب بذلك، وتبتغي سبيل الرجوع إلى الفطرة النوعية. هذا العلم مركوز في الإنسانية بصور مختلفة. فإذا جاء على القوم زمان انحرف الأفراد عن إمام نوعها فرحمة بهم يأتي الله من بينهم بفرد ينبئهم على خطيئتهم ويسهل لهم طريق الرجوع أمثال هذا الرجل يسمى المنذرون، ومن بينهم يكون طائفة تسمى بالأنبياء. وفي الأنبياء أيضا مراتب متعددة . نبي يكون لقوم . نبي يكون لأقوام. نبي يكون لجميع الأقوام. فهؤلاء الأنبياء يمتازون عن عامة البشر ببعض علومهم وحالاتهم. عقلهم يكون فيه قوي بطنا بعد بطن. فالأمور العقلية عامة تؤخذ من المحسوسات، ولايكون في الانكشاف مثل المحسوس؛لكن هؤلاء الأنبياء تنكشف[1] الأشياء العقلية مثل المحسوسات، وذلك من الاستعانة من بطون عقولهم فيزداد بعضهم على بعض في الإدراك ببطن بعد بطن من العقل. فهذا النظام النوعي الذي يكون بسببه إمام النوع في السماء، وأفراد النوع في الأض، وبينهما أسباب موصلة للجذب والانجذاب. هذا نحن ندركه بعقولنا، [2]وينكشف ذلك على الأنبياء مثل المحسوسات. وهذا الانكشاف يفيدهم في تفهيم عامة الناس، وإنذارهم عن الخطأ. معلم الجغرافية في صنف إذا رأى تلك البلاد بعينه أقدر على تركيز المضامين في أذهان الطلبة بالنسبة إلى معلم قرأ جغرافية تلك البلاد من الكتب، فهذا الانكشاف يدفع عنهم كل شبهة، ويقدرون على رد كل شبهة . فإذا لم يقبل قولهم لايقدرون أن يكذبوا أنفسهم بل يوعدون الانقلاب في تلك الطائفة المكذبة؛لأن علمهم لايزول بحال. انكشاف إمام النوع، وربط الأفراد معه ينكشف عليهم بتمثيلات. ففي بعض الأحيان بمثل الشجرة لها أصول وأغصان وثمرات وأوراق. وربط كل

(1) في ن م : أتنكشف.
(2) في ن م : والأنبياء ينكشف ذلك عليهم.

شئ بأصوله مشاهد مرئي. هكذا يكون إمام النوع ربطه بأفراده. وفي بعض التمثيلات يظهر إنسان كبير عنده أولاد صغار هو يربيهم ويعلمهم ويؤدبهم ثم بعد تلك[1] التمثيلات ينكشف فعل الرب في الإنسانية. وبعد هذا الانكشاف يتم اليقين بأن هذا النظام لايمكن تبديله، والمنحرفون من الأفراد لايرتقون بأحكام النوع كأنهم يريدون تبديلها فهذا النبي يجاهدهم يعلمهم أن فكرهم هذا غلط فإذا لم يقبلوه يغنيهم من الأرض، ولايأتي في فهمه وهم لعله غلط في الفهم تم التمهيد. ومثل هذا الانكشاف وقع لموسى _عليه السلام_ على الطور. وجميع الانقلابات التي أوجدها بنوإسرائيل من نتائج هذا الانكشاف. قوله تعالى: **وَالطُّورِ (1)** هذا محل انكشاف تجليات الرب لموسى. **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3)** هذا هو التوراة. تلك الانكشافات تأثر بها القوة العقلية لموسى فخاطبه الله، وعلمه بقانون مسطور في أوراق. هذا العلم كله شعاع من ذلك التجلي ثم في دور داؤد وسليمان_عليهما السلام_ أنشأوا بيتا لتعليم ذلك الكتاب، وتذكير انكشافات الرب. هذا هو **وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5)** هو أيضا من نتائج التجليات التي انكشف على الطور. **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6)** غرق فيها فرعون. هذا أيضا كان من نتائج ذلك الإلهام الذي كان قبل ذهابه إلى مصر. فتلك الآثار موجودة في الأرض شهادات على **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) وذكر بعد ذلك قوله: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14) أَفَسِحْرٌ هذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ**

---

(1) في ن م : ذلك.

(25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوه إِنَّه هوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ 28. ذلك الانكشاف حصل لنبينا _عليه السلام_ وانكشاف التجليات لموسى_عليه السلام_ مسلم[1] عند الناس، وليس منحصرا في ذات موسى . فالنبي ينكشف عليه من مستقبل الإنسانية. المكذبون يدعون إلى نار جهنم. فتلك الواقعات كلها يراها النبي _عليه السلام_ثم المتقون يكونون في جنات ونعيم. وينكشف تلك الحالات على النبي. فهذه الانكشافات التي ظهر لموسى_عليه السلام_في تاريخ الإنسانية كلها متوافقة على أن الدين لواقع. والمفسرون عامة غلطوا في فهم تلك الآيات فجعلوها إخبارا عن الغيب الآتي وماجعلوها أمورا منكشفة على النبي في الحال كالأمثلة لأصل العلم فوقع الفرق في أخذ هذه المسائل. وعندهم تخيل حدث بعد المائتين: أن الكتاب ينزل على النبي مثل ما يعلم المعلم الصبيان أب ت ث, ويجعلون النبي من طبيعته فارغا عن جميع الأفكار. أتى له ملك من الملائكة فقال قل آ قل با فيقول مثل ذلك تلقين مثل هذه الأفكار لسفهاء الناس، وعامتهم بقوة ملكهم كان سهلا فاتخذوه أصل الدين. وهذا كله قلب الأمور إلى الوراء، والنبي لولم يبعث أيضا يأتي بانقلاب مثل هذا الانقلاب. طبيعته مجهولة على هذه الأفكار عقله غالب على عقول جميع المخالفين، وهو يقدر على معارضتهم؛لكن يكون في تطويل الوقت، فلاختصار الوقت يعلم بالوحي، وهو أيضا يكون نتيجة قوة كشفه في بطون العقول. فإذا أخذ تعليم الكتاب يكون كالإعانة في تنظيم الفكر لاشئ فوق ذلك. فهذا الانكشاف الذي انكشف للنبي من حالات أصحاب الجحيم، والجنان لوترجم عنه بعقله وفكره ماانتظم المضمون مثل ما[2]انتظم بالوحي. هذا البيان الذي نزل عليه عمدة شرح لما رآه، وعمدة تعبير لما كان يراه. فالأمر في قبول الكتاب، والرد عليه لايرجع إلا إلى قوة علم النبي لا إلى التعبيرات في الكتاب. فالمفسرون عامة يبحثون عن التعبيرات فقط، ويأتي عندهم أن هذا التعبير أولى من هذا. وهذا أمر أخبره جبرئيل، والنبي يخبر الناس فالناس يأتي في قلوبهم شكوك مثل ما يأتي في صورة الأخبار. المخبر يحتمل أنه لم يفهم الخبر، وأمثال ذلك من الشبهات. وإذا جعلوا هذا تعبيرا عن كشف انكشف عليه يأتي تلك الشبهات من أصلها، ويكون

(1) في ن م : كلمة " مسلم " لاتوجد.
(2) في ن م : كلمة " ما " لاتوجد.

المسئولية كلها على ذات النبي لا على الذي أخبره به؛لأن النبي يقول: أنا رأيت هذا، وعلمي قطعي لايمكن تغليطه أبدا؛لأنه مأخوذ من منبع الإنسانية، ومأخوذ من الرب، فهذا الانكشاف لايمكن تغليطه. هذا هو دعوى النبي_عليه السلام_. وهذا الانكشاف يثمر ثمرات مثل ما أثمر انكشاف التجلي على الطور. ففي تلك الحالة يتغير فهم السورة عن منهج عامة المفسرين. وبعد ذلك يقول الله تعالى: **فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29)**. شخصيتك مسلمة لست مثل الكهان، ولا المجانين فالذي تراه[1] هو الواقع. فالشرح[2] هذا أوصله إلى أفكارهم هذا هو معنى التذكير. مثاله رجل من أولياء الله رآى أن الحكومة الإنكليزية في الهند انهزمت واحترقت، وهو جازم برؤياه، وحاكم بصحتها فيخبر الناس فالناس لايصدقونه، فهو يأتي بمواقع ضعيفة في الحكومة، ونقاط الوهن فيها، فيعلم الناس تدبير غلبتهم على الحكومة,فالناس الذين كانوا يتفكرون في مثل هذه الأمور وجدوا ما ذكره هذا كأنه كان كامنا في ضمائرهم، وهو ذكرهم فقط. فالأنبياء ينكشف عليهم الواقعات من قدر الله القطيعة ثم يذكرون الناس به[3] قوله: **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31)** النتيجة تأتي كما أقول لكم. فأي خوف لنا من التربص؟ وفي هذا التربص يسري تذكير النبي من عقول أذكياء الأمة إلى عقول أوساطهم وأغبيائهم. فالتربص ليس بمضر لدعوة الأنبياء. قوله تعالى: **أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32)** ليس المسألة هل تأتي النتيجة أم لا؟ لأن هذا يتعلق بالمستقبل. أما فرض الوقت هو هذا. هذا الذي يقولونه هل يقولونه بعد تفكرهم تاما وجهدهم في إدارك الحق؟ فإن كان هذا فقد أدوا ما عليهم فلايستحقون العذاب. **أم هم قوم طاغون**. أي ليس ما يقولونه ناتجا عن فكرهم بل هو أثر طغيانهم أنهم في جاهليتهم غصبوا حقوق الناس تغلبوا على أموالهم، هتكوا الحرمات، قتلوا النفوس حفظا لجاههم ومالهم. الآن يرون لو انتشر هذا العلم في عامة الناس يقومون يدا واحدة لرد طغيانهم ويأخذون منهم حسابهم فحفظا لبقائهم على طغيانهم يقولون هذا ليس بشئ. لا:لا أفيكون نشر الهداية حفظا لطغيانهم ممنوعا؟

(1) في ن م : فالذين تروه لكن فالذي تراه أنسب حسب السياق.الباحث
(2) في ن : فانشرح.
(3) في ن م : بهذا.

تنبيه: القرآن لايفرق بين قوم وقوم ولابين المتدينين بدين موسى أو بدين الصابئة. من يكون طاغيا يهلك. فكيف أعمى الله أبصار علماء المسلمين إذا رأوا رجالا تدينوا بدين محمد_صلى الله عليه وسلم_ وطغوا على البلاد فلم لم يمنعوهم؟ وإذا أهلكهم الله وأوجد أسباب الهلاك لم يقوموا بنصرتهم أهذا دين محمد؟وهذا حكم القرآن. فلذا عرفنا أن المسلمين لايتوجهون إلى القرآن أبدا إذا كانوا تحت قيادة العلماء المحافظين على إسم الدين فقط. تم التنبيه.

قوله تعالى: **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَه بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)** ليس عندهم قوة الفكر[1] حتى عرض عليهم الأمر الحق يصد قوته هذا معنى الإيمان. **فما أنت بمؤمن لنا**. . رأينا الانقلاب في روسيا مثلا، ورأينا ملوكا من المسلمين يعملون مثل أعمالهم مثل أمير بخاري[2] أفلايفهم الإنسان أن مثل هذا الانقلاب يأتي عليهم أيضا؟ لكن هذا الفهم إنما يكون لرجال تعودوا التفكر في الأمور. وأما الجاهلون الحافظون لألفاظ القرآن، والمجودون الذين لايعرفون شيئا من المعاني هل يصدقون بذلك؟لا:لا: تم المثال.

قوله تعالى:**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِه إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)** إن كان عندهم تفكر رأوا أن هذا نتيجة الفكر فليأتوا بفكر آخر مثله في أمر يتعلق بأمور الناس أين عندهم فهم الاجتماع؟ وأين عندهم التفكر؟ قوله تعالى: **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ همُ الْخَالِقُونَ (35)** هم لايتفكرون هل خلقوا من شئ أم لا؟ هذا ابتداء جهلهم. وإذا لم يعرفوا خلقهم من ماء مهين، ولم يتفكروا في ارتقائهم الطبيعي لايجزمون بسنن الإنسانية أبدا فلايعرفون الجرم ولايعرفون العذاب **أم هم الخالقون**. . إذا لم ينظروا إلى خلقهم فيكونون خالقين لأنفسهم. فإذا اجترى جاهل على هذا وقال إني خالق نفسي فنسألهم **أم خلقوا السموت والأرض** فإذا اعترف أنه لم يخلق بالتدريج ينبه على خطيئته أن خالقهم من خلق السموت والأرض. فإذا تفكر في خلقه وعرف خالقه يعرف سنن الإنسانية ومعاقبة من ترك تلك اللوازم "**بل لايوقنون**" هذه الكلمات يقولونها خلقنا الله خالق السموت والأرض على سبيل العادة والرسم فقط. ولايتوجهون إلى تحصيل اليقين. قوله تعالى:**أَمْ عِنْدَهمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ همُ**

---

(1) في ن م : التفكر بدل الفكر.
(2) لم أطلع على ترجمته.

الْمُصَيْطِرُونَ. (**37**) يأتي في فكر هؤلاء لاتكلفونا بتحصيل اليقين، وتتركوننا على حالنا كماكنا. فقيل لهم: **أم عندهم خزائن**. . ألايحتاجون إلى أشياء كثيرة في معاشهم، ومعاش أولادهم فليتفكروا من أين يأتي لهم؟ إذ ليست عندهم خزائن الله. فالحاجة المعاشية لايجوز أن يترك الناس سدى بل إما يسعون لتكميل حاجاتهم، وهذا يحتاج إلى تحصيل اليقين وإلى المجاهدة في اكتساب الفنون وإما يتركون جيعان عريانا يموتون ولايبقى لهم باقية. فهذا إلا خبر لايجوزه واحد فلابد من تحصيل اليقين. قوله :**أم هم المصيطرون**. . **أم عندهم الحكم**. . يأخذون من رعاياهم ما يشاؤون. ومثل هذه الغلبة أيضا تحصل باجتهاد قوله: **أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيه فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** (**38**) يقول طائفة منهم لنا اتصال بالغيب مثل ما يأخذ العلم هذا النبي. نحن أيضا نأخذ فلاحاجة لنا إلى اتباع هذا النبي فقيل لهم **أم لهم سلم**. . يستمعون من الغيب شيئا يكون غلبة هذا القوم على الأقوام؛لأن هذا النبي يأتي ببرنامج يحكم اتباعه على جميع الأقوام فهم أيضا يأتون ببرنامج يكون به غلبة على الأقوام عجبا لهم. معرفة في ربهم هكذا: قوله تعالى: **أَمْ لَه الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ** (**39**) كل ماتفكر إنسان في وصفين: أحدهما أعلى من الآخر. تأولوا العقول دائما يثبتون الأعلى للحق. وأمر هؤلاء[(1)] معكوس لهم. لأنفسهم البنون، ولله البنات فعلم بذلك مبلغ معرفتهم بالله قوله تعالى: **أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ** (**40**) هؤلاء[(2)] يتركون طريقك ويتبعون طريقا آخر قد تبين ليس ذلك. أن الآخر أهدى من طريقك فلعلهم يخافون من مغرم إذا اتبعوك، وليس ذلك بل يؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم. [(3)] منصب النبي ليس إلا التقسيم بالعدل لايجمع لنفسه شيئا من أموالهم. قوله: **أَمْ عِنْدَهمُ الْغَيْبُ فَهمْ يَكْتُبُونَ** (**41**)يعني أنهم جازمون بأن الغلبة تكون لمن لقي[(4)] النبي ــعليه السلامــ قوله:**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا همُ الْمَكِيدُونَ** (**42**)ولنا في تفسير الكيد ملاحظة مخصوصة:يقوم جماعة الانقلاب؛لأنهم كانوا مظلومين تحت

---

(1) في ن م : وهؤلاء أمرهم

(2) في ن م : الذين

(3) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»لينظر:صحيح البخاري,الإمام البخاري,رقم الحديث:1395.

(4) في ن م : لمخالفي النبي لكن" لمن لقى النبي" أنسب حسب السياق.الباحث

قهر المستبدين، فنظموا إدارة للانقلاب. وإذا مشوا على ذلك يفوزون به فيأتي جماعة من المستبدين ويتعلمون طريق الانقلاب ثم ينشأون إدراة لحفظ طغيانهم عكس الانقلاب ويخفون ذلك. هذا هو كيد ومكر لما أنزل الله كتابه لإنشاء الانقلاب الكبير على العالم ونظم النبي إدارة له. قام من الظالمين جماعة أخذوا يخافون يخفون إدارة الانقلاب لعكس الانقلاب، فهذا يسميه القرآن بالمكر والكيد. الانقلاب يكون غالبا عليهم، وهم يظنون أن عكس الانقلاب يفوز. نرى في هذا الزمان المطامع والماكينات لانتشار الأفكار، واجتماع الناس العمومي تزيد كل يوم. وهذا يستوجب الانقلاب للعمال على الرأسماليين. وبدأ إنكلتره واليابان وإيطاليا وألمانيا يعملون أعمال الانقلابيين لحفظ الرأسماليين. وأنا بحمده جازم بأنهم يخسرون قطعا ولوبعد زمن. هذا هو الكيد. الأمر الحق يظهر فيسعون في إبطاله يعين تلك القوة وتحته انقلاب آخر أصغرالهند، وفي الهند رأسمالي أكثرهم,والمسلمون أكثرهم عمال، وقليل منهم من الرأسماليين. وهذا انقلاب عالمي يؤثر في الهند لازما، ويستخلص المسلمون من كيد المرائيين. وبدأ قليلا قليلا. فالطائفة الرأسمالية_ إنكلتره والهند_، وقليل من المسلمين يجتمعون لعكس الانقلاب لحفظ الرأسمالية ويمنعون عامة المسلمين عن الانقلاب بإسم الإسلام قاتلهم الله، وإنكلتره لشيطنتها تجمع مركزا في بلاد المسلمين خارج الهند يحوم المسلمون الذين اتبعوا [(1)]إنكلتره حوله، ويجعلون إدارة هذا بإسم الدين فهم يحكمون أن الخلاف على الرأسمالي والقيام عليه مخالف لحكم الإسلام. ويجتمع في تلك الإدارة الرأسماليون من المسلمين ويقومون بكل قوتهم لتأييد إنكلتره بمنع عامة المسلمين في الهند للقيام على إنكلتره. الله عالم الغيب[(2)]؛لكن القرآئن تقتضي أن هذا كائن لامحالة. ونرجو من الله أن يهلك جميع الرأسماليين، ولوكانوا مسلمين؛لأن إسلامهم يأمرهم بالظلم على الأقوام ولايكون أبدا_ إن شاء الله_ ولايفوزون أبدا. [(3)] هذا[(4)] ذكرت لكم هو أعلى مثال عندي للكيد. القرآن يأتي بإبطال تلك الحكومات الملعونة الغاصبة على حقوق الناس، والناس يجعلون تأييد حكومة الفراعنة على حكم القرآن. فأي مكر أمكر من هذا في الإمكان؟قوله تعالى: **أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43)**

---

(1) في ن م : هم تابعون.
(2) في ن م :بالغيب.
(3) في ن م: والله حاكم علي غيبه.
(4) في ن م: فقط.

هم يريدون الكيد لإبطال حكم القرآن باتباع منهج القرآن. فإن كان إلههم هو الذي أنزل القرآن كيف يرجون منه الفلاح؟ فالظاهر أن لهم إلها غير الله. وهذا الإلزام ماكان المشركون المخاطبون بالقرآن يقبلون لأنفسهم. قوله تعالى: **وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44)** هم يمشون في غيهم أن الذي مكرنا به هو كاف لرد الدعوة القرآنية، ويكونون في هذا الغير إلى أن يأتي يوم فيه يصعقون. قوله تعالى:**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47)**. هذا موتهم، وصعقتهم التي تأتي عليهم ليس هو العذاب لتكذيبهم بل عذابهم دون ذلك أيضا؛لكن أكثرهم لايتنبهون أن تلك الحالات السيئة إنما طرءت عليهم لظلمهم. قوله تعالى: **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48)** مثل ماكان موسى غضب على فرعون. وهذا تفسير تجلي الطور. كذلك أنت واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ننظر إليك في جميع شيونك رأسا **فَسَبِّحْه وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)**.

عندي في قول **حين تقوم** ملاحظة:المراد منه دعاء الاستفتاح. واختار عمر بن الخطاب **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك**[1] واتبعه الإمام أبوحنيفة؛لكن الأمر لايكون للوجوب. والمراد من إدبار النجوم طلوع الفجر. ويمكن أن يكون المراد من حين تقوم" القيام من النوم" فيكون المراد صلوة الظهر تتمة سورة الطور.

قوله :**والبيت المعمور والسقف المرفوع** :عامة المفسرين على[2]:أن البيت المعمور قبلة الملائكة في السماء السابعة[3] جاء ذكره في بعض المعراج. ونحن فسرناه ببيت المقدس. عمر في زمان سليمان. عندنا القسم بشئ لايعرفه المخاطبون إلامن جهة المتكلم لايجدي شيئا. فالمراد بالقسم هو الإشهاد بذلك على الدعوى. فهل يتم الإشهاد إذا لم يعرفه المخاطب إلا من قبل المتكلم؟ لكن عامة

(1) لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام ابن كثير الدمشقي،409/7.
(2) في ن م : " هذا" لاتوجد.
(3) يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره عن الآية المذكورة:كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة،ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور، لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة..لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام ابن كثير الدمشقي,398/7.

المفسرين لايرون معنى القسم" الإشهاد"بل المراد من القسم عندهم عد الأشياء المتبركة فقط[1]. فلما كان تفسيرهم هذا ضعيف لنظم القرآن كان تعيين المعنى أيضا بعيدا. "**والسقف المرفوع**" اتفق عامة المفسرين على أن المراد منه "السماء"[2] ونفسره بسقف مسجد القدس أيضا. فالاستشهاد بالبيت المعمور كان وقوع الجزاء الصالح. بنوإسرائيل استقاموا على شريعتهم في زمن داؤد وسليمان_عليمها السلام _ فوقعت لهم المداينة بتعيين مركز ديني معمور يأتيه الأمم لرؤيته، ويتبركون به ثم "**السقف المرفوع**" هو جزاؤهم عند تركهم الشريعة، فهذا السقف المرفوع يعنى بيت المقدس كان خاليا عن الناس فهذا جزاء تمردهم. فالاستشهاد بكلتا الحالتين يكون مناسبا لوقوع المجازاة الدنيوية وقع في التوراة؛لكن إن[3] انقلبتم وتركتم فرائض ووصايا التي جعلتها إمامكم وذهبتم وعبدتم آلهة آخرى، وسجدتم لها فإني أقلعهم من أرضي التي أعطيتهم إياها. وهذا البيت الذي قدسته لإسمي أطرحه من أمامي وأجعله مثلا وخدعه في جميع الشعوب. وهذا البيت الذي كان مرتفعا كل من يمر به يتعجب، ويقول لماذا عمل الرب هكذا؟ ألهذه الأرض ولهذا البيت؟ ج: يقولون من أجل أنهم تركوا الرب إله آبائهم من 21 إلى 22 من الباب السابع من تاريخ الثاني. فهذا البيت عبر عنه وقت خرابه بالبيت المرتفع. هذا عندنا هو السقف المرفوع[4]. هذا جزاء بني إسرائيل ثم البحر المسجور جزاء لفرعون، فتم الاستشهاد بهذه الأقسام على **أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع**.

(1) ليراجع للموضوع المذكور تفسير القرآن العظيم للإمام الدمشقي,أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام الشنقيطي وغيرهما من التفاسير القيمة عند أهل السنة.

(2) قوله تعالى: "والسقف المرفوع"قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة عن علي والسقف المرفوع يعني السماء. قال سفيان ثم تلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,399/7.

(3) في ن م : كلمة" إن" لاتوجد.

(4) لم أجد التفسير المذكور عند أحد من المفسرين حسب مطالعتي أنا.لعل الشيخ السندي بنى تفسير الآيات المبتدئة من سورة الطور على قاعدة الإشهاد.الباحث

سورة النجم

هذا من حسن ترتيب السور في المصحف. تجلي الطور لموسى، وتدلي رب محمد عليه على السموت والأرض عند سدرة المنتهى. جزئيان تحت كلي واحد تقرب الرب إلى عبده له نوع مخصوص، وإسم مخصوص. في حكمة الإمام ولي الله: تجلي الله في حجر البحت للكامل. هذا التقرب سواء حصل في الأرض أو[1] في السموت شئ واحد. فسورة النجم فيها تقرب النبي إلى ربه مثل تقرب موسى لربه على الطور فكان في التعقيب من اللطافة ما لايمكن بيانه. النبي ـعليه السلامـ انكشف عليه التجلي الأعظم في حظيرة القدس الذي هو مرتقى البصر مرتين في حالة علوه، وفي حالة نزوله، والنبي ماترعرع مثل ما وقع من موسى على الطور قوله تعالى: **وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** [2]. وهذا كان بسبب اختلاف مزاجي النبيين: 1 كان في مزاج موسى حدة فالتجلي أيضا في نظره مع الحدة كما أتاك 2 :أما مزاج النبي معتدل غاية الاعتدال لجميع الحالات المتضادة، ويضع كل حالة على موضعه فكان في رؤية التجلي مثبتا. وهذا القرآن كله تعبير عما انكشف عليه في تلك الحالتين وتفسير له. هذا عندنا معنى النبوة ليس هو كلاما مصنوعا من الأول ثم يأخذ العقل منه المعنى ثم ينهضم ذلك المعنى في طبيعة النبي ويصير له حالا بل الأمر بالعكس. الحالة الانكشافية تستقر في قلب النبي أولا ثم يحتاج إلى التعبير عنها ويلهم ألفاظ منظمة مترتبة مما احتضنه دماغه فيصير كلاما. فالمقابلة مع الأنبياء في الشرائع، والكتب غير صحيحة. من يقوم بخلافهم لازم عليه أن يكون صاحب انكشاف أعلى من هذا إذ ليس فليس المقابلة. الأمور الانكشافية من التجليات في اصطلاح الإمام ولي الله تستقر في لطيفة في نفس النبي يسمى بالحجر البحت، فمنه ينتقل الكلام إلى عقله. ولطيفة نفس النبي تؤثر على لطيفة النفس الأخرى؛لكن الحجر البحت يكون ممتلأ بتجلي الرحمة القائم على العرش الظاهر في حظيرة القدس النازل إلى قلب إمام النوع الإنساني، ومثله ينزل إلى قلب النبي. وهذا التجلي النازل ينزل مع محل استقراره من الملائكة. مظهر التجلي يكون ملكا من الملائكة المقربين، وبانتقاله ينتقل

(1) في ن م : أو حصل.
(2) الأعراف: الآية : 143

التجلي. فالنار التي رآها موسى كان التصور أخذه الملك الحامل للتجلي صورة النارية لجذب موسى إلى نفسه؛لأنه كان محتاجا في تلك الحالة إلى النار. هذا الذي قررناه نبذة من حكمة الإمام ولي الله، ويرتفع بذلك الخلاف بين المفسرين في سورة النجم. المرئي للنبي هل كان الله أو ملكا من الملائكة؟فهذه التشويشات كلها من رجال أهل العلم صحابيا وغيرهم ممن لم يمارسوا أمور التجليات، ولاأخذوها عن إمام مجرب لما سمعوا الألفاظ من الرواة ذهب تخيلهم إلى صور مختلفة فدل على أنهم لايعرفون يمكن أن يكون[1] منهم صاحب نسبة مع التجليات؛لكنه ليس صاحب بيان قطعا فيتجلجل لسانه في بيان الحقائق. وهذا أمر فضل الله به على المتأخرين من الراسخين في العلم لما نضج عندهم الفلسفة والانكشافيات، وتطابق كل واحد مع الآخر وصارموافقا لألفاظ القرآن فتوافق العلم والنقل والكشف فقدروا على بيان الحقائق ما لم يقدر عليه المتقدمون. وهذا كان في الألف الثاني في الهند كان ابتداؤه من الشيخ أحمد السرهندي[2] وتم نصابه عند الإمام ولي الله الدهلوي، ولم يخبرنا أحد من الأمم المتفاخرة برجال يضاهؤن هؤلاء في العلم. **وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** [3]. قوله تعالى: **وَالنَّجْمِ إِذَا هوَى (1)**. النجم إذا غاب يطلع الشمس. فالعقل المعاشي والتدبير الصافي الذي كانوا يعرفونها من النبي قبل نبوته كأنه غاب. وغيبوبة النجم تكون بطلوع الشمس. هنالك طلعت شمس النبوة فهم كانوا يتوهمون أن النبي لما كان متكامل العقل أولا. الآن تغير حاله فكان يأتي في فكرهم أنه نزل من الملأ الأعلى إلى المقام الأدنى ففسد فكره ولايعرف المقاصد، فالقرآن نفى ذلك. **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2)** هذا صحيح أن النور الذي كان يظهر منه أولا صارغائبا، لكن ليس لضلالة وغواية بل لارتقائه إلى مرتقى لايصل إليه كل إنسان بل رجل واحد من البشر مكتوب له أن يصل إلى تلك المرتبة فانكشف عليه تلك الحقيقة كلها، فالآن يخبر عنها بالقرآن هذا معنى قوله: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. . . . (3)** تنبيه: ضل هنا كثير من المفسرين المتأخرين, ففسروا جميع ما يتكلم النبي أنه وحي. هذا التباس عليهم في مراتب الولاية الكبرى يكون محل فنائه عن الوجود الظلماني وبقائه بالوجود الروحاني، فلايظهر من جسمه حركة

(1) في ن م : رجل.
(2) سبق ترجمته.
(3) سورة البقرة:الآية:105

إلا هو أمر من الروح ليس بتخييل وتفكير جسماني. ومن أراد مثالا لذلك فليقرأ فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني[1] هو يقول:" أنا لا آكل, ولاأشرب حتى إذا قيل لي كل,واشرب[2]". وقس عليه التغيرات الأخرى. ويسمون هؤلاء الأكابر بالأبدال. وتلك منزلة عالية للإنسانية ثم في الأبدال أيضا يكون مراتب فسيد الأبدال ورأسهم منزلة لايحوم حولها[3] فكرعامة الناس. هؤلاء المتأخرون جعلوا مرتبة النبوة أيضا مثل مرتبة الأبدال[4]. وهذا لقلة ضبط علم الحقائق بواسطة الراسخين في العلم. كثير من الناس يتكلمون في الحقائق وينشرون كتبا ضخمة، وهم لايكونون إلا من المبتدعين فالذين لايعرفون ذلك العلم يغترون برجال ليس لهم منزلة عالية في علم الحقائق، وتلك زلة يغفر عنها. قرر الإمام ولي الله: أن النبوة منبعها غير منبع الولاية ويكون من جنسهم أولياء أيضا هم الصديقون, والحكماء فقط. فإذا أخذنا علوم النبوة بواسطة حكيم لايقع في مثل ذلك الالتباس. فتلك الحالة **وما ينطق عن الهوى** للنبي لايكون إلا في وقت وحي القرآن. أما في غير تلك الحالة هو بشر مثل إخوته وأصحابه. فالإنسان إذا طالع العبقات تامة ينكشف عليه الفرق. ذلة عظيمة. هؤلاء الملتبسون عليهم اشتغلوا بعلم الحديث فصححوا كل حديث صدر من الأولياء. ونسب الأحاديث إلى الأنبياء من لم يعرف الفرق. قد اشتهر بين المحدثين لم نر الصالحين في شئ

---

(1) هو عبد القادر بن موسى الحسني،محيي الدين الجيلاني،مؤسس الطريقة القادرية.من كبار الزهاد والمتصوفين.ولد في جيلان (وراء طبرستان) في عام 471ه،وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف،وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث،واشتهر.وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها عام 561ه من مؤلفاته : الغنية لطالبي طريق الحق ، فتوح الغيب، الفتح الرباني، الفيوضات الربانية وغيرها انظ:الأعلام للزركلي 4/ 47-48.

2 لم أجد هذا القول صراحة في فتوح الغيب،لعل الشيخ السندي ذكره بناء على ذاكرته.لينظر:فتوح الغيب،الشيخ عبدالقادرالجيلاني(ت:561ه)محقق: عبد العليم الدرويش،الناشر: دار الهادي ومكتبة دار الزهراء، الرياض - المملكة العربية السعودية.

(3) في ن م : حوله

(4) هذا المصطلح من مصطلحات الصوفية،يستعمل في التصوف للأولياء الكاملين.الباحث.وقال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون" إنّ لفظ الأبدال في اصطلاح الصوفية هو لفظ مشترك، فهو يطلق تارة على جماعة بدّلوا صفاتهم الذميمة بالصفات الحميدة وليس عددهم محصورا، وتارة يطلق على عدد معيّن؛ وعلى هذا فبعضهم يطلق هذا الاصطلاح على أربعين شخصا لهم أوصاف مشتركة، وبعضهم يطلق اسم الأبدال على سبعة رجال، ومن هؤلاء قوم، على أنّ الأبدال هم غير الأوتاد، بينما يقول آخرون: إن الأوتاد هم من جملة الأبدال. واثنان من الأبدال هما إمامان وهما وزيرا القطب والآخر هو القطب.".لينظر:موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)87/1،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي،الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،ط: الأولى - 1996م.

أكذب منهم في الحديث. هذا القول في صحيح مسلم نقله عن يحي بن سعيد القطان[1] ثم فسره مسلم[2] بقوله: يجرى الكذب على لسانهم[3]ولايتعمدون الكذب، فالإكثار من الأحاديث والاعتماد على كتب الإمام السيوطي، [4] والمتقي الهندي[5] بل على كتب الحافظ ابن حجر[6] بل على كتب مشائخه من العراق، وصاحب[7] مجمع الزوائد كلها يبعد الإنسان عن منزلة النبوة إلى منازل الأولياء. هذا إذا كان في جماعة خاصة من المسلمين يتحدثون في مابينهم لايظهر أثر الضرر. وأما إذا بلغت تلك الأحاديث أقواما غير مسلمة فترون ما يفسد به تعليم الإسلام، ويجعلونه مشككا مثل إبهام الإنجيل والتوراة فالواجب على صاحب الفهم أن لايأخذ الحديث إلامن الحكماء، ولايعتمد في كتب الأحاديث إلا على الستة الموطأ، البخاري، مسلم في الطبقة الأولى, أبوداؤد، الترمذي، النسائي في الثانية[8]. ويأبى نفسه عن أخذ حديث من غير هذه الأصول.

---

(1) يحيى بن ســـعيد بن فروخ ، الإمام الكبير ، أمير المؤمنين في الحديث أبو ســـعيد التميمي مولاهم البصـــري ، الأحول ، القطان ولد في أول ســنة عشــرين ومائة قال ابن ســعد: كان يحيى ثقة مأمونا رفيعا حجة.توفي يحيى بن سعيد في صـفر سنة ثمان وتسعين ومائة قبل موت ابن مهدي وابن عيينة بأربعة أشـهر - رحمهم الله تعالى. لينظر: ســير أعلام النبلاء ت: شــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هــــ) 177/6-180 الناشر: دار الحديث- القاهرة ط: 1427هـ-2006م.

(2) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوريّ، (204 - 261 هـــ = 820 - 875 م)أبو الحسين: حافظ، من أئمة المحدثين.ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه صحيح مسلم.لينظر: الأعلام للزركلي: 7/ 221.

(3) عن محمد بن يحيى بن ســـعيد القطان، عن أبيه، قال: «لم نر الصـــالحين في شـــيء أكذب منهم في الحديث» [ص:18] قال ابن أبي عتاب: فلقيت أنا محمد بن يحيى بن ســـعيد القطان،فســـألته عنه،فقال: عن أبيه، «لم تر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث». قال مسلم: " يقول: يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدون الكذب "لينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ت: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـــ) 1/ 17،باب كشف معايبب رواة الحديث ونقله،ت: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(4) سبق ترجمته

(5) علي بن عبد الملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي(888 - 975 هـــ = 1483 - 1567 م) علاء الدين الشـــهير بالمتقي: فقيه، من علماء الحديث. أصـــله من جونفور، ومولده في برهانفور (من بلاد الدكن، بالهند) سكن المدينة. ثم أقام بمكة مدة طويلة، وتوفي بها. له مؤلفات في الحديث وغيره، منها " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ومختصر كنز العمال و منهج العمال في سنن الأقوال.لينظر: الأعلام للزركلي 4: 309-310.

(6) سبق ترجمته

(7) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي،(735 - 807 هــــ = 1335 - 1405 م) أبو الحسن، نور الدين، المصـــري القاهري: حافظ.له كتب وتخاريج في الحديث، منها " مجمع الزوائد ومنبع والفوائد" وغير ذلك من الكتب القيمة.لينظر: الأعلام للزركلي,266/4.

(8) إن هذا الترتيب للكتب الستة من الإمام ولي الله الدهلوي كما في حجة الله البالغة.الباحث

وليس معناه أن يأخذ بكل ما روي في هذه الستة بل يرتبها بجمع الأسانيد على ثلاث مراتب: 1- المتواتر[1] قليل. 2- المستفيض[2] كثير. الدرجة الثالثة:غريب[3] من الصحاح أو الحسان فلايتوجه إلى الثالثة إلا إذا اعتمد عليها حكيم. والناس بغفلتهم إذا رأوا حديثا منسوبا إلى هذه الأصول يأخذون به، وإن كان صرح بأنه ضعيف فلايتحملون مشقة. نصفح الأسانيد. فهؤلاء لايجوز لهم مس تلك الكتب. وحرام على الناس أن يقتدوا بهم. الحكيم لايأخذ الحديث إلا من تلك الأصول فقط. ولايأخذ إلا بالمستفيض. وإذا احتاج إلى غريب فينظر إلى عمومات القرآن. هل تؤيد ذلك الحديث؟ وينظر إلى أهل الحل والعقد من المسلمين هل يقبلونه ؟ فإذا اطمأن من الجهتين يأخذ بغرائب الصحاح والحسان. وأما ما نص في تلك أنه ضعيف أو أشير إليه فلا يأخذون به إلا في موقع اعتماده على آرائهم، ورأيهم يكون موافقا لهذا الحديث الضعيف، فالغافل يفهم أن الحكيم أخذ بحديث ضعيف، وهو يريد أن يقتدى به وأنى له ذلك؟ (كلمة فصل). إن كان الإسلام جاء من الله لهداية نوع البشر وإقامة جميع الأديان فالتعلق بالقرآن ألزم. والحديث يؤخذ به على سبيل المثال أوعلى سبيل الاعتماد على رأي. القرآن فوض الأمر إلى آرائنا، ورأينا موافق للحديث. أما إذا كان المراد من الإسلام هو إقامة دين يقوم من العرب والعجم لالجميع البشر فالأخذ للحديث قبل القرآن ألزم تم. [4] مشائخنا في ديوبند إلى شيخ الهند كانوا حكماء أو ممن أخذ من الحكماء. إلى ذلك الزمان كان علم الحديث عندنا له شأن. وبعد شيخ الهند قام مقامه الشيخ أنور شاه الكشميري[5] وكان مذاقه مذاق السيوطي وأتباعه لاذوق الإمام ولي الله وأصحابه فالذين

---

(1) المتواتر لغةً: هو اسم فاعل، مشتق من التواتر، أي التتابع، تقول: تواتر المطر، أي تتابع نزوله. اصطلاحًا: ما رواه عدد كثير، تُحِيل العادة تواطُؤَهم على الكذب.لينظر: تيسير مصطلح الحديث ت: أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان, 23 الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط: الطبعة العاشرة 1425هـ-2004م.

(2) المستفيض لغةً: اسم فاعل، من "استفاض" مشتق من فاض الماء وسمي بذلك لانتشاره. اصطلاحًا: اختلف في تعريفه على ثلاثة أقوال،1: هو مرادف للمشهور. 2:هو أخص منه؛ لأنه يشترط في المستفيض أن يستوي طرفا إسناده، ولا يشترط ذلك في المشهور.3: هو أعم منه،لينظر:تيسير مصطلح الحديث 32-33.

(3) الغريب لغة: هو صفة مشبهة، بمعنى المنفرد، أو البعيد عن أقاربه.اصطلاحا: هو ما ينفرد بروايته راوٍ واحد تسمية ثانية له :يطلق كثير من العلماء على الغريب اسما آخر، هو "الفرد" على أنهما مترادفان، وغاير بعض العلماء بينهما، فجعل كلا منهما نوعا مستقلا، لكن الحافظ ابن حجر يعدهما مترادفين لغة، واصطلاحا، إلا أنه قال: إن أهل الاصطلاح غايروا بينهما من حيث كثرة الاستعمال وقلته، فـ "الفرد" أكثر ما يطلقونه على "الفرد المطلق"، و"الغريب" أكثر ما يطلقونه على "الفرد النسبي.لينظر:المرجع السابق نفسه بتصرف يسير 38-39.

(4) في ن م : تمت المقدمة إنما أطنبنا في ذلك.

(5) قد سبق ترجمته.

أخذوا عنه هم فقهاء حنفية محققون، وفي الحديث ضعفاء، وتأذينا[1] بذلك. الآن رجع الأمر إلى الشيخ حسين أحمد، [2] وهو يقدر[3] على إصلاح ما أفسده أنور شاه إلا في نحو عشرين سنة_ إن شاء الله_. والشيخ أنور شاه كان عالما زاهدا إماما في البلاغة جامعا بين الأصول والمعقول مستوعبا للأحاديث صحاحها وضعافها، وغاية همه استخراج وجه لمذهب أبي حنيفة_رحمه الله_ وجواب من انتقد على الحنفية من المتقدمين ومن أهل عصره، وكان في ذلك آية، وكان متقيا_رحمه الله_كان يعلم الناس أن كل ما قاله النبي كان بالوحي. والإمام ولي الله صرح في فتح الرحمن: أن ذلك ليس إلا القرآن ننقل لفظه: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)** سخن نمي كويد أز خواهش نفس. **. إِنْ هوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)** نيست قرآن مكر وحي كه بسوى او فرستاده مي شود. [4] **عَلَّمَه شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىَ (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِه مَا أَوْحَى.** . (10) الظاهر أن شديد القوى، وذو مرة هو جبرئيل فاستوى أي جبرئيل يعني جمع جميع قواه، وتشكل بصورته الأصلية. **وَهوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى**. وهذا الأفق في عالم المثال[5] لا في عالم الأجسام كما يكون للإنسان انتقالا من الإدراك بالحواس إلى الوهم والخيال ولايعارض أحدهما الآخر. كذلك يكون للكاملين انتقال من الجسمانية إلى المثالية، والجمع بينهما بدون[6] معارضة. فالأفق الأعلى أفق عالم المثال **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى** أي جبرئيل وهو على حالة مستقيم . والملائكة إذا نزلوا إلى الأرض يتركون استعمال بعض القوى العالية وإلا لايتيسر لهم النزول؛لكن جبرئيل ما ترك شيئا في تلك الحالة من القوى العالية، واستقام على استوائه ثم نزل إلى موضع يمكن النزول بتلك الشريطة. هذا عندنا معنى قوله: **دنى فتدلى**. كما أن جبرئيل

---

(1) في ن م : تأدبنا.

(2)هو الشيخ السيد حسين أحمد بن حبيب الله.أصله من مديرية فيض آباد بولاية يوبي (الهند). ولد سنة 1296هـ=1879م ببلدة "باكر مئو" بمديرية أناؤ.تلقى مبادئ العلوم في بلدة "تاندة "بمديرية فيض آباد ثم التحق بدار العلوم ديوبند الإسلامية، وتعلم على شيوخها البارعين، كالشيخ الأديب ذوالفقار علي وغيره.عين رئيس المدرسين مكان الشيخ المحدث أنور شاه الكشميري،كان نائبا عن شيخ الهند في حركة تحرير الهند، واستفاد منه الألوف من العلماء والعوام.من مؤلفاته : نقش حياة والشهاب الثاقب. توفي سنة 1377هـ= 1957م بمدينة ديوبند ودفن بها.لينظر: نزهة الخواطر: 1214/8 .

(3) في ن م : لايقدر.

(4) فتح الرحمن بترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية،للإمام الشاه ولي الله الدهلوي,سورة النجم,529 مط:كروه علمي فرهنكي موحدين.

(5) قد مر الكلام عن الاصطلاح المذكور.الباحث

(6) في ن م : بلا

نزل مع استوائه كذلك نبينا ارتقى مع استوائه ما ترك شيئا من قواه الأصلية. وفي هذا الاستجماع ارتفع[1] إلى موضع متقارب لما نزل إليه جبرئيل فتدلى صار أحدهما مقاربا للآخر، وكلاهما على الحالة الأصلية. قوله **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىَ**. ولنا في تفسير هذه[2] الآية ملاحظة مخصوصة : القوس الأصلي يكون مركبا من قوسين، ومقبض هذا القوس الذي يتخذ من خشب، ومن قرن يكون شكله على ما رسمه مولانا هكذا. [3]

فإذا أراد رجل أن يستعمل القوس هو يمد الزه بجميع قوته، ويتقارب[4] الأذنان من القوسين ثم يترك السهم فهذا تقارب القوسين له حد إذا تجازر ذلك الحد ينكسر القوس. رجل قوي يريد أن يمد الزه إلى آخر ما يمكن، ولايقدر على جمع القوسين، وتقاربهما إلا رجل قوي الشكيمة. فإذا جاوز الحد القوسان يمد الزه ينكسر القوس. فالرجل الرامي حتى يجعل القوسين متقاربين لايمكن فوقه هذا[5] نسميه" قاب قوسين". جبرئيل نزل بتمام قوته، والنبي ارتفع بتمام قوته فاتصلا في موضع بقي البعد فيهما الذي لايمكن حذفه[6] إلا بعد كسر أحد القوسين إما من جبرئيل وإما من النبي فتوضيحا لذلك المقام عبر عنه ب "قاب قوسين" يفهمه الرامي المجرب على الفور. إلى هذا ما رأينا أحدا من أهل العلم توجه، وتعجبنا لفرضهم أمور مستنكرة لشرح الآيات القرآنية، ويقولون كانت العرب يقيسون الفاصلة، ويأخذون القوسين بأيديهم، ورأينا كما أنهم اجترؤواعلى وضع الأحاديث هكذا اجترؤوا على نقل عادات العرب في الجاهلية ففرضوا أمورا يوافق هواهم، ونسبوها إلى العرب. هذا كله كان شرح هذا المثال فقط. الآن نرجع إلى المعنى. النبي قلبه مظهر لتجلي الإلهي، وجبرئيل مظهر لذلك التجلي بعينه فهما يتقاربان فينظر النبي أن التجلي في قلب النبي كيف يظهر آثاره وصورته بعد ما استيقن بوحدة التجلي مع اختلاف الآثار؟ تمت معرفته بالتجلي. ومثل ذلك لايكون لحملة العرش أيضا؛لأنهم يعرفون التجلي بوجه خاص لابوجوه مختلفة.

(1) في ن م : ارتقى
(2) في ن م : تلك
(3) لعل الكلام من موسى جار الله.الباحث
(4) في ن م : ويقارب
(5) في ن م : كلمة"هذا" لاتوجد.
(6) في ن م : إحدى القوتين

وفي تلك الحالة لما تقابل التجلي مع التجلي **فأوحى إلى عبده إلى ما أوحى**. فانتظمت الرواية والفهم. هذا ما أوحى مبهم. نحن قرأنا في حكمة الإمام ولي الله : أن النبي يوحى إليه جميع ما يريد الله وحيه إليه في موضع ما مرة واحدة ثم يأتي تفاصيله حسب الواقعات، وهو يعرف الأصل ويقدر على التنظيم تنظيم الوحي التفصيلي بعضه من بعض. والشيخ صرح بأن تلك الحالة تكون أول ما يأتي إليه الوحي، ونحن أبهمنا فجعلناه في موضع ما؛لأن عندنا معنى الأولية في كلام الشيخ بعد ماتكامل استعداد أخذه جميع العلوم؛لأن استعداد النبي في أخذ الوحي لايكون متكاملا في أول يوم فإذا تكامل في أول وقت يأتي إليه الوحي تاما. هذا معنى كلام الشيخ عندنا. فعندنا يكون واقعة سورة النجم في مثل تلك الحالات. وهذا تخمين منا _والله أعلم بأموره_. وبهذا الطريق ينتظم أول الوحي أيضا. قال جبرئيل للنبي إقرأ فقال: ماأنا بقارئ[1] فلما أخذه وعظه وانكشف نسبة جبرئيل على النبي زمن تلك المرآة رأي الله بعد ذلك قال له: إقرأ فقرأ فكان تعبيرا لتلك المكاشفة على نحو ما ذكرنا من قبل قوله : **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)**. فكان هذه الرؤية حقا فوق الرؤية بالعين كما يحصل الرؤية بالعين في الحسيات، كذلك تكون بعين قلبه في المثاليات، ويكون فيه الارتقاء بحسب اللطائف، فعين الحجر البحت ينكشف الغطاء، ولايكون هنا عارضة العوارض بل الحقيقة بنفسها تنكشف. وهذه الحالة خاصة بالأنبياء بل الصديقون والحكماء شركاؤهم في ذلك، وبلسانهم نقدر أن نفهم بعض الأشياء. قوله تعالى: **أَفَتُمَارُونَه عَلَى مَا يَرَى. . . . (12)**. الرؤية الأولى كانت على أعلى درجة ممكنة في الاجتماع بين جبرئيل ومحمد. والرؤية الثانية تفصيل لذلك في حظيرة القدس. النوع الإنساني إمامه في حظيرة القدس. وكيف يتفرع منه الأفراد، ويكون تدبيره نافذا في كل فرد؟ تمثل ذلك بصورة شجرة سدرة المنتهى. ففي تلك الحالة التجلي الإلهي

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم} [العلق: 2] " لينظر: صحيح البخاري: رقم الحديث:3.

أحاط بجميع ما في حظيرة القدس. وأخذ الأمر والإعطاء والمنع كله بيده. فكل شئ في حظيرة القدس هو خزانة لأفراد ذلك النوع، فتلك الخزائن المختلفة عند كل خزينة تجلي مخصوص عكس التجلي الأعظم[1]. بواسطة هذا التجلي كل الأمور مقهورة تحت التجلي الأعظم. فكل قطعة معها يكون تجلي مخصوص. هذا معنى قوله تعالى:**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16)**. جنة المأوى تكون تحت هذه السدرة. الإنسان لاينكشف عليه حظيرة القدس إلا بعد ما جاوز جنة المأوى، فالنبي في المرة الثانية رأى تفصيل التجليات في حظيرة القدس تامة. قوله تعالى: **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17)** النبي في إدراك التجليات وما فرط وما أفرط[2] تجلي عالي أدركه عاليا، وتجلي متوسط أدركه متوسطا، وتجلي نازل أدركه نازلا كما هو في درجة. قوله تعالى: **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)** رأى ربه، ورأى آيات ربه. ورؤية الآيات إذا لم يكن معها رؤية الرب بالتجلي ليست مقاما محمودا للكاملين. أما إذا رأى آية ورأى معها تجلية الخاص بها. فهذا كمال للإنسانية. فكل ما رأى آيات كبرى يعني: كليات تكون منبعا لجزئيات، ورأى معها التجليات التفصيلية بعد ما رأى تجليا عاما أعظم فتم بذلك نصاب الإنسانية في معرفة ربه. هذا أتممنا إلى الآية 18 ثم نشرح من الآية 42؛ لأن لها اتصالا بالمتقدم قوله تعالى: **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)**ليس بشئ أعلى مما رأيت من تجلي ربك يأتي بعده أن هذا منتهى مدارك الأنبياء الكرام، وهو يتصرف في الإنسانية في جميع حالاتها رأسا. فمعرفة شيون ربك المتعلقة بالإنسانية، والمتعلقة بالكونية هي أساس النبوة، والقرآن يفسر ذلك حتى يتمكن الإنسانية كلها بالتدريج إلى وصول أعلى مقامات الإنسانية. فإذا تعين مقصد النبوة ومعنى القرآن بعد ذلك دفع معارضة المعارضين أسهل. قوله تعالى: **وَأَنَّه هوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) شروع في تصرفات الرب في الإنسانية وَأَنَّه هوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّه هوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّه خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْه النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّه هوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48). وَأَنَّه هوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49)** هذا

(1) تكلم الإمام ولي الله عن هذا الاصطلاح في كتابه"التفهيمات الإلهية" على عدة مواضع،لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،تفهيم:31، 102/1، 139، 141.
(2) في ن م : ما أفرط وما فرط.

نموذج تصرفاته في الكون؛لأن الشعرى كانت منبع جميع الكوائن، ورب الشعرى كأنه يتصرف في جميع الكائنات. **وَأَنَّه أَهلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا همْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهوَى (53)** . **فَغَشَّاها مَا غَشَّى (54)**. معناه التجليات الخاصة بكل شأن. شأن **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55)**. . معرفة التجلي الإلهي، وتأثير شأنه في الإنسانية والكائنات(1). هذا عندنا معنى آلاء ربك. بعد ما ظهر عليك شمس القرآن، وهوى النجم، وأنت لاتتمارى في شئ من آلاء ربك بل تفهم كل شأن، وترى كل تجلي، وتضعها في موضعها فلايكون شك وشبهة. تمت 55. الآن نرجع إلى ماكنا(2) تركناه في الوسط. الناس يجعلون النبي مثل ماكان عندهم من الكهان، ويعارضون بالاحتجاج بطريقتهم فيبين خطأهم وضعفهم في العلم. وإنما اجترؤوا على ذلك؛لأنهم يعرفون النبي الآن أيضا على ما كان عليه قبل النبوة: أولا كان مثل النجم، والآن صار شمسا فالنور قوله تعالى: **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الْكُبْرَى (18)**. فبعد ذلك يحكي الدين يعني الطريق الموصل إلى تلك الآيات الكبرى فأنتم رأيتم معبودكم ثم تكشفون للناس طريقا إليه. إلى هذا المعنى أشار في قوله: **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى. (19)** هؤلاء بدون علم، وبدون معرفة وضعوا أسماء الأشياء فرضية لاحقيقة لها، وجعلوا تلك الفرضيات كأنهم يقتسمون كائنات من ربهم. . هناك لنا مطالعة مخصوصة:نذكرها الشرك بالمعنى العام: عام في جميع الأقوام عند اليهود، والنصارى، وجميع الأديان الصابئة لم خصت تلك الكلمة كالإسم لقوم من العرب؟ ودينهم يشتبه في بعض الأشياء دين أهل الكتاب، وفي البعض دين الصابئة، وليست طائفة خالية من الشرك فالظاهر أن تسمية هؤلاء بالمشركين خروج عن الحقيقة. والتحقيق الذي لاح لنا هو هذا أن كل قوم إذا اتهم بالشرك، وإن كانوا عاملين به ينكرون نسبة ذلك إليهم، ويؤولون شركهم بالتوحيد كأنهم أنكروا إطلاق هذا الإسم عليهم. وأما هؤلاء المشركون من أولاد إسماعيل

---

(1) الكون أنسب
(2) في ن م : كنا

قبل عمروبن لحى[1] كانوا كلهم موحدين على دين إبراهيم وإسماعيل_ لاإله إلا الله وحده لاشريك له_؟ ثم بعد عمروبن لحى أضافوا فكرا إلا شريك هو لك تملكه، ومالملك لاشريك يكون معارضا لك فهذا لايمكن. وأما أنت بنفسك جعلت صغار عمالك شريكا لك، وأنت تملكهم، وتملك كل شئ يملكونه؛فبهذا الطريق أجازوا لأنفسهم عقيدة الشرك، ومأأنفعوا من استعمال تلك الكلمة؛فلذلك سموا في القرآن بالمشركين فهؤلاء يجعلون شريكا صغيرا لرب كبير، ويجعلون بينهما صورا[2] للتقسيم. وإذا كان الأمر إلى هذا الحد يعمله الشريك. وإذا تجاوز عن ذلك الحد لايقدر عليه إلا الرب، فهنا شرعوا في الاقتسمام، وجعلوا الملائكة بنات الرب. وهذا خروج عن الفطرة، وخروج عن مقتضى العقل الفطري. للإنسان شيئان: أحدهما أفضل من الآخر. فالفطرة الإنسانية حاكمة بأن الأفضل ينسب إلى الله. وهؤلاء مسخوا يعرفون أن الإبن أولى من البنت. الذكر أولى من الأنثى ثم يجعلون الذكر لأنفسهم والأنثى له. إليه إشارة في قوله: **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَه الْأُنْثَى. (21)** وهؤلاء البنات أمثلتها اللات، والعزى فقيل لهم أن النبى رأى من آيات ربه الكبرى. فهل أنتم أيضا رأيتم بناته؟ ثم نسبة البنات مسخ لفطرتكم. هذا كان إلى الآية **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّه بِها مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23) ثم بعد ذلك من قوله: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27) وَمَا لَهُمْ بِه مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِه وَهوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتَدَى (30)** يتصل بها **إن الذين لايؤمنون**

---

(1) عمرو بن لحيّى ، من قحطان: أول من غير دين إسـماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة.وفي نسبه خلاف شديد.وخلاصة ما قيل في خبره أنه كان قد تولى حجابة " البيت الحرام " بمكة، وزار بلاد الشام ودخل أرض " مآب " كما يسـميها العرب، ويسـميها الأقدمون، " موآب " في وادي الأردن، بالبلقاء، فوجد أهلها يعبدون " الأصـنام " وكانت قد انتشـرت في مكة عادة أو عقيدة بأن أحدهم إذا أراد السـفر منها حمل معه حجرا من حجارة " الحرم " يتيمن به، وانتقل بعضـــهم من ذلك إلى تقديس ذلك الحجر، والطواف حوله، ثم كانوا يختارون أي حجر يعجبهم من أي مكان، فيطوفون حوله كما يطوفون حول الكعبة.وأعجب عمرو بأصـــنام " مآب " فأخذ عددا منها، فنصبها بمكة ودعا الناس إلى تعظيمها والاستشفاء بها، فكان أول من فعل ذلك من العرب لينظر: الأعلام للزركلي, 5/ 84-85.

(2) في ن م : حدودا

بالآخرة. . بين سبب غلطهم. الحياة الدنيا لها قانون خصوصي يعرفه الناس عامة فمن ارتقى من ذلك، وأدرك الآخرة يكون علمه على منهاج الإنسانية. ومن لم يدرك الآخرة فليس من معرفة الدين في شئ، ويستحق أن يعد [1]من الإنسانية في مرتبة. وهذا الجهل إنما وقعوا فيه لخطأهم في فهم الإنسانية. وتلك الآيات الثلث التي تركنها. **أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24). فَلِلَّه الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ الله لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26)** رأينا جماعة من الفلاسفة منخدجة الطبيعة يقولون: إن الإنسان لايكون عليه قيد ما أصلا يترك في هواه، وتمنيه فيحصل كمال الإنسانية. وهؤلاء كأنهم من أتباعهم هم يزعمون أن الإنسان يقدر على كل ما تمناه فليعمل بنفسه لايحتاج إلى نبوة وإلى تقيد. هذا جهل منهم. تكميل لحياة الدنيا الإنسانية يحتاج إلى قانون. وإذا تركنا الإنسان وما تمناه لايكون النتيجة إلا الفوضية المهلكة للإنسانية. وإلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى. **فَلِلَّه الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25)**. يعني أن كلتا الدارين تحت قانون نافذ من الله. الإنسان يصل إلى درجة ملك في السموت. هذه غاية ما يصل إليه الإنسان عند المتدينين بدين ما. الملك في السموت أيضا لايقدر أن يشفع إلا بعد إذننا. حكم الله نافذ في الآخرة على الظاهر والباطن. هؤلاء الناس الذين يريدون أن يحصلوا ما يتمنونه لايؤمنون بالآخرة ثم يأتي ذكرهم:**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27) وَمَا لَهُمْ بِه مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِه وَهوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتَدَى 28**. من اقتصر علمه على الحياة الدنيا هو ضال. والذي جمع بينهما هو المهتدي. والدنيا والآخرة بعضها مبني البعض. بعض الأشياء يكون ابتدائه في الدنيا وانتهاؤه في الآخرة. إليه الإشارة في قوله تعالى: **وَلِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31). الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ**

(1) في ن م : ولايستحقون أن يعدوا.

أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32). الرجل يعمل في الدنيا بالحسنى يكون له قسط يحصل في الدنيا، وقسط يحصل له في الآخرة. والحسنى في الآخرة هي أن يجتنب[1] الرجل في الدنيا كبائر الإثم والفواحش. كل إثم أو فاحشة يقصدها الرجل بالقصد يكون كبيرة في حقه. وكل إثم وفاحشة لايتحملها الاجتماع يكون كبيرة في حق الإنسانية عامة، فالاجتناب[2] عنهما هو الصلاح[3] **إلااللمم** يكون بدون قرار وبدون قصد بعروض الصحبة والاختلاط يقع الإثم. هذا ينفر. فالإنسانية إصلاحها في الدنيا ليكون نتيجتها في الآخرة حسنة هي التي تبحث في الأديان والنبوات فهو جائز. والذي لايرى إلا الحياة الدنيا، ويعرض عن ذكر الآخرة هو لايعرف أن إبراهيم وموسى علمهما ينكر تدين هذا الرجل. إليه أشار بقوله تعالى: **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34) أَعِنْدَه عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ يَرَى (35)** يجعل لنفسه هذا كافيا في التدين. **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَه سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاه الْجَزَاءَ الْأَوْفَى. (41)**فكيف لايسعى في الدنيا ليجزى في الآخرة. هذا الفساد الذي نشأ عند الناس لاعتقاد الشريك، وإن هذا الشريك ينفع الناس في الآخرة. وإبراهيم وموسى قد أخبرا أنه لايمكن لأحد أن ينفع أحدا، وهم يؤمنون بنبوتهما فاعتقاد الشريك باطل. [4] **وإن إلى ربك المنتهى** وله وحده التصرف في الإنسانية، والأكوان. هذا تم به إلى قوله تعالى: **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55)**. هذا النبي الذي انكشف عليه علم الآخرة هو نذير من النذر. مصيبة أتت عليكم قوله تعالى: **أَزِفَتِ الْآزِفَةُ. (57)**. الإمبراطوريتان على رأسكم إن لم تقدموا أنتم بأنفسكم هم يقتسمون بينهما، ويجعلونكم عبيدا لهم من دون الله. ليس أحد يقدر على رد هذه المصيبة عنكم. والله أقام هذا نذيرا لكم وأعطاه علما كيف ينجيكم من تلك المهلكة؟ وكيف يجعلكم

---

(1) في ن م : يجنب لكن كلمة يجتنب أنسب.الباحث
(2) في ن م : فالاجتماع
(3) في ن م : فالاجتماع عنهما هو الصلوة
(4) في ن م : ويكون إلى ربك المنتهي.

حكاما عليهم؟. قوله تعالى: **أَفَمِنْ هذَا الحْدِيثِ تَعْجَبُونَ**. (**59**)هذا الحديث أنه يلزم عليكم أن تجتهدوا للخلاص من المهلكة، وكان عليكم أن تبكوا على ضياع كثير من الفرص؛لكن أنتم تعجبون وتضحكون وتلعبون. قوله تعالى: **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** (**62**) أطيعوا لله تاما فاسجدوا لله. ومايلقى عليكم بواسطة نبي. واعبدوه ولاتعتمدوا على أحد سواه. هذا هو طريق نجاتكم.

سورة القمر

كان في سورة النجم بيان التجليات التي هي منشأ القرآن. وسورة القمر فيها البحث عن الحكمة المرعية في نظم القرآن. تقع الواقعات تحدثه الحوادث. المتفكرون لا يقدرون على تنظيم تلك الواقعات مع النظام الطبيعي، فتنشر أفكار الإنسانية، ولو كانت مجتمعة تحت النظام ما اختلفوا في الأمر الحق كثيرا. فالقرآن العظيم يعلم تأويل الأحاديث[1] كل واقعة ينظمها مع أسبابها وعللها فيرتفع الانتشار. هذا معنى قوله تعالى: **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ 17 الخ** تأويل الأحاديث كلمة اصطلاحية في حكمة الإمام ولى الله :معناه الإحاطة بالتدابير المفضية إلى وجود شئ أو وقوع حادثة، فالمراد من الذكر هنا هو تأويل الأحاديث عندنا. فالرجل المتدبر في القرآن يتفقه في جميع الحوادث، وبدون هذا العلم لا يتكامل تعليم الدين مثال ذلك: إن الرسوخ في العلم لايحصل إلا اذا كان الرجل يعرف المحكمات فالمتشابهات. هكذا فهم سر ارتقاء الأديان بعضها من بعض لا يمكن لرجل إلا اذا قدر على توجيه الحوادث نادرة الوقوع، وذلك تيسر بالقرآن لمن أراد ذلك. **فهل من مدكر**. تم التمهيد.

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) الساعة الحقيقة هي فناء هذا العالم. السموت والأرض وانتقال المخلوق إلى عالم البرزخ والجنة والنار تلك يقال لها الساعة الكبرى القيامة الكبرى. ومن لوازمها انشقاق القمر وفساد نظام السمٰوت ثم الساعة بعد الساعة الكبرى . ساعة الانقلاب في قوم يبطل الحكومة من بيت وينتظم حكومة بيت آخر. هذا نوع من الانقلاب ثم يأتي معلم الاجتماعيات والمعاملات والمعاشرات، ويحدث الانقلاب في النظام الأول[2] يثبت أن تلك الدرجة من المعاشرة المعمولة، وكذلك الاجتماعية والمعاشية ناقصة يجب عليها أن ترتقي إلى درجة أعلىٰ. فهذا نوع من الانقلاب، وأعظم من ذلك الانقلاب بين الأقوام: الانقلاب العالمي في نظام

(1) في هذا الفن كتاب مخصوص للإمام ولي الله الدهلوي وهو بإسم تأويل الأحاديث في رموز قصص الأنبياء.الباحث.
(2) في ن م : ثم يأتي معلم الاجتماع في النظام الأول.

الحكومات وفي الاجتماعيات والمعاشيات والمعاشرات، فهذا بضرب[1] من الساعة الكبرى. وعندنا معنى قوله تعالى: **اقتربت الساعة** هذه الساعة ساعة الانقلاب العالمي لا الساعة الكبرىٰ. ولما كانت انشقاق القمر[2] من لوازم الساعة الكبرىٰ فوقع مثله عند اقتراب الساعة الانقلابية أيضا. [3]

فمعنى قوله: **اقتربت الساعة** قام النبي المبعوث بالانقلاب. ومعنى قوله: **وانشق القمر** هو توجه القوى المثالية لتكميل الانقلاب الساعة الكبرى تكون أيضا من تأثير القوى المثالية من تأثير عالم المثال. عالم العناصر تحت عالم المثال فيه قوة مخصوصة تحمل القوى المثالية. فإذا زادت القوى المثالية المؤثرة في العناصر عن ميزانها يذوب العناصر، وترجع إلى أصلها من عالم المثال مثل الثلج درجة من الحرارة يحملها. وإذا زادت الحرارة يذوب عالم المثال مع هذا العالم، والأفلاك موافق دائما؛لكن مع رعاية الميزان الذي يتحمل العناصر. فإذا زاد تأثيره يذوب العناصر كلها، وتقوم الساعة الكبرى، وعلامة الساعة الانقلابية العالمية أيضا. يكون تأثير عالم المثال فوق ميزان العناصر، فالنبي أشار إلى القمر، وتوجه القوى المثالية الزائدة عن قوة القمر فانشق لما رجعت القوى المثالية انضم القطعتان بجذبهما الطبيعي. مثل تلك الحادثة وقع زمن النبي .

هذا دليل على إتيان وقت الانقلاب. وعندنا قد غلط المفسرون الذين حملوا الساعة على الكبرى,ونرى نتيجة هذا الحمل من المفاسد أن الناس لايعملون بالقرآن على الاطمينان؛لكن القيامة

---

(1) في ن م :يقرب

2 ملاحظة خاصة:ادعى الشيخ الزاهد الكوثري في كتابه"حسن التقاضي"على ص 97 بأن الإمام الدهلوي أنكر معجزة انشقاق القمر حيث قال: ومن إغراباته انشقاق القمر عبارة عن ترائيه هكذا للانظار،وليس سحر الأعين من شان رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. _ ، يجيب الشيخ القاسمي عن دعواه قائلا:أما مسألة انشقاق القمر فما أنكره الشيخ حيث عده من إعجاز النبي صلي الله عليه وآله وسلم في قصيدته. أطيب النعم في مدح سيد العرب والعجم و قال: وأعجب تلك البدر ينشق عنده. وما هو في إعجاز من عجائب. بل ذكر ما ذكر من تأويلاته علي طريق الإمكان ولا حجر في الإمكان فإن الشيخ نص عليه بقوله: "وهذا ذكرته علياالإمكان وإلا فقدرة الله تعالي تسع الكل، والعلم عند الله.ولا يذهب عليك أن الطريق المستقيم في هذه المسألة وما يشبهها من التشبيهات كاليد والرجل ومن المعاديات وغيرها أن يمرها الإنسان علي ظواهرها ولا يشتغشل بكيفية وجودها، ويعتقد في الجملة أن ما أراد الله ورسوله فهو حق فالمعترض لعله لم يتيسرله مطالعة جميع عبارة الشيخ فقال ما قال.لينظر:لمحات، الإمام الدهلوي،تحقيق وتحشية:الشيخ غلام مصطفى القاسمي،13-14، مبحث انشقاق القمر،ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.وأيضا: أطيب النغم،الإمام الدهلوي،ص15، ط: مجتبائي دهلوي، وأيضا: تأويل الأحاديث، الإمام الدهلوي، ص82، وأيضا: الخير الكثير، الإمام الدهلوي،ص33، ط:المجلس العلمي،دابهيل.

(3) إن الشيخ عبيد الله السندي بين أولا معنى الساعة عند الجمهور ثم لجأ إلى بيان ما هو رأيه عن كلمة "الساعة" الواردة في الآية.الباحث

قريبة. فأي فائدة في احتمال المشقة؟ إنما يسعى الرجل لأدنى ضرورياته فقط فبطل بذلك عزم إنشاء الانقلاب الكبير حسب تعليم القرآن من قوم نشأوا بعد الفتنة الأولى_ مقتل عثمان_ فالناس قبل ذلك معهم إنشاء الانقلاب الكبرى وإتمامه. وبعد ذلك ضعف عزمهم عن ذلك، وتحدثوا بأحاديث اقتراب الساعة وذهبوا يمينا وشمالا، وتركوا التدبر فى القرآن، فهذا التفسير إنما هو من بقايا تلك المفاسد غلب على الناس ذوى العقول الضعيفة السكون والجمود ثم قام رجال وقامت معهم جماعات؛لكن لا الأمة المسلمة المؤمنة بالقرآن بل رجال غارت أفكارهم في بعض أبواب الانقلاب ونشطوا لذلك، ونشاطهم سرى في قوم العارفين لأسباب المعيشة. ونحن أيضا كنا متأثرين من تلك الفكرة العامية الفاسدة حتى رأينا الانقلابيين اللادينين يريدون انقلاب العالم، وقرأنا فلسفتهم فاندهش عقلي كيف أعمى الله الأفكار من يدعي الإيمان بالقرآن عن التفكر في هذا الانقلاب العالمي؟ ورأيناهم إنما تأثروا بدعاية الدجالين والشياطين؟ يسمونهم مهديين ومجددين.[1]ولا يزيد عملهم على عمل النصارى واليهود الذين كانوا يعملون وقت بعثة القرآن، فالمسلمون اليوم أكثرهم متشبثون تعليمات مثل تعليمات اليهود والنصارى وقت نزول القرآن.وواجب في حكمة الله أن يأتي انقلاب عمومي يهدم جميع ما اخترعوه.

وليس بعد نبينا نبي آخر حتى يأتي بدين أكمل من هذا الدين فلا يأتيهم الانقلاب لاديني. وهذا الفكر الذي أطمأنوا به من نزول المسيح وإتيان المهدي باطل من أصله: اتبعوا فيه اليهود والنصارى، والإمام[2] الذي كان إتيانه مرجوا في كتب اليهود والنصارى كان المراد منه إتيان نبينا _عليه السلام_ هم كفروا به وينتظرون مسيحا لبشرية التوراة والأناجيل. فالمسلمون بعد ما يئسوا من العمل بالقرآن تشبثوا بإتيان المسيح واتبعوا الكفار في كفرهم، وهم يحسبون أنهم على شيء.

---

(1) في ن م : وليس عملهم يزيد على عمل.
(2) في ن م : هذا الإمام.

وإنما[1] فتح عيوننا مطالعة الانقلاب اللاديني, وتطبيقها على تعليم القرآن وضح لنا أغلاط المفسرين كيف حرفوا كتاب الله؟ هذا غاية جهدنا في فهم الكتاب. [2]

والإمام ولى الله مصدق بنزول المسيح, وإتيان المهدى لا يشير بإشارات, وتلميحات إلى ضعف هذا الفكر مثلا: يقول: لو تم المبشرات التي بشرني الله بها لما احتاج الناس إلي المهدى ثم يزيد كلمة في آخره إلى زمان فيدارى الناس، يقول: اجتمع في قلبه عكس إسم الله الذي كان غالبا على قلب نبينا, وعكس إسم الله الذي كان منعكسا على قلب عيسى ابن مريم فالبركتان كلتاهما فائدتان من وجود الإمام.

نحن اتفقنا أن الامام ولي الله يشير إلى أنه هو المهدي، وهو المسيح؛لكنه يصرح بأنه يدارى الناس تأنقنا، ورأت الأنام بوضعهم فطابت مراقبنا وطاب الشمائل، وهو يصرح في موضع آخر أن طبيعته فيها ضعف بالنسبة إلى العلوم التي انكشفت له تفرسنا من ذلك أن الأمر غير ذلك. ومداراة الناس على هذه الدعاوي الطويلة العريضة يسهل تعليم الدين، وتعليم معارفهم فمن أشياء مثل هذا حصلت لنا مرارة عظيمة، والمسلمون مع قوتهم كل يوم مائلون إلى الزوال.

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) الآية تكون دليلا على نزول نظام سماوي، وهم يعرضون عنه ويقولون هو سحر مستمر يعني: كذب يختلقه الكذابون دائما بتنمية قوة نفوسهم ليس نظاما عموميا ينفع الناس. قوله تعالى: **وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3)** الآن تفهمون أن كل أمر مستقر كذبوه واتبعوا أهوائهم. الآيات تقرأ بعضها بعد بعض فلو توجهوا إلى إدراك النظام السماوي فهو معنى الآيات وجعلوها مستقرة في مقامها؛ لكن هؤلاء يكذبونهاثم يأتون بتاويلات باطلة من أهوائهم.

---

(1) في ن م : هذا إنما.

(2) في ن م: الدعاوي الطويلة العريضة يسهل تعليم الدين،وتعليم معارفهم فمن أشياء مثل هذا حصلت لنا مرارة عظيمة، والمسلمون مع قوتهم كل يوم مائلون إلى الزوال_ إنا لله وإنا إليه راجعون_

قوله تعالى:**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيه مُزْدَجَرٌ (4)** سمعوا من الأنباء. الإنباء تمنعهم عن اتباع الأهواء؛ولكنهم ما انتصحوا بالمزدجر؛لانها حكمة الانقلاب البالغة حاكمة على كل شيء. قوله تعالى: **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)** مع إنذارهم لا ينفعهم شيئا لوأغناهم النذير ماجاء الانقلاب. سلسلة النظام مرتبطة بالحكمة البالغة. فإن تقاصر شيء ما في الدين لا يمكن أن يأتي ما بعده فإغناء النذر يؤخر الانقلاب. وحكمة الانقلاب يجعل إنذار النذر غير منتفع به.

واقعة أخرى: لوآمن رجل بالقرآن وتدبر فيه جعلها موجهة، ولو لم يؤمن ولم يتدبر يكون عندهم تلك الواقعة الحقيقة كالشيء المنكر لا يجدون له دليلاً يطمئن به خاطرهم بتصديقها. تلك الواقعة ذكرت من قوله: **فَتَوَلَّ عَنْهمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)** فالمعتبر بالقرآن يعرف أن في قلب كل انسان لطيفة نورانية تنجذب إلى التجلي القائم في إمام نوع الإنسان فإذا جاء وقت قيام الساعة الكبرىٰ وأثرت القوى المثالية السماوية في العناصر فوق ميزانها فجذب الأرواح مثل الجراد المنتشرة وخروجهم من الأجداث المراد منها قبور عالم المثال معقول، وهم يقولون شيءنكر .

واقعة أخرى: قوله تعالى: **كَذَّبَتْ قَبْلَهمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّه أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاه عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)** الإنسان إذا كان متبصرا بالحكمة القرآنية يعرف تأويل الانقلاب الذي حدث زمن نوح، وهو مبين في كتاب تأويل الأحاديث للإمام ولي الله كإجمال. وإذا كان حاوياً علىٰ مقامات الشيخ في حكمته فيقدر أن يشرح ذلك الإجمال بحيث يوافق كل عقل متوسط. قوله تعالى: **وَلَقَدْ تَرَكْنَاها آيَةً فَهلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16)** النذر ينذرون بكل قوتهم؛لكنهم لا ينتفعون فيأتي العذاب المختوم. وتلك الحكمة ينظمها

صاحب الذكر من علماء القرآن؛لأن الإنسانية كلهامثل شجرة فالغصن لا ينشأ من الشجرة إلا بعد الغصن الأول فلو لم أتيناه الغصن الأول ما أتى الشجرة بالغصن الثاني، فيجعل العالم بالقرآن تلك الأمم المهلكة مثل قطعات الأجزاء لتلك الشجرة. كل يتم في محله. ولا يجوز امتداده إلى محل أمة أخرى . هذه الحكمة أشير إليها في قوله تعالى: **ولقد يسرنا القرآن** . .

لما قرأنا كتاب تاويل الأحاديث للإمام ولي الله عرفنا أن كل قوم يهلك يخلفه قوم أكمل منهم، فتنظيم نظام الأمم يجعل الأمر كله حسنا جميلا. هكذا عندنا تفسير الواقعات التي ذكرت في السورة بعدها. واقعة عاد، واقعة ثمود، واقعة لوط ثم واقعة فرعون تأويلها على منهج واحد عندنا. وتلك الواقعات كلها كانت في الأرض الموعودة لإبراهيم فكانت الأرض تهيأت للانقلاب العالمي الكبير لحدوث الانقلاب بعد الانقلاب فيها. فأهل مكة فيها كفار يستحقون الانقلاب واجب محوهم هذا هو اقتراب الساعة.

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) بجماعتنا يكون لنا النصرة سَيُهزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) هذا هو يوم بدر. الإنسان بعد الموت ينتقل على الفور إما إلى الجنةوإما إلى جهنم . إذا كان رجل من السابقين أومن الكفار والمعاندين، وقد ذكرنا المسألة من قبل قوله تعالى: **بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرُّ (46)** هذه الساعة يوم بدر هو ساعة الانقلاب **والساعة أدهى** الخ لأنهم يدخلون جهنم في عين تلك الساعة: **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوههمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ(48) معنى قوله: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاه بِقَدَرٍ (49)** إن الحوادث نادرة الوقوع تكون نتيجة لأسباب منتظمة. **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50)** هذا هو شدة تأثير عالم المثال وسرعته **وَلَقَدْ أَهلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51)** فلا ينتفعون بما عملوا من الوقائع الماضية **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوه فِي الزُّبُرِ**. . . (52) لما كان لا يقع حركته صغيرة ولا كبيرة إلا وهو مكتوب.

وكل شيء يحتاج إليه الإنسان في زمانه كتاب نبيه يجمعه فلم يبق إلا التذكر. ومن تذكر انتفع ومن لم يتذكر يهلك.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55) الانقلاب لما يأتي يكون فيه المتقون أيضا. إذا كان الانقلاب بأسباب سماوية؛لكنهم يفوزون في الجنة بمقامات عالية. هذه السورة كانت إنذارا لأهل مكة بهلاك كفارهم الذي وقع يوم بدر، وكان فيها تنبيه لعل الانقلاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن

كان في سورةالنجم أن الله يتصرف في الإنسانية **أنه أضحك وأبكى** الخ وهكذا الله يتصرف في حياةالإنسانية العلمية والأدبية في خطوة خطوة[1]. وبيان ذلك في سورةالرحمن. الرجل في آخر مقاماته الإحسانية يحصل له خشية ويحصل له الخوف. فتفصيل هذا المقام نقدمه من تلك السورة أولا، وفي كل نعمة منه انكشاف تجلي إلاهي خاص يعطيه تلك النعمة فيتم السرور والفرح.

الإنسان يحب شيخه وأباه وحاكمه المحسن إليه بيد شيخه أو أبيه أو حاكمه يكون سروره مزيدا. فإذا كان تلك النعمة تصل إليه بيد ربه كيف يكون؟ يكون سروره غير متناه. ففي هذه السورة بيان النعم التي تحصل له في الجنات؛لكن مع كل نعمة يكون توجه من الرب بإعطائه تلك النعمة بدون الواسطة، ويتجلى له الرب لإعطائه فكيف يتم السرور؟ فالإنسان إذا كان ذلك له ميسرا لا ينبغي الالتفات عنه إلى أشياء أخرى. فالقرآن العظيم في دارالدنيا يوصل الإنسان إلى مقام الخوف من ربه، وذلك الخوف يكون له نتائج في حياته الأخروية بينها الله_ تعالى_ في هذه السورة.

(1) في ن م : خطوة

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فلما كان حصول تلك الجنتين مع انكشاف تجلي خاص بهما قيل: **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**. ومعنى آلاء قد ذكرناه في سورةالنجم. مثل ذلك بعد ذلك "**ذواتا أفنان**" في تلك النعمة يكون تجلي خاص ينكشف معها فقيل: **فبأي آلاء**. . الخ. عامة أرباب البلاغة يجعلون تكرار كلمة: **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** تزيينا للكلام وتحسينا. ونحن تنبهنا_ بحمد الله_. إن كل نعمة متجددة معها تجلي مخصوص من الرحمٰن، فلذلك وقع التكرارعلى هذا الطريق.

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) هذا للسابقين ثم أصحاب اليمين لهم جنتان دون ذلك. **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)** جاء ذكر نعمة أصحاب اليمين إلى آخر السورة77. بقيت آية واحدة تتمة السورة **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)** هو الرحمن. وهذه كلها بركات لذلك الإسم. والإسم نسميه في حكمة الإمام ولى الله بالتجلي، فالتجلي الأعظم للرحمن انشعب منه تجليات مع كل نعمة. فالنعمة تكون سكينة لنفس الإنسان. والتجلي يكون على الحجر البحت، ويجمع النعمتين يتم اللذة في الجنة، فقد قصر الناس الذين جعلوا نعم الجنات راجعة إلى الأكل والشرب وغيرهما فقط. في كل أكل وشرب اتصال جديد بالرب.

الآن نشرح من قيام الساعة الكبرى فنذكر الحالات التي تأتي على المجرمين. قوله تعالى: **فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**. . . . (37) رحمة الرحمن غالبة على غضبه. فالرجل وإن كان مغضوباعليه عاقبته تكون إلى الرحمة. فالمريض إذا أخذوا في تداويه وأجبروه على شرب الدواء المر لما كان هذا سببا لانتهاء مرضه كان رحمة في حقه. قال الإمام ولي الله في البدور البازغة:"في آخر فصل أصحاب الأعراف: وبالجملة فرحمة الله أوسع من غضب الله، وأكثر الناس

مغفورون، ولو بعد حين، وبعد ضغطة ما، وتوبيخ ما. ومن انقدحت فيه حجبه الثلثة، ولو مثل رأس إبرة، وتوجه إلى الله من صميم قلبه، ولو يوما من الدهر. فإنه إذا مات صار مثل الطير في القفص يضطرب إلى كل جانب، ويتأذى حينا ثم إذا وصل إلى موضع القدح فإنه يجتمع، ويخرج منه_ إن شاء الله_. [(1)]هذا الذى ذكره بعد ذكر أصحاب الأعراف، والكفرة المتمردة. فقيام الساعة يكون سببا لتعذيب المجرم، ويكون له انتهاء باعتبار انتهائه صار رحمة في حقه. هذا البيان ممتد إلى **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان (45)** وفي كل موضع بعد ذكر قطعة من العذاب يأتي **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** وعلى منهاجنا معناه: كيف خفف الله عنكم العذاب بلطفه الخاص، وجعل هذا التعذيب صرتم محرومين عن الاتصال بالحق إلى مدة مديدة. فكان التعذيب لطفا في حقكم. وقبل ذلك بحث في الاجتماعية العمومية من آية **يَسْأَلُه مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هوَ فِي شَأْنٍ (29)**. تقديم قوم على قوم، وتتابع الانقلاب في الحياة الاجتماعية هو مقتضى شأن من الرحمن، فالبصير يستفيد من كل الانقلاب.

جملة معترضة: جاء في حديث المحشر: إن الله يأتي عند قوم بصورة لا يعرفونها فيقول أنا ربكم، فينكرون ويقولون نعوذ بالله منك ثم يتفضل الله في صورة يعرفونها فيؤمنون به[(2)] انتهى ما أردنا. ذكره شيخنا في الطريقة القادرية الشيخ محمد صديق السندي[(3)] كان يقول: لكن العارفين

(1) لينظر:البدور البازغة، للإمام ولي الله الدهلوي،فصل أصحاب الأعراف على أصناف،220،تحقيق وتقدمة:الدكتور صغير حسن المعصومي،ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.

(2) إن الشيخ السندي ذكر الحديث المذكور معنى أما نصا فقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، أن أبا هريرة، أخبره أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله [ص:164]، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: " فإنكم ترونه، كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم إلى آخره.لينظر:صحيح مسلم, للإمام مسلم,1: 163. رقم الحديث 182 باب معرفة طريق الرؤية.

(3) سبق ترجمته.

يعرفونه في كلتا الصورتين. هكذا نقول: المتبصرون العارفون يستفيدون في كل انقلاب ويعرفون الشأن الإلهي الذي اقتضى ذلك الانقلاب فيصدق عليهم **فباي آلاء**. . . . . . . الخ.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّه الثَّقَلَانِ (31) الإنس, والجن. والجن هو مخلوق في السافل عالم المثال مع كل انسان. والنسمة التي في بدن الإنسان نموذج للجن. والحساب والكتاب كله راجع إلى النسمة فيكون الإنس والجن متساويين في المؤاخذة. الإنس معناه النسمة، والجن هو قرينه المخلوق معه كلاهما ثقلان. سنفرغ لكم ونوصلكم إلى غاية الغايات. وهذا الفراغ معناه هو تخريب السموت والأرض هذا لطف في حقهما فبأي آلاء. . . . الخ.

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33). القوة الاجتماعية للإنسانية بالآخر تميل إلى الهدم فيرسلون شواظا من نار ونحاس. الجماعة الراقية على الجماعة المتأخرة، فلا يمكن لهم الانتصار من شيء. هذا هو مبدأ تخريب العالم، وهو ذريعة لتكميل روحانية الإنسانية **فبأي آلاء**. . . . . الخ. هذا المحل الذي يأتي على الناس شواظ ونحاس. يحب الإنسان لو كان له قدرة لطار من السموت والأرض؛ لكنه لا يمكن إلا بقوة سماوية فليس متيسرا لكل أحد. فوجود الاجتماع تحت هذه السماء وفوق هذه الأرض لازم. ولو قدروا[1] على الخروج ما بطل حياتهم الدين. وبطلانها أنفع في حقهم يعني بعد تخريب السماء والأرض لا يكون للإنسان والجن مستقر على شيء مادي، فهذا عدم الاستقراء ينفعهم ويرسل عليهم نار ونحاس فيبطل الحيوانية من الإنسان الحيوانية الدنياوية. فهذا كأنه تفسير قوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْه رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)** الاجتماعية الموصلة إلى الفساد وفرغنا منها؛فلنرجع الآن إلى أول السورة.

الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2). كون كل شيء مستحقا لتجلي مخصوص. والاتصال بذلك التجلي هو تتمة الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه. والإحسان هو نتيجة تعليم القرآن.

---

(1) في ن م : لوكانوا قدروا.

فالرحمن بتعليم القرآن جعل الإنسان منتفعا ومتصلا بتجليات الرحمن. تعليم القرآن يحتاج إلى مبادئ. **خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَه الْبَيَانَ (4)** الأول من المبادئ:هو إنشاء اللغة ذريعة معرفة ما في ضمير كل واحد منهم. علمه البيان جعله صالحا لإنشاء اللغة ويبين بها ما في ضميره.

والمقدمة الثانية: الحساب. **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)** طلوعهماوغروبهما انتزع منه الحساب_ الأيام، الشهور، السنون_ والمقدمةالثالثة: إطاعة الحق. **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)** الإنسان استفاد منه الإطاعة. وهذا عندنا أمر عمومي. الإنسان يربي الحيوانات ويستفيد منها فكما أنه يحب إطاعة الحيوانات كذلك يجب[1] عليه إطاعةالرحمن، وأوفى من ذلك إطاعة الشجرة للإنسان. والنجم والشجر ينتفع منهما الإنسان كيف شاء؟ بعد ما يبذر بذرما وسقى لهما الماء، فقياساً على الحيوانات لزم على الإنسان أن يطيع ربه مثل إطاعة النجم والشجر له.

والمقدمة الرابعة: إقامة العدل في الاجتماعيات **وَالسَّمَاءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)** إشارة إلى إقامة العدل. معنى هذه[2] الآيات حسب ما اطمئن به خاطري: أن ميزان الإنسانيةفي حظيرةالقدس، وهي فوق السماء يعني وضع الميزان بعد رفع السماء فوقها، وينزل من حظيرة القدس معرفة الحق والعدل في ضمير كل إنسان فهو مؤاخذ. **أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)**الذي في قلوبكم. والناس بمدارجهم المختلفة في الفهم والذكاء يستفيدون من حظيرة القدس هذا هو الذي اطمأن به خاطري، ولم نجد أحدا من أهل العلم توجه إليه. وكان هذا نتيجة مدارسة الحكمة للإمام ولي الله المتعلق بالعدل كيف يعرف أن هذا الرجل مقيم للعدل؟. بيانه في قوله: **وَالْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنَامِ (10)** أي مشترك فوائدها بين الناس. فيها فاكهة ونخل ذات الأكمام، والحب ذوالعصف والريحان. فإذا كان يقسم المواد الطبيعية بين أفراد الاجتماع صغيرا كان الاجتماع أو كبيرا راعى في ذلك

(1) في ن م : واجب عليه
(2) في ن م : تلك

الإنصاف فهو يستحق أن يعلم القرآن ويستفيد من بركاته، فتلك المبادئ كلها سهل الله للإنسان فكان إلطافا من الرب.

فبأي آلاء. . . . الإنسان فيه تركيب خلق الإنسان من صلصال. وفي نسمة الجان خلق من نار، ومحذوف هنا عندنا. وفي نسمة الملائكة الحاملة لتجليات الرحمن؛لكن ذكر ذلك يمنع أن يتكلف الرجل في التفكر فعندي كأنه ترك ذلك الامتحان قديمة الناس، فهذا التركيب الإنساني مدار كل نعمة.

فبأي الخ. . . **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)** عندنا هنا ملاحظة مخصوصة: القصد هنا الأرض المقدسة فهي تنتفع من المشرق الأقصى والأدنى. وكذلك من المغرب الأدنى والأقصى فبأي آلاء الخ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**. . . . **(19)** المراد منها عندنا جزيرة العرب[1] فالارتقاء البري والبحري ميسرلهم فبأي. . . . الخ يستفيدون من البحر **يَخْرُجُ مِنْهمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَه الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)** يعني يستفيدون من البحر باستخراج الؤلؤ وبالتجارات البحرية **فبأي**. . . **كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ (26)** معناه عندي الحضارة التي تكون منشأها جزيرةالعرب أوالأرض المقدسة تفني. ويبقى وجه ربك أي قوم اتصلوا بالله بمعرفتهم بالتجليات الإلهية تكون الحضارة باقية فيهم **فبأي**. . . . الخ فإذا انتقل المركز من أحد الأطراف إلى الطرف الآخر يحدث الانقلابات الاجتماعية هو الذي بحثنا عنه أولا. **فبأي**. . . . الخ ثم يأتي القيامة الكبرى، وبالآخرة يصلون إلى الجنة. وفي كل موضع لا يتركهم لطف الرحمن سدى. استعداد الاستفادة من التجليات المنتشرة يحصل بتعليم القرآن. هذا هو أعظم بركة من الرحمن.

(1) في ن م : عندي المراد انتهى _والله أعلم_.جزيرة العرب بحر الهند،وقلزم يلتقيان،وبينهما برزخ هذه الجزيرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة

الواقعة: القيامة الكبرى. فبعد ما تأثر به نوع الإنسان من تلك الواقعة ينقسم بالطبع إلى ثلثة أقسام: (١) أصحاب الميمنة (٢) أصحاب المشئمة (٣) السابقون. ثم القرآن العظيم يعمل في زمانه مثل عمل تلك الواقعة الكبرى فينقسم الناس إلى ثلثة أقسام. فهاهنا انقلاب أصغر بالنسبة إلى الانقلاب الكبير يوم القيامة الكبرىٰ فليهتم به الناس مثل اهتمامهم بالانقلاب الكبير يوم القيامة كما يكون هو مبدأ نشأةأخرى هكذا تجعلون القرآن العظيم. وتعليم مبدأ نشأةأخرى في الإنسانية في كل يوم هداية باقية من تعليمات الأنبياء السابقين بواسطة رجال مخصوصين. أولئك كالنجوم في تلك الأمم. فإذا طلعت شمس القرآن كل النجوم تغيب من الأبصار، ويذهب تعارف[1] الأقوام في الأديان، وينشأ اجتماع مركزي عمومي عالمي ثم يكون له انبساط في الدنيا بقدر ما يسعى الساعون لنشر ذلك التعليم، وإصلاح الاجتماع، فهذه النشأة الثانية في الإنسانية.

حدث في المسلمين بعد القرون الراشدة مرضان: أحدهما الإرجاء. الرجل يفهم أنه إذا صدق بالإسلام واعتقد أنه أحسن الأديان فتلك العقيدةكافية في نجاته. العمل كالزائد. وهذا جهل بالفطرة الانسانية، ومضادة لتعليم الأنبياء؛لكن لما كان الناس تستروا بشبهات أخذوها من الآيات والسنة صار وجود تلك الطائفة مستقلا في المسلمين، وهم[2] المنافقون في لسان القرون الراشدة.

والثاني: أن الاسلام دين إلهي يريد الله إظهاره على الأديان كلها، فالله يجعله ظاهرا، ولو لم يعمل. وهذا جهل بالحكمة الإلهية إذا أراد الله إظهار الإسلام يعني إظهار المسلمين على أهل الأديان السائرة فإنما يكون بواسطة قوة المسلمين. فالمسلمون إذا علموا أن الله يريد ذلك فليعملوا بنشاط ويبارك الله لهم فيه يعملون عمل رجل واحد ويكون النتيجة مثل عمل سبع مائة أو سبع

---

(1) في ن م : تفارق.
(2) في ن م : وهؤلاء هم.

آلاف رجل أو أزيد من ذلك. أما إذا تركوه كلهم الإقدام على تعميل أمر الله فسبيلهم سبيل من هلك من الأمم السابقة، فهذا الغلط في الفهم غالب على فهم المسلمين من زمان؛ولذلك هجروا القرآن وإلا فالقرآن دائما يأتي بقيامة على الناس فينشأ نشأةجديدة صالحة كاملة لا يمكن وجود اجتماع أعلى منه أبدا. تم التمهيد.

قوله تعالى: **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) الواقعة الكبرىٰ لَيْسَ لِوَقْعَتِها كَاذِبَةٌ (2)** جميع الأديان متفق على وقوع تلك الواقعة اليهود والنصارى والإسلام. معلوم عند الناس أنهم قائلون بها. إنما أغلط الناس بعض الجهلة من المتكلمين الذين يريدون ترجيح الإسلام على الأديان الاخرىٰ على الملل الحنيفية للتكميل، وعلى الملل الصابئة بإبطالها، وهم جاهلون. الفرق بين الصابئة والحنيفية ليس إلامثل الفرق بين الإسلام واليهود والنصارى.

وهذا من أعظم المنن على المسلمين لحكمة الإمام ولي الله الدهلوي فإنه أوضح تلك المسألة غاية الإيضاح فجعل للإسلام موقع نفوذ في جميع العالمين؛لكن هؤلاء المتكلمون المتكبرون يجعلون الصابئين غير قائلين بيوم القيامة؛لأنهم معتقدون بالتناسخ. والحقيقة أن التناسخ عندهم إنما يظهر تأثيره إلى درجة ما في الإنسانية ليس كل إنسان محكوما بالتناسخ. والقيامة للاجتماع الإنساني لازم عندهم أيضا. ويقال لها في لسان الهند'' pearly'' ثم هؤلاء المتكلمون عندهم غلط آخر أيضا. للإنسانية أدوار. ونحن في دورة منها فآدم أبوالبشر. هو مبدأ الإنسانية في تلك الدورة فقط. وأما الدورات الأخرى قبل هذه الدورة وبعدها فهي، وإن كانت واقعة؛لكن ليس لها ذكر في الكتاب والسنة. والمحققون يعتقدون أن كل شيء سكت عنه القرآن والسنة مثلا فليس معناه أنه باطل؛لأنه ربما لا يذكر الشيء الحق؛لأنه لا يصل إليه إفهام العامة فيكون سببا للضلال فيسكت عنه، فالأدوار السابقة واللاحقة مسكوت عنها في شرعنا. والصابون يذكرونها، فلذلك يختلف كلماتهم في وصف يوم القيامة عن كلمات الحنفاء. والإمام ولي الله أثبت في حكمة مسألة الأدوار. وقد

تفطن بها رجل من أئمة أرباب النقل، والناس ما فهموا كلامه، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية[1] هو اهتدى إلى تلك المسألة بواسطة بحثه في كلام الله هو يعتقد أن الله دائم متكلم، ويظهر تكلمه إذا اقتضى المصلحة فهو يقول: إن الله متكلم بالكلام اللفظي دائما متى شاء وهو بحث في تلك المسألة مع الأشاعرة[2] والمعتزلة[3] وأوصل البحث إلى آخر الدرجة ثم لازم عقيدته أن المخاطبين لكلام الله يلزم أن يكونوا دائما موجودين؛لأن الكلام بدون المخاطب سفه يتنزه الله عليه. فالمخاطبون دائما موجودون. وهذه الدورة التي نحن فيها ليست أزلية، وكلام الحق لازم أن يكون أزليا، فقبل هذه الدورة دورةسابقة لازم إثباتها عنده لتوفية حق أزلية الكلام الإلهي. وخصماؤه ما فهموا مقصده، وأقاموا القيامة عليه. ونحن نفهم من ذلك أن المحققين من المسلمين يستشعرون بوجود الأدوار، وإن لم يتكلموا به، فإنكار طائفة من جهة المتكلمين ليس بشيء. والاختلاف الذي جعلوه بين الصابئة والحنيفية مثل الحيوان والإنسان كله مردود عليهم. ونحن بملأ فهمنا نقول_ بحمد الله_ ليس لوقعتها كاذبة. بعد ذلك أربع آيات في إظهار وصف الانقلاب.

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3) هذا العالم الجسماني العنصري الأفلاكي ترجع إلى الحالة الآتية التي كانت قبل الماء ثم ذكر الله **وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7)** تأثير تلك الواقعة على الإنسانية يجعلها منقسمة إلى ثلاثة أقسام بقوله تعالى: **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8)** فلما ذكر الميمنة والمشأمة ذكر معهما الاستفهام لئلا يقسهما الناس حسب أفكارهم. المراد من الميمنة والمشأمة شيء آخر. والقسم الثالث سماه الله بالسابقين. **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14)** يكون الناس في درجة السابقين من هذه الأمة في قرون الرشد أعني: قبل مقتل أكثر ثلة، ويكون بعد وقوع تلك الفتنة إلى آخر الدنيا قليلا. وذكرحالتهم في الجنة إلى آية 26.

---

(1) سبق ترجمته

(2) مر الكلام عن هذه الفرقة في سورة لقمان.الباحث

(3) مر الكلام عن تلك الفرقة في سورة لقمان.الباحث

ثم ذكر أصحاب اليمين فيه ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين. تحقيق السابقين، وأصحاب اليمين مفصل في حجةالله البالغة(1)، والبدور البازغة2(3) من كتب الإمام ولي الله. وجاء ذلك إلى آية **وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ 40**. ثم شرع في بيان أصحاب الشمال هؤلاء كانوا قبل ذلك مترفين في دار الدنيا كانوا أصحاب النعمة جمعوا النعم حولهم بالظلم على الطبقة الكاسبة المتوسطة والأدنى. وإذا دعوا بعد ذلك إلى الاعتقاد الصحيح أن الله رب العلمين وخلق الإنسان ويحاسب الإنسانية يوم الدين فلا يجوز لأحد أن يظلم أحدا لا يقبلون ذلك الاعتقاد الصحيح.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) الاعتقاد بأن الله يحاسبهم يبطل جميع أساسات أفكارهم فالحنث العظيم عندنا أفكار محاسبة الأديان، وكانوا يستقرون لرد الاعتقاد الصحيح بأن الإنسان إذا مات وصار ترابا كيف يبعث مرة أخرى؟ وهؤلاء الجهال لايعرفون أن مدار الإنسانية النسمة الحاكمة على البدن في جميع الأديان، وهي تكون محفوظة لا تكون ترابا فرد الله عليهم **قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)** هو يوم الحساب. وهذا يعرفه الفطرة الإنسانية بالبداهة؛لأن المالك له حق الحساب دائما. فهل ينكرون أن الله مالك السموت والأرض والإنسانية؟كلا! لا يقدر أحد من الإنسان على إنكار ذلك، والحساب لازم للملك في البداهة الفطرية. لذلك قيل اليوم الحساب يوم معلوم يعلمه كل الناس.

لطيفة: من أفكارنا السياسية رأينا الانقلابيين الروسيين أنكروا الديون السابقة للدول على الحكومة الروسية وجعلوها من لوازم الانقلاب فقاطعت الدول معاملة الانقلابيين بالمرة إلا طائفة من الانقلابيين. والاجتماعية الإنسانية في عصرنا ارتقت إلى درجة لا يمكن لقوم أن يعيشوا في جزيرة ما إلا بمعاونة جميع أقوام الدنيا، فالمقاطعة التجارية تأثر بها الانقلابيون أشد تأثر. ومات ألوف لعدم وجود الأغذية في بلاد روسيا لشدة الثلوج في الأطراف الشمالية وما قدر الانقلابيون

---

(1) لينظر:حجة الله البالغة،الإمام ولي الله الدهلوي،باب الأصول التي يرجع إليها تحصيل الطريقة,106/1.
2 كتاب في فلسفة الكون.الباحث.
(3) لينظر:البدور البازغة، الإمام ولي الله الدهلوي،فصل في أصحاب اليمين وأصنافهم،215-218.

على إدارة مصالح الناس.الفقراء الذين تكفلوا إليهم وقاموا في الانقلاب بفطائع[1] عظيمة بحجة أنهم يريدون تأييد المفاليس ثم ما قدروا على جميع الأغذية لهم، وما كان ذلك إلا لإنكارهم الديون. فأنا تأثرت بذلك كثيرا ورأيت شباننا كأنهم يقلدون في الانقلابية الروسية، وما كان لي مجال في الرد عليهم إلا أني تفكرت حيلة وقلت في برنامج الانقلاب: نحن نؤدي الديون التي اقترضها علينا بإسم مملكتنا الحكومة البربطانية فافترقنا عن منهج الانقلاب الروسي، وشباننا ما تحسسوا وقبلوا منا وشربوا هذا الشراب المر ثم لما وصل برنامجنا إلى كانكريس فاستحسن العقلاء منا أفكارنا. نحن جعلنا في برنامجنا لجنة من جميعة مركزية انقلابية مخصوصة بمحاسبة الديون، ونحن نعرف أن أكثر الديون على بلادنا من خاصة البرطانيين، ونعرف أنا إذا قمنا على خلافهم يبطل تلك الديون كلها. وأما الدول الأخرى غير البريطانية فنحن لا نبطل شيئا من الديون ونؤدي إليهم. بهذا الطريق حصل لنا فائدتان: نحن لنا مقلدين للانقلابيين الروسيين كل عمل حسن قاموا به، ونحن نستفيد من أفكارهم، ونوافقهم على ذلك. ليس ذلك من التقليد في شيء. وحصل لنا فائدةأخرى صارت مجلس كانكرسينا ممثلة للدولة الهندية الآتية عند جميع الأمم سوى البريطانية. فلما أدرك تلك الفوائد الغير المشدد بها عقلائنا وافقوا على البرنامج، فأقاموا لجنة من كانكريس لمحاسبة الديون. هم في سنتين جمعوا جميع الأعداد التي هي لبريطانية وغيرها ثم فصلوا إلى قرض جائز أو واجب علينا أداؤه. وأي قرض يلزم إرجاعه إلى بريطانية؟ وصنفوا ذلك الكتاب وقدموه إلى كانكريس ثم صدقته كانكريس وطبعته ثم ترجموها بأردو وطبعوها وأوصلوها إلينا تلك النسخة بوجه من الوجوه، فالذي أبدينا لكانكريس أنه يطلب الحكومة بالمحاسبة قبل الانقلاب؛ولهذا ذهب الكبر من دماغ بريطانية ونزلت إلى المداراة مع كانكريس وجعلتها مشتركة في حكومتها فاللطيفة التي كنا نريد إثباتها هنا هي أن مطالبة المحاسبة تبطل غرور الفراعنة. فالدعوة القرآنية إلى الإيمان بيوم الحساب هي منبع لكل إصلاح دماغي قلبي ونفسي. تمت اللطيفة.

---

(1) في ن م : بفطالع.

هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56) بعد ذلك آيات تمهيدا لتصديقهم بالنشأة الثانية؛لأن أكثرهم قائلون بعدم الحياة الثانوية[1]. **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57)** يعني:بالنشأة الثانية المني الذي يخلق منه الإنسان. الإنسان لا يقدر على أن يخلقه فالذي خلق المني أولا ثم قدر بين ما يخلق من المني الموت، وبالموت يبطل جزء ويحفظ جزء. أفليس ذلك الرب قادرا على أن يبدل أمثالكم وينشأكم فيما لا تعلمون؟. من النشأة الثانية القوى العاملة في هذه الدار غالبها من العناصر والأفلاك. والقوى العاملة في الدار الآخرةتكون غالبها من عالم المثال والسماويات؛فلذا قيل لهم. **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62)** ثم فصل أن القوى العنصرية لا تعمل بنفسها قال الله تعالى: **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63)** الزرع لا يكمل بالقوى العنصرية فقط ثم قيل: **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68)** العنصر الآخر. **أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوه مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69)** إنزال الماء من المزن يجعل تأثيرا جديدا في الماء لاشتماله على قوى كهربائية والفازات أو كسوجيتة[2]. . وهذا لايمكن بدون أن يصير الماء سماويا ثم ينزل الماء فالعنصر يعتمد على السمويات، وكذلك[3] ذكر الله النار. **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. . . . (71)** تضمين النار للنباتات والمعدنيات ثم استخراجها منها ليس إلابمدد من القوى السماوية. **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74)** إذا كان الرب يمد العناصر بالسمويات فيكون مدار النشأة الدنيا إلا بقدر على إنشاء النشاة الأخرى بتكثير القوى السماوية، وتقليل القوى العنصرية على عكس ماكان في الدنيا بلى! سبحان ربي العظيم. تم الباب الأول من سورةالواقعة هو بيان انقلاب يوم القيامة، وإنشاء نشأة أخرى.

الباب الثاني: **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)** كانوا في الجاهلية اقتسموا النجوم للأقوام هذا كوكب القوم الفلاني، وهذا كوكب القوم الفلاني، فجاء زمان، ونزل القرآن العظيم. هذا كان سببا لوقوع كواكب جميع الأقوام وغروبها. من بعد هذا الزمان لا يكون لقوم غلبة على الآخرين بل

---

(1) في ن م : ألا يكون بعد الموت حياة ثانوية.
(2) لم أطلع على مفهوم تلك الكلمة من خلال كتب اللغة.الباحث
(3) في ن م :ولذلك.

يكون الغلبة للأقوام على الأقوام. هذا انقلاب عظيم، ومنبعه نزول القرآن. فقوله: **فلا أقسم بمواقع النجوم** معناه أشهد زمان مواقع النجوم، وأريد أن تحفظوها؛لكن لا أذكرها بصورة القسم؛لأنه أجل منه، وإن كنتم أنتم لا تفقهون في شيء يكون أظهر في الفضل والكمال من المقسم به فاعلموا. . **إِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) -** هذا الأمر الذي نسميه مواقع النجوم يعني سقوط الأقوام **إِنَّه لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّه إِلَّا الْمُطَهَرُونَ (79)** هذا في حظيرة القدس **تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80)** أي رب الأقوام. هذا القرآن مثل القيامة يجعل الإنسان منقسما إلى ثلثة أقسام إن كنتم تفهمون أن هذا الكلام لايؤثر مثل ذلك التأثير فأعرفوا أنه أمر الحق أراد الله ذلك، وأنتم لستم بخارجين عن أمر الله. فهل يقدر أحد منكم أن يرجع روحا أراد الله إماتته؟. هذا المعنى خلاصة تلك الآيات.

أَفَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87) فتأثير القرآن في تقسيم الإنسانية لازم : أحدها المقربون أعني السابقين، وبهذا المعنى فسرنا قوله "**واقترب**" في سورة العلق أي كن من السابقين أصحاب اليمين. المكذبين الضالين هم أصحاب الشمال. فأصحاب اليمين يكونون عاملين بأوامر السابقين. وأصحاب الشمال يكونون المخالفين المعاندين. **إِنَّ هذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ** (95) النشأة الثانية كما تكون بعد القيامة مثله تكون نزول القرآن العظيم. وظهر بعد ذلك نحن نعتقد بما قسم المؤرخون. الارتقاء الاسلامي: الدور الأول جعلوه للعرب. والدور الثاني جعلوه للعجم الفرس والترك، ونحن لسنا بقائلين به. الارتقاء في الدور الأول ماكان إلا من أقوام مؤمنة بالقرآن من العرب والروم والفرس ماجاء يوم على الإسلام بعد نزول القران إلاوهو جامع للأقوام لا يختص بقوم دون قوم، فلازم على المسلمين أن يتركوا كبر القومية ويؤمنون بغروب كواكبهم ويفتخرون بالدعوة القرانية. هذا هو فعل ربنا العظيم. **فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)**.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحديد

من حسن ترتيب المصحف استفدنا أن تقسيم الأمة إلى أقسام ثلٰثة. كيف يعرف كنا محتاجين إلى ذلك؟ فسورةالحديد متكفلة بتوضيحها. الفضائل ثلاثة:(١)الإيمان بالله يعني اليقين بنجاح العاملين بالقرآن. (٢) إنفاق الصدقات لتكميل الدعوة القرآنية. (٣)قتال المعاندين لذلك.

ففي سورة الحديد لا يبحث مزيدا عن الثالث بل أشير إليه إشارة فقط. أما اقتسام الدرجات في الفضيلتين الأوليين بينهما بأكمل توضيح . الأمر الأول نسميه الإيمان بالله، ونشرحه بأن الحكم في الدنيا لا يكون إلا لله يعني حكومة القرآن تكون ظاهرة على جميع الأديان. فمن ابتداء السورة إلى آية 9 بيان هذا الإيمان أوبيان من آمن به. فنقرأ لكم:**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهرُ وَالْبَاطِنُ وَهوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْها وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيها وَهوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّه تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَهوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)** هذا بيان ملك الله، وحكمه في السموت والأرض في الأول والآخر ولا ينكره ذو عقل كائنا من كان. هذا هو المؤمن به من القرآن من استيقن بأن حكم الله نافذ وغالب على جميع الأحكام هومؤمن به. بعد ذلك في الآية: **آمِنُوا بِاللَّه وَرَسُولِه وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيه فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) وأنفقوا مما جعلكم** الخ هذه[1] هي الفضيلة الثانية: الإنفاق. ويظهر بذلك فضل المراتب بسهولة. **فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر**

(1) في ن م : تلك

كبير. **وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8)** معنى هذا لا تؤمنون بملك الله وغلبة أحكامه على الملوك، وقد أخذ عنكم الميثاق أن تجعلوا القرآن حكمه غالبا على جميع الأديان. هذا الميثاق أخذ في ضمن الإيمان بالله. ولا تشركوا به شيئا. هذا هو أول الميثاق للمؤمن. وقبول حكم كتاب غير القرآن: هو الإشراك بالله، فالإنفاق لتكميل ذلك المقاصد يكون عين الإيمان. **هوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9)** الإيمان الإجمالي كان حاصلا لكم يفصله بأدلة بينة، ونوركم يزيد بذلك، فلا يأتي الظلمات حول قلبكم. وهذا من رحمة الله ورأفة بكم لو أمركم أولا بالتفصيل لعلكم ما كنتم تدركون كنهه أولا. أمر بالإجمال واستقر ذلك في قلوبكم ثم فصل ذلك الإجمال بالواضحات. فما كان إمكان لريب، ولو لم يسلك في تربيتكم هذا المسلك لعلكم ما نجا منكم إلا قليل. قوله تعالى: **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.** . يعني كل واحد يموت ويترك ماله إلى ملك الله ففي قليل حياته لم لاينفق[1] بإسم الله؟. قوله:**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10)** هنا بين الله السابقين من أصحاب اليمين من أنفق من قبل الفتح هو من السابقين. **وكلا وعد الله الحسنى** كلاهما على الخير قوله: **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَه لَه وَلَه أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)** الإنفاق على قسمين:القسم الأول: صدقة واجبة على الرجل إذا رأى فردا أو اجتماعا محتاجا إلى شيء، وذلك الشيء فارغ عنده عن حاجته فواجب عليه أن يتصدق بذلك على ذلك الفرد أو ذلك الاجتماع، فأمير المومنين عثمان_رضي الله عنه_ في غزوةتبوك أنفق نفقات كثيرة. هذا كله كان من الواجبات؛لأن المسلمين في تلك الحالة كانوا محتاجين لو لم ينفق رجل يعذب أو يؤاخذ عليه.

(1) في ن م : لما

القسم الثاني:المسلمون لا حاجة لهم إلى ذلك؛لكن لو كان عندهم فضل أموال انتظم أمرهم بأحسن نظام. والرجل عنده فضل أموال. وهذا يسميه الله بالقرض الحسن يرده الله إليه أوإلى عائلته أضعافا مضاعفة. قوله **من ذا**. . . . . الخ: هذا معناه هذه: السبقة إلى الإنفاق في الحقيقة تنورهم بنور الإيمان هوالذي يوجب عليهم، فيظهر هذا العمل في المحشر بصورة النور. والذين لا ينفقون لا يكون لهم نور، وهم باشتراكهم في اجتماع المؤمنين يرجون خيرا لأنفسهم؛ لكن إن لم يجبرهم إيمانهم على الإنفاق فليس اشتراكهم بالإسم مع المؤمنين ينفعهم. إلى هذا إشارة في قوله تعالى: **يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها ذَلِكَ هوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**[1] (12) **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهمْ بِسُورٍ لَه بَابٌ بَاطِنُه فِيه الرَّحْمَةُ وَظَاهرُه مِنْ قِبَلِه الْعَذَابُ (13) يُنَادُونَهمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّه وَغَرَّكُمْ بِاللَّه الْغَرُورُ (14) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** (15)والمنافقون كانوا يتأملون في الإنفاق ويتربصون؛لأنهم لا يتيقنون أن حكم القرآن يغلب على الأحكام، فالإنفاق في هذا المقصد عندهم إضاعة المال فلا ينفقون، ولا يكون لهم نور يوم القيامة.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهمْ لِذِكْرِ اللَّه وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهمْ وَكَثِيرٌ مِنْهمْ فَاسِقُونَ (16). الإنسان

---

(1)في ن م: أغلاط المفســـرين كيف حرفوا كتاب الله؟ هذا غاية جهدنا في فهم الكتاب. والله أعلم بحقيقة دينه .الإمام ولي الله مصـداق بنزول المسـيح،وإتيان المهدي،ويشـير بإشـارات وتلميحات إلى ضـعف هذا الفكرمثلا: يقول لو تم المبشـــرات التي بشـــرني الله بها لما احتاج الناس إلى المهدي ثم يزيد كلمة في آخره إلى زمان فيدارى الناس.يقول: اجتمع في قلبك عكس إســم الله الذي كان غالبا على قلب نبينا،وعكس إســم الله الذي كان منعكســا على قلب عيســـى.فالبركات كلتاهما فائدتان من وجود الإمام.نحن اقتنعنا أن الإمام ولي الله يشــير إلى أنه هو المهدي،وهو المسيح؛لكنه يصـرح بأنه يداوي الناس تأنقنا،وداوينا الأنام بوضـعهم فأطبت مراقينا وطاب الشـمائل،وهو يصـرح في موضـع آخر أن طبيعة فيها ضـعف بالنسـبة إلى العلوم التي انكشـفت له تغرسـنا من ذلك أن الأمر غير ذلك.ومداواة الناس على هذه حتى يصير عمره متوجها إلى قطع تلك المنازل يبقى.هذه العبارة الطويلة لاتوجد في ن إ .

يقرأ كتابا ويتأمل فيه كثيرا، فدماغه يكون معجبا به؛لكن قلبه لا يتأثر بذلك. وهذا الذي سميناه مرض الإرجاء. هذا يكون أثره لازما إذا لم يأت تجدد في الأفكار فيقسو قلوبهم لايتأثر بعلوم فلا ينفعهم ذلك الإيمان مثل أهل الكتاب في زمن نزول القرآن. ونحن رأينا مثل ذلك في قومنا. وتوضيح ذلك أن رجلا قرأ الكتب الدينية، وصاحب المشائخ المعلمين، والإخوان المتعلمين فيكون معجبا بالنظريات الدينية. وكل ما جاء فكرمؤيد للمثل الأعلى الذي اختاره هذه الطائفة يستحسنه، ويعجب به حتى يصير عمره متوجها إلى قطع تلك المنازل يبقى في المدرسة عشرين أوثلاثين سنة، وليس له من الدنيا إلا هذه الأفكار، وقليل من المعاش الذي يصل إليه من المتصدقين. هذا الذي نسميه طال عليه الأمر فقسى قلبه ثم رجل آخر رفيق هذا الطالب عينه مفتوحة ينظر إلى قومه، وينظر إلى الأقوام الآخرين، ويقيس مابينهم من مدارج الارتقاء. وإذا رأى قوم متأخرا في شيء ما عن القوم الآخر لا يصبر حتى يوصل قومه إلى الدرجة المرادة بتحريض الاجتماع على التقدم، وتيسر ما يحتاجون إليه باحتيالات باختلاط مع الأقوام الآخرين فإما أن يفوز بمقصدهأو يموت ليس له سكون أبدا، فهذا رجل مثل الأول إيمانه، وإيمانه ليس بينهما فرق، لكن قلب الأول لايتأثر بإيمانه صار قاسيا. وقلب هذا لا يصبر أن يرى معتقده متأخرا أو ذليلا. نحن ذكرنا مسألة القوم. ومثل هؤلاء الرجال يكونون شذوذا في الأقوام. أما رجال العائلات الذين لا يتحملون تأخر عائلتهم عن عائلة مقابلة لهم، ويسعون في تقديم العائلة أو يموتون دونها فيكثرون. والرجل البصير الذي يريد تقديم قومه هو يجمع هؤلاء الرجال رجال العائلات في نظام قومي، ويتقدم بهم فيفوز، وإن سعى ولم يوفق لجمع رجال العائلات فيموت شهيدا. فالقرآن يمنع الناس أن يقتدوا برجال القسم الأول.

قوله:**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17)**

فهذه الحياة الجديدة التي يأتي بها القرآن إنما تقوم بسعي رجال تخشع قلوبهم لذكر الله، والمراد من ذكر الله القرآن، وخشوع القلب له هو عزم الموت إلى أن يتم أمر القرآن بهؤلاء تقوم الحياة الجديدة. الأرض الميتة ليس بها ماء فأنزل الله المطر، وصار الرمي داخلا إلى أجزاء الأرض تحتها فالفلاحون في القرية بذرا، ولا يحرثون الأرض أيكون لهم شيء من الحياة؟ من الفلاحين قسمان:1. قسم إذا

رأى الماء نازلا أول قطرة نزلت منه إلى الأرض يترك كل شغل حتى يتم ما يجب عليه من الحراثة . في بلادنا في السند مثل إذا جاء موسم الماء (ماء الأنهار مرادهم) فمات الأم فاجعلوها في صندوق، ولا تخبروا بها أحدا، فإذا فرغتم من العمل الابتدائي بعد ذلك[1] تقولون ماتت الأم فتدفنونها. [2] هؤلاء الذين عندهم نشاط. هكذا أنزل الله القرآن مثل إنزال المطر فيجب على الناس[3] أن يقدموا بأفعالهم. ولا يكونون من القسم الآخر من الفلاحين كالمفلوجين كل يوم. يقول نعمل غدا حتى يمضي الموسم. هؤلاء الذين قست قلوبهم ليس فيهم نشاط.

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) فأول أعمال المؤمن لإقامة دين الحق هو الإنفاق بإسم الصدقة أوالقرض. واجتماع الصلوة الذي جعل أساسا للدين إنما هو ذريعة إلى الإيمان والإنفاق. فإذا خلت مساجدنا عن تعليم القرآن عضا طريا كان المطر الآن نزل لإحياء القرآن، وخلت اجتماعاتنا للصلوة عن التفحص عن الحاجة إلى الصدقة والقرض فليست تلك الصلوة صلوة المؤمنين. وليس المساجد مساجد المسلمين إنما هي معابد مثل معابد الأديان الآخرة بطل عنهم الحياة.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ همُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهمْ وَنُورُهمْ هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان والإنفاق، فالسابقون منهم أيضا على قسمين: 1- قسم قوتهم العلمية غالبة فيهم أولئك الصديقون 2. قسم قوتهم العملية غالبة، وأولئك هم الشهداء، والذين يخالفونهم هم الكفار أصحاب الجحيم. ونزيد في ذلك حكمة: الصالحون يكونون من أصحاب اليمين بعد الصديقين، والشهداء. وهاهنا لم يذكر إلا الطرف الأعلى من الجانبين.

---

(1) في ن م : تنوحون.
(2) في ن م : كان من إخواننا رجل من الفلاحين إذا جاء ماء النهر في حفرته فدولابه كله يكون متهيئا قبل ذلك،فأول ما وصل الماء إلى الحفرة يجري دولابه لإخراج الماء،وهو كان أغنى الفلاحين في القرى المتجاورة. هذه الواقعة لاتوجد في ن إ.
(3) في ن م : فالناس واجب عليهم.

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاه مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّه وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)فتحليل الحياة الدنيا في هذه الآية، وليس النفع فيها إلا لمن يستعملها لتقوية الإيمان. فإذا تقدم إليه رجل، ولو بعد أيام، وأزمان يكون سببا لمغفرة ذنوبه. إلى هذا إشارة في قوله: **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرُسُلِه ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللَّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (21) يعني: إن كان ما استطعتم أولا فاعملوا من الآن قوله : **وجنة**. . . الخ فذكر هاهنا لطيفة رياضية: الأجسام لها أبعاد ثلثة. والفطرةالإنسانية تتفرس ببعد رابع أيضا، ولم تقدر على إقامة الحجة على ذلك، وأنا من القائلين به. واجعل عالم المثال البعد الرابع لعالم العناصر لحكم في الأبعاد الرياضية. هكذا النقطة ليس لها طول، ولا عرض، ولا عمق يكون على طرف الخط فإن استخرجنا نقاطا غير متناهية لا ينقص من الخط شيء. وهكذا الخط يكون طرف السطح فإن استخرجنا خطوطا غير متناهية من السطح لا ينقص السطح أبدا. وهكذا السطح طرف للجسم[1] فإن استخرجنا من الجسم سطوحا غير متناهية لا ينقص من الجسم شيء. وإذا قلنا بالبعد الرابع فيقع هذا الجسم ذوالأبعاد الثلثة على طرف منه. فإذا استخرجنا الأجسام ذات الأبعاد الثلٰثة لا ينقص منه شيء. وتحدسنا لذلك من حديث الكسوف قال النبي:" لو أخذت عنقودا من الجنة فأكلتم منها إلى يوم القيامة لا ينقص منه شيء"[2] لما قرأت أنا ذلك الحديث حدس في ذهني أن لوفرضنا ذلك الجسم، والأبعاد الأربعة، ونحن نأخذ العنقود ذا الأبعاد الثلثة فبعد أكلنا بمراتب غير متناهية لا ينقص من الأصل شيء، وجعلت الأمر الوارد منقولا فجاء رجل ممن قرأ في "عليكره" يقرأ علينا الحديث فذكرت له ذلك التوجيه فقال: هذا فكر صحيح. بعض

---

(1) في ن م : فإن من الجسم.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى، قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت، قال: «إني أريت الجنة، فتناولت منها عنقودا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا» لينظر : صحيح البخاري, الإمام البخاري, 1/ 150, رقم الحديث: 748, باب رفع البصر إلى الإمام في الصلوة.

الرياضيين قائلون به. وعندي كتاب إسمه البعد الرابع فقط مترجم من الألمانية؛لكن لا أقدر على فهمه ثم أمرت أن يرجع إلى عليكره، وهنا رجل ماهر في الرياضية يفهم منه، وهذا الرجل الماهر الدكتور ضياء الدين(1) هو اليوم مدير جامعة عليكره فقال إني أيضا سمعت بالكتاب، ولم أقرأ، وأنا كنت متيقنا بنفس المسألة؛لأن إثبات عالم المثال في حكمة الإمام ولي الله من الأمور اللازمة المهمة. والمشاءون قاطبة ينكرونها. ونريد تقريب أذهان العامة إلى عالم المثال بدليل من الرياضيات فالآن يقدر أحد أن ينكر البعد الرابع. إنما يقول إنه لا أفهم هذا الفكر أخذته أصلا من ذلك الحديث ثم جعلته مؤيدا بهذه الآية. هذه السموت والأرض أجسام ذوات أبعاد ثلثة، وهي تقع بعرض الجنة، وطولها مسكوت عنها متحد إلى ما لا نهاية، فلما ذهبنا إلى موسكوه ذكرنا فكرنا في البعد الرابع هم يقولون: إن رياضيا روسيا كان له قول بذلك، وتعجبوا من ذلك. وبعد ذلك مارأيناهم، وهم يتوجهون بكل قوتهم لفهم قولنا لامثل المناظرين.

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّه لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) الإنسان يسعى لتكميل ما رآه صحيحا، وآمن به، فإذا كان رجل يؤمن بالله يسعى طول عمره لإقامة حكمه على الأرض. أما المصائب والفرحات فلا دخل لها في استكمال الإنسان سير كماله. المصائب والأفراح تأتي تحت قواعد غير هذه، فالالتفات إليها يكون بنظرثان. الإنسان في الفرح يصل إلى الاختيال والافتخار لا يحبه الله. وإذا وصل في المصائب إلى درجة البخل لا يحبه الله. **إن الله هو الغني الحميد**. لا يحتاج إلى أموال الناس إنما ينظر إلى سعى الرجل لنصرة الحق. وهذا كله لتكميل الفطرة الإنسانية. وإليه الإشارةفي قوله: **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّه مَنْ يَنْصُرُه وَرُسُلَه بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّه قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)** أي أداء للفرض الإنساني

(1) لم أطلع على ترجمته.

يتعلق بعقله. الإنسان إذا عرض عليه أمر عقله لا يقبله فلا يقبل ذلك الأمر أبدا فطرته فالله رحيم بعباده أرسل رسله بالبينات.

وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ. لأن الاجتماع لا يحفظ علومه إلا بالكتاب، ولا يأتي إليه التغير والتحريف. والميزان هذا هو نور القلب الذي يحكم أنه أصاب أو أخطأ. **ليقوم الناس بالقسط.** ثم الناس يكونون يفهمون الحق؛لكن لا يقومون بالقسط بل يعاندونه. ولذلك أشار بقوله: **وأنزلنا الحديد.** . . الخ الحديد ينتفع به في الحرب، وفي الصناعات قوله: **وليعلم الله من ينصره.** . . الخ فالفرض من الإنسانية ليس إلا يعلمه الله. هل هو ينصر الحق أم لا؟. **إن الله قوي عزيز** ليس بمحتاج إلى إعانة الناس.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهمْ فَاسِقُونَ (26) فابتداء هذه السلسلة الذي يقوم القرآن بإحيائه هو من أئمة الأرض المقدسة نوح ثم إبراهيم، وفي الارض المقدسة النبوة والكتاب كان لذريتهما فقط. أنتم تعرفونه نحن نجعل الأرض المقدسة إحدى الأراضي السبع، ولعلكم سمعتم قول إبن عباس[1]: إن في كل أرض آدم مثل[2] وهكذا. واشتبه على الناس معنى هذا الأثر؛لأنهم لايقدرون على تعيين الأراضي السبع. وهذه السلسلة ممتازة عن سلاسل الأراضي الأخرى.

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاه الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوه رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهبَانِيَّةً ابْتَدَعُوها مَا كَتَبْنَاها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّه فَمَا رَعَوْها

---

(1) سبق ترجمته في مقدمة البحث.

(2) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق: 12] قال: سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»لينظر: المستدرك على الصحيحين ت: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) رقم الحديث:3822, 535/2, تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، 1411 – 1990م.

حَقَّ رِعَايَتِها فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنهمْ فَاسِقُونَ (27) هذه[1] آخر تلك السلسلة **رأفة ورحمة** هم قاموا لجمع الأمم على اتباع عيسى بن مريم. فهذه كانت مثل الابتداء لغلبة القرآن. وفعل أصحاب عيسى يقاربه فعل أصحاب بودا فهؤلاء نشروا ديانة متقاربة إلى جميع أقوام الدنيا؛لكن أصحاب عيسى ابتدعوا رهبانية لعلهم أخذوها من أصحاب بودا **ما كتبناها عليهم**. . . لم يكن واجبا إلا ابتغاء رضوان الله إيصال النسانية إلى العلم والإنصاف **فما رعوها**. . الخ يعني فسقوا فيها جعلوها سبب جمع حطام الدنيا **فآتينا الذين**. . . الخ فالسلاسل المقدمة قليلا كانوا على الحق، وأكثرهم كانوا خارجين عن الطريق المعتدل.

فالنبوة انقسمت إلى عملين: 1. حفظ الكتاب ، وإقامة الحكم تحت قانونه كما كان من أصحاب موسىٰ. 2. تعليم الناس بالرأفة والرحمة كما كان من أصحاب عيسى. والذين يؤمنون بالقرآن فرضهم الجمع بين الأمرين. وفي هذا يكونون السابقين على جميع الأمم. إلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى: **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَآمِنُوا بِرَسُولِه يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِه وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِه وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ** (28) فالنبى يعلمكم طريقين، ولكم كفلان من الأجر **ويجعل لكم نورا**. . الخ إن كان الكتاب باللسان العربي، والدين مرتب على عادات العرب؛لكنه إذا ذهبتم إلى أقوام آخرين يجعل الله لكم نورا في قلوبهم يمشون بذلك النور تقيسون أحوالهم، وتعتبرونها بالقرآن **ويغفرلكم**. . . إذا كان قصوركم، [2] ووقع منكم خطأ[3] فلا يكون عند المسلمين رهبانية، ونورالمعرفة يكونون حاملين له إلى درجة لم يسبقهم أمة إليها، فأهل الكتاب يزعمون خصوصا النصارى أن الناس لا يمكن لهم الاجتماع العالمي إلا بتقليدهم. فالمسلمون باتباعهم لنبيهم، وجعلهم القرآن إماما يقطعون جميع أودية الترقي هذا كانوا بذلك أسبق السابقين. فالقرآن أنشأ نشأة جديدة. إلى هذا المعنى عندنا إشارة في قوله: **لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّه وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّه يُؤْتِيه مَنْ يَشَاءُ وَاللَّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**

---

(1) في ن م : تلك
(2) في ن م : قصدكم
(3) في ن م : يغفرلكم

(29) يعني ألا باتباعنا **وأن الفضل بيد الله**. . . الخ فنحن آمنا بالقرآن يؤتيه الله ذلك الفضل، فهذه الأمة الأمية تسبق أهل الكتاب بفضل الله. [1] الذهنية، والثقافة من كنكا إلى النيل كانت واحدة قبل إبراهيم، وإبراهيم من برهمن. وقد حدثت في وادي دجلة، والفرات، والسند حفريات تدل [2]على وحدة المنشأ، ولم أعرف، ولم أتحقق أصل نوح . أما أصل إبراهيم فبرهمن.

(1) في ن م : والله ذو الفضل العظيم الحمد لله تمت السورة.
(2) في ن م : كلمة " تدل " لاتوجد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمن

حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّه الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَه إِلَّا هوَ إِلَيْه الْمَصِيرُ (3) حم ثمانية وأربعون آية. هذه المدة للحركة الإسلامية في مركزها الأول: ح: ٨ من المبعث بعد ثمانية من السنين، أسلم حمزة[1] وعمر وأدوا الصلوة جهرا في الحرم بالجماعة. وعندنا هذه مرتبة أولى من الحكومة الاجتماعية غير العسكرية حكم الإسلام ابتداء من أول نزول القرآن. كل من آمن بالنبي بأن لا إله إلا الله الذي أرسل هذا النبي، فهؤلاء سلموا حكومة حاكم إذا كانت معارضة لحكم الإله النازل على هذا الرسول، فكل مؤمن عندهم شرط في قبول حكومة حاكم أن لا يكون مخالفا لحكم الإله المنزل على هذا الرسول ، فإذا لم يخالف حكم حاكم فيطيعه المؤمن حسب مصالحه، وإذا خالف فلا يطيعه كائنا من كان سواء ذلك الحاكم كان أباه أو مرشده أو حاكم الاجتماعية التي نشأ فيها، فيرد حكم كل حاكم من أبيه إلى ملك إذا كان مخالفا. هذا أمر واضح في معنى قبول الإسلام. وأنا بحمد الله أرى المسألة واضحة كالأمور المبصرة؛لكن نرى طوائف من العلماء الأزكياء السياسين يترددون في مثل تلك الحالات. غلب نظام الكافرين للقرآن على حكومة المسلمين. أحكام المسلمين أطاعوا الكفار، فيجوز الفقهاء المسلمين المسلم يطيع هذا الوالي المسلم أداء لفرضهم الإسلامي أفلا يكون هذا إطاعة للكافر بالواسطة؟؛لكن هؤلاء طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فلا يفقهون[2]. ورأيت حالة

---

(1) حَمْزَة بْن عَبْد المطلب بْنِ هاشـــم بْن عبد مناف أَبُو يعلى، وأمه:هالة,وهو شـــقيق صـــفية بنت عبد المطلب أم الزبير، وهو عم رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب، وكان حمزة أسن من رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ بسنتين، أسلم في السنة الثانية من المبعث وشهد أحدًا، فقتل بها يَوْم السبت النصف من شوال، وكان قتل من المشركين قبل أن يقتل واحدًا وثلاثين نفسًا، منهم: سباع الخزاعي، قال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، وكانت أمه ختانة، فقتله. لينظر: أسد الغابة 1/ 528-529.

(2) في ن م : أنا بحمد الله أســـلمت بنفســـي كنت في ابتداء البلوغ ما كانت علي حكومة إلا كبير عائلتي.وفي تلك الحالة كنت أعرف من نفسي إن كان إطاعة كبير عائلته من لوازم إيماني وإلا ماكنت قادرا على إظهار الإسلام كما

المسلمين في الهند أن كثيرا منهم يطيعون الحكومة الإنكليزية بطوع رغبتهم وتناقض أفكارهم فلا أعرف شيئا سوى أنه طال عليهم الأمد فلا يقدرون أن ينظروا إلى الأمور بالتحقيق إلا متلبسا بتقليد آبائهم وإلا متلبسا بالتضييق على قضاء حوائجهم، وهم متفقون علما أن تقليد الآباء في مثل تلك الأمور كفر، وإبداء عذر التضييق في الحاجات نفاق؛لكن في أمورهم لا يحكمون بالحق. (1)

ثم أحمد ربي أني وصلت بخدمة شيخ الهند محمود حسن[2] فرأيته في تلك المسألة حاكما بالحق,وهو يداوي الناس؛لأنه يتفحص موقفا مناسبا للانقلاب فقدرت على فهم سيرة مشايخه إلى الإمام ولي الله. وقبل ذلك كانوا تحت حكومة الإسلام من شرح الصدور فافترق عندي بعد ذلك الذين يجاهدون لانتصار الحق فيتحينون مواضع لانتصارهم أشبههم بحالتي في بيتي كنت أسلمت؛ولكني ما قدرت على الخروج من العائلة وإعلان الإسلام، وكنت في تلك المدة أتحين الفرصة للخروج. فما كان قلبي في ذلك الزمان مطيعا لكبير عائلتي إلا في الظاهر واستصحاب الحال، فطائفة المجاهدين في الهند، وإن كانوا في الظاهر ساكنين صامتين على حكم الكفار، وأنهم يتحينون الفرصة للقيام عليها، فلا أشك أنهم على الحق. وطائفة أخرى لا يعرفون إطاعة الكفار مضرة بإيمانهم، ويشتغلون بالعمل بأحكام الدين حسب استطاعتهم، كأنهم يعيشون في الحكومة المسلمة، فهؤلاء أحسبهم مثل الذين جعلوا عمارة المسجد وسقاية الحاج غاية دينهم، فإن لم يوافقوا الكفار بالإرادة فهؤلاء كأصحاب اليمين. وأما الذين يدعون إلى إطاعة الحكومة ويشتغلون بذلك

فهمت أنا. رأيت عامة المسلمين وخاصتهم متوافقين على ذلك أنه واجب علي إنكار إطاعة كبير عائلتي بعد ماكبرت وتعلمت العلوم ورأيت حالة المســـــلمين في الهند أن كثيرا منهم يطيعون حكومة الإنكليز بطوع رغبتهم ولايحكمون على أنفســــهم أنه فرض عليهم بحســـب الإيمان بالنبي أن ينكروا إطاعة هؤلاء الحكام فتعجبت من اختلاف ذهنيتهم وتناقض أفكارهم. أليس حالي في ترك إنكار كبير عائلتي وحالتهم في ترك إنكار حكومة الحكام الإنكليزية ســـواء بســــواء؟ عندي لافرق بين الحالتين. وأنا بحمد الله اليوم بالغ إلى درجة الفهم فأحكم أنه لايمكن لأحد أن يأتي عندي بإبداء فرق بينهما فتعجبت كيف بطل تفكر الناس؟ أنهم في أمثال أمري متفقون على إنكار وعلى أمثال أمورهم كأنهم متفقون على الإطاعة .

(1) فأنا في مثل هذه الأمور لا أقلد كائنا من كان.وكل من أراد أن يغالطني في ذلك أعرفه مثل الأمم المجرمة اليهود والنصارى والبراهمة.عندنا في الهند كلهم سواء بسواء.

(2) سبق ترجمته.

منشرحي الصدور فلا أقدر أن أحكم عليهم أنهم فهموا الإسلام، فأشكر ربي أنه يسرلي صحبة مشايخي يعلمون الدين ويعملون به وصار صحبتهم سببا لخروجي من ظلمات كثيرة فما زلت متواصلا في ذلك الفكر وجريت الطوائف من أهل العلم وأهل الحكم من الأقوام المختلفة المسلمين تيقنت أن قول لا إله إلا الله إذا كان بإخلاص وبفهم ينفي حكومة غير الله عن قائله.

والفرق في المدارج إنما هو في الفهم والبصر، فأنا معتقد حقيقة بقول من قال: إن أعظم الجهاد هو التعليم، فإن القائلين بلا إله إلا الله من المسلمين إنما أحيطوا بالظلمات لعدم تعليم الرشد من معنى كلمة التوحيد لعامة المسلمين. وأنا بحمد الله مؤمن بأن القرن الأول من المؤمنين كانوا منزهين عن تلك الوضعة أنهم لا يعلمون معنى قولهم لاإله إلا الله. هم إذا آمنوا بالله قدمواحكومة الرسول من الله على كل حكومة في الدنيا سواء كانت في البيت في المدينة في الدولة، فتحقق بذلك أن كل مومن كان يسلم لحكم النبي المرسل من الله، ولا يقدم على ذلك حكم أحد، فلم يتحقق بذلك حكومة النبي على المؤمنين. هذا الذي نسميه بالحكومة الإسلامية الاجتماعية. هذه ابتدأت من أول يوم نزول القرآن وإيمان أم المومنين خديجة وورقة بن نوفل وأبى بكر الصديق ومن معهم بالنبي، وتسليمهم جميع الأمور للنبي فهم يطيعون الناس بعد الإجازة من النبي.

هذه كانت ابتداء الحكومة الاسلامية، وارتقت بالتدريج : عبد من عباد كبراء قريش يؤمن بالنبي فيرد حكم ساداته إلى حكم النبي إن أجازه يعمل بأمرهم وإن منع النبي عبدا من عبيد المسلمين عن شيء فلا يقدر ساداتهم بإجماع قوتهم إن يذعنوا هذا العبد لقبول أمر خلاف أمر النبي فهذا أدهش عقولهم، وفهموا أن عزهم على شرف الزوال إن استقر هذا الدين فكانت مخاصمات ومجادلات حتى أسلم عمر وحمزة في السنة الثانية من المبعث فخرجوا مجتمعين من بيت اتفقوا فيه إلى المسجد الحرام، وأقاموا الصلوة جهرا، فكان إعلانا بقيام الحكومة الإلهية الاجتماعية

بمكة. وهذا الذي استفدناه من حكمة الإمام ولي الله من حاشيته على تفسيره في سورة الرعد، [1] ومن بيانه في فيوض الحرمين[2].

فرق بين الخلافة الباطنة، والظاهرة بين[3] الفرق بين الخلافتين. وإذا أمعنا وأتقنا فهم كلماته وجدناها أقوى وأعلى من كل رجل اجتماعي يدعو لي سوسيالزم في زمننا، فجعلنا هذا الأساس من تعليم القرآن هو مرتقى الإنسانية. وما تشوشنا بعد ذلك من دعاة الانقلاب الأوروبيين، فإننا لاننصر الإسلام إلا باعتبار هذه الحكومة الاجتماعية. وأما الحكومات الإسلامية التي اعترت الإسلام في طول حياته فأول ذلك الخلافة الإلهية الظاهرة بعد فتح مكة أقامها النبي ثم اتبعه خلفائه من الصديق والفاروق وعثمان وسنتين من خلافة علي ثم التحق معهم معاوية فهذه الخلافة المثل الأعلى في ديكتاتورية الانقلاب. فإن الانقلاب لا يتم إلا بالدكتاتورية. فالمرحلة الأولى الخلافة الظاهرة تحت علي مقتل عثمان، وهو مصداق م أربعين سنة بعد ظهور الاجتماعية الباطنة، فمعنى ح اجتماع القوة الاجتماعية، ومعنى ميم انضمام القوة الديكتاتورية الانقلابية معها. فهذا الدور هو مركز أدوار الاسلام. والإمام ولي الله يجعل القرون الثلٰثة منحصرة فيها[4] ثم أضممنا إليه سنتين من خلافة علي صارت خمسين هي مصداق نون ثم إذا أضممنا إليه عشرين سنة من إمارة معاوية صارت سبعين أو إحدى وسبعين هي مصداق آلم، فهاتان الدورتان نون آلم منضمتان إلى الدورة المركزية. فنحن ننصر الإسلام في تنظيمه الاجتماعي أولا ثم إذا قدرنا على الانقلاب لذلك المقاصد نجعل الخلافة الظاهرة على درجاتها الثلاث مثلاً أعلى حسب مصلحة الوقت نقتدي بالأئمة في درجاتها الثلاث.

---

(1) لينظر: هامش فتح الرحمن بترجمة القرآن، الإمام ولي الله الدهلوي، سورة الرعد، 257، تحت قوله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِها وَاللَّه يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه وَهوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41)

(2) لينظر: فيوض الحرمين, الإمام ولي الله الدهلوي, 334، ترجمته بالأردية، محمد سرور، ط: دار الإشاعت كراتشي، عام: 1414ه.

(3) العبارة تكون هكذا: بين النبي الفرق بين الخلافتين؛ لأن السياق يوافقه. الباحث

(4) لينظر: إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، الإمام ولي الله الدهلوي، مقصد أول، 445، ط: قديمي كتب خانه كراتشي.

تتمة الكلام: فكري أن دور النبي مع دور الصديق خمسة وعشرون سنة هو المثل الأعلىٰ، ولم يكن فيه لرأسمالية أدنى اعتبار. كل الناس يعملون حسب طاقتهم لله في تكميل نظام الاجتماعية الإنسانية، ويزرقون معاشهم بقدر ضرورتهم لا بقدر مرتبتهم في العمل الانقلابي يعني الاجتماعي.

رجل كبير من السابقين له في عياله ثلثة أنفار. ورجل من أصحاب اليمين يعمل حسب ما يؤمر له في عياله عشرون نفرا. فالأول يأخذ معاش أربعة. والثاني:يأخذ معاش أحد وعشرين نفرا لا يبق السابق بقدر درهم على هذا الرجل. هذا النظام كان قائما طول حياة النبي إلى آخر خلافة الصديق.

قد رأينا الناس هم يفضلون فتوحات زمن الفاروق وعثمان وبنى أمية، ويبالغون في تعظيم أمرها، ونحن معهم في ذلك الأمر؛لكن نخالفهم في أمر واحد: يأتي في أفكارهم أن زمن النبي والصديق كان زمن ضعف الإسلام نحن نخالفهم في ذلك. أصل قوة الإسلام إنما كان زمن النبي والصديق فقط. ألستم ترون كيف كان سحاب الجهل والظلمات غاشية على جميع جزيرة العرب؟ وكيف صار الجوصافيا؟ ثم ينظرون كيف كان قوة الإنسانية متشتة إلى عائلات وقبائل؟ وكيف اجتمعت تحت نظام القرآن؟، وكل ذلك ما حصل إلا بجهد[1]. أفكانت مثل هذه مرة ثانية في الإسلام؟ الناس كانوا تعدوا بعظمة النبوة فاجتمعوا على نظام القرآن، فلما توفي نبيه انتشروا مثل الأول وارتدوا، فكيف جمعهم الصديق على إمارة رجل منهم ينفذ القانون؟ هل وجدت مثله مرة أخرى في الإسلام ؟ وفي تلك الدورتين لم يكن أدنى أثر للرأسمالية في الإسلام.

فنحن لا نرى في القوة والاجتماعية الحقانية دورا مثل دور النبي والصديق ثم بعد ذلك جاء دور الفاروق فيه كانت فتوحات وهلاك كسرى وقيصر؛لكن مع مداخلة ما من الرأسمالية في النظام الاجتماعي للإسلام، وإن كانت الرأسمالية في تلك الدرجة محدودة بحدود ومشروطة بشروط، وكان

---

(1) في ن م : بزيادة جهيد.

هو يقظان لا يترك كبارعماله ولاصغارة بدون المراقبة؛بذلك تقيدوا في الرأسمالية تحت الحدود، فما ضرهم ذلك كثير ضرر.

هذا الدور الثاني كان متوسطا في أدوار الإسلام، وهو المقتدي للرأسماليين وللاجتماعيين, وهي في التحقيق أنزل من الدور الأول، والتحق بدور الفاروق ست سنين من دور عثمان كان يعمل مثل أعمال الفاروق ثم شرع الدور الثالث فكانت فيه الرأسمالية مطلقة غير محدودة بحدود الفاروق، واستمر ذلك الدورإلى قتل عثمان ثم تبعه معاوية بعد تحصيل الغلبة فكانت دورا رأسمالية لم تكن متقدمة على النظام بل كانت تابعة. وعندنا هذا الدورأيضا من أدوار الحق في الدرجة الثالثة. وبعد ذلك لم يبق في شيء إذا حصلوا الرأسمالية وجعلوها مقصد حياتهم واستعملوا في تحصيل النظام الاسلامي، ولا نعد هذا الدور[1] من أدوار الحق بل يكون فيه اختلاط ومحقون ومبطلون، ونجعل هذا الدور الثالث على درجتين:1- درجة مثل عمل عثمان بعد ست من السنوات إلى مقتله، وفي ذلك الزمان النظريات كانت نظريات فاروق، وعمل الخواص أيضا كان متقيدا بقيود الفاروق. وأما أمر العامة فكان مطلقا فهي تلتحق في الدرجة الثالثة بدور النبي. 2- الدرجة الثانية من هذا الدور، فكان مثالها زمان معاوية، النظرية,وعمل الخواص أيضا دخل فيها الرأسمالية مطلقا؛لكن ما تقدمت على النظام. النظام كان حاكما على الرأسمالية. وهذا الدور جعلناه لاحقا بدور عثمان ثم من إمارة عبدالملك[2]واستقرارها إلى آخر إمارة هارون[3] كان نظام زمان معاوية حاكما في الحكومات، فهي أيضا التحقت بالدور الثالث من أدوار الاسلام.

بقي شيء واحد بعد قتل عثمان. بقي علي يجاهد للخلافة، ولم يفزعندي بالاقتناع التام. كان مقصده على إقامة الخلافة على الدور الأول_ دور النبي والصديق لا على الدور الثاني _دورالفاروق وعثمان_، والدور الثالث الذي ابتدأ بعد ست من عهد عثمان نحن نرتضي به،

---

(1) في ن م : نحن لانعده
(2) سبق ترجمته
(3) سبق ترجمته

ونجعله في الدرجة الثالثة من أهل الحق، ونسلك في ذلك الانسلاك كبار خلفاء قريش_ معاوية وعبدالملك وهشام بن عبدالملك والمنصور إلى هارون؛لكن علي ماكان يرتضي بالدور الثالث وما كان يجعله من مقتضى الحكومة القرآنية. عنده حكم الإسلام كان منحصرا في الدرجتين:1- درجة النبي والصديق 2- درجة الفاروق وعثمان إلى ست سنوات من عهده فأراد أن يرد الخلافة إلى الدرجة الأولى. لو كان رضي بإقامة الخلافة على الدرجة الثانية لوجد له أنصارا؛لكنه أراد الأمر الأول فلم يجد له معاونين، وصار مضطرا أن يسير بالسير على الدرجة الثالثة ففشل في إقامة الحق الذي كان يريده.

حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هوَ إِلَيْه الْمَصِيرُ(3). فتلك السورالتي في أوائلها حاميم إلى سورة الأحقاف هي تبحث عما كان مركزا للحركة الاجتماعية الإسلامية. ثماني سنين أولا لجمع الكلمة، وتنظيم الحكومة الاجتماعية ثم أربعون سنة لتكميل النظرية بضم القوة الديكتاتورية معها. الناس لهم مخلصون إما يدخل ذلك الاجتماع تاما وإما يترك القوة السياسية لتلك الاجتماع، ويتبعون حكم الاجتماع لا يعارضون بوجه. معنى ذلك في الانضمام إلى الاجتماع عاما، وليس بعد ذلك إلا القتال. نقاتلهم هذا نسميه برنامج الديكتاتورية، وتم ذلك في أربعين سنة، فجمع الكلمة لتأسيس المركز هو مقصود تلك السور"الحواميم". والبحث عن المسائل يكون على فلسفة الإلهية هذبها الأنبياء الكرام آخر أئمتهم إبراهيم، فرعاية تلك الفلسفة في جميع أطوار هذا الاجتماع ألزم؛لأن الأمر لا يتأسس إلاعلى شيء انقاد له الطبيعة البشرية بكمال اطمينانها. وهذا لا يمكن إلا بالرجوع إلى أصول عقلية نظرية إذا وافق لها أهل العقول يحسبونها شيئا طبيعيا لهم كان غاب عنهم فحصل لهم. هم يفتمونها.

سمي تلك الفلسفة العقلية بالفطرة في لسان كتاب الله، فالناس إذا قرأوا القرآن، ولم ينضبط في طبيعتهم أحكام الفطرة الإنسانية، والفلسفة الإلهية الإبراهيمية لا يفهمونها قطعا، وفهمهم هذا

هو تلوين السطح فقط لا يمكن عليها تأسيس ملة انقلابية في العالم، فإن المحنة التي تصرف لإنشاء الانقلاب لا يكون بعد ذلك انتفاع الناس بذلك الانقلاب بقدر تلك المحنة بل ينتشر أفكارهم قبل وصول النتيجة. أما إذا اتفقوا يعني إذا اتفق أهل الرأي منهم(1) وأهل عقد تلك الفلسفةثم اجتهدنا وسعينا لإنشاء الانقلاب ينتفع الناس عنه إلى أزمان مديدة. وكل ما حدث شيء من الخلل يمكن جبره بسهولة، والمقصد في كلامنا هذا أن تأسيس مثل هذا الانقلاب مبني على فهم أحكام الفطرة الإسلامية، وهي إسم للفلسفة الإلهية الاجتماعية تكاملت في زمن إبراهيم. تأسيسها كان من إدريس ثم جاء دعوة نوح مؤيدة لذلك فنضجت الأفكار ثم حدث فيها الأغلاط وتتابع الأنبياء لإصلاحها.

نذكر هنا كلمة التأثيرات الطبيعية كان منبعها بعد العناصر الكواكب والسمويات، فكان الأنبياء كلهم دعوتهم إلى الله مبنية على أن خلق السموت والأرض، واستناد الآثار إلى المنابع الطبيعية العناصر، والأفلاك كانت مسلمة مسلسلة فانتظمت عليها الديانة الصابئية فكان من نتائجها الطب والنجوم ثم حدث أغلاط قوية: الناس يعبدون الكواكب منبع التأثير ويجعلونها آلهة تحت الإله الحق. وهذا هو الشرك، فإن دعوة الأنبياء أن لاإله إلا الله. وتقسيم الأمور بين الإله الحق والإله الصغار خروج عن مسلك الأنبياء. وفي هذا الزمان الطويل حدث في الإنسانية ارتقاء كان الأفراد من بني آدم يجمعون الكمالات الكوكبية في أنفسها فانتظمت بتلك السلسلة جميع القوى الفلكية انتقلت إلى أفراد من بني آدم. وهؤلاء الأفراد لهم محل الاجتماع نسميه بحظيرة القدس، فأفراد حظيرة القدس لما قاموا مقام الكواكب والأفلاك كلها قام إبراهيم، ودعا إلى نسخ الديانة الصابئية، وترك الاعتماد على الكواكب والأفلاك والمنع عن النجوم والكهانة، وإرجاع أفكار بني آدم في منبع التأثيرات إلى حظيرة القدس فيجعلون حظيرة القدس هو الواسطة بينهم وبين ربهم حصلت هنا لطافته لم تكن حاصلة في الديانة الصابئية. الكواكب حياتها طويلة بالنسبة إلى الإنسان فيتأثر بذلك الإنسانية بسهولة ويجعل نفسها بالنسبة إلى الكواكب حقيرة فتنشعب منها عظمة

(1) في ن م : وانطبق الحق،والقصد على تلك الفلسفة.

الكواكب بالطبع. فالطبائع الناقصة تميل إلى الشرك كانوا طبيعتهم؛لأنهم لا يقدورن أن يجردوا أفكارهم عن عظمة السمويات. فلما حصل تلك الكمالات كلها لأفراد بنى آدم واجتمعوا في حظيرة القدس فإذا قدر معلم على صرف نظر الناس من الكواكب إلى حظيرة القدس يجدون البشر في حظيرة القدس مساويا لهم في البشرية ويرجون لأنفسهم أن يلتحقوا بحظيرة القدس فلا يبقى شيء عظيم في دماغهم فوق الإنسانية إلا الله الحق. هذا هو أساس الملة الحنفية. فإذا تكامل الإنسان في هذا الفكر يجد نفسه منسلكا في حظيرة القدس كأنها اقتضاء الطبيعية الإنسانية، فكانت هذه فطرة الإنسانية تنكر عظيمة غير الرب فتجمع جميع حاجاتها بواسطة حظيرة القدس في ذات الرب فيصير الإنسان في كائنات العالم سببا لنشر عظمة الرب إلى مدارك أدنى المخلوقات. فإذا زادت قيمته في الكائنات هذه دعوة الملة الحنفية، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها. هذا كله نحصنا فيه أفكار الإمام ولي الله، وعرضنا في ذلك أن كلمة الله إسم فلسفة إلهية إبراهيمية ارتقت بعد نسخ الملة الصابئة فلا يتهاون الرجل بكلمة الفطرة، ويفهمها مثل الماء والخبز إذا سمع الفطرة كأنه أدركها كلها بل يلتفت إليها كأنها فلسفة غامضة إلهية اجتماعية توجه إلى تهذيب عصبات من كبار الأولياء. فإذا استحضرها الإنسان بمثل ما ينبغي لها من العظمةثم قرأ لحواميم يفهم أساس دين القرآن ويعرف حكمة إلزامها للناس ويعرف أنها شيء، ولا ينسخ أبدا. نرجو من المتفكر أنه يتفكرهل يمكن فهم تلك الخصائص في الحركة العلمية بدون اجتهاد وبدون مكابدة صعاب في تحصيلها؟تم التمهيد.

تنزيل الكتاب. . . . . . . إلى المصير: تلك أسماء إلهية تعينت في حظيرة القدس بواسطة تجلي الله القائم على العرش الظاهر في حظيرة القدس. فأنوار التجلي القائم في وسط حظيرة القدس لما اتصل بأفكار أفراد الحظيرة فيحدث الأسماء يعني عنواناته لتأثير الأنوار حسب زمنية أفكار حظيرة القدس. فالإسم في الحقيقة يكون واحدا يتعدد بتنوع تأثيراته في قلوب الحاضرين في حظيرة القدس. هذا الكتاب الذي ينزل من الله بعد تعينه في حظيرة القدس على نبينا_ عليه السلام_ لتأسيس مركز اجتماعي، وجمع أفكار الإنسانية حوله ينزل بتأثير هذه الأسماء. الله العزيز العليم.

فأول تلك الفلسفة كان إرتجاع كل شيء إلى الأسماء الإلهية المتعينة في حظيرة القدس. ولما كان هذا التعين مناسبا لذهن البشر يفهم معانيها أرباب الطبائع السليمة بالسهولة، ويجعلون مرجع جميع البركات هو الله وحده لا شريك له، فتنزيل الكتاب هو سبب جمع الأفكار هو يكون منشأ من الأسماء الإلهية المعينة في حظيرة القدس. وتلك الكلمة لو نزلت سبب أقران السبع في البرج الفلاني فيتوجه ذهنية الإنسانية لغيرالكاملين الواصلين إلى درجة أعلى من الكمال إلى عظمة البروج، وتأثيرات السيارات أولا ثم يذكرون أسماء الله على سبيل جرى العادة فلا ينتفع الإنسانية من تلك العلوم الأشياء من الفوائد الظاهرة. وأما إذا بدلت تلك الكلمة بأن تنزيل الكتاب من الله المسى بأسماء كذا وكذا يعني يلهم على الإنسانية بأقسام النعماء فلسهولة فهمنا تقبض نعمة أخرى نسميه بإسم آخر، فتنوع الأسماء إنما يكون بسبب تنوع النعم فلا يتوجه ذهنية الإنسان إلا إلى عظمة الرب. وكل ما تعمق في ذلك المعرفة ينصبغ اللطائفة الباطنة بصبغة الله فيكون كمالا في كمال، فهذه الآية الأولى هي مشيرة إلى المادة الأولى من الفلسفلة الاجتماعية الإلهية الإبراهيمية ثم هذا الآن نشرح تلك الأسماء الإلهية، ونأتي بكلام الإمام ولي الله بكلامه الفارسي(1): وزان اين آيت وزان آية الكرسى است دران كه متفرد است براىٔے بيان صفات الٰهية وجمع آنهاست وأمثال اين آيات طراز آيات قرآنى است ودرين آيت كريمه يازدد(١١) اسم الأسماء الإلهية مذكور است واين اسماء أمهات اسماء انده ومتخلق بإين اسماء اكمل اولياء باشند اول اين اسماء باعتبار مرتبة هواست وهو إشارة است بحقيقة بسيطة كنجايش تعدد أصلا إلى آخره من الهوامع شرح حزب البحر. (2)

فهذا في تعبيراتنا مادة الأولى من التشريع الذي ينزل على نبينا_ عليه السلام_ لجميع الكمل من جميع أصناف البشر لتهيئة المركز لدعوة الإنسانية إلى تكميل فطرتها. فإذا كان رجل في قلبه تلك المعرفة يتوجه إلى الأسماء المتعينة في حظيرة القدس للتجلي الأعظم، وينظرإليها من فطرة

(1) في ن م : كلام طويل باللغة الفارسية يشتمل على ست صفحات،وهو منقول من هوامع شرح حزب البحر الفارسي.الباحث.
(2) لينظر:هوامع شرح حزب البحر الفارسي،الإمام ولي الله الدهلوي،ص:122-126.

إمام النوع الإنساني فله دعوة أن يتوجه إلى ذلك المركز. وكل رجل يكون فيه ذلك الاستعداد إذا وصل إليه صوت الدعوة لا يتخلف عنه أبدا. وعرضنا من نقل هذا التفسير للأسماء الإلهية من كلام الإمام ولي الله أن يترك الناس التهاون في فهم القرآن إذا عرفوا اللغة العربية يوسوس إليهم الشيطان الوهم أنهم يعرفون القرآن كله، وليس الأمر كذلك أن القرآن لا يتذكر به إلا أولو الالباب. هذا اللب هو أول شرط لفهم القرآن واللب الذي يحصل بعد تعلم القرآن هوغير ذلك يقدر بعد ذلك الإنسان لدعوة جميع الناس إلى المركز.

وأما اللب الذي يكون أولا لازما لفهم القرآن. فالتدبر في آيات خلق الله في السموت والأرض وربطها مع قدرة الله لاطمينان في القلب لكل واقعة وقعت في العالم أوانتفع إذا عرض على لبه هو يجعلها مربوطا لقدرة الله بقواعد يخترعها ذهنه، و بألفاظ يستعملها هو في تلك المعاني. وهذا المعنى نعبر عنه بالفلسفة الإلهية "الاجتماعية" والذي تحقق عندي لم يبق رجل من العلماء الراسخين كلامه يكون في بيان تلك الحكمة أتقن من كلام الإمام ولي الله. فإذا أراد الإنسان أن يفهم القرآن. وتمثيل مقصده في ذهنه مع قطع النظرعن الألفاظ وطرز البيان فليصرف من أوقاته لفهم كتب الشيخ ولي الله ، ويجعله من مبادئ التفسير. إذا قصدالرجل جدا هذا الأمر فيمكن تحصيل هذه الفلسفة في مقدار السنتين، وليس ذلك كبيراعلى من يريد فهم القرآن.

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) بمجادلة في أي شيء. عندي معناها الرسول مأمور بإظهار دينه على الأديان كلها، ويؤسس لذلك جمعية مركزية فالذين يخالفون هذا الفكر، ويرون إذا اجتمع الناس لا يستحقون ما حازوه من الشرف فهم ينكرون أن يمكن الاجتماع ويكون له الغلبةثم يسعون بكل قوتهم تثبيت دعواهم يعني: هذا الشج لا يتكامل. والسعي في مثل ذلك إضاعة للقوة. هذا هوحاصل مجادلاتهم فالله نبه على خطأهم.

فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ. علم من ذلك أن المراد من الذين كفروا هم الذين تملكوا البلاد. وعادة الناس من يغلب على بلدة يسمى ملكا لتلك البلدة. وإذا غلبوا على البلاد يعني

الممالك فيسمون أنفسهم ملك الملوك إمبراطورية، وألفاظ مثل هذه. فالمراد من الذين كفروا في هذه الآية بقرينة ذكر تقلبهم في البلاد عندي هو كسرى وقيصر. هذا الاجتماع منشأة محو سطلنة كسرى وقيصر من وجه الأرض . كان الملأ الاعلىٰ تقرر فيهم بتأثير الأسماء المذكورة من قبل أن الله يريد أن يتقرب إلى عباده بالرحمة وقبول التوبة ومغفرة الذنوب، فالذين صرفوا ذهنية الناس عن التوجه إلى الله وأجبروهم على الاشتغال بالارتفاقات؛ليتمتعوا من كسبهم محق قوة أولئك، ورفع هذا السد من بين الله وبين عباده صارلازما لهذه الإرادة الإلهية، فالذين يتغلبون في البلاد من الكافرين هم يجادلون في تنزيل تلك الآيات، وجمع قوتها في موضع من الأرض؛لكنهم يغلبون. وإليه الإشارة في قوله: **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوه وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5)**

أصل القوة المخالفة نحن جعلناه كسرىٰ وقيصر وفي قريش كان صنفان: صنف يميل إلى كسرى، صنف يميل إلى قيصر. والذين يميلون إلى قيصر كانوا قليلا، وهم تنصروا مثل الورقة بن نوفل,[1] والذين كانوا يميلون إلى كسرى هم أكثر. في الأصل يريد كسرى أن ياخذ نبينا _عليه السلام_ وتمثل له قريش أولا فأرادوا أن يأخذوه ويقتلوه، فكفار قريش كانوا ممثلين بكسرى وقيصر. فكما كان عقاب ربنا أخذ كل قوم كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا من كفار قريش، ومن كسرى وقيصر أنهم أصحاب النار. هذا تحقق في الملأ الأعلىٰ بقضاء الله فكان مادة ثانية أن

(1) ورقة بن نوفل بن أســـد بن عبد العزى،(000 - نحو 12 ق هـــــ = 000 - نحو 611 م) من قريش حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإســـلام،وامتنع من أكل ذبائحها،وتنصـــر، وقرأ كتب الأديان.وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصـــر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. وفي حديث ابتداء الوحي، بغار حراء، أن النبي (صلّى الله عليه وسلم) رجع إلى خديجة، وفؤاده يرتجف، فأخبرها، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل " وكان شـــيخا كبيرا قد عمي " فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اســـمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رســـول الله (صـــلّى الله عليه وســـلّم) خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الّذي نزَّل الله على موســـى، ياليتني فيها جذع! ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رســـول الله: أو مخرجيَّ هم؟ قال: نعم! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصـــرك نصـــرا مؤزرا. وابتداء الحديث ونهايته، في البخاري. لينظر: الأعلام للزركلي 8/ 114-115.

النبي يكون غالبا مع مجاهدة كل الأقوام من المخالفين الذين يريدون أن يغلبوا على النبي؛لكنهم يغلبون.

فالشريعة تكون جامعة بجميع بركات أسماء الله. فأصحاب الطبائع المختلفة يجد كل واحد منهم ما يجب من أسماء الله، وما يذكره به. وتكون هذه الشريعة غالبة على جميع المخالفين. هذا الذي فسرناه من الآيات الابتدائية لتلك السورة. والأمر الذي نسميه كالمادة الثانية من هذا الكتاب أومن هذه الشريعة المنزلة هو إثبات حظيرة القدس، وذكر الملأ الاعلىٰ. فالأسماء الإلهية بلوازمها يفهمونها الملأ الاعلىٰ يعني الذين يحملون العرش ومن حوله. وهذا البيان جاء إلى الآيات9.

قال الإمام في حجة الله البالغة: للملأ الاعلىٰ شأن، أنه يتوجه إلى بارئها توجها معنى لا يصدها عن ذلك التفات إلى شيء، وهو معنى قوله: **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)** تتلقى من ربها استحسان النظام الصالح واستهجان خلافه، فيقرع بابا من أبواب الجود الإلهي. وهو معنى قوله: **ويستغفرون للذين امنوا**. [1]فالملأ الأعلىٰ واسطة في نزول قضاء الله خصوصاً ما يتعلق بالبشر، فغلبة هذا الذين تقرر في مدارك الملأ الاعلىٰ؛لأنهم يستغفرون للمؤمنين. ولما كان الملأ الأعلىٰ قائما مقام السمويات من الأفلاك والكواكب، وتأثير دعائها قطعي مثل تأثير الفلكيات عند الصابئية.

وينبغي أن يحفظ أن كسرى كان من الصابئين كما كان النصارى. الطبقة الراقية من أهل الكتاب الحنفاء، وكان قيصر يمثلهم. فإذا فسد حكم قيصر علمنا أن النصرانية لا تقدر على إصلاح الإنسانية. وكذلك المجوس مثل الطوائف من الصابئة، وكان كسرى بمثلهم، وبطلان حكمه في إصلاح الإنسانية يقتضي على جميع الأديان أنهم لا يقدرون على إصلاح الإنسانية. فكان

---

(1) العبارة في حجة الله البالغة هكذا: والملأ الأعلى شأنها أنها تتوجه إلى بارئها توجها ممعنا لا يصدها عن ذلك التفات إلى شيء وهو معنى قوله تعالى:{يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به}وتتلقى من ربها استحسان النظام الصالح واستهجان خلافه، فيقرع ذلك باب من أبواب الجود الإلهي وهو معنى قوله تعالى:{ويستغفرون للذين آمنوا}.لينظر:حجة الله البالغة, الإمام الدهلوي,48/1.

دعاء الملأ الأعلىٰ باعثا لقيام هذه الملة. وإنما نحتاج إلى ذلك التنبيه أن أكثر المفسرين لا يلمحون في تفسير القرآن إلا إلى أهل الكتاب. والقرآن كما يتوجه إلى إصلاحهم كذلك فيه إصلاح للصابئة أيضا. وإذا تركنا الالتفات إلى الصابئة غفلنا عن كثير من حكمة الله المرعية في القرآن مثال ذلك: الكتب الإلهية كلها مشتملة على ذكر الملائكة ولا يحكمون بوجوب كون الملائكة[1] واسطة بين العبد وبين الرب، فلا يتأثر الإنسان من فهم حكمة الملائكة كما ينبغي. وأما الصابئة فهم يوجبون توسط قوى الكواكب والفلكيات في قضاء الرب على الإنسانية. فلما تمثل عندنا فكرهم وعلمنا أن الحنفية أقامت حظيرة القدس مقام الفلكيات كان الحكم بتوسط الملأ الاعلىٰ محكما عندنا. وإثبات حظيرة القدس والملأ الأعلىٰ هو باعث دفع كثير من الشبهات المضلة مثلا غاية الإنسان في ارتقائه هو أن ينضم في حظيرة المقدس إلى الملأ الأعلىٰ. وإليه الإشارة في **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**[2]. وأن تعيين غاية ارتقاء الإنسانية هو يزيل كثيرا من الظلمات، ويتبين ذلك في كتب الإمام ولي الله لما يقدم في معارضة المتأخرين من الصوفية، فعندنا التوجه إلى الملتين يعني : إلى إصلاح الملتين، والتوجه إلى إهلاك إمبراطوريتين[3] مشار في القرآن نعم:هذا لا ينكر أن القرآن يتبع التوراة في منهاجه، وليس معناه إلا نظم إدارة الإرشاد تم، فإثبات الملأ الأعلىٰ هو كالمادة الثالثة في هذه السورة تبحث عن تفصيل تلك المواد الثلاث.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10). الملأ الأعلىٰ وحظيرة القدس نسبتهما إلى النوع الإنسانى نسبة العقل، والقوى الدماغية إلى الفرد الإنساني. فلما تقرر الأمر في حظيرة القدس يتأثر به نوع الإنسان من باطن طبيعة: الأذكى، فالأذكى فيمكن أن يقال إن هذا فطرة الإنسان؛لأنه لم يأت شيئا من الخارج ظاهرا. القوى الدماغية إذا تأثرت بالمنورات ثم ظهر تأثيره في بدن الإنسان يحكم الإنسان بأن الطبيعة

(1) في ن م : كلمة : "الملائكة" لاتوجد.
(2) الفجر: الآية : 29
(3) في ن م: يعني لإهلاكها.

الإنسانية اقتضت كذا وكذا. فهذه كأنه إصلاح الاستعداد للاجتماع المركزي ثم يأتي صور أخرى البحث فيها عن ارتقاء الاجتماع من الاستعداد إلى الفعلية. وأول ما يتأثر بقرار الملأ الأعلىٰ أن الانسان يبغض ويمقت نفسه إذا خالف أمر حظيرة القدس. فالذين كفروا يظهر فيهم هذا التأثير فيمقتون أنفسهم فينادون بعد الموت **لمقت الله اكبر**. . الخ. إذا الملأ الأعلىٰ إنما تأثر بتأثير الصفات الإلهية فاعترفوا بذنوبهم وطلبوا سبيلا للخروج عن تلك المخمصة الباطنية فينبهون أن الإصلاح عن تلك الحالة إنما يتأتى في الدنيا بالسهولة، ونتعين في ضمن ذلك وجه كفرهم وخطأهم. الخطأ أنهم كانوا إذا دعي الله وحده ما آمنوا به، ولازم في فكرهم عندهم أن يكون مع الرب آلهة في الصابئة كانت الكواكب، وغيرها. وفي الحنيفة[1] جعلوا الكامل من الإنسان. فالاعتماد على تأثير الله وحده لم يكن عندهم صحيحا لازما أن ينضم معه قوة أخرى فالآن لا سبيل للخروج؛لأن الله يقبض بالحق. **والذين يدعون**. . الخ. إذا كان إيمانهم على أمر غير واقعي فالخروج منها بالندامة فقط كان ممكنا في الدنيا. أما اليوم فلا. فالأمر الذي يمنع الناس عن اتباع أمر الملأ الأعلى بمقتضى طبيعتهم هو فكرهم الغلط في الشرك. كثير من الناس يؤمنون بأن الله يرزق العباد؛لكن ترون مع ذلك يعتمدون على أسباب الرزق للعباد فوق اعتمادهم على الله. مثل هذه الحالة في الامور العظام يكون الشريك عند الصابئة الكواكب. وعند الحنيفية الكاملون. ويكون اعتمادهم على الكواكب. والكاملون مثل اعتمادهم على الأسباب. والله سبحانه تعالى، وإن جعل دون الملأ الأعلىٰ لتحصيل الأسباب قيمة. أما في درجة الملأ الأعلىٰ فليس التأثير إلا الله وحده لا شريك له فإثبات الشريك في تلك الدرجة هو الفساد والكفر، ويحصل منه في الاجتماع نتيجة مضرة للإنسانية. في السوق يعمل الناس، ويعمل في كل اجتماع رئيسهم أيضا، فالناس لا يستنكرون تقدم الرئيس على أنفهسم؛لأن هذا الرئيس يكون تحت اختيارهم ينصبونه لمصلحة أنفسهم. فإذا رأوه خرج عن مصلحتهم يعزلونه. في مثل تلك الحالة إثبات أن الرئيس سبب من الأسباب للاجتماع الصالح[2]

(1) في ن م : في الحقيقة جعلوا الكافر.
(2) في ن م : العالي

لا ينكر ثم الرئيس في بلاط الأمير لا يصل أيدي الناس إلى عزله إذا خالف المصلحة التي نصب لاهتمامه فإثبات مثل ذلك الرئيس على سبيل الأسباب يكون مفسدا للاجتماع. كل رئيس نصبوه للمصلحة هو يجعل نفسه من تلك الطائفة الذين لا يقدرون على عزله. فكل رئيس ينصبونه للمصلحة يكون مستبدا لا يقدرون على مقاومته، وهم يعملون كيف شاؤوا فيفشوا الظلم. أما إذا لم يجوزوا نائب الأمير يكون مستبدا لا تصل أيديهم إلى عزله يكون اجتماعهم خاليا عن تلك المفاسد. والأمير أيضا لا يقدر أن يستبد إذا رأى كل من يكون تحته من الرؤساء هم تحت إدارة الناس، فأعلى رئيس يكون مقاربا للأمير فإذا كانوا قادرين على عزله لا يمتنعون عن عزل الأمير أيضا إذا خالف المصلحة. إذا كان نظم الاجتماع الإنساني لا يتحمل ذلك فالله برحمته جعل حظيرة القدس تحت أمره كأنه لا اختيارلهم، فالناس إنما يؤمنون بالله وحده لا شريك له، وهو رؤف رحيم بهم ثم بعد ذلك لا يجدون رئيسا إلا وهو تحت أيديهم فإثبات الشريك ليس ضرره أنه تلويث في تقديس الرب بل هو سبب لفساد النظام الإنساني وإشاعة الظلم فيهم. والله إذا يرضى بظلم على مخلوق فما جعل فيمن حظر بلاط أومنابع قدرته لهم شيئا من الاختيار. فهؤلاء إذا انتبهوا أنهم أخطأوا، ويمقتون أنفسهم ينشرح المسألة كلها بالتدريج عليهم يرون آيات قاعدة طبيعتهم أن من كان أكثر قوة يغلب على الأقلين. **والله سيريهم آياته**. . .

الضعفاء الذين يعتمدون على الله بالطريق الحق يغلبون على الأقوياء ليس لهم اعتماد على الحق. هذا معنى قوله: **هوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)**. ثم يحتاجون في الرزق إلى الإلهية والكاملين. والرزق يكون مسببا من المطر النازل من السماء. وإنزال المطر جربوا من أنفسهم أنه ليس باختيار أحد سوى الرب.

هذه آية أخرى. فمثل أمثال تلك الآيات يتذكر من ينيب إلى ذكي يفهم أولا أن الأمر كله بيد الله، وهو المراد من قوله ينيب. فإذا كان الناس يتبعون أمثال هؤلاء الأذكياء الذين ينيبون

إلى ربهم بتفكرهم في الواقعات فيصير عندهم شريعة أن يدعوا الله مخلصين له الدين ينكرون الآلهة والكواكب والكاملين، فلذلك يكرههم الكافرون؛لكنهم يصرون على هذا الأمر الصالح **ولو كره الكافرون**. فيغلبون على أعدائهم، وإن كانوا أكثر وأقوى. هذه درجة ابتدائية لتأثر الاجتماع للإيمان بالله وحده. وهذا من تأثير حظيرة القدس ثم درجة ثانية: اعتقدوا بتأثير حظيرة القدس عقلية. ومعنى ذلك تأثير الله وحده ثم يأتي لهم الارتقاء في المدارج. إليه الإشارة في قوله:**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15)** فالذين يدعون إليه مخلصين له الدين. كل من كان إخلاصه أقوى فدرجته أعلىٰ حتى يلتحق بحظيرة القدس ويكون من الذين يحملون العرش أو[1] ممن حوله. إليه الإشارة في قوله: **ذُو الْعَرْشِ**. . ثم ينتظم بالطبيعة نظام آخر. **يلقي الروح**. . الخ الذين حصل لهم مقام في حظيرة القدس يؤمر منهم رجال لينذروا عموم الناس. **يوم التلاق**. بذلك تنتظم النبوة فيهم كأنها اقتضاء طبيعي هو يكون كالأستاذ يعلم الناس أنهم يلاقون ربهم كماهولقي ربه في حظيرة القدس قبل وصولهم إلى حظيرة القدس إذا ارتفع عنهم حجاب السموت والأرض بعد موتهم وبعد خراب السموت والأرض **يوم هم بارزون**. ليس بينهم وبين الله حجاب في قوله: **لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ** إشارة إلى أنهم لا يحجبهم عن الله شيء. المقصد من تلك الآية هو هذا المعنى لكن قيل لا يخفى على الله. فإن هذه لازمة لتلك قوله: **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهارِ** (16) يسألهم الرب شفاها هناك لا يرون شيئا من الآلهة ولاالكواكب ولاالكاملين فيصرحون لله الواحد القهار. وفي تلك الدرجة ينكشف عليهم تأثير الرب في جميع الأشياء رأسا. وكل ذلك يكون باقتضاء طبيعتهم فيظهر آثار الملك يحاسب كل نفس. إليه الإشارة: **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (17) يكون خصوصية ذلك اليوم لاظلم اليوم فيكشف عليهم أن الظلم إنما كان في إثبات الآلهة الشركاء اليوم لانرى شريكا فليس ظلم. فالذين ظلموا يجزون بما كسبوا فلا يكون

(1) في ن م : يكون.

لهم حميم ولا شفيع، ويكون قلوبهم مثل الحناجر كاظمين غيظهم على الشركاء، فيأتي ذلك اليوم بعد ذلك الانكشاف قريباً. والظلم يحققه الله إلى آخر درجة.

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19) فإذا كان أحد ظلم الناس بخائنة الأعين يؤاخذ. وإذا كان رجل يخفى في صدره إرادة مصممة للظلم، ولم يقدر على شيء من الأعمال، فالله يؤاخذه إليه الإشارة: **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** (19) **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (20) فيكون الظالم مؤاخذا، والمظلوم يوفي حقه، فهذا القضاء كله يكون بيد الحق لايكون هنالك شريك ولاشركاء. إليه الإشارة: **والذين يدعون**. . . . . الخ من ابتداء قوله **إن الذين كفروا ينادون إلى هو السميع البصير**. (الركوع الكامل). عندنا هو بيان تأثر الاجتماع الإنساني من حظيرة القدس فيتنبه الأذكياء بالأمر الحق ثم ينتظم الاجتماع ثم يكون فيه ارتقاء إلى درجة عالية فتنتظم فيه النبوة ويكون مقصدها إيضاح للناس أن الظلم لا يرتفع عن الإنسانية إلا باعتمادهم على الله وحده فيعلمون الناس عامة، ويكون للأذكياء الأمر كأنهم رأوه وسمعوه فهذا استعداد طبيعي في الإنسانية بتأثيرها من حظيرة القدس فيكون تنزيل الكتاب تحت هذا النظام الطبيعي.

تنبه الناس في مكة يمقتون أنفسهم ويعلمون طائفة منهم أن المانع هو الشرك والأذكياء منهم يرجون أن يتقدموا على الأمم فيجدون إحساسا إلى بعثة نبي فيهم، وكان أفراد ينتظرون ذلك فانتظمت النبوة. ومثل ذلك يقع في كل قوم إذا كان عندهم استعداد لذلك الاجتماع فيبعث فيهم رسل ثم يعارضهم الأقوام فيهلكون. إلى هذا المعنى إشارة في الآيات التالية بعد ذلك. . **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا همْ أَشَدَّ مِنْهم قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهمُ اللَّه بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهمْ مِنَ اللَّه مِنْ وَاقٍ (21) ذَلِكَ بِأَنَّهمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهمُ اللَّه إِنَّه قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (22) فليس انتظام النبوة في مكة جديدا في الإنسانية بل هو الاقتضاء الطبيعى بتأثير الملأ الأعلىٰ. فأين ما تجتمع الأسباب تنزل

النبوة، تنتظم النبوةثم ينتظم الخصومة إشارة إلى أن الاجتماع كله لا يتنبه. بعد الخصام يكون القتال، ويكون الغلبة للحق فيكون مظهرمن مظاهر القيامة ينزل قضاء الله بالحق تم الفصل الأول.

فإذا انتظمت النبوة، ويكون خلافها ملك قوي فيحدث الجدال. وبالتدريج يتلون قوم بصبغة الله. فينقسمون إلى قسمين: 1- قسم ينضم إلى النبي. 2- قسم ينضم إلى الملك المخالف جاء تفسير تلك الدرجة **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** (23) **إِلَى فِرْعَوْنَ وَهامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** (24) **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَه وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** (25) خاتمة الآية الخمسين[1] نشر مقاصد النبوة إنما يكون بجدال الملك فرعون لما أراد أن يظهر كيده قام رجل مؤمن من آل فرعون فوعظهم وأرشدهم إلى الحق يعني يقوم الأذكياء لتأييد النبي، وبالآخرة أرباب الحكومة يصرون على الباطل، ويدخلون جهنم فيغلبون في الأرض في حياتهم الدنيا. نبوة نبينا كانت نبوة يتضمن نبوة أخرى:الأولى إلى أهل مكة وأهل الحجاز ثم للعرب. هؤلاء الأميين بعث فيهم نبي منهم ثم من هذه الجماعة تنتخب جمعية تقوم مقام النبوة بالخلافة عن النبوة يحاربون كسرى وقيصر، ويأتون بالانقلاب العظيم العالمي، ففرعون الانقلاب الكبير واضح كسرى هو، وفرعون الانقلاب الصغير الابتدائي الذي كان في مكة هو أبوجهل، وقتل يوم بدر. أبوجهل كان ممن لايميل إلى أهل الكتاب بل إلى فارس. ورجل مؤمن من آل فرعون يقوم لتأييد موسى يقولون هو أبوبكر الصديق، وليس ذلك بصحيح[2] إن كان في بعض شيونه وافق هذا المؤمن فلا بأس. أما أبوبكر فقد كان مجاهرا مجاهدا من أول يوم. كان في قريش رجال ما التفت الناس إلى ضبط أحوالهم. بذلك النظر يمكن بعد البحث تعيين رجال. هذا جعلناه كالفصل الثاني, وبعد ذلك تصريح بالنتيجة: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ** (51) نحن نجعل واقعة النبوة نبذة من قضاء الله يوم القيامة نجعل بها رحمة لعباده، ولا نعرف تخصيصات في ذلك بأي تخصيص استوجب

---

(1) لعله من خطأ الكاتب. إنه خمس وعشرين.الباحث.
(2) لم يقل به أحد من المفسرين حسب مطالعتي أنا.أظن هذ القول_لوكان من أحد_ من حيث التمثيل.الباحث.

نزول تلك الرحمة فيوم يقوم الأشهاد ينظر الله رسله، وهكذا ينصرهم في الدنيا قوله: **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار**(52) تتمة يوم يقوم الأشهاد، فنصرة رسله في الحياة الدنيا يقيم لهم الحكم، وينظم لهم الهدى والإرشاد بانتظام الكتاب. إليه الإشارة: **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53) هدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** (54) الخ هذا نموذج النصرة في الدنيا **هدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ** فكان مقصدي التمثيل بموسىٰ أن نبوة نبينا تنتظم مثل انتظام بفوز موسى؛لذلك أمر نبينا بقوله: **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** (55) يعني داوم على عملك، واسع الجبر ما نقص من ذلك. هذا معنى: **واستغفر لذنبك.** المتكلمون يتحاشون عن نسبة الذنب إلى الأولياء. وهذا جهل منهم، واتباع الطبيعة الصابئة، والصابئة ليس فيهم وسائط بين الله وبين البشر إلا الملائكة. وتأثير الملائكة يكون في الكواكب. فعندهم تصور رسول ليس إلا مقدسا معصوما مثل الملائكة بل الملائكة والكواكب. عندهم الكواكب كالجسد والملائكة كالروح، ومجموع القوتين يكون الواسطة. فعندهم يقع الغلط في تعيين حركات الكواكب. فتنزيه الواسطة، ولو عند الصابئة مثل تنزيه الرب ليس بشيء يعتد به؛لكن لما أسلم طوائف من الصابئة في إيران بقي فيهم نزعة من نزعاتهم الأصلية وجعلوا الأنبياء مثل الملائكة معصومين ثم يؤلون كل آية وقع فيها نسبة الذنوب إلى الأنبياء. أما الحنفاء فليس عندهم أساس لذلك الفكر أبدا. والأنبياء يعرفون أنهم بشر مثل الناس. وإذا غلطوا في شيء ينسبونه إلى الشيطان ولا يجعلون النزاهة من الغلط أصلا من لوازم النبوة؛لكن الاعتراض الذي يكون سببا في مبالغاتهم. في نفسي الغلط من الأنبياء إذا رأى عيناها نجعل أغلاط الأنبياء ليست كأغلاط عامة الناس. وهذا يكفي في نزهتهم من الخطأ. المقصد أن الرجل المتبع للنبي لا يجوز له ترك اتباعه باحتمال أنه لعله أخطأ في ذلك فهو معصوم بهذا المعنى. ولا يجوز لأحد أن يعترض على النبي إما النبي تبين له أنه أخطأ في شيء أو ينبهه الرب أنك أخطأت فهو[1]ليس مخالفا لمنصب النبوة. وفي الآية: الله يقول له: **واستغفر لذنبك** معناه: إن ما علمت أنك قصرت

(1) في ن م : هذا

في بعض الأعمال لاقتضاء البشرية أو مصلحة وقتية لمصلحة المؤمنين فكن ساعيا في جبر ذلك النقصان، ولا نعلم أي عيب في هذا. **وسبح بحمد** الخ معنى هذا ينتظم لك الهدى والإرشاد مثل موسىٰ. وكذلك يكون وراثة الكتاب متوجهة إلى قومك فتم الأمر الأول من جانب النبوة. والمقصد الثاني: يكون الغلبة على الكفار. فمن هنا إلى آخر السورة بيان ذلك في فصول ثلٰثة الله أكبر كبيرا.

زيادة :كان الغرض أن النبي ينتظم مثل ذلك في كل قوم؛لكن في هذا الزمان زمان خاتم النبيين لا يرون انتظام نبوة في أرض ما بل إنما يرون نبوات تقدمت على ذلك العصر. والناس خالفوا وكفروا بالنبوات فأخذهم الله وأهلكهم، وآثارهم الباقية تحت الأرض تعرف بعد الحضريات، وكانوا هم أشد من هؤلاء قوة وآثارا في الأرض. في تلك الآيات كان هناك إشارة إلى استعداد كل قوم لنبوة؛لكن فعلية النبوة في ذلك الزمان لا يرونها إنما يرون آثار مغلوبية الكفار من تأثير سماوي. وهؤلاء الكفار كانوا أقوى من المعارضين للقرآن فآثار التخريب دالة على استعداد النبوات تمت الزيادة بعد قوله: أولم يسيروا. ثم جاء ذكر موسىٰ. وكيف انتشر دعوة موسى في فرعون وأتباعه بقيام رجال من قوم فرعون لتأييد الحق؟

وعندنا لو كان ثبت إيمان أبى طالب كان مثل رجل مؤمن من آل فرعون يخفى إيمانه فينصر النبوة؛لكن من الأسف إيمانه(1). وعندي أن أبا طالب لو عاش بعد النبي وكان مؤمنا لكان أحق بالخلافة من أبي بكر. وأما بعد ما توفاه الله في حياة النبي فلم يبق رجل يعارض أبابكر. وأما معارضتهم بين الصديق وعلي فملعبة الصبيان. ما نسبة علي إلى أبيه لو كان أبو طالب مؤمنا؟ هكذا نسبة علي من الصديق قريب من تلك النسبة. وعلي كما كان دون أبيه لو كان أبو طالب مؤمنا. فبقليل من الزيادة في فضله تكون النسبة قائمة بين علي والصديق. وأما رجل يكتم إيمانه، وينصر النبي لم نعرفه في قرن الصحابة. وذا يرجع إلى قصور الرواة تمت.

(1) لو آمن أبو طالب لكان أحسن.الباحث

فبقي الأمر الثاني: كيف يغلب المجادلون في آيات الله؟ فصل تنزيل الكتاب ثم عند قوله: **بالعشي والإبكار** إلى الآية ٥٥ **إن الذين يجادلون في آيات الله** من الكفار كيف يكون عاقبتهم؟ البحث إلى آخر السورة يكون في هذا المعنى قوله: **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ**. فإضافة هذا القيد تشيرأن المجادلة في آيات الله تكون مع الحق أيضا. وليس هذا بمراد. إنما الغرض على تعميم المجادلة على سبيل الفرض وإلا فالحق لا يجادل في آيات الله إلا الكافرون. وإنما عم الأمر فرضا لئلا يكون تضييق على الطالبين للحق. يأتي شيطان الوهم أن هذا النبي من جادله لتحقيق الحق هو أيضا يكون من الكافرين. وكيف يمكن التحقيق؟ فأرضى العنان للمباحثين إن كان عندكم حجة أتت من الرب من الأنبياء السابقين أوأمر عقلي واضح لا يختلف فيه الناس فلكم حق من المذاكرة. وإن كانت على صورة المجادلة لا يقتضي ذلك البحث تكفيركم حتى تمنعوا عن الاجتهاد في إدراك الحق. وأما الذين ليس عندهم شيء من آثارة علمية منقولة من السابقين، ولا شيء عقلي يفهم الناس على السوية يأتون بالشبهة معتمدين على ذلك فمجادلتهم ليست إلابهواهم. هؤلاء الذين يحكم عليهم بالكفر. وما وجه تكفيرهم ؟ يأتي بيانه في تلك السورة: **إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه فَاسْتَعِذْ بِاللَّه إِنَّه هوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (56)هم يريدون أن يكونوا رئيس حكومة غالبة على ما يأتي به الأنبياء، وهم يغرون في أنفسهم أنهم يستأهلون لتلك الرياسة؛لأن أباه كان كذا وجده كان كذا، وعنده من الأموال، والاتباع كذاوكذا. وهذا النبي الذي يقابله ليس لآبائه قسط من الملك ولا عنده من الأموال والأتباع والأولاد مثل ما عندنا، وهو يحسب نفسه: أولى من النبي في التقدم على الرياسة. وهذا الرجل جاهل من الفطرة الانسانية.

الإنشاء للملك إنما يتأتى من رجال لهم بصيرة من ذلك العلم. وفوقيته على أهل العصر من المعارضين، ويقدر على تدابير تفضي إلى جمع الأموال والرجال، ولو بعد حين. ففي صدورهم كبر طلب الرياسة الحكومة، وما هم ببالغيه؛لأن لهم أقران أمثالهم في الحسب والنسب والمال والعقل. فكيف يحكمون أنهم هم يكونون كبير دولة؟. هذا الفكر إذا غلب على قلب رجل يجعله تكبره

محروما عن التدبر في استماع الحق فليس له علاج إلا الاستعاذة بالله؛لذلك أمر **فاستعذ بالله**. . . الخ هذا الرجل يكون كالشيطان إذا تمكن ذلك الخيال في قلبه؛لكن إذا لم يتمكن إصلاحه فالكلام بعد ذلك إلى الآية 68 ، إنما هو في إصلاح تلك الطائفة التي ابتليت بمرض الكبر مختلفة المدارج. أوله غلط هذا الرجل المتكبر الذي يفضل نفسه على الأنبياء أنه لا يؤمن بيوم القيامة فإذا كان فكره ناقصاً إلى تلك الدرجة لا يعرف فطرة خلق الكائنات[1] ولا يعترف بقدرة الخالق. ليس هو في الإنسان إلا كمثل الأعمى فهو كيف يستحق التقديم على البصير؟ ومن لم يؤمن بالقيامة والمجازاة هل يوجب العدل في الإنسانية؟ ومن لم يجعل العدل من مقتضى الفطرة الإنسانية هل يكون مستقيما في الحكم بالعدل؟ أو نقول هل هو يعمل صالحا؟ ففي الطرف الآخر رجل بصير يعرف لزوم المجازاة وإتيان الساعة لتكميل هذه المجازاة هو يعرف أنه إذا خرج من العدل كأنه ترك الفطرة الإنسانية، فبمقابلته هو يستحق التقدم. لو جعلنا الأمر للناس فهل يقدمون هذا الظالم على هذا العادل؟ أوشبهتهم في نفي القيامة هو استبعاد خلق الإنسان مرة أخرى. أفلا يرون أن الله كل يوم يأتي بسماء جديدة وأرض جديدة؟ هذا الذي يأتي كل يوم بيوم مثل الأيام السالفة كأنه خلق السموت والأرض كل يوم على مثال جديد. أفليس هذا العمل أكبر من خلق الناس بعد موتهم على مثال جديد؟ **لكن أكثر الناس لا يعلمون**. ما حقيقة هذا التبدل اليوم، وما حقيقة خلق الإنسان بعد موته؟ وكيف يكون التماثل بينهما واضحا؛لكن اكثر الناس لا يعلمون، فالذين لايدركون مثل هذه المسائل الجلية يستحقون أن يسموا عميا. . **وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ هذا الذي ذكرنا هو خلاصة آية ٥٩ ، إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيها وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** (59).

والخطأ الثاني الذي يرتكبه هؤلاء المتكبرون هو عدم إظهار الانقياد لرب العالمين ، الإنسان كيف ما يكون كبيرا إنما يتكبر عن الناس فقط. ومن أراد أن يتبعه الأدنى منه فلايبقى هو على

---

(1) الكون أحسن.الباحث.

الأعلى منه. تلك فطرة الإنسانية. إذا كان الإنسان يريد أن لا يعصيه ولده فالإنسانية تأمره أن لايعصي أباه؛لأنها مجربة عند الناس. هكذا من أراد أن يشكره من يحسن إليه واجب عليه عند الإنسانية أن يشكر هو لمن أحسن إليه، وإن ترك ذلك فلايرجو الخيرممن أحسن إليه.

تلك المسائل مجربات بشواهد لا تعد ولا تحصى فصارت مسلمات. فالإنسان إن كان كبيرا على إنسان آخر؛لكنه ليس بكبير على الله رب العلمين. فإذا أراد أن يعترف الناس بعزته وكبره يجب عليه أن يظهر كبر رب العلمين على نفسه ويدعوه سرا وجهرا حتى يعترف الناس أنه يعترف بمن يعتقده كبيرا. وبعد ذلك الناس يعترفون بعظمة هذا الرجل أيضا بالإنصاف. وهؤلاء غالطون في ذلك لايدعون ربهم. فالأنبياء والمؤمنون بالله هل يجعلون تلك الطائفة من صنفهم ويقومون معهم متساوين؟ كلا!. فمن الآية 60 إلى 65 الدعوة إلى الدعاء من رب العلمين, ومخلصين له الدين ورد شبهاتهم. ومن 65 الأمر بمجانبة هؤلاء. **قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** (66)[1] رجال يعترفون المتكبرون أيضا بعظمتهم فهم واقعون إمافي سلسلة آبائهم أو واقعون في سلسلة مشايخ طائفتهم فيعترفون بعظمتهم ويدعونهم لإصلاح أمورهم ويتبركون بأسماء ويذكرون في ابتداء جميع أعمالهم. وأنا رأيت هذا العمل قبل إسلامي في قومي، قومنا طويلة عريضة يعرف الناس، وفيه درجات وفروق غير متناهية. فالناس عامة لا يعرفون سر وحدتهم وسراختلافهم. سمعنا من رجال كبار أوروباويين:الهند ذو عجائب فعرفنا بقصور مطالعتهم لأهل الهند. هم لا يقدرون على تنظيم حياة أهل الهند فيتعجبون من كل شيء رأوه كبيرا ثم يرون بجنبه شيئا صغيرا مثله لا يهتدون لسرالتنظيم. وبعد سيرنا في أوروبا تعجبنا. هؤلاء القوم الجاهلون كيف يحكمون عليهم؟ وليس ذلك إلا بقوة مجتمعة في مركزهم، وأهل الهند من مائة سنة بطلت المركزية عندهم. الحاصل أن المقصد أن أهل الهند مجتمعون باعتراف رب خالق لهم ويعترفونه على منهاج الفلاسفة الوجوديين لا يحيطون بتلك الفلسفة؛لكن اعترافهم بحقانيتها، وكون الرب واحد دخل في باطن بطون قلوبهم هذا سر وحدتهم. اليهود لا

(1) في ن م : هؤلاء من دون الله.

يعرفون التوراة؛لكن يؤمنون بموسىٰ ويقدسون ما يسمونه التوراة، وإن لم يفهموها. هكذا كل قوم وحدتهم قائمة بتعظيمهم لشعائر الملة لا لإحاطة كل أحد منهم بكليات الملة وجزئياتها تماما. فالهنود شعار الحق عندهم الإقرار بالإله الواحد، واتصال هذا العالم به من طريق وحدة الوجود[1] لا يحيطون بمعاني تلك الكلمات؛لكن يدركونها بوجه دون وجه. أدنى طائفة من الهند البالغ في الجهل والمسكنة إلى درجة لا يكون تحتها درجة يرجعون إلى بيوتهم ويقوم رجلا متسائلا فتلك المرأة مع جهلها تقشعر جلودها وتأتي بشيء مالا عطاء هذا السائل، وتقوم في نفسها لعل الله جاء بتلك الصورة سائلا فتمكن هذا العلم في أفراد قوم بطلت اجتماعياتهم من ألوف ألوف سنة هل يكون شيئا يستهان به ؟ وكيف يقابله قوم لا يعترفون بالرب إلا بالدلائل؟ كل من يقوم أحدهم لسانا يبطل دلائل السابقين، ويورث الشكوك في قلوب الناس بالنسبة إلى رب العلمين. وهؤلاء يسمون بالفلاسفة إن كانت هذه فلسفة؟ الآن نبحث عن سر افتراقه. أما سر افتراقهم فكل اجتماع ينتسب إلى معلم أو مرشد، وهؤلاء يذكرون إسم مرشدهم، ويدعونه لإصلاح حالاتهم، وفي قلوبهم أن هذا المرشد اتصل بالله، وهو يسمع دعاءنا، ويقدر على إنجاح مقاصدنا فلا يعرفون من معرفة الحق إلا هذا القدر فيدعونه، ويذكرون إسمه للتبرك في مبادئ أمورهم. فلما تكثر المرشدون تكثرت الطوائف. وكل يعتقد أن مرشده واصل بالله فالتجوز يقولون: إنه الإله فيغلط الناس في فهم دياناتهم أنهم معتقدون بالله كثيرة، والأمر ليس كذلك. هذا التكثر عندهم ليس إلامثل تكثر الأسماء، والصفات الإلهية إلارجال ناقصوا الفطرة منخدجة الطبيعة يصرحون بأشياء باطلة فيتخذهم الناس حجة. ومثل ذلك عندنا الغلط في ديانة يونان، فعندهم كلمة الإله يقال للملائكة، وبذلك وردت في التوراة والإنجيل كلمات قليلة على لغة يونان. فالذين لم يفهموا سر وحدة الملة فسروها بأن اليونان قبل النصرانية كانوا قائلين بتعدد الإله. وهذا وهم باطل بالمرة. فأصل الأمر كان أنا رأيت في قومي قبل إسلامي أنهم يتبركون بأسماء رجال يعتقدون أنهم واصلون بالله، ويسألونهم حوائجهم بدون لكنة تحدث في لسانهم ، لا يجدون في أنفسهم أنهم مجرمون في ذلك أوأنهم نسوا الحق بل إذا

(1) قد مر الكلام عن هذا الاصطلاح في سورة هود.الباحث

نبهوا على ذلك يقولون هو هو هذا ما شاهدته وعقلته من قومي ثم بعد إسلامي رأيت أقواما من المسلمين في الهند لافرق بينهم وبينهم إلا في ذكر الأسماء. الطائفة الأولىٰ كانت تذكر أسماء الهنود المتقدمين، والطائفة الثانية تذكر أسماء مسلمين تقدموا أصل نظريتهم ، وذهنيتهم سواء طابق النعل بالنعل. هذا أيضا جربته، شاهدته، وعقلته. والذي علمت في ديوبند من طريقة إسماعيل الشهيد أن دعوة القرآنية ترد على هؤلاء على السواء. فالمسلم المؤمن بالقرآن مع فهم لا يقدرأن يجلس في صف هؤلاء الهنود كانوا أو مسلمين.

قل إني نهيت الخ هذه الآية هي أمر بمجانبة هؤلاء. فالرجل إذا اعتقد عظمة أبيه أو آبائه أو اعتقد عظمة مشائخ قومه لا يخرج عن الكبر الذي يمنع السلم لرب العلمين بل هو في الحقيقة يعظم نفسه. أما إذا جعل رب العلمين الذي برأسه وقومه ، كذلك برأس مخالفة قومه من جميع الإنسانية سلم كونه كبيرا على نفسه، وجعل نفسه ذليلا عنده، ودعاه سرا وجهرا مخلصا هو يكون من الذين تركوا الكبر بمقابلة الأنبياء ثم بعد ذلك آيتان: الأولىٰ في بيان تعرف الرب في التكوين تكوين الكائنات، ومنها الإنسان ثم في الثانية تعرف في الإنسانية بالتكريم بعد إحيائه بعد الموت فالإنسان لازم أن يعترف بعظمة رب الإنسانية، ورب الكائنات. تم على ذلك الفصل الأول في دعوة المتكبرين إلى دعاء رب العالمين. والفصل الثاني عندنا يشرع من قوله: **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (69)** هؤلاء يعترفون بالرب ويدعونه مخلصين له الدين؛لكن يكذبون بالكتاب ثم جاء في تلك الآية: **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)**

جملة معترضة: قد حدث في زماننا في الهند أولا وفي بلاد المسلمين الآخرين بعد ذلك جماعة من المسلمين يؤمنون بالقرآن كله ثم يحكمون عقولهم ويقولون نحن أدرى بمسائل عصرنا فلا يجعلون أنفسهم مقيدين بتعليم نبينا__ عليه السلام__ ونظام الخلافة الراشدة الذي أثبته دواوين السنة، ونحن نخالفهم في بعض الأشياء دون بعض. تفصيل ذلك رجال من الفقهاء يقرؤن كتب الفقه الحنفي

أصولا وفروعا بالتدقيق، والتحقيق حسب الإمكان ثم يقابلهم رجل محدث بخبرهم بأحاديث صحيحة مخالفة لما تقرر عندهم فهم مقصور علمهم بالحديث لا يبحثون بالتأويل والتطبيق بل يقولون هذا العلم الذي أخذناه من الفقه هو لب الأحاديث، ومقدم على ما يرويه المحدثون؛لأنهم أكثرهم غير فقهاء. ورواية غير فقيه لا تقبل عندنا. فالمحقق لا يرى هذا الفقيه على الحق من كل وجه بل كان ينبغي له أن يعترف بأن علم الفقه ليس علما مستقلا من علم الحديث بل هو مستنبط باجتهاد المحققين من أهل الفقه لأجل الناس في الأعصار المتأخرة إلى مثل ذلك. والمجتهد قد يخطئ، وقد لا يبلغه الحديث. فإذا ثبت الحديث وصح عند المحققين هو مقدم على استنباط الفقيه. فإذا وقعت مخالفة بين حديث صحيح، واستنباط عالم راشد إما نؤول قول الفقيه إلى معنى الحديث إن أمكن ذلك أو نرده ونأخذ بقول فقيه آخر وافق الحديث، ولا يكون في ذلك تنقيص شأن المجتهدين بل نعمل ونأخذ بوصاياهم. فإذا كان فقيه يعامل من الحديث مثل ذلك يكون على الحق من كل وجه. وإذا قدم الفقه على الحديث الصحيح مع المخالفة فهذا الوجه ليس من الحق في شيء، وإن كان الناس محتاجين في أخذ استنباط الفقهاء في غير تلك المسألة عن هؤلاء الفقهاء. فالفقهاء من هذا الوجه يكونون على الحق. هكذا المحدثون ضبطوا أقوال نبينا _عليه السلام_وأحواله ثم الفقهاء الراشدين فما صح من ذلك وثبت بتحقيق المحققين هو علم يحتاج إليه المسلمون. وما أبطله المحققون من المحدثين وأوصوا الناس أن لا يتبعوا تلك الأحاديث المختلفة[1] والمنكرة[2] والشاذة[3] فهذا لا يستحق أن يسمي بعلم الحديث. الآن نرى مادونه الفقهاء بالنسبة إلى القرآن هو بعينه مثل رواه الفقهاء بالنسبة إلى أهل الحديث. فإذا عارض الرجل

---

(1) تعريف المختلف لغة: هو اسم فاعل، من "الاختلاف" ضد الاتفاق. والمراد بمختلف الحديث: الأحاديث التي تصلنا،ويخالف بعضها بعضا في المعنى، أي يتضادان في المعنى. اصطلاحا: هو الحديث المقبول المعارض بمثله، مع إمكان الجمع بينهما أي هو الحديث الصحيح، أو الحسن الذي يجيء حديث آخر مثله في المرتبة والقوة، ويناقضه في المعنى ظاهرا، ويمكن لأولي العلم والفهم الثاقب أن يجمعوا بين مدلوليهما بشكل مقبول.لينظر:تيسير مصطلح الحديث،محمود طحان النعيمي،70.

(2) تعريف المنكر: لغة: هو اسم مفعول من "الإنكار" ضد الإقرار. اصطلاحا: عرف علماء الحديث المنكر بتعريفات متعددة، أشهرها: تعريفان، أحدهما: هو الحديث الذي في إسناده راوٍ فحش غلطه، أو كثرت غفلته، أو ظهر فسقه.ثانيهما: هو ما رواه الضعيف مخالفا لما رواه الثقة.لينظر:المرجع السابق نفسه:119.

(3) تعريف الشاذ: الشاذ ما رواه المقبول مخالفا لما رواه من هو أولى منه.لينظر:المرجع السابق،120

العالم بالقرآن آية بمقابلة حديث صححه أهل الحديث. هنا أيضا يكون طريقتان : طريقة حقة هي أن يقول المحدث نحن نطبق معنى هذا الحديث على الآية، ونؤوله فإن لم يمكن التأويل والجمع فنرده، ونحكم على المحدثين الذين صححوا بالخطأ هذه جادة حقة. وإذا حكموا بتقديم مادونه المحدثون على القرآن فيكون فيه حق من وجه وباطل من وجه بعين النظير الذي قدمناه في الفقه مع الحديث.

الإمام ولي الله يحكم بأن النبي استنبط الأحاديث من القرآن العظيم، وهو جمع جميع ما شرحه النبي في الصلوة، وقدر على استنباط من القرآن، وأراد أن يؤلف فيه رسالة؛لكن لم نقف عليها. فأصل العلم أن جميع ما أتى به النبي عند أهل الحديث، وكذلك ما أتى به الخلافة الراشدة كله مستنبط من القرآن، فيقدم القرآن دائما على الحديث. إن قدرنا على تطبيق الأحاديث، والآثار على القرآن أخذنا بها، وإن لم نقدر نجعلها من المتشابهات لا نعمل بها، وإن كنا نحسن الظن بالمحدثين الذين صححوها. وإن قدرنا على كلام في صحة الحديث فنرده مثل رد الفقهاء، والمحدثون[1] الأحاديث المنكرة والشاذة بحكم القواعد العلمية، وقبلها المسلمون. كذلك نحن نحكم بعدم صحة الحديث تحت القواعد فلا يؤاخذ علينا. ونحن كما ننكر على أهل الحديث أن يقدموا الحديث على القرآن، وننكر على أهل الفقه أن يقدموا الفقه على الحديث، ونأمر الفقهاء أن يجعل الفقه مستنبطا من الحديث أو منطبقا عليه. وكذلك نأمر أهل الحديث أن يجعلوا الحديث مستنبطا من القرآن أو منطبقا عليه، ويكون ردهم الأحاديث خاصا لأحاديث تخالف القرآن مخالفة ظاهرة. فإن عندنا ليس جميع ما علمه الله أنبياءه منحصرا في الكتاب. [2]

الكتاب صورة علوم تأخذ بها الأمة بأجمعها، ويكون للنبي استنباط دقيق لايهتدي إليه من الأمة الأفراد يجب على الأمة الأخذ بها. وعندنا ليس استنباط النبي من القرآن مثل استنباط

(1) المحدثين لأنه معطوف على الفقهاء وكلمة "الفقهاء" مجرور من حيث الإعراب.الباحث.
(2) يثبت الشيخ السندي حجية السنة النبوية وآثار الخلفاء الراشدين بعد سرد كلامه الدقيق.الباحث.

المجتهدين من ألفاظ [1] القرآن بل الآية القرآنية تكون كالقوة. إذا توجه إليه النبي ينجل له منها شمس الحكمة فيأتي بقواعد متمتعة نسميهم ما أتى به الكتاب، ويكون الأمة مجبورة بأخذها، وبمعارف حكمية تنشرح بذلك صدور الصديقين بفهم آيات الكتاب، فعلوم من الحكمة وعلوم من التشريع يستنبطها النبي من القرآن بطريق خاص به وبالصديقين. ليس لأهل القرآن الحكم بردها إلا الجهلة منهم بمعارف القرآن، وهم دائما يحتجون[2] بأن الله أنزل على عبده الكتاب ليس معه شيء غيره ففهمهم واه كان غير صحيح؛لكن إقامة الحجة عليهم مشكلة عندي. في الآية ٧٠ من سورة المؤمن حجة عليهم.

قال الله تعالى: **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (70) جمع الكتاب مع ما أرسلنا به. وعندنا المراد به معارف الحكمة، وقواعد التشريع. تمت الجملة المعترضة.

وبعد ذلك ذكر العذاب الذي يكون لهم في جهنم. وعلى ذلك تم الفصل الثاني عندنا.

التكذيب بالكتاب كفر بعد كفر. ويريدون تشريعاً يوافق أهوائهم، ولا يريدون تشريعا ينطبق على الإنسانية عامة الذي ورد به الكتاب، وبما يكون خاصا لأرباب الكمال لأصحاب المعرفة، ولأصحاب التنظيم بل يريدون تشريعاً يطابق من لا يرى الحياة إلا الحياة الدنيا. الآية بعد ذلك داخل في هذه الآية. هذا الكبر الذي ذكرنا في الفصل الأول كان نتيجة الفرح والمرح بغير حق.

---

(1) في ن م : "هذه العبارة الطويلة سماع دعوة الحق،وأفسدوا بذلك إنسانيتهم، والعذاب بعد ذلك لازم إذا كسر يد إنسان فأراد الطبيب إصلاحه يكون عليه عذاب أم لا؟هكذا إذا أفسدوا ضروريات الإنسان أراد الله لحكمة ما أن يصلحهم مرة ثانية فهذا الإصلاح يستلزم العذاب،فالعذاب كان لازما لهم لإفسادهم الفطرة الإنسانية بواسطة إفساد مركز الإنسانية في قلوبهم.وهذا الأمر كيف يقوم به الرجل يفسد فطرته قبلهم يكون جماعة هيئتهم فاسدة خالفت الأنبياء،ويكون في جانب آخر دعوة الأنبياء،فتلك الطائفة عند الله تزين لهم كل أمر فاسد مثال ذلك : مجمع الزناة من الرجال والنساء يدعو الشبان إلى الزنا بطرق وحيل،ومجمع آخر من اللوطيين،هكذا مجمع آخر من السارقين هؤلاء معروفون بفساد علمهم،وأنهم أشقياء وهنا مجامع ظاهرهم طيب مجمع من التجارب المحتالين والمتفقين؛لكن إنما يقومون بإسم التجارة يعني أن ظاهرهم ليس بفاسدثم مجمع آخر من المدبرين،ولايريدون تشريعا ينطبق على الإنسانية عامة الذي ورد به الكتاب بما يكون خاصا لأرباب الكمال لأصحاب المعرفة ولأصحاب التنظيم بل يريدون تشريعا " لاتوجد في ن إ.

(2) يرد الشيخ السندي على القرآنيين مثبتا موقفه من خلال القرآن.الباحث.

جملة معترضة: في سورة الإسراء: ذكر الله الأحكام العشرة[1] مثل العشرة التي كانت في التوراة فحذف منها بعضها مثل تعطيل يوم السبت فإنه كان خاصا باليهود وأضاف إليها. . **(وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)**[2] فجعله من أصول؛لأن هذا المرح يجعل الرجل متكبرا، ويخرج من قلبه مساواة للإنسانية، ويطغى على الإنسانية إذا رأى نفسه مستغنيا فهذا الطغيان نتيجة الكبر، وهذا الكبر منبعة المرح فجعل الله لا تمش في الأرض مرحا من أصول ديننا لذلك. تمت الجملة المعترضة.

(1) الأحكام العشرة أذكرها بصورة الجدول لينظر:القرآن الكريم سورة الإسراء من آية 22 إلى 39.وأيضا:التعليم المسيحي للشبيبة الكاثوليكية - بالعربية، ص.192-193 مجموعة من الأساقفة بموافقة البابا بندكت السادس عشر، مكتب الشبيبة البطريركي، بكركي 2012، وأيضا: إنجيل متى.17-16 :19 . الجدول

م	الأحكام	آيات سورة الإسراء	المقابل في التراث اليهودي المسيحي
الحكم الأول	توحيد الله وعدم الإشراك به	22	لايكن لك آلهة أخرى أمامي
الثاني	الإحسان للوالدين والبر بهما	24-23	أكرم أباك وأمك
الثالث	عدم قتل الأولاد خشية الإملاك	31-26	لاتقتل
الرابع	اجتناب الفواحش والبعد منها	32	لاتزن،لاتشته بيت قريبك،لاتشته إمرأة قريبك..
الخامس	عدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق	33	لاتقتل
السادس	الحفاظ على مال اليتيم وعدم القرب منه إلا للمصلحة	34	لاتسرق،لاتشته بيت قريبك،لاتشته إمرأة قريبك.
السابع	الإيفاء بالكيل والميزان بالقسط	35	غير موجودة ويوجد بدلا منها أذكر يوم السبت لتقدسه
الثامن	العدل وقول الحق	36	لاتشهد شهادة الزور
التاسع	الوفاء بالعهد	34	لاتحلف بإسم الله باطلا
العاشر	اتباع صراط الله المستقيم وعدم اتباع سبل أخرى	39-37	لاتصنع لك تمثالا منحوتا،ولاصورة ما..لاتسجد لهن ولاتعبدهن.

(2) الإسراء : الآية :37

في الآية : 75: **ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) وفي آية 76 ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ** (76) فنظم الآيتين يرشد أن التكبر نتيجة الفرح والمرح فيكون هذا الفصل انتهى على ذلك. وفيه بيان أن التكبر ينشأ من البسط في المعيشة والاستغناء عن الناس. هذا يوجبه الفرح والمرح فيكون (**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآه اسْتَغْنَى**)[1] النازل في أول سورة من القرآن مبنى على ذلك الأساس. تم الفصل الثاني. ومن قوله: **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ 77** إلى آخر السورة الفصل الثالث : نفهم منه أن المراد من الذين يجادلون في آيات الله كان كسرى وقيصر، فإن فتح مكة وفتح العرب رآه النبي في حياته. أما فتح كسرى وقيصر كان بعد وفاته على أيدي خلفائه[2]. فالوعد التام كان هو الغلبة على كسرى, وقيصر. قوله تعالى :**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** الذين كانوا في الأرض المقدسة أرض إبراهيم بين النيل والفرات، وبين جبال الله إلى جنوب جزيرة العرب الحبر. في تلك الأرض المقدسة جاء الأنبياء فذكر الله منهم أرباب الدعوات الكليات. وفي الأرض الأخرى الإيران والترك والهند والصين والحبش وأوروبا ستة أراض كانت فيهم أيضا رسل على منهاج هؤلاء الرسل فلا حاجة إلى ذكرها؛لأن أصل المنهاج مفهوم، وأسماؤهم غير معروفة عند الحنفاء فلايؤمر بالتلفظ بها، والحفظ لها قوم أميون. العمل في جميع الأنبياء من جهة الرب كان واحدا لا يقدر رسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله. فما نسب بعض الأقوام إلى بعض الرسل أنهم آتوا بآيات عرضوها، ويثبتون بذلك عظمة شخصيتهم فلا ينبغي للمحقق أن يلتفت إليه؛لأن ذلك ليس منه إنما هو من جهة الرب بمقتضى مصلحة فالعظمة تكون للرب.

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78) هذا مساوفي كل الأقوام بمعرفة أنبياء أقوام لم يقصص. يرشد الله للمؤمن **أن يسيروا في الأرض**, ويطالعوا النبوات ونتائجها.

---

(1) العلق: الأية :6-7
(2) في زمن الشيخين.الباحث

فإذا رأوا أن كل ذلك ينطبق بعضها ببعض يكون علمهم معدن مركز للاجتماعية العالمية يعني إذا لم يقدموا على تطبيق نبوات الأمم المتقابلة على منهاج واحد لا يحيطون بعلم الاجتماعية العالمية فالذين يجادلون في الحق قسمان: 1- يجادلون الحق في الملة. هؤلاء مرجعهم إلى الفرح والمرح والكبر. 2- يجادلون في الآيات باعتبار العالمية مثل قيصر وكسرى. كل واحد يقاتل الآخر ليكون إمبراطورية هي المركز الوحيد للعالم، فالمقابلة لهذا القسم إنما يتأتى من قوم يجمعون العالم كله تحت منهاج واحد. قيصر يريد أن تكون صبغة النصرانية عالمية. وكسرى يريد أن يكون صبغة الصابئة عالمية فيتقاتلان. فإذا قامت جماعة يردون صبغة النصرانية والصابئة كلتيهما، ويجعلون الإنسانية على منهاج الحنيفية مركز الاجتماع العالمي هم يغلبون على هؤلاء، وهؤلاء، ويكون لهم السيادة الكبرى في العالم بفضل الله ورحمته؛لكن الفوز بتلك المرتبة يحتاج إلى استعداد التطبيق بين رسل جميع الأقوام، وإلى ذلك أشار القرآن. **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيها مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْها وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ** (80) فأرشدهم إلى السفر في البر والبحر؛ليدركوا حقيقة النبوات بآثار الأمم المهلكة بمخالفة الأنبياء ثم يقدرون على تطبيق جميع النبوات على منهاج واحد. هم الذين يغلبون على كسرى وقيصر. وتنزيل الكتاب. هذا معناه إنشاء قوم يكونون حافظين على مركز الاجتماعية العالمية.

لطيفة:الإمام ولي الله بين حقيقة دعوة الرسل في البدور البازغة، وما يقتضيه الإنسانية بطبيعتها، وحصر الدعوة عليها. (1) والإمام ضبط مقتضى الفطرة الإنسانية في أبواب يمشي على ذلك التبويب في جميع كتبه(2) ثم يحكم في التفهيمات: هذه الإنسانية التي شرحناها في تلك الأبواب إصلاحها مقصد الأنبياء قاطبة سواء عندهم القوم يكون قائلا بقدم العالم، وتأثير الحق بالإيجاب أو يكون القوم قائلا بحدوث العالم وقائلا بتأثير الحق بالإرادة ليس للأنبياء التفات إليها بالقصد(3). فمثل هذا الجمع هل يتيسر لرجل قيم في بلاده بين قومه؟ لذلك أمر الله بالأسفار والسياحة وأمرأن

(1) لينظر:البدور البازغة،الإمام ولي الله الدهلوي،فصل حقيقة الملة الحنفية،254.
(2) لينظر:المصدر نفسه:255-275.
(3) لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،233/1.

ينظروا كيف صارت جميع الأقوام إلى الهلاك على السواء؟ هذا لا يكون إلا بالبغاوة على مقتضى الإنسانية مثلا: الإنسانية تقتضى الزواج بين الرجال والنساء. فإذا شاع في قوم لواطة يهلكون. مثلا: الفطرة الإنسانية تقتضي بمساواة حقوق الكاسبين : كل رجل يسعى لما يأتي في باله من الهمة فهو لايجد لذة إلا في تلك الجهاد، وذلك الكسب. فإذا اختلف طرق المكاسب فليجتمعوا بالسوق، ويبادلون كل ماكسبه بما يحتاج إليه فيكون نظام التبادل يعرف حقيقة جميع المكاسبين على السواء. فاذا انتظم الأمر كذلك فالإنسانية تكون في أرغد عيش. الرجل لا يجد إلا ذرة أودخان؛لكن كل ذلك بسعيه وحريته واختياره لنفسه القيام في ذلك الموضع الذي لا ينبت إلا ذرة ولا يؤخذ منه شيء بإسم المملكة إلا وهو يعرف فائدتها، ويعرف حقه فيها ثم إذا جاء إلى السوق يكون التبادل بالحق والإنصاف فيجد هذا الرجل المسكين نفسه كأنه في الجنة يحمد ربه ويتلذذ حياته مثل ما يتلذذ الطبقة العالية بأكل اللحم والشحم والحنطة والأرز بل فوق ذلك هذا هو مقتضى الإنسانية. فإذا أخذ منهم شيء بإسم المملكة هؤلاء يعرف حكمته ولا يعرف نصيبه منها يكون حياته منفصمة كأنه في جهنم دائما يتفكر في نفسه لم خلق الله هؤلاء الظلمة؟ ولا يجد له جوابا. فإذا أتاه نبي يمنع الناس عن ذلك خالفوه وأصروا[1] على بطلانهم يهلك الطائفة الحاكمة دائما. هذا مستوفى جميع أقطار الأرض. وكذلك إذا فسد سوق وأبطلوا الميزان والمكيال حتى يجد الناس أن كل ما باعوا واشتروا كله بغبن، فهذا الأمر يجعل جنتهم جهنم. فإذا أصر قوم على هذا البطلان بعد تنبيه الأنبياء يهلك مدنهم وتخرب لا تجدون في ذلك فرقا بين لسان أو لسان. فمثل هذه الأشياء التي بينها القرآن العظيم يهلك الناس عامة إذا خالفوا الأنبياء. وبعد السير وتفحص أسباب الهلاك ثم تطبيق بعضها ببعض يكون قوما صالحا لإقامة الاجتماعية العالمية، وإلى هذا المعنى أشار في قوله: **وَيُرِيكُمْ آيَاتِه فَأَيَّ آيَاتِ اللَّه تُنْكِرُونَ** (81) التابعون للأنبياء يكونون قليلا ضعفاء، والمخالفون من الأقوياء. ويغلب الضعفاء على الأقوياء. ويرى مثل تلك الآيات في جميع أنحاء الأرض. إليه الإشارة في **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

---

(1) في ن م : أخبروا

كَانُوا أَكْثَرَ مِنهمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) **آثارا في الارض** الاجتماعيات المتقدمة تركت آثارا، وهم حافظوا عليها باتباعهم الحق الذي أريد من تلك الآثار، فتلك الآثار امتدت إلى زمن طويل. فلما خالفوا الحق أهلكوا **فَلَمَّا جَاءَتْهمْ رُسُلُهمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ** (83) المراد من العلم علم المعيشة، وعلم المعيشة لايتم إلا إذا كان تابعا للعلم الإلهي. جمع الخزائن والبنوك كله من نتائج علم المعيشة. وإذا لم يراع فيه حق الإنسانية العامة المؤسسة عند الأنبياء الحنفاء منهم خاصة لايفيد. **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّه وَحْدَه وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِه مُشْرِكِينَ** (84) المراد من البأس عندي محاربة المسلمين لقيصر وكسرى، وقبل ذلك محاربتهم لأهل مكة. وفي الخندق مع الأحزاب. المراد من البأس هو الحرب[1] جاء في سورة البقرة: (**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّه ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهدِهمْ إِذَا عَاهدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ. . .**)[2] ترجمة الشيخ[3] بوقت كارزار، فمعنى البأس في هذه السورة عندي هجوم المسلمين المجاهدين على الرأسماليين العالمين بعلوم المعاش؛ليدفعوا الظلم عن الكاسبين المساكين فلا ينفعهم إيمانهم بعد رؤية البأس. وعامة المفسرين يجعلون[4] البأس حضور الملائكة ساعة الموت[5]؛لكنه ليس[6] بمنحصر عندنا في الملائكة

---

(1) المراد:وقت الحرب لينظر: فتح القدير, الإمام الشوكاني,200/1.
(2) البقرة:177
(3) فتح الرحمن بترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية,سورة البقرة,30
(4) في ن م : تجعل
(5) لم أجد ذلك التفسير _الذي ذكره السندي_ في أحد من التفاسير صراحة لعل الشيخ السندي أخذ التفسير المذكور من المفسرين الذين فسروا كلمة "البأس" بمعنى العذاب مثلا:يذكر الإمام الواحدي في تفسيره قوله: "وحين البأس قال ابن عباس: معنى البأس في اللغة: الشـــدة، يقال: لا بأس عليكم في هذا، أي: لا شـــدة ولا حرج، {بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} [الأعراف: 165]، شديد، ثم تسمى الحرب بأساء لما فيها من الشدة، والعذاب يسمى بأسًا لشدته، قال الله: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر: 84] وقال: {فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا} [الأنبياء: 12] وقال: {فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّه} [غافر: 29] كل هذا معناه: العذاب" لينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط،ت: أبو الحسـن علي بن أحمد الواحدي، النيسـابوري، الشـافعي (المتوفى: 468هـ)528/3، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ط: الأولى، 1430 هـ.
(6) في ن م : لكن ليس ذلك.

بل المجاهدون إذا قاموا على الظالمين[1] يكون حكمهم كالملائكة[2]. عدم نفع الإيمان لهم معناه عندي إن نجوا من القتل لاينجون من الإثم.

سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ كما أن لله سنة في الأشجار والمعادن والأفلاك والكواكب، كذلك له سنن في عباده، كل من خلقه الله رزقه على الله. فإذا جمع واحد رزق كثير من عبادالله ولا يعطي لأحد إلا إذا جعلوا أنفسهم عبيدا لذلك الواحد. فإذا تنقص العبيد عن إطاعتهم لذلك الفرد، وسألوا ربهم بلسان قالهم أو حالهم أن يعطيهم الرزق من عنده يأتي الله بالانقلاب يلقي في قلوب الضعفاء القيام على الجبابرة، ويحاربوهم. هذه سنة الله في عباده. **وَخَسِرَ هنَالِكَ الْكَافِرُونَ** (85) الذين يجادلون في آيات الله كان لهم موقع أن ينجوا بأنفسهم وأهلهم ، وأضاعوا ذلك الوقت، وخسروا.

كان في هذه السورة: **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْها وَمِنْها تَأْكُلُونَ** أخذنا من هذه الآية: أن المسلمين يجب عليهم أن يسيروا في الأرض، وينظروا إلى عاقبة الأقوام المهلكة، ويأخذون من تلك الآثار اتفاق الأنبياء على مسلك واحد في إصلاح الإنسانية. إذا فعلوا ذلك صاروا أهلا للاجتماع العالمي، وصاروا أهلا للمركز الاجتماعية العالمية. فإذا فعلوا ذلك، ونظموا حركة اجتماعية يغلبون على رجال عالمين بالمعيشات فرحين في المعاشرات، فهؤلاء إذا غلبوا في المحاربة، وتركوا كفرهم إن كانوا نجوا من المقتل يستأسرون، وهذا خسران لهم. هذا الذي أخذنا من تلك الآيات، وبسطنا فيه القول. والآن نتكلم على تاريخ الإسلام.

المسلمون ليسوا كلهم سواء. القرآن قسمهم على ثلٰثة أقسام: 1: السابقون 2: المقتصدون 3: الظالمون. وكانت أمراء المسلمين لا تخلو عن هذه الثلٰثة. الطبقة الأولى من الإسلام كانوا سابقين، وتبعهم المقتصدون. هؤلاء كانوا يعملون على تلك الإشارات التي أخذنا من القرآن كانوا

(1) يؤيده تفسير الإمام السيوطي في تفسيره:" {وحين البأس} وقت شدة القتال في سبيل الله"لينظر:تفسير الجلالين،سورة البقرة،ص36.

(2) كما يقول ابن عاشور في تفسيره: هذا حكم الله في البأس بمعنى العقاب الخارق للعادة والذي هو آية بينة، فأما البأس الذي هو معتاد والذي هو آية خفية مثل عذاب بأس السيف الذي نصر الله به رسوله يوم بدر ويوم فتح مكة.لينظر:التحرير والتنوير,ابن عاشور,223/24.

يسيرون في الأرض، وينظمون، ويتفحصون عن تمدناتهم كيف ارتقت؟ وكيف بطلت؟ وبالنظر إلى ذلك كانوا يصنعون قوانين للحركة الاجتماعية، ويفتحون الأقوام. نحن نعرف بالتحقيق دواء السلطان محمود الغزنوي[1] فمن تقدم منهم كانوا أحسن منه باليقين. وزمن هذا السلطان نرى الفردوس[2] يصنف شاهنامه يضبط تاريخ الفرس.

أنبيائهم وملوكهم الذين كان عندهم الإقدام إلى المعالي، والذين هم مرتجعون. شاهنامه تشتمل على أحوال كل هؤلاء الأقوام. التركية ليست لهم تاريخ مستقل؛لكن الإيران بمجاورته توران، وتنافسهم في التغالب دائما يحارب توران. فشاهنامه يجمع تاريخ توران أيضا ثم في زمن هذا السلطان البيروني[3] يدخل الهند، ويتعلم لسان الهند في كتب من الهند بالعربية إلى يومنا هذا. لا يعرف من يتكلم بالعربية من الهند شيئا أكثر من ذلك. فليس هذا تفحصا عن الأقوام الماضية، وعن مخالفاتهم وموافقاتهم ونبواتهم فنظموا هيئة اجتماعية فارسية كانت غالبة على إيران وتوران وعلى الهند إلى ألف سنة من الهجرة.

فالنصف الثاني من الألف الهجري نعرف تاريخه جيدا هم كانوا عاملين بإشارات الكتاب المبين. والنصف الأول يقينا كان أعلى منهم ثم على مبدأ الألف الثاني نعرف تاريخ الهند. في زمن السلطان جلال الدين الأكبر[4] هو فحص عن الديانة الهندية، ورتب. بعده ترجم في زمنه مهابهارت إلى الفارسية أعظم كتاب الهنود مثل شاهنامه للفردوسي ترجموها إلى الفارسية. في زمنه جاء الغربيون إلى الهند للتجارة فهو جمع القسيسين من النصارى مرارا، وترجم التوراة والأناجيل إلى الفارسية. الهند وحده كانت متبعا لديانة بودا، والسلطان جمع معها الديانة المسيحية التي تشبهها، ورتبوا

---

(1) سبق ترجمته

(2) **أبو قاسم الفردوسي** شاعر فارسي .(935-1020) ولد في خراسان في قرية قرب مدينة طوس (في إيران اليوم). عاش في حكم السامانيين في حكم القزنويين .اشتهر بتأليف كتاب" الشاهنامة." لينظر: https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%B3%D9%8A

(3) هذا أبوريحان البيروني. الباحث.سبق ترجمته

(4) سبق ترجمته.

برنامجا للهيئة الاجتماعية. وببركته انتظمت في الهند سلطنة إمبراطورية إسلامية لا نظير لها في العالم. وفي المأة الثانية من تجديد جلال الدين الأكبر[1] خرج من الهند الإمام ولي الله لا نظير له بين حكماء الإسلام، ولا في حكماء اليونان. هذا إنما نشأ نتيجة لذلك التجديد. فذلك التجديد على رأس الألف الثاني من الاجتماعي الهندي أثمر للمسلمين. مائة سنة كانت إمبراطورية الهند لا نظير لهما في إمبراطوريات الإيران قبل الإسلام، ولا بعده، وأثمر الثمرة الثانية هي نشأة الإمام ولي الله الدهلوي. إرهاصه[2] كان الإمام الرباني الشيخ أحمد[3] مجدد الطريقة للألف الثاني. السرهندي كان إمام المحافظين. طائفة من الاجتماعيين في زمن السلطان جلال الدين ، والطبقة العليا من الاجتماعيين كان السلطان يرأسها بنفسه بحدوث المزاج الاعتدالي بعد الكسر، والانكسار من الاجتماعيين الأحرار، والمحافظين استعد الهند؛لأن يخرج منها مثل الإمام ولي الله. إلى الآن بحثنا عن تاريخ الإسلام. الآن نقول من زمن جلال الدين أوروبا تحركت لأخذ مقام الإسلام في العالم. فكل فضيلة كانت في المسلمين باتباعهم لإشارات الكتاب المجيد. السابقون من أوروبا اتخذوها قدوة لهم، وتقدموا على المسلمين، وغلبوا على الأرض. عندنا هذا دليل واضح على صداقة الأصول التي أخذناها بالإشارات من الكتاب. وحكمة تقدم أوروبا عندنا ليست إلا ذلك. نحن نرجو من فضل الله في الهند أن نرجع الدور" دور جلال الدين الأكبر" ويكون إسلامنا محصورا في حكمة الإمام ولي الله. فإن وفقنا لذلك ترون نستعمله في الشرق_ إن شاء الله_.

أوروبا ما غلبتنا بالفلسفة بل غلبتنا بالتجارة، والصناعة، وحدث فيها دابة الأرض التي تاكل منسأتها. فإن تنفسنا يوما من ضغط أوروبا بعد تيقظنا يكون الأمر في الهند له شأن كبير_ إن شاء الله_. هذا الذي تكلمنا في الأخير إنما هو رجاء وتمنى. وأما الحقيقة فنحن تركنا القرآن،

---

(1) سبق ترجمته.
(2) الإرهاص: هو ما يصــدر من النبي صــلى الله عليه وســلم قبل النبوة من أمر خارق للعادة، وقيل: إنها من قبيل الكرامات؛ فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصـــرون عن درجة الأولياء.والإرهاص ليس بخاص بالأنبياء.لينظر: كتاب التعريفات ت: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) 16.
الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط: الأولى 1403هـ -1983م
(3) سبق ترجمته.

والتدبر فيه، والعمل بإشاراته في الاجتماعيات. لذلك خسرنا كل شيء في الدنيا، وفي الآخرة. فإن قال لنا رجل نحن تركنا الصلوة هو كذاب. واليوم مسلمو الهند يصلون أكثر من زمن جلال الدين. فإن قال رجل نحن تركنا العفاف، واتبعنا الشهوات، وأنا بالجزم أقول: العفاف اليوم في مسلمي الهند أكثر من العفاف في زمن الغزنوي، فالأمر في الاجتماعيات ليس براجع إلى جميع الناس في المساجد بدون فهم شيء، فبكاءهم على ارتذالهم على رذالتهم مثل بكاء على قتل الحسين، وأولاده، وهم قتلوهم بأيديهم، وليس أمر الاجتماعيات راجعا إلى الرهبانية التي ابتدعتها النصارى بل الاجتماعية تقوم على فهم أسرار الاجتماع التي يهتدي إليها الأنبياء.

والكتب الإلهية عامة للناس في المساجد، والأسواق على حد سواء. وغير الأنبياء يبخلون بها، ولا يعلمون إلا الخواص، ويأخذون قيمة التعليم أكثر ما يمكن. فهذا هو الفرق بين طريقة الأنبياء، وبين الحكماء السياسيين. إذا كان رجل عاملا بأسرار الكتاب، ومؤمنا بتصديق النبي بصداقة تلك الأسرار، فهذه القوة التي يحدث من ذلك العلم يتحمل كثيرا من النقائص يتبعون الشهوات مع حفظهم على رؤوس أموالهم لا يضرهم كثير ضرر. جعفر البركمي[1] كان واليا من جهة هارون[2] جاءت شكايته إلى خليفة بواسطة الجواسيس أنه يشتغل باللعب، واللهو فقدم هارون ذلك الكتاب إلى أبيه فكتب أبوه شعرا لولده لا نحفظه، ومعناه: اشتغل بالنهار بأداء ما فرض عليك، وتكون نزيها عند الناس. وأما بعد العشاء في داخل دارك في ظلمة الليل فاعمل ما تشاء من الملاعب، والملاهي[3]. فكان الفضل بعد ذلك دائما يحافظ على خمس صلوات في الجماعة، ويجلس في المسجد للحكم. وفي الليل كان يعمل كل ما يشاء. أدبيات العرب مملوءة من

---

(1) جفعر بن يحيى بن خالد البرمكي،(150 - 187 هـــ = 767 - 803 م) أبو الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشـــهوري البرامكة ومقدميهم. ولد ونشـــأ في بغداد، واســـتوزره هارون الرشـــيد، ملقيا إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي.فانقادت له الدولة، يحكم بما يشـاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشـيد على البرامكة، نقمته المشـــهورة، فقتله في مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد ســـنة. وكانت لجعفر توقيعات جميلة وكان كاتبا بليغا، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس لينظر: الأعلام للزركلي 2/ 130-131.

(2) سبق ترجمته

(3) لم أطلع على مصدر هذا الشعر.الباحث

حكايات الفسق، والخلاعات من هارون، [1] وأمرائه، وهم مع ذلك كانوا أقوى سلطان في الأرض. هارون ما خلا سنة من سني خلافية الأدب في الغزوة أوصحبة أوليائهم ما ترونه في الكتب. فالقيام للاجتماعيات ليس إلا بتصديق أسرار هذا الكتاب لا بقراءة ألفاظه. هارون ماكان عليه كل ما سمع كلمة فيها إهانة شيء من شعائر الدين دعا بالسيف، والقطع على الفور إلاأن يتوب الرجل، ويعترف أنه سبق به لسانه، ولم يرده. فالناس الذين يدعوننا إلى الاجتماع في الصلوة بدون تدبر، والنزاهة في الأخلاق من أطفال، وشباب من كل شئ فعلوا هم في ذلك الزمان الآن صاروا شيوخا لاقوة لهم لشيء من الملاعب فادعوا القدسية يدعون الناس إلى نزاهة الأخلاق كلهم شياطين دجاجلة إذا لم يتمسكوا أولا بالكتاب، وتدبره. هذا الذي تركناه، وصرنا في خسارة بينة منذ مأتي سنة 200.

---

(1) سبق ترجمته

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم السجدة

حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كما يكون الإيمان، والإسلام صورته في الجوارح كذلك في الشرائع الإلهية في أعلى المدارك. الأمر النازل كالروح ثم في موطن دون ذلك الموطن بتعين الأمر بالخصوصيات اللسانية، والاقتضائات العصرية فينتظم كتاب بصورة الألفاظ. وفي الموطن الأول كان كالمعاني المرموزة مثاله:يريد رجل كاتب أن يكتب كتابا إلى أحب الناس إليه فيتصور المعاني التي يريد أن يكتبها، ويتردد أوقاتا في تنظيم تلك الخيالات أيها أقدم، وأيها يؤخر، ولا يتكلم بكلمة حتى إذا انشرح صدره بالترتيب للمعاني المرادة يأخذ القلم فيعبرعنها بألفاظ. وربما يتكررنظره في إصلاح الألفاظ أيضا. فهذا تمثل للموطنين.حظيرة القدس، والملأ الأعلىٰ مثل القوى الدماغية للنوع الإنساني مثل القوة الدماغية للفرد. فإذا تقرر في الملأ الأعلى أمطار مطر الرحمة إلى قوم بصورة إنزال علوم يتقررذلك القرار في موطنين.

في الموطن يتقرر المعاني المرموزة مثل الأرواح، ولا يتبدل بتبدل الآثار، ولا بتبدل الألفاظ. فالأمور المتقررة في تلك الدرجة كان البحث عنها في سورة المؤمن ثم التقررالثاني لتلك المعاني يكون بألفاظ مخصوصة، والألفاظ دائما يلاحظ فيه العصر المخصوص؛لأن اللغات تتبدل تحت تبدل الاجتماعيات. فاللغة التي تختار للتعبير عن تلك المعاني لا بد أن يكون تأثيرها إلى وقت معين فيكون هذا التعيين أدنى، وأضعف من التعيين الأول. وإنما يتكامل أخذ أهل ذلك العصر بتلقي الألفاظ، ويكون طريقا لعامة الناس. وفي سورة السجده الآية:**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)** تعيين مرتبة هذه السورة في مواطن: الملأ الأعلىٰ ثم تلك المرتبة أيضا تنقسم على قسمين: 1: قسم يتعلم الولد في بيته من آبائه وأمهاته أولا ثم في مدرسة التي هي جزء من بيته من المرشدين والمعلمين ثم يتعلم في سوقه الذي هو أيضا من تتمات بيته من المعاملات والأمانات والمبادلات والضمانات وأمثال ذلك. هذا كله نجعله من تعليم البيت. فإن البيت الكامل الذي

يجمع عائلة كبيرة لا يحتاج أولاده أن تخرج إلى المدرسة ولا إلى السوق بل تتعلم جميع هذه الحاجات في البيوت. فهذا درجة طبيعة لتعلم الإنسان . 2: من مدارج التعليم ما يحصل بالتجربة في ميادين الحكومة، وهذا جنس آخر غير الأول يبني على تعليم الأول. فنحن باعتبارنا_ والله أعلم_ نجعل سورة السجدة مختصة بالتعليم على الدرجة الأولى ثم بعد ذلك نجعل سورة الشورى تعليما على الدرجة الثانية. هذا كله لهذا القوم. أولاد إسماعيل قريش، ومن والاهم من أهل الحجاز لتأسيس المركز الاجتماعي العالمي.

حم (1) **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** (2) الطفل في مبدأ حياته يحتاج إلى أبويه، وكل ما كان حياته متعلقة ببيته يكون معتمدا على أبيه وأمه حتى ينفرد هو بيت لنفسه خاصة . نحن في اعتبارنا في تفسير القرآن نجعل من الأسماء الإلهية الرحمن والرحيم تمثال الرحمة التي تكون في قلب الأب والأم للطفل، فالإنسان إذا خرج من الطفولية وأيقن عقله بخالق السموت والأرض هو الذي خلق هذا الرجل أيضا فآمن بالله أنه خالقه ويرزقه فليعتمد عليه مثل ماكان يعتمد في طفوليته على أبويه، ويجعل إسم الرحمن مقام الأب، والرحيم مقام الأم فحينئذ ينسى الأبوين، ويتعمد بكل قوته على الرحمن الرحيم.

الديانات السابقة إذا أرادت أن تقرب إلى أذهان الناس معرفة الرب بعضها مثله بالأب كالديانة المسيحية يسمى الرب بالأب السماوي، والبعض بالأم كالديانة الإبراهيمية ثم من تلك الأمثلة بعد زمان لسوء فهم حدث عقائد باطلة. فالقرآن العظيم من ابتداء أمره سمى الله بالرحمن الرحيم، وجعله مقام الأب والأم عند الأديان السابقة فصار الناس مأمونين من التحريف والغلط، فباعتبارنا معنى: **تنزيل من الرحمن الرحيم** تعليم في البيت للدرجة الأولية من الاجتماعيات ثم قوله: **كتاب فصلت** الخ هذا لازم للمبتدي فصل الجمل، جمل القرآن تسمى بالآيات؛لأن في بعض المواضع جملة واحدة من القرآن تخبر عن انقلاب عظيم في الإنسانية فكانت آية وتبعا لتلك الآيات سميت جميع الجمل بالآيات فجمل الكتاب مفصلة. **قرآنا عربيا**.

القرآن معناه الاجتماع. جمع الجمل يكون على مزاج العرب وعلى محاوراتهم فلا ينبغي أن يؤخذ بجمع جمل القرآن مضمونا لا يعرفه من العرب أحد. هذا عندنا معنى قوله: **قرآنا عربيا لقوم يعلمون** يريد أن يعلموا وكان في مكة، وفي الحجاز جماعة يدغدغ في قلوبهم فكر التقدم على الأقوام؛لأنهم يرون أن كل واحدة من الإمبراطوريتين العظيمتين تتمنى أن يكون العرب داخلا في حوزتهم فلولم يكن لتلك قوم قيمة فأي حاجة لمثل تلك الدول الكبار يرجون انضمام العرب إليهم؟ فإذا كان للعرب قيمة ثمينة فلم لا يستقلون بأنفسهم؟ فإنهم أشرف من الفرس والروم نسبا وحسبا. مثل هذه الأفكار كان يأتي في قلوب الأذكياء منهم الذين كانت مخالطتهم لكسرى وقيصر بسبب أسفارهم في التجارات هم يحتاجون إلى هاد. فلو كان من قومهم يعلمهم بلسانهم ليغتنموهم مثل الغنيمة الباردة فهؤلاء هم المراد من قوم يعلمون. وإن كانوا أفراد قليلة هم يصيرون قوما عظيما.

قوله:**بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** (4) فصلت آياته. آيات البشارة على حدة. وآيات الإنذار على حدة. فالأمر المبشر به يعين متى قاموا بذلك الأمر المعين الذي يدركونه بطبيعتهم يكون لهم كذا وكذا من البشارات. وإذا عملوا عملا واضحا مبينا يعرفونه بلغتهم لاحاجة لهم إلى كسب مبادئ غير ذلك فيخبرون أن تلك الرذيلة إذا استقرت فيهم يسلب عنهم النعمة التي كانت عندهم. هذا معنى تفصيل الكتاب بشيرا ونذيرا. مثلا ينذرون عن الشرك. ومعنى الشرك أن يتركوا كتاب الله ويجعلوا اعتمادهم في الدين والدنيا على غير كتاب الله، هذا أمر واضح؛لكن الأعاجم من المفسرين لا يقدرون أن يفهموا معنى الشرك هذا، هم يأتون بفلسفة الإلهية مقررة عندهم للتوحيد، ويقولون إن الشرك هو ترك تلك الفلسفة للتوحيد، ومن يقدر على أخذ ذلك المفهوم واضحا مبينا؛لكن العرب من زمان نزول القرآن إلى وقوع الفتنة بينهم بمقتل عثمان ماكانوا يتشككون في ذلك بوجه من الوجوه. ونحن نأخذ ذلك الزمان ترجمة حاميم ٤٨ فيتم المناسبة **فأعرض أكثرهم**. . الخ لم؟ بينوا عذرهم **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْه وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** (5) لا نعرف أن القرآن يوصلنا إلى

أي جهة؟ **وفي آذاننا وقر**. هذه دعوة جديدة فقط بتبديل العقيدة يحصل الارتقاء في الممالك؟ آذاننا ليست مستأنسة بذلك **ومن بيننا وبينك حجاب** أنت تقول تأتي إليه الملائكة، وأنت تسمع وتراهم، ونحن لا نكذبك فهل يمكن أن يرى هذا؟ ونعرف أنا في موضع، وأنت أعلى منافى الإنسانية فكيف نتفكر؟، هل نقدر على اتباعك؟

فاعمل إننا عاملون. . . فأنت تعمل حسب علمك. ونحن نعمل حسب ما علمنا فإن حصل لك شيء من الملك لا يكون اتباعك بعد ذلك صعبا علينا. فهذه الشبهات التي ألفوها القرآن العظيم يجيبهم عنها أفليس هذا مثل تعليم الصبيان في البيوت؟. **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَه وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْه وَاسْتَغْفِرُوه وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ** (6) ففيه تعليم للنبي أيضا أنه لا يترفع بعلو طبيعة الملكية عليهم حتى يظنون أنه من جنس آخر. فإن كان في الواقع؛لكونه حائزا للكمالات القدسية كالجنس المباين لهم؛لكن يتنزل عن علوه، ويجعل نفسه في الدرجة البشرية مثلهم كما أن الملك الذي يتنزل عليه يكون نازلا عن درجته الأصلية متقاربا لقوة الملكية للنبي. فإذا التزم النبي على نزوله يذهب عنهم فكر البعد. هم يقولون **نحن في أكنة مما تدعوننا إليه**.

قل لهم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد. . الدعوة القرآنية ليست مبهمة مستعجمة. الإله الواحد لكل الإنسانية هو إلهكم تعتمدون عليه في قضاء جميع حوائجكم، هذا معنى قوله: **فاستقيموا إليه** وإن وقع مرة خلل، وغلط فاستغفروه فيكون اتصالكم به قويا صحيحا حتى ترونه معكم. هذا تنبيه إلى تيقظ لطيفتهم: الحجر البحت، ونزول التجلي إلى تلك اللطيفة في قلوبهم. فإذا حصل لهم ذلك المقام ليست الدعوة القرآنية إلا تأويل ما يأمرهم به الرب من قوة باطن قلوبهم فلا يكون شيء مبهم يتخذون رجلا معينا إماما لهم. ففي الابتداء الرجل يكون شفيقا رحيما. وإذا حصل له القوة السياسة يتغير أخلاقه بالنسبة إلى هؤلاء القوم؛ولذلك الأمر أخذ الأنصار عهدا من النبي أنه إذا حصل له قوة على قومه لايتركهم يرجع إلى قومه، والنبي عهد لهم ذلك الأمر

فاطمأنوا به. فالدعوة القرآنية ليست هي اتباع رجل سياسي بل يتخذ[1] نسبتهم إلى ربهم. هذا يعلم طالب علم الإحسان في ابتداء التعليم. فإذا اجتمع قوم متيقظون بنسبتهم إلى الله، وتيقنوا من قوة باطن قلوبهم أن هذا أمر إلهي فليتبعوه. وليس شيء أنصف في الدعوة من مثل تلك الدعوة. النبي متيقن أنهم إذا تيقظت تعلقاتهم بالله يجزمون بحقيقة هذا القرآن، وأنه كلام إلهي فيعلمون به فيقال لهم حينئذ التوحيد اتباع القرآن، والشرك اتباع غيره.

انظروا في آخر السورة يقول الله: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (53) هو يعرف أنهم إذا استمروا على صحبة النبي، وتعليمه يتبين لهم من أنفسهم أن القرآن حق. **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ هم** يشكون في ذلك هل يمكن أنا نفوز بدرجة يتجلى الله في قلوبنا؟ فنراه هم في مرية من لقاء ربهم **أَلَا إِنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ** (54) وهو يحيط بكل إنسان. إنسان إذا كان شيء في المحيط ألا يتجلى في المركز؟ فكيف ينكر نزول التجلي في قلوبهم؟ هذا هو المراد من لقاءهم. والمفسرون يحملون اللقاء على يوم القيامة[2]، وهم مخطأون في ذلك. الإنسان إذا لم يجزم في المبادئ لا يكون مستيقنا في النهاية. واللقاء في القيامة لقاء النوع الإنساني مع ربه. واللقاء هنا لقاء شخص مع ربه إذا لم يجزم الرجل بلقاء الشخص هل يقدرأن يجزم بلقاء النوع؟ أوهم يريدون أن يعلموا الأميين أولا مسألة النوع ثم مسألة الفرد. هل يصح هذا في طرق التعليم؛لكن لاغرض لهم في تعليم القرآن. هم إنما ينظرون على ترجيع ألفاظه ليس عندهم من الحكمة شيء. والقرآن العظيم يعلم في مختلف السور بألفاظ مختلفة قربه مع نفس الإنسان، ومعية معها. فهل في التفاسير توجه إلى هذا؟ هذا التوجه لا يمكن أن يكون إلا للحكماء الإلهيين أوالصوفية المقلدين لهم. والله أشار في بعض الآيات أنه أقرب إليهم من حبل الوريد. وفي الآخر أنه معكم أينما كنتم وأشار في بعضها فوجد الله عنده فوفاه حسابه. والنبي حكى عنه الرب أنه قال: إن الله معنا. وجاء المتكلمون يبحثون عن تلك المعية، والقرب أنه

(1) في ن م : يتقظ.
(2) من المعلوم أن المفسرين يحملون كلمة "اللقاء"على يوم القيامة،فليراجع إلى التفاسير المشهورة عند أهل السنة.الباحث

بعلم الله يعني أن الله يعلمهم مثل هذا التأويل كيف يقبله منهم الناس. أليس كل رجل يؤمن بالله يعلم أن الله يعلمه؟ وما معنى هذا التخصيص؟ لم لا يقولون إنا نكفر بهذا التخصيص، ولا نؤمن به. كيف يسترون سطور علم على جهلهم؟ كلها ألفاظ لا معنى لها؛ لكن المساكين الذين لا يعرفون العربية يندهشون من كلماتهم الملمعة وإلا فما معنى قوله لإبن عباس[1] وهو صبي يا غلام: احفظ الله تجده تجاهك[2] وما معنى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[3].

ألا يعلم أن رؤية التجلي رؤية الحق بعينه. وإذا رأى التجلي صار كأنه رأى الحق فكيف يدعو إلى الجهل؟ وهذا عندنا مصداق مزج الأكاذيب بالقرآن الذي حكى الله عنهم في هذه السورة **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** (26) هذا اللغو يضيفونه في التفسير. والكل مردود عليهم. ونحمد ربنا أنه هدانا بإرشادجماعة من الحكماء الربانيين أن لقاء الإنسان بربه في دارالدنيا بطريق التجليات واقع، والشرائع الإلهية لاتدعو ذلك.

وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) هذا إنذار المشرك هو الذي يترك القرآن، ويتبع غير **الذين لا يؤتون الزكوة** ما اجتمع عندهم من الأموال زائدا على حاجاتهم مضموما إلى ذلك حاجات جميع من يتعلق بهم. فإذا كان عندهم شيء من المال زائدا بهذا المعنى، ويجدون رجالا يستحقون ذلك إما لكونهم معذورين طبعيين لا يقدرون على الكسب مثل صغير يتيم وإما لكونهم معذورين بالفرض؛لأنهم خرجوا من البيت، ولا يصل إليهم المال في تلك الحالة فهو لايعطيهم قدر حاجتهم. هذا هو معنى لايؤتون الزكوة في ذلك الزمان

---

(1) سبق ترجمته.

(2) أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.هذا حديث حسن صحيح.لينظر: سنن الترمذي, الإمام الترمذي,4/ 666, رقم الحديث:2516.

(3) أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث». قال: ما الإسلام؟ قال: " الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان ". قال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إلى آخره.لينظر: صحيح البخاري , الإمام البخاري 1: 19, رقم الحديث: 50،باب سؤال جبرئيل النبي _عليه السلام_.

فرجل لا يؤمن بالقرآن ثم لا يفهم حقوق الإنسانية بفطرته ثم لا يؤمن بفطرته بربه يجازي الناس على أعمالهم فويل له. هذا إنكار المجازاة هو معنى قوله **وهم بالآخرة هم كافرون**. فاتساق تلك الأشياء الثلٰثة الإشراك بالله، عدم إيتاء الزكوة ، عدم الإيمان بالآخرة فيه لطافة: عدم إيتاء الزكوة فساده يعرف بالفطرة[1] في عموم الناس إذا كان مزاجهم سليما ما رأينا الإنسانية إذا ظهر عندهم رجل محتاج، ويجد رجل في نفسه غنى عن شيء فلا يؤتى ذلك المحتاج إلا إذا منعهم مانع من الحكومة أو غيرها فهذا الذي يعطونه بدون معرفة وبدون تفتيش حال. وهذا الآن مشترك في جميع الإنسانية يدل أنه مقتضى الفطرة الإنسانية. هكذا طبقة عالية من الناس ذات عقول، وتجارب يقدرون على تنظيمات الحكومة القومية، ويوجبون على الناس أن يأخذوا بأحكام الحكومة، وإن كانت فيه إهانة لنفوسهم أو أموالهم يعني يقدمون المجازاة على الحرية الشخصية الفطرية فهؤلاء إذا تفطنوا بفطرتهم يجزمون بأن مجازاة العصاة إذا لم يقع في الدنيا فواجب أن تقع في الآخرة.

يحكون عن عبدالمطلب قيل له[2]: رجل فاسق طول عمره كان في عيش رغد مات بدون عناء بمرض أو غيره فتفكر بذلك زمنا ثم قال: اعلم أن وراء هذه الدار دارا يجازى فيها العصاة . هذا من مفتضى الفطرة الإنسانية كذلك عندنا لقاء الإنسان ربه أيضا من مقتضى الفطرة الإنسانية إنما يتفطن لتلك الفطرة من غلبت عليه الملكية هذا لا بأس به؛لأن المسائل العويصة للحساب إنما يتفطن بها المحاسب، ولا يخرج بذلك من مقتضى الفطرة. فحاصل الآية أن من أفسد فطرته ويل له، لا يأتيه راحة. هذا بديهي من أفسد صحته لا يكون له راحة كذلك من أفسد فطرته.

ثم بعده[3] آية مثال للبشارة **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8)** معناه من أصلح فطرته فيؤمن بالله يعني يتجلى في قلبه الرب بنوع ما من التجلي، ولا يلزم أن يكون على مصطلح الصوفية، هو من قلبه أدرك أن له ربا خلقه، ويرزقه، ولا شريك له. وبعد ذلك إذا

(1) في ن م : من الفطرة.
(2) لم أطلع على مصدر تلك الواقعة.
(3) في ن م : ثم بعد ذلك.

تيقن بكلام أنه كلام الرب يتبعه، ولا يتبع غيره. وإذا لم يكن عنده كلام من ربه، وأمر من أوامره يعمل على حسب مصلحته. وأما شيء يقدمه على مصالح نفسه فلا يكون إلا إذا ثبت عنده أنه من أمر الرب. هذا الرجل هو المؤمن لتكميل إيمانه عمل بكل عمل كله من الصالحات. فمن استمر على ذلك له أجر غير ممنون لا ينتهي؛لأن حياتهم طويلة باتصالهم بالرب فلا جور أيضا لاتنتهي. هذه البشارة أيضا دعوة إلى لقاء ربه.

بعد ما أتم الرجل معرفة ربه في نفسه يجب عليه أن يتم معرفته بربه أنه خالق السموت والأرض، وما بينهما وحده لا شريك له. فإن كان ورد في بيان ذلك تفصيل بواسطة نبي يؤمن بصدقه. فالتصديق بتلك الألفاظ يكون ألزم؛لأنه كلام الرب المنزل إلى تفهيمهم. فأهل مكة كانوا يؤمنون بموسىٰ أنه نبي، وهو أخبرفي التوراة في أول الكتب أن الله خالق السموت، والأرض في ستة أيام، وهو معروف بين أهل مكة بواسطة رجال من قريش تنصروا، وترجموا الكتاب من العبرية إلى العربية فاشتهر. فالآن تكذيب التوراة في بيانه لخلق السموات والأرض يكون سببا لهلاكهم. فإذا كان القرآن يحكي عن التوراة فينضم مع موسى_ النبي_ نبوة نبينا فأهل التفطن لكلام الرب لا يقدرون أن يكذبوا نبينا في تلك المسألة خاصة، وإن كانت نبوته العامة غير ثابتة عندهم. فإذا قاموا لتكذيب موسى، ومحمد في مسألة يصدقها قلوبهم هذا يكون إفسادا للفطرة الإنسانية فيستحقون عذابا مثل عذاب من أفسد الفطرة. إلى هذا المعنى إشارة في قوله: **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَه أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِها وَبَارَكَ فِيها وَقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْها قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَها وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** (12) هذه مسألة خلق الأرض والسماء بمثل ماجاء في التوراة؛فلذا أنذروا بعد ذلك **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** (13) ثم شرح بعد ذلك

لمهلكة عاد وثمود حسب ما تواتر عند العرب يعني لا يقدر أحد أن يكذب شيئا من بيان النبي. هذه إضافة من القرآن ليس في التوراة منها بشيء، وإشارة إلى أن الأمر الأول منقول عن التوراة كما تصدقونه أنتم[1]. والأمر الثاني المتعلق بعاد وثمود الذي يخبر به هذا النبي خاصة أنتم تصدقونه بتصديق أقوى من الأول. أفلا يكون سبب المؤاخذة؟ لأن العلة مشتركة. هذا إلى آخر قوله: **وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (18). فانظروا انتقال القرآن من أمر التوراة إلى أمر العرب أنفسهم هذا الذي كان يرجو قوم أن يكون نبيهم مثل موسى يعلمنا التقدم على الأقوام.

المسألة: إذا كانت حقة، وتيقن بها الناس أنها اتفق عليها الأنبياءثم خالفوها، ولو بالإعراض جزائه يأتي لهم في الدنيا قطعا. عاد وثمود كانوا مسلمين عند العرب أنهم خالفوا الأنبياء فأهلكوا. فالعرب إذا اجتنبوا طريق الأنبياء لابد أن يتبعوا طريق أقوام غلبوا على الأرض، وحكموا فيها مثل عاد وثمود ثم عاد **فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**. فالأمة التي نستعد لمركز اجتماعي عالمي هل يتبعون عادا؟ ويستكبرون في الأرض فيجتمع الأقوام عندهم؟ أوهل عندهم قوة لفتح جميع البلاد؟ فالذين يريدون أن طريق التقدم على بني إسرائيل مثلا فيكونون متيقظين لازم عليهم أن يتركوا الخصال الطبيعية للعرب مثل عاد وثمود فلا يتكبرون على الناس بما ليس عندهم. هذا معنى يستكبرون بغير الحق، ولا يعملون عمل ثمود إذا عرض عليهم طريق الهدى فلا يعرضوا عنها. فإن لم يقدروا على ترك عاد وثمود يعني التكبر والإعراض عن الأمر الحق فليعلموا أن هلاكهم قريب. فهؤلاء عاد وثمود كان فيهم أنبياء كثيرون **إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** (14) طائفة من الصديقين والحكماء يؤمرون بالإنذار والتبشير مثل الأنبياء إما بواسطة الأنبياء أو رأساً من الملأ الأعلى تحت إدارته مثل حواري المسيح. فهؤلاء الرسل إذا عرضوا لهم طريقا للنجاة لازم عليهم أن يتبعوهم فالذين آمنوا وكان يتقون نجيناهم فالذين يريدون أن يعلموا الطريق؛فليؤمنوا بطريق أنبياء

---

(1) في ن م : يصدقون أنتم إياه.

الذين يذكر القرآن طريقتهم، ويتمهرون في ذلك إلى درجة التقوى، فهذا اتباع الناجين **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ** (19) ففي هذا ذكر أنهم إذا جاؤا محل العذاب **شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (20). هذه اللطيفة التي تكون في قلب الإنسان، وهي جذابة إلى الرحمن تأثيرها يكون في جميع أجزاء الإنسانية. فإذا كانوا أفسدوا فطرة تلك اللطيفة يشهد جميع أجزاء البدن على خلافهم فيتحيرون! لم تشهد الجلود؟ فتبين لهم الأمر أنهم ظنوا أنفسهم بعيدين عن البعد، وكان هذا خطأ، فما التفتوا إلى سماع دعوة الحق، [1] وأفسدوا بذلك إنسانيتهم، والعذاب بعد ذلك لازم. إذا كسر يد إنسان فأراد الطبيب إصلاحه يكون عليه عذاب أم لا؟ هكذا إذا أفسدوا ضروريات الإنسانية، وأراد الله لحكمة ما أن يمهلهم يصلحهم مرة ثانية، فهذا الإصلاح يستلزم العذاب، فالعذاب كان لازما لهم لإفسادهم الفطرة الإنسانية بواسطة إفساد مركز الإنسانية في قلوبهم. وهذا الأمر كيف يقوم به الرجل يفسد فطرته فعلهم يكون جماعته هيئة فاسدة خالفت الأنبياء، ويكون في جانب آخر دعوة الأنبياء. فتلك الطائفة أعداء الله تزين لهم كل أمر فاسد. مثال ذلك مجمع الزناة من الرجال والنساء يدعون الشبان إلى الزنا بطرق وحيل. مجمع آخر من اللوطيين. هكذا مجمع آخر من السارقين. هؤلاء معروفون بفساد عملهم، وأنهم أشقياء. وهنا مجامع ظهارهم طيب مجمع من التجار المحتالين المتفقين؛لكن إنما يقومون بإسم التجارة يعني أن ظاهرهم ليس بفاسد ثم مجمع آخر من المدبرين للحكومات يأخذون الرشا يدعون إلى تعليم الإدارة، ويضمون إليها الرشوة أيضا فلا يقدر الإنسان أن يتخلص من شبكات تلك الطوائف إلا من سمع أمر المرشدين الهادين استماع قبول من باطن القلب. إليه الاشارة في قوله: **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ**

---

(1) في ن م : "فما التفتوا إلى ألفاظ القرآن بل الآية القرآنية تكون كالقوة إذا توجد إليها النبي ينجلي له منهيا شـــمل الحكمة، فيأتي بقواعد متممة وممهدة لتتميم ما أتى به الكتاب،ويكون الأمة مجبورة بأخذها وبمعارف الحكمة تنشـرح بذلك صـدرور الصـديقين بفهم آيات الكتاب فعلوم من الحكمة وعلوم من التشـريع يسـتنبطها النبي من القرآن العظيم بطريق خاص به وبالصـديقين ليس لأهل القرآن الحكم بردها إلا جهلا منهم بمعارف القرآن،وهم نراهم يحتجون بأن الله أنزل على عبده الكتاب ليس معه شـئ غيره ففهمهم،وإن كان غير صـحيح؛لكن إقامة الحجة عليهم مشكلة.عندي في الآية :70 من ســورة المؤمن حجة عليهم قال الله : الذين كذبوا بالكتاب..جمع الكتاب مع ما أرســلنا به،وعندنا المراد به معارف الحكمة وقواعد التشــريع تمت الجملة المعترضـــة. بعد ذلك ذكر العذاب الذي يكون له في جهنم،وعلى ذلك تم الفصـــل الثاني عندنا.التكذيب بالكتاب كفر بعد كفر.ويريدون تشـــريعا يوافق أهوائهم للحكومة يأخدون الرشا.

فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (25) نحن قرأنا كتابا كتبه رجل من العاملين للحكومة الإنكليزية هو يريد أن لا يأخذ رشوة، فطول عمره كان في العذاب من أيدي قرنائه كانوا يكذبون عليه، ويعرفون أنه أمرمانع في ارتقائهم يريدون أن يتخلصوا من ذلك، فالاتهامات، والمصائب التي أتت على هذا الرجل يقشعر لها الجلود. وهكذا نعرف من سماع الأخبار الصحيحة حالة الدعاة إلى الزنا واللواطة فمعنى هذا الكلام دعوة الأنبياء إذا ارتسخت في قلوب الناس ترفع تلك الموانع. فاتباع أمر الأنبياء ليس سهلا. أعداء الله قائمون بالحرب دائما فيكون إشارة إلى أن من يريد أن يعلم طريق التقدم يجب عليه أن يسمي لرفع هؤلاء المفسدين من الطريق. فلما كان أمر الدعوة منتجا إلى دفع هؤلاء المفسدين هم لا يريدون أن يسمعوا قول الأنبياء. قوله تعالى:**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** (26)

جملة معترضة: عامة التفاسير من المحدثين كانت أومن المتكلمين أو من الفقهاء أومن الوعاظ أومن النحاة كلها ممزوج باللغو؛ولذلك لا يصفوا دعاء القرآن في قلب طالب العلم إلا ممن رجا بالباطل؛فلذلك غلب الكفار على المسلمين على قياس قول الكفار لعلكم تغلبون.

نحن ما عرفنا رجلا فهم هذا الفساد, وسعى في إصلاحه إلا الشيخ عبدالرحيم بن وجيه الدين الدهلوي(1) والد إمام ولي الله كان طريقه أن يعلم القرآن متنا خالصاً بدون أن يقرأ عليه التلاميذ تفسيرا من التفاسير. وجميع التفاسير التي توجد في تلك البلدة موجودة عنده في وقت درسه. كل آية أشكلت فيها يرجع إلى التفاسير ثم يعلم الطلبة يعني ما اتخذ تفسيرا جديدا طريقا له؛لكنه فصل القرآن عن اللغويات. كان عادته إذا أشكلت عليه آية يأتي بحلها من واحد من المفسرين لا من عنده، فنبه الناس أن فائدة التفسير هي هذا مثل كتب اللغة يكون فيها كل

(1) هو الشيخ العالم الكبير العارف عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي ولد ونشأ بدهلي، كان من شيوخه أمثال الشيخ أبي الرضا محمد الدهلوي ،الشيخ محمد زاهد الهروي، الشيخ عبد الله بن عبد الباقي النقشبندي وغيرهم.كان عالما في علوم الحديث وعلوم القرآن والفقه والحكمة توفي سنة 1112ه لينظر: نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني الطالبي (المتوفى 1341ه) 6/ 747.

شيء؛لكن الذي يقرأ كتب الأدب هل يأتي بجميع ما كتب في كتب اللغة؟ بل كلما احتاج إلى حل لغته يرجع إليها. هذا موضع كتب التفسيرلا ما اتخذه عامة أهل العلم دينا لهم أنهم لا يقرؤن القرآن إنما يقرؤن التفاسير. فالإمام ولي الله يعترف بفضل أبيه ويقول: إنه حضر في مدارس دينية، وكان ذلك فتحا لبركات كثيرة في علم القرآن ثم جاء هذا الإمام، وجعل تعليم القرآن فنا مستقلا برأسه، واتبعه أولاده أولا ثم من علماء الهند جماعة، ومنهم جماعة مشايخنا علماء ديوبند. كتب ولده الشيخ عبدالقادر ترجمة القرآن إلى الهندية كما كتب الإمام ولي الله بالفارسية، وصار بعض الألفاظ متروكا في محاورتنا فأصلح شيخ الهند ترجمة الشيخ عبدالقادر، [1] وأخرج الألفاظ الغريبة، وأتى بكلمات فصيحة مشهورة في محاوراتنا . هذا الذي ذكرنا إنما هو إثبات لوجود هذا الفن في أهل الهند، [2] فالباني لهذا الفن في الهند هو الشيخ عبدالرحيم، وجعله فنا بوضع كتاب "الفوزالكبير في أصول التفسير" الإمام ولي الله. والهند يستحق أن يفتخر بذلك على بلادالمسلمين ثم تبعهم جمع من المصريين من اتباع جمال الدين الأفغاني، [3] والناس لا يعرفون أن الأفغاني من تلاميذ ديوبند. أصله أفغاني من قرية "شير كر" ترجموها بأسد آباد، والناس يريدون أن يخفوا ذلك، ويجعلونه من إيران فبدل أسد آباد بأسعد آباد، والناس يعرفون من ينشأ في شرقى أفغان أو كابل من أين يأخذون العلوم إن كان في بيته فيأخذون من الذين تعلموا في دهلي. وإذا قام هو بنفسه فيرجع إلى دهلي. والأفغاني سنة واحدة أقام في الهند لمطالعة العلوم الجديدة الأوروبية. هذا يذكرون في ترجمته، وما كان لمثل تلك العلوم مركز في ذلك العصر إلا دهلي كالج لما دخلت الإنكليز دهلي كان هنا مدرسة عربية قامت تخرج منها عمال السلطنة فأضافوا إليها العلوم الجديدة مترجمة باللسان

---

(1) سبق ترجمته.

(2) في ن م : هذه العبارة "أحمد ربي كثيرا أن ابن أخي مولوي محمد علي الذي قرأ علي القرآن،وضبطه وأيضا كتب ترجمة سهلة لبيان ربط الآيات،وجمعها مع ترجمة الشيخ عبد القادر وفقه الله لطبع مصحف جمع الترجمتين.لاتوجد في ن إ.

(3) محمد بن صفدر الحسيني(1254 - 1315 هــ = 1838 - 1897 م)، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات. ويقال: دس له السم. وتوفي بالآستانة. ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة 1363ه وكان عارفا باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية،لينظر: الأعلام للزركلي, 6/ 168-169.

الهندي.فكان الناس يتعلمون فيها العلوم الإسلامية باللغتين العربية والفارسية أولاً. وهذه المدرسة موجودة خارج باب أجميري ففيها كلية إسلامية أضافوا إليها مدرسة للعلوم الجديدة، وجعلوا محلا بعيدا من تلك المدرسة محل تعليم العلوم الجديدة موضع كتب خانه دارالشكوه، واليوم فيه مدرسة إنكليزيه متصل بمحل "البوستة" قريب من باب كشميرى، فمجموعة هاتين المكتبتين يسمى دهلي كالج. وكان المدرسون بعد مجيء الإنكليز أولا الشيخ رشيد الدين[1] تلميذ الإمام عبدالعزيز[2] ورفيع الدين[3] ثم مولانا مملوك علي[4] عم مولانا محمد قاسم هو كان تلميذا خاصا للشيخ رشيد الدين. [5] وبعد وفاته قام مملوك على[6] مقامه . ومن هذا الشيخ أخذ صناديد الهند الجديد مولانا محمد قاسم مؤسس ديوبند، والسيد أحمد خان[7] مؤسس عليكره. وأكبر كبار ذلك العصر من

---

(1) العلامة رشيد الدين بن أمين الدين الكشميري.ولد ونشأ بدهلي،وقرأ بعض الكتب الدرسية على المفتي علي كبير البنارسي وأكثرها على العلامة رفيع الدين بن ولي الله العمري الدهلوي واستفاد عن الشيخ عبد القادر وصنوه عبد العزيز، وانتهت إليه رئاسة التدريس بمدينة دهلي.ومن مصنفاته: إيضاح لطافة المقال في تفصيل الجواب بالإفصاح عن شرافة الآل وتفضيل الأصحاب وغير ذلك. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف وله ستون سنة. لينظر: نزهة الخواطر: للحسني 7/ 971 -972.

(2) سبق ترجمته.

(3) هوالشيخ الإمام رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الله ابن عبد الرحيم العمري الدهلوي ولد بمدينة دهلي، ونشأ بها، واشتغل بالعلم على صنوه عبد العزيز, وبرع في العلم, وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي, وقام على مقام أخيه في التدريس بعد ما أصيبت عيناه، فازدحم عليه الناس، وتلقى كل أحد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد، من مصنفاته القيمة:رسالة في إثبات شق القمر وإبطال البراهين الحكمية على أصول الحكماء، ورسالة في آثار القيامة، ورسالة في الحجاب، ورسالة في برهان التمانع وغير ذلك. توفي رحمه الله في حياة صنوه الكبيرعبد العزيز لست ليال خلون من شوال سنة 1233ه بمدينة دهلي فدفن بها خارج البلدة عند أبيه وجده لينظر:نزهة الخواطر:7/ 974-975.

(4) هو الشيخ مملوك العلى ولد في نانوته من مديرية سهارنفور في عام 1204ه=1789م.كان من شيوخه مفتى إلهي بخش،الشيخ رشيد أحمد،عبيد الله خان علوي.توفي الشيخ في عام 1267ه =1851م.لينظر:أستاذ الكل مولانا مملوك العلي النانوتوي،للشيخ نور الحسن راشد كاندهلوي،301، مط:مفتى إلهي بخش أكيدمي،كاندهله ،ضلع مظفر نكر يوبي(انديا).

(5) سبق ترجمته

(6) سبق ترجمته

(7) سبق ترجمته

تلاميذ الشيخ مملوك مثل الشيخ أحمد سعيد الدهلوي[1] وأخوه عبدالغني [2]الدهلوي ثم حارب أهل الهند الإنكليز في دهلي، وغلب الإنكليز سدوا هذه المدرسة، وأبطلوا مركزية دهلي مديرية لمديريات لاهور فقام مولانا محمد قاسم، وجعل مثل تلك المدرسة في ديوبند. ومن عجيب الاتفاقات أن المدرس الأول لمدرسة ديوبند كان مولانا محمد يعقوب[3] ولد الشيخ مملوك علي فالمركز في ذلك الزمان لتعليم العلوم الجديدة للمسلمين ماكان إلا دهلي، وما كان إلا ذلك كالج. فإذا كان السيد الافغاني جاء إلى الهند لتعلم الهيئة الجديدة قبل المحاربة بسنة فهل يمكن أن يستفيد إلا من دهلي؛لكن هؤلاء المصريون المتفضلون على جميع الدنيا لا يعجبهم أن شيخهم تعلم في دهلي. نحن رأينا رسالة للشيخ محمد عبده[4] سموها بالواردات من إفادات السيد الأفغاني، فالشيخ في بيان مسألة وحدة الوجود يستعمل اصطلاحا كان يستعمله مولانا محمد قاسم[5]. والذي رأينا

---

(1) هو اللشيخ العالم الكبير الفقيه أحمد سعيد بن أبي سعيد بن الصفي العمري الدهلوي، أحد المشايخ المشهورين، ولد غرة ربيع الثاني سنة 1217ه بمدينة رامبور وكان من شيوخه: فضل إمام الخير آبادي والشيخ رشيد الدين الدهلوي وغيرهما، وكان يختلف في أثناء تحصيله إلى الشيخ عبد القادر والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز تارة لتحقيق المسائل وتارة لسماع الدرس فاستفاد منهم، وله رسائل في الفقه والسلوك، منها الفوائد الضابطة في إثبات الرابطة ومنها تصحيح المسائل في الرد على مائة مسائل وغير ذلك.توفي يوم الثلاثاء بعد صلاة الظهر لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة 1277ه بالمدينة المنورة، فدفن بالبقيع عند قبة سيدنا عثمان رضي الله عنه. لينظر: نزهة الخواطر, 7/ 906-907.

(2) الشيخ عبد الغني الدهلوي الشيخ الإمام العالم المحدث عبد الغني بن أبي سعيد بن الصفي العمري الدهلوي أحد العلماء الربانيين، كان من ذرية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية رحمه الله، ولد في شهر شعبان سنة 1235ه بمدينة دهلي، وكان من شيوخه حبيب الله الدهلوي, الشيخ إسحاق بن أفضل الدهلوي سبط الشيخ عبد العزيز وغيرهم. توفي يوم الثلاثاء لست خلون من محرم سنة 296ه وألف بالمدينة المنورة.لينظر:نزهة الخواطر: للحسني,7/ 1024-1025.

(3)**محمد يعقوب النانوتوي** (1249 - 1302 هـ / 1833 - 1884 م) هو عالم، وفقيه حنفي ، من أهل الهند. ولد ببلدة نانوتة بمديرية سهارنفور بولاية أتربرديش أخذ عن والده الذي كان يدرس بمدينة دهلي في كلية دهلي العربية. كما وُلي التدريس بالجامعة الإسلامية دارالعلوم في الديوبند لمدة،اعتزل في بيته حين شبت الفتنة العامة ببلاد الهند سنة 1856م.لينظر:علماء ديوبند،171-177.

(4) محمد عبده بن حسن خير الله،(1266 - 1323 هـ = 1849 - 1905 م) من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، أحد من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام.ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وتعلم بالجامع الأحمدي. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها،وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين.تولى منصب القضاء، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. له مصنفات قيمة منها الرد على هانوتو ,رسالة الواردات,حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية وغيرها. لينظر: الأعلام للزركلي, 6/ 252.

(5) سبق ترجمته

أن هذا الاصطلاح من خواص تلك المدرسة. والأمر الفاسد أن التعليم العالي في الأفغان إما كان مستندا إلى دهلي وإما إلى بخارى. وما كان في الأفغانستان مركز علمي يستندون إليه. فالكتب التي كان يعلمها السيد الأفغاني ذكرها السيد رشيد رضا[1] برواية محمد عبده هي الكتب التي تدرس في مدارسنا إلى اليوم، ولا يعرفها في بخارى أحد إلا من تخرج من مدارسنا اليوم. فهذه الدعوة إلى قراءة القرآن غير ممزوج بالتفاسير، وحلها بفهم الأستاذ. إنما استفاد مصر من الأفغاني، والغالب أن الأفغاني أخذ تلك الطريقة من دهلي. [2]

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) هذا المزج لغو في القرآن لأنهم بذلك يصدون عن سبيل اللهوَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ

---

(1) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (1282 - 1354 هـ = 1865 - 1935 م) خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب:أحد رجال الإصلاح الإسلامي. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. ، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي ورحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة.ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلدا، وتفسير القرآن الكريم ولم يكمله، وغير ذلك من الكتب القيمة لينظر:الأعلام للزركلي,6/ 126-127.

(2) في ن م: لطيفة: "رأينا رجلا من أهل مصر مفسر على طريق جديد هو الشيخ طنطاوي جوهري سألنا هل كتابي مروج في الهند قلت: إن الهند يروج فيه كل شئ؛لأن الأمر ليس بأيدي أهل الهند قلت له:أن أهل الرأي شبابنا يسألونني على تفسيركم إذا ذكرنا من طريقتكم ....عندهم ثم لما رأينا أوروبا سمعنا أيضا من أوروبا كلمات كمثل هذا هم يقولون هذه علوم الحكمة التي استخرجها أوروبا أو زاد ما كان عند المتقدمين وأصلحها بجهد جهيد في طول مدة سنة مثلا فيقوم رجل منكم يقول إن الآية الفلانية مشيرة إلى هذه الحكمة فيقولون إن كانت الآية دالة عليها فأين كنتم نائمين قبل ذلك بألف سنة ثم شبابنا يقولون أأنتم تأخذون العلوم من أوروبا وتشرحون بذلك القرآن ثم تتحمكون علينا ونحن أعلم منكم بأقوال أوروبا. كثيرا ما تعتمدون عليه هو أقوال سخيفة عندهم.فإن كان التفسير بهذا الطريق لازما عندكم فاتبعونا نحن نأخذ علوم أوروبا غضا طريا وأنتم تقرؤن أفكارها بعد ما مضى عليها عشرون سنة أو زيادة والمفكرون في تلك الأيام يصلون إلى أين؟ يسألنا شبابنا أليس عندكم طريق إلا هذا والطريقة التي أنتم تتبعونها جرى عليه السيد أحمد خان مؤسس عليكره أولا فليس شئ جديد عندنا،ونحن بذلك قصرنا أنظارنا في تفسير القرآن على طريقة الإمام ولي الله الذي أسس أصول التفسير،وهذب فروعه قبل قيام أوروبا ثم أن جاء بعض الأشياء على طريقة اللطائف من التحقيقات الجديدة يكون حل الآيات عليها أسهل نأخذ بها، فإن العلوم تترقى بتلاحق الأفكار وعند مثل :كم ترك الأول للآخر؟ بذلك ينشط أذهان الشبان في بلادنا ثم هذه،ونرى أن طريقة الطنطاوي مزج اللغويات في القرآن على طريقة جديدة،وأنا بنفسي أميل إلى محمد عبده أعرفه عالما معتدلا مصريا وطنيا مسلما خالصا.الأفغاني عنده تصورات والذين جاؤا بعد محمد عبده لايستقيمون منهم إلا قليل أما عبده فأمدحه هو مثل أعلى بين المصريين،والسيد رشيد رضا لميله إلى الكتاب والسنة أحبه كثيرا أما السياسة فلا أحسب نقطة منها يغفر الله منا ولهم." لاتوجد في ن إ.

أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29)هؤلاء هم الذين يمنعون عن استماع القرآن، ويدخلون فيه اللغو، والأكاذيب ينتقم منهم الذين اتبعوهم.

معنى التوحيد: هو قبول دعوة القرآن فقط. ومعنى الشرك هو ضم شيء معه. قوله: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** (30) أي باتباعهم القرآن، وترك ماعداه. هذا هو معنى الاستقامة. تتنزل عليهم الملائكة؛لأن القرآن نازل من الملأ الأعلى فكما أن رجلا منا لما قرأكتاب رجل كيف يفرح المصنف؟ فعلى هذا القياس الأمر الذي تقرر بأمر الله في حظيرة القدس، واتفق عليه الملائكة كلهم إذا قرأه الرجل، واتبعه، وترك ماعداه كيف يسري الفرح في الملائكة المقربين فيتنزل[1] عليهم بالبشارات بيان ذلك إلى **نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** (32) ثم قوله: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّه وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (33) أى القرآن. وعمل صالحا :كل عمل يؤيده تعليم القرآن هو عمل صالح. وقال: إنني من المسلمين ينضم إلى المسلمين، ولا ينفرد ثم لقن الله طريقة انتشار دعوة القرآن. **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَه عَدَاوَةٌ كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيمٌ** (34) كل رجل يكون عنده سيئة، ولايحبك فاعمل معه بالحسنات حتى تغلبه بها فيصير وليا صحيحا. الرجل الذي كان يبغضثم تبدل بغضه بالحب، واستمر على ذلك هو القابل للاعتماد نأخذ من هذه الآية إشارة إذا أردتم أن يكون لكم أحباء مخلصون فانتخبوها من أعدائكم **وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** (35) النبي موصوف في القرآن **إنك لعلى خلق عظيم**[2] معناه عندنا:هو غلب على أعدائه فجعلهم أحبائه كما يدل عليه واقعة منه زوجة أبى سفيان[3]" ماكان خباء أبغض علي من خبائك"[4]. . ألخ

(1) في ن م : فيتنزلون
(2) القلم:الآية:5
(3) سبق ترجمته
(4) وردت تلك الوقعة بألفاظ أخرى كما ورد في مسلم عن عائشة، قالت: جاءت هند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، والله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلهم الله من أهل خبائك، وما على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزهم الله من أهل خبائك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وأيضا، والذي

هذه إمرأة عظيمة قتل أولادها بأيدي المسلمين في صف يرأسهم رسول الله فهي تقول بعد ذلك: ليس خباء أحب إلي من خبائك الخ ، لما جعل الفاروق معاوية[1] واليا على الشام قال له أبوه:يا بني أنظر نحن تأخرنا فإذا قدمونا فلا يأت منك شيء يشينك[2]

انظروا كيف غلب خلق النبي على هذا البيت الذي كان من أعدى أعدائه بعد أبى جهل. **وَمِنْ آيَاتِه اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّه الَّذِي خَلَقَهنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاه تَعْبُدُونَ** (37) نص الآية ظاهر، ولنا منها إشارة اعتبارية: الرجل إذا كان كاملا في أخلاقه، وكان ذو حظ عظيم فمنهم من يكون كالشمس، ومنهم من يكون كالقمر فلا تسجدوا له. هم من آيات الله فاسجدوا للذي خلقه. وفي تلك المرحلة زلت أقدام الأمم قام فيهم رجال ذو أخلاق كاملة فجعلوا يعظموهم ثم يعبدونهم فالله سد هذا النوع من التحريف للراسخين[3].

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَه بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهمْ لَا يَسْأَمُونَ (38) الظاهر تعلقه بالآية الآخرة يعني واسجدوا لله الذي خلقهن، ونحن نحب أن نجعله متعلقا بآية **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** الخ. **وَمِنْ آيَاتِه أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْها الْمَاءَ اهتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاها لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (39) الإشارة في تلك الآيات عندنا إلى وجود رجال عظام يخرجون بتعليم القرآن يكونون سبب حياة الأمة **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّه بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (40) الإلحاد في الآيات هو الميل

نفسي بيده»، ثم قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل ممسك، فهل علي حرج أن أنفق على عياله من ماله بغير إذنه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حرج عليك أن تنفقي عليهم بالمعروف" لينظر: صحيح مسلم:للإمام مسلم 1339/3,رقم الحديث:1714, باب قضية هند.

(1) سبق ترجمته

(2) في ن م: هذه العبارة "ابن تيمية في تفسيره سورة الإخلاص يذكر قال عبد الله بن عمر ما رأيت بعد رسول الله_صلى الله عليه وسلم_أسور من معاوية فقيل له: ولاأبوبكر ولاعمر؟قال كان أبوبكر وعمر خيرا منه ما رأيت بعد النبي أسور من معاوية قال أحمد بن حنبل يعني "الحلم والكرم" لاتوجد في ن إ.

(3) في ن م : في العلم

عن الاستقامة، فالذي[1] يميل إلى عظمة الرجال بالأنساب، ولايتحقق معنى الآية أن عظمة الرجال بقبولهم القرآن[2]. هوملحد. المراد: القران يحيي,ويأتي برجال عظام.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) يعني أن العظمة إنما هي بتعليم هذا الكتاب **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** (43) لا يقال للرسول إلا أنه يريد أن يتفضل على الناس، ويجعل قومه حاكما على الأقوام أو يقال هذا الرجل لا يفهم الأمر، ولا يكون منه شيء مثل هذه الكلمات في كل جانب عادة عامة الناس أنهم يقولون للكل مثل ذلك، فهؤلاء إن كان بسبب جهلهم يغفرلهم، وإن كان بعنادهم فيعاقبون. وأما خواص الناس فليس الأمر عليهم مبهما لأنك لا تريد إلا أن يتعلموا القران، ويعملون به، ويتركون كل ماعدا ذلك. والقرآن عربي[3] يفهمون معنى كل ما تقوله أنت لو كان عجميا ثم قالوا مثل ذلك الكلام، وكلموا فيك لكان لهم عذر. أما إذا كان عربيا خالصا فلا عذر لهم. وإليه الإشارة في قوله:**وَلَوْ جَعَلْنَاه قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُه أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ** (44) وفي تلك السورة كانوا لا يفهمون القرآن، وكانوا يظنون بك الظنون ولقالوا لو كان أمره كما يقول لا يريد إلا نفعنا[4] فلم جاء بكلام لا نفهمه إذا كان المراد إيصال النفع إلينا؟ ففهم الكلام لا يضر المقصود، فيقولون **لولا فصلت آياته قل هو للذين آمنوا هدى** الخ المراد من الذين آمنوا هم الذين يريدون طريق التقدم. **والذين لا يؤمنون** ليس لهم غرض التقدم في الاجتماع العمومي هم لا يفهمون القرآن أبدا، فيكون مثاله أنا لاأعرف النجوم فيقرأ عندي كتاب في علم النجوم فهل أفهمه؟ وإن كان الكتاب بلساننا أو كتاب في العروض، وأنا لاأريده؛لكن الذي أراد النجوم والعروض هو يستفيد منهما.

---

(1) في ن م : فالذين لكن كلمة الذي أنسب.الباحث
(2) في ن م : هو ملحد : المراد القرآن يحيي ويأتي برجال عظام لاتوجد.
(3) في ن م : هم
(4) في ن م: إلا نفعا.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيه وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْه مُرِيبٍ (45) كذلك أتيناكم القرآن فلا تجعلوا الحظ من القرآن الاختلاف فتحرموا من بركاته كما حرم عنها بنو اسرائيل إذا كان الناس عامة، وخاصة يقرؤن القرآن ويفهمونه. فإذا وقع الاختلاف بين الخاصة يرجعون إلى العامة. وإذا وقع الاختلاف بين العامة يرجعون إلى الخاصة فبالاجتماع يذهب الريب. وأما إذا صار يقرأه قوم مخصوص(1)، ويتركه العامة ووقع بين الخاصة اختلاف في شيء يكون للعامة سبب شك مريب. وبعد ذلك يذهب الإيمان بحقيقته، وبكونه سببا لنجاتهم من جميع المفاسد. المراد لا تكونوا مثل اليهود في ذلك.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْها وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46) الأمر الصالح والعمل الفاسد يضر؛لكن معرفة الصالح والسيء أهم من ذلك العمل؛وذلك يكون بحفظ الكتاب عن الشكوك والاختلاف. العمل الصالح وغيره يتبين من الكتاب الإلهي، وليس المراد من ذلك الكتاب الإلهي أنه يستخرج منه أحوال الأيام الآتية وأحوال الأولاد والأموال، فذلك مختص بالله. ليس عطاء ذلك العلم التكويني مقصودا من ذلك الكتاب الإلهي، وإليه الإشارة عندنا في قوله: **إِلَيْه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِها وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِه وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (47) وَضَلَّ عَنْهمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ** (48) ثم الذين يتركون هذا الكتاب ويعملون بهداية رجل آخر فهؤلاء شركاء الله. إليه الإشارة في قوله: **ويوم يناديهم أين شركائي** الخ **ماهم من محيص** لأن كتاب الله يدعو إلى توفية اقتضاء الفطرة الإنسانية، فهذا يقع عليهم لابد. إذا كان مخالفا لتعليم الكتاب كان مخالفا للفطرة فليس منه محيص. وأما الشركاء فلا يأمرون بأمور الفطرة بل بأمور مختصة برجل أو بيت أو قوم فإذا جاء يوم ظهورالفطرة الإنسانية لا يتذكرون من تلك الدعوات الخاصة كلمة؛فلذلك يقولون **آذناك ما منا من شهيد**.

(1) كما كان في اليهود والنصارى.الباحث

لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّه الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49) [1]الفطرة الانسانية يجلب النفع ويدفع الضرر، فإن كانت الفطرة الإنسانية ما تهذبت لا يكون لنظرها نفوذ إلى آخرمقتضيات الفطرة بل يكون قاصرا على ظواهر الفطرة. فالكتاب الإلهي يكمل الفطرة ويجعلها عاملة إلى آخر ما يقتضيها. وإذا حرمت الفطرة عن تعليم الكتاب مثاله مثل بدوي ضعيف العقل إذا وجد شيئا ينفع قليلا يحسبه كل النفع. وإذا وقع له ضرر لا يرجو النجاة منه بل ييأس. وفي تلك الحالة الغير المهذبة إذا حصل له نعمة بالميراث مثلا يجعل نفسه مستغنيا. وإذا فقد منه الذي جعله رأس ماله فيدور إلى الناس ليدعون **له فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ** (51) هذا كله بسبب عدم تكامل فطرة قواه. هذا البدوي الذي ذكرناه إذا صار مدنيا فحصل له ضرر عظيم في التجارة يصبر على ذلك ولا يخبر الناس، ويعمل بما بقي عنده من رأس المال مبتديا. وفي أيام قليلته يعودها له مثل الأول أو أحسن، ولو كان هو في الحالة الأولى كما كان في الصحراء، وكان وجد مأة ألف مدفونة في الأرض، وفرح بها فرحا شديدا ثم أنه ركب في سفينة فوقع كله في البحر أفلا يموت من غمه على الفور؟ وأما التاجر البصير فيأتيه النفع والضرر مرارا، فالكتاب الإلهي يكمل الفطرة ويجعلها مثل رجل قوي في الاجتماع. وبدون تعليم الكتاب يكون فطرة الشيوخ مثل الصبيان أو مثل المجانين.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّه ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِه مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) هذا على سبيل الفرض ثم إذا تحقق، وهم استمروا على الشقاق يكونون من الخاسرين أم لا **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّه الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (53) فيتكامل فطرتهم بمعرفة الأسباب ومسبباتها، وبتعلقه بالله رأسا. هذا معنى **في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**. القرآن حق نازل من الله. **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** قبل تكميل فطرتك لا تطمئن على أستاذ معلم كامل فكيف تستفيد؟ الله يريد أن يكمل علمك، أخلاقك، وأعمالك، ويجعل هذا النبي كالواسطة أفلا تعتمد على الله أنه يقدر على ذلك؟ **أَلَا إِنَّهُمْ**

(1) في ن م : عريض

فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54) وإذا قرأوا القران، واعتمدوا عليه يرتفع هذا الريب من قلوبهم، ويرون أنهم يعملون كل عمل كأنهم ينظرون إلى ربهم في لقاء الله. الإنسان يعلم ربه معينا لا أن الرب يعلم العبد المعبر في لقاء الله هو معرفة العبد بربه.

ألا إنه بكل شيء محيط محيط بكل إنسان من جميع أطواره، فيكون له اتصال بمركز الإنسانية أيضا. وإذا حصل هذا تكامل الفطرة. تمت السورة التي تؤهل الإنسان؛لأن يتداخل في ديوان الحكومات.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى

الحكم لله، والنفاذ يكون بالشورى. فالسورة كانت بيانا لأهلية الحكومة بالتربية في البيت وتعليم الكتاب. القانون الذي يحكم به يتعلمه. وهذه السورة تنفيذ ذلك القانون. والحكومة في العرف إنما يقال للقوة المنفذة وإلا فالحكم يمكن أن يعلمه المدرس في درسه، والإمام في مسجده. وأما التنفيذ فلا يأتي إلا من الحاكم. وقوة الحاكم تكون بالشورى فقط. الذين يؤمنون بالقانون، ويريدون تنفيذه، ولم يثبت عن أحد شيء يدل على أنه منافق يعني أنه يسعى في عدم التنفيذ. فالناس الذين يسلمون القانون، ويريدون تنفيذه، فالتنفيذ لا يكون إلا بالشورى من كلهم. وهذه كانت قوة الحكومة الإسلامية. فمن دخل في الإسلام من الأقوام العرب والفرس والترك والروم والحبش والهند بمحض دخولهم في الإسلام صاروا ركن الحكومة الإسلامية؛لأن الحكومة الإسلامية لا تكون إلا[1]بشوراهم، فهذا النظام المركزي يقام في أم القرى، ومن حولها، وهذا هو سمى النبي _عليه السلام_ في أيامه؛لكن هذا لا يقوم إلا بتعليم القرآن عامة، والتعليم لايكون إلا بالفهم.

فالمسلمون في زماننا المرتجعون. وجوههم مسودة يتنفرون عن القرآن، وعن فهمه. فالإسلام يأتي عندهم من بطون أمهاتهم؛لأن آباءهم كانوا مسلمين. [2] إهلاك تلك الطائفة المضرة من المسلمين كيفما يكون رحمة للمسلمين فإن لم يقتلهم المسلمون يأتي قوة أخرى تقتلهم. كل الدنيا الذي فيهم تيقظ كل حكوماتهم مبنية على شورى ملتهم كان الناس المتقدمون وضعوا في شورى الملة حدودا. هذا يستحق أن يشير، وهذا لايستحق، ومضى على ذلك زمان. وأما عصرنا هذا فالبغاوة قائمة على الحدود لازم أن يكون كل الناس داخلين في الشورى. هذا في الذين لا يؤمنون بالقرآن. فهل يمكن إقامة حكومة بجنب تلك الحكومات في الممالك المخصبة حكومة غير شورائية؟.

(1) في ن م : هذه الكلمة" إلا" لاتوجد.
(2) هذا الكلام مبني على الحقيقة كمالايخفى.الباحث.

فإن سموا تلك الحكومة الخائنة الفاشتة إسلامية فهل يكون إبقائها فرضا على الله؟ هذا حكم الله القرآن.

كل حكومة مبنية على خلافها لازم أن تمحى عن وجه الأرض. هل يقدر في ذلك العصر أحد أن يقول: إن الحكومة الشورائية تحت حكم القرآن لا يمكن إقامتها هو رجل إما جاهل بمقتضيات هذا العصر وإما جاهل بالقران. فإن كان مسلما فهو جاهل بهما. هذا هو فخر أهل الحكم من المسلمين أن يكون جاهلا بمقتضيات العصر، وأن يكون جاهلا بالقرآن. هذا أخذنا من إسم الشورى إسم السورة. السورة عندنا معناها الباب، فإذا كان باب الشورى موجودا في كتاب الله فهل يعذررجل عالم بجهله بأحكام الشورى؟ لا نعرف: من أي جهة جاءت تلك على المسلمين. رأينا كبار أهل العلم أجهل الناس بأحكام الشورى. وهؤلاء أكثرهم من الحنفية فقط ومن الديوبنديين فكيف نفتخر على هذا؟ شيخ شيخنا أسس مدرسة ديوبند، وكتب لها نظاما أساسيا نحو عشرين سطورا. أنا تأملت فيها مرارا ما علمت من روح الشورى، ولا نظامه إلا هو مذكور فيه. وما وصلنا إليه في آخر عمرنا بعد الحرب العمومي أن الاعتماد يكون على الطبقات النازلة. وهذا الفكر ما دخل دماغنا قبل الحرب العمومي. بعد ذلك لما راجعنا تلك السطور وجدناها محلوة[1] من هذا الفكر، وشيخنا نبهنا على سيرة شيخه في هذا الباب بأشياء؛ لكني ما تنهبت إلا بعد الحرب العمومي. فالآن هل نقول لهؤلاء المتخرجين من ديوبند هم ديوبنديون؟. قسنا على ذلك جميع الجمعيات المسلمة في أطراف الممالك لا بد يكون فيهم رجال يعرفون الحق، ويعملون به؛لكن الاجتماعات ما قامت في تلك الجمعيات إلى يومنا هذا أخذا بالقرآن. رأينا الأتراك آنقره تقدموا في هذا الباب؛لكن لا بإسم الإسلام أخذوا من أوروبا من إيتاليا وغيرها. هذا الإسلام يكون قائما إلى يوم القيامة. وهل المهدي، والمسيح يأتيان لنصرة مثل هذا الإسلام، ولا ينطبق على هؤلاء كلمة لا كلمة الشياطين ولا كلمة الدجالين فبأي إسم نسميهم؟ الذي تحقق عندي في ديوبند: كل رجل فيه عزم إقامة الحكومة يكون فهمه أقرب إلى الحق. ليس الجرم إلا

(1) في ن م : مملوة.هذا اللفظ أنسب.الباحث

الجهل البسيط. والذين ليس عزمهم في إقامة الحكومة هم في ظلمات لا نقدر على إخراجهم منها.

تم ما كتبنا بإسم السورة: الشورى.

حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. . ذكرنا معناهما: العين سبعون. إذا زدنا على ٤٨ صارت: ١١٨ كان ذلك العدد لزمن مصادفا ١٠٥ زمن هشام عبدالملك[1] هو خاتم الخلافة الأموية التي تأسست بعد ثمانية وأربعين. وبعد ذلك رجال لا قيمة لهم في السياسة ثم السين قيمة س 60 فصارت ١٧٨ والسنة الهجرية: 165. هذا زمن المهدي الهاشمي العباس المهدي المدعو في الأحاديث. في تلك السنة خاصة أرسل المهدي إبنه هارون إلى فتح القسطنطنية، وهارون وصل إلى البوسفور وقع الصلح بين قيصر وهارون، ورجع. أخرجه الترمذى عن سفيان الثورى، وابن عيينة كلاهما عن عاصم بن بهدله عن زر عن عبد الله قال النبي: عليه السلام لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ إسمه إسمي قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.[2] ذكر السيوطي في حاشيته على الترمذي أن الرافعي قال في تاريخ قزوين أورده الخطيب في كتابه تاريخ بغداد في ترجمة أمير المؤمنين المهدي[3] العباسي[4] فكأنه أشار إلى حمل الحديث عليه[5]. يقول الأستاذ مولانا: الخطيب حمله على ذلك، والرافعي، والسيوطي يصدقانه[6]، وليس في أحاديث المهدي حديث أصلح في الإسناد منه. وكذلك حمله على المهدي العباسي الإمام ولي الله في إزالة الخفاء. [7] فأنا أتعجب كيف يذهب أفكار الناس

---

(1) سبق ترجمته.

(2) سنن الترمذي,4/ 505,رقم الحديث:2230, باب ما جاء في المهدي.

(3) لينظر: **تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي(ت:463ه)153/5.**

(4) سبق ترجمته.

(5) لينظر: التدوين في أخبار قزوين، ت: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ)431/1،المحقق: عزيز الله العطاردي،الناشر: دار الكتب العلمية،ط: 1408هـ-1987م.

(6)يذكر الإمام السيوطي في حاشيته على الترمذي ما نصه: إن في أمتي المهدي" قال الرافعي في "تاريخ قزوين": "أورده الخطيب في "تاريخ بغداد" في ترجمة أمير المؤمنين المهدي العباسي" فكأنه أشار إلى حمل الحديث عليه.لينظر: قوت المغتذي على جامع الترمذي المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)إعداد الطالب: ناصرالغريبي،إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي،الناشر: رسالة الدكتوراة جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنةعام النشر: 1424 ه.

(7) لينظر:إزالة الخفاء، الإمام ولي الله الدهلوي،157/1-158.

عن اتباع الأمر الصحيح؟ وما أرى ذلك إلا سنة اليهود والنصارى كلهم متفقون على أمثال هذا ففهمنا أن الفطرة الإنسانية إذا ضعفت عن مقابلة شيء تكون مثل غريق يتشبث بالحشيش. حاميم عسق ق: ١٠٠ سنة ، فكان:٢٧٨، السنة الهجرية تكون: 265. هذا زمن المعتمد[1] آخر الخلفاء العباسية الذي كان له نوع من الاستقلال. عندنا هذه الأعداد إشارة إلى الحكومة العربية من زمن إنشائها إلى ختامها. وبعد ذلك تأسست السامانية[2] في بخارى، وقام إبن طولون، [3] والفاطميون في مصر، والمغرب.قد وقع في فكر أناس من العلماء أن الإسلام دين عربي. هذا باعتبار حكومة ملته يمكن أن يكون له صحة مثل دين بني إسرائيل، ماكانت فيه إلا [4]حكومة الملة فكان دين اليهود. وطائفة من المسلمين أخذوا ذلك الفكر من اليهود، وجعلوا دين الإسلام دينا عربيا، وخلافة حكومة عربية. عندهم إذا خرجت الخلافة من العرب كأنه بطل دين الإسلام. وعندهم يقين بأنه يقوم الدين بعد طريان ضعف عليه. وكان في زمن الخلافة العربية مرارا جاء ضعف ثم خرج مهدي. الفتنة الأولى بعد مقتل عثمان. والفتنة الثانية بعد معاوية[5] إلى أن قام عبدالملك[6] واستوى أمره. والفتنة الثالثة خروج بني هاشم إلى أن استوى[7] المنصور علي الملك. كل تلك الفتن كان فيها ضعف قوي أثر على الحكومة؛لكن بحمد الله خرج الإسلام من ذلك الضعف، وهو قوي. وكذلك هؤلاء أهل العلم أن الحكومة إن خرجت من العرب هو مثل الضعف في الفتن السابقة سيعود الأمر إلى العرب مرة أخرى. فالإسلام حقيقة كان عندهم إلى الخلافة العربية، وتعود حقيقة بعد ما يطلب العرب على الحكومة. هذا فكر جمع معظم من المعلمين

---

(1) سبق ترجمته.
(2) ابن سَامَان (000 - نحو 192 هـ = 000 - نحو 808 م) أسد بن سامان بن حيّا، ينسب إلى الأكاسرة: رأس الدولة السامانية (Les Samanides فيما وراء النهر). لينظر: الأعلام للزركلي, 298/1.
(3) أحمد بن طولون(220 - 270 هـ = 835 - 884 م) أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركي مستعرب. كان شجاعا جوادا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفا بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه. بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا (بفلسطين) ووقعت له مع الموفق العباسي أمور، فرحل بجيش إلى أنطاكية فمرض فيها، فركب البحر إلى مصر، فتوفي بها. يؤخذ عليه أنه كان حاد الخلق، سفك كثيرا من الدماء في مصر والشام.لينظر: الأعلام للزركلي,1/ 140.
(4) في ن م : إلا
(5) سبق ترجمته
(6) سبق ترجمته
(7) سبق ترجمته

والوعاظ والدعاة. ونعرف أن هذا غلب عليهم من نشريات ابن العربي الشيخ الأكبر[1]. وعندي بعد ما تقلدت هذا الفكر زمنا طويلا، وخضعت له بجميع قوتي ظهر لي ضعف هذا الفكر تاما بعد الحرب العمومي. وكان ابتدائه من زمن مطالعتي حكمة الإمام ولي الله، وإن كان الشيخ يرد هذا الفكر جهرا؛لكن حكمة تؤثر تأثيرا غير ذلك فأقول الآن: تعين عندي أن دين الإسلام في المرتبة الثانية ليس دين ملة بل دين الملل. وهاتان المرتبتان أثبتهما الإمام، وهي من أهم أركان حكمته. الحاجة إلى دين ينسخ الأديان يكون كالخليفة يحكم على الملوك. فبتلك المرتبة لا يقال: إنه دين العرب إنما كان يرجو النبي أن يحكم قومه نصف يوم ٥٠٠ سنة، ووقع كذلك. كان واقعة بغداد في 656ءفخمس مائة سنة قطعا حكم العرب على المسلمين ثم يعتقد عامة المسلمين أن الدين يقوم إلى يوم القيامة فمن يحكم عليهم؟ ألا يكون حكومة غير العرب؟ وفي سورة الجمعة إشارة إلى لحوق جماعة آخرين بالعرب، وفسروها بالفرس[2]. فبعد العرب يحكم الفرس. وليس عندنا يراد بالفرس الإيرانيون فقط بل الإيران والتوران والهند الذين لسان أدبهم كان فارسيا كلهم من الفرس. وهذا الفكر ليس معناه أن لسان الأتراك ولسان الهند ليس فيهما قوة التقدم في العلوم حاشا وكلا!. أنا هندي ولسان الهند "سانسكريت" يعرف جميع الدنيا أنها تجمع العلوم والفنون. هكذا يكون لسان الترك فيه علوم ومعارف أنا لا أنكرها.

مقصدي من ذلك شيء آخر: دين الإسلام دين الاجتماع دين الملل. فالطبقة الأولى من السياسة من الأقوام المختلفة اتفقوا على جعل اللسان العربي لسان الاجتماع: اللسان العمومي بين الملل الإسلامية. هؤلاء نسميهم حكومة العرب. معناه حكومة اللسان العربي ثم جاء الدور الثاني فالأمم الحاكمة اتفقوا على جعل اللسان الفارسي لسانا سياسيا عموميا بينهم، وقدموا العربية عليه

---

(1) سبق ترجمته.

(2) يذكر الإمام ابن عاشـور: روى البخاري ومسـلم والترمذي يزيد آخرهم على الأولين عن أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند النبيء صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي ووضع رسول الله يده على سلمان وقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء؟وهذا وارد مورد التفسـير لقوله تعالى: وآخرين.والذي يلوح أنه تفسير بالجزئي على وجه المثال ليفيد أن آخرين صادق على أمم كثيرة منها أمة فارس، وأما شموله لقبائل العرب فهو بالأولى لأنهم مما شملهم لفظ الأميين. لينظر: التحرير والتنوير:الإمام ابن عاشور,28/ 211

باعتبار أنه لسان ديني لسان القرآن والسنة . وأما الحكومات فإنما تقوم باللسان الفارسي. ففي ذلك الدور كان أقوام من توران وإيران وأقوام من الهند التحقوا بالدورة الأولى. فإن جاء بعد ذلك دورة اللسان العربي مرة أخرى ليس لازما أن يكون مركزية الحكومة إلى الحجاز. زمن الإنكليز أخذت تغلب على بلاد العرب بالتدريج، وهم يجعلون اللسان العربي شعارا لإنكليز لرد دول الغرب مثل فرنسا وألمانيا وإيتاليا لرد طمع تلك الدول في بلاد العرب. فالعرب الذين يتكلمون باللسان العربي يقومون بضد تلك الدول بقوتهم من أنفسهم، ويميلون بقلوبهم إلى الإنكليز؛لأنهم يحمدون اللغة العربية، وهم لمهارتهم في التغلب على الأقوام يقدمون اللسان الإنكليزي رويد رويد في بلاد العرب. فإذا خلصت بلاد العرب عن معارضة المعارضين من دول الغرب يكون الإنكليزي قسيما للعرب في بلاد العرب. وبعد ذلك ترون ما يكون، فالناس مغرورون إن كانوا يتوهمون أن اللغة العربية تجيء بهذه السياسة مرة أخرى. ونحن جربنا مثل ذلك في الهند. حكومة الهند جميعا في آخرها كان لسانها فارسيا. فلما تغلب الإنكليز على إدارة الحكومة بدلوا لسان الحكومة بالأردو، فاستحسن المسلم الهندي فعل الإنكليز ذلك، وكان ذلك لقطع طمع التوران والإيران على ممالك الهند فما شعر المسلمون بمكرهم وخداعهم، وجعلوا كل هممهم معروفة إلى ارتقاء أردو، وجاء من خلفها الإنكليزية فأخرج الأردو، واستقرت محله. هكذا نخاف أنهم يعملون مع اللغة العربية معاملتهم مع اللغة الهندية.

ونرى من الآن بعض الإدارات في مكة لا يمكن العمل فيها إلا بعد معرفة اللغة الإنكليزية. ورأينا هنا مدرسة ليلية لتعميم اللغة الإنكليزية يتعلم فيها بعض الأئمة، وبعض المدرسين في المسجد الحرام. بهذه الطريقة كان ابتداء الإنكليزية رويد رويد في الهند فنخاف من مثل ما وقع علينا في بلادنا. (1) تم هذه الإفادة العالية.

---

(1) في ن م: والله أعلم بغيبه وليس لنا أن نتكلم على غيبة.

عندنا الإسلام دين الملل فيكون الحكومة أيضا للملل المختلفة. الخلافة العربية في نصف دورها الآخر انقسمت: خلافة في بغداد، وخلافة في القاهرة، خلافات أخر في ممالك للعلوية غير الفاطمية، هكذا الخلافة العثمانية التي خلفت خلافة بغداد كان معها خلافتان: خلافة لإيران للشيعة ، خلافة في الهند للتيموريين. خمس مأة حكم العرب على المسلمين[1] قطعا، والنصف من هذه الخمس مأة كان في صعود، والآخر كان في هبوط وانحطاط. فكان **حاميم عسق** هو آخر السنين لصعود الخلافة العربية. ففي تلك السنين أمر العرب كان على الدرجة الأولى، والثانية، والثالثة مختلطة تأتي أيام على نحو، وأيام أخر على نحوآخر ثم يعود الأمر الأول. وهكذا الفطرة الإنسانية . الإنسان صحيح البدن سليم عن الأمراض الخبيثة أيضا يضربه أمراض، ويكون آخر دوره الشيخوخة هبوط، فهذه فطرة فطر الله الناس عليها كذلك تكون الحكومات الإنسانية. وكذلك تكون الشرائع الدينية فالطرف الأعلىٰ من الحكومة العالمية القرآن في تلك السورة: **حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**. ما جعل الله الحكم في الأرض لقوم من الأقوام على الدوام **وتلك الأيام نداولها بين الناس**. فإن كان ما تقرر عندنا: أن المقطعات إشارة إلى آجال مقررة فيكون معناها أن الخلافة التي يؤتى لأهل أم القرى تكون ممتدة إلى زمان محدود فقط، وليس هذا تنقيصا لهم. كذلك كان من قبل **كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**. معنى هذه الأسماء: العزيز نأخذ منه الحكومة الملكية، والحكيم نأخذ منه الحكومة الدينية. ملكية بإسم العزيز دينية بإسم الحكيم. والذين ظنوا أن الحكومية الدينية الإسلامية مختصة بقريش أوبالعرب إلى يوم القيامة هم يأتون بخرافات موضوعة ينبغي لكل أحد أن يتحفظ منها. وتلك آفة أخرى بمزج اللغو في القرآن بعد ماكانوا مزجوا به خرافات اليهود، وغيرها.

هؤلاء الناس الذين يريدون الحكومات. إنما هم خلفاء الله في تنفيذ الأمر ليس لهم حكومة ذاتية إنما الحكم لله؛ولذلك الآية الرابعة بعد ذلك **لَه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهوَ الْعَلِيُّ**

(1) في ن م : المضمون بعد ذلك بطوالته لايوجد في ن إ.

الْعَظِيمُ. **4** فالحكم في السموت والأرض ليس إلا لله **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**. 5 بدعوى الإنسان الحكم لنفسه في الأرض، وفي الحقيقة ليس الحكم إلا لله. فالإنسان إذا أثبت للإنسان حكما لنفسه أو لرجل معظم دونه فادعاءهم ذلك يكون سببا لانفطار السموت من فوقهم إذا كانوا هم الملوك، والمالك للأرض. . . والأرض لا يقوم بشيء إلا بعد ذلك الشيء من السموت، فالسموت بطبيعتها لا تطيعهم في إعطاء شيء ما فيكاد ينفطر إذالم يكن شيء في السماء لا يأتي لهم شيء. فالسماء بطبيعتها الانفطار أولى عندها من إعطاء شيء المدعين؛لكن الله يغفر الناس، والملائكة يستغفرون؛فلذلك لا ينفطرالسماء. والذين اتخذوا ملكا لهم دون الرحمن من أين يأكلون؟

اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ. ولذلك ينتظم تلك السلسلة الكاذبية. ولله فيه حكمة بالغة وإلا معرفة الأنبياء لا تجيز أن يقوم هؤلاء على الأرض. إليه الإشارة في قوله: **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ6**. فائدة: حكمة الله اقتضت أن يكون في عباده رجال هم بطبيعتهم ينفون حكم غير الله عن الأرض، فيسألون هؤلاء بطبيعتهم فيعطيهم الله. وكذلك يسأل الذين يدعون الحكم في الأرض إما بلسانهم أوبمالهم، والله يعطيهم أيضا كذلك. فكانوا من جهة الرب على السواء ثم هؤلاء العلماء الحكماء يتفكرون لأعمالهم صور لا يقدر بمقابلتها الذين يدعون الملك فيغلبون. هذا يكون من عجائب قدرة الله تمت.

فالنبي لو كان على طبيعته السماوية ما أجاز أن يقوم رجل يدعى الملك أو الملك إذا كان النبي أيضا على ذلك الأرض فما يحكم النبي بطبيعته السماوية حكمة الله لاتوافقه بل النبي يعلم قوما هم بعقولهم الطبيعة يغلبون على المبطلين،وإليه الإشارة في قوله: **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيه فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ7**. يعني بتعليمك في أم القرى، ومن حولها الحجاز يخرج قوم هم يبطلون الفراعنة فالنبي كان أول أمره

مقتصرا على الحجاز فقط، والباقي يتم على أيدي من تعلم منه. **وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ**:يوم الجمع في المحشر هو تمثل للإنسانية الاجتماعية. فهذا النبي ينذر الإنسانية كلها بواسطة أم القرى، ومن حولها. النبوتان اللتان نجعلهما تحت نبوة النبي 1: نبوة ملية، 2: نبوة عالمية نأخذ إليهما الإشارة من تلك الآية. فالفرض من وحي القرآن العربي أمران: الأول تنذر أم القرى، ومن حولها. هذا ظاهرحكم ملي لقوم يسكنون الحجاز. الثاني: **تنذريوم الجمع لاريب فيه:** إذاكان الرجل يعتقد كل أمر يقع في الآخرة هو ليس بأمر مستأنف بل نتيجة لما تحقق في دارالدنيا، فاجتماع الناس يوم المحشر يلزم أن يكون له سبب في هذا العالم مؤثر في إنتاجه ذلك، وذلك ليس إلا اجتماعهم تحت حكم دين واحد. فإذاكان النبي ينذر الناس أن يوم الجمع لاريب فيه كان يأمرهم أن يجتمعوا في الدنيا على طريقة مقبولية في ذلك اليوم، ويوم الجمع يكون فريق في الجنة، وفريق في السعير. فالنبي يجمع الناس على طريق فريق يدخل الجنة.

من جميع الإنسانية رجالا يصلحون لذلك فهو يكون إقامة الخلافة الكبرىٰ بإظهارهذا الدين على الأديان، ففي ضمن هذا التعليم تعينت درجات الحكومة المنشأة بتعليم القران 1:حكومة ملية عربية 2: حكومة اجتماعية إنسانية إلهية، فالفريق الذي يدخل الجنة يدعو إليه النبي، والفريق المخالف من هم ؟ ففي قوله: **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ 8**. هذا هو الفريق الذي يصل إلى الجنة هو يستفيد من تعليم النبي فيكون داخلا في رحمة الله، هكذا يظهر في الآخرة أنه يدخل رحمة الله. والفريق الثاني: الظالمون ماهم من ولي ولا نصير.

في قوله تعالى:**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . . .** 9 تفسير لظلمهم: أصل الظلم أن يسلم الرجل حكم غير الله، وأن يجوز أن يكون الحاكم في الأرض سوى قانون الله المنزل. هذا هو أساس الظلم فهم يعينون حقوقا للإنسانية فيختارون لأنفسهم ما يشاؤن، ويظلمون الناس. وإذاكان الحكم لله فالحقوق المتعينة بالفطرة لا يجوز لأحد أن يتجاوز عنها. وتلك الحقوق يعرفها الأذكياء بفطرتهم،

ويسلم الطبقة الثانية بشهادة من طبيعتهم أخبار الأذكياء عن شئون الفطرة فلا يبقى إلا المنخدجون هم لا يقدرون على فهم الفطرة لامن أنفسهم، ولا بإسماع من غيرهم فيستحقون أن يعاملوا معاملة الحيوانات والأنعام، فالكتب الإلهية ليست إلا إخبارا عن شئون الفطرة الإنسانية، وإيضاحاً لرد بعض شبهات الطبقة الثانية. فما يكون تقرر بالفطرة الحكم موافقا لذلك هو العدل، وما خالف ذلك هو الظلم، فالله خلق الفطرة الإنسانية، وجعل في أكثرية أفرادها قوة التميز لما يقتضيه الفطرة، وما لا يقتضيه الفطرة بل يأتي من الخارج. فالأول هو الحق، والثاني هو الباطل.

فالله خلق في الأكثرية قوة التميز بين الحق والباطل ثم أوضح ذلك بلسان الأذكياء، وأوصل إلى جميع الإنسانية فحصل للناس علم بعد علمهم. فما أقام الناس حكومة موافقة لذلك الحق كأنهم نفذوا حكم الله في الأرض، فكان الحكم لله الذي فطر الناس على تلك الحقوق وخلافة التنفيذ للناس. أما الذين لم يسلموا تميز الفطرة في الحقوق، وبيان الأنبياء لتلك الحقوق فوضعوا حقوقا من جهة أنفسهم هم الظالمون ليس لهم ولي، ولا نصير في الدار الآخرة فتبين بذلك أن يأتي ليجعل الفرق بين الفريقين. هذا هو مقصد النبوة. من يتبع أحكام الفطرة هو فريق للجنة، ومن لا يتبعها فريق السعير. هذا وضع الحقوق للإنسانية على خلاف الفطرة هو مبدأ الظلم فالذين يتبعون الفطرة سلطانهم، وملكهم لله الخالق للفطرة. والذين اخترعوا حقوقا على خلاف الفطرة سلطانهم وملكهم من هو؟ إلى هذا المعنى إشارة في **أم اتخذوا من دونه أولياء-** الذين ينصرونهم على خلاف الفطرة كأنهم هم الخالقون لأحكام مخالفة للفطرة فإلى رد ذلك أشار **فَاللَّهُ هوَ الْوَلِيُّ وَهوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ9**.

المالك لأحكام الفطرة ينصر من يعمل بها. وهؤلاء لا ينصرون من يعمل بخلاف الفطرة. نرى في الدنيا: رجل يعمل على خلاف الفطرة فيبتلى بمصائب فليس له نجاة إلا بالرجوع إلى أحكام الفطرة. هذا ظاهر في الأمراض التي تحدث في الزواج على خلاف الفطرة . إن كان الذين يدعون الناس على خلاف الفطرة ينصرون العاملين على خلاف الفطرة فكان يحصل لهؤلاء المرضى

الشفاء، وهم مستمرون على أعمالهم على خلاف الفطرة هذا لا يكون أبدا فعلمنا أنهم لا ينصرون ثم مالك الفطرة يحيي الموتى، وهم لا يقدرون على شيء، فالآن تصريح بالحكومة الإلهية في قوله: **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيه مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُه إِلَى اللَّه ذَلِكُمُ اللَّه رَبِّي عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْه أُنِيبُ 10** هذا صفة الرحمن إلى **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيه لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَه مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** 12. سورة الحكومة الإلهية **وماختلفتم**. . الخ هذا تصريح بأن الحكومة القرآنية الحكم كله فيها لله، ومعناه إلى كتابه. فالقرآن هو بيان الفطرة، والله الحاكم لكونه **فاطر السموت والأرض** تفسيره في قوله: **جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيه لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 11**. هذا حرث والله يذر[1] فيه أرواح الناس فهذا العمل لا يستند إلى شيء ما سوى الحق. فالذي يفطركم، ويخلقكم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. تم الفصل الثاني. وبعد **لَه مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)** هو يبين في كتابه ما يحتاج إليه الفطرة الإنسانية، فالتحاكم إليه طبيعي فالحاكم ليس إلا الرب، والشرع. والقانون هو قانون الفطرة التي تواتر العمل بها بين أئمة الفطرة. ومن أحكام الفطرة أحكام لا يدركها إلا الخواص فلا يكلف بها العامة. ومن أحكام الفطرة يدركها الخاص والعام، فلتمييز تلك الأحكام العامة عن الخاصة الرجوع إلى أئمة الفطرة لازم. فكل شيء تواتر به الأئمة بالأمر بها لعامة الناس هي الفطرة التي يجب العمل بها. فإذا جمعنا ما أمر به هؤلاء الأئمة لا يتفرق الناس في المسالك ولاعنها. هذا الذي هو أمر به النبي لمركز اجتماعي عالمي، فالأمور المختلفة متروكة في هذا الكتاب، وفي هذا الشرع إليه الإشارة في **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِه نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِه إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهمْ إِلَيْه اللَّه يَجْتَبِي إِلَيْه**

---

(1) في ن م : يذرأ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي إِلَيْه مَنْ يُنِيبُ. **13** هذا ميزان الإنسانية هو مركز الدعوة الإسلامية لا يمكن لقوم ما عندهم استعداد لفهم الفطرة أوهم يوافقون عليه. هؤلاء الخمسة من الأئمة أولوالعزم من الرسل نوح إبراهيم، موسىٰ، عيسىٰ، محمد ﷺ. أولوالعزم من الرسل كلهم يريدون أن يجمعوا الإنسانية كلها على ملكه. فإذا اتفق مثل هؤلاء الخمس على شيء لا يمكن الاختلاف فيه عند أصحاب الفطرة السليمة. والمشركون يبطل أساس دينهم، وهو مبني على اتخاذ بعض المشايخ، والمرشدين أئمة ثم آلهة فهؤلاء لا يقدرون أن يقاوموا الاجتماعية الإنسانية كلها، ويعرفون أن الاجتماع على دعوة نبينا يحصل إما اليوم وإما بعد اليوم، فلا يقدرون على مقابلة الإسلام. هذا معنى **كبر على المشركين ما تدعوهم** إليه الخ المشركون أيضا ينتسبون إلى ما ينتسب إليه النبي. فمن أولاد إسماعيل اجتبى ربنا نبينا، ورد المشركين ثم هؤلاء أهل الكتاب لما انتسبوا إلى الأئمة أولى العزم لم يختلفون ؟ هذا تفرقهم ليس إلا بعد علموا العلم المجتمع عليه. وإنما تفرقوا لابتغاء متاع الدنيا يعني بغيا بينهم. هذا لا يجب أن يكون عنده المال أكثر منه فيأتي على دينه بشكوك فتختلف الطريقة. عامة الناس لا يفهمون مثل هذه المسائل التي يكون فيها الحق والباطل مخلوطا لا يمكن الفصل فيها في دارالدنيا؛لأن استعداد الإنسانية ما تكامل. بعد ما يفصل الله يأمر بالحق، ويبطل الباطل بسبب عدم إدراك الناس كنه الأمرلايرتفع الاختلاف. هذا يؤخر إلى يوم الدنيا. وأما إذا امتاز الحق من الباطل أهل الحق اجتمعوا في جانب، وأهل الباطل في الجانب الآخر مخالفا له فيقضى بينهم في دارالدنيا. هذا القضاء يكون واضحا يفهمه عامة الناس يعرفون وجه البطلان، ويعرفون وجه إهلاكهم. وأما القسم الباطل، والحق مخلوط فيه لا يأتي الفصل فيه في الدنيا إليه الإشارة في قوله: **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهمْ** 13. ثم الذين يأتون بعدهم يختلفون مثل اختلاف الأولين وإليه الإشارة **وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْه مُرِيبٍ** فالمشركون يخالفون أصل الأمر، والعمل هم يحبون انفراديتهم باتباع معبودهم، وأهل الكتاب يختلفون في شرح بعض الأحكام المجتمع عليه، فالقران يأمر بالرد على الفريقين لاباتباعهم. انظروا إلى شدة الأمر **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهوَاءَهمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ**

اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. 15 يعني على ما اتفق عليه الخمسة، **واستقم كما أمرت** فيه يكون لاجتهاد النبي مدخل لجعل الأمر فيهم مستقيما راسخا **ولا تتبع أهوائهم** فالأمور الاختلافية لأهل الخلاف كلها متروكة. **وقل آمنت بما أنزل الله** الخ كل الكتب التي أنزلها الله أنا مؤمن بكلها فأتوني بها أعلمكم كيف يتفق بعضها مع بعض؟ **وأمرت لأعدل بينكم**. . هذا هو مدار الاجتماعية القرآنية. الأمم كلها تتفق على أحكام توافق الفطرة الإنسانية ثم أتاهم علماؤهم باختلافات، وتوجيهات كلها مردودة عليهم. وأما الكتب الإلهية فكلها معمول بها لانطباق بعضها على بعض فانظروا هل يمكن أن يخلف النبي في أداء هذا الأمر إلى الحكيم؟ فإذا اتخذ الناس سفهاء أئمتهم في الدين فيكونون اتخذوا أصناما آلهة ثم النبي مأمور بأن يعدل بين جميع الناس مع انقسامها إلى أصناف وأقوام،فهذا العدل هل يمكن إقامته فيهم بدون مشورة عقلاءهم وأهل الرأي منهم؟كلا! لا يمكن أبدا. ومن أبطل الشورى في المسلمين هو ضال مضل. ونحن نعرف الفقهاء أنهم يؤمنون بالإجماع. وبعد ما رجعنا إلى قول المحققين منهم ما وجدنا معناه إلا اتباع قول أكثر أهل الرأي اتفقوا في مسألة[1]وما عدا ذلك كله إضافة حواش من جهلة الناس. فالمسلمون إذا تيقظوا وتنبهوا الأمر عندهم القرآن يأمرهم بالشورى، والنبي وخلفائه يعملون بالشورى ثم يأتي طائفة من الفقهاء هم يوجبون العمل بالإجماع، ويخرجون المنكرين عن إسم الفقيه؛لأن الفقه هو المشي على الفطرة الإنسانية.هذا هو الفطرة. متن القانون متعين لا يمكن لأحد تحريفه. تعليم هذا، وتنفيذه دائما يحتاج إلى تدبير مخصوص بذلك الوقت، والنبي كان مفوضا إليه هذا الأمر يعلم الكتاب، وينفذ فيهم الأحكام، فعمل بفطانة وذكاوة، واستعان بالشورى من جماعة ثم صار هذا طريقا متبعا في الدين اتبعه أكثر أهل العلم، وأهل الرأي، وسماه الفقهاء إجماعا . ومعنى الإجماع هذا: إنما وصلنا إليه باتباع حكمة ولي الله في إزالة الخفاء ثم رأينا المحققين من الفقهاء يدورون حوله السفهاء من الناس يتقدمون جماعة، فيتخذون قول رجل واحد حجة لأنفسهم . في هذا هم يضاهون المشركين.

---

(1) وهو يسمى الإجماع.الباحث.

وهذا الأمر بالتدريج يوصل الإنسان إلى الشرك. نخاف من فقهاء زماننا أن يدخلوا في ذلك اتباعنا للإمام ولي الله فلنوضح الفرق. نحن دائما نقول نتبع الإمام ولي الله معنى هذا: نحن نفهم حقيقته ثم اجتهدنا جهدا كبيرا. في التماسنا رجالا من أهل العلم يوافقون قول الشيخ حتى يكون هو رجل جماعة ففزنا في ذلك. فلو أراد رجل أن يفهم هذا منا فليقم عندنا سنة أو سنتين. وهذا كأنه مشكل؛لكن أخرجه الله جماعة من أهل العلم متبوعين في الناس هم يلتزمون طريقة الإمام ولي الله. فإذا رجع الإنسان إلى كلام اتباعه يجد شهادات على موافقة الإمام لكثير من المحققين ثم هو يتفرد في بعض المسائل، وحق له ذلك ونحن لا نتبعه إذا لم يوافق رأينا في تفرداته. هذا باعتبار الأصول والقواعد. وأما في الحقيقة فما وجدنا له قولا شذ من أقوال العلماء إلا وصلنا إلى كنهه، وكونه من الحق في الدرجة العليا إلا أن الناس تركوا البحث عن مذاهب أقوام العالم، وردها إلى الدعوة القرآنية. فلما تغافلوا عن هذا الفكر وجدوا بعض أقوال الإمام لا يفهمون حقيقة. وأما أنا فلي ذوق في بحث مذاهب العالم، وقياس كل مذهب بالفطرة الإنسانية فما وجدت في ذلك الفن إماما إلا الإمام ولي الله؛ولذلك أفهم حكمة أقوالهم الشاذة أيضا. بعد ما تحققت تلك المنزلة من التحقيق ظننت أن أهل العلم الكبار لايتخذون رجلا منهم إماما لهم إلا إذا بحثوا عن أقواله مثل هذا البحث مثل أبي حنيفة كبار الفقهاء يتخذونه إماما لهم فلا يمكن أن مثل تلك الإمامة تسلم عند أهل العلم إلا إذا سبقهم إلى درجة من العلم هم يحتاجون إليه، ولا يصلون إليها إلا بموافقة تحقيقاته. تمت الفائدة الشاذة.

الله ربنا وربكم. . . فالعدل هو الذي يصدقه الله. إذا كنا أفهمنا العدل موافقا لكتابه نرجوا من الله إذا رجعنا إليه أن يكون هو العدل، فإذا لم يسلموا حكمنا في العدل **فلنا أعمالنا ولكم أعمالكم**؛لأن كل واحد منا يدعي أنه يتبع كتاب الله. **لاحجة بيننا وبينكم** يعني نترك التنازع. **الله يجمع** الخ نتوكل عليه أنه يلهمنا الاجتماع إذا كنا كل منا يقصد الحق ثم بعد ذلك جماعة لا يتركون التنازع، وإن اتفق أئمتهم مع الإسلام. رجال من أهل الكتاب كانوا مخلصين في العمل بكتاب الله، وما اتفقوا مع القران أمر النبي بترك التنازع معهم، والدعاء من الله أن يجمع

بيننا. وبعد زمان ألهم تلك الطائفة الحق فسلموا حجة القرآن في نسخ الشريعة السابقة إذا تحقق، فجماعة من اتباع هؤلاء كانوا يقلدونهم، فبعد ما علموا أنهم وافقوا الإسلام لا يقلدونهم في اتباع الإسلام بل يحاربون الإسلام بإتيان الحجج، والحقيقة أنه لا أهلية لهم في ذلك الفن لا يقبل عذرهم إليه الإشارة في **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَه حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** 16. مثاله عبدالله بن سلام كانوا يقلدونه، وتركوه إذا آمن بالله **اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**17. عندنا الفرقان والميزان عبارة عن قوة في دماغ كل رجل يميز بها بين الحق والباطل. الإنسان إذا ذكر عنده مسألة علمية، وذكرنا دليله في بعض الأوقات يطمئن به القلب وفي البعض لا . فإذا ذكرنا أدلة أخرى يحصل الاقتناع والاطمينان، فإدراك الأمور العقلية شيء، والاطمينان بها شيء آخر. فالقوة التي بإشباعها يحصل الاطمينان نسميها بالفرقان والميزان يسميها القران بالميزان. والفرقان عندنا:الرجل يعبرعنه بالوجدان والضمير. وتحقيق ذلك الحجر البحت[1] الذي في قلب كل إنسان هو يستعد لنزول عكس من تجلي الرحمن، تلك القوة هي الميزان، وعندنا الميزان حظيرة القدس. هذا باعتبار النوع الإنساني. أما باعتبار فرد ما يأتي في قلبه من صورة حظيرة القدس هذا الاطمينان من آثارها، فالله أنزل كتابه بالحق مطابقا للفطرة الإنسانية إن كان في الأمور المتفق عليها فبالاتفاق. وإن كان في الأمور المختلفة عليها في الأفراد فما اجتمع عليه أكثر أفراد الإنسانية. فالله أنزل كتابه بالحق موافقا للفطرة الإنسانية إما بالاتفاق وإما بالأكثرية. والميزان. فإذا تحقق الناس حقيقة الكتاب بميزانهم وأدركوا بطلانهم وقاموا لإصلاحه يأتي الانقلاب:قوة حقانية تهلك تلك الطائفة. هذا هو المراد من قوله: **وما يدريك لعل الساعة**. هذه الساعة هي ساعة الانقلاب فالذين آمنوا علمو أن الانقلاب واقع يخافون منها، ويعلمون أنها الحق. والذين لايؤمنون بها يستعجلون بها **أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** 19. إذا انتظم المركز لإقامة الحق المجمع عليه في الإنسانية، ولإ قامة العدل الانقلاب لازم لازم فالذين يمارون في الساعة هم في ضلال بعيد لا يستحقون أن

(1) الحجر البحت هو اصطلاح خاص لدى الإمام الدهلوي،وقد مر الكلام عنه في تفسير الروم.الباحث.

يخاطبوا. البحث في مسألة الانقلاب جار إلى 35 فنبحث عنه في ما بعد. أما الذين يأتون بالانقلاب، ويقيمون الحق ما مثالهم وما حالاتهم؟معنى هذا إذا أردتم الانقلاب فليجتمع جماعة فيهم تلك الأوصاف **فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 36.** بعد الانقلاب يحصل لكم الحكم والمال والدولة. كل شيء متاع الحياة الدنيا. فلما كان الحياة الدنيا محدودة بحدود فالانتفاع بها يكون قليلا. فينبغي للعاقل أن لا يقتصر نظره في الانقلاب على تحصيل متاع الدنيا فقط بل يجمع خصالا عالية في نفسها، ويكون الانقلاب تكميلا لتلك الأخلاق مثلا لا يريدون الانقلاب إلا يعلم الناس عامة دينهم الحق، وإلا ليدفع الظلم عن عامة المظلومين، وإلا ليوصل الرزق إلى عامة أهل الحاجة وأمثال ذلك من الخصال لا يتم ولا يرسخ إلا إذا حصل له موقع بعد الانقلاب. ونتيجة تلك الأخلاق تكون عندالله في الحياة الأخروية إلى زمن مديد إليه الإشارة في قوله تعالى:**وما عندالله خير وأبقى** . آمنوا بالكتاب، ويتوكلون على ربهم في إقامة ذلك الحق أنهم يجزمون أنهم قادرون على إقامة ذلك الكتاب مع كونهم من ضعفاء الناس فيتوكلون على الله أن الذي أنزله سيؤيدنا. الانقلاب بعمله بعض الناس يرجونه؛لأن رقابة المجتمع على الناس ترتفع في زمن الانقلاب. كثير من الناس الذين تروتهم صالحين تاركين لأمور الفسق إنما ذلك أنهم يخافون رقابة المجتمع. فإذا بطل رقابة المجتمع إلى زمان يعملون ما يشاؤن من الفسق والفجور؛لكن القرآن لا يأتي بذلك الانقلاب بل الذين يقيمون الانقلاب القرآني هم أولا اكتسبوا الأخلاق الحسنة، ودرجات من الإحسان. فإلى ماعند الله لا ينظرإلا المحسن، وأشار إليهم القرآن **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** 37. ثم الانقلاب يحتاج بعد الهدم إلى التعمير. ففي زمن التعمير[1] يظهر أنهم يعملون بكل حسنة جاء الطلب بها في القرآن. هذا معنى قوله: **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** 38. ثم قوله **وأقاموا** . هذا من شعائر الدين، وقد شرحناها مرارا. والمراد منها هنا إقامة الصلوت في المجامع . هذا استعداد كون الرجل مستشارا إذا كان الرجل يقيم

---

(1) في ن م : الهدم الانقلابيون لايشتغلون بالإثم والفواحش.

الصلوة فيحضر في اجتماع الصلوات لازما ثم إذا أمر بأمر مناسب لذلك الوقت من أوامر الله المكتوبة في القرآن يستجيب له. هذا دليل على إحسانه، وعلى أنه ليس من المنافقين. فكل رجل حضر في المسجد على هذه الصفة هو أهل؛لأن يستشار منه في أمور الإسلام.

وأمرهم شورى بينهم يعني حكمهم بالمشورة بينهم. الحكم قسمان 1:القانون هو في كتاب الله 2: وما جاء به النبي مستنبطا من القرآن. هذا القيد إنما هو للإيضاح. الرسول لا يأمر بأمر من عند نفسه إنما يأخذ من كتاب الله. فإن فهم رجل مأخذ النبي فبها، ونعمت. وليس لأحد أن يسأل النبي من أين أخذ هو؟ لأنه أمين على الوحي. فالقانونية منحصرة في الكتاب. وقوة التنفيذ منحصرة في الشورى أمرهم شورى بينهم. قد غلط بعض الناس في فهم سيرة النبي في الشورى، فجميع الشكوك التي تعتري الناس قد ردها الجصاص[1] في أحكام القرآن(2) وكفى وشفى.

فلا يجوز لرجل من الفقهاء الحنفية إذا وصل إليه ذلك الكتاب أن يتشكك في أمر الشورى. فإن استقام بعد ذلك يغفر له ما تقدم من جهله، ومن عائد على جهله بعد ذلك أيضا فهو من الذين يصدون عن سبيل الله يعني عن إقامة حكومة مسلمة تحت تعليم القرآن. **ومما رزقناهم ينفقون**. هذا لازم في التعمير بعد الانقلاب: أن يجعل لرجل حزبه كالمشتركين في المال، فالملكية عندهم في ذلك الزمان يكون معناها الحفظ والأمانة فقط. وفي الانتفاع من ذلك المال يشترك الحزب كله على السواء. عندنا هذه الصورة أولى من اختاره الناس في ذلك العصر من سلبهم جميع الأموال فإنه يؤدى إلى قيام الديكتاتورية على الحزب أيضا. والانقلاب معناه: القيام قيام الحزب

---

1 أحمد بن علي الرَّازي، أبو بكر الجصاص(305 - 370 هـــ = 917 - 980 م): فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها.انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع.من مؤلفاته:أحكام القرآن وغيره.لينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفيةالمؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ)84/1 ،الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي

(2) إن الشيخ الجصاص قد ذكر كلاما بسيطا لفهم سيرة النبي في الشورى تحت قوله تعالى:" وشاورهم في الأمر"لينظر: أحكام القرآن ت: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هــ)51/2-54.: عبد السلام محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط: الأولى، 1415هــ/1994م. ويذكر أيضا تحت قوله تعالى:"والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم" أن القول المذكور يدل على جلالة موقع المشورة لذكره لها مع الإيمان، وإقامة الصلاة،ويدل على أنا مأمورون بها.لينظر:المصدر نفسه:510/3.

تاما ديكتاتورا على من عداهم لا قيام رجل من الحزب ديكتاتورا على الحزب أيضا، فجميع أفراد الحزب يكونون أحرارا متساويين في الحق والحكم. فإذا قام رجل منهم ديكتاتورا عليهم، فتلك الحكومة تكون سلطنة مستبدة، وهي كالشجرة الملعونة في الإنسانية. فإذا كان أموال الحزب بأيدي رجال الحزب، وبينهم من الوداد كلهم يحسب أنه مالك جميع أموال الحزب يتم الانقلاب. قوله **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ** 39. هذه قوة هي الباعثة للانقلاب، ومع ذلك فيهم قوة العفو؛لكن الظالمين لا يعفوهم إليه الإشارة في **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** 42 فهذه الآيات إلى قوله لمن عزم الأمور فيها الإشارات أن الحزب الظالم يؤاخذ مؤاخذة تامة، وأما من حزبه إذا وقع الخطأ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**. 40. وآخر الآيات **لمن عزم الأمور** هذه[1] الآيات كلها إنما تتعلق بداخل الحزب. العفو والغفران والصبر. وأما الذين عادتهم ظلم الناس فلهم عذاب أليم يعني أن الحزب إنما قام ليعذبهم هذا الظلم إذا صاروا مغلوبين بأيدى أهل الحق، ورأوا العذاب في الدنيا هذا بعد موتهم يتصل بعذاب الآخرة هذا إلى قوله: **فَمَا لَه مِنْ سَبِيلٍ (46) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَه مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ** 47. يعني اجتمعوا تحت حزب القرآن حزب الله من قبل أن يأتي يوم الانقلاب **يوم لا مرد له من الله**. . . الخ في الدرجة الأولى ليس إلا التعليم ولا التنظيم. وبعد ما غفل الناس عن قبول هذه الدعوة ثم ابتلوا بالبلاء يكفرون بالرحمن. هذا لجهل الإنسان المستقر في جبلته، وإليه إشارة في قوله: الْبَلَاغُ **وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ 48** هذا العذاب بعد البلاغ بأيديهم. بعد هذا الانقلاب، وقيام حكم القرآن في الأرض يتوارث الملوك، وإليه الإشارة في قوله: **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ** 49 فيه إشارة إلى أن أهل أم القرى يكون فيهم الملوك والتوارث. هذا يكون في الدرجة الثانية من المصلحة إذا كان نظام لا يقوم إلا بصورة خاصة

(1) في ن م : تلك

لمقتضيات الظروف، فاتباع ذلك يكون من الحق، فنوع واحد من صور الحكم يلزم الإنسان به ليس معقولا بل يختلف الصورحسب اختلاف الظروف فلا يكون الاعتماد في الحكم على القانون أوعلى تنفيذ القانون بل الاعتماد على تيقظ الناس واجتماعيتهم واجب تعليم القرآن ثم الدعوة إلى إقامة حكومة تحت قانونه في كل عصر مثل عصر النبي وخلفائه. وإذا قلنا الآن تقرر القانون في صورة القرآن والسنة وتقرر التنفيذ في صورة الإجماع والقياس من الفقهاء. فالناس يمشون الآن على هذا المسلك فلا حاجة إلى تعليم القرآن مثل عصر النبي. فهذا خطأ. فإن الحياة ليت في صورة القانون ولا في صورة التنفيذ. الحياة مدارها الرجال القائمون بالقانون. وهؤلاء لا يأتي فيهم التيقظ ولا الاجتماعية إلا إذا علموا في البيوت قبل مجيئهم إلى ديوان حكومة القرآن[1] مثل التعلم في القرن الأول، فالقرآن لا يوحى كل يوم إلى نبي من الأنبياء. النبي أوحي إليه القرآن، وهو علم ناسا فهداهم إلى صراط مستقيم. على ذلك المنهج الدعوة إلى تعليم القرآن، وهداية الصراط المستقيم لازم في كل زمان. وأما النبوة فقد ختمت وأما عمل النبوة فلازم إحيائه في كل حين، وآن إلى هذا أشار في الآيات الثلث خاتمة سورة الشورى من قوله: **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَه اللَّه إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِه مَا يَشَاءُ إِنَّه عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاه نُورًا نَهْدِي بِه مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّه الَّذِي لَه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّه تَصِيرُ الْأُمُورُ 53.** فالنبي كان نبياعلى طريقة الأنبياء السابقين إلى هذا أشار **كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب** القانون الذي في القرآن لم يكن معمولا في قومك. **ولا الإيمان** معناه: فهم الكتاب، واستعمال قوة نفس تامة في إقامة التعليم وإقامة الحكومة. هذا العزم هو الإيمان. **جعلناه نورا نهدى به من نشاء** بواسطتك **وإنك لتهدي** الخ تعليمك كله حق فاجتهاد النبي في إقامة أمر القرآن صار بتصديق الله ملحقا بالوحي. والصراط المستقيم معناه أنه يهدي إلى حكم الله الذي له ما في السموت الخ فكل الأمور تصير إلى الله

(1) في ن م : العظيم

بالآخرة هكذا لازم أن يكون العلم أيضا يرجع إلى القرآن **إلا إلى الله تصير الأمور**. تتمة سورة الشورىٰ.

تعين مقصد هذه الدعوى من آية 13 إلى 15 . حاصله أن دين الأنبياء السابقة من نوح إلى محمد المتفق عليهما منه هو مصداق هذا الكتاب الذي أنزل من الله العزيز الحكيم. والدعوة مقتصرة في ذلك؛ولذلك فادع. وإقامة هذا الأمر هو مفوض إلى عمل النبي. **واستقم كما أمرت** الخ فالنبي يجتهد بكل قوته من العقل والقلب أنه يجتنب أهواء قومه ويرتسخ فيهم هذا الدين القويم إذا فعل هذا أقام هذا الدين القويم في قومه مقام أهوائهم فاستقام النبي كما أمره الله. الظاهر من الآية **فاستقم كما أمرت** الخ يفهم أنه يعمل بهذا الدين القويم فاستقام، وليس هذا عندنا معنى الآية: فإن النبي مجهول على هذا الدين القديم فاستقامة هو إقامة هذا الدين في قومه، ويحبون هذا الدين قوم النبي مثل ما يحبون أهواءهم إذا أوصل ارتساخ هذا الدين في قومه فقد استقام كما أمر. وكذلك إقامة حكومة عادلة بين جميع الأقوام هو مقصد هذه الدعوة أي تعليم أو برنامج لا يكون فيه طريق فصل الاختلافات ليس له ثبوت وثبات على الأرض فأمر النبي ليقيم العدل بينهم تحت نظام الدين المتفق عليه بين الأنبياء هذا هو مقصد هذا الدين، وعنوان انقلابه معنى إظهار الدين على الأديان كله ثم يأتي بعد ذلك ذكر جمع القوة لإنشاء الانقلاب. فالمسألة الأولى التي بينها الله أن قول جماعة إذا كان طائفة منها قبلت هذا الدين، واستقام له في أمره فحجة أقران تلك الطائفة لا تسمع، وهم يعذبون إذا لم يصلحوا أنفسهم بالاستفادة من أقرانهم المؤمنين بالمذاكرة والمباحثة والمجادلة مثلا إذا كان بيت آمن منه رجل فلا يأتي النبي لإقامة الحجة على باقى أفراد البيت: حجة الله قائمة على أهل البيت هم يعذبون، ولا يسمع لهم عذر. هكذا تقيسون الجماعة الكبيرة.

الحارة آمنت منها رجال فكل الحارة تثبت عليها حجة الله. هكذا حكم المدينة إلا إذا غلب هؤلاء الناس على المهتدين على من آمن بالدين القويم من الطائفة الصغيرة فغلبوا عليهم بالحجة فلا يعذبون. وهذا لا يمكن أن يكون أبدا. فإذا صاروا مغلوبين عن تلك الطائفة بالحجة

فلا يسمع لهم عذر أنه لم يأت لهم نبي وهذا هو معنى قوله: **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَه حُجَّتُهمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ** هذه مسألة أولى لتسوية السطح لقيام الانقلاب الثانية. بعد ذلك :الله الذي أنزل الكتاب بالحق : أنزل معه ميزانا في قلب الإنسان. فرغنا من شرح هذا الميزان يكون سببا لتوجه الناس إلى فهم الكتاب. ومعنى الميزان الذي أفهم أنا يكون الرجل في قلبه تقرر المسألة أنه إذا عرف الحق لا ينكره، وإذا لم يعرف الحق لا يتبعه بعزمه إنما يكون في الجماعة مثل العامة. الناس يدعون إلى أشياء هؤلاء يعرفها هولا يسمع أبدا. وإذا عرف الحق يتبعه بكل قوته لا يمنعه مانع. فإذا رأينا هذا الأثر ظهر على رجل عرفنا أن الله أنزل في قلبه الميزان. والكتاب إذا كان لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه حق كله من أي جهة أتيته إذا جئت من الجهة العقلية فهو حق. وإذا جئت من جهة الجذبات الشريفة والملكات الفاضلة فهو الحق. وإذا جئت من حيث إصلاح الفجرة والفسقة هو الحق. وإذا جئت من جهة اللطائف الباطنية الإنسانية التي نسميها بالسر، والروح، والخفي، والأخفى، والحجر البحت، والأنانية الكبرى فهو الحق. وهذه الكلمات اصطلاحات[1] في حكمة الإمام ولي الله. فمثل هذا الكتاب الحق إذا عرض على رجل في قلبه الميزان ألا يتبعه؟ هذا هو طريق التقدم. هذا هو طريق الانقلاب. فإن الاجتماعية الانسانية لا تقوم إلا بتقديم أهل الميزان على الاجتماع. فكل ما رأينا اجتماعيا فيه حياة، وعرضنا عليه القرآن أهل الميزان يتبعونه على الفور. وحجة القرآن تقوم على كل الاجتماع بإيمان أهل الميزان. هكذا بتقدم القرآن إلى جماعة اجتماع آخر، ويؤثر فيهم مثل هذا التاثير. هذا الذي يجعل الانقلاب قريبا. هو معنى قوله: **وما يدريك لعل الساعة قريب.** الفرق في فهم الانقلاب موجود. الذين يفهمونه هم يخافون من عاقبة، ويؤمنون بالقرآن، وستزيدون من علمهم بالقرآن ليكونوا على أمن من عواقب الانقلاب. والذين ليس عندهم فهم هم يمارون في الساعة هم في ضلال بعيد إلى الآن لا يحسون الحاجة إلى الانقلاب فلا يخافون، ولايتهيأون

---

(1) وضح الإمام ولي الله الدهلوي تلك الاصطلاحات في كتابه "التفهيمات الإلهية" توضيحا تاما على عدة مواضع.لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي،تفهميم:67، 243/1-245.

لاستقباله. ونحن نرى أمثلة هذه الآية الكريمة في زماننا بين قومنا في الهند: طائفة فهموا معنى الانقلاب العصري هم متيقنون بأنه كائن لابد، وهم يخافون من عواقبه، ويريدون أن يجعلوا قومهم تحت حزب الانقلاب؛ليكونوا في أمن. وطائفة أخرى هم كما ألفوا بالحكومة البريطانية تحت الدعاية المستمرة من سبعين سنة يقولون: إذا كانت حكومة الإنكليز قائمة على رأسنا فأي معنى للانقلاب؟ هذا حقيقتهم لا يعرفون معنى الانقلاب ثم يجعلونهم في أول صف الانقلاب، ولو بالإسم فقط. [1]

مسلم ليك[2] وكانكريس[3]. مسلم ليك تستعجل بالانقلاب التام، ولا تعرف معنى الانقلاب. وأما أهل كانكريس هم يعرفون معنى الانقلاب، ويخافون منه أن لا يتعجل قبل أن يتهيأوا للقبض على الحكومة الانقلابية، ويتقدمون كل يوم إلى جمع استعداد لذلك. فإذا استحضرتم المثال فالآن نكتب معنى الآية : **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** 18 فإذا حملنا الساعة على الانقلاب

---

(1) في ن م : لطيفة:" من إخواننا في لاهور جماعة عملوا دعاية في اتحاد الإسلام عملا حسنا في أيام الحرب الكبير حصلت لهم منزلة عند القوم،فبعد سقوط تركيا مابقي موضع لدعوة اتحاد الإسلام فهم يتشبثون بكل حشيش مثل الغريق يوما بإسم أمير الأفاغنة،ويوما بإسم أمير آخر من أمراء المسلمين التابعين للبريطانية فتشبثوا هؤلاء بأذيال البريطانية؛لأنهم يعرفون الأمر وجعلوا سترة على فكرهم إسم أمير من المؤمنين فأنشأوا جريدة جديدة بعد هذا الانقلاب سموها الانقلاب هم يعرفون الانقلاب الذي نحن ندعو إليه ويعتمدون علينا بأن معرفتنا حجة عليهم فجاء محرر تلك الجريدة وهي كانت مجيد بالمرة إلى الحج ويقين قلت أعمالك ظاهرة فلم سميت جريدة تلك بالانقلاب قال: إني في أول صفحة منها في أول عددها أشعت قصيدة لإقبال كان فيها ذكر الانقلاب فلذلك سميت جريدتي بالانقلاب هذا إنما هو إسم فقط وأنا امتحنته ففي قلبه فهم الحق موجود وهو مقصر قطعا في العمل يضلل الناس أن الانقلاب لايأتي؛لكن فيه قلبه ليس قوة التحمل أن يتقدمه أحد في دعوى الانقلاب .نموذج آخر عندنا جمعية سياسية وطنية إسمها بالإنجليز ناسيونال كانكريس معناه : المؤتمر الوطني مضى عليها فوق خمسين سنة،ومضى أدوار وأطوار في التقدم والتأخر؛لكن من أيام الحرم العمومي وانضمام المسلمين في مسألة الخلافة معهم صاروا أقوى قوة في الهند بعد قوة الحكومة ثم بنحو من الدعاية الإنكليزة وتأثيرها عامة المسلمين تخرجوا عنها، وما بقى فيها من الإسلام إلا الراسخون في السياسة العالمية.أما الذين أنظارهم كانت قاصرة على سياسة المسلمين فقط فبعد فساد مركز الخلافة ليس لسياسة المسلمين قرار فهؤلاء لايطمئنون في أفكارهم السياسية على شئ ما لأنه ليس فهم استعداد فهم السياسة للعالمية هؤلاء ارتجعوا إلى جمعية إسمها مسلم ليك.من أول أيامها هي جمعية الطائفة من المسلمين الذين يتبعون سياسة الإنكليز على جميع حالاتها ويعلقون فلاحهم برضاء الدولة البريطانية.وطائفة منهم دينية تابعون للقادياني فالسياسة القاديانية معروفة في العالم هي فرع في السياسة لمسلم ليك....إلى آخرها.قصة طويلة تشمل على عشرين صفحة لذا اكتفيت بهذا القدر.وهذه لاتوجد في ن إ .

(2) جماعة سياسية أنشأت لحرية المسلمين من الإنكليز والهندوس في شبه القارة الهندية.وكان قائد تلك الجماعة محمد على جناح.الباحث

(3) جماعة سياسة أنشأت لحرية الهندوس من الإنكليز في شبه القارة الهندية.وكان قائد تلك الجماعة مهاتما كاندي.الباحث.

فمثالنا موجود عندنا أم لا؟ وهذا معنى فهم القرآن. القرآن يعلم الأمر الكلي الأمرالعمومي ثم نتفحص له مثالا جزئيا على وجه الأرض إما في مجتمعنا وإما في مجتمع غيرنا. فإذا وجدنا ذلك نقرأ الآية مرارا ونطبقها على الأمثلة بالاطمينان لا للمراء والجدال ثم نستخرج نتيجة ما يأتي لنا فيما بعد بحساب تلك الأمثلة. هذا معنى التدبر في القرآن.

روح التغيير الذي نريده نحن هو أن يتوجه المسلم إلى الحرب الارتجاعي. الرجل الارتجاعى سواء كان المرتجع مسلما ونترك ولا نحارب رجلا كافرا يتقدم في الانقلاب. نجعل الارتجاعين محاربين، ونجعل الانقلابيين موافقين. هذا أمر عظيم في انقلاب الذهنية، ولو استمسك جماعتنا بمدارسة القرآن بالتدبر، ومطالعة فلسفة الإمام ولي الله نرجو من الله أن يستفيد ذهنيته إلى الإصلاح، ويكونون محفوظين من الفساد.

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ 19 الانقلابي إذا تقدم إلى الانقلاب كل وسائل الحياة التي كان يعتمد عليها تنقطع عنه. فإذا كان أحد يريد الانقلاب على حكم الله المتقرر في حظيرة القدس يأتي له الرزق بطرق لطيفته لا يصل إليها أفكار العامة. **مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَه فِي حَرْثِه وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِه مِنْها وَمَا لَه فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ** (**20**) الانقلابي الحقيقي هو الذي يريد نتيجة عمله الأخلاق العالية نتكامل فيه، وهو حرث الآخرة ينتفع بها في الآخرة. فمن يريد هذا نؤتيه مزيد مما يريده. هؤلاء هم عماد الانقلاب بهم يقوم الانقلاب، ويكون معهم جماعة لا تريد إلا متاع الحياة الدنيا. والفصل بين الانقلابيين غير ممكن. والجماعة الثانية تكون مع الأول. وهذا من لوازم الانقلاب؛لكن الله يعطي الطائفة الثانية في الدنيا فقط وما لها في الآخرة من نصيب. فالله لا يأمرنا بإخراج هؤلاء من جماعة الانقلاب فلو كان أحد يريد الانقلاب ليتمتع في الدنيا. هذا نقبله لا بأس به هو الذي نجعله في حكم أهل الذمة. وأما من يشرك بالله، ويأتي بقانون آخر مقابل قانون القرآن فليس عندنا من أهل الانقلاب بل هو يريد

الظلم لا نتقبله أبدا، وإن كان إفنائهم ليس في قدرتنا. وإليه الإشارة **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. 21**

قوله تعالى:**ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَه فِيها حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**23. . هذا بشارة لمن يقيم حكومة القرآن بالانقلاب. **قل لا أسئلكم** الخ أما النبي إمام الانقلاب فكأنه يحصل لنفسه حكومة الممالك فاعرفوا أني لاأسألكم ما ينفعني أو أهلي أو قومي خاصة سوى عامة المؤمنين أهل الانقلاب **إلا المودة**. كل واحد منكم يود أقربائه، ويجعلهم أهلا لاستفادته من ذلك الانقلاب، فتوسيع حركة الانقلاب، ونشرها في عموم الناس هو أجرى . **ومن يقترف حسنة** . . . ومن كان يود في غير القربى مثل مودته في القربى فقد اقترف حسنة نزيد له حسنا هو يكون مقبول العامة فيكون رئيسا للعامة في المعاملات. **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِه إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** 24. هذا الانقلاب إنما يتم بنشره في الأقرباء الأقرب، فالأقرب، وهم يقولون:إن النبى افترى على الله كذبا أن هذا الانقلاب يأتي بيد أمة تقوم على الإمبراطوريين، وهو لتصحيح كذبه يأمر العامة والخاصة للعمل في الانقلاب. وهل يمكن مثل تلك النشريات الغير المنظمة تقوم بمقابلة حكومات؟ فكأنه هو زور في قلبه شيئا، ويسعى لتكميله بكل قوته ونسبته إلى الله كذب، ويظهر ذلك الكذب أن الانقلاب لا يتم فإن كان أراده الله لا بد أن يكون يتم فأجاب الله . **فإن يشأ الله يختم على قلبك** لا يأتي في بالك كلمة على الانقلاب **ويمحو الله الباطل** . . هذا معنى الانقلاب: محو الباطل وإحقاق الحق، فيكون النبي ساكتا صامتا، والله يلهم كلمة الانقلاب في قلوب العامة، وأفكار الأذكياء منهم، وهم ينشرون بين العوام، ويتم الانقلاب. النبوة ليست لازمة لنجاح الانقلاب. مرور الانقلاب على انتشار الفكرالصحيح بين العامة. وهذا ممكن على وجه آخر أيضا. أفكار الطبقة المتوسطة تتأثر بتأثير الملائكة، وتنقلب خطراتهم أفكارا ينشرونها في الناس فيتم الانقلاب؛لكن

نتيجة تكون فيه عدم الانضباط الذي يعبر عنه بالفوضوية، والأنارثيزم. [1]وتلك الفوضوية قد رأوها في فتنة عثمان. هم يأتون بإبطال الباطل وإحقاق الحق؛لكن عن قريب ينفجر فيهم الفوضوية، ولا يقدرون على مداواتها. وأما الانقلاب بيد النبوة فيكون تحت نظام واحد، وقانون عادل قبل ابتداء العمل العمومي في الانقلاب أو نسخ إيمانهم على قبول أمر النبي على كل حال، والصبر على إطاعة، ويكون هذا أنفع للناس ثم يتأخر الفوضوية فيه، والنبي يعلمهم طريق النجاة منها فيخرجون سالمين. ومدح النبي ابنه حسنا وقال: ابني هذا سيد سيصلح الله به بين الفتئين[2] فكان سبب صلح بين الفئتين إذ صالح معاوية، وحسين كان متغضبا في ذلك؛لكن هو أطاع أخاه الأكبر، وفتح معاوية في البحر، وحمل على القسطنطنية. أليس هذا كله من بركات نبوة نبينا؟ **وَهوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** 25. هذا عندي إشارة إلى رجوع كبار الصحابة عن القتال بين المسلمين تم هذا.

الآن أمثلة لتقوية فهم هذا النظام، وقبل ذلك نكتب كلمة : القتال: قتل الإنسان بيد الإنسان حرام في التكوين، ويجوز في التشريع للضرورة. وأما الانقلاب فلا يكون القتل فيه محدودا على الضرورة بل يقتل مع العصاة البرئ، وإن كان في الآخرة يرجع كل واحد على حسابه، فهذا القتل الزائد على قانون الشرع الذي يقع في الانقلاب لازما يقتضي تحت قانون التكوين، فيقتل القاتلون، فإن كان جماعة أعلى من الحاضرين أقرب إلى الحق فلا يقوم جماعة أخرى لتقتلهم بل يقتل البعض بعضا. وذكر القتل في الانقلاب في سورة البقرة قوله تعالى:"**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّه هوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**"[3] هؤلاء الجماعة البعض منها يقتل البعض؛لأن

---

(1) في ن م:Anarchism. معناه بالعربية:الأناركية.هي كلمة يونانية قديمة أصلا وقد استخدمت طوال قرون في الكتابات العربية ويطلق على أتباعها اللاسلطويون.الباحث

(2) أخرجه الإمام أبو داؤد في سننه عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال: حدثني الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، وإني أرجو أن يصلح الله به بين فئتين، من أمتي» - وقال في حديث حماد - ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين " لينظر:سنن أبي داؤد,الإمام أبوداؤد السجستاني,رقم الحديث:4662,باب:ما يدل على ترك الكلام في الفتنة.(حكم الألباني:صحيح).

(3) البقرة:56.

هذا كان شرعيا فقط بل القانون التكويني يوجب أن يقتل البعض بعضا - **لن تجد لسنة الله تبديلا**- ثم يغفرلهم ويجازون تحت قانون. هذا شيء آخر. هذه هي حكمة الفتنة التي وقعت بين المسلمين. فالآن نذكر الأمثلة . الله ينزل الرزق على قدر ما يشاء تحت نظامه، ولوأعطاهم بدون نظام لأنكروا الرب وهذا معنى قوله: **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ** (27) الخ. **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ 29**. خلق السموت، وما بث فيهما من دابة كله تحت نظام دائمة. أنواع الدواب عنده في حظيرة القدس. **وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**- إذا تصرف في إمام يجتمع أفراده كتأثير البرق على الفور. هكذا للإنسان إمام إذا شاء أن يجمعكم على الفور تجتمعون. هذا في الآية المتأخرة. وقبل ذلك **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** (**30**)هذه إشارة إلى أن المصائب التي تصل الإنسان نتيجة أعماله هي من تأثير إمام النوع الإنساني. أعمال الإنسان ترتفع إلى الرب المتجلي في قلب الإمام: إمام النوع الإنساني. فإذا سخط ينقلب ذلك الأمر بصورة المصيبة، وتنزل على الإنسان، ولا يجازيكم بكل أعمالكم لحكمة مقررة في حظيرة القدس. هذا كله من تأثيرات النظام الإلهي. **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** (**32**)الخ هذا كله تحت نظام الهواء، والهواء بيد الله. **وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ** (**35**): الذين يريدون أن لاينتشر هذا العلم بنظام مقرر من طريق النبي، فالآية هي وجود نبينا _عليه الصلاة والسلام _يجادلون في ذلك يريدون أن لا يقع[1] العمل الانقلابي تحت نظام، فإن النظام إذا اقتضى اشتماله على هؤلاء فلا يقدرون على الفرار **مالهم من محيص**. فلنجاة أنفسهم من تلك المخمصة الطبيعية يريدون أن يبطل النظام من الأصل لا يكون النبي؛لأنهم يعرفون أن النبى إن وجد فمالهم من محيص. تم المثال الثالث، وبذلك اتصل **فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا**.

(1) في ن م: يقع.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(2)إِنَّا جَعَلْنَاه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. في هذا الموضع صرح البيضاوي أن القسم في القرآن يكون للشهادة، [1]فإن القسم والمقسم عليه هنا شيىء واحد. فإبانة الكتاب شاهدة على أن المراد تفهيمكم، وإلا فمسألة الكليات التي تذكر في السورة يمكن أن تجمل في عشر آيات، فالإطناب والبيان كله شاهد على أن الأمي العربي يفهم المسائل حقيقتها فتقريبا إلى أفهامهم يبين القرآن بيانا واضحا على منهاج اللغة العربية. نحن اتخذنا هذه الكلمة من البيضاوي[2] أصلا في جميع أقسام القرآن. وهم يريدون في التفسير جميع[3] الأقوال المختلفة بصورة الاحتمالات، فتكون التفاسير كلها ليست لتفهيم القرآن إنما هى دورات مقدمات مثل كتب اللغات تجمع معاني مختلفة وأقوالا مختلفة. والإنسان إذا تمكن من فهم مسألة بوجه، وأراد أن يأتي بشاهد ممن تقدم فليرجع إلى التفاسير يجد فيها قولا يوافق فكره. وأصل طريقة تعليم التفسير هو الطريق الذي حكيناه عن الإمام وجيه الدين الدهلوي[4] عم الإمام ولي الله. ونحن جعلنا الشيخ

---

(1) يدل عليه قول الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: حم والكتاب المبين: إنا جعلناه قرآنا عربيا: أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا، وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام: وثناياك أنها إغريض. ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، وبالقرآن من حيث أنه معجز مبين لطرق الهدى وما يحتاج إليه في الديانة، أو بين للعرب ما يدل على أنه تعالى صـــيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه. لينظر:أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف: أبو عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) 5/86ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى - 1418 هـ.

(2) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي(000 - 685 هـ = 000 - 1286 م) ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس -قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه القيمة: أنوار التنزيل وأسرار التأويل يعرف بتفسير البيضاوي، طوالع الأنوار وغيرهما. لينظر:الأعلام للزركلي,110/4-111.

(3) في ن م : جمع وكلمة الجمع أنسب بدل الجميع حسب السياق.الباحث.

(4) هوالشـــيخ العالم الكبير وجيه الدين الدهلوي أحد العلماء المبرزين في المنطق والحكمة، قرأ العلم على مولانا نظام الدين بن قطب الدين اللكهنوي,وولي التدريس ببلدة دهلي، أخذ عنه خلق كثير، وكان مفرط الذكاء، كثير الشعر.مات ودفن ببلدة دهلي، كما في رساله قطبيه.لينظر:نزهة الخواطر, عبد الحي الحسني,1132/7.

عبدالرحيم[1] مستتبعا لابنه الإمام ولي الله مجدد المأة الثانية عشر في الهند. وكذلك جعلنا الشيخ إبراهيم الكردي المدني[2] مستتبعا لولده محمد طاهر[3] مجددا في الحجاز للقرن الثاني عشر. [4]

هذه الآية في القرآن صارت منبع الإرشاد للمفسرين في فهم أقسام القرآن. ذكرنا قبل ذلك أن سورة الشورى بيان طريق الحكومة. ونذكر مثل ذلك مما صح لنا: أن سورة الزخرف تفسير لمقصد تحصيل الحكومة لهذه الجماعة الإبراهيمية الساكنة في الصحراء. ومرجع فكرنا هو إثبات أن ذلك[5] ليس لجمع زخارف الدنيا كما يكون المقصد في الانقلابات القومية عموما بل المقصد هو إظهار المزية الإنسانية الموجودة في طبقة مخصوصة من الإنسانية، فبحصول الحكومة لتلك الطائفة

---

(1) سبق ترجمته

(2) هو الشيخ إبراهيم بن حسن الكراني المدني الشافعي (ت:1101ه) لينظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين المؤلف: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى: 1317هـــ)54،الناشر: مطبعة المدني،ط: 1401 هـ - 1981 م.

(3) هو الشيخ أبوطاهر الملا محمد بن الملا إبراهيم بن حسن الكردي المدني الشافعي ولد1081ه= 1670م وتوفي عام 1145ه =1733م من مؤلفاته:له اختصار شرح شواهد السرخسي.لينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ت: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـــ)952/2 ،المحقق: إحسان عباس،الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، 2، 1982م.

(4) في ن م : هذه العبارة الطويلة " الإمام ولي الله اجتمع في قلبه علوم الشيخ عبد الرحيم الدهلوي الجامع لفيوض أهل الهند، وعلوم الشيخ إبراهيم الكردي بواسطة إبنه محمد طاهر. فإنه عكف عليه في الحجاز خاصة فتطابق الطريقتان عند الإمام ولي الله في الأصول,وانجبر نقصان كل طريقة .فإن الشيخ عبد الرحيم في طريقة علم الحديث كان قليلا. أما العلوم العقلية المكتشفة فإنه وصل فيها إلى نهايتها وطريقة الشيخ إبراهيم الكردي, فالعلوم,والأمور المكتشفة فيها كانت أنقص من طريقة الشيخ الدهلوي, والعلوم العقلية في كلتا هاتين الطريقتين متساوية متقاربة،فإن أسانيد الشيخين مجتمعة في جلال الدين الدواني،فانتظم الأمور لها عند الإمام ولي الله مطابقة لفطرته العالية على كمال نهائي لم يكن له نظير في القرون المتأخرة بعد سقوط بغداد قطعا.أما قبل سقوط بغداد فيحتمل احتمالا ما أن معنى رجل مثله.أما فنحن فنصرف،وندعي أنه لم يكن مثله لابعده،ولاقبله نعم في بعض الفنون الأساتذة قد مضوا قبله قطعا،والجامعية التي وجدناها في الإمام ولي الله فهي مختصة به. وإذا ذكرنا أن الإمام ولي الله أخذ علوم والده كلها،ولو ضمنا إليه علوم عمه الشيخ أبي الرضا محمد بن وجيه الدين لأظهرنا إليه ما قصدناه تاما,وأبو الرضا لم يدركه الإمام ولي الله إنما أخذ علومه بواسطة أبيه،وبواسطة أصحاب الشيخ أبي الرضا محمد سوى والده،والإمام ولي الله جمع علوم أبي الرضا فإنه تربى عليه.والشيخ أبو الرضا طريقته مشكلة غير طريقة الشيخ عبد الرحيم.ونحن نرى طريقة الشيخ أبي الرضا مستقلا أو جزئيا،وأوفق تطبيقا بطريقة الشيخ إبراهيم الكردي ومشائخه من أهل الحجاز ثم الإمام ولي الله جمع كتابا إسمه أنفاس العارفين.ذكر في الفصل الأول منه أقوال الشيخ عبدالرحيم والده،وذكر سيرته.وفي الفصل الثاني جمع سيرة عمه أبي الرضا محمد.وأنا رأيت بالتتبع كثيرا من مسائل الحكمة للإمام ولي الله مبنيا على تحقيقات الشيخ أبي الرضا،ومختاراته هذا إنما جرى ذكر المفسرين. فالشيخ عبد الرحيم قام منه علم التفسير إلى زماننا هذا، والشيخ إبراهيم الكردي هو مركز علم الحديث إلى يومنا هذا؛فلنجعل الشيخ أبا الرضا محمد إماما في الكشفيات مستقلا. إنما يشبه بنوع ما من التشبيه بالإمام عبد القادر الجيلاني،وهو مستفيد من روحانيته رجعنا إلى أصل المسألة".لاتوجد في ن إ.

(5) في ن م: تلك

يشتهر أمر في جميع الإنسانية، ويكونون قدوة صالحة في تلك المزايا لعموم الإنسانية. فنسبة السورة إلى الزخرف كالنفي له. سورة نفي الزخرف نذكر مقدمة تنفع في فهم أكثر السورة. عادة العرب في بيانهم أنهم يأتون بأشياء عامة تتوجه إليها أفكار الحاضرين بطبيعتها، ويدخلون في ذلك البيان لطافة حتى تجذب توجه الحاضرين. وهذا عمل فطري لكل رجل يريد أن يلقي أفكارا على المخاطبين، فأول غرضه يكون استجلاب توجه الحاضرين إلى نفسه حتى يشتاقون إلى سماع كلامه. وهذا إنما يمكن إذا بحثنا في ما يبحث عنه عامة الناس، وقدرنا على إيجاد اللطف والدقة والجدة في بيان تلك الأمور العامة. ومثال ذلك قصائدهم في الجاهلية هي منبع علومهم، ومبلغ فضيلتهم تجدون في أوائلها تشبيبها؛لأن عامة الإنكار في ذلك المجتمع إنما كان قضاء شهوات الرجال من النساء فلا تجدون عربيا نابغا يأتي بقصيدة إلا وهو يأتي في أولها حديث النساء[1] فيتوجه كل من حضر بطبيعتهم إلى استماعها، ويكون فيه نوع من اللطافة يستجلب أنظار العامة والخاصة ثم ينتقل إلى المقصد: إلى مدح أو هجو فيحفظ الناس عامة كلامه. هذا جزء من تحقيق أدب العرب في الجاهلية. الآن ننتقل إلى ما اختاره القرآن مقام التشبيب[2] بعد نزول القرآن كان أحاديث الخاصة والعامة الذين لهم حصة في التقدم على الاجتماع:هو التنقيد على اعتقادات القرآن. البعث بعد الموت مبنى الجزاء. والقرآن يجعل جزاء فعل الإنسان معه أين ما كان؟ لا يتركه جزاء عمله، ولو مضى على ذلك ألف سنة. هذه [3] المسألة من مسائل الحكمة الأصلية، ويستلزم ذلك البعث بعد الموت فيبحثون عنها ويتشككون فيها ثم مسألة أخرى أهم من ذلك في تعليم القرآن هي جمع الناس كلهم العرب والعجم. جاء ذكر ذلك ضمنا في مخاطبة النبي لأبي جهل عند أبي طالب ساعة احتضاره قال النبي: أقول كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي إليكم العجم الجزية قال أبوجهل كلمة واحدة؟ قال: نعم فلما بين النبي أن تلك الكلمة هي لا إله إلا الله أنكروا ذلك وقالوا: ﴿أَجَعَلَ

---

(1) ليراجع نفحة اليمن, ديوان الحماسة , مقامات الحريري وغيرها.الباحث

(2) من المجاز: ({التشـبيب) وهو في الأصـل ذكر أيام الشـباب واللهو والغزل ويكون في ابتداء القصـائد، سـمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب.لينظر:تاج العروس,محمد الزبيدي,96/3.

(3) في ن م: تلك

الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)[1] فتوحيد الرب في خلق السموت والأرض صرحه القرآن أنه فطرة الإنسان. أهذا هو مبنى الدعوة القرآنية؟ كلا! الدعوة القرآنية إلى التوحيد معناها كلمة يتفق عليها العرب والعجم فلا يجد الإنسان في طول تدبره في الاجتماعيات كلمة يجتمع عليها أهل النظر من جميع الطبقات الإنسانية من طبيعي رياضي إلهي حتى تصير تلك الكلمة مرجعا لاجتماع الإنسانية العمومية لا يجد إلا كلمة لاإله إلا الله. هذا التوحيد هو الذي يدعو إليه الإسلام. والناس المستغرقون في قوميتهم المستعجبون بآبائهم هل تجدون فيهم قوة القبول؟ أن الإنسانية العامة تجتمع فعليا على شيء؟ لو شققتم قلوب هؤلاء ما قدرتم أخطاء تلك الكلمة على بالهم؛لأن جمع القوميات يبطل خصوصيات القوميات كلها، وهم لا يفهمون معنى الإنسانية إلا قومهم.

فبناء على هذا الفكر العمومي الرائج في فكر العرب أن العرب والعجم لا يتساوون أبدا. وأن فضيلة العرب على جميع الأقوام طبيعية للإنسانية، فمن هذا الوجه يتناقشون في التوحيد. كيف يكون إله العرب وإله الأقوام واحد؟ لو سلمنا هذا اجتماع العرب والعجم في مسجد ذلك الإله على درجة المساواة، وهذا لا يكون أبدا ثم مسألة ثالثة مهمة في الإسلام: من يؤمن بتوحيد الرب رب العالمين رب الأقوام فليؤمن مع ذلك أن هذا القرآن هو قانون ذلك الرب فلازم على كل أحد أن يطيع ذلك القانون إن كان آمن بالرب للفرق بين الدرجتين يستعمل القرآن كلمة الإيمان، وكلمة الإسلام فمن آمن بالرب الواحد لازم عليه أن يسلم وجهه لهذا الكتاب. فالشبهة الظاهرة في هذه

---

(1) أخرج الإمام الطبري هذا الأثر بسـنده: عن سـعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: (لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته; فبعث إليه، فجاء النبي صـلى الله عليه وسـلم فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشـي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول; قال: فأكثروا عليه القول، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:"يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية"، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشـرا; فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال:"لا إله إلا الله"; قال: فقاموا فزعين ينفضـون ثيابهم، وهم يقولون: (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشـيء عجاب) لينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ت: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)12/ 150, ت: أحمد محمد شاكرالناشر: مؤسسة الرسالة, ط: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

العقيدة تنشأ من أن هذا الكتاب عربي من إنشاء محمد بن عبدالله فيجاب عنها[1] أنه ليس إلا رسولا يوصل إليكم كلام الرب المتقرر في الملأ الأعلىٰ، فيتناقشون هذا بشر مثلنا كيف يكون رسول الإله؟.

جملة معترضة: معنى الرسول ليس المقصود منه إثبات علوية ذات النبي، وجعله في طبقة الجواهر المجردة من العقول، والملائكة كما هو ذهنية الصابئة لم يكن[2] غرض من الرسول إلا أنه سمع من ملك كريم ما تقررعندالرحمن فأبلغه إلى قومه بالأمانة، فيكون فيه استعداد الأخذ من الملائكة؛ وذلك لصدقه وأمانته لايستبعد فيكون فيه قوة تبلغه إلى قومه، فيجعلهم مضطرا إلى اتباع هذا الكتاب لا يترك لهم منفذا. هذه قوة عقلية وحكمة، فالرسول يحتاج في ثبوت رسالة إلى صدق وأمانة وتفهيم وحكمة. وهذه الأوصاف موجودة في نبينا بشهادة المخالفين، وبذلك يفرض عليهم إطاعة القران: كأنه حكم من الرحمن. هذا يثقل عليهم بالمرة فيتناقشون فيه إما بذهنية الصابئة أنه ليس مجردا من الأكل والشرب وإما يجعل أنفسهم مساوين للنبي في الكمالات، فلم لا ينزل إليهم رأسا؟وإذا قيل لهم أن نظام الإنسانية لا يقوم بهذا فيقولون لم لا ينزل على رجل عظيم يكون عنده مال وأولاد واتباع؟ومثل هذه المناقشات الثلٰثة غلبت على اجتماعات الناس في مكة بعد نزول القرآن وصار ذلك مثل أحاديثهم عن لذاتهن. فالآن إذا أردنا أن نخاطب العرب مراعيا لذهنيتهم وفطرتهم فواجب على المتكلم أن في الأحاديث العامة، ويأتي في البحث بأسلوب غريب، فإذا التفتوا إلى المتكلم فلينتقل إلى ما أراد إلقائه في ذلك المجلس. هذه[3] مقدمة كلية لفهم عامة السور المكية، وما تنبه على ذلك عامة المفسرين فلم رأوا التكرار التماثل في المسائل الثلاث في مبدأ كل سورة؟وما قدروا على فهم لطافة الأساليب في كل سورة. فإن ذلك ليس مما يهمهم هم فرضوا في أنفسهم قاعدة: المخاطبون أميون جاهلون، فالخطاب لا يجب فيه رعاية العقلية بل يلقى إليهم

(1) في ن م : من تلك الشبهة
(2) في ن م : ليس ذلك بغرض
(3) في ن م : تلك

المسائل بأي وجه أمكن حتى يحيط بأفكارهم ويصيرون مضطرين للإذعان بذلك، فعلى هذه[1] المقدمة اعتمد أوساط المفسرين من أواخر زمن بغداد، وهم مخطاؤن في ذلك[2]. العاقل إذا خاطب الجهال فأما أن يكون كلامه مختصا بذلك المقام لا ينتقل إلى مقام آخر، ففي تلك الصورة يمكن أن يوجه لمقدمتهم بنوع من التوجيه. أما إذا نقل ذلك الكلام إلى مجمع العقلاء، فالعاقل يستهين عنده نفسه أن يتكلم بكلام لا يكون له قدر عند العقلاء. فالقرآن لما جعل يقرأ في صلوت المسلمين عامة في جميع أقطار الدنيا أفلا يمرذلك الكلام على مجمع من العقلاء؟ وهم إذا وجدوا عامة الكلام غير مبنية على طريق العقلية. أفلا يجعلونه ساقطا عن أنظارهم؟أيمكن لرجل أن يتخيل في حق كتاب الله أن لا يكون فيه مداواة هذا المرض كلا! القرآن راعى أعلى ميزان الفطرة الإنسانية في أساليبه، وفي جمله في كل آية آية منه؛لكن هذا الفكر الباطل إنما غلب على طوائف من المفسرين لبعدهم عن ذهنية العربية، وعدم فراغهم للتدبر في آيات الله. تمت المقدمة الكلية.

لطيفة: الشيخ الشبلي[3] من رفقائنا مثل عدم الترتيب في آيات القرآن بمثال كثيب من الأزهارالمختلفة من الورد، وغيره من أقسام. [4] فأي شيء منه أخذته فيه لطافة رائحة طيبة، ومنظر لطيف. وأما مجموعتها فهي كالكثيب فهو المسكين رأى في ذلك جميع أنواع التكريم والاحترام التي كانت له في القرآن؛لكن لما قرأت أنكرت ثم شرعت في التدبر فوجدت كل سورة منسلكا في سلك. [5] **"وَإِنَّه فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ" 4**. قد ذكرنا في المقدمة أن معنى هذه الآية

---

(1) في ن م : تلك
(2) في ن م : خطأ بينا
(3) هو الشيخ شبلي بن حبيب الله البندولي ولد سنة 1274ه بقرية بندول من أعمال أعظمكده وكان من شيوخه:مولانا فاروق بن علي العباسي الجرياكوبي،الشيخ أحمد علي بن لطف الله الماتريدي السهانبوري وغيرهما،كان قوي الحفظ،دقيق النظر قوي الحجة.له مصنفات قيمة منها تاريخ الكلام،مقالاته في رسائل شبلي ومقالات شبلي وغيرذلك. توفي بالإسهال الدموي ضحوة يوم الأربعاء لليلة بقيت من ذي الحجة سنة 332ه.وألف ببلدة أعظمكده.لينظر: الأعلام للزركلي,8 / 241-242.
(4) في ن م : وغير ذلك من أقام
(5) في ن م:هذه العبارة الطويلة "والعجب أن تلميذه وصاحبه وأخوه الشيخ عبد الحميد الفراهي يؤمن بنظام القرآن على ضد الشبلي المضادة الواصلة إلى درجة التناقض.وفي آخر عمره الشبلي اعترف بقوة عبد الحميد أنه كان يكتب ذلك بالعربية، وكان يعرف أن العرب لايلتفتون إلى أفكار العجم في مثل ذلك،وكان يوجب أن كل ما ينسخ له بالهندية؛لكن لم يكن عند عبد الحميد قدرة التحرير بالهندية.فكثير من الأفكار العالية حررها الحميد ما جاءت على صفحات الكتاب،ولو أنه كان تفكر أولا في لسانه انشرح صدره بالبيان.تمت اللطيفة". لاتوجد في ن إ.

مفيد في فهم معنى الرسالة. في حكمة الإمام ولي الله أن في حظيرة القدس درجات 1: في أعلاها تتنزل الحكمة من الرحمن بالصورة الروحانية يعني المعاني المجردة عن الألفاظ يشير إليه قوله **بالروح من أمره**، ونحن لا نقدر على تصور حقيقته إلا إذا قدرنا على تجريد أنفسنا من البدن ثم من النسمة. فمن لم يغذ بالتجريد ليس حظه في تلك الدرجة إلا الإيمان والتسليم. 2: الدرجة الثانية في حظيرة القدس يأخذ تلك المعاني صورا من الألفاظ في لغة من يبعث إليهم الحكمة مراعيا لذهنية الرسول المبعوث فيهم. فالناس في الظاهر يدركون أن هذا من إنشاء هذا الرسول. وفي الحقيقة يكون كتابا مرتبا في حظيرة القدس مناسبا لذهنية الرسول، فيأتيه ملك كريم، فيتلقى الرسول منه، ويفهم معانيه كأنه كلامه هذا تتمة قوله قرآنا عربيا ثم من قوله:(**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5) إلى وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ (7) فَأَهلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8) وَلَئِنْ سَأَلْتَهمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِه بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّها وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهورِه ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْه وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هذَا وَمَا كُنَّا لَه مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14) وَجَعَلُوا لَه مِنْ عِبَادِه جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (15) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهه مُسْوَدًّا وَهوَ كَظِيمٌ (17) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ همْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهدُوا خَلْقَهمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهمْ وَيُسْأَلُونَ (19) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهمْ مَا لَهمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ همْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20) أَمْ آتَيْنَاهمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِه فَهمْ بِه مُسْتَمْسِكُونَ (21) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهمْ مُهتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ**

مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْه آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِه كَافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنَا مِنْهمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ 25. هذا كله تمهيد مثل التشبيب كما ذكرنا في المقدمة: هم يتناقشون في التوحيد والرسالة والقيامة. وكله منسلك في سلك لطيف نترك بحثه لوقت آخر.

هذا تفسير لكونهم مسرفين لا ينظرون إلى المقصود من تلك الجواهر: عقيدة المجازاة عقيدة توحيد الأمم عقيدة الرسالة نزول كتاب من الله من يتبعه يرحم في الأرض، فلا يبحثون عن أشياء من الحكمة يدركها عقولهم، وينتقلون إلى مباحث لا تدركها عقولهم. هذا إثبات لإسرافهم. فإن كانت طوائف مسرفين ففيكم رجال فطرتهم سليمة نقيم بواسطتهم الملة الحنفية نعم نفعها لجميع الإنسانية، فلا يجوز ترك خطاب العرب بسبب إسراف بعض المسرفين؛لأن فيهم صلاحية إقامة الملة الحنيفية. **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيه وَقَوْمِه إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** فالأمر الخاص بإبراهيم أنه لا يؤمن إلا برب فطره، وأنه يتوكل عليه بأنه سيهدين. وما عدا ذلك مما يعبده الناس تبرأ من ذلك كله. هذا هو مظهر فطرة إبراهيم. هي حقيقة الفطرة الإنسانية. **وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِه لَعَلَّهمْ يَرْجِعُونَ**. فتلك الكلمة كانت باقية في بني إسرائيل إلى زمان فحرفوها إلا أفراد منهم، وبقي استعداد حملان تلك الكلمة في نسل إبراهيم من إسماعيل سالما. لم يجرب بعد لا بالنبوة ولا بالسلطنة. هؤلاء موجودون في العرب. هذا الذي نحن نذكر طائفة من قريش كانوا رجعوا من الحنيفية، وكان البعض تنصر يميل إلى قيصر، وأكثريتهم غلب عليهم الصابئية، وعبادة الأصنام وكانوا يميلون إلى كسرى. فالطائفة القائمة على الحنيفية كانت تريد ترك كسرى وقيصر ترك اليهودية، وإقامة الحنيفية على طريقة إبراهيم، وإسماعيل منهم كان نبيا، وطائفة قليلة، فصدق أن كلمة إبراهيم كانت باقية إلى يوم المبعث. وإذا رجعنا إلى التوراة في كتب آخرهم في المتاخرين من أنبيائهم هم ينكرون على بني اسرائيل أن يتسموا بأولاد إبراهيم. نبي لا أذكر إسمه يقول لهم: إن الله قادر أن يقيم نسل إبراهيم من حجارة. أما أنتم فلستم منه. فقوله:"**بَلْ مَتَّعْتُ هؤُلَاءِ وَآبَاءَهمْ حَتَّى**

جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ" فالله حفظ عقب إبراهيم في جبال، وعصمهم عن الاختلاط بأقوام حتى جاءهم رسول يجمع الأمم على طريقة إبراهيم، فتعليما لهؤلاء نزل القرآن عربيا. والذين يسرفون في فهمه ليسوا مرادا. ومن كان على طريقة إبراهيم في مدافعة للآلهة كلها سوى الرب الخالق متبعا للبذر المبقي في قريش في مكة فكلهم مخاطبون بالقرآن، ولو كانوا إلى آخر أقطار الأرض. ومن ليس فيه تلك الكلمة أنه يتبع ربه فقط ويترك جميع ما عداه [1]فليفهم أنه ليس أهلا لخطاب القرآن. **وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ** هذا قول أكثرهم مع كونهم لا يستحقون أن يفهموا القرآن أول مرة؛لكن فيهم رجال إذا تكررعلى أذهانهم يستيقظون وفيهم كالأموات هؤلاء لاغرض بهم. وأما الذين نائمون فيتفكرون أن رجلا ذا مال وجاه يكون محل نزول القرآن[2] ولا يفهمون أن المخالفة التي تقوم بالإيمان بالقرآن من جهة أقوام، وملوك هل يقدر هؤلاء السراة من الحجاز أن يقاوموه؟ لو كان هذا دينا حجازيا فقط لكان لقولهم وجه. أما الآن فهم لا ينظرون إلى المسألة على وجهها. **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** مكة, والطائف[3] كان فيه أصحاب الثروة، والحكم فيقولون ينزل على مثل هؤلاء الرجال، والقرآن يرد عليهم "**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهمْ مَعِيشَتَهمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**"هذا القرآن يستدعي قوة إنشاء الانقلاب العظيم في الدنيا، ولا يقدر عليه كل أحد إلا برحمة من ربه. فالحياة التي مضت على النبي أربعون سنة. والحياة التي مضت على أصحاب الثروة إذا قاسوا بينهم لوجدوهما متباينين. هؤلاء أصحاب الثروة كلهم بدون استثناء أنهم يقضون شهوات بطونهم وفروجهم كأنهم ماخلقوا إلا لذلك، وجمعوا الثروة لذلك المقصد لا فيه قانون وإنصاف بل يأخذون من الضعفاء والمساكين إذا قدوروا عليهم. مات أخوهم ترك ولدا يتيما وارثا له فيأكلون جميع ميراثه قبل بلوغ هذا اليتيم. وإذا كان خصومة بين عائلتهم وبين غيرها فوض الأمرإليهم فلا يقضون إلا لعائلتهم مثل هذا ترون

(1) في ن م: فإذا لم يكن فيه استعداد وقوة تلك الكلمة.
(2) في ن م :هذه العبارة" فيتفكرون أن رجلا ذا مال وجاه يكون محل نزول القرآن" لاتوجد في ن إ.
(3) في ن م: والطائفة لكن كلمة " الطائف" أنسب هنا.

حياة هؤلاء العظام من القريتين أنهم يقيمون الدين على العدل والإنصاف. وبمقابلة ذلك يرون سيرة النبي صدوق أمين، فرحمة الرب تقتضي أن يكون هو إماما أو يكونوا هم. هم يعرفون نظام تقسيم المعيشة، ويعرفون اختلاف المراتب فيها أعلى وأوسط وأدنى. كل ذلك تحت نظام وقانون ليمكن جمع الناس لمجتمع صالح، فإذا كان الناس في المعيشة سواء لا يقدر أحد على تسخير الآخر بجعله تحت حكومة، فيعيشون مثل الحيوانات لايرتسخ فيهم اجتماع ولا يحدث فيهم تمدن. تقسيم المعيشة، وجعلها على طبقتين وحكومة طبقة, وإطاعة الأخرى لها هو الذي نظم الإنسانية، وقسمها على مدن طويلة عريضة كما ترون أن المعيشة، وتفاوت أفرادها سبب للاجتماع؛وذلك الاجتماع يكون في الإنسانية في الدرجة الأدنى. يسخرالبعض الآخرين بسبب زيادة المعيشة في أيديهم. والنوع الآخر من الاجتماعية الإنسانية يجتمعون تحت أمر رجل لفضيلة الإنسانية لا لمعاشية، فرجل بلغ في العلم درجة عالية فالتلاميذ الذين يحبون علمه، وليس عندهم ذلك العلم يجتمعون حوله، وينشأون مدينة فهذه المدينة أعلىٰ من الأولى. كذلك رجل عادل منصف، وآخرون بينهم خصومات فلا يجدون في الأرض يكون في الحكم بالعدل مثله يجتمعون حوله، ويطيعون أمره فينشأون نوعا آخر من المدينة العالية. فإذا كان جماعة فيهم رجال بالغون في العلم غاية، وآخرون يحكمون بين الناس بالإنصاف يجتمع الناس حولهم ينشأون مدينة. هذا يكون مثلا أعلى في المدينة، ولا يكون الحكم على هؤلاء إلا الله الواحد فاطر السموت والأرض.

كل أمر يؤمرون يجدون في أنفسهم حاجة إلى ذلك الأمر. لو لم يأتهم الأمر لفعلوا مثل ذلك، فيجدون ذلك الأمر رحمة لا ثقلا. والله يقول لهم أنتم تعرفون اجتماع الناس تحت قانون تقسيم المعيشة. ونحن نريد بالناس رحمة أكمل من ذلك. إلى هذا إشارة **ورحمة ربك خير**. الخ فلإنشاء تلك المدينة العالية هم ينتخبون لنا رجالا نوحيهم الدرجة العالية في تلك المدينة، والحال أنهم لا يفهمون تلك الدرجة العالية من المدينة. هذا الذي أسباب المعيشة عندهم لها عظمة بمقابلة تلك الرحمة التي يريدها الله بعباده لا قيمة لها. إليه الإشارة **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ إلى. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا**

عَلَيْها يَتَّكِئُونَ (34) **وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِين** 35. هذه الأشياء ليس لها قيمة في نسبة ما نريده نحن. **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَه شَيْطَانًا فَهوَ لَه قَرِينٌ 36** الذي لا يتوجه إلى فهم المسألة يأتي معه رجل يصده عن ذلك حتى إذا جاء يوم الانقلاب يريد القرار عن القرين؛لكن لايمكن له الحرب إذا وقعت بين الطائفتين فإذا كان أهلا للحرب فلازم أن ينضم إلى أحد الطرفين، ويكون بين المتحاربين جماعة ليس لهم غرض في المحاربة مثل أصحاب الحرف والصنائع. في حرب الأديان، والبرنامجات العالية من يكون في خيارعن الطرفين يجعله القرآن من أهل الأعراف. وأما المتحاربان فأحدهما للجنة والآخر للسعير.

نتكلم بلسان العصر: الانقلابيون والارتجاعيون متحاربان. الانقلابي في جنة، والارتجاعي في السعير؛لذلك جزمت أنا من لم يوفق النظر في السياسيات الاجتماعية لا قدرة له على فهم القرآن.

جملة معترضة: فإذا خرج من حزب الانقلاب,وبقي متأخرا عنهم فلازم في تلك الحالة أن يأتي إليه رجل من حزب الارتجاع,ويدعوه إلى حزبه,ويكون معه قرينا حتى إذا غلب أهل الانقلاب فيريد الانقلابي أن يخرج من جماعة الارتجاع، وينسب نفسه إلى الانقلاب؛لكن بعد غلبة الانقلاب لايقدرعلى ذلك، ويؤاخذ مثل الارتجاعي. إلى هذا إشارة في قوله: **ومن يعش**. . الخ -

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 40 هؤلاء الذين سميناهم أصحاب الأعراف ليس لهم بحث في هذا الجدال والقتال، فإضاعة القوة الانقلابية بصرفها في غير مصارفها غيرجائزة. والغرض في تلك الحالة حصول الغلبة على الارتجاعيين، فإذا حصل ذلك فأصحاب الأعراف يكونون من اتباعنا تماما **فَإِمَّا نَذْهبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهمْ مُنْتَقِمُونَ** 41. . هذا النزاع بين الحق والباطل والانقلاب. وغلبة كائن لا محالة ليس الأمر كما يزعمه الناس. أنت الذي تثير الانقلاب بل وجودك يكون رحمة للطرفين الانقلابي والارتجاعي، وهو واقع لايصد عنه شيء. هذا الذي يدل أن شريعة نبينا كلها مبنية على الحكمة. المفسد والمصلح موجودان أولا فإذا أوجبنا

على المصلح شيئا ليس أمرا جديدا منا بل هو لمصلحة له فيكون الحسن والقبح عقليين، وإلا كان بعثة الانبياء مصيبة على الناس لا رحمة فرحم الله الفقهاء وغفرلهم الذين لم يفهموا حقيقة الأمر، وتداخلوا في مدارج علمية ماكانوا أهلا لها، ولم يكونوا مكلفين بها فأفسدوا أمر الناس بدون قصد منهم. والإصلاح الآن لا يمكن إلا بتجريد النظر في مطالب القران، وعدم الالتفات إلى ما نظمه الفقهاء.قوله:**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** 43 لما كان وقع الانقلاب[1] قطعيا فالبرنامج الصحيح كيف يتركه الإنسان خصوصا لما كان ذلك الانقلاب عائدا إلى هذا الرجل وإلى قومه. فكيف يمكن السكوت عنه؟لأن كل أهل عقل يسأل: أنه أي شيء عمل لفلاح قومه؟ وإلى هذا إشارة **وَإِنَّه لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ 44 ولقومك وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ 45**. الانقلاب دائما يأتي على هذا الأصل: إله حق أمره واقتضائه كله فطرة إنسانية . هذا دين أصلي. والناس يعبدون آلهة أخرى ويختلقون بإسمهم أديانا أدنى من دين الحق، ويغلب هذا الأدنى على أكثر الإنسانية، فيقوم نبي ويدعو إلى دين الإله الحق ويحق الحق ويبطل الباطل، فيتحقق الانقلاب الكلي على وجه الأرض، ولا تجدون في الأرض انقلابا كليا إلا تحت ذلك القانون. والمراد من الانقلاب الكلي عندنا محو الارتجاعيين عن وجه الأرض. وأما الانقلابات الجزئية فتكون بدون دعوة الأنبياء بتنظيم المصلحين بعض الأمور الاجتماعية، فلا يمحى قوم بل يقوم حزب عوض حزب، فمثل هذا الانقلاب الذي أتى به القرآن كان انقلاب موسى وفرعون، فذكر الله: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ 46**. ثم بعد موسى انقلاب ابن مريم. هذا مثال للانقلاب الجزئي، فالجزئي يكون على يد الأنبياء، وعلى يد غير الانبياء. ولما جاء ذكر ابن مريم على سبيل المثال اتخذه قومك طريقا للمخاصمة، وجعلوا النصرانية المحرفة من مسلمات القرآن، وشرعوا في الخصام . **وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هوَ مَا ضَرَبُوه لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هم قَوْمٌ خَصِمُونَ** 48. ابن مريم إله في المحرفة ليس بمسلم في القرآن جعلوا تلك الكلمة حجة لأنفسهم مثل المجادلين

(1) في ن م : الانقلاب لما كان وقوعه.

إِنْ هوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه وَجَعَلْنَاه مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ 59 هذا بيان لحقيقة المسيح في التعليم القرآني كان مثلا أعلى لبني إسرائيل في زهده واعتماده على الله في تنظيم الانقلاب بعد ثلث مأة سنة غلب دينه على الأرض. وقبل ذلك اليهود كانوا يظلمون النصارى ما استطاعوا، لكن تعليم عيسى أثر فيهم. هم ماانحرفوا عن منهجهم. واليهود عذبوا عذابا شديدا لعدم اتخاذهم بمواعظ ابن مريم. فما انتفعوا بذلك كان مثلا أعلىٰ لنجاة بني إسرائيل. وما كان يسلب ملكهم. وكان هو مثل الملائكة. وقد تحقق في حكمة الإمام ولي الله: أن بعض الأفراد في الإنسانية يكون المادة الغالبة عليهم أم العناصر كما ترون في الطب: رجل غلب عليه النار فصار صفراويا، ورجل غلب عليه الماء فصار بلغميا. ولكل أمراض، ولكل أدوية مفردة. كذلك رجل يكون المادة الغالبة فيه الماء الذي خلق الله جميع العناصر منه، وكان عرشه على الماء ثم بعض الرجال يكون المادة الغالبة عليه من الماء الذي هو أصل الماء: هو الطف المواد لا يوجد مادة الطف منه هذا الرجل يسمى في حكمة الإمام فردا. وتلك الجماعة أفراد. هؤلاء الأفراد يقتدرون أن يجعلوا أنفسهم مثل الملائكة، فإبن مريم كأنه من تلك الأفراد؛لأنه ما خلق من مادة مزدوجة من الأبوين نفخة الملائكة نفخة الملكية تجعل المادة التي خرجت من أمه في اللطافة مثل الماء. عندي إلى هذا المعنى إشارة في قوله: **وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ60**.

وَإِنَّه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ 61. وكان الله يخلق أفرادا من العماء[1]. وهذه المقالة مبسوطة في التفهيمات. وَإِنَّه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فسرها المفسرون بأن عيسى

(1) يذكر الإمام الدهلوي بعد ذكر التمهيد في تفيهم 67 قوله:" إذا تمهد هذا فاعلم أن حقيقة الجسم بسيطة من وجه مركبة من وجه واختلاف الوجوه هو السبب لاختلاف القوم.وهو العماء في لسان الشرع وهو طبيعة هيولانية قابلة لجميع الصور الروحانية والجسمانية.وقيومها الرحموت وهو الذي كان شرطا لوجودها كفت قيومتها بالعماء عن القيومية التي تحتاج لها الهيولي إلي الصورة،والعماء قديم بالزمان حادث بالذات.وسئل النبيﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق قال كان في عماء ما فوقه هاء وما تحتة هواء.(١) والعلماءكمرآة الحموت يظهر فيها جماله فتسمي باعتبار هذه الصفة هيولي وباعتبار تقومها بالحموت جسما، وباعتبار كونها مبدأ لظهور الآثار طبيعة كلية.(٢) ومقتضاها الأولي في الأفلاك الحركة الدورية اليومية،وفي العناصر الحركة التقلبية بالكون والفساد، وللعناصر والأفلاك طبيعتان الظاهر منها الحركة الدورية والتقلبية.وهي فرد من الطبيعة الكليه ليس لها من قبل ذاتها،والثانية الطبيعة الخفية.وهي الحركة المختصة بكل فلك والطبيعة المختصة بكل عنصر.وهي مما أودعها الرحموت فيها وجبلها عليها في أول فطرتها.فمن نظر إلي أن هذا الشيء أصل الأجسام وهو واحد بعينه،وإنما تعدد الأجزاء بمنزلة

وقت نزوله يكون علما للساعة[1]. [2] وعندنا هو تحريف للقرآن هم اعتقدوا أن عيسى ينزل من السماء مثل اليهود والنصارى، وليس عندهم من دليل إلا روايات اشتبهت على الرواة حتى دخلت في الصحاح، وجزموا بنزوله. فلما رأوا هنا وإنه لعلم للساعة حرفوها لعقيدتهم. هذا كله خطأ، وتحريف للقرآن. الظاهر المفهوم من السياق أنه أي ابن مريم لانزوله علم علما أهم علومه علم الساعة، فقال إن عيسىٰ علم للساعة يعلم الناس الساعة. والمراد من الساعة ساعة الانقلاب[3] وهو مجيء نبينا _عليه السلام_ هو فهم قومه أولا معنى الانقلاب ثم وقف في نصف البيان، وقال يأتي ذلك البيان من لسان من أنا أرسله. أنتم الآن لا تقدرون على فهم تلك الكلمات كلها. هولا

تعددها في الإنسان حيث يتضمن الحيوان والناطق، فلا يقدح هذا التعدد في وحدته قال حقيقة الأجسام بسيطة،ومن نظر إلى التعداد ولم يهمل أمره قال مركبة. **ولكل وجهة هو موليها**. وقدم العماء لا يخدشه اتفاق الملل علي حدوث العالم المفسر بما سوي الله. وذلك الأن الإنية الأولي تجلت في العلماء وظهر هنالك لهذا التجلي أحكام الوجوب فلسان الملل أن هذه الحقيقة الظاهرة من أسماء الله تعالي وصفاته وإنها ليست عين الذات من كل وجه ولا غيرها من كل وجه وإنها قديمة بالزمان حادثة بالذات من جهة أنها موجودة بالذات الإلهية فيظهر من هذا البيان أن العالم لا يطلق عند هم على العلماء نفسه بل على العلماء من حيث تظهر فيه حقائق امكانية. فتدبر. ،لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام الدهلوي،تفهيم:67، 213/1-214.(1) أخرجه الترمذي في سننه رقم الحديث:3109(٢) يقول الشيخ القاسمي في هامش التفهيمات: يقول شيخ مشائخنا مولانا محمد قاسم النانوتوى ما محصله في العربية: إن العلماء في عالم الغيب والبطون يقال للوجود المنسبط الذي هو تحت مرتبة الذات ومنبع للصفات الفاعلية و فوق مرتبة المنفعلات أعني الممكنات هذا و التفصيل في رسالته الفارسية المؤلفة في شرح هذا الحديث المسمائة بشرح حديث أبي رزين، طبع بيت الحكمة جامعه نگر دهلي.لينظر: هامش التفهيمات الإلهية،

(1) يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره : قال ابن عباس رضي الله عنهما:لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أو لم يفطنوا لها فيسألوا عنها. قال: ثم طفق يحدثنا، فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها، فقلت: أنا لها إذا راح غدا، فلما راح الغد قلت: يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها، فقلت: أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها.قال رضي الله عنه: نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش «يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير» وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا، فإن كنت صادقا كان آلهتهم كما يقولون.قال: فأنزل الله عز وجل: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون قلت:ما يصدون؟ قال: يضحكون وإنه لعلم للساعة قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة.لينظر:تفسير القرآن العظيم, الإمام الدمشقي,215/7.

(2) في ن م : ونحن لانرى في ذلك إلا سبق أوهام في تفسير القرآن،وتحريفا في القرآن.هم قرروا في أنفسهم على اليقين.

(3) إن الساعة معناها وقت القيامة عند عامة المفسرين؛ ولكن لفظ الساعة عام يستعمل لوقت القيامة والغلبة أيضا فوجه تخصيص عامة المفسرين مرويات الصحابة _رضوان الله أجمعين _بأن معنى الساعة القيامة لأن الغلبة _غلبة الدين_ قد بدء فجأة في زمنهم؛وكانوا في انتظار القيامة؛ولكن المعنيين_وقت القيامة والغلبة _ كانا يفهمان في زمن النبي_ صلي الله عليه وسلم_ فإنهاء ملوكية قوم التي رسبت بعدم الفلاح للإنسانية حساب،ويسمى انقلابا.الباحث.

يأتيكم من نفسه بل هو يقول عني ثم فسرقوله عني هو يقول من الله، وأنا أيضا أقول من الله فإذا قال من الله فكأنه قال مني هو يكون معكم إلى آخر الدهر إذا بعدنا عن دماغنا ظلمات الأوهام التي جعلتها النصارى محيطة بتلك الكلمات. وإذا جعلنا دماغنا متبعدا عن الأوهام التي ابتلي بها المسلمون بالفتوحات المكية للشيخ الأكبر، وقرأنا الأناجيل جزمنا بأنه إشارة إلى إتيان نبينا _عليه السلام_.

وإنه لعلم للساعة أن عيسىٰ يعلم مجيء الانقلاب العظيم **فلا تمترن بها** لا يكن لكم شك في ساعة الانقلاب **واتبعوني** المراد من الساعة هو الدعوة إلى اتباعي لا تقعوا في الشكوك. **هذا صراط مستقيم وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّه لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ62.** [1] هذه الساعة التي أشار بها عيسىٰ إلى مبعث محمد_عليه السلام والصلوة_ حملوها على الساعة الكبرى التي تخرب العالم. فعيسىٰ جعلهم منتظرين لتلك الساعة، ويقول في بعض كلامه أنا آتيكم، ويقول: إن ملكوت السموت تنزل إلى الارض. ولما حملوها على الكبرىٰ فتبين بذلك معنى قوله: **هلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهمْ بَغْتَةً وَهمْ لَا يَشْعُرُونَ** 66 فاختلاف الأحزاب جعل ساعة الرحمة، والانقلاب مبدلا لساعة التخريب، والقيامة الكبرى **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)** فالذين صبروا على الحق من بني إسرائيل، وكانوا من المتقين، وآمنوا بالنبي من 68 إلى 73 بشارة لهم بالجنة. ومن 74 إلى 77 إنذار للظالمين بجهنم.

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهونَ 78. في هذا تمثيل كما أن العرب فيها بقية صالحة على فطرة إبراهيم. كذلك بقي في بنى إسرائيل اتباع ابن مريم جماعة صالحة آمنت بالانقلاب على وجهه، ودخلوا في جماعة المتقين على اتباع إبراهيم، فكان تتمة لأصل موضوع السورة **أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ** 79. هل هم قدروا على إحياء الملةالحنيفة؛لكن نحن بنزول القرآن نفعل ذلك. كان واجبا على اليهود أن يقيموا سلطنة على الأرض على طريق التوراة؛ لكن

(1) في ن م : حملوا

لاتختص ببني اسرائيل بل تجمع الأمم. هل قدروا على إبرام أمر ما مع أن الروم صاروا نصارى فإنا مبرمون بعد نزول القران نقيم تلك السلطنة كلها مثل الوعد.

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ 80. هم يقولون في أنفسهم المسلمون طيبون؛لكن فيهم عيب واحد ينكرون على الولد الوحيد للرحمان، ويجعلونه مثل عامة الأنبياء وعامة البشر. لو لم يكن فيهم هذا العيب لكانوا صالحين. كل أمورهم طيبة فجواب ذلك. **قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** 81 لو كان له ولد لعبدته **سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** 82 ليس له ولد **فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** 83 يأتون بشبهات من الفلاسفة، ولا يرجعون إلى أصل متين في الحكمة، فهذا لاينفع للدعوة إلى الدين **وَهوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَه وَفِي الْأَرْضِ إِلَه وَهوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ 84**الخ الصلوٰة التي علم عيسىٰ لاتباعه فيها فكرة واحدة. سلطنتك كما هي في السماء فلتكن في الأرض مثلها. هذه يدعون في صلواتهم كل يوم. وكل أسبوع إلى يومنا هذا. فالمقصد من دعوة ابن مريم كان إقامة سلطنة إلاهية في الأرض يعني السلطنة تحت حكم قانون الرب. وتم حكم كتاب الله. هذه قد تمت بإقامة نظام الحكومة القرآنية على الأرض. وإليه الإشارة في قوله: **وَهوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَه وَفِي الْأَرْضِ إِلَه وَهوَ الْحَكِيمُ إلى وَتَبَارَكَ الَّذِي لَه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهمَا وَعِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ 85** عند النصارى خطأ آخر في حالات الساعة الكبرى أنهم يعتقدون أن عيسىٰ يغفرلهم، وجعلوا بمزج فلسفتهم مسألة الكفارة من العقائد الدينية فالله صرح في القرآن بالرد عليهم معنى قوله: **وَعِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْه تُرْجَعُونَ** (85) **وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهدَ بِالْحَقِّ وَهمْ يَعْلَمُونَ 86**. نفى الله الشفاعة أن يملكها أحد غير الله، وجعل ذلك منحصرا في الشهادة بالحق منهم، وأمر الشفاعة من الله[1] **وَلَئِنْ سَأَلْتَهمْ مَنْ خَلَقَهمْ لَيَقُولُنَّ اللَّه فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** 87. كما أنهم اتفقوا على أن الله هو الخالق

(1) تكلم الشيخ السندي على موضوع الشفاعة بالتفصيل في تفسيره "مقام محمود" فليراجع لهذا الموضوع.الباحث.

كذلك يجب عليهم أن يتفقوا على أن الله هو المنجي. **وَقِيلِه يَا رَبِّ إِنَّ هؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ** 88. النبي إذا اجتهد حق اجتهاده لا يؤمنون بالتوحيد كما ينبغي **فَاصْفَحْ عَنْهمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ 89**. هذا من آداب العرب أن الجاهل إذا خاطبهم قالوا سلام. فاترك البحث؛لأنهم جهلة فسوف يعلمون إذا وقع الانقلاب أغلب المسلمون على القياصرة؛فبعد ذلك يسمعون قولكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان

حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاه فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ 5. في حكمة الإمام ولي الله بحث مستقل في شيون حظيرة القدس[1]. عند الملأ الأعلىٰ الجماعة التي تشتمل عليها حظيرة القدس مركب من ثلٰثة أصناف1: الملائكة العظام النورية هم عماد الخلق، والتدبير هذا لفظه: قسم علم الحق أن نظام الخير يتوقف عليه,فخلق أجساما نورية بمنزلة نار موسى,فنفخ فيها نفوسا كريمة. عندي تلك الجماعة مقابلة للعقول التي اتبعتها الحكماء لربط الماديات بالإلهيات. 2: اتفق حدوث مزاج في البخارات اللطيفة من العناصر استوجب فيضان نفوس متشاهقة3: قسم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلىٰ. [2] قال الشيخ: ربما حصل في حظيرة القدس إجماع على إقامة حيلة لنجاة بني آدم من الدواهي المعاشية[3]، وبحث في موضع آخر أن إجماعهم هذا يسمى بليلة القدر يكون فيه قرار

---

(1) تكلم الإمام ولي الله الدهلوي عن شيون حظيرة القدس في كتابه حجة الله البالغة في مقامات متعددة فليراجع لهذا الموضوع.الباحث.

(2) أصـــل العبارة هكذا:واعلم أن الملأ الأعلى ثلاثة أقســـام: قســـم علم الحق أن نظام الخير يتوقف عليهم، فخلق أجساما نورية بمنزلة نار موسى، فنفخ فيها نفوس كريمة.وقسم اتفق حدوث مزاج في البخارات اللطيفة من العناصر استوجب فيضان نفوس شاهقة شديدة الرفض للألواث البهيمية.وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ما زالت تعمل أعمالا منجية تفيد اللحوق بهم حتى طرحت عنهم جلابيب أبدانها، فانســـلكت في ســـلكهم وعدت منهم لينظر:حجة الله البالغة, الإمام الدهلوي,48/1.

(3) لينظر:المرجع نفسه,48/1.

لعمل الملائكة إلى مدة أن يجتمعوا مرة أخرى. هذا هو ليلة القدر[1]. كل شيء تقرر فى تلك الليلة نفوذه في الأفلاك والعناصر قطعي لا يمنعه مانع. والله أخبر في هذه السورة أن هذا الكتاب المبين أيضا أنزلناه في تلك الليلة المباركة، والانقلاب الذي يدعوإليه لا بد أن يقع لا يمنعه مانع. هذا معنى قوله: **إنا كنا منذرين**.

والإنذار دائما يكون مقدمة للانقلاب. **فيها يفرق**. . . هذه الليلة يكون فيها إجماع الملأ الأعلىٰ. وما تقرر في إجتماع الملأ الأعلىٰ نسميه بالمسألة الكلية للنوع الإنساني. وأما المسألة الكلية للعالم كله[2] فهو ما اقتضاه النفس الكلية[3]. هذا الفرق لحاظه[4] ضروري في حكمة الإمام ولي الله، فحظيرة القدس هي مركز اقتضاءات الإنسانية فيه يفرق ما تقتضيه المسألة الكلية إلى مدير المسائل الجزئية إلى إدارات المصالح الجزئية منها يكون تعيين رجل أذكى خلق الله يومئذ ذريعة لتأثير الملأ الأعلىٰ في النفوس الإنسانية باعتبار العلم والعمل. ومعنى ذلك ما تحقق عندي من حكمة الإمام ولي الله أن هذا الرجل يريد في نفسه إصلاح قومه مثلا أو إصلاح كل العالم مثلا وله همة عالية لا يصده عن تكميل هذا الأمر شيء يصرف فيه جميع قوته. فهذا الرجل يجعله الملأ الأعلىٰ ذريعة لتنفيذ قراراته يرتب الملأ الأعلىٰ علومه بلسان هذا الرجل، وذهنية ذلك الرجل؛ليكون محيطا عليها بفطرته يلقون عليه كلاما منظما هو كتاب الله. وإذا عمل هذا الرجل عملا وصرف فيه جميع قوته يؤيد الملأ الأعلىٰ عزمه، والملأ السافل يسهل له تأثيره في النفوس، وتأثيره في العناصر والأفلاك. وتلك البركة تكون شاملة لجميع من يلتف حول هذا الرجل المبارك، ويفني ذاته في ذات ذلك الرجل المبارك، فيكون ذلك عاما في أهل عصره، وفي اتباعه بعد عصره. هذا الرجل المبارك هو الرسول. معناه أن الانقلاب الذي تقرر في الملأ الأعلىٰ يحدث فيه لطافة بالنسبة إلى نوع

---

(1) لينظر:المرجع نفسه,86-85/2.
(2) في ن م : كلمة "كله " لاتوجد.
(3) تكلم الإمام ولي الله عن هذا الاصطلاح في كتابه"التفهيمات الإلهية" على عدة مواضع،لينظر:التفهيمات الإلهية،الإمام الدهلوي،تفهيم:37 ، 133/1، وغير ذلك من المواضع المتعددة.
(4) في ن م : لحاظه لازم.

الإنسان؛لأنها تتلون القوة الانقلابية المتقررة في الملأ الأعلىٰ يلون[1] علوم هذا الرجل، ويلون همته، فيسهل للناس اللحوق بالملأ الأعلىٰ؛لأن هذا الرجل من الملأ الأعلىٰ منهم، وجعل رجل صالح نفسه فانيا في ذات هذاالرجل المبارك ليس صعبا على الإنسانية. وبهذا العمل فقط يلتحق بالملأ الأعلىٰ. وأما[2] بدون وساطة هذا الرجل فجعله صالحا نفسه فانيا في ذوات الملأ الأعلىٰ كان متعسرا، فإرسال هذا الرسول أشار إليه **إنا كنا مرسلين**. والإرسال رحمة للناس أشار إليه الآية بعده **رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّه هوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** 6يعني رحمة الرب تحيط بكم في أي موضع من السموت والأرض وصلتم إليه لَا إِلَٰه إِلَّا هو عندنا إشارة إلى جميع نوع الإنسان على كلمة واحدة **يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ** 8 إشارة إلى الانقلاب الطبيعي. الانقلاب يجري دائما على نوع الإنسان. هذا الإحياء والإماتة هو الانقلاب. وبعض الأوقات تجتمع القوى العالية لمقصد عال، فيصير الانقلاب عظيما. وفي قوله: **ربكم** إشارة إلى تقدم الانقلاب إلى العلو آباءكم كانوا دونكم في التمدن، والإنسانية، وصرتم أقوىٰ منهم على هذه الطريقة يأتي دور أقوى من دوركم، فليس شيء يتعجب منه عند أولى الألباب. **بَلْ همْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ 9** لايتفكرون في المسائل فكرا تاما يدركون بعض الأشياء ثم يأتي شيء يخالفه فيقعون في شك. عروض شك للمتفكر طبيعي فلواجتهدوا في إزالة لفازوا؛لكن بعد ذلك هم يلعبون، فالانقلاب إتيانه محتاج بابتلائهم بالعذاب حتى يتوجهوا تاما إلى حقيقة الأمر إلى هذا إشارة في قوله: **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ** 10 وقد فصل[3] بروايات كبار الصحابة مثل ابن مسعود[4] في الصحاح أن الناس أصابهم جوع في مكة,فإذا قاموا غش دماغهم هيئة كأنهم يرون الدخان منبسطا في الجو[5]. فهذه الرؤية

---

(1) في ن م : بلون
(2) في ن م : أما بدون الواء في ابتدائه.
(3) في ن م : في صحاح الأخبار
(4) سبق ترجمته
(5) أخرجه البخاري في صحيحه عن مسروق، قال: كنا عند عبد الله فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارا، قال: «اللهم سبع كسبع يوسف»، فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء، فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان، فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله تعالى: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} [الدخان:

كان في نظرهم فقط لضعفهم. وهذه سنة الله في الانقلاب[1] عموما يأتي القحط، فيصير الناس مضطرين للنجاة من تلك المجتمع الذي أحاط بهم التي أوصلتهم إلى الموت بسبب الجوع، فيقومون لتغيير الحالة الأولى يضرب الضعفاء الجياع رؤوس الطغاة المترفين ثم ينظمون أمر الاجتماع جديدا على أمر الله إذا كان الرسول هو الباعث في الانقلاب. جاء في الأخبار دعا عليهم النبي بسنين مثل سني يوسف[2]، وليس الغرض إلا صرف توجهاتهم إلى التفكر الحقيقي. وهذا الدخان الذي أخبر الله عنه مضى في قريش في مكة؛لكن الطائفة من الناس[3] يجعلونه من علامات القيامة الآتية. وهذا عندنا مثل إتيان ابن مريم هو قد أتى؛لأن هذا كان تبشيرا لمحمد. جاء النبي وأتى بالانقلاب، وأقام الدين الذي كانوا يرجونه أنبياء بني اسرائيل؛لكن ما تركوه يقولون يأتي ابن مريم ثم تبعهم بعض المسلمين في ذلك. الالتباس وقع لهم في فهم آية: **هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِه الْمُشْرِكُونَ**[4] فلما رأوا عدم إظهارالدين على الأديان أولوا هذه الآية بأن ذلك يتم عنه نزول ابن مريم. هم أولا أخطاؤا في فهم الآية كما فصله في إزالة الخفاء[5] ثم [6] ثانيا في اتباع النصارى بانتظار ابن مريم. هكذا معاملة المهدي. كان النبي_صلى الله عليه وسلم_ أخبر بذلك، ومعنى ذلك المهدي العباسي حسب البشارة؛لكن طائفة من المسلمين ما تركوه. رأينا هذا المرض مشترك في طوائف من المتدينين المغلوبين في دينهم المايوسين عن أعمالهم. هؤلاء لا يتفكرون إلا تفكيرا واحدا يأتي رجل يقيم ديننا، ونحن ننتظره. هكذا رأينا في الهنود أيضا.

10] إلى قوله {إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى، إنا منتقمون} [الدخان: 16] " فالبطشة: يوم بدر، وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم"لينظر:صحيح البخاري,رقم الحديث:1007.

(1) في ن م : الانقلابات

(2) إن هذه الألفاظ قد ذكرت في حديث صحيح البخاري في الهامش سابقا.

(3) في ن م : لايتركونه.

(4) الفتح:28

(5) لينظر:إزالة الخفاء، الإمام ولي الله الدهلوي،441/2، 369/2.

(6) في ن م : أخطاؤا أمره أخرى.

عبدالله بن مسعود أنكر أن هذا الدخان يأتي قرب القيامة كما في البخاري[1]، لكن السيوطي، [2] وأتباعه جعلوا تلك الروايات المشبهة المنكرة بحذف أسانيدها، ونسبها إلى المخرجين الكبار أثبت وأصح من أحاديث الأصول الستة كما كان الشيخ محي الدين ابن عربي[3] فاتحا لبحث الحقائق للمتصوفين، وكان ذلك من خير أعماله ترك معه نصرته لخرافات المسلمين. إنما ينتسب إلى آل النبي درجته كذا وكذا. وهؤلاء الطائفة ارتكز في أذهانهم نصرتهم السياسية بقيام مهدي منهم فانتصر ابن عربي بكل قوته فصارفسادا في فساد أخلاق المسلمين لم يبق رجاء نجاة منه. هكذا السيوطي، وأمثاله خدموا حديث النبي، وكان ذلك من أحسن أعمالهم، فتركوا سنة سيئة في المسلمين هو تثبيت أحاديث معلولة منكرة عند كبار أئمة الحديث، ويسروا للناس الجهلة الاستفادة من تصانيفهم. رأينا الإمام ولي الله اجتهد في رد بدعتهم، وتوجيه الأنظار إلى الأصول الستة مع الفهم في الإسناد، ونجح في ذلك، وكان عمله ذلك مأخوذا من شيخه محمد الطاهر الكردي[4] .[5] ولو

---

(1) أخرجه البخاري عن عبد الله رضـي الله عنه: أن قريشـا لما أبطئوا على النبي صـلى الله عليه وسـلم بالإسـلام، قال: «اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف» فأصابتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السـماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله: {فارتقب يوم تأتي السـماء بدخان مبين} [الدخان: 10]، قال الله: {إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون} [الدخان: 15]، أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ وقد مضى الدخان، ومضت البطشة.لينظر:صحيح البخاري,رقم الحديث:4693.

(2) سبق ترجمته

(3) سبق ترجمته

(4) سبق ترجمته

(5) في ن م : هذه العبارة الطويلة "الراوي لعلوم والده الإمام إبراهيم الكردي المجدد،والشـيخ محمد الطاهر كان يسـمى هؤلاء بالوراقين.إجمال علوم الشـيخ يظهر من حجة الله البالغة من باب طبقات كتب الحديث،والتفصـيل في كونه مجتهدا مثل الأئمة السابقين في فهم الحديث الصحيح يأخذه طالب العلم من كتابه " الانتباه في سلاسل الأولياء في القسم الثاني منه المختص بسلسلة أهل الحديث وأهل الفقه وسلاسل علماء دانشمندي الذي ترجمة الشيخ رفيع الدين بالتحصـيل هو فن مسـتقل أسسـه ولي الله،وأكمله رفيع الدين يبحث عن التدريس والتلمذة والتأليف والأخذ عن كتبهم يعني المطالعة جعله جزءا من كتابه "تكميل الأذهان" وفي آخر الانتباه سلاسل أساتذة التدريس والتعلم أيضـا فالإمام ولي الله أظهر الفوار الذي وقع بتصـانيف أمثال السيوطي في علم الحديث،واستمر على تعليم أولاده،وخرج طائفة من أهل التحقيق بين ما صـححه الأئمة المتقدمون،وبين ما اغتر به الناس من تصـحيح المتأخرين؛لكن الفسـاد الذي ابتلي به المؤمنون بواسـطة محي الدين ابن عربي أشـار الإمام ولي الله إلى رده في ضـمن مقالات مختلفة في رده على الفاطمية ومثلا في رده على الزيدية هذه في كتاب" قوة العينين في تفضـيل الشـيخين"وفي تقديم الصـوفية على ابن أبي طالب على الشيخين وفي وصـاياه إشـارة إلى رد الخرافات,وفي التفهيمات إشـارة أن الشيخ يقوم مقام المسيح والمهدي وإشارات أن المهدي لايكون إلا رجلا من علماء الدين وأمثال هذا لكنه ما شمر ذيله لتكميل الرد رد هذه البدعات،وإني أرى ذلك لوجهين : أحدهما حكمته في المراراة مع الناس الذي رباه عليه أبوه صغره،وصرح هو في بعض قصـائده يصـف معارف حقائقه بأنهم لايظعون ولايلمون أحدا ثم يقول لكننا نداري الناس يقول فهو لاميته أنانا وهنا فالعلوم صـفوفها هنيئا لكم قيدت إليكم دلائل فثلثت أقسـام العلوم ...حتى رسـوخ وتأويل وعلم عنابل فسـر قوله :علم القوى الغالبة علم كيفية تنزل وجود أسـسـت بأنواع وأفراد أو وعلم كمالات أرواح وما يتعلق بها.يقول:

شرحنا القرآن على فلسفة الإمام تلوح منه برنامج للانقلاب لا يوازيه بشيء من برنامجات الانقلاب في العصر الحاضر. والمسلمون في الطبقة الوسطى منهم قوة استمساك للطبقة السافلة معهم. فلو قام قطر من أقطار المسلمين أوساطهم وأدانينهم بعد إيمانهم بالبرنامج الانقلابي المستفاد من القرآن بتوسط حجة الله البالغة وإزالة الخفاء وسائر كتب الشيخ لفازوا يقينا واتبعهم جميع أهل الإسلام ثم لا يقدر أن يقابلهم جماعات الانقلاب مع عددهم ومددهم ودعاياتهم وكل احتيالاتهم؛فإن تأثير القرآن في قلوب أهل الإيمان عظيم مثل زيت يمسه النار، وإضاعة مثل تلك القوة العظيمة للإسلام ببقاء مناقب قوم أو بيت أوأفراد ليست[1] من الدين، وليست من الحكمة في شيء.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ 12 فإذا كان التعليم لا ينفع، فآيات القدرة لا يكون أثرها إلا قليلا ينسونها عن قريب . **إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ** 15 وبعد هذه العودة يعلم أن المرض مستقر فيكم، فلايكون العلاج إلا قطع رؤساء الجهلة **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ** 16 . قد فسرت هذه الآية بواقعة بدر [2]كانت هي انتقاما من قريش فقط، ثم بعد تلك الواقعة غزوات كانت بها إشاعة الحق في الأقوام الآخرين سوى أحد. فإنها كانت من

عتبل بالضم الصلب المتين وعلوم عنابيل علوم متينة لايقاد منها شئ يقول: تأنقنا وادارينا الأنام بوضعهم فطابت مراقينا وطاب الشمائل والأمر الثامن الوجهين : هو يحب على بن أبي طالب بطبيعته.ذكر في فيوض الحرمين أني أمرت أن أرجح الشيخين على الأمير خلاف طبيعتي ولازم ذلك عندي أن كل شئ لم يؤمر.فيه أمر ظاهر،ويكون فيه احترام جانب علي بن أبي طالب فالشيخ لايتعرض له ومسالة نزول المسيح خلطها الناس بقيام المهدي من أولاد علي. والشيخ لايتعرض له إذا لم يؤمر صراحة.أنا قرأت حكمته وما وصلت في الفهم كواحد من الألف أيضا ومع ذلك يتراءى لتلك المسائل منغمصة بالغلطات بالنظر إلى حكمة الشيخ.فلا أقدر أن أتصور أن المسائل كانت غير ظاهرة على من وصل في تلك الحكمة إلى الذروة العليا يقول الشيخ في فيوض الحرمين : استفدت منه _عليه السلام_ثلاثة أمور خلاف ما عندي وخلاف ما كانت طبيعتي تميل إليه أشد ميلا وذكر ثالثها الوصاة بتفضيل الشيخين فإن طبيعتي وفكرتي إذا تركنا وأنفسهما فضلنا عليا _كرم الله وجهه_ وأحبناه أشد محبة؛ولكن بشئ طلب مني التعبد خلاف المشتهي أصروا عندي أن في ذلك مدخلا لنسبة الأمهات فإن الإمام ولي الله في سلسلة نسبه أمهات من آل علي بن أبي طالب من عائلات كبار أهل البيت وأثر طبيعة أمهات غالب على طبيعة الشيخ_ والله أعلم_ ولو لم يكن نفاذا أمر القرآن،وعموم تعليمه،وقيام عامة المسلمين لنصرته،ولولم يكن ذلك الأمر موقوفا على رد هذه الأفكار الشائعة بين المسلمين لما التفت لنا أيضا إليها طبعا لسلوك الشيخ؛ولكن الكفار تغلب على المسلمين وعلى ممالكهم.ولو تنبه المسلمون إلى التثبت بالقرآن الكريم على طريقة حكيمة للإمام ولي الله لاتنتصروا ولاستردوا ممالكهم لابد من أيدي الكفار؛وذلك لفوز الانقلابيين في ذلك العصر في عصرنا عصر الانقلاب".لاتوجد في ن إ.

(1) في ن م : ليس.

(2) يوم نبطش البطشة الكبرى [الدخان: 16]: يوم بدر لينظر:صحيح البخاري,رقم الحديث:4774,باب تفسير سورة الروم.

قريش حركة المذبوح. فالبدر الكبرى هي ابتداء الانقلاب الإسلامي، ولا ينتهي إلا إذا مات المسلمون كلهم. [1]

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ 17معناه عندي أن قيام الانقلاب بالقرآن إنما هو لحفظ جماعة باقية على الفطرة الحنفية من أولاد إسماعيل، ومن بني إسرائيل، والنصارى منهم خصوصا. وإن جاء هذا النموذج الصالح في الأمة عن تغلب الأمير توريتين عليهم. هوالمقصد الأول من انقلاب القرآن، فكان مثل دعوى موسى **أن أدوا إلي عباد الله**. لا تتحكموا عليهم على خلاف الفطرة لقانون غير إلهي.

جملة معترضة: في الطبقة النازلة من المسلمين كثرة عظيمة لمن لا يجب الإطاعة لغير حكم إلهي إذا كانت لهم دعوة إلى اتباع أمر الله يقومون على الفور؛لكن تفسير اتباع أمر الله باتباع الرؤساء الجهلاء عباد البطون والفروج يظلمون الناس حتى يموتوا جوعا. هذاالتفسير يريبهم ثم يرتجعون. والذي نشترط في الدعوة الانقلابية أن يكون الاعتماد على القرآن ثم على تفسير الإمام ولي الله. الأول في تحقيق معنى الانقلاب القرآني بغلبة كسرى وقيصرعلى اقتصاديات الناس؛فالقرآن يريد نجاة المكتسبين للرزق عن ظلم عباد البطون والفروج؛وذلك واضح في حجة الله البالغة[2]: الثاني: جعل الأراضي موقوفة على القوم لا يتملكها رجال مخصوصون المقتضى به في إزالة الخفاء في رسالة مذهب الفاروق، وجعل هذا القرار إجماعيا بين الصحابة ثم إدخال الفاروق تلك المسألة الجزئية في ما أفاء الله. [3] فإذا قلنا (القرآن بتفسير الإمام)فمعنى كلامنا هذا لئلا يقوم ارتجاعي يدعو إلى إطاعة أولى الأمر، ويجعلهم مطلقين في أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم هذا الارتجاعي إن لم

---

(1) في ن م : "لطيفة : شيخنا حكى لي عن شيخه "مولانا محمد قاسم" وقعت مناظرة بين أهل العلم في وقت هجوم الكفرة على دهلي هل هو غزو وجهاد يجب على المسلمين الشمول فيه أم لا؟ ونحن نزيد بعد قولنا أم لا.الآن فكرة لطيفة أخذناها من قائد ديوبند أم هي فتنة من الفتن يجب التقاعد فيها نشرح هذه الزيادة قليلا.".قصة طويلة تشمل أربع صفحات وهي لاتوجد في ن إ.

(2) لينظر:حجة الله البالغة،الإمام ولي الله الدهلوي،209/1-210.باب الحاجة إلى دين ينسخ الأديان.

(3) لينظر:إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء،الإمام ولي الله الدهلوي،مقصد دوئم،رساله فقه عمر،476/3-483،ط:قديمي كتب خانه كراتشي.

يكن شيطانا فهو دجال قطعا يوقع الريب في قلوب الناس عن اتباع الإسلام. فالحكم على عباد الله الحنفاء لا يجوز إلا بحكم الله. فإذا تغلب طاغية يقوم رجل محق إما نبي أو رجل من أتباعه لرد حكم الطاغية، وإقامة حكم الله على التفسير الصحيح انقلابيا دينيا على أسوة الأنبياء السابقين موسى ثم محمد ﷺ وعلى الأنبياء_عليهم الصلوت والتسليمات_من قوله: **رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** 12 **أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْه وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ إلى إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّه إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّه إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (19) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (21) فَدَعَا رَبَّه أَنَّ هؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهوًا إِنَّهمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيها فَاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاها قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّه كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآتَيْنَاهمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيه بَلَاءٌ مُبِينٌ (33)** ذكر انقلاب موسى على فرعون، وفلاح بني إسرائيل؛ فليتخذ المسلمون في انقلابهم قدوة لهم. آخر الآية:**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ** فبنو إسرائيل أيضا كانوا يسعون لإقامة الاجتماعية العالمية، وما أكملوها لأسباب وموانع، وأكملها نبينا _عليه السلام_. والمقصد في الانقلاب واحد **إِنَّ هؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ** شكهم في المجازاة يؤديهم إلى إنكار البعث بعد الموت، ويسألون بجهلهم إحياء آبائهم الأولين، وما يعرفون أنهم إذا كانوا مجرمين كيف يمكن إحيائهم مرة ثانية؟. بهذه الطريقة لا تنحل العقدة بل يلزم أن يتفكروا في المسألة بوجه آخر. هو أن يتفكروا في خلق السموت والأرض. والحكمة المرعية فيهما يلزم أن يجعلوا مطالعة أساس فكرهم مثلا ذرة من المخلوقات لا

تفني أبدا إنما يتبدل أطوارها. هكذا يجعلون فكرهم في الإنسان أنه لا يفني؛لكن يتغير في أطواره ثم بالتدريج يسهل لهم فهم المسألة. إلى هذا إشارة في قوله: **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لَا يَعْلَمُونَ (39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا همْ يُنْصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّه إِنَّه هوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ثم إلى طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوه فَاعْتِلُوه إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِه مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هذَا مَا كُنْتُمْ بِه تَمْتَرُونَ** 50 . بيان عذاب المجرمين. ومن 57 بيان إنعام الله للمتقين **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاه بِلِسَانِكَ لَعَلَّهمْ يَتَذَكَّرُونَ**. هذا هو الذي ذكرناه أولا: أن المقرر في الملأ الأعلى يتلون بلون ذهنية الرجل المبعوث كأنه هو واحد من أفراد الملأ الأعلى، ورعاية ذهنية راجع؛ لأنه هو العامل؛ولذلك يشتبه على الناس الذين لم يعترفوا بحظيرة القدس أن الكتاب من إنشاء الرسول. وقد حدث في زماننا طائفة، ويوجد تسلسل في المتقدمين أيضا لأمثال هؤلاء الطائفة أنهم يجعلون الكتاب من إنشاء دماغ الرسول؛لكن لا كمثل حالة اليقظة يتفكر يؤلف كلامه مثل الشعراء والمؤلفين بل تعتريه حالة مثل النوم فأفكاره المجتمعة في دماغه تتبدل في صورة الكتاب على أصول تشخص الخيالات في الرؤيا، فينتهى أمر الكتاب إلى دماغ الرسول، ولو بوجه غير معتاد. هؤلاء هم الفلاسفة من المسلمين كلامهم مقبول عند الطبيعين من أهل الغرب. وحكمة الإمام ولي الله نقبله في الدرجة الثانية أو الثالثة لضعفاء العقول لا يقدرون على إدراك الحق بوجه. وأما الإنسان الكامل السليم فطبيعته لا تطمئن إلا بعد إثبات حظيرة القدس والملأ الأعلىٰ والتجلي الأعظم القائم على العرش؛لكن إيصال تلك الطبقة الضعيفة إلى تلك المعرفة العظيمة تحتاج إلى إنشاء مدارس جزئية مثل المستشفى. هؤلاء الضعفاء، وتربيتهم في تلك المدارس سنين عديدة. فإن لم يصبروا على ذلك فليذهبوا إلى أين ما شاؤا ويموتوا جاهلين؟ والحق لا يتبعهم؛لكن هذا الأمر لا يقوم به إلا رجل يقدر على إنشاء انقلاب كبير. وأما

الذين[1] لا يتفكرون مثل ذلك التفكر فلا يرجى منهم شيء. هم متدنسون لا يجوز لهم أن يمسوا الكتب الإلهية؛لكن إقامة جماعة من مستقيمي الفطرة المتقنين لعلوم الحكمة يقدرون على حل الشبهات لمن أراد ذلك بالإنصاف، فإقامة تلك الجمعية في كل قطر واجب لإثبات ذلك الحق. وعندي لو اتبع أهل العلم حكمة الإمام ولي الله، وأنشأوا بيوتا للحكمة، ولتدريسها، وتفهيمها في كل قطر قطر لأدوا هذا الفرض. فإن كان عند رجل من المسلمين طريق غير ذلك يكفي كفايته فلا تجبرهم. أما إذا لم يكن عندهم شيء، وهم يحسون احتياجهم إلى ذلك فنحن لا نقدر إلا بتلك النصيحة[2] **فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ** 59 هم يسعون لتكميل برنامجهم، وإثبات حقانيتهم، وأنت أيضا مع جماعتك تشتغل، فإن سبقتموهم كنتم فائزين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية

كان في سورة الدخان ذكر الملأ الأعلى، فيكون اتباع ذلك الكتاب هو بمنزلة الفطرة الإنسانية؛لأن إجماع الملأ الأعلىٰ يكون إظهارا لاستعداد الفطرة الإنسانية، فكان ذلك الكتاب لازما للنوع الإنساني. وهذا باعتبار درجة الكتاب، وذلك درجة الحكمة، والمصلحة التي يعبر عنها بالروح من أمرنا ثم بعد ذلك يكون في حظيرة القدس قرار آخر. تلك العلوم الكلية تتعين في ضمن قوانين جزئية بالنظر إلى تقسيم النوع الإنساني إلى أصناف، وفي الأصناف بعضها تكون بمنزلة الأجناس العالية، فتنشعب منها أصناف في أصناف ثم أفراد، وبمثل ذلك التنازل يتنزل الأمر الكلي المقرر للنوع. فالنصف الفلاني ينبغي أن يعمل كذا وكذا. وهكذا التفصيل في كل صنف بأحكام متشخصة تعمل بالجوارح. وهذه الدرجة من التفصيل يكون في الطبقة الثانية من الملأ الأعلى، ويتقرر الشرائع. فبعد ذلك الأمرالمقضي في الطبقة الأولى الذي لم يكن يدركها إلا الكمل من

---

(1) في ن م : هم
(2) في ن م : والله المستعان.

الرجال يتنزل إلى درجة العوام فيدركه كل الناس بحواسهم الظاهرة والباطنة. والباطنة التي هي من لوازم الحيوانية في الإنسان، فتلك الدرجة من الشريعة تقوم مقام الأصل. وباتباع تلك الدرجة، وبتعليم تلك الدرجة يصيرالقوم متنورا بنور الشريعة أوبنور الملأ الأعلى بنور الرب. ففي سورة الجاثية ذكر ذلك الكتاب في مرتبة الشريعة بإدراك الحكمة الدرجة الأولى ينتظم الرجال الكاملون بصورة جمعية مركزية ثم يعلمون الناس عامة الشرائع فينتظم جمعية صنفية خاصة من الإنسانية مثل اليهود والنصارى والمجوس. والربط بين تلك الدرجتين يكون مثل الربط بين بدن الانسان وروحه فزيد إذا أريد به بدنه يتعامل معه كل الناس. وإذا أريد به روحه لا يتعامل معه إلا الكاملون ثم بين الشريعة والحكمة رابطة، وحفظها هو الحياة. إذا خلت الشريعة من الحكمة صارت لا قيمة لها، فبث روح الحكمة في جسد الشريعة هو الأمرالخاص المتعلق بالكاملين المنتظمين في الجمعية المركزية. ومن مثل هذا المثال يقدر الرجل أن يفهم لزوم شريعة سماوية لنوع الإنسان، فلنفرض قوما لهم لسان مخصوص، وطريقة للمعاشرة مخصوصة إذا كانت تجاوزت من الملايين فهي أمة عظيمة، ولنفرض لهم حكما سلطانا، ونظام الحكم نافذ في جميع أقطار الأرض،ولهم حكمة:علم وتعليمها جارفي المدارس الابتدائية الموسطة العالية إلى جميع أقطار الأرض، وبين حكمهم، وحكمتهم تطابق، فيكون هناك لا بد طبقات بعضها أقدم من بعض في العلم، والحكم؛لكن إذا حكمنا على القوم في مجموعة نحكم أنهم عالمون،وأن الإنصاف والعدل يصل إلى كل رجل،وأن العلم ميسر لكل رجل، وأن مرافق الحياة منظمة. كل رجل بسعيه يتمكن أن يصل إلى أعلى الدرجات. تلك الكلمة غاية مدح القوم. ومع ذلك فيها طبقات، ومع ذلك يكون فيه ظلم وجهل. فهذا كأنه لازم للفطرة الإنسانية لا يمكن تجريد الفطرة عنها. وإذا فرضنا هذا النظام كله في الحكمة،والحكمة مطابق لما قرره الملأ الأعلى لذلك الصنف وصل إليهم بواسطة نبي أو رسول، فكل ما استقاموا على تلك الطريقة لانتفعوا في الدنيا بما يمكن من الانتفاع. ولما كان اعتمادهم بواسطة الرسول على الملأ الأعلى، ويعرفون الرب مثل ما يعرفه الملأ الأعلى، ويعرفون أن أصل كمالهم هو اللحوق بالملأ الأعلى إذا ماتوا انتقلوا إلى السعادة بمثل ذلك التيسير الذي حصل لهم في مرافق الحياة. هذا هو إتمام النعمة

على الإنسانية. فإذا تجاوزوا عن ذلك إما نسوا الدارالآخرة أوفسد تطبيق الحكم، والحكمة فيهم، فيجري التظالم في الدنيا، وتكون العبقات مانعة عن الوصول إلى الملأ الأعلى.هذا هو المراد من شقاوة الإنسان. فإذا آمنوا بالله معناه: آمنوا بتجلية في حظيرة القدس، ويعبرعنه في لغة العامة: آمنت بالله وبأسمائه وصفاته وبملائكته وبالقدر خيره وشره من الله. هذا كله شرح للإيقان بحظيرة القدس فقط بلسان الحكمة ثم كلمة تضاف إلى الإيمان المجمل، وقلبت جميع أحكامه. هذا يكون إيقانا بنزول أحكام حظيرة القدس بواسطة الأنبياء إلى النوع الإنساني. فالحاصل أن بالإيمان بالله، وبالعمل على كتاب الله يصلح المجتمع الإنساني بمثل ما هو مكتوب في فطرته أقصى ما يمكن. وكل ما قاموا واستقاموا على تلك الطريقة لا يأتيهم الزوال عن الإنسانية في الدنيا والعذاب في الآخرة. فهذا النصاب المقرر يسمى بالشريعة.

حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. . إشارة إلى أن تنزيل الكتاب يجمع بين الحكم، والحكمة. العزيز لا يكون إلامن يكون حاكما على نفسه لا يحكم عليه سوى الله أحد. والحكيم إشارة إلى الحكمة والعلم الحق، فإقامة الشريعة بين عامة الناس هو العمل التعميري في الانقلاب يحتاج إلى مجاهدات مخصوصة لا كمجاهدات المؤمنين على الكفار. الاجتهاد في إقامة الشريعة يحتاج إلى بث حكمة الاجتماع في القوم كلهم يعرفون أن أحدنا لا يكفي لنفسه إلابالاجتماع ثم يعرفون تطور الاجتماع من الابتداء إلى التوسط إلى الأعلى، ويكون طريق الارتقاء يسعى كل رجل منهم متبعين حقه فيه لا يمنعه عنه مانع ولا يكون له في فهمه الخلاق. تعميم مثل هذا العلم في القوم يحتاج إلى مجاهدة كبيرة. بعد ذلك ينتظم مجتمع على شريعة واضحة. **إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ 5** كتبنا سطورا. والآن نتفكر فيها: ما معنى هذه الآيات؟ أبواب مختلفة من الآيات فصلها الله في فصول: الأول في السموت والأرض آيات، السماء تكون دائما على حالة

واحدة، فلازم على الإنسان أن يستفيد من تغير حالات السماء، ويستعد لذلك ثم هل الأرض كلها على حالة واحدة؟والاختلاف في طبيعتها كثير. جبال، رمال، أنهار، جنات، صحارى فيستفيد الرجل من تلك الأراضى المختلفة بدون اجتهاد منه في جعل نفسه موافقاً لتلك الحالات كلا! فالفطرة الإنسانية تهديه. وتلك الفطرة تكون سببا لتقسيم الإنسان على الأصناف. رجل يحب أن يسكن في الجبال، وآخر يحب أن يعيش في الرمال، وآخر يحب أن يكون على شواطئ الأنهار أو البحار.كل باقتضاء من فطرته. ففي الأرض آيات للمؤمنين. إذا أشكل عليهم الأمر كيف يختلف أمر الله الواحد في الأقوام المختلفة؟ فتفكروا في الأرض تجدون آيات تهديهم إلى الحق، إذا تفكروا في تلك المسألة يحصل عندهم أصول الاجتماع الفطري، ويحصل عندهم أسباب الاختلاف في الأصناف.وتلك الأصول تسمى آيات. والمؤمنون إذا لم يتفكروا في تلك الآيات لا يمكن لهم إقامة التمدن الجامع للأقوام. ومثل ما ذكرنا من التفصيل في الأرض هكذا حالات السماء مختلفة عند أصناف الإنسانية، فلا يحب أحد أن يرتحل عن تلك السماء التي اعتادها قوم يأتيهم الثلج في أيام الشتاء، وهم يقدرون قدرة، وقوم يأتي عندهم الأمطار في الصيف.هذا طبيعته تقتضي بفطرته أن ينتفع من الأنهار في الصيف، وهذا تهديه فطرته إلى أن ينتفع من الثلج في الشتاء. سمعنا في كابل مثلا: كابل بى نان مى ماند وبى برف نمى ماند، [1] لا نتوقع من رجل يقيم في دهلي أن يفهم معناه. ففي السماء آيات، حالات مختلفة توجب تصنف الأقوام. ففهم سرتأثير السماء، والأرض الخاصة يقوم قوم في معيشتهم، وتعيين أصول ذلك هي الآيات. فإذا كان رجل يريد أن يجمع الأقوام على مركز فليفهم أولا ما يأكله الأقوام في بيوتهم، وفي أي نقطة يمكن أن يجتمع كل منهم، وأي نقطة سعى الاجتماع. على تلك النقطة لايجري نفعا بل يزيدهم اختلافا. ومثل هذا الفقه، ومعرفة الآيات أول شيء يجب على المؤمنين.

الفصل الثاني: **وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** 4 الأوصاف الخليقة الجبلية تكون سببا للاختلاف في أصناف الإنسانية. رجل فيه قوة الغضب زائدا، وآخر فيه قوة

---

(1) مقولة باللغة الفارسية،ترجمتها بالعربية:كابل يقوم بدون الخبز ،وبدون الثلج لايستطيع أن يقوم.الباحث.

الرحمة زائدا. هل يمكن عدهما من صنف واحد؟ قوم أذكياء، وآخرون أغبياء هل يجران عجلة واحدة؟ هذا أمرواحد. والثاني :كل قطعة من الأرض لها حيوانات من نوع واحد. والإنسان بطبيعته يتلبس بحيوانات أرضه. وبمثل ذلك أيضا يختلف الانسانية قوم عندهم شياه، وقوم عندهم إبل. هل تظنون أن أخلاق هؤلاء تستويان؟ عندنا في الهند مثل: رجل غاب عنه عناق فأخذ يفتشه في الصحراء لقيه رجل صاحب إبل يرعى الإبل، فسأله عن شاته قال صاحب الإبل: كم يكون قده؟ أشار إليه أنه دون الركبة ضحك فقال: نحن لا ننظر إلى ما تحت الركبة أبدا. ومن لم يتيقن بأصول نفسيات الأقوام، وأصول معاشرتهم مع الحيوانات لا يقدرأن يجمع الإنسانية أبدا. التركستان عندهم خيل، والهند عندهم البقر. وكلا القومين من أصل واحد وعنصر واحد. ترى في التركستاني حب الغزو، وحب الهجوم، وترى في الهندي الذي يلابس البقر الإطاعة لكل من غلب. فهل يكون في دماغ القومين فرق أبدا؟ والنبي أوضح المسألة في رعاة الإبل، ورعاة الشاة. هذا باب آخر في أصول الاختلاف، والاتفاق في أصناف النوع الإنساني.

الفصل الثالث: أسباب مكاسب الرزق تختلف في البلاد؛وذلك يؤثر في اختلاف الأقوام. إذا كان طرق مكاسب الرزق كثيرة يكون القوم أهل عقول يزيدون في الحكمة على الأقوام. وإذا كان طريق كسب الرزق واحدا يكونون جامدين لا يفهمون معنى الارتقاء والاجتماع. قوله: **واختلاف الليل والنهار** إذا كان الليل والنهار معتدلين يكون نشاطهم للعمل تحت قاعدة، ويفهمون أن قدرة الله تؤيد عمل الإنسان. وإذا كانت البلاد فيها طول الليل، والنهار خارج عن الاعتدال لا يكون فكر تلك الأقوام منظما، ويظنون القدرة الإلهية تمنع الإنسان عن الحرية في عمله هذا واحد. **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ** هذا هو الثاني. فإذا كان نزول المطر لإحياء الأرض موافقا لحاجات الإنسان؛وذلك يكون في المناطق المعتدلة ينشأ هناك فكر انتظام جميع الأمور تحت نظام واحد. السماويات، والأرضيات يهتدي الإنسان بعد ذلك إلى الاعتماد على نفسه، فيتنور منه نور يهديه إلى الحق. وإذا لم يقدر لإنشاء الفكر لتنظيم جميع الكون تحت نظام واحد يرى نفسه عاجزا فلا يتكامل الاعتماد على النفس فلا يفور ذلك النور

الذي هو مودع في قلبه. **وتصريف الرياح** هذا هو الأمر الثالث ينتفع به أولواالباب في السفن، وفي البر على إيجاد معامل لسقي الماء، وطحن الحبوب، وأمثال ذلك فلا يترك شيء من مكونات العالم إلا هو يريد الانتفاع به يهديه فطرته إلى الارتفاقات الجديدة.

آيات لقوم يعقلون. . بتكامل العقل الارتفاقي يقدر الرجل على تجويز صور موافقة لاجتماع كل قوم ثم جمعهم تحت كلمة واحدة. وإذا لم يكن لهم عقول في فهم الارتفاقات لايأتي منهم شيء. هذا جهاد آخر لا يقوم قوم ولا شريعة إلا به. فإذا كان ربنا هدانا في كتابه إلى استعمال العقل، والفطرة في فهم أسباب اختلاف الأقوام الظاهرة والباطنة من نفسياتهم، ومن الأشياء المجاورة، ومن تأثير القوى السماوية فيهم، والتفكر بعد ذلك في اجتماعهم تحت قانون عام. فإن كان رجل منا لا يلتفت إلى تلك القاعدة[1] بعد تعليم الله وتنبيه فهل يمكن لحكيم أومصلح أن يصرف أفكارهم إلى ذلك؟ إلى هذا المعنى إشارة في قوله: **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ** 6 نحن من زمان نسمع الويلات من المسلمين، ودعاتهم أنهم هلكوا أنهم تأخروا فلازم أن يتفكروا في طريق التقدم فيدعون في ذلك إلى الاقتداء بأقوام فاتحين. وعادة القوم الفاتحة أنه إذا لم يجعل المفتوح عبدا له يعلمهم من الخبر الذي عنده شيئاً.

جملة معترضة: نستثني من ذلك طريق المسلمين الانقلابيين في الصدر الاول أنهم فتحوا الممالك وقهروا الأقوام واستعبدوهم فإذا رأوا منهم عدم البغاوة على الانقلاب الإسلامي، والكتاب الإلهي جعلوهم مثل أنفسهم في كل شيء لعل ذلك كان طبيعة الانقلاب أو كان ذلك بإخلاصهم في تكميل الإنسانية. وإنما اشتغلوا بالمحاربة مع ملوك جبابرة فقط. أما الأقوام المقهورة تحت أيدي الجباريين لما وقعت في أيدى الفاتحين عملوا معهم مثل ما كانوا يعملون لأبنائهم. وكان ذلك صافيا عندنا إلى مقتل عثمان. وبعد الفتنة كانت تطورات. ونحن نجعل المثل الأعلى بالإسلامية الدور الأول فقط؛وذلك من أهم أصول استفدناها من حكمة الإمام ولي الله تفسير خير القرون الثلثة،

(1) في ن م : الأفكار

وحصرها في قرون النبي، وقرن الشيخين، وقرن عثمان. هذه حكمة بالغة فلم نجد عند أحد ولا المحدثين ولا المؤرخين ولا الحكماء؛فذلك القرن نستثنيه من ذلك الحكم. (1)

فنحن نقيم معلمين ونأتي بحجة الله البالغة وأمثالها؛لكن القوم لما أعرضوا عن تفهيم الرب لا يفهم أمرنا إلا بالصعوبة، والجهد الجهيد، فالإعراض عن هذا العلم موت للاجتماع، وسلب قوة ممن يريد التقدم. عندنا هذه الآيات إشارة إلى هذا الأمر الضروري **وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** (7) إلى أليم المراد منه: الرجل ينظر في ظاهر الأمر، ويأتي بالقصص الكاذبة كان أبونا عمل كذا وكذا، والشيخ الفلاني له كرامة كذا وكذا. هذا **أفاك أثيم**. **يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْه ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْه بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْه ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا 8**. الله يهديه إلى السماء إلى الأرض، ويستخرج منها أصولا تنفعه في حياته، وهو يوجه أنظار الناس إلى التفكر في ذلك، ويستكبر بما عنده من الخزانات. **فبشره بعذاب أليم** هذا دائما يكون تحت حكومة قوم آخر **وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَها هزُوًا 9** شيئا تلك الأصول البسيطة يفهمها كل إنسان،

---

(1) في ن م : "فلما تبع المسلمون فاتحين هم أولا أمروهم بترك معاشرتهم من اللباس والأكل والشرب لقوم واختيار سنة الفاتحين.بعد ذلك شرط عليهم أن يتعلموا لسانهم بعد ذلك لايعلمونهم شيئا إلا لذلك اللسان فهم يتعلمون العلوم برفاقة أهل اللسان،ويجدون أنفسهم دائما متأخرين،ولايقدرون على ترجمة تلك الأفكار إلى لسانهم القومي فحدث افتراق بين القوم بين الجديد والقديم.وهذا النزاع يفضي بعض الأقوام إلى الارتقاء،والبعض إلى الموت لأسباب خارجية،فمصر كانت قريبة من العرب فكان الطمع لفرنسا والبريطانيا على السواء وإيتاليا وألمانيا أيضا بترقبات الفرصة.فكان في تنازع بين الأقوام والهند وقع بالصدفة بيد البريطانية فقط فاطلعوها،ولم يقدروا على ابتلاء مصر، وليس في ذلك لفضيلة مصر على أهل الهند إنما هي أسباب خارجية صارت سببا لبقاء مصر إلى زمان،وصارت سببا لهلاك الهند قبل ذلك الزمان.هذا رأينا تاريخ دعوة الدعاة نذكر منهم إسم رجل في الهند،وإسم رجل في مصر السيد أحمد خان مؤسس عليكره،والسيد جمال الدين الأفغاني منشأ الحركة القومية في مصر كلاهما منهاجهما واحد.السيد أحمد علانية،وجمال الدين كأنه عمل بالتقية،وليس مدار دعوتهما إلا التبصر في سنن الاجتماع والافتراق.أنا طالعت طريقة السيدين،ورفضتهما،وقدمت تعليم حجة الله البالغة على جميع التعليمات بعد القرآن،وفيه تبصر في سنن الاجتماع والافتراق علي طريق يماثل الدعوة القرآنية،فأحببت إيصال هذا العلم إلى قلب كل متعلم متبصر يقرأ في كليات العرب حتي يتنبه هو بأصولنا القومية الملية ثم يستفيد في إرجاع القواعد وتقصير الأمثلة وارتقاء الارتفاقات كل ذلك تبعا لبرنامجة قومية.فإذا فرغ من ذلك فليتفكر في كتاب الله لا أقول إني أزدري بالسيدين؛لأنهما وظيفتهما حسب اقتضاء ذلك العصر على ما وصل إليه عقلهما ولاألوم عليهم في ذلك أما الاستمرار على ذلك إلى آخر الدهر فهذا ليس مما قضا به السيدان إنما هو جهل من المتبعين؛فليرجعوا أولا إلى حجة الله البالغة ثم يتكاملون بما شاؤوا وإني أرى فرقا بينا أهل الهند أوصلوا ذلك الكتاب بالطبع في مصر إلى السلطنة العثمانية،وإلى كل من يتكلم بالعربية ثم رأينا أهل آستانه تنبهوا إلى عظمة ذلك الكتاب،فطبعوه على هامش كتاب إحياء العلوم،وبعد شيوع ذلك بين الأقوام المسلمة ما تأثروا به مثل تأثر أهل الهند،فوضح عندي بعد التعمق أن ذلك يرجع إلى عدم رجل معلم في القاهرة،وآستانه يعلم هذا الكتاب للمتوسطين،وينشأ منهم حزب المعارضة المقلدين للعصر التقدم". هذه العبارة الطويلة لاتوجد في ن إ.

وهو يستهزئ بها أن هذا يكون مدارا لعظمة الأقوام. **أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** بمثل تلك الأصول يعمل الآخرون، ويحكمون عليهم. مثل هذا الرجل إذا أفسد اجتماعية، وتمكن القوم الغالب عليه هولا يقدر الآن أن يعمل بما يؤمن من كتاب الله بحرية بل يعمل بأمر الحكومة الغالبة لضدما أمره به كتابه فيكون نتيجة ذلك **مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا** 10 وهؤلاء الذين هو تبعهم، واتخذوهم أولياء وقال: **وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**. المفسرون كثير منهم كلما جاء ذكر اتخذوا من دون. . الخ حملوها على الأصنام فقط[1]. فإن التقى طائفة يحملون على المشائخ، والعلماء الذين يقلدهم الناس في الأمور الفاسدة، وليس الرجل همته أن يصرح بأن الأقوام الغالبة على المسلمين أيضا داخلة في عموم تلك الآيات. فمن كان راضيا بإطاعتهم فلا يغتر بظاهر إيمانه، وسبه الأصنام، والمقلدين فقط بل يجعل نفسه أول داخل فيهم إذا كان تحت قوم آخرين يتخذ من دون الله أولياء. من زمن فهمنا هذا خرج من دماغي الكبر الذي كنت أجده على كثير من الناس أنهم أعرضوا عن الكتاب، أعرضوا عن السنة، ونحن مشتغلون به فلما فهمنا أن كوننا تحت حكومة بريطانيا يحيط جميع أعمالنا الصالحة اعتزل ذلك من دماغنا.

شيخنا[2] في آخر أيامه لما رجع من مالتا إلى الهند قال: لخواص أصحابه الآن تغير برنامجنا، ونترك كل إصلاح نشتغل به، ولنتوجه إلى الأمر الواحد فقط، وهو تحررنا عن بريطانيا. وبعد ذلك يمكن كل شيء نؤخره إلى التحرر. ولا بأس في التأخير. هذا الذي وصى به خواص أصحابه قبل وفاته. وإذا تنبه المرأ بهذا يتغير جميع برنامجه **هَذَا هُدًى** يعني فقط **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ** 11 يعني يعرضون عن هذا الهدى **لهم عذاب اليم** . الآن يأمر الله من يؤمن بالكتاب بالهداية التي أشار إليها: **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** 12 لا حاجة إلى تفسير شيء، فإن الأمر واضح لمن يعرف

(1)يذكر الشيخ ابن كثير في تفسير قوله تعالى:"ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء أي ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئا.."لينظر:تفسير القرآن العظيم،الإمام الدمشقي،244/7.وغيرذلك من التفاسير المشهورة عند أهل السنة.الباحث

(2) المراد منه شيخ الهند.الباحث

الارتفاقات ثم بعد ذلك قوله: **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ 13** فالإنسان يتوجه إلى تكميل التفكر في هذه الأمور، ولايضيع وقته في المجادلة مع المعاندين. إلى ذلك إشارة في **قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّه لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ 14**. [1]حركة الزمان تكون مسلسلة تحت نتائج العلل، والأسباب هم لا يرجونها يعني لا يفهمون تسلسل الواقعات.

قل للذين آمنوا يعني للذين يعلمون يغفرون هؤلاء لايتنازعون معهم، فإنهم لايهتدون في تلك الحالة إلا إذا جعلتم مثالا صالحا للتفكر، فأنتم إذا أكملتم أمركم، ونظم السطلنة فيها أقوام مختلفة، وطبقات متفاوتة، ورأى ذلك منكم أنكم باتباع أمر الكتاب وصلتم إلى تلك الدرجة المنيعة يمكن أنهم بعد ذلك يتفكرون فاغفروا لهم اليوم **لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (14) **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ 15** تكميل مقصدكم، وعدم الالتفات إلى المنازعين لا يضركم كما يحتاج هؤلاء المخالفون أن ينظروا مثالا لاجتماع عظيم. كذلك المتفكرون منكم أيضا يحتاجون إلى مثال يتخذونه قدوة لينتظم لهم الأمر بسهولة[2]. فإذا جعلنا في العمل مثالا صالحا إماما وقدوة نفوز في جمع الأمور المتفرقة. وتنظيمها في أدنى مدة بفائدة عظيمة لا يرجى مثلها؛لأن عملنا هذا يزيد على ذلك الإمام بمدارج. الآن نقرأ **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**

---

(1) في ن م : أيام الله

(2) في ن م : "جملة معترضة: رأينا طالبين للعلم موافقين يشتغلان بجهد في العلوم بين طريقتهما فرق أحدهما يجعل رجلا كاملا كالمثل بين عينيه وكل شئ يقرأ ويفهم يجعله من منزلته بالنظر إلى ذلك المثال مثلا: الرجل قرأ النحو وأكمل الفن ثم رأى هذا الأستاذ لايجعل هذا العلم من معالى الأمور،فهذا الطالب يجعله في الدرجة السافلة،ويرجع إلى المنطق وكتب من الحكمة ويرجع إلى أصول الفقه وكتب الفقه فيتكامل الفنين المتقاربين ثم ينظر إلى هذا الشيخ أنه،وإن جعله فوق النحو لكن لايجعله منتهي طالب العلم فاشتغل هذا الطالب بعلوم الكتاب والسنة ومعرفة الحكمة فيهما وأكملهما فرأى أن هذا الأستاذ يجعلهما من معالى العلوم فهذا الطالب جمع الفنون ورتبها على ذهنيته هذا المثال المحسوس عنده هذا مثال واحد للطالب والطالب الثاني يتوجه أيضا إلى تلك الفنون كلها ويتكاملها؛لكن لا بهذا الترتيب كيف ما تيسر له اشتغل به وأحاط بذلك الفن ثم اشتغل بآخر هكذا هو يرتب الفنون بترتيب،ويجعلها في نظام واحد؛لكن هل يكون مثل الطالب الأول كلا!رأينا شواهد لذلك عديدة:الرجل الأول بعد فراغه من طلب العلوم يجد طريق العمل مفتوحا عنده،والثاني كالمتحيز يقدم هذا العلم على هذا.وإذا رأى أنه لاينفع يرجع إلى الوراء يرجح الآخر على الأول هذا في العلم كالفوضوي في العمل لايتقدم في العمل أبدا.وإذا بحثنا معه في العلوم والنظريات وجدتموه بحرا أما العمل فكأنه مسدود عليه. تمت المعترضة".هذه الجملة المعترضة لاتوجد في ن إ.

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ 16 وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيه يَخْتَلِفُونَ 17 ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَلَا تَتَّبِعْ أَهوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ 18، فكان حكم بني إسرائيل، وتفضيلهم ثم في زمن داؤد وسليمان. وسليمان كان له طيارات في الهواء، وغواصات في البحر، وجنود على سطح الأرض. أفكل ذلك مأمور به في التوراة في الأحكام العشرة؟ثم يحكمون بين المتخاصمين، فداؤد يحكم بطريق مبني على أساس، وسليمان يحكم بأحسن منه. أليس ذلك كله اجتهاد، ومنهاج؟ وبدون التفكر في آيات الله وصلوا إلى تلك الرتبة. ثم جعلناك على شريعة أكمل من شريعتهم، وأجمع للأقوام فأنتم تجتهدون بمثال بني إسرائيل اجتهاد أكثر، وأفضل منهم. كان هذا ارتقاء بني إسرائيل مبنيا على بينات من الأمر. هكذا أنتم أيضا تعملون في جميع أموركم. والابتناء يكون على بينات من الأمر. والأمرالصحيح إذا لم يلتفت إليه لا يكون بينا. وإذا تفكر فيه واحد بعد واحد، وجماعة بعد جماعة تصير بينات. **وَلَا تَتَّبِعْ أَهوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** 18 الجهال هواهم أن لا يتكلفوا في تحصيل العلوم **إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّه وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** 19 إذا وافقتهم فكأنك خرجت عن اتباع أمر الله. **وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض.** هؤلاء الناس لا يتفكرون لإقامة العدل، فيصيرون مبتلين بالظلم، فأنتم في عدم التفكر لا تكونوا أولياءهم. والله ولي المتقين إن ما أتاكم شريعة، ونور قلوبكم لتقيموا العدل في جميع الأقوام. والجزء الغالب عندنا في التقوى هو العدل. والله ولي المتقين الذين يقيمون العدل، فأنتم هؤلاء المتقون. والله وليكم فلا تهنوا في إقامة العدل بعد معرفة سيرة الأقوام، ونفسياتهم الظاهرة والباطنة. الخلفاء الراشدون لما فتحوا المدائن جعلو الأمير عليها سلمان الفارسي[1] . أليس هذا تفكرا في معرفة نفسيات الأقوام؟ والناس متفقون أن

---

(1) سلمان الفارسي أَبُو عَبْد اللَّه ويعرف بسلمان الخير مولى رَسُول اللَّه _صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ_ وسئل عن نسبه، فقال: أنا سلمان بْن الإسلام.أصله من فارس، من رامهرمز،وكان اسمه قبل الإسلام مابه بْن بوذخشان بْن مورسلان بْن بهبوذان بْن فيروز بْن سهرك، من ولد آب الملك.كان ببلاد فارس مجوسيًا سادن النار وأول مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق، ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق،قال أهل العلم: عاش سلمان ثلثمائة وخمسين سنة لينظر: أسد الغابة: ابن الأثير, 2/ 510.

المسلمين إلى ذلك الزمان ما دخل فيهم شيء إلا تحت أمر القران. هم تدبروا القرآن، وفهموا أن رعاية نفسيات الناس أوفق في العدل فعلوا بها **هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** 20. عندنا إذا كان رجل سليم المزاج قوي الدماغ، وأراد أن ينظم سلطنة على حكم القرآن، فالتدبر في القرآن يكفيه.

جملة معترضة: رأينا وسمعنا رجلا من الهنود عكف على مهابهارت، فكل سؤال سأله الناس يأتي لهم من مهابهارت؛لأن دماغه انصبغ بتلك الصبغة، فإذا قدر الدماغ لحل هذا السؤال له تلك الصبغة تدله إلى استخراج الحكم من بعض كلمات مهابهارت ثم مثال آخرشيخ شيخنا بل شيخ مشائخنا الحاج إمداد الله[1] كان عكوفا على المثنوي، فكل مسألة سأله رجل يستخرجها من المثنوي هو كان عارفا كاملا يجيب بجواب بتصفية قلبه؛لكن ذلك الانصباغ يسهل له الاستنباط من المثنوي ثم رأينا الشيخ حسين بن محمد محسن المحدث اليماني الأنصارى البهوبالي[2] كلما سألناه عن مسألة في علم الحديث يجيبنا من فتح البارى، وفتح البارى بأيدينا وأنظارنا، فكنا نتعجب أنه كان متوجها بكل همته، فيستحضر المسائل، ويخفى علينا. ومن تلك الأمثلة استخرجت قاعدة: القرآن إنما أنزل لإنشاء انقلاب عظيم في العالم. فكل رجل أراد أن ينتظم حكومة انقلابية بعد رد الباطل، وكان عكوفا على القرآن يجد منه كلما يحتاج إليه. عندي هذا معنى قوله:**هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ونذكر الآن قطعة من 18 **وآتيناهم إلى يختلفون**. الله ذكر بني إسرائيل كالإمام، والقدوة للمسلمين في أعمالهم ثم الذين اختلفوا في الكتاب. وبينات الأمر هي أصول الحكم الواضحة اختلفوا عنها يقضون لقوم بوجه، والآخرين بوجه آخر مثل أهل التطفيف، وكان ذلك بغيا بينهم. كل قوم قبيلة رجل لايطيعون أمثالهم. وهذا يكون بسبب عدم فهم أسرارالاجتماع،

---

(1) سبق ترجمته

(2) هو الشيخ حسين بن محسن اليماني كانت ولادته ببلدة الحديدة لأربعة عشر مضين من جمادى الأولى سنة1245ه, وكان من شيوخه: والده،والسيد حسن بن عبد الباري الأهدل مفتي زبيد وغيرهم من أئمة الكبار. فقدم أرض الهند، وذلك بعد خمس سنين من الفتنة العظيمة بالهند فدخل بهوبال في عهد سكندر بيكم وأقام بها سنتين،ثم رجع إلى وطنه،ثم عاد بعد خمس سنين في عهد شاهجهان بيكم، وأقام ببلدة بهوبال أربع سنوات، ثم رجع إلى وطنه.من مصنفاته : تعليقات على سنن أبي داؤد.توفي في عام 1327ه.لينظر: نزهة الخواطر: للحسني , 8/ 1212-1214.

والافتراق إن كان الاجتماع سبب قوة فالافتراق يكون سبب سلب قوة. والافتراق لا يأتي إلا من ذلك الطريق. رجل لا يطيع رجلا مثله يجعل لنفسه فرقة مخالفة لفرقة المتبوع. هذه البغاوة تكون سبب الاختلاف. وعندنا تلك هي دابة الأرض التي تأكل منسأة الملك. فالله ذكر أن الله يقضي؛لأن الاختلاف فيه حق، وفيه باطل، فمثل هذا الاختلاف يؤخر إلى يوم القيامة، ونحن نأخذ من تلك الآية إشارتين: 1: المسلمون لا يتبعونهم في هذا الأمر، وكذلك فعل الصدر الأول ايتمروا بأمر القرآن 2: إن ذلك يقع بين المسلمين سواء بسواء؛لأن البغاوة أمر طبيعي لايمكن أن يستمر المسلمون، ولا يكون فيهم الباغي؛لكن المدة التي استفدناها من قوله حم لم يقع في تلك المدة بغاوة، وما اتبعوا في تلك المدة طريق فساد بني إسرائيل. تم الذي كان تركناه.

فصل: هذا الانقلاب، وهذا التعمير يكون بوجهين مشتبهين في الظاهر مفترقين في الباطل. السلطان يريد التغلب على السلاطين، فيتفكر في أسرار الاجتماع والافتراق وقانون الهدم والتعمير؛لكن يكون مرجعه انتفاع هذا السلطان أولا بالذخائر المادية والمفاخر المعنوية. وكل من يكون أقرب إلى الله في اتباع هواه من أهل بيته وقومه ورعايا مملكته؛ليكون أقرب إليه وينفق من تلك الذخائر ويمدحونه، فيفتخر بذلك على الملوك. ومن يخالف هواه يضيق عليه عيش الدنيا، وإن كان من أولاده وأهل بيته أوعائلته وقومه ورعيته. هذا نوع من التغلب وانتظام لاجتماع الناس على درجة عالية. وقسم آخر: قانون العدل الذي وضع الله في فطرة كل إنسان بعد ما قرره في الملأ الأعلىٰ، وأنزله على لسان رسله. كل من يكون مطابقا لذلك القانون يكون مرحوما. وكل من خالفه يكون مرجوما. فالمعيار في الحق والباطل ليس هوى رجل أي رجل كان بل القانون الإلهي المقرر الذي لا يتبدل، ويدركه الناس بفطرته، وجماعة من المؤمنين، وعلى رأسهم رسولهم يتفكرون في أسرار الاجتماع والافتراق وأصول الهدم والتعمير. ففي الظاهر أمرهما متقارب متشابه. وفي المعنى فالفرق بينهما مثل الفرق بين السماء والأرض أوالنور أوالظلمة، فالآيات التي بعد ذلك في هذه السورة تشير إلى رد النوع الأول من الحكومة والهدم والتعمير لذلك، ويجعل النوع الثاني مفترقا عنه ببينات. فمن الآية 21,22 أشار الله إلى أن هاتين الطريقين ليسا بسواء بل يكون

فضل الطريقة الثانية على الأولى واضحا. **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** 21. ثم بعد ذلك من 23 إلى 26 بيان بطلان الطريقة الأولى بأمر واضح أنهم لا يلتفتون إلى الدار الآخرة، ويحصرون جميع جهودهم في الحياة الدنيا. ومن يتعمق في أسرار الاجتماع يصير مجبورا إلى إثبات الدارالآخرة، فإنكارهم الدار الآخرة صار سمة على بطلانهم. نقرر الآيات **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهه هوَاه وَأَضَلَّه اللَّه عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِه وَقَلْبِه وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَنْ يَهدِيه مِنْ بَعْدِ اللَّه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** 23. كل حكم يوافق هواه حق. وكل حكم يخالف هواه باطل. ولا يجترئ على ذلك في سلطنة عظيمة تجمع بين الأقوام إلارجل جاهل، فالعقلاء إذا حكموا على السلطنة العظيمة يتخذون وزراء من كل قوم، وكل طائفة، ويتبعون مشورتهم يقوم بذلك سلطنتهم. أما هذا يجعل هواه آلهة **وَأَضَلَّه اللَّه عَلَى عِلْمٍ**...هذا هو تقبيح للنوع الأول من الحكومة، ولكن أكثر الناس. وعندنا إشارة إلى أن مثل هؤلاء يحكمون على المسلمين فالقرآن حكم عليهم من أول الأمر لئلا ينسب مثل هذا إلى الإسلام، والقرآن ثم الله يصرح بأن ملك السموت، والأرض لله[1] فمن عمل بالحق يجازيه بأحسن ما يمكن، ومن حكم بالباطل يجازيه بما يستحقه. آخرالسورة هذه الثلاث. الملك لله من ٢٧ إلى ٢٩ هذا تصريح بملك الله على الجميع. من ٣٠ إلى ٣٥ بيان جزاء الكفار فقط. وبعد ذلك آيتان تصريح **فلله الحمد** هذا تصريح بأن القران يقيم حكومة اجتماعية عالمية إلهية. **وَلَه الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** 37 هو الذي يستحق. الحمد لله.

(1) له لأن كلمة "الله" ذكر في بداية الجملة فإرجاع الضمير إليه أنسب.الباحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحقاف

"**حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.** " الأمر الخاص في هذه[1] السورة هو تكميل التعمير بعد الهدم. وهذا عمل يستدعى[2] دوام العمل والصبر عليه. والأمر المشكل فيه هو إبقاء الروح بعد إقامة الصورة. الانقلاب كالروح يكون معناه ترك الظلم على الضعفاء، فإن لم يمتنع الظالمون فالتدمير لهم وإهلاكهم. وبعد إهلاكهم لازم للاجتماع إقامة حكومة لا تكون مثل الأول، فتقام الحكومة ولا يكون فيها إمكان الظلم. هذا أمر صعب. وهذا هو الذي نسميه بالتعمير بعد الانقلاب. وأصول ذلك القوة الانقلابية تبقى على حالها. والتعليم والتذكير للانقلاب يكون على حالة. في ضمن ذلك يتكامل التعمير. وأما بعد نسيان هذا العمل فالتعمير الذي يكون مثل الأول المنهدم. هذا يحتاج إلى تغيير ذهنية القوم. وهذا الأمر والعمل يحتاج إلى صبر طويل ومجاهدة عظيمة؛لكن هذا الجهاد نوعيته خلاف الجهاد في الهدم. والإمام الجامع للكيفيتين يكون كالكبريت الأحمر[3] في الإنسانية، فالأحسن إقامة جماعة مقامه. وتبديل النظام القومي أنه دائما يهيئ القوة لقيام الجماعة المعتدلة. فإذا تفكر رجل في هذا العمل يرى أنه مشكل عظيم. إن كان أرض محدود وقوم محدود يقيم الرجل ذلك النموذج، فالعمل في الجملة يكون سهلا؛لكن الأرض محاط بالأرضين، والقوم محاط بالأقوام. إقامة الحدود بين الأقوام غير ممكن. وإقامة الحدود بين الأرضين أصعب من ذلك نظرا إلى تلك المشكلات. كان يقول عمر الفاروق:"وددت لو أن بيننا وبين فارس خندق من نار. [4] قليل من الناس يتفكرون في قول الفاروق، فإصلاح قوم لا يعتمد عليه إلا بعد إصلاح

---

(1) في ن م : تلك.

(2) في ن م : يستدعى الدوام يستدعي دوام العمل.

(3) كبريت:مادة معدنية صفراء اللون إلى الخضرة تكثر في البلاد البركانية,شديدة الاشتعال.2:ياقوت أحمر.3:ذهب أحمر.لينظر:المعجم الوسيط,مجمع اللغة العربية القاهرة,783/2.

(4) إن الشـيخ السـندي ذكر ذلك الأثر معنى أما لفظا فقد وجدته في تاريخ الطبري كما أخرجه الإمام الطبري في تاريخه عن طريق شعيب: قال: حدثنا سيف، عن محمد والمهلب وعمرو، قالوا: كان المسلمون بالبصرة وأرضها- وأرضها يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم، وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمة والمنعة- وعميد الصـلح الهرمزان وقد قال عمر:

أقوام محيطين به. وتلك السلسلة لا تنتهي إلا بعد إقامة الإصلاح في جميع النوع الإنساني. هذا الأمر الذي تكفل له القرآن، وعجز عن أداء حقه المسلمون بعد الألف الثاني كأنهم تركوا عزم إصلاح العالم أيضا. فالألف الأول، وإن كان فيه نواقص ومناقضات؛لكن بقية العزم كانت موجودة. هذا معنى التعمير بعد الانقلاب "**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ**" إن الإنسان إذا تفكر في النظام الأرضي والسماوي، وتعلقه بهما تفكراعميقا يهتدي إلى الحق هذا معنى قوله : **إِلَّا بِالْحَقِّ** تحت حكمة. فإذا تعمق الرجل نظره فيهما يدرك، فقوة الإصلاح لاتتأتى[1] في الإنسان إلا بعد تعميق التفكر. [2] **وَأَجَلٍ مُسَمًّى**: كل شيء في الأرض فيه حكمة؛لكن إلى مدة. وبعد ذلك تجديد ذلك الأمر ألزم. لو لم يكن هذا كان الأنبياء الأولون أقاموا إصلاح الإنسانية ما احتجنا بعد ذلك إلى الأنبياء الآخرين؛لكن لما كان ذلك كله إلى وقت معين. إذا تجاوز الناس عن ذلك الوقت أحسوا بالحاجة إلى الإصلاح. **وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا** . . . المفاسد التي غلبت على الناس نريد إصلاحها. فلوترك الناس لتلك المفاسد ما احتجنا إلى الانقلاب؛لكن ذلك الأمر الفاسد قد

حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز، **وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم**..لينظر:تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري،ت: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)79/4، الناشر: دار التراث – بيروت،ط: الثانية - 1387 هـ.

(1) في ن م: لاتنشأ

(2) في ن م :هذه العبارة الطويلة "وفي قوله :والذين كفروا عما أنذروا معرضين.أهل اللسان يعرفون موارده. فالقرآن ومعناه كان معلوما متعينا في القرن الأول. في زمن النبي _عليه السلام_ كان كل الاعتماد على ذاته الكريمة،وفي زمن الراشدين فكان أول عمل عملوه أن جمعوا القرآن في مصحف فلايشكل الناس في القوة الحاكمة لايمكن لرجل أن يأتي بقول،ويقول إنه قرآن ويقرأ عامة الناس هذا المصحف فيعرفون ما القانون؟ وإلى ما تنتهي الحكومة. ؟وكان نظامهم قائما على أساس.خلاصة الأمر: أنهم كانوا يعلمون أن لاحكم إلا لله،ويعلمون أن حكم الله منحصر في كتاب الله. لايجوزون أن النبي كان يحكم بغير حكم الله فيعتمدون عليه ثم كتاب الله مقرر في المصحف. وما في المصحف يعلمه كل أحد يقرأه ويفهمه.فإذا قرأنا القرآن لازم علينا أن نستحضر تلك المبادئ الثلاثة.وإذا وقع ريب في أحدها يبطل الأمر كله إذا وقع خلل في معرفة ما في كتاب الله،وخلل في حصول الجزم بحكم الله لايمكن إقامة هذا النظام الذي يريده القرآن وإقامة النبي.ومسألة التعمير ناظر إلى أهمية إذا لم يقدر قوم على نشر معارف القرآن في الجماعة عامة،ولم يجعلوها مطمئنة بذلك لايقدرون على التعمير أبدا" لاتوجد في ن إ.

يكون مفيدا لبعض الناس هم يمنعون الإصلاح حتى يصرون إلى حد الكفر فيكون حاجته إلى الانقلاب.

"قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّه مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهمْ هذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" فيه بيان أن الإصلاح لازم أن يكون من الابتداء. لم يبق أمر فيه بقية صالحة حتى أن الترميم الجزئي يكون كافيا فيه، فهدم العمارة وإقامة أخرى من الابتداء ألزم. أصل المسألة: الإنسان إذا أحس احتياجه إلى إنسان آخر، وكذلك حكم الجماعة إذا أحسوا حاجته إلى جماعة أخرى يجتمعون، فيتولد بالاجتماع فكرالإصلاح؛لكن الناس منهم استغنوا، وهم لا يريدون أن يجتمعوا مع أحد آخر فلا يحدث فكر الإصلاح، وهم قابضون على المواد النافعة أكثر مما يحتاجون إليه؛فلذلك جعلوا الناس كثيرا فقراء، فتلك الجماعة الفقيرة تحس الاحتياج. وأما هؤلاء الأغنياء فلا يحسون ولا يجتمعون للإصلاح بل اذا رأوا الفقراء مائلين إليهم يظلمونهم أكثر من الأول. هذا هو أساس المسألة ثم يحدثون لها صورة الإنسان بفطرته وبتربيته الاجتماعية يحتاج إلى دين، فالدين إن كان على أصليته يكون عموميا لا يفرق بين ناس وناس. هذا الدين يضر الأغنياء هم يجعلون لأنفسهم دينا جديدا، ومعبودا فرضيا يوافق نظريتهم. فإذا جاء ذكر الدين من جهة عامة الناس، ويكون مرادهم الدين الحق الأغنياء يدعونهم إلى الدين المبتدع المخترع، فهؤلاء الأغنياء لا يتحدون فيما بينهم . كل يخترع لنفسه دينا على حدة. قوة الأديان في الاجتماعيات القديمة كانت مثل قوة الحزبية السياسة في الاجتماعيات الحديثة. الرأسماليون في الاجتماع الحديث الموجود يدعون الناس إلى حزب عمومي يشتركون فيه في أول الأمر يكون الناس غافلين لكثرة الجهل فيهم، فهم يستثمرون الفوائد من خدمة العامة. فإذا رأوا أن الناس تنبهوا

يختلفون نظرية أخرى يدعون إلى حزب جديد النفع يكون خالصا لهم قريبا من مثل هذا. صورة الأديان:دين واحد عمومي يجمع جميع الإنسانية تحت قانونه بالمساواة فهو الدين. هو الدين في لسان الأنبياء هو يجمع الإنسانية ويكون إلها واحدا ثم إذا قام الناس الطغاة المستغنون استحدثوا أديانا خاصة؛لتنفعهم، وجعلوا لهم آلهة خاصة كل يؤمن ماله ينفعه. وأما أن يشترك فيه الإنسانية فلا يشركون فيه إلا من يشاؤن ويقبل نظريتهم تاما. فأما إذا كان الأمر على هذا مشاع في قوم هل يمكن الإصلاح إلا بعد هدم كل ذلك. ومسألة الهدم ليس بمقصود بيانها في هذه السورة. إنما جاء ذكرها مختصرا لتنبيه الناس أن الإصلاح إذا تغافل عن هدم الباطل لا يكون إصلاحاً دائماً يستحفظ تلك النظرية:أن هدم الباطل وتعدد الآلهة وتقسيم الإنسانية على أحزاب واجب محوه من وجه الأرض. إلى هذا المعنى إشارة في هذه الآيات التي تلوناها. **قل أرأيتم إلى سحر مبين**. . فإذا كان الإصلاح بعد الهدم فيكون من الابتداء بالضرورة يجمعون بالإصلاح؛لكن لا يطمئنون بالبرنامج الذي يأتي به النبي عن مثل هؤلاء القوم يأتي نسبة الافتراء على النبي "**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُه فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّه شَيْئًا هوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيه كَفَى بِه شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**"8 إشارة إلى هذا جوابه الأول **قل إن افتريته** الخ أنا شريك في هذا الانقلاب أم لا؟ضرره يصل إلى حوالي بيتي أم لا؟، هل ترون قوة إذا جاءت المصيبة هي تنجيني من تلك المصيبة. فكيف يفتري العاقل بشيء ضرره يكون عليه؟ **هو أعلم بالغيب** الخ الغالب أن المراد يكون البحث عندهم أن هذا الرجل يريد أن يتحكم عليكم. وبعد حصول القوة كل من خالف هواه يقتله مثل ما جربوه من الملوك أجابهم عنه بقوله: **كفى به شهيدا** الخ أما بعد هذه الغلبة أكون تحت القانون مثلكم، والحكومة لله لكتابه وقانونه.

جملة معترضة: في القرن الأول لم يكن الدعوة إلا إلى حكم الله. وما كان المراد من حكم الله إلا حكم القرآن . كان الناس عالمين بالقرآن إما بأن يستحضروا المعاني وإما بأن يذكروا إذا ذكروا؛

لأن القرآن دائما يقرأ في الصلوت، ويبحث عنه في المجالس، وهم أهل اللسان يعرفون موارده. فالقرآن ومعناه كان معلوما متعينا في القرن الأول.

في زمن النبي كان كل الاعتماد على ذاته. وفي زمن الراشدين كان أول عمل عملوه أن جمعوا القرآن في مصحف فلا يتشكك الناس في القوة الحاكمة لا يمكن لرجل أن يأتي بقول ويقول إنه قرآن ويغير عامة الناس هذا المصحف فيعرفون ماالقانون؟ وإلى ما تنتهي الحكومة؟ وكان نظامهم قائما على أساس. خلاصة الأمر: أنهم كانوا يعلمون أن لا حكم إلا لله ويعلمون أن حكم الله منحصر في كتاب الله، لا يجوزون أن النبي كان يحكم بغير حكم الله فيعتمدون عليه ثم كتاب الله مقرر في المصحف. وما في المصحف يعلمه كل أحد يقرأه ويفهمه. فإذا قرأنا القرآن لازم علينا أن نستحضر تلك المبادئ الثلثة، وإذا وقع ريب في أحدها يبطل الأمر كله، وإذا وقع خلل في معرفة ما في كتاب الله، وخلل في حصول الجزم بحكم الله لايمكن إقامة هذا النظام الذي يريده القرآن وإقامة النبي. ومسألة التعمير ناظر إلى أهمية إذا لم يقدر قوم على نشر معارف القرآن في الجماعة عامة، ولم يجعلوها مطمئنة بذلك لا يقدرون على التعمير أبدا. ونذكر هاهنا واقعتين وقعتا في الفتن 1: الخوارج[1] قالوا: لا حكم إلا لله، وأخطاؤا في فهم تلك الجملة لا يدرك كل رجل كل حكم من القرآن بنفسه إما يدرك بنفسه وإما يعتمد على عالم يستفيد هؤلاء مع الجهل استبدوا بآرائهم؛لذلك أمر علي عبد الله بن عباس[2] أن يناظرهم[3] فأتى لهم بأمثلة التحكيم من القرآن، رجع أكثرهم ولم يبق إلا من عائد فقاتلهم علي. ليس الغرض من هذه المقاتلة. الغرض أن عامة الناس في هذا القرآن كانوا يعلمون أن لا حكم إلا لله، وكانوا يعلمون المراد من كتاب الله.

---

(1) قد سبق الكلام عن هذه الفرقة.الباحث

(2) سبق ترجمته

(3) إن القصة ذكرها السيوطي في كتابه الإتقان قوله:" أخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال: "اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة ".وأخرج من وجه آخر أن ابن عباس قال له: يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال: صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصا فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة".لينظر: الإتقان في علوم القرآن ت: جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)145/2-146,المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: 1394هـ/ 1974م.

والمقدمة الثالثة كانت سالمة في القرن الأول، فما أخطاؤا. كان الناس مطمئنين أنهم يقدرون أن يعرفوا الأحكام من القرآن. أما بالتفكر في ما سمعوا وحفظوا من القرآن؛لأن القرآن متشابه ماكان يأتيهم فكر أن ما سمعنا وحفظنا يكون في باقي القرآن بشيء يرده، وإن لم يقدروا بأنفسهم فيرجعون إلى العالم، وهو يعلمهم، وما يؤدون لتحصيل العلم في ذلك أجرا . أما في زمن النبي فالمعلمون كانوا يحتسبون هذا الأمر لوجه الله. وفي الخلافة الراشدة كان العمل لله؛لكن الحكومة تعطيهم ما يكفيهم؛فلا يحتاجون إلى الأخذ من المتعلمين. تمت المقدمة الثالثة.

اختل أمرها في زمن الفتنة. غلب الجهال على العلماء، ثم مثال آخرمن زمن الفتنة: معاوية[(1)] وعمرو[(2)] كادوا مكيدة رفعوا المصاحف، ودعوا إلى الصلح، فجعلوا المصاحف كتاب الله، والحقيقة أن المصحف يكون كتاب الله مع العالم، فليس البحث هاهنا عن نوع المكيدة. البحث أن الناس عامة كانوا يعرفون أن كتاب الله هو حكم الله؛لكن احتال المحتالون، وأفسدوا ذهنية العامة. هذا شيء غير هذا. إذا قرأ [(3)] فلازم أن نفرض أنفسنا في الصدر الأول نفهم القرآن بالسهولة. وإذا أردنا أن نجعل مع القرآن حكم النبي أوحكم الخلفاء الراشدين أو إجماع صالحي المؤمنين مدارك للعلم نستند إليها مثل استنادنا إلى القرآن، فالقرآن لا يأتي في فهم ذلك الرجل أبدا. إنما يلتقط الرجل من القرآن التقاطا ما يوافق هواه؛لكن في القرن الأول ما كان الناس يعرفون إلا حكما مأخوذا من القرآن، ولا ولايسألون النبي عن وجه الاستنباط ولا يعتمدون على حكم الخلفاء ولا يطمئنون به إلا إذا أسندوا حكمهم إلى القرآن. تمت الآن المعترضة.

---

(1) سبق ترجمته

(2) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي السهمي. يكني أبا محمد وقيل أبو عبد الرحمن، أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي، وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة.أسلم قبل أبيه، وكان فاضلا عالما قرأ القرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله، أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: " نعم، فإني لا أقول إلا حقا ".قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب توفي سنة خمس وخمسين بالطائف.لينظر: أسد الغابة : ابن الأثير: 3/ 345.

(3) في ن م : إذا قرأنا

والذي[1] فهمنا من قوله: **قل إن افتريته** الخ إني لست من الذين يقدمون هواهم كما تفيضون فيه بل الله شهيد أني اتبع حكم الله في القرآن مثلكم. لاحكمه إلا للقرآن وحكم الله هو القرآن لاحكم إلا لله. هذه كالمعاهدة بين النبي وبين قومه: "**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِين 9**" هذا هو الجواب الثاني لقولهم: **أم يقولون افتراه**. سنة الرسل متقررة أنهم يعملون بما يأمرون ولا يتفكرون في العاقبة أنا مثلهم. تنظرون في سنن الرسل المتقدمين تسألون أهل الأديان أنهم بدون أدنى حضور في قلوبهم يعملون بما يأمرون، [2] فأنا لا أقدر أن أتفكر هل هذا ينفعني؟ أولا؟، كيف ما أمرت أبلغكم. **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** لاأتفكر في العاقبة مثل الأنبياء.

إن اتبع إلا ما يوحى إلي. إن أتبع إلاواضحا في معناه. ونريد أن يتشبت المسلمون أن الناس في القرن الأول ماكانوا يفهمون من الوحي إلا كتاب الله ثم ما كانوا يعلمون إلا مافي كتاب الله إلا ماكتب في المصحف. والفرق بين عصرنا وبين القرن الأول عندي يرجع إلى شيء واحد. أن في الصدر الأول كانوا هيأوا في كل موضع اجتماع المسلمين جماعة من العلماء بالقرآن إذا احتاج الناس إلى فهم آية سألوهم فأجابوهم، وإن لم يقدروا على الإجابة على الفور جعلوهم منتظرين إلى أيام، وبعثوا بالسؤال إلى المركز، وفي المركز قوة كاملة حافظة للقرآن موجودة، فإذا جاءهم جواب المركز أجابوا. هذا النظام جعلوه من فروض الكفاية على المسلمين. ولما كانت الفتوحات في آخر عثمان طويلة عريضة، وما قدروا على إقامة جماعة معلمة للقرآن. في تلك الممالك الواسعة حدث الانتشار. ولو أنهم أقاموا الدين، وجعلوا بعد الفتح في كل موضع تقام فيه الجمعة عالمة بالقرآن العظيم، والحاكم لا يخرج عن مشورتهم أبدا ماحدثت الفتن التي غيرت نظام المسلمين.

---

(1) في ن م : والذين لكنه خطأ.الباحث
(2) في ن م : يؤمرون.

جملة معترضة:[1] بعد حدوث الفتنة التي كان أصلها ظن الناس أن الحاكم يتبع هواه لعدم قوة مستشارة عالمة بالقرآن عنده، والحاكم ليس من أهل العلم، ولا يبالي كثير مبالاة بشكوك الناس؛ لأنه هو الفاتح، ولا يراجع المركز؛لأن في نفسه نوع بغي على المركز هو يعرف أن أمير المومنين ابن عمر[2] لا يؤاخذه من تلك المساهلة حدثت الفتنة الأولى، واستمرت الفتن بعد ذلك. ذلك المرض يتبدل في صور كل ما قام رجل صالح أو كان معه بطانة صالحة اعتمد الناس عليهم مثل أولاد عبدالملك_ الوليد وسليمان وهشام_ كان مع هؤلاء الأمراء متشاورون مثل عمر بن عبدالعزيز[3] ومثل رجال قدموا عمر إلى الخلافة في أولاد عبدالملك مع كونه لم يكن من أولاد عبدالملك، فكانت هناك بطانة صالحة مع الأمراء موجودة ؛فالفتن إنما تقف لمجيء سد قدامها حتى انتهى الأمر إلى العباسية، واستقرت الخلافة بقوة الإيران، وبقوة العجم فيهم الإيراني والهندي، والبرامكة كلهم هندية، والناس يتوهمون أنهم مجوس من الإيران. وفي ذلك لسانهم إيراني، فكانوا يعرفون إيرانيين، ثم اعتمد الرشيد[4] على أبي يوسف[5] وهو نظم قضاء الخلافة كلها تحت فقه الإمام أبي حنيفة الذي يدرك العجم حكمة وحقية إما بالبداهة من أنفسهم وإما بالسؤال عن فقهاء أبي حنيفة، فالحنفية انتشروا في الأرض، وعلموا الناس الفقه تحت قواعد تقتضيها أنفسهم. وعامة ذلك يرجع إلى تقليد رجل كبير مثل عبدالله بن مسعود[6] أو إبراهيم النخعي[7]. وبعد التقليد في أصل المسألة تشريح الفقهاء الحنفية يكون عقليا يطمئن به قلوب العامة. وبعد اطمينان الناس على ذلك القانون رفعت ظلمة الفتن عن عامة المسلمين، وكان ذلك إلى آخر فتنة بغداد. فمقصدنا تعمير قوم لاجتماعية عالية لا يمكن إلا بعد اطمينانهم على القانون إلى الغاية. فالقرآن في ابتداء أمره قريبا إلى مائة سنة كان

---

(1) في ن م : فائدة ضرورية تتمة.
(2) أظن أن هذا اللفظ عمرو،وليس ابن عمر لعله من خطأ الكاتب.
(3) سبق ترجمته
(4) سبق ترجمته
(5) سبق ترجمته
(6) سبق ترجمته
(7) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود(46 - 96 هـــ = 666 - 815 م)، أبوعمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث. من أهل الكوفة. مات مختفيا من الحجاج.ولما بلغ الشعبيّ موته قال: والله ما ترك بعده مثله لينظر: الأعلام,للزركلي,80/1.

حاكما على اجتماع الناس، فنحب أن الرجل إذا قرأ القرآن فليتصور أنه ليس يوجد قانون غير القانون. والاطمينان الثاني الذي حدث زمن العباسية كان فيه أيضا معنى القرآنية محفوظا، والحنفية أشاعوا في الناس إشاعة عظيمة أن ابن مسعود كان أعلم الناس بالقرآن، ونحن نقلد طريقه. قوله : **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** الجواب الثاني: كان أني اتبع طريق الرسل، وكان هذا الجواب محتاجا إلى تتمة. المخاطب أميون ليسوا بأهل كتاب حتى يفهموا سنة الرسل فلا يكون الحجة تامة عليهم إلا إذا شهد شاهد من أهل الكتاب موثوق به عندهم أن هذا النبي على طريقة الأنبياء السابقين.

فائدة: كيف هذا ورقة[1] نصراني؟، ولم يكن من بني اسرائيل . [2] المفسرون بحثوا عن هذا الشاهد[3] من بني اسرائيل والأكثر أنه عبدالله بن سلام. [4] السورة مكية. وابن سلام آمن بالمدينة. وعند البعض هذه الآية مدنية، والسورة مكية[5] عرفنا بذلك أن اتساق آيات القرآن ومعانيها ليس بلازم عندهم. البحث وقع بمكة، والنبي يجيب بإثبات أن سيرته سيرة الأنبياء، ويحتاج هذا الدعوى إلى شاهد؛لكن الشاهد يأتي بعد عشر سنين في المدينة. فكيف يطمئن المخاطب شهادته؟وهم

(1) سبق ترجمته

(2) في ن م : هذه العبارة" فائدة: كيف هذا ورقة نصراني؟، ولم يكن من بني اسرائيل" لاتوجد. أما في ن إ يوجد هذه العبارة.

(3) اختلف المفسرون في تعيين الشاهد الوارد في الآية المذكورة: قال مسروق والشعبي: ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية، وإسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير. قال مجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدي والثوري ومالك بن أنس، وابن زيد : إنه عبد الله بن سلام.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,256/7.

(4) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله. روى عنه ابناه: يوسف، ومحمد، وأنس بن مالك، وزرارة بن أوفى. وكان إسلامه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا. توفي عبد الله بن سلام سنة 43ه ، قاله أبو أحمد العسكري. لينظر: أسد الغابة : ابن الأثير,3/ 265.

(5) يقول الإمام ابن عاشور في تفسيره: ويجوز أن تكون الآية نزلت بالمدينة وأمر بوضعها في سورة الأحقاف، وعلى هذا يكون الخطاب في قوله: أرأيتم وما بعده لأهل الكتاب بالمدينة وما حولها. وعندي أنه يجوز أن يكون هذا إخبارا من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بما سيقع من إيمان عبد الله بن سلام فيكون هو المراد ب شاهد من بني إسرائيل وإن كانت الآية مكية.لينظر: التحرير والتنوير , ابن عاشور,21/26.

ماتوا قبل ذلك. وأجاب آخرون أن الشاهد هو موسى[1]. أنا تفطنت بعد ما شرحت الباب الأول من البخاري أن هذا الشاهد هو ورقة بن نوفل رجل ثقة عند قريش، وهو آمن بالتوراة والإنجيل هوباعتبارتدينه، وإن لم يكن إسرائيليا من بني اسرائيل. هو لما سمع أول الواقعة في إتيان الوحي شهد أنه مثل موسى. [2] وما قرأنا في كتاب أن أحدا فسر مثل هذا؛لكن مرة ذكرت أنا لرجل من أهل العلم فحكى لي من رجل آخر أنه قال ذلك. وبعد شهادة الشاهد إذا استكبررجل يكون من الظالمين، والحجة قامت على الناس بنبوة النبيــ عليه السلامــ. الآن هم يقدمون أنفسهم بوجه غير علمي. "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْه وَإِذْ لَمْ يَهتَدُوا بِه فَسَيَقُولُونَ هذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**. 11 هم يثبتون لأنفسهم فضائل ومزايا، ويجعلون الجماعة التي أسلمت سافلة. وقياسهم أن هذا الرجل لو كان حقا ما سبقنا أحد إليه فالله ذكرأن في المؤمنين أشراف مثلكم. ليس الإيمان بالقرآن منحصرا في الطبقة السافلة فأفهموا. **وإذا لم يهتدوا به**. مثل هذا الرجل يقوم الناس، ويدعون النبوة، ولا يكون لهم نتيجة قوله: "**وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ 12**" يكون في هذا الكتاب هدم ويكون فيه تعمير. "**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّه ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 13**" استقاموا على اتباع القران فلا خوف عليهم. فالتعميم أيضا يكون على حسب هداية القرآن. بعد ذلك. "**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه إِحْسَانًا حَمَلَتْه أُمُّه كُرْها وَوَضَعَتْه كُرْها وَحَمْلُه وَفِصَالُه ثَلَاثُونَ شَهرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّه وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاه وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**. . (**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْه أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّه وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّه حَقٌّ فَيَقُولُ**

(1) لم أطلع على هذا الموقف من خلال مطالعة كتب التفسير.الباحث
(2) في ن م : فنحن منذ تفطنا لذلك نحمد ربنا.

مَا هذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (18) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهمْ لَا يُظْلَمُونَ (19) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ 20 " الإشارة في ذينك الفصلين: القرآن حكم تعميره إنما يتقبل من يكون فطرته سليمة. ومثال ذلك في الفصل الأول. **ووصينا الإنسان** هو بفطرته يعمل على صلة الأنعام، ويشكر إنعام الرب. في تفسير الإمام ولي الله أن هذا شرح لاقتضاء الفطرة السليمة، وليس المراد منه فرد. وكذلك الفصل الثاني رجل يقول **لوالديه** الخ هو شرح لرجل منخدجة الطبيعة منحرفا عن الفطرة، وليس إشارة إلى فرد معين. فإذا تعين التعمير يكون حسب هداية القرآن؛فليجتهد الإمام في تقديم الفطرة السليمة على غيرها فلا يضيع الوقت بالتوجه إلى أقوام لم يتفطنوا لاحتياج الإنسانية إلى الاجتماع. قال الإمام ولي الله في فتح الرحمن بعد ذكر الفصلين: مترجم گويد اين تصوير است حال سعيد وشقى را فالسعيد حق خداے تعالى وحق أبوين بجا مى آرد وبأنواع نعم محفوظ مي شود ودر جميع أمور بحق تعالى رجوع ميكند وشقى جمع مى كند ميان كفر وعقوق الوالدين وإنكار معاد وصورت سعيد منطبق است برحضرت أبى بكر الصديق وغير ايشان نيز. [1] والله أعلم انتهى.

هذا الذي زاد من مثال أبي بكر هو توجيه لما جاء عند المفسرين أن المراد هو أبو بكر. [2] يقول الشيخ ليس بمراد، وإنما المراد هو تصوير السعيد. وأبوبكر ذكره البعض على سبيل المثال. إذا قدر القوم على التعمير فلازم عليهم دائما أن يحفظوا أن هذا البناء قائم بعد هدم مثله فلا يرتكب الأعمال التي أوجب هدم بناء أولى منه. إلى هذا أشار في ذكر حكاية عاد. "**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَه بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَمِنْ خَلْفِه أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي**

---

(1) لينظر: حاشية فتح الرحمن في ترجمة القرآن, للإمام الشاه ولي الله,سورة الأحقاف,507.

(2) قد روى الواحدي عن ابن عباس أن قوله: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا إلى قوله: يوعدون [الأحقاف: 15، 16] نزل في أبي بكر الصديق. وقال ابن عطية وغير واحد:نزلت في أبي بكر وأبيه (أبي قحافة) وأمه (أم الخير) أسلم أبواه جميعا.لينظر: التحرير والتنوير,ابن عاشور,29-28/26

أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ 21 وفي ضمن ذلك جاء "**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيه وَجَعَلْنَا لَهمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنهمْ سَمْعُهمْ وَلَا أَبْصَارُهمْ وَلَا أَفْئِدَتُهمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّه وَحَاقَ بِهمْ مَا كَانُوا بِه يَسْتَهزِئُونَ** 26" تعميراتهم كانت أولى من تعميراتكم؛لكن لما لم يراعوا النظام الذي يقتضيه نظام الفطرة والحق بطل جميع ذلك بأضعف سبب في الظاهر. **رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ**. هذا وبعد ذلك "**وَلَقَدْ أَهلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهمْ يَرْجِعُونَ 27**" ففي هذا الهلاك لا ينجيهم الشرك، ونسيان الرب فلو كانوا تذكروا أمر الله، وتثبتوا فيه ما ابتلوا بشيء من ذلك. فلما كان هذا التعمير الجديد تحت أمر الله فالتثبت في ذلك، والدوام عليه ليس بصعب. وهذا الشرط دوام الانتفاع من التعمير كل ما تغافلوا عن ذلك يأتي ريح يظنون نافعا لهم يكون باعثا لهدمهم. قصة عاد شهرتها على سبيل التمثيل، وإلاالآيات كثيرة في كل الأزمنة حوالي كل قوم موجودة. وبعد رعاية هذا الشرط تكون أسباب خفية لطيفة تؤيدكم لجمع كلمة الناس على كتاب الله إلى هذا إشارة في قوله : **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوه قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهمْ مُنْذِرِينَ 29** وقد ذكرنا تفسيرالجن في سورة الجن. وهذا شئ لا يرى فيؤيد أهل الحق. "**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهمْ كَأَنَّهمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهارٍ بَلَاغٌ فَهلْ يُهلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ35**. التعمير إنما يكون بالصبر كأنهم يرون من نهار. فالصبر كما هو لازم في التعمير لازم في الهدم أيضا. فإن الهدم نتيجة تعمير إلى درجة خاصة. **بلاغ فهل يهلك** . الفاسق من يعصى الحكم، ويكون ذلك في التعميرات أكثر، فالهدم يكون إذا بلغت مخالفة الحق إلى غايتها، والعصيان أيضا يكون مخالفة الحق. فبقدره دائما يتأتى الكلام . كل ما أجمعوا على عصيان حرموا من نعمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد سورة القتال

إسم سورة القتال ذكر فيها النبي بإسمه.

سورة القتال: إذا تهيأ الانقلابيون أولا لهدم الباطل وثانيا لتعميرالحق في قطعة محدودة من الأرض فيكون نموذجا للأقوام العاملين يأمرون بالقتال ويغلبون. في تلك الحالة اتباع أمر الحق. أمر الحق يتلون بلون القتال. فمن قاتل أوعمل عملا يوافق القتال ويمده فهو من المرحومين. والذي تخلف عنه، [1] وأراد أن يخرج نفسه بالاعتذار هو من المنافقين. إخراج المنافقين دائما لازم؛لكن بالتبصر. الانقلاب الإسلامي كان سريعا ما أخذ وقتا كثيرا للتهيأ والاستعداد؛لذلك كانت المصلحة في أول الأمر عدم التشدد على المنافقين؛لأن عامة الناس ماكانوا يفرقون بين أهل النفاق وغيرهم بعلمهم وفطرتهم. مدارالامتياز بين الفريقين كان على حكم النبي. ففي تلك الحالة لوأمروا بالتشدد عليهم جاء الاحتمال أن النبي كل من لا يحبه يحكم عليه بالنفاق، فالأمر ليس تابعا لقانون بل هو تحت قرار رجل واحد. وهذا الأمر كان النبي يجتنبه ليقرر في الناس إطاعة القانون الإلهي سواء بسواء. النبي والأمة شركاء في ذلك بدون امتياز فقط.

معاني القرآن يعتمد على النبي في بيانها وتعيينها في المتشابهات، والنبي علم جماعة مخصوصة الذين يلازمونه في جميع حالاته، وأوصلهم إلى درجة الراسخين في العلم. وفي فهم معاني الآيات المتشابهة لا يكون النبي متفردا أيضا بل يشترك معه جماعة الراسخين في العلم، فلا يكون فهم النبي بالانفراد مركزا لعلم الدين وإلاما حدث فيهم إطاعة القانون الإلهي يعني إطاعة كتاب الله. كذلك الحكم بالنفاق لما كان مختصا بامتياز النبي ما تعلق بهم حكم خاص ثم لما اشتركوا في فهمه الراسخون

(1) في ن م : عن ذلك

في العلم ثم عامة المؤمنين فكان إخراجهم عن جماعة المؤمنين، والتشدد عليهم جائزا في عامة الحالات واجبا في حالة الحرب.

بقي من سورة الجاثية بيان في قوله: "**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهه هوَاه وَأَضَلَّه اللَّه عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِه وَقَلْبِه وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَنْ يَهدِيه مِنْ بَعْدِ اللَّه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**"[1] بينا في فوائد تلك الآيات أن فيها إشارة إلى وجود السلاطين في الإسلام مثل هؤلاء. علامة هؤلاء الناس أنهم يفرقون بين الدين، وبين السياسة. الدين عندهم هو اتباع طريقة العبادات في الصلوة والزكوة والصوم وأمثال ذلك. أما الحكومة وما يتعلق بها من أخذ الخراج والجزية وإقامة الحدود والقتال مع الكفار، والهدنة والمصالحة والمعاهدة مع الكفار كلها من أمور السياسة يحكمون فيها بأهوائهم لا يراعون إلا مصلحة لأنفسهم خاصة. هؤلاء هم الذين اتخذوا آلهة هواهم. القرآن جاء للانقلاب الاجتماعي، والنبي طول عمره كان في الجهاد فيكون كأن القرآن يبحث غير الدين أكثر من بحثه من الدين، والنبي كان حياته أكثرها غير دينية. هذه اللعنة من أذهان المعلمين والمرشدين. السلطان يتخذ هواه آلهة. والمسلمون يجعلون السلطان باللفظ ظل الله، وفي المعنى يجعلونه تماما هو الله. هذا[2] الذي جربناه ممن بقي من المسلمين رأينا سيد الأفغاني[3] مع اختلافنا في كثير من السياسيات يبحث عن سيرة الملوك خصوصا توجه إلى شاه إيران[4]، فلذلك مما نمدحه في تلك الأفعال اهتم بإصلاح الملوك. والأمر الآخر في سورة الأحقاف لما ذكرنا قصة عاد أشرنا أن بعد التعمير رعاية روح الانقلاب ألزم، وإلا التعمير لا ينفع، فالجمع بين الأمرين واضح عندنا. معناه في حكمة الإمام ولي الله في الظاهر تكون الحكومة اجتماعية شوراوية غير الرأسمالية المحاربة للرأسمالية.

---

(1) الجاثية : الآية : 23
(2) في ن م : هو
(3) سبق ترجمته.
(4) رضا بهلوي (بالفارسية :رضا شاه پهلوی)(15 مارس 1878م-26 يوليو 1944م) مؤسس الدولة البهلوية، حكم ما بين أعوام 1925و1941 قام بخلع آخر شاه من الأسرة القاجارية الشاه أحمد شاه قاجار في 12 ديسمبر1925 م وأنهى حكم القاجاريين. خلفه ابنه محمد رضا بعد أن أجبره غزو بريطاني - سوفييتي مزدوج في 25أغسطس1941 م على التنحي في 16سبتمبر1941 م.لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%B6%D8%A7_%D8%A8%D9%87%D9%84%D9%88%D9%8A

ولا تترك الناس يؤسسون الرأسمالية مرة أخرى. ينظر في تكميل القانون الثانوي دائما. فإذا علمت الحكومة أن الناس أوجدوا حيلا مع حفظ صورة القانون لتأسيس الرأسمالية فليبدل القانون بصورة أخرى؛ولهذا المعنى جماعة المجتهدين الذين يقتدرون على تكميل القوانين. جمع هؤلاء المجتهدين في المركز من فروض الكفاية.

جملة معترضة: لما قرر العلماء تفريق السياسة، والدين من ذلك الزمان صار السلطان مالكا لبيوت الأموال كأنها ميراث أبيه، ولم يبق للشورى ولا الأمة مداخلة في بيوت الأموال. كل الأموال تنفق بأمر السلطان. من هذا الزمان نرى في المملكة جماعة العلماء مجتمعين كأنهم يشيرون للحكومة في الأمور الدينية، وفيهم المشيخة الإسلامية؛لكن ليس في واحد منهم قوة الاجتهاد واستنباط الأحكام. وتغييرالأحكام على حسب اقتضاء المصالح؛فليس إسم ذلك إلا راجعا إلى تفرد السلاطين بالسياسيات والاقتصاديات. ومنع العلماء عند التداخل في ذلك، واقتصارهم على القضاء في المواريث والأنكحة وأشياء تافهة وأمثال ذلك. فما بطل قوة العلم من العلماء إلا لمنعهم عن البحث في الاقتصاديات والسياسيات. وإنما منعوهم؛لأن المعارف في المسلمين ليست بأيدي الحكومة. العلماء الأحرار يعلمون الدين والأحكام بدون أدنى تعلق بمناسب الحكومة. فلوجوزنا تداخل العلماء ندخل فيها الأحرار، وأرادوا التسوية بين المسلمين في الحقوق وعدم امتياز العائلة الشاهانية[1] بشيء من أموال المسلمين. وهذا أمر يشق على من اتخذ إلهه هواه من السلاطين، فأفسدوا قوة التدبر والتفكر في أهل العلم، وأشاعوا بين الناس أن الزمن تقادم. [2] ولا يخرج مجتهد في الدين. هذا كله كذب. ورأينا الذين ينكرون على أهل العلم عدم تقدمهم على الاجتهاد. هم أيضا لايتعرضون للملوك والحكام فذهب فكرالانقلاب من أذهان المسلمين. تمت المعترضة.

هذا على حسب الظاهر. وأما على حسب الباطن فالتعلق تعلق قلوب المسلمين مع جميع بواطن القلوب بالتجلي الأعظم في حظيرة القدس بواسطة أئمة المسلمين. هذا هو المراد من كلمة

(1) الشاهاينة كلمة تستخدم بالأردية وكلمة "ملوكية" أنسب.
(2) في ن م : مقادم

الإحسان في الإسلام فبعد. فكما أن جماعة من أهل الاجتهاد القادرة على تغيير صور القوانين جعلناها من فروض الكفاية. كذلك وجود جماعة من أهل الإحسان يكون قلوبهم وعقولهم أوسرهم وروحهم أو اللطائف الخفية والأخفى أو الحجر البحت والأنانية الكبرى متيقظة فيهم يعني تلك الجماعة يوجد فيها جميع تلك الأصناف، فحفظ مثل هذه الجماعة في اجتماع المسلمين أيضا من الفروض الكفاية عندنا. ومعنى الإحسان هذ الذي نريده بحفظ الربط مع الانقلاب في حالة التعمير. فإن الله كل يوم هو في شأن. فتلك الجماعة تتحسس بتغيير الشؤون وتوضيح للناس ما الذي يجب عليهم في حفظ المستقبل ثم يغيرون صور الأحكام ومنهجها إلى ذلك المقصد الأئمة المجتهدون القادرون على تفسير الأحكام، فيصير التعمير محفوظا من الانقلاب بل يتغير، ويتكامل بالتدريج مع الحاجات المتغيرة في الاجتماع، والانقلاب إنما يأتي إذا سقط الناس برهة من الزمن عن[1] تغيير قوانينهم نظرا إلى حاجات الاستقبال.

جملة معترضة: في الديانة الصابئة كان الفرض متعلقا بالمنجم بخبر الناس، والحكومة عن تغير في سير الكواكب. والمسلمون أيضا كانوا يعرفون علم النجوم في الإيران والهند، واشتهروا بإصاباتهم. فإذا ضعف هذا العلم في جماعة من الصابئة جاء الانقلاب عليهم، وبطلت سلطنتهم إذا لم يتنبهوا على تغير كان يمكن إصلاحه. في زمن المسلمين كان هذا الفرض متعلقا بأهل الصلاح فقط. يعتمد الناس على أحوالهم وعلومهم إذا أخبروا الناس بشيء لا يسألهم الناس عن دليل يمكن لنا أن نرتب تاريخ المسلمين في الهند، ونوضح فيه تلك الوجه: الأمراء والملوك كيف كانوا يتبعون أهل الصلاح، وكانوا ينجحون كيف خالفوهم وهلكوا؟. نرى المتفقهة المتكبرين منهم ينكرون كل علم في الدين سوى حفظ الجزئيات. وإذا توجهنا إلى معرفة أقوام هالكة نرى فيهم هذا المرض موجودا على التمام فنحن لأنفسهم. أن المسلمين مع إعراضهم عن القرآن وإعراضهم عن الاستنباط من سيرة الخلفاء والملوك والحكماء، وإعراضهم عن التوجة إلى الله، والوصل إلى حظيرة القدس كيف يرجون النجاة والنجاح؟ ثم هذا الغرض متعلق في هذه الأيام الحاضرة عند المتقدمين من أهل

---

(1) في ن م : عنه

الغرب إلى الحكماء الاجتماعيين فيرون ميول عامة الناس، واجتماعاتهم مع اختلاف الألسنة والأقوام. الاجتماعيات في الميول فيضعون برنامجا للاستقبال، وللتدقيق في ذلك الأمر تحملوا مصائب ومشقات كثيرة مثلا: إحصار نفوس الدولة بالتدقيق، ورجحانهم إلى صنائع، وحرف لا بالتخمين بل بالتحقيق، وإيجابهم التعليم الابتدائي على جميع أفراد الدولة يتمكن لهم الانضمام إلى حزب يميلون إليه بطبيعتهم. وبعد كل ذلك الإحصائيون المخصوصون ليس لهم توجه إلا إلى استنباط التغيرات والتمولات في الإنسانية، وهم اصطلحوا كل قوم ينظر في الاستقبال مثل نظرهم، ويجمع المبادئ لتحقيق ذلك النظر هم الإنسان في ذلك العصر. ومن تأخر عن هذا، وإن كانوا في الماضي مالكين للتمدن العظيم والاجتماعية القاهرة يجعلونهم ملتحقين بالحيوانات. وهذا ليس منهم إلا لتمركزأفكارهم. إن الذي لا يتفكر في المستقبل لا يفلح أبدا. ونرى القرآن أرشد المسلمين. "**يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**"(1) ونحن إذا وجدنا مثل ذلك من توافق تعليم القرآن، وأعمال ذلك العصر نفتخر. وأن الإسلام دين حق. والقران علمنا كل شيء، ولا نحتاج إلى أن نأخذ من الكفار ثم نرجع مستقبل الإسلام إلى نجاح ملوك اتخذوا آلهتهم هواه، وجمعوا حولهم جماعات من المشايخ، والعلماء يصدقونهم على ماهم عليه: بأنهم ظل الله. ولا دخل لهم في التعلق بالله حتى يفهموا ما يريد الله في المستقبل، ولا لهم قوة التفطن والتقدس في ميول عامة المسلمين شبانهم، فاجتماع المايوسين أمثال هؤلاء لاينفع الإسلام أبدا. ومع الأسف أن المسلمين لا يتخلصون من مصائب الملوك وحواشيهم إلا بعد انقلاب كبير. وأهل النظر منهم يتوحشون من لفظ الانقلاب. فالماضي للإسلام والمستقبل واضح لمن يفتح عينيه. وطريق الانقلاب ونجاحه السير في المسلمين من كل قوم؛لأن كتاب الله إمام الانقلاب محفوظ فيهم، ورجال من كل الطوائف أفراد متيقظون أيضا موجودون؛لكنهم إذا(2) لم ينظروا في الانقلاب لا يفلحون. هذا ما فهمنا والعلم عند الله.

---

(1) الحشر: الآية :18
(2) في ن م : إذ

الآن نقرأ سورة محمد،وسورة الانقلاب.إذا تهيأ حزب الانقلاب ولم يتخلف المخالفون عن[1] ترك خلافهم لا بد أن يقع القتال.فالقتال الأول إنما كان مركزية الحجاز. المهاجرون والأنصار اجتمعوا على تعليم القرآن. وقريش من مكة ويهود المدينة اتفقوا على مخالفة القرآن وأقوام آخرون البعض من أهل الحجاز البعض انضم إلى هؤلاء، والبعض إلى هؤلاء. أما اليمن والنجد وما إلا العراق وما وإلا الشام كانوا في حياء عن ذلك النزاع جعلوا منتظرين أيهما غلب؟ فيعاملون معه معاملة على حسب ضروراتهم، والقتال الذي وقع بين الطائفتين في الحجاز كان قيادته بيد النبي_ عليه السلام _ هو دعا إلى الحق أولا، وجمع جماعة للانقلاب ثانيا، وسعى في قبول المعاندين أمر الحق ثالثا ثم شرع في تنظيم المقاتلات رابعاً فقرر أولا مركزا له في المدينة خامساً ثم جمع قوته من أهل المدينة ومن حولها سادسا ثم أعلن الحرب سابعا ثم تعرض لإخراجه المخالفين عن مستقرهم ثامناً ثم لما اجتمعوا في ميدان الحرب شجع جماعة للحرب تاسعاً ثم حاربوا وغلبوا عليهم عاشرا. [2] هذه الأمور كلها بإلهام الحق. وتدبير النبي لادخل في ذلك شيء خارجي. وكان هذا الفتح هو مبدأ الانقلاب العالمي بالتدريج، فالأمر الذي بدأ من نزول القران وانتهى إلى بدر هو أصل الأصيل للمسلمين دائما في الانقلابات تحت تعليم القرآن. وهذه السورة حكاية عن حرب بدر. الآية :"**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ 1** " معناه من خالف القرآن، وعانده، [3] وصد الناس عن اتباعه. هؤلاء كفار قريش رئيسهم أبوجهل؛ولذلك يلقب في بعض الحالات بفرعون هذه الأمة[4] يعني في عملها الابتدائي في الحجاز. **أضل أعمالهم** يعني انهزموا في الحرب. الآية: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهَمْ 2**" الجماعة التي اتبعت النبي مستيقنة بأن هذا هو الحق من ربهم. معناها

---

(1) في ن م:في
(2) إن الشيخ السندي بين أصول قيادة النبي_عليه الصلوة والسلام_ من خلال النقاط المذكورة في المتن.الباحث
(3) في ن م : معناها من خالف القرآن وعانده هذا معنى الذين كفروا وصدوا الناس عن اتباعه.
(4) أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله ابن مســعود، قال: أتيت النبي صــلى الله عليه وسـلم يوم بدر، فقلت: قتلت أبا جهل، قال: «آلله الذي [ص:280] لا إله إلا هو؟» ، قال: قلت: آلله الذي لا إله إلا هو، فرددها ثلاثا، قال: «الله أكبر، الحمد لله الذي صــدق وعده، ونصــر عبده، وهزم الأحزاب، وحده، انطلق فأرنيه» فانطلقنا، فإذا به، فقال: «هذا فرعون هذه الأمة»لينظر:مسند أحمد,الإمام أحمد بن حنبل,رقم الحديث:4247.

حصل لهم الفتح. **أصلح بالهم** ظاهرا ويتمنون بعد ذلك ما نقص من تدابير نصرة الحق. الآن حصلت لهم أموال والاحتشام يقدرون على تكفير. سيأتيهم أغلاط ارتكبوها في بدأ أمورهم؛لأنهم كانوا عاجزين عن العمل على برنامجهم الصحيح. الآن لايأتي لهم مثل ذلك من الإشكالات. الآية "**ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ3**" هذا الفتح للحق كان كالمثل الأعلى للناس. الكفار كانوا في عدة الحرب، ورجالهم على قوة عظيمة،والمؤمنون على ضعف كما في سورة الأنفال[1] فما حصل الفتح للمسلمين إلا للحق، فكان كالمثل الأعلى قوم يريدون الانقلاب في العالم، ولا يقدرون أن يأتوا بمقابلة قومهم مثلهم من المجاهد، ويكون لهم الفتح. "**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَها ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ 4**" هذا هو قانون الحرب قتل المخالفين حتى يذهب من قلوبهم عزم القيام على خلاف هذه الجماعة في ذلك الميدان واجب. فإذا تمكنوا من ذلك **فشدوا الوثاق** يستأسرون. فإذا فرغوا من ذلك فإما يتركونهم منا[2] عليهم وإما يأخذون عوض ذلك رجالهم أو يأخذون الأموال فدية **حتى تضع الحرب أوزارها**. معناه يجب[3] دوام هذا العمل إلى أن لا يبقى بعد ذلك حاجة إلى حرب.

فائدة: استنبط السيد أحمد[4] خان من هذه الآية عدم جواز بيع العبيد.العبد لا يؤخذ في حكم القرآن إلا في حرب ثم بحكم القرآن واجب استخلاصه إما امتنانا وإما بأخذ الفدية وإما

---

(1) واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِه وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

(2) في ن م : الامتنان.

(3) في ن م : هذا العمل واجب.

(4) سر سيد أحمد خان بهادر ولد في دهلي في أسرة السادات (17اكتوبر 1817 - 27 مارس 1898)وهو رجل تعليم هندي مسلم، وسياسي يعتبر رائد التعليم الحديث للمسلمين في الهند بتأسيسه الكلية المحمدية الأنجلو شرقيةMuhammedan Anglo-Oriental College ، والتي تطورت لتصبح جامعة عليكرة الإسلامية لاحقاً. أعماله أوجدت جيلاً من المثقفين والسياسيين المسلمين والذين شكلوا حركة عليكرة لفصل المسلمين عن

بقائهم عبيدا ثم استيلاد الأولاد منهم فهو يقول هذا كان من عوائد جاهلية العرب[1]. أما القران فسخ ذلك. فإن كان في المسلمين إعراض عن هذا العمل فهو تغير ذلك من الأغلاط لا ينسب فعلهم هذا إلى الإسلام؛لأن القران لا يجوز ذلك، فتحريرالأرقاء كما حدث في أوروبا، وهم يفتخرون بذلك على مدنيتهم. السيد أحمد جعل ذلك من مفاخر القرآن. وعندنا في استنباط ذلك نوع من المناقشة؛لكن لا على طريقة من يقدم نصرة الفقهاء بل تناقشه بآيات في كتاب الله. كتاب الله لا يخالف بعضه بعضا. وليس عندنا نسخ(2)؛لكن بعض الأحكام يأتي بالإجمال ثم يأتي تفصيله. فالإعراض عن بعض القرآن غير جائز عند الفقيه. معنى قوله: **فداء** في هذه الآية ليس بمنحصر في ما أداه قريش من الفدية أو في ما يقع في المبادلات في تحرير الأسارى بل أعم من ذلك يشمل المكاتبة أيضا. رجل أسر ليس له ورثة يؤدون عنه الفدية، وليس عند قومه أسارى مسلمون حتى يفادونه به. أفيبقى هذا أسيرا وعبدا طول عمره؟ ويدخل ترك هذا رجل من الفقهاء في أماننا. فمن فعل ذلك خرج عن فهم الكتاب. فإن الترديد بين المن وبين الفداء يجوز لهم اختيار الفدية ليس يجب عليهم في صورة ما ترك الأسارى منا. نعم ذلك راجع إلى مصلحتهم إذا رأوا تركه من أحسن بهم يتركونه وإلا فلا يجب عليهم إلا بأخذ الفدية. فهذا الفرد الذي فرضناه كيف يؤدي الفدية. ؟ حكمه في سورة النور. " **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا**

الهند.لينظر:مقدمه سرسيد كى كهانى ان كي ابني زباني،ص22-23 وأيضا:حيات جاويد،الطاف حسين حالي،225/1، ط:ارسلان بكس.

1 تفرد السيد أحمد في هذه المسألة عن الجمهور وهو أول من تكلم على عدم الاسترقاق في شبه القارة الهندية قائلا بأن الاسترقاق لايجوز في الإسلام قط.لينظر:حيات جاويد، ألطاف حسين حالي،552-554، ط: بنجاب أكيدمي ترست لاهور ط:1957م.

(2) يقول الشيخ القاسمي ما ملخصه بالعربية: إن الشيخ عبيد الله حقق في خمس آيات المنسوخة لدى الإمام الدهلوي،وأجاب عنها أجوبة شافية ،فلا نسخ في القرآن حسب موقفه،والمحقق عند أستاذنا هو هذا،وقد تبعه معظم المفسرين والمحققين الذين يعتمدون على الإمام الدهلوي في دراساتهم يرون أن الإمام الدهلوي،وإن قال بالنسخ في الآيات الخمس؛لكن يمكن تأويلها على أسلوب الإمام الدهلوي بحيث لايبقى فيها النسخ مثلا الشيخ أنور الشاه الكشميري، والشيخ حسين وغيرهما.لينظر: تقديم الشيخ القاسمي لترجمة القرآن للشيخ سرور نوح الهالائي باللغة الفارسية, 7.ط:لجنة إحياء الأدب العربي السند 2015م.

عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاههنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[(1)]معنى قوله: **إن علمتم فيهم خيرا** إذا علمتم أنه لا يقاتل المسلمين بعده. وإذا لم يتحقق من رجل أنه لا يترك المقاتلة يجوز بقائه أسيرا، ولو كان طول عمره. وأما إذا تيقنا أنه لا يقاتلنا فنكاتب على الفدية بأقساط، وإذا لم يقدر على ذلك فواجب على المسلمين أن يمدوه. [(2)] هذا معنى قوله: **وآتوهم من مال** الخ وإذا لم يقدر المسلمون على المعاونة لضعف حالهم فواجب على الحكومة إمداده من زكوة المسلمين. والقرآن ذكر في أصناف الزكوٰة: **وفي الرقاب**[(3)]:والمراد المكاتب الذي يعجز عن أداء الكتاب. على هذا الطريق نحن نسلم أن القرآن أمر بتحرير الرقاب[(4)]. وفيه مساغ لجواز عدم تحرير الرقاب على حسب الحالات إذا كان عندهم خوف أنهم يقاتلوننا مرة أخرى. والأصل في ذلك أن فكر المسلمين مبني في مصلحة الأسارى على مصلحة لم يتبين على السيد أحمد خان[(5)]. في زماننا الأسارى يحبسون[(6)] في محابس منفردين عن اجتماع الناس يؤمرون بأعمال شاقة أو خفيفة في المحابس، وهذا أوجبه تهذيب أوروبا، والسيد أحمد خان لا ينكر ذلك عليهم. ونحن نعرف من فساد أخلاق الأسارى في المحابس، ونعرف من ظلم المراقبين مالايمكن ذكره في كتاب. كل الفضائح من لواطة وزنا تكون فاشة شائعة فيهم كلية الإنسانية. وتفكر الأسير في ما ينفعه يمحي عن قلوب الأسارى أساس ذلك، وليس هذا خاصا بمحابس الإنكليز في الهند بل كان محابس الألمانية وفرانسا كلها سواء في هذه الفضائح. يمكن أن يأتي إصلاح ما من الاشتراكيين، وهم يريدون أن يستعملوهم خلاف الرأسمالين. هذا الأمر لا يمكن لأحد من أنصار السيد أحمد خان أن يذكر تائيدا. ومصلحة

---

(1) النور: الآية : 33
(2) أن يساعدوه.الباحث.
(3) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة:60)
(4) يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: وأما الرقاب: فروي عن الحسن البصري، ومقاتل بن حيان، وعمر بن عبد العزيز، وسعيد بن جبير، والنخعي، والزهري، وابن زيد: أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى الأشعري نحوه، وهو قول الشافعي والليث.وقال ابن عباس، والحسن: لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومالك، وإسحاق أي: إن الرقاب أعم من أن يعطى المكاتب، أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالا..لينظر:تفسير القرآن, الإمام الدمشقي,168/4.
(5) سبق ترجمته
(6) في ن م : يحسبون

الأسارى في الإسلام خلاف مصلحة الغرب.لا يحبسون في مكان منفرد. فإن فساد ذلك ما لا يمكن إصلاحه بل يفوض مراقبة الأسارى إلى بيوت، وإلى عائلات يكونون مثل الخدم طعامهم وشرابهم مثل طعام البيوت، ولايعاملونهم بالقوة ولا يكلفونهم إلا ما يطيقونه من الأعمال تحت مثل تلك المراقبة يجوزلهم الأنكحة والتجارة وكل المكاسب. فيه فائدتان: 1: فائدة لأهل الإسلام حصل لهم خدم بأجرة غير ثقيلة. 2: فائدة للأسارى هم يستفيدون من الاجتماع، ويصلحون من أخلاقهم ويؤثر فيهم الإسلام فقد يسلمون. وكان معاملة الأسارى على هذه الطريقة في الصدر الأول من الإسلام. أما ما أحدثه المتأخرون فلا ينسب إلى الاسلام، ولا ينفي ماكان رائجا في الصدر الأول. وإذا ضم عائلة خدما إلى بيتها وأنفقت عليها مصاريف ثم استغنت عن الخدمة أوعجزت لضيق في المعيشة، وعائلة أخرى تحتاج إلى الخدم ينتقل الأسير من بيت إلى آخر يدفع شيئا من المال حباء أوإعانة، ولم يكن بيعا من البيوع التي تنكرها الإنسانية من فعل بائعي الأرقاء في العصور المتأخرة. أنا رأيت رجالا ممن يجوزون بيع الأرقاء من المثرين ذهبوا إلى دار الباعة. ولما رأوا سوء المعاملة أنكروا أن يكون مثل ذلك جائزا في الإسلام. والمقصد أن العمل في الصدر الأول لم يكن منكرا، ولم يكن مخالفا للقرآن، وكان الناس يهبون الخدم أو يبيعونهم؛لكن لاعلى المعنى المنكر عند الإنسانية. ولانحتاج إلى نفي ذلك من قانون الإسلام بالمرة ومن كتاب الله، فإن المصلحة التي يراها الإسلام في الأسارى غير المصلحة التي يراها الغرب، ولا يتفقان في المسلك أيضا. وتحريرالأرقاء في الغرب مخصوص بالجنس الأبيض، وهم يضعون قوانين جديدة ومعاني جديدة للإنسانية؛ليخرجوا منها غير الأبيض، ومن الإنسانية بالمرة. تم هذه المسألة. **حتى تضع الحرب** الخ يعني أن اتخاذ الأرقاء خاص بالحرب. **ولو شاء الله لانتصرمنهم** والقتال شرع لتكميل الإنسانية.

والذين قتلوا الخ ومن هذه المسألة تنشأ فكر الحياة الثانية بالضرورة. فإن المجاهد في سبيل الحق أعلى نوع الإنسان بالاتفاق، وهو في انتصاره للحق يقتل، لم ينتفع في الحياة الدنيا بشيء. وهل يجوز في حكمة الله أن يحرم مثل هذا الرجل المكرم؟ ويتمتع ويلتذ بالملاذ الذين ليس لهم من الإنسانية نصيب. ولجبرمثل هذا النقص والكسر لابد من تسليم الحياة الثانية بنوع ما. والقرآن أتى

بتصوير الحياة الثانية الأبدية بأكمل من جميع الكتب الإلهية. **سَيَهدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ** 5 في البعث بعد الموت. **فشدوالوثاق:** الإسارة[1] في الحرب ليست هي تمام معنى الرقبة.

الحركة الانقلابية إذا انتهت إلى القتال، وهي تسلب عن المحاربين قوتهم السياسية بالفعل، وبالقوة لا يتركهم ينظمون سياستهم الارتجاعية بالسهولة. الرقبة بهذا المعنى ضرورية لازمة للانقلاب ليست هي الإسارة[2] في الحرب فقط. [3] عندنا ملاحظة مخصوصة: الانقلابات تحتاج إلى وضع اصطلاحات خاصة للمعاملات تفرقهم عن الارتقاء، وعن الارتجاع[4]؛لكن المسلمين في الصدرالأول لم يكونوا قادرين على ذلك هم عاملوا معاملات، وسموها بالأسماء المشهورة، ومعاملاتهم لم تكن داخلة تحت ذلك الإسم المشهور؛ولكن ما وجدوا لها لفظا للتعريف غير هذا ثم جاء الارتجاعيون في الإسلام فحملوها على الحقيقة فأفسدوا روح الانقلاب، وأبعدوه عن أذهان المسلمين. نذكر لذلك مثالا :الأراضي التي غلب عليها المسلمون بعد هزيمة كسرى اختلفوا في حكمها أولاً ثم بعد المباحثات، والمذاكرات الطويلة اتفقوا على أنها موقوفة على المسلمين، وليست بملك لأحد ثم

---

(1) في ن م : الإشارة لكن كلمة "الإسارة " أصح حسب السياق.الباحث.

(2) في ن م : الإشارة لكن كلمة "الإسارة " أصح حسب السياق.الباحث

(3) في ن م : "رأينا في تاريخ الهند السلطان علاء الدين الخلجي هو أول سلطان غلب على جميع الهند شماله وجنوبه كان أميا انقلابيا بالفطرة وضع قواعد المراقبة على أمرائه إذا رأى فيهم تأخرا عن معنى الانقلاب الذي هو يريد إقامته. وله سيرة خاصة مفصلة في كتاب "تاريخ فرشته"، "وتاريخ الهند". والانقلاب لايخص المسلم فقط يكون بين المسلم وغيره. علاء الدين وأمراؤه قوم واحد،ودين واحد؛لكن نظرياتهم الانقلابية فيها اختلاف وفروق،فلم يتركهم أحرارا في السياسة،ولم يتركهم أحرارا في الاجتماعيات،فكان لايتمكن أمير أن يزوج بنته من أمير إلا بإذن السلطان،ولم يتركهم أحرارا في الاقتصاديات أيضا .التجارة كلها كانت تحت مراقبة السلطان نفسه.وكان في عصره عجائب.الضروريات كلها كانت رخيصة إلى درجة لم تر الهند مثلها إلا قليلا.والعلماء في كل فن اجتمعوا في وقته لم يجتمع مثل ذلك في عصر من العصور،ولم يكن عمل السلطان منطبقا على النظريات العصرية في الانقلاب؛لكن في جميع أعماله روح الانقلاب.أنا قدرت على الإحاطة في مسألة الانقلاب العصري؛لأني كنت في تاريخ هذا السلطان مبصرا. عامة المؤرخين ليس عندهم تبصر في الانقلاب والارتقاء؛ولذلك يتوسوسون في توجيه كثير من الواقعات.فالرقية في الإسلام هي نتيجة الانقلاب.الرجل إذا كان واجب القتل في نظر القانون فإبقاء حياته بالنظر إلى الإصلاح يمكن أن يغلب على عقله،ويترك معاندة الانقلاب على شروط من المراقبة رخيصة إبقاء حياة الإنسان ليس فيه ثقل.إنما يجد الثقل من لايعرف معنى الانقلاب،وليس عنده كل من عاند الانقلاب يجب قتله. هذا الفرق الذي أراه واضحا في توجيه السيد أحمد خان،وجعله الإسلام محبوبا في نظر فلاسفة الغرب؛لكنهم لم يحصل لهم تصارف بأئمة الانقلاب في الغرب،وإلا فلم يكن محتاجا إلى تأويلات بعيدة في تفسير الإسلام لإرضاء المرتجعين المخادين الذين حصل لهم الغلبة بالصرفة بسبب غفلة المسلمين عن معنى الانقلاب،وجهلهم سلاطينهم الذين يتحاشى عنهم الشيطان أيضا أن يجعلهم ظل الشيطان جعلوهم ظل الله." لاتوجد هذه العبارة في ن إ

4 اسم منسوب إلى الارتجاع: على الغريم و المتهم: ردده و أعاده إليه و لينظر: المعجم الوسيط، مادة: ر ج ع، 231. ومنها الحركة الارتجاعية: حركة ارتدادية عنيفة مفاجئة للخلف.الباحث.

قسموها على المزارعين؛ليعملوا فيها لاعلى أنها ملك لهم، والحكومة تأخذ منهم الخراج حصة الأراضى لبيت المال. القطعات من هذه الأراضى صرف فيها المزارعون نفقات لإصلاحها ثم احتاجوا وذهبوا إلى المزارعين الآخرين ليأخذوا منهم الأراضي للمزارعة، ويؤدون إليهم ماأنفقوا في إصلاحها، ويلتزمون أداء الخراج للحكومة المقرر على هذه الأراضي، وأجاز الحكام أمثال تلك المعاملات؛لأن ذلك لا يضر بغرضهم هو تحصيل الخراج الذي هو حق المسلمين فلولم يضيقوا على المسلمين في ذلك كانوا أنشط في أعمالهم فأجازوا لهم تلك المعاملات. وكانت المعاملة معاملة مخصوصة. وكان ينبغي أن يوضع لها اصطلاحات مخصوصة لبيان ذاتيات تلك المعاملة لم يضعوها، ولم يكن لهم في وضعها من حاجة سموها بيعا، ولم تكن في الحقيقة بيعا. وجاء بعد ذلك طبقات أخرى من الملوك والفقهاء هم غيروا القانون قانون الانقلاب، وحكموا بأن الأراضي مملوكة للمزارعين بألفاظ كانت مستعملة في العصر الأول، ونسميها بيعا كانت خطأ وجريا على التساهل. ويمكن أن نقول إن مثل تلك المعاملة كانت تتعلق بالانتفاع لا بالمنفعة ولا برقية الأراضي_ موسى جار الله[1] _وفتحوا بذلك بابا لارتجاع اجتماعية الإسلام العالمية الانقلابية بابا لتمكن حكومات قومية لسلاطينهم المخصوصة؛لأن الأراضى مملوكة للأهالي. وهذا كل ما تنبه عليه الفقهاء، ونحن نقدر على إثبات المناقضات في كلام الإمام أبى يوسف[2] أنه يثبت أن الحق ما كان عليه الفاروق في جعلها موقوفة لبيت المال، وبعد ذلك يثبت الملك للمزارع. ثم ننتقل إلى البحث الأصلي: الأسارى كانوا خداما في العائلات، وأنفقت العائلات حسب المصالح في إصلاح أحوال الأسارى، وفي تعلمهم لصناعات خاصة تحتاج إليها تلك العائلة فاستفادوا منهم إلى زمان ثم رغبت عائلة أخرى في استخدام ذلك الأسير الماهر في فن مخصوص، ورضيت أن تؤدى النفقات التي أنفقتها العائلة الأولى، وفي بعض الأحيان بتبادل الأسرى في ما بينهم. كل ذلك كان بإذن الحكومة؛لأن حفظ الأسارى، والمراقبة هو المقصد للحكومة لا غير. وانتقال الأسارى من مراقبة إلى مراقبة لا يضر

(1) سبق ترجمته
(2) سبق ترجمته

مقصد الحكومة. وتلك المعاملة لم يستعملوا لها كلمة خاصة تنبئ عن ذاتيات تلك المعاملة أطلقوا عليها كلمة البيع والاشتراء مجازاً نظرا لظاهر الصورة، ولم يكن بيعا ثم بعد زمان الانقلاب قام الفقهاء يستدلون على جواز بيع العبيد، والأرقاء، وانتقلوا بالتدريج دبيب النمل إلى السنن الجاهلية التي كانت فيهم في حق الأسارى والأرقاء، فأقاموا شريعة الجاهلية للأعراب التي يحسبونها سنة قومية مقام قانون[1] الانقلاب [2] مقتدرين على الفرق لعدم تبصرهم في الفرق بين الانقلاب والارتقاء.[3]

وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ 6 النعمة من الله تأتي بشكل واحد في موطن من المواطن السماوية. وإذا انتقلت إلى موضع آخر تظهر في صورمختلفة على وفق استعداد ذلك الموطن. مثاله: المطر ينزل من السماء، وطبيعتها عامة واحدة في جميع أقطارالأرض ثم إذا نزل إلى الأرض يظهر تأثيره على صور مختلفة حسب استعداد الأرض. وإذا فرضنا هذه المسألة في أراضي متجاورة بذر الناس بذورا مختلفة. ونزول المطر هو ينمي كل بذر على صورته الخاصة. هذه القاعدة من أساس الحكمة. الآن ننتقل إلى[4] أساس أصل المسألة: كل إنسان انتقل إلى الدارالآخرة، وليس في دماغه ولا في قلبه شيء مضاد لذلك العالم. فالرحمة الإلهية قاضية على جميع من كان انتقل إلى الدار الآخرة بهذا الشرط، ونعبر عنه بلفظ آخر[5]: **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**. . . فالرحمة الإلهية قاضية بأنها تكون لهم في الآخرة الراحة والسرور أبلغ ما يمكن لاستعدادهم. هذه نعمة واحدة مثل المطر ثم كل رجل منهم قرر في نفسه باقتضاء نفسه الناطقة وبأثرقليل من المعاشرة نوع مخصوص من الحياة يكون له فيه الراحة والسرور. فإذا عومل معه بمعاملة غيرما اقتضاه نفسه لما وجد فيها راحة ولا سرورا. هناك تختلف حالات أهل الجنة. هذه مسألة أصولية لا يمكن لرجل حكيم أن

(1) في ن م : قوانين.
(2) في ن م : هذه العبارة" ولم يكن الفقهاء" لاتوجد فيها.
(3) في ن م : " تم هذا البيان الفقهي،ونحن نشكر ربنا لنا ما اهتدينا إلى ذلك الفقه إلا ببركة الاشتغال بحكمة الإمام ولي الله. ولم نر حكيما مسلما يكون كلامه أقوم في الانقلاب.رضي الله عن جميع الأئمة المسلمين وغفر لهم .كيف كان استمتاع الصحابة من السبايا لم يكن بنكاح فلم يبق إلا ملك اليمين. فالآن نذكر كلمة تركتها."لاتوجد في ن إ.
(4) في ن م : أصل.
(5) ما هو؟كلام محذوف هنا؛لذا لم أفهم كلام الشيخ.الباحث

يختلف فيها ويخالفها. ثم فصل آخر ينتقل إلى مسألة أخرى. هذا النوع الذي عينه الإنسان لنفسه من الراحة والسرور له أسباب خاصة في حياتهم الدنيوية 1: رجل نشأ في بيت الإمارة مثل موسى. هل هو يرضى حالة دينية؟ يرضاها أفراد بني اسرائيل في مصر. فالراحة المكتوبة لموسى عرفها الله له في الدنيا أتى بنموذج من ذلك. والله يعد المسلمين جنة. وقرأنا في بعض الروايات: "أن نصيب أدنى أهل الجنة يكون أكثر من عشرة أمثال ملك من ملوك الدنيا[1]"[2] "لذة الحكم": بحثوا في لذة الوقاع للنساء وقال حكيم: أن المرأة إذا تلد تجد كلفة وصعوبة وإيذاء لايتصور مثلها ثم هي ترجع إلى الوقاع علمنا أن لذة الوقاع أعلىٰ من كل تلك الإرجاع. كذلك نقول الملك والأمير كم يتحملان من مصائب؟ فلو لم يكن في الحكم لذة فوق كل ما يتحملون ما تقدموا إليها أبدا. والآن نقول من لم يجد لذة الحكم أي شيء يضع هو بالجنة، فالله يعطي المسلمين المؤمنين بالقرآن حكومة في دارالدنيا فيذوقون لذة الحكم أعلىٰ من كل لذة من طعام وركوب ووقاع واللعب. وإذا جعلوا تلك اللذة من اقتضاء نفوسهم يتنعمون في الجنة. هذا عندنا معنى قوله: **وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**.

---

(1) ما وجدت تلك الألفاظ_التي ذكرها الشيخ السندي_ في الروايات أما الإمام مسلم فقد أخرجه في صحيحه: حدثنا مطرف بن طريف، وعبد الملك بن سعيد، سمعا الشعبي، يخبر عن المغيرة بن شعبة، قال: سمعته على المنبر يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وحدثني بشر بن الحكم - واللفظ له - حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا مطرف، وابن أبجر سمعا الشعبي، يقول: سمعت المغيرة بن شعبة، يخبر به الناس على المنبر - قال سفيان: رفعه أحدهما، أراه ابن أبجر - قال: " سأل موسى ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة، قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر "، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: " {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: 17] الآية.لينظر: صحيح مسلم,الإمام مسلم,1: 176, رقم الحديث:312, باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(2) في ن م :"لطيفة الآن نذكر لكم لطيفة كنت تعجبت بعد قراءة ذلك المتن في صحيح مسلم يا الله: لم يذق ذوق الحكم في الدنيا. كيف يلتذ في مثل ذلك في تلك الجنة التي هي أعلى من ملك ملوك الدنيا؟ فقررت في نفسي أن الجنة لايكون إلا لمن يطلب الملك في إقامة الحق في الدنيا؛لكن لا أقدر أن أتكلم بتلك الكلمة عند أحد،ولم أر من تعرض لتلك الكلمة من الشروح. وأنا تنبهت على ذلك من طفوليتي؛لأني بفضل الله من طفوليتي وابتداء شعوري علمني أهل بيتي من الرجال والنساء آداب الحرب،ولقنوني أن بنجاب كان لنا،وغصبها منا الإنكليز،ولم يكن ذلك؛لأن عائلتنا عائلة حكومة بل الحكومة في بنجاب كانت حكومة قومية لاتباع كروكوبين إسم انقلابي كان من أتباع نانك." والآن أذكر لك كلمة في لذة الحكم."هذه العبارة لاتوجد في ن إ.

قوله:يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ 7. المسلمون يغلبون على الأرض إذا كان عزمهم على إقامة حكم القرآن لدفع الظلم عن الأقوام. فإذا صرفوا كل طاقاتهم لنصرة ذلك الحكم يغلبون على أقوام عندهم جيوش وجنود أقوى. هكذا يكون الانقلاب: الضعيف إذا تمسك بالحق يغلب على الظالم القوي. فكل ما تثبتوا على ذلك العزم يأتي لهم النصرمن الله، ويكون حكمهم قائما على أساس 1: على العلم 2: على العقل، وعلى العدل يرجعون إليه. الانقلاب يأتي بقوة العامة، والحكماء لا يعتقدون بثبات العامة على شيء هم يظنون أن القوة الانقلابية مثل السيول، ويصبرون أياما حتى يذهب ذلك، ولا يغيرون نظرياتهم وبرنامجهم ثم إذا رأوا بعد مضي السيول أن الحكم بأيدى رجال أهل عقول ومبادئ يكونون مجبورين لتغير برنامجهم. وإذا دخل هؤلاء تحت حكم الانقلابيين تذهب البغاوة من العامة على أهل الانقلاب فيثبت الانقلاب على وجه الأرض إليه الإشارة في قوله: **ويثبت أقدامكم**.

قوله:"وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ 8 " الكفار جميع مساعيهم صارت باطلة؛لأنهم كرهوا ما أنزل الله لذا فقط. فالمخالفة في أمرعرفوا حقيقة لمصالح لهم تحبط أعمالهم ونحن لانطلق كلمة الكفر على رجل لم يعرف الحق ثم بعد ما عرف لم يعانده فلا نطلق عليه كلمة الكفر. قوله:"**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**. . . 10"إشارة إلى أن هذا الانقلاب على منهج الانقلابات ليس له خصوصية فكما أن الله أمر أقواما كذلك يدمر من يخالف هذا الانقلاب. بعد ذلك ذكر غلبة المؤمنين، وتمتعهم في الجنات، وذكرمغلوبية أهل الكفر، وعدم تمتعهم في الدارالآخرة بل يأكلون ويتمتعون قوله:**وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ. . . 12**". معاملة الكفار مع المؤمنين كانت مثل معاملة الأنعام هم لايصلحون قوتهم الدماغية الصالحة لإدراك الحق إلى فهم ما يدعون إليه المسلمون مثل الأنعام لا يتوجهون إلى أمور الإنسان فلا نفقه منها شيئا إنما كان فكرهم أن تمركزنا في مكة يجعلنا غالبا، وهذه الأمور المادية لا تنفع في مقابلة الأمور العقلية الروحية، وكان هذا البلاد

لهم مثل الأنعام إليه الإشارة في قوله: **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهلَكْنَاهمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كَمَنْ زُيِّنَ لَه سُوءُ عَمَلِه وَاتَّبَعُوا أَهوَاءَهمْ (14) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُه وَأَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهمْ 15**. صفة للجنة نريد أن يتوجه الإنسان إلى معرفة طبيعة أهل الحجاز. الماء عندهم ماهو. ؟ إذا وجدوا ماء غير آسن قدروا أنه نعمة من الله؛لأن الماء الصافي في بلادهم قليل ثم لبن لم يتغير طعمه من النوق والغنم، والبقر يجلب على الفور، ويشربونها. هذه نعمة عندهم يقدرون قدرها، ويجدون في الصحارى عسلاً مصفى من الشمع. هذه عندهم نعمة. وإذا كانوا أصحاب رفاهية[1] يطلبون الخمر، ويشربونها. تلك نعم تعرفها العرب: عرب الحجاز. فالجنة تكون فيها أنهار من هذه لاتنقضي. في فهم الحجاز معنى الجنة، وزيد على ذلك **ولهم فيها من كل الثمرات** يعرفون الثمرات _ التمر- العنب -الرمان_ يعرفها عرب الحجاز ثم **ومغفرة من ربهم** يعرفون لذة المغفرة بقوة إيمانهم؛لأنهم يؤمنون بالمجازاة قليلة أو كثيرة، ويعرفون من أنفسهم إلمامات. فإذا بشروا بالمغفرة تتم معرفتهم بالجنة[2] هكذا. ينبغي لحكيم أن يفسر الجنة لكل قوم حسب ما يعرفونها من النعم. رجل يعيش في أودية النيل والفرات

(1) هو اصطلاح الإمام ولي الله يقول : واعلم أنه إذا اجتمع عشرة آلاف إنسان مثلا في بلدة فالسياسة المدنية تبحث عن مكاسبهم، فإنهم إن كان أكثرهم مكتسبين بالصناعات وسياسة البلدة، والقليل منهم مكتسبين بالرعي والزراعة فسد حالهم في الدنيا، وإن تكسبوا بعصارة الخمر وصناعة الأصنام كان ترغيبا للناس في استعمالها على الوجه الذي شاع بينهم فكان سببا لهلاكهم في الدين، فان وزعت المكاسب وأصحابها على الوجه المعروف الذي تعطيه الحكمة، وقبض على أيدي المتكسبين بالاكساب القبيحة صلح حالهم,وكذلك من مفاسد المدن أن ترغب عظماؤهم في دقائق الحلي واللباس والبناءوالمطاعم وغيد النساء ونحو ذلك زيادة على ما تعطيه الارتفاقات الضرورية التي لا بد للناس منها، واجتمع عليها عرب الناس وعجمهم، فيكتسب الناس بالتصرف في الأمور الطبيعية، لتتأتى منها شهواتهم، فينتصب قوم إلى تعليم الجواري للغناء والرقص والحركات المتناسبة اللذيذة، وآخرون إلى الألوان المضطربة في الثياب وتصوير صور الحيوانات والأشجار العجيبة والتخاطيط الغريبة فيها وآخرون إلى الصناعات البديعة في الذهب والجواهر الرفيعة، وآخرون إلى الأبنية الشامخة وتخطيطها وتصويرها فإذا أقبل جم غفير منهم إلى هذه الأكساب أهملوا مثلها من في الزراعات والتجارات، وإذا انفق عظماء المدينة فيها الأموال أهملوا مثلها من مصالح المدينة، وجر ذلك إلى على التضييق على القائمين بالاكساب الضرورية والزراع والتجار والصناع وتضاعف الضرائب عليهم، وذلك ضرر بهذه المدينة يتعدى من عضوا منها إلى عضو حتى يعم الكل، ويتجارى فيها كما يتجارى الكلب في بدن المكلوب، وهذا شرح تضررهم في الدنيا، وأما تضررهم بحسب الخروج إلى الكمال الأخروى.. لينظر: حجة الله البالغة, الإمام ولي الله الدهلوي,2/ 163 -164.

(2) في ن م : هذا الذي فسرنا.

والكنكا وجمنا هل هو يفهم قيمة ماء غير آسن فلايتكلف الحكيم لتفهيم الجنة بتلك المعاني، وبتلك الأوصاف لكل الأقوام.

(1)حكاية: كتب الإمام ولي الله في حالات والده أنه رأى في المنام أنه في الجنة فيها حور وقصور من كل النعم موجودة فأخذ يبكي فجاء الناس المؤكلون في ذلك المحل، وقالوا إن هذا مكان لا يجوز فيه البكاء والحزن. هذا محل الراحة والسرور، فقال الشيخ: نحن لم نطلب الجنة لهذه الماكولات والمشروبات بل(2) لمشاهدة التجليات الإلهية، ولا نجد هاهنا فألهم المؤكلون أن يقولوا له: ألم تقرأ ؟**هذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ**(3) يقدم للضيف أول وروده استرح قليلا ثم ترتقي إلى مشاهدتنا فاستبشرالشيخ(4). ونحن رأينا في كتاب لجلال الدين السيوطي(5) أن سفيان الثوري(6) له حلقة الدروس في الجنة، والملائكة يستمعون منه(7). وذكر الإمام ولي الله من ملفوظات والده أنه رأى الشيخ نصير الدين محمود الدهلوي(8) خليفة الشيخ نظام الدين(9) في الجنة يتوضأ في الجنة فسأله

---

(1) في ن م :نذكر حكاية من الإمام وجيه الدين عبد الرحيم الدهلوي .
(2) في ن م : لشئ غير هذه يعني.
(3) الواقعة : 56
(4) لينظر:أنفاس العارفين،الإمام ولي الله الدهلوي،باب وقائع الشيخ عبدالرحيم،108-109،ترجمته بالأردية،سيد محمد فاروق القادري،ايم اے،ط:فريد بك استال لاهور عام:2007م.
(5) سبق ترجمته.
(6) هو الإمام أبوعبد الله سفيان بن سعيد الثوري من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد في الكوفة سنة 97ه ونشأ بها ،كان سيد أهل زمانه في علوم الدين وخرج منه سنة 144ه فسكن مكة والمدينة وانتقل إلى البصـرة فتوفي فيها سـنة 161ه ، من مصـنفاته : الجامع الكبير والجامع الصـغير كلاهما في الحديث وكتاب في "الفرائض" لينظر: الأعلام للزركلي 3 / 104-105.
(7) لم أطلع على مصدر تلك الواقعة.الباحث
(8) هوالشيخ الإمام العالم الكبير الزاهد المجاهد نصير الدين ولد ونشأ بأرض أوده،ولما بلغ التاسعة من سنه توفي والده،فتربى في حجر أمه العفيفة.وكان من شيوخه الشيخ عبد الكريم الشرواني,الشيخ افتخار الدين محمد الكيلاني وغيرهم وأخذ الطريقة عن الشيخ نظام الدين محمد البدايوني بدهلي وأقام بها ولازمه مدة من الدهر، واستخلفه الشيخ في سنة أربع وعشرين وسبعمائة، ولما توفي الشيخ إلى رحمة الله سبحانه جلس على كرسي مشيخته وأوفى حقوق الطريقة.وكانت وفاته في الثامن عشر من رمضـان سنة 757ه بمدينة دهلي،فدفن بها، كما في أخبار الأخيار.لينظر: نزهة الخواطر, 2/ 209.
(9) هوالشيخ الإمام نظام الدين محمد بن أحمد بن علي البخاري البدايوني أحد الأولياء المشهورين بأرض الهند.ولد بمدينة بدايون في سنة 636ه وتوفي والده في صـغر سنه فتربى في حجر أمه،وكان من شيوخه: الشيخ علاء الدين الأصولي، الشيخ شمس الدين الخوارزمي وغيرهم.توفي في سنة خمس وعشرين وسبعمائة،وله تسع وثمانون سنة، ودفن بمدينة دهلي في قاع خارج المدينة، بنى فيه محمد شاه تغلق ومن بعده من الملوك الأبنية الرفيعة،وقبره مشهور ظاهر يزار ويتبرك به. لينظر: نزهة الخواطر:للحسني, 2/ 193-195.

الشيخ وقال: هذا عمل لا حاجة إليه في الجنة ؟، فأجاب نصير الدين: تعودنا عليه في الدنيا فنجد فيه لذة فلذلك نعمله(1) انتهى.

كمن هو خالد في النار الخ عطف على **أفمن كان على بينة** ونتيجة كونه على بينة كونه في الجنة. ونتيجة كون رجل زين له سوء عمله كونه خالدا في النار. هل يستويان في عذاب جهنم؟ أتى ذكر **وسقوا ماء حميما**: لأن في الصحراء يستعمله يجدها في أدنى حالات الإنسان في الدنيا عرف لهم النار بذلك. إلى هنا انتهى معنى غلبة أهل الانقلاب ليس هو مثل غلبة الملوك بل هو ذريعة إلى تعريف الجنة، ومنزل في الطريق ثم ذكر القرآن من لم ينتفع من ذلك الانقلاب من ابتداء آية 16 إلى آخر السورة.

قوله:وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهوَاءَهمْ 16. هؤلاء لا يفهمون ما يقوله النبي لعمل الانقلاب. هل يمكن بتلك المقاتلات القليلة الصغيرة أن يغلب العرب على الدنيا؟ **طبع الله على قلوبهم** لايعرفون أن الإنسانية المتأذية يسرى فيهم أمر إقامة الحق ودفع الظلم، ولا يمكن منع هذه السراية، وهم لا يفهمون ذلك؛لأنهم ما تأذوا من الظلم إليه الإشارة في **واتبعوا أهوائهم** واتباع الهوى لا يكون إلا من الأغنياء. قوله:"**وَالَّذِينَ اهتَدَوْا زَادَهمْ هدًى وَآتَاهمْ تَقْوَاهمْ** 17" الذين يفهمون أن الله لا يرضى الظلم. وإذا غلب الظلم على الأرض لازم أن يقوم الدافعون الظلم. هم لما يسمعون أن النبي يأمر بالقتال يعرفون أن هذا هو طريقة إقامة الحق، ودفع الظلم إليه الإشارة في قوله:**وآتاهم تقواهم** 16**فَهلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُها فَأَنَّى لَهمْ إِذَا جَاءَتْهمْ ذِكْرَاهمْ**17. شرحها يحتاج إلى تمهيد ومقدمة. مقدمة في شرح **وآتاهم تقوهم**.

مقدمة:عندنا الانقلاب العالمي أول سورة خاصة به في القرآن على ترتيب المصحف هى سورة النحل. مبدأها **أتى أمر الله فلا تستعجلوه-** أمر الله هو الانقلاب العالمي الذي يفسره قول

(1) لينظر:أنفاس العارفين، الإمام ولي الله الدهلوي،باب مجالس أرواح الألياء،123.

الله_عزوجل_ هو الذي أرسل رسوله بالهدى الخ سورة التوبة 33سورة الفتح 28، سورة الصف 9 معنى قوله: **أتى أمر الله** جاء وقت الانقلاب. وبعد ذلك نهوا عن الاستعجال **فلا تستعجلوه** بل تشتغلون بجمع أسباب الانقلاب، وتهيئون أنفسكم لأداء جميع شروطه التي إذالم يتحقق لا يجوز في حكمة الله إتيان الانقلاب[1] تم التمهيد.

أول سورة الانقلاب: تقواهم. **فَهلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُها فَأَنَّ لَهمْ إِذَا جَاءَتْهمْ ذِكْرَاهمْ** الساعة هي ساعة الانقلاب. ويمكن الآن أن يأتيهم بغتة فإن المؤمنين قد أكملوا شروط الانقلاب إليه الإشارة في فقد جاء أشراطها. عامة المفسرين غفلوا عن معنى الانقلاب في القرآن؛لأن التفاسير بأيدينا عامة من بعد مضي دور الانقلاب. هم لا يعرفون من الانقلاب إلا القيامة. فكل ماجاء ذكر الساعة حملوها على القيامة[2]. ونبينا نبي القيامة وحملوها على القيامة الكبرى، وإن كان لأقوالهم وجوه بعيدة في التأويل. وأما الظاهرأن الساعة هي التي أتى بها النبي في زمانه، وأتمها خلفاؤه بالغلبة على كسرى وقيصر. فأشراط الساعة هي تهيؤ المسلمين للانقلاب، وللقتال. فقوله: **فأنى لهم إذاجاءتهم ذكراهم** إذا تمت أشراط الانقلاب يلزمها الانقلاب. القتال وغلبة المؤمنين ومغلوبية الكفار. وهل يمكن بعد ذلك تذكر؟ فالذين لم يفهموا هم مثل الأنعام .

قوله:"**فَاعْلَمْ أَنَّه لَا إِلَه إِلَّا اللَّه وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّه يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** 19"**فاعلم** معناه أن الانقلاب ليس إلا لإقامة ملك الله لا ملك رجل من البشر نبيا كان أوغيره. فالله مالك الملك يأخذ الحساب عن الذين ينشؤن الانقلاب بإسمه؛لأنهم عبيدة تحت أمره ليس لهم في الانقلاب أن يعملوا ما يشاؤن؛ولذلك أمر النبي أن يستغفر لذنبه، ولذنب المؤمنين، والمؤمنات. [3] والانقلابي الذي يعرف حقيقة الانقلاب يعرف قطعا أن أهل

---

(1) في ن م : "ففي طول هذه السورة سورة النحل نحن_ إن شاء الله بحمد الله_ نشرحها تامة كلمة كلمة".لاتوجد في ن إ.
(2) قد مر الكلام على هذا الموضوع بالتفصيل في هامش سورة الزخرف.الباحث.
(3) في ن م : "ومسألة ذنوب الأنبياء لعلمنا تكلمنا عليها".لاتوجد في ن إ.

الانقلاب لا يقتدرون أبدا عن اعتصامهم من الأغلاط. **والله يعلم متقلبكم** إشارة إليه. فكل رجل ليس مجرم، وأصيب بمصيبة بأيدي الانقلابيين لم فعلوا مثل هذا؟ فإذا بينوا عذرهم، وسألوا المغفرة يغفرلهم الله. ليس هذا الانقلاب مثل انقلاب الملوك أو مثل انقلاب أهل السياسة الذين ليس همهم إلا تحصيل أغراضهم. أصيب المحقون بمصائب لا يبالون حالهم ببال. وأما الانقلاب الذي أنزله الله من حظيرة القدس، وجعل أنبياءه، وأهل الصلاح من عباده ذريعة لتقرر الانقلاب في الأرض لا يكون فيه إصابة ما لأهل الحق إلاويعوضون منها عوضا، ولو لم يسأل الانقلابيون ما أدرك أهل الحق أنهم أصيبوا بجزائهم. أما بعد إن سألوا، واعترفوا بغلطهم، وخطأهم فيرضى بعد ذلك أهل الحق أن يعوضوا العوض، ويعترف كل الناس أن الله مالك الملك هو الذي أقام ذلك الانقلاب. قوله :"**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ. 20** " الناس مثل كاندي[1] يحبون أن يأتي الانقلاب، ولا يكون قتال. هذه[2] نظرية باطلة لا يمكن تحققها. تفصيل ذلك أن الإنسانية ليست مستوية بل فيها صنوف كل يصر على عقيدته، وبينهم مناقضات إذا تمهلنا للمخالفين، وتركناهم على باطلهم هم لا يفهمون معنى إعراضنا عن قتلهم إلاضعفنا في أنفسنا فيجترؤن على التغلب علينا. هل في مثل هذه الصورة يمكن الانقلاب بدون القتال؟ ويظهر ذلك بالتأمل في سورة نوح أنه لا يريد القتال، وهم يصرون على باطلهم وعلى ما عملوا من الأغلاط. هؤلاء المصرون إذا رأوا في مخالفيهم التأخر عن القتال هم يقاتلونهم ويقتلونهم فيقول رجل: أنا أقتل مظلوما ولاأقتل إذا كان راجعا إلى نفسه خاصة فأمر مبارك. أما جماعة يرضى كلها ذلك لايمكن وجودها على وجه الأرض فلا يجوز لزعيم يدفع اتباعه إلى كونهم مقتولين بدون

---

(1) موهانداس كرمشاند غاندي (2 أكتوبر 1869 - 30 يناير 1948) كان السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند .كان غاندي معروفا في جميع أنحاء العالم بإسم المهاتما غاندي.لينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%85%D8%A7_%D8%BA%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%8A

(2) في ن م : تلك

رضى منهم. أنا أعترف أن كاندى في شخصيته يقتل، ولايرفع يده على قاتله. وأما إذا كان هو قائدا لمثل كانكريس فتصور في خياله أن كانكريس يجتمع على فكره يوما من الأيام فهو مجنون. وإن ادعى في نفسه، وتكبر أنه يستحق أن يدفع أهل كانكريس إلى المقتولية فليس بإنسان. من أين حصل له ذلك الحق؟ فمثل هؤلاء من المختبطين دائما يتصورون أنه لا يكون قتال، ويكون انقلاب. **فإذا أنزلت سورة** وذكر فيها القتال قطعا لا يمكن لأحد تأويله. فهؤلاء ضعفاء القلوب يغشى عليهم الموت إن لم يصلحوا حالهم، ولم يشجعوا أنفسهم على القتال يصير عاقبتهم إلى أهل النفاق. **طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ** 21. من ابتداء البيعة تؤخذ من كل رجل يدخل في جماعة المسلمين على الطاعة والقول المعروف. ومعنى هذه الكلمة العامة المبهمة ينتهي في صورة الأمر بالقتال عزما. عامة المسلمين اجتمعوا على أن الحق في هذا الوقت هو القتال، فكان قولهم معروفا، وطاعة واجبة عليهم بحسب أصل البيعة فلو صدقوا في إتمام قولهم في البيعة لكان خيرا لهم؛لأن الموت في القتال غير معلوم. وإذا خرجوا فائزين يمكن أن يأتي إليهم قرعة الحكم فيصبرون حاكمين في بلاد. وهذه غاية يتمنونها؛لكن حفظ العهد، وتصديق كلمة البيعة لازم لهم في الوصول إلى تلك الدرجة. فإذا ثبت مرة أنهم ينقضون العهد الذي عهدوه ثم يجعلون حكاما في بلاد؛لأنهم يجدون في أنفسهم أنهم غير صالحين. أما تنظيم الحكم فهم أقدرعليه من غيرهم. فإذا ثبت نقض العهد مرة في حياتهم لا يستحقون أن يفوض إليهم أمر الحكومة؛لأنهم إذا قبضوا أزمنة الحكومة ينقضون عهد التولية، ومنشور الحكومة لا يراعون الشروط التي عليها فوضت إليهم الحكومة، وإليه الإشارة فَهلْ **عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**22. ليس في هذه إشارة إلى قوم من الأقوام ويريد الناس أن يجعلوه إشارة إلى بني أمية. بنو أمية خالفوا الإسلام في أول الأمر لاشك في ذلك، وكانت عصبة منهم، وقتلوا المسلمين[1]؛لكن لما أسلموا بعد الفتح فما تأخروا عن قتال تقدم إليه المسلمون. ألا تعرفون يزيد بن أبى سفيان[2]

---

(1) قتل بنوأمية المسلمين في غزوة بدر وأحد وغيرهما.الباحث

(2) يزيد بن صخر (أبي سفيان) بن حرب،(000 - 18 هـ = 000 - 639 م) الأموي، أبو خالد: أمير، صحابي، من رجالات بني أمية شجاعة وحزما. أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النبي صلّى الله عليه وسلّم على صدقات بني

أحد القواد الذي فتح السوريا. أبوسفيان[1] نفسه يحارب الكفار مع كونه شيخا؛لكن نزلت هذه الآيات في المنافقين، وضعفاء القلوب. وأما الذين قاتلوا جهارا ثم آمنوا جهارا لا يدخلون في هذه الآيات أبدا. **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** 23. هؤلاء لا يدخلون في صف المؤمنين بل هم يرتدون بعد ما رأوا أمرا بالقتال جازما. فمن 24 إلى 28 **إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** 28 ذكر هؤلاء المرتدين. [2]

الفقيه الرازي[3] في أحكام القرآن بحث عن مسألة الجهاد[4] والأمر بالمعروف في مواضع. وقد كفى وشفى ما ترى إلى تجاربنا حاجة في شيء. ومن تلك التجارب[5] إن قدرنا على قبول نظريات ذلك الفقيه الماشي في حفظ روح الانقلاب على طريقة الإمام أبي حنيفة الذي صبر على المحنة، ومات في السجن، فقدرنا على تصديقها بكل قوتنا بعقولنا وقلوبنا فلا نجد بعد شيوع هذا الكتاب في بلادنا للفقهاء الحنيفة عذرا في التخلف عن الحركات الانقلابية.

فراس، ولما استخلف عمر، ولاه فلسطين. ثم ولي دمشق وخراجها. وافتتح قيسارية. وهو أخو معاوية الخليفة له وقائع كثيرة وأثر محمود في فتوح البلاد الشامية. توفي في دمشق بالطاعون، وهو على الولاية .لينظر: الأعلام للزركلي,8/ 184-185.

(1) سبق ترجمته

(2) في ن م : "نحن في حياتنا جربنا أمورا بعد مداخلتنا في الحرب العمومي من جانب المسلمين.رأينا أشياء لوكنا مقيمين في المدرسة ما قدرنا على فهم تلك الأشياء أبدا.الآن بعد هذه التجربة علمنا أن الاشتغال بتعليم علوم الدين،وإرشاد الإحسان للمؤمنين من أحسن أعمال المؤمنين؛لكن تحت شروط إن كانوا قادرين على ترك إعانة الكفار فواجب عليهم الجهر بذلك.فإن لم يفعلوا ذلك مع قدرتهم لعل أعمالهم الصالحة تحبط كلها.وإن كان ليس قدرتهم على الخروج من أيدى الكفار فليعتزلوا جميع الأمور.أما إذا قاموا ينصرون الكفار بالدعاية لهم فلايأتي بعد ذلك أنهم يستحقون أن يتقدموا على المسلمين. هذا الذي جربنا. كان الإمام ولي الله أشار إليها بإشارات إجمالية؛لكن وجدنا."هذه العبارة الطويلة لاتوجد في ن إ.

(3) سبق ترجمته في سورة الشورى

(4) تكلم الإمام أبوبكر الجصاص عن هذا الموضوع(مسألة الجهاد والأمر بالمعروف) في تفسيره في أماكن متعددة فليراجع تفسيره لهذا الموضوع.مثلا:باب فرض الجهاد وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, لينظر:أحكام القرآن, الإمام الجصاص,311/1 و608/2-609.

(5) في ن م : نحمد ربنا على.لاتوجد في ن إ.

قوله:**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ** 29 ضعفاء القلوب إذا لم يصلحوا أنفسهم يصيرون من المنافقين. وفي حالة الحرب في الانقلاب تمييز المجاهدين والمنافقين لازم فنبه الله نبيه على أن يعرفهم باجتهاده، ويخرجهم من الصف الأول حتى لا يضروا المسلمين، وقد ذكرنا سبب عدم التشدد على المنافقين، والفاروق في زمنه بأننا لا نعامل المنافقين مثل معاملة النبي؛لأن أمرهم الآن تبين بقرار جمع من المسلمين.

تنبيه: هذا الإخراج إنما يقدر عليه المنافقون إذا انتظم الحكومة الشعوبية وإلا فأمر المنافقين دائما يكون مشتبها، وهم الذين أوجدوا ثلٰثة وثلاثين حزبا في الإسلام وإلا فالإسلام حزب واحد: حزب القرآن.

الحكومة ماكانت منتظمة حتى تخرجهم عن جماعة المسلمين، وتجازيهم، والعلماء الذين كان في مزاجهم حدة وشدة أخرجوهم من المسلمين ، وهم أيضا أهل عقول وأهل دعاية فأخرجوا هؤلاء من الإسلام من هذا الطريق فقط. انتظم حزب في الإسلام مخالفا لحزب القرآن ثم انتشروا، ووصلت إلى ثلاث وسبعين. وإذا تعمق رجل يجد الأحزاب أكثر من هذا العدد بكثير. والذي تحقق عندنا من المعاملة مع هؤلاء الأحزاب أو من المعاملة مع الذين يعملون عمل المنافقين إن كانت عندنا حكومة منتظمة بشورى المسلمين نرفع أمرهم إلى تلك الشورى فإن أخرجوهم من المسلمين تجازيهم الحكومة بجزاء الكفار بجزاء الردة وإلا فليس لأحد بعد ذلك حق في التكلم عليهم. وإذا لم تكن حكومة منتظمة مثل هذا فالذي نختاره هو عدم تكفيرأحد يدعي الإسلام كائنا من كان، وإن وجدنا فيه علامة الكفر ظاهرة فنؤولها ولا نخرجهم عن الجماعة، ونشترط للانقلابيين في الإسلام شروطا ظاهرة لا يقبل هؤلاء حتى يدخل في الانقلابيين؛بذلك نقدر أن نقدم الانقلابيين من المسلمين، ولا يتفرق صفوف عامتهم، ونصبر على مثل ما صبر النبي في أيامه. **يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ 33** بالاشتراك مع المنافقين

في التأخر عن القتال. **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَهُمْ 34.** فالذين يخالفون المجاهدين وينضمون إلى الكفار لايضروننا؛لأن الله لن يغفر الله لهم.

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّه مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ 35. في ترك القتال ليس معناه أن كل فرد منا يحضر ميدان القتال بل يقبل هذا المبدأ صغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا يسعى بما استطاع أن يؤيد المقاتلين للحق، ولا ينضم إلى المخالفين. هذا معنى قوله: **فلا تهنوا وتدعوا الى السلم** الخ تدعون إلى الصلح مع قانون لا إلى الصلح مع رجال وأقوام. **والله معكم**. . . فالأعمال، وإن كانت ضعيفة إذا قمتم لنصرة القرآن فالله معكم. **إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36) إِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (37) ها أَنْتُمْ هؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّه فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِه وَاللَّه الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)** إلى آخر السورة دعوة إلى النفقة في سبيل الله في المجاهدين في طريق القتال. هذا الذي أشار إليه أولا. ليس المعنى أن يحضر كل إلى ميدان القتال فالذين يتأخرون لعذر أولم يقبلهم الإمام؛لأنه لا حاجة إليهم هم لا يحسبون أنفسهم أنهم صاروا محرومين عن القتال كلا!بل المعاونة المالية فرض عائد إلى تلك الجماعة؛فليسع كل أحد حسب ما استطاع أن يقدم إلى الغزاة النفقات فكأنهم اشتركوا معهم. [1] **ولا يسئلكم أموالكم**. يعني أنكم بعقيدتكم وقراركم

(1) في ن م : نذكر لكم حكاية "طلبة عليكره في أيام الحرب العمومي أو قبل ذلك في أيام طرابلس وأيام بالقان أمروا مديرا المطبخ أن لايطبخ اللحم.ومايبقى بسبب ذلك نرسله إلى الهلال الأحمر.في عليكره في كل وقت قسمان من الطعام لازمان على المائدة: اللحم والعدس. فلما اجتمعوا وأصــروا على ذلك وراموا على ذلك نحو أربعين يوما،والذي اجتمع لم يكن مقدارا كبيرا فأرسلوا قسطا واحدا إلى الهلال الأحمر.هذه كله تمهيد لحكاية الواقعة. أصل المسألة بعد.اضطربت الحكومة الإنكليزية فقامت وقعدت وارتفعت وخفضت حتى وعدتهم الحكومة أن المقدار الذي ترســلونه إلى الهلال الأحمر الحكومة المركزية ترســل ذلك المقدار عن خزينتها من إســمكم؛لكنكم أنتم لاتتركوا اللحم،فالطلبة ما قبلوا ذلك ونخبركم نحن : أن هذا أساس الانقلاب في عليكره وإلا فعليكره يخرج منها جماعة تتعاهد بوفاء إطاعتها لملك إنكلتره إلى آخر الحياة. هذا أســاس عليكره ثم من هذا العمل القليل يحدث فيهم الانقلاب هم يجاهدون ضد الإنكليز،فالاشتراك في النفقات لها تأثير عظيم.لاتوجد في ن إ.

تعطون الأموال فيترككم على قراركم إن[1] قليلا, أو كثيرا فكله مقبول **تبخلوا ويخرج أضغانكم** إنما ترك أن يسألكم؛لئلا يخرجكم.

هاأنتم . . . . . . لا تحسبوا أن الله محتاج إليكم؛لكن هذا لازم إن لم تحقروا بأنفسكم. فلنذكر لكم خلاصة ما ذكره الرازي2[3]:هو يقول كل الناس مخاطبون فإن كان رجل سليما في أعضائه وذا قدرة على إنفاق الأموال فالواجب عليه أن يجاهد بنوعيه بنفسه وبأمواله. والثاني سليم الأعضاء ليس بقادرعلى المال فالواجب عليه أن يحضر بنفسه. والثالث رجل له عذر في الحضور بنفسه وهو ذو مال يجب عليه أن ينفق بماله. (هنا نقول كلمة من عندنا: إنفاق المال واجب في كلتا الصورتين لكن الله لم يجعل له قانونا رحمة بنا فلانميل إلى البخل بل ننفق كل ما نقدر عليه)[4]. والرابع رجل له عذر في بدن ولا مال له فالواجب عليه النصح لله ولرسوله وللمؤمنين، فليخبر الناس بدعاية تنفع المسلمين، ويتجسس عيوب الكفار، وعوراتهم، ويخبر المسلمين؛لأن الله شرط في قبول الذي لا يقدر إذا نصحوا لله ولرسوله هذه خلاصة[5] مما أتى به الرازي[6]. أنا تعجبت من ذلك: كيف يجوز لرجل يؤم المسلمين وهو يدعو بدعاية الكفارعوض أن يسكت عن ذلك إذا لم يقدر هو على نصح المسلمين فنحن لانوجبه عليهم؛لأن الكفار لا يكرهون أحدا في بلادنا.

---

(1) ولوكنتم قليلين أو كثيرين.الباحث

2 هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ولد في الري عام 544ه ، وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة 606ه من مؤلفاته : مفاتيح الغيب في ثماني مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات و معالم أصول الدين وغيرها من الكتب القيمة انظر : الأعلام للزركلي،6/ 313 -314

(3) إن الإمام فخر الدين الرازي ذكر الكلام المذكور(الذي لخصه الشيخ السندي) تحت قوله :ولايسألكم أموالكم.الباحث.

(4) في ن م :"تم قول الأستاذ".لايوجد في ن إ.

(5) لينظر: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ت: الإمام فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)62/20-63, الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الثالثة - 1420 هـ.

(6) سبق ترجمته.

وإن تتولوا يعني عن الإعانة بالمال أيضا. **يستبدل قوما غيركم** ويجعلهم مركز الانقلاب العالمي. **ثم لا يكونوا أمثالكم**. هذا الإنذار أثر في قلوب أصحاب النبي، وسلمهم الله عن التقصير في ذلك، وقام المركز الاجتماعي فيهم نصف يوم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًاالخ هذه السورة نزلت في وقعة الحديبية[1]. قصتها معروفة. هذا الصلح هو الفتح. كان في تحصيل هذا الصلح حالات مختلفة اجتمعت. الفتح إنما يبني على تنظيم جماعة حقة. اجتماع صغير منظم تام النظام يريد إقامة الحق، ودفع الظلم عن الإنسانية. والناس مبتلون أكثرهم بالظلم: ظالم أو مظلوم. ففي تلك الحالة هذا النظام القوي يغلب الباطل قطعا. عامة الناس دائما يفهمون أن الفتح غلبة قوم على قوم أو حزب على حزب، والمتبصر يفهم أن الغلبة بعض الأوقات تحصل بأمور اتفاقية، [2] فلا يبنى عليه شيء لا يكون هو جزء الارتقاء لنظريات جديدة. إنما النظام القوي المطيع للمصلحة أينما كانت لا يبالي في المصلحة في رعاية المصلحة أن يكون الشهرة لهم أو لغير. فإذا قام أستاذ لتشكيل نظرية جديدة في العالم، وقدر في تعليمه، وتربيته على إقامة نظام مثل هذا لتأييد نظريته فقد فاز.

أما الغلبة على قوم أو على حزب فلا قيمة له بالنسبة إلى هذا الفوز. بعد هذا التنظيم يتكامل الانقلاب للعالم. هذا معنى قوله: **وَيُتِمَّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ**. . **2** وروح الانقلاب هو هذا التنظيم فقط. أما ماعدا ذلك فأشياء عارضة تنضم مع النظام. فإذا عرفت الحقيقة وما تجاوز نظرك عنها إلى الحواشي فقد فزت. هذا معنى قوله تعالى: **وَيَهدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**. **2** وإذا تم نظام

(1) نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله. فلما نحر هديه حيث أحصــر، ورجع، أنزل الله، عز وجل، هذه الســورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصــلح فتحا باعتبار ما فيه من المصــلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مســعود، رضــي الله عنه، وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية.وقال الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية.لينظر:تفسير القرآن العظيم المعروف ب تفسير ابن كثير: لابن كثير الدمشقي,7/ 325.

(2) في ن م : ارتفاقية.أظن كلمة"اتفاقية" أنسب حسب السياق.الباحث.

أصلي على إتمام قواعد تقتضيها الفطرة الإنسانية، وتحترمها العقلية العالية للإنسان فجميع أهل العقول الصالحة من أقوام ينضمون إليكم هذا معنى قوله: **وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** 3. هذا النظام الذي ذكرناه مذكور في هذه السورة في الآية **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا 10** ثم من 18 إلى 20 **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا 18 وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا 20**. وبعد هذا النظام هم رضوا الإطاعة المصلحة التي اقتضتها حالة أهل مكة، وكان اتباع تلك المصلحة أشكل على النفوس في وجود ذلك النظام القوي؛لكنهم أطاعوا، وهذه نعمة من الله إليه الإشارة في قوله: "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا 4**" الآن نلخص تلك الحادثة: المسلمون كانوا على أقوى نظام، ووصلوا قريب مكة، وأهل مكة كانوا في ضعف لا قدرة لهم على مقاومة؛لكنهم أرادوا صلحا، وتجاوزوا فيه[1] عن الحد الذي تقتضيه حالتهم الضعيفة، فالنبي رضى به، [2] والمسلمون إنما طاوعوه لقوة النظام فقط لالفهم المصلحة، والنبي سلم لهم جميع ما اقترحوه، وفي الظاهر كان ذلة للمسلمين. هذا الصلح بهذه الصورة كان من مفاخر الإسلام إلى آخر أيام الدهر. والفوائد التي ترتبت على هذا الصلح قدر الناس أن يتفقهوا مصالح النظام الإسلامي.

الفائدة الأولى: الذين كانوا مقهورين بعد عبادة الظالمين، والقتال مع هؤلاء ليس من مقاصد الانقلاب أبدا؛لكن لغلبة الظالمين عليهم ما كانت لهم حرية في التفكر، فلما ضعفت قوة أهل مكة

(1) في ن م : في ذلك الصلح.
(2) في ن م : بهذا

لفناء صناديدهم في المغازي الآن كان في الاجتماع العمومي استعداد في التفكر في منافع الإسلام؛لكن ما حصل لهم وقت، وتسهيل لمطالعة ذلك. وبعد هذا الصلح اختلط الناس بالمسلمين، وقدروا على التفكر في مستقبلهم، فلو لم يراع تلك المصلحة لما حصل للإسلام في المستقبل قوم يعمرون تعميرا بعد الهدم. وإذا بقيت اجتماعية مكية سالمة عن الهلاك هم يقدرون بعد دخولهم في الإسلام أن ينظموا اجتماعية جديدة فإنهم كانوا قوة مركزية للعرب كلها. ومثل هذه التحديدات[1] لا يأتي إلا من أصحاب المركز. وأما أهل القرى، والبوادي هم لا يقدرون على التعمير الجديد.

الفائدة الثانية: الانقلاب الذي جاء به الإسلام كان فيه هجوم، ودفاع. الحرب للدفاع لا ينكره أحد؛لكن الهجوم للحرب تكون فيه المسئولية على المهاجمين كثيرة خصوصا إذا كان الانقلاب تحت الأمر الرباني. وأدنى قصور ليصل إلى الناس بسببه أذى من مال أو من عرض واجب مكافاته. ففي التنزل إلى المصالحة مع وجود القوة القاهرة في يده، وعلم ضعف المخالفين يجبر كل نقصان وقع من المسلمين عند الهجوم ماكان له موضع أحسن من ذلك؛لكن لما تنازلوا عن ذلك تبين للناس إلى آخر الدهر أن مبنى الإسلام لم يكن على الهجوم، وتحصيل الغنائم، وجعل أنفسهم فاتحين، فدفع هذا الإلزام عن الإسلام في مبدأ ظهوره جعل الإسلام أقوى من جميع الأديان في العالم. بعد ذلك أغلاط الفاتحين في الإسلام لا يقدر أحد أن ينسبها إلى الإسلام، وينتقد الإسلام لأجلها. نعرف أن المحمود الغزنوي[2] لما هجم على الهند كانت في جيشه أغلاط كثيرة يؤاخذ عليها المنصف؛لكن هل يقدر أحد أن ينسب شيئا من هذه الأغلاط إلى الإسلام؟ إنما هي أغلاط لا ترجع مسئوليتها إلا على قواد عملوا ذلك ثم كثير من الفاتحين مثل السلطان صلاح الدين[3]

(1) في ن م : التحديدات
(2) سبق ترجمته
(3) سبق ترجمته

ماشددوا على المفتوحين. فكل الناس يمدحون أن هذا قانون الإسلام، لا يجعل هذا راجعا إلى شخصية صلاح الدين، وقد كان فاتحا شجاعا غيورا كيف يلين هو بعد ما رأى أن خصومه اعتدوا بكل ما أمكن منهم على رعاياه وعساكره؟إذا رأينا تأثير هذا الصلح في مستقبل الإسلام نقدر بعد ذلك أن نفهم قوله: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. . . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ وَيَهدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.** وبدون ملاحظة تلك الحالات التاريخية، وبدون ملاحظة الفرق بين الهجوم والدفاع لا يقدر رجل أن يفهم معنى قوله: **ذنبك ولامعنى ما تقدم وما تأخر** لأن هذا الانقلاب الذي إسمه الإسلام كل ما كان من منافعه راجعا إلى كمال النبي _عليه السلام _هذا بينه علماء الإسلام بجميع قواهم العملية. المناقب التي حصلت للمسلمين إلى آخر أيام الدهر كلها ينسبونها إلى النبي _عليه السلام_ بكمال عقيدتهم، ونزاهة أفكارهم.

قد يعرف الناس أنهم حرروا في كتب العقائد أن كل كرامة لولي هو معجزة لنبيه[1] فيقولون: إن معجزات النبي لا تنقضى. وتقيسون[2] على ذلك قول أئمة كل فن في تفصيل كمالات نبينا _عليه السلام_ الآن نأتي على طرف آخر. المفاسد التي حدثت في الإنسانية بسبب الحركات الانقلابية الإسلامية وهي تزيد بعضها على بعض إلى آخر الدهر مسئوليتها على من؟ فالمسلمون لا يتوجهون إليه[3] أبدا؛لأن في زعمهم كأنهم خلقوا معصومين. وكل ذلك لعدم تدبرهم في الكتاب

(1) كما يذكر الملا علي القاري في شـــرحه "منح الروض الأزهر شــرح الفقه الأكبر"قوله:إن كل ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي لافارق بينهما إلا التحدي....." لينظر:منح الروض الأزهر شـــرح الفقه الأكبر،الشيخ علي بن سلطان محمد القاري،142، ولينظر أيضـا:موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام, إعداد: مجموعة من الباحثين بإشـراف الشـيخ عَلوي بن عبد القادر السـقاف,320/2 ,باب ماتثبت به النبوة عند الماتريدية, الناشـر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
(2) يقيسون. الباحث
(3) في ن م : إلى ذلك

فإنه مملو من ذم عصيان اليهود والنصارى[1]. [2] فالمسلمون ليسوا بأمة منفردة عن الدنيا. إنما جاءوا بعد اليهود والنصارى؛ليكملوا الأمر الذي لم تقدر الأمتان على تكميله. فإذا كانت المفاسد التي تركتها اليهود والنصارى في الإنسانية مسئوليتها عائدة إليهم. فالمفاسد التي ترتبت على انقلاب الإسلام مسئوليتها كيف لا تكون راجعة إلى المسلمين؟ فواقعة[3] صلح الحديبية أرجعت مسئوليتها إلى رجال عملوها لا إلى دين الإسلام؛لأن المفاسد كلها مبناها على الفتح والغارة. فإذا كان مبنى الإسلام مع كمال قوته يخضع للصلح مع أعدى أعدائه في حالة ضعفهم فقد تبين للناس أن الإسلام لا يجيز الفتح والغارة إلا في حالات لابد منها. [4]هذا الذي فهمناه من قوله: "**ليغفرلك الله ما تقدم ذنبك**" الخ الآن بعد ذلك مسئولية المفاسد لا ترجع إلى مبنى الإسلام بل الناس يذمون هؤلاء الفاتحين أنهم تركوا طريقة نبيهم[5] **هوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** معنى الإيمان في مثل هذه المواضع العزم على الإطاعة، فأولا عزموا على القتال حتى بايعوا النبي على الموت ثم عزموا على الصلح إطاعة لأمر الله، فكان الإيمان الثاني منضما إلى الإيمان الأول. وبعد ذلك صاروا من جنود الله في الأرض. الآن يستحقون أن يشرفهم الله بجعلهم من جنود الله، وإليه الإشارة في آخر الآية : **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** 7 هم الملائكة لايعصون مأأمرهم الله. فتلك الجماعة في الأرض صارت كالملائكة. ونتيجة هذا الشرف تأتي لهم في دارالدنيا والآخرة، وإليه الإشارة في قوله:**لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ**

---

(1) ذكر الإمام ولي الله الدهلوي بعد بيان قبائح اليهود "فإن شئت أن ترى أنموذج اليهود فانظر إلى علماء السوء من الذين يطلبون الدنيا وقد اعتادوا تقليد السلف، وأعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة وتمسكوا بتعمق عالم وتشدده واستحسانه فأعرضوا عن كلام الشارع المعصوم وتمسكوا بأحاديث موضوعة وتأويلات فاسدة كانت سبب هلاكهم.لينظر:الفوز الكبير في أصول التفسير,الإمام الدهلوي,53.

(2) في ن م : ثم عصيان النصارى

(3) في ن م : فتلك الواقعة

(4) إن الشيخ السندي قد اختار التعبير الرائع جدا في القضية المذكورة الذي لم يلجأ إليه أحد من المفسرين حسب مطالتي أنا.الباحث

(5) في ن م : تم ترجمة الآيات الثلث الأولي قوله:

فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا 5 . هذا جزاؤهم في الآخرة، ويكفرعنهم سيئاتهم. وهذا جزائهم في الدنيا؛لأن تلك الأغلاط تستلزم الجزاء في الدنيا أيضا. إذا قتل رجل رجلا فطبيعة الكون كلها متوجهة أن يقتل القاتل. فإن قتله الحاكم كان أولى بذلك؛وإلا فأي سبب قارب لقتله لا يتأخر عنه. إذا غاص الماء فطبيعة الماء تتحرك ليغرقه. وإذا كان المسلمون ارتكبوا بعض الأغلاط في الانقلاب، وهي كانت تقتضي المجازاة في الدنيا فبعد هذه الإطاعة التامة لأمر الله كفر الله عنهم تلك السيئات. **وكان ذلك عند الله فوزا عظيما**. فإذا تخلص من الحجاز تلك الجماعة الخاصة، وانتخب الله منهم بعد امتحانات وابتلائات كثيرة جماعة فمن تأخر عن اللحوق بهم يعذبهم الله في الدنيا، وبذلك يبين لهم أنهم فازوا فوزا عظيما ما مسهم من ذلك السوء شيء مما مس أقرانهم المتخلفين[1]عن الالتحاق بهم في تلك الدرجة، وإليه الإشارة في **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا 6**. وبعد ذلك فصل الله ذلك الأمر في الآية السابعة **أعاد ولله جنود السموات** ألخ.

في الأول كان عليما حكيما. تلك الجماعة كانت من جنود الله في الأرض أولا باعتبار قوتهم العملية[2] فأطاعوا أمرالله في الشدة والرخاء. وبعد ذلك حصلت لهم عزة خصوصية. ففي الثاني ذكر كان الله عزيزاً حكيما. هذا هو مبدأ تفصيل لجنود الله في الأرض، فأمير هؤلاء الجنود وخليفة الله هو النبي، وإليه الإشارة في 7– وفي 9- **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه وَتُعَزِّرُوه وَتُوَقِّرُوه وَتُسَبِّحُوه بُكْرَةً وَأَصِيلًا** 9 معنى الشاهد عندنا في مثل هذه الآيات ما يقابل عهدة المفتش الكبير في العساكر. **لتومنؤا بالله** الخ فالتوقير والتعزير لرسوله والتسبيح بكرة وأصيلا لله. فالعمل يكون في الرياسة منتقلا إلى الله أولا، وإلى رسوله خليفة، وصرح به في

(1) في ن م : الذين تخلفوا
(2) في ن م : العلمية

قوله:**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** 10. هؤلاء جنود الله في الأرض. والذين هم ضد هؤلاء الجنود فيهم كافرون ومنافقون ذكرهم الله في آيات بعد ذلك إلى 16 **قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** " نحن نعترف بالغلط والخطأ هو[1] قول باللسان **يقولون بألسنتهم** الخ أنتم لا تقدرون أن تضرونا، وأن تخالطونا هذا ذكر **بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12)**. هذه الآيات بيان لعدم إيمانهم بالقلوب، وإظهارهم الإيمان في الظاهر لينتفعوا من المسلمين فقط، فنبههم الله أن ذلك لا يمكن؛لأن رياسة المسلمين حقيقة راجعة إلى الله، وهو يعلم السر والظاهر، [2]فلا تقدرون على الانتفاع بالكذب. بعد ذلك ذكر الله إن أراد أحد من الأعراب أن يغفر الله فيغفرله في 14 **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**. ولله ملك الخ مثال العذاب للمخلفين ذكر في قوله: **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا** 15. فهم يعرفون الغنائم، ويكونون محرومين. هذا عذاب. ومغفرتهم بعد ذلك في آيتين **قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا. . . . .** "[3] بين الله للأعراب طريق المغفرة . الآن يذكر الله رضائه عن جنوده في الأرض إلى قوله: **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي**

(1) في ن م : هذا
(2) في ن م : السرور الظاهر؛ لكن جملة السر والظاهر أصح عندي حسب السياق.الباحث.
(3) في ن م : ومن يقول عذاب.

قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِه وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهلَها وَكَانَ اللَّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26). وأخرى مغانم كسرى وقيصر.

هذا إشارة إلى أن القوة القوية كانت موجودة بيد المؤمنين يوم الحديبية لم لم يقع هذا القتال؟ أي حكمة في هذا؟ بينه بقوله: **وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهمْ أَنْ تَطَئُوهمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّه فِي رَحْمَتِه مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهمْ عَذَابًا أَلِيمًا 25**. . . **فتصيبكم منهم معرة** هذا أمر ملحوظ في حكمة الله أن لايصيب المؤمنين المختفين تحت ظلم الكفار أذى من جهة الانقلابيين. ونحن ننظم تحت ذلك قاعدة كلية ما توجه إليها كثير من أهل العلم لأسباب الانقلاب في كل يوم. الحكمة الإسلامية تقتضي أن يتكامل من أيدي ذلك القوم، وكذلك وقع في الصدر الأول على ما فصله الشيخ ولي الله في حجة الله البالغة:"الأولون من المهاجرين والأنصار كانوا سبب دخول قريش ومن حولهم في الإسلام ثم فتح الله على هؤلاء العراق والشام". [1] أقول: إن العراق والشام كان فيها أقوام مختلطة بأقوام آخرين فقدر عرب الجزيرة على تنظيم انقلاب فيهم بواسطة العرب على أحسن نظام. قال الشيخ:" ثم فتح الله على أيدى هؤلاء الفرس والروم يعني أن أهل العراق فتح الفرس وأهل الشام فتح الروم لمناسبات قومية في ما بينهم ثم فتح الله على أيدي هؤلاء الهند والترك والسودان". [2] فالهند والترك للفرس، لأن لهم اتصالا بالتوران والهند، والروم فتح الحبش؛لأن لهم اتصالا في القديم، وإلا[3] يصيب المسلمين المختفين معرة من الانقلابيين بغيرعلم منهم. **ليدخل الله في رحمته** الخ إلى هنا انتهى ذكر مزايا جنود الله في الأرض.

(1) لينظر: حجة الله البالغة, الإمام ولي الله الدهلوي, 2/ 266.
(2) المرجع السابق نفسه.2/ 266.
(3) في ن م :لايصيب.

قد فرغنا من تفصيل تلك المنافع التي حصلت في صلح الحديبية. فالآن يذكر الله السبب الباعث لإتيانهم إلى الحديبية، وما حصل لهم المطلب، فشق[1] على كثير من المؤمنين ذلك الصلح، وغاب عن نظرهم تلك المصالح، وهم أحسوا في أنفسهم كأنه خضعت لهم هزيمة[2]. تلك الواقعة ليس تأويلها على ما أولها هؤلاء، فتبين بذلك غلطهم في الفهم. هذا مذكور في الأية 27 قوله : **لَقَدْ صَدَقَ اللَّه رَسُولَه الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّه آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** كان فيه نص على أن ذلك الصلح فتح عينه، فتبين بذلك عدم فهم المفسرين الذين جعلوا الصلح فتحا باعتبار إفضائه إلى الصلح، ففكر هؤلاء المفسرين كالفقهاء، وليس فكرهم كالحكماء. والقرآن في تفسيره يكون بالحكمة أكثر من كونه بالفقه. (والقرآن يحتاج) هذه الجماعة التي أطاعت رسوله مع كونهم قادرين على تنفيذ فكرهم فرضوا بالهزيمة ظاهر المصلحة يعرفها الإمام، ومشيره الخاص فقط يعني الصديق، وأطاعوا هذه قوة إطاعتهم هي التي جعلتهم سببا لغلبتهم على جميع الأديان. ونظام مثل هذا لم يكن موجودا على وجه الأرض في دين من الأديان: اليهودية والنصرانية والمجوسية ومن حام حولهم. فالله يشهد الآن أن بوجود تلك الجماعة تحصل الغلبة على الأديان يقينا، وإليه الإشارة في **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بِاللَّه شَهِيدًا 28** وفصل الله مزايا هذا الجند من جنود الله في الآية الآخرة:قوله: **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَه أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهمْ تَرَاهمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّه وَرِضْوَانًا سِيمَاهمْ فِي وُجُوههمْ**

---

(1) في ن م : فكان ذلك شق.

(2) يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفوس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: «بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا؟» قال لا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإنك آتيه ومطوف به» وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضا حذو القذة بالقذة.لينظر:تفسير القرآن العظيم,الإمام الدمشقي,322/7.

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَه فَآزَرَه فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا 29. إمامهم لايقضي بهواه يطيع الله في جميع الحالات. **والذين معه** أول وصفهم **أشداء على الكفار**: من يعاند القرآن. هذا معنى الكافر في كتاب الله لاالذي اصطلح الفقهاء في كل عصر نصرة لملوكهم بدعاياتهم الدينية[1] هم أشداء على المعاندين لحكومة القرآن يقاتلونهم حتى يقتلونهم أو يقتلون يكون منهم رجل على وجه الأرض حيا، ويطمئن معاند القرآن هذا لايمكن أبدا. قاعدة طبيعية إذا وجهنا البعض إلى القوم فالرحمة تجتمع لأضداد هؤلاء، فالجماعة التي منتصبة لتغليب حكم القرآن على جميع الأديان رحمتهم كلها تجتمع لهؤلاء. إليه الإشارة في **رحماء بينهم**.

جملة معترضة: أنا من أصل طبيعتي ماكنت أوافق الذين يكفرون المسلمين؛لأني كنت أظن تبليغ الإسلام، ولو إلى المسلمين ضعيف في هذه الأزمان خصوصا في بلادنا المتغلب عليها القانون الغير الإسلامي، فليس للناس في الهند استطاعة ميسرة لفهم مسائل الدين. وإنما بقيت فيهم استطاعة ممكنة فقط. فوجوب العمل والمؤاخذة على الترك على قواعد فقهاءنا الحنفية مبناه على القوة الميسرة لا الممكنة. لمثل هذه الأصول قلبي لايتحمل تكفير طوائف من المسلمين لزلة صدرت منهم ثم وجدت مشائخنا ما يحبون هذا التكفير، وإن كان عندهم بعض المداراة مع عامة الفقهاء. وأما أنا فلم أكن أحتاج إلى المداراة؛لأني ما استبدت بالأمر إنما كنت رجل جماعة . فالمسلمات العامة عند الجماعة: الناس يفرضون أني قائل بها فلايبحثون عن رأيي أي من يقرأ علي كتب الإمام ولي الله في الحكمة فأفهمه، ويفهم ثم ابتليت بعد خروجي من الهند باشتراك في السياسيات مع الكفار أشدهم، فمن ذلك اليوم انعكس حتى كله إلى المسلمين، فإن هذا الابتلاء لم يكن برضا مني. فالآن

(1) في ن م : ومن كان معاندا لحكومة القرآن.

أتصور إذا كنت في بعض الحالات أبسط رحمتي لرجل من الكفار فأستحيي من الله بعد ذلك إن أقصر في إرجاعي الرحمة إلى مسلم على وجه الأرض، وأدنى ذلك أني لاأواديهم بإسم الدين. هذا التأثير أنا رأيت كله من انعكاس الرحمة بمقابلة البغض. أولا أيضا كان لي ابتلاء بنحو من ذلك كانت معي أمي، وهي لم تسلم، وأنا جاهدت كل الاجتهاد حسب استطاعتي أن تقر في الظاهر بإسم الإسلام، وكان ذلك مختفيا عندي حتى أدعو لها؛لكن هي ما طاوعتني على ذلك فكنت دائما أحاسب أن أفجر لرجل من المسلمين، والمحكوم عليه بالردة عند طوائف من المسلمين يكون في قلبي من الإسلام أكثر مما أريده في أمي. فإذا كانت معاملتي مع أمي على ذلك المنهج فكيف اجترئ على تكفير أحد من المسلمين؟ ثم بعد اشتراكي مع هؤلاء السياسيين الكفار التقيت في الرحمة إلى المؤمنين، ولاأشترك مع أحد كائنا من كان في تكفير أحد من المسلمين على وجه الأرض. تمت المعترضة.

تراهم ركعا. . العمل بإطاعة كتاب الله ينتظم بصورتين 1: نطيع جميع أوامر الكتاب 2: نجعل مع ذلك قانونا أباح لنا الكتاب أن نضع(1) لأنفسنا ما نشاء. ففي تلك الإباحة ننظم قانونا تاما ، ونجعله تابعا لقانون الكتاب في تلك الصورة إطاعة أمر الكتاب ما انتقص. وهذا يمثله الركوع. نطيع أمر الله، ونضيف إليه ما يقتضيه أنفسنا بعد أن أباحه الكتاب. الصورة الثانية :نجمع كل قوتنا في إطاعة الكتاب فقط، ولانضع مع ذلك شيئا آخر. هذا إنما يقدر عليه جماعة مخصوصة قليلة هذا يمثله السجود فالذين معه تراهم ركعا في بعض الأمور سجدا في بعض الأمور أو ترى طائفة فهم سجد، والأكثر ركع وسجد **يبتغون فضلا**. . . الفضل :هو الخلافة العربية للاجتماع الإنساني تاما بحيث لايكون بمقابلها قوة توازيه أو تغلبه. **ورضوانا**. . هو حصول المقام في حظيرة القدس، فدائما يكون منتظرا لأتباع الشيون الإلهية لايصير جامدا على شئ. **سيماهم**. . النور

(1) في ن م : نصنع

يغلب على وجوههم؛لأن قلوبهم مستغنية عن جميع ماسوى الله. هذا الاستغناء يظهر في صورتهم، ويدركه أهل البصيرة في صورة النور ليس المراد كما أشاعه الزهاد الجاهلون أن يحدث لون متغاير في جباههم لطول وضع الجباه على الأرض[1]. [2] هذا المثال في التوراة والأناجيل موجود. **كزرع أخرج** الخ معناه أنهم يتكاملون في التعميرات أيضا . **وعدالله**. . . الخ هذا لكل من اتبع هؤلاء الجماعة إلى يوم القيامة. أولا ذكر أوصاف الذين مع النبي ثم عمم هذا في جميع التابعين لهم بإحسان[3]، فتكون هذه الجماعة جماعة مركزية في الانقلاب يرجع في كل اختلاف إلى حكمها. واستمرار هذه الجماعة إلى يوم القيامة من فروض الكفاية على جميع أهل الإسلام. تمت السورة.

في ذلك الأمر عندي فهم مخصوص. القوة العاملة القادرة على جمع هذا الاجتماع في حل أن يجعل مركزها في أي أقطار الأرض يناسبها، ويسهل لها العمل فيها؛لكن الاجتماع العمومي للمسلمين واجب أن يكون في هذا المسجد مسجد الحرام حول الكعبة قبلة الإسلام، ومسجد النبي ملحق به. وبعض الشيون يكون في مسجد النبي، وكذلك المسجد الأقصى يجعل مركزا لبعض الشيون حسب الحالات جائز. أما جعل المركز للاجتماع العمومي سوى هذه المساجد الثلثة ليس هو من مقتضى الإسلام في حال الأمن، والرفاهية، فلينظر المسلمون في هذا الزمان أين هم؟ ويمكن ارتجاع القوة الإسلامية بعد كل هذه الانحطاطات إلى مركزه الأصلي إذا جعلنا الأمم الإسلامية مخاطبة بالقرآن لا أمرائهم ولاعظمائهم، ومن يلحق بهم. هؤلاء أغرقهم الله بنوع من الغرق، فليتبع الأمم الإسلامية سنة نوح لا المغرقين يتركون أفكارهم، ويوجهون قوتهم إلى تقوية الضعفاء منهم، فينصرهم الله. تمت السورة :هي المراكز الاجتماعية والسياسية.

---

(1) كما نرى في شبه القارة الهندية خاصة.الباحث

(2) في ن م:هذه السيما شين في وجه أهل الصلاح.

(3) يدل عليه قوله تعالى: وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمْ وَرَضُوا عَنْه وَأَعَدَّ لَهمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الْأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(التوبة:100)

نذكر كلمة مضت في سورة القتال تتعلق بالاسترقاق جاء في القرآن التعبير عن الأرقاء بما ملكت أيمانكم[1]. معنى هذه الآية: عندنا إيمان المسلمين اجتماعا لا إيمان كل رجل قبضه انفرادا كما تجعل الأرض وقفا على الملة ثم يتبادل أهل الزراعة قطعات الأرض فيما بينهم ولا ملكية لهم على أصل رقبة الأرض. إنما يبيعون ما يستحقون من حقوق في الأرض. وهذا ليس بيعا حقيقة ثم سمي بالبيع مجازا. كذلك الأرقاء مملوكة للجميع. هذا الجهاد والقتال منسوب إلى القوم كله. فإذا كان ملكية للقوم كله مما يتبادلون الناس فيما بينهم مثل تبادل أهل الزراعة إنما يبيعون بعض حقوق حصلت لهم على الأرقاء، وليس ببيع حقيقة، والاستمتاع ليس بملك ولا ملك للإبضاع أفسدوا العلم حتى صار لا يقدر الرجل أن يقرأه ويقرأه في مدرسة. هذا كله من تخريجات أهل خراسان، ولم يجئ الفساد إلا من أهل بخارى _الاستمتاع من الأرقاء بدون رضاها_

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ[2] قول الفقهاء في بيانها خطأ[3]. والنكاح شركة في تدبير المنزل. وليس في عقد النكاح والاستمتاع بالبضع تعبير فاسد. هذا أحد المفاسد التي ذهبت بثروة المسلمين. ولعنة الله على من جعل النفقة والسكنى بدل البضع، ولا يفهم الفقهاء غير هذه من معنى النكاح. وهذه لعنة مطرودة عندنا من حظيرة القدس. وما اشتهر في كتب الفقه كلها باطل[4]. وهكذا مسألة الأرقاء هم شركاء في تدبير المنزل يخدمون، ويأكلون من كسب أيديهم بالخدمة في البيت. وإذا لم نجعل الخدمة شركاء في المنزل فيكونون لصوصا.

كلمة أخرى: الرقبة على قسمين 1: خلق رجل رقيقا بالطبع مثل المخنث يكون فطرته خداجا لا يقدر بنفسه على قيام تدبير منزله. هؤلاء لازم أن يضموا إلى بيوت أخرى. هم أرقاء سميتموهم

---

(1) كما ورد في القرآن في سورة النساء وغيرها.الباحث

(2) النساء, الآية: 24

(3) بين الفقهاء كلاما طويلا في قوله تعالى:إلاما ملكت أيمانكم مع اختلاط في موقفهم لذا قال الشيخ السندي بأن قول الفقهاء في بيانها خطأ.ليراجع كتب أحكام القرآن للكيأ الهراسي,405/2-407, أحكام القرآن للجصاص,80/3-84 وغير ذلك من التفاسير القيمة.الباحث.

(4) إن الفقهاءجعلوا النفقة والسكنى بدل البضع؛لذا اختار الشيخ السندي ذلك التعبير وهو من تفرداته.الباحث.

رقيقا أو أحرارا. ومن أراد تحرير هؤلاء إن كان من رجال ظالمين فحق. وإن أراد تحريرهم من مطلق الإنسان فهو فساد في المجتمع 2: رقيق بالاتفاق رجل شريف كان لحاجة حارب فانهزم فأخذه الغالبون أسيرا وجعلوه رقيقا جزاء على حربه. هذا ليس برقيق حقيقة، وتحريرهم على أي وجه يمكن في أقرب أوقات هو إحسان على الإنسانية كلها إلى هذا إشارة، وإرشاد في قوله: **وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ**[1] خيرا هو عدم الحرب بعده. [2] وأما مسألة البضع فنحن نتبعها من أول مرة فتركناها. الإمام ولي الله يذكر في حكمة النكاح يجعل هذا الأمر مدسوسا في حوائج أخرى[3]. مثل الطفل إذا بلغ نقول هو صلح أن ينظم بيتا بنفسه هو يكتسب رزقه فليأكل كيف شاء؟ ولذلك نجعل له بيتا على حدة، ويجعل الآباء والأمهات من رغائبهم إذا بلغت الأولاد إلى تلك الدرجة ثم يطلبون لها خادمة تشترك معها هي زوجة ينعقد بينهما عقد اشتراك في المنافع المنزلية، ويصرح الشيخ بأن التصريح بقضاء الشهوة البشرية مستبشع عند البشر. في عامة اللغات اصطلاح : أن الزوجية ربة البيت، والرجل رب البيت، ففيه شرح للعواطف والعقلية. الآن نذكر لكم كيف فسد هذا الأمر عند المسلمين العلة التي بسببها عم هذا[4]الفساد؟

الأمراء والسلاطين لا يتقيدون في بيوتهم مع أحد يحكمون عليهم مثل حكمهم على الأنعام، فجمعوا القضاء شهواتهم نساء غير محصورة غير معدودة. فعندهم الغرض من النساء ليس إلا قضاء الشهوة. ولو كان لهؤلاء الأمراء حصلت لهم النساء من قبائلهم وعشائرهم ما فسد مزاجهم مثل هذا الفساد؛لكن حصل لهم أرقاء من أقوام آخرين ضعفاء مساكين فجعلوهم مثل الأنعام لقضاء

(1) النور: 33
(2) في ن م :على رأي الأستاذ مولانا.
(3) لينظر: حجة الله البالغة,الإمام ولي الله الدهلوي,2/ 196-198.
(4) في ن م : كلمة"هذا" لاتوجد.

شهواتهم. هذا هو أساس الفساد ثم طائفة من العلماء والأذكياء الفقهاء ينضمون إلى الأمراء إما بنية إصلاحهم وإما للاستفادة من أموالهم؛لكن إصلاح هؤلاء الشياطين لا يقدر عليه إلا من كان أقوى منهم في الحكم. والفقهاء مساكين يسترزقون منهم لا يقدرون على الإصلاح بل يصيرون كالمجبورين يصنعون لهم الحيل أفيكون هذا دينا! نحن بعد ما غلب علينا فهم الانقلاب أدركنا كثيرا من المفاسد التي أدخلها الفقهاء لقضاء حاجات الملوك، ويجب علينا في فكرنا إذا قدرنا على هدم الظلم من أهل الاسلام فلنهدم معه كثيرا من شرائع الظالمين، ونرتب فقهنا على ترتيب جديد. نحن أخذنا الفقه بقدر ما وصلنا إليه من اتباع إمام أبي حنيفة. الإمام كما كان إماما للفقهاء، ونعتقد[1] أنه كان قدوة في الانقلاب أيضا، ماكان إماما في الانقلاب بل قدوة. فالفقه الذي قرره الإمام كأنه كله موافق لدماغنا، ثم دخل فيه ارتجاعيون كالإمام أبي يوسف[2] فرتبه على ترتيب مخلوط بين الانقلاب والارتجاع. هذا الفقه لا نقبل منه إلا ما كان روح الانقلاب غالبا فيه، فالإمام أبو يوسف صادق في روايته، وفقيه من أكبر الفقهاء بين أصحاب أبي حنيفة، وبهمته انتشر هذا الفقه في الإسلام، فاعترافنا بفضائله لايجعلنا أن لانعترض عليه في ما أفسده، وهو اتباع هوى الملوك والأمراء، وإيجاد الحيل على الفور لما يريدون. هذا نرده كله إن كان منه أوممن يتبع طريقه. وعندنا زفر[3] أفقه من أبي يوسف بمراتب. ولا نجد في هذه التخريجات شيئا يستند إلى زفر. أما بعد ما فرغت من ديوبند، وصرفت قليلا من أوقاتي في تحقيق فقه الحنفية المتعلق بالتخريج من القواعد فوجدت طبيعتي توافق زفر أكثر من أبي يوسف. ومن ذلك اليوم حصل لي جرأة على رد أقوال أبي يوسف؛لأني أوافق فيها زفر وهو أفقه من أبي يوسف. هذا الذي أرد على أهل الفقه إنما يكون

(1) في ن م : في حقه
(2) سبق ترجمته.
(3) زفر بن الهذيل بن قيس العنبري،(110 - 158 هـــ = 728 - 775 م) من تميم، أبو الهذيل: فقيه كبير، من أصحاب الإمام أبي حنيفة.أصله من أصبهان. أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفي بها. وهو أحد العشرة الذين دوَّنوا (الكتب) جمع بين العلم والعبادة. وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه (الرأي) وهو قياس الحنفية، وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي. لينظر: الأعلام للزركلي, 45/3.

عند الفقهاء الحنيفة. أما عند غير الحنفية ما انتقصت من الائمة بكلمة أذب عنهم أن أتمكن أو أكذب الرواية إن تمكنت من التكذيب. أما تحقيق الحق في جماعة فقهائنا أيضا لا نتكلم ونسكت. هذا حرام.

لطيفة: سألني رجل صالح_وكان في درجة مشائخنا في السند_[1] أن الغزالي[2] في إحياء العلوم حكى عن أبي يوسف: أنه كان قبل إتمام الحول يهب ما يملكه لزوجته ثم قبل إتمام الحول كانت زوجته تهب لأبي يوسف. [3]وهذا العمل حيلة في إسقاط الزكوة. وحكى الغزالي عن بعض أهل العلم أنه من فقهه، ورد عليه الغزالي فقال نعم! أن فقهه إلا أنه فقه في الدنيا فقط[4]. جرى هذا الذكر في صحبة من جهة المعترضين على الحنفية فأنكرت على هذا الرجل، وعلى الغزالي أنه ليس له أهلية أن يأتي بمثل هذه الرواية من غير أن يعرف أن هذه الرواية صحيحة أو باطلة ثم الغزالي ليس له في الفقه نصيب مثل أبي يوسف. فنحن لا نقبل كلام هؤلاء في الأئمة فسكت الرجل، ثم بعد هنيئة من الزمن قال هذا الشيخ الصالح إن كان عندك فعل أبي يوسف صحيحا فأنا أسألك لتسكين خاطر لا للاعتراض قلت: نعم! الزكوة إذا شاء الرجل يفرض على نفسه يملك نصابا يحول عليه الحول فيجب عليه الزكوة؛لكنه أداء الزكوة فيه بعض الإشكالات. بعض الفقهاء يجوزون أن يعطي الرجل زكاته لفقير واحد أو لطائفة من الفقراء والبعض حكموا بوجوب تجزئة الزكوة على ثمانية أقسام متساوية، ثم يؤدي كل قسم على ثلثة من ذلك الصنف. وهذا أمر مشكل.

(1) في ن م :" لم يكن من أهل العلم لكن كان عارفا متقيا كل من يجلس يرى أثر صحبته في قلبه. هذا الرجل الصالح سألني..وهذه العبارة لاتوجد في أصل المخطوط(ن إ)

(2) سبق ترجمته.

(3) أصل الرواية في إحياء العلوم هكذا قوله:" وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً للزكاة فحكى ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية". لينظر:إحياء العلوم، الإمام الغزالي(ت:505ه)18/1،دار المعرفة،بيروت.

(4) المصدر نفسه:18/1.

وهذا التجزئة والتقسيم[1] هو قول الشافعي[2],والغزالي[3]. فإن رأى رجل فقيه أنه يشكل عليه أداء هذا الفرض فاحتال أن لا يجب عليه ذلك الفرض، فعندي لايلام هو فقال ذلك الشيخ: قلبى قدبرد. تفكرت في هذه المسألة دائما فاستزدت على ذلك زيادة : أن الزكوة في ذلك الزمان كانت تؤدى إلى بيت المال للخليفة، والإمام أبو يوسف كان يعرف ما يفسدونه في الإنفاق، وعدم وضع شيء في محله. وذلك ظاهر من كتاب الخراج أنه يشتكي من عمال هارون[4] فاحتال حيلة؛لئلا يؤدى الزكوة إلى بيت المال بل كان يؤدي بنفسه إلى الفقراء الذين كان يعرفهم أنهم يستحقون[5]، والدليل على ذلك أن الإمام أبا يوسف أعطى مائة ألف درهم لأهل مكة، ومائة ألف درهم لفقراء المدينة [6],ومائة ألف درهم لفقراء بغداد فلم يكن الاحتيال لبخل منه.

---

(1) أما بالنسبة لتحرير مذهب الشافعية في المسألة، فإن المذهب لا يختلف في وجوب التسوية بين الأصناف الثمانية فيعطى لكل صنف ثمن، فإن لم يوجد صنف من الأصناف وجبت التسوية بين الأصناف الموجودة، ولا تجب التسوية بين آحاد الصنف الواحد، وإنما تستحب،قد أوضح النووي ذلك في شرح المهذب، فقال ـ رحمه الله: يجب التسوية بين الأصناف، فإن وجدت الاصناف الثمانية وجب لكل صنف ثمن، وإن وجد منهم خمسة وجب لكل صنف خمس، ولا يجوز تفضيل صنف علي صنف بلا خلاف عندنا ـــ سواء اتفقت حاجاتهم وعددهم أم لا ـــ ولا يستثنى من هذا إلا العامل، فإن حقه مقدر بأجرة عمله، وإلا المؤلفة ففى قول يسقط نصيبهم كما سبق.وقال ـ رحمه الله: التسوية بين آحاد الصنف ليست واجبة سواء استوعبهم أواقتصرعلي ثلاثة منهم أو أكثر،وسواء اتفقت حاجاتهم أو اختلفت، لكن يستحب أن يفرق بينهم علي قدر حاجاتهم، فإن استوت سوي، وإن تفاضلت فاضل بحسب الحاجة استحبابا.لينظر: المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)ت: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)216/6،ط: دار الفكر.

(2) سبق ترجمته

(3) سبق ترجمته

(4) سبق ترجمته

(5) إن الشيخ السندي يشير بمثل هذه المقولة إلى أقوال الآخرين؛ لكن العثور على الإحالة الصحيحة يكون صعبًا جدًا، فإن هذا العمل يحتاج إلى الدراسة المستوعبة جدًا للحصول على البغية.لم أطلع على تلك الواقعة في كتاب الخراج كله.الباحث.

(6) في ن م :هذه العبارة" مأة ألف درهم لأهل مكة ومأة ألف درهم لفقراء المدينة" لاتوجد.

سورة الحجرات[1]

في مسائل الانقلاب ليس شئ أهم بعد تقرر البرنامج من جمع جمعية مركزية مترتبة تحت قانون يدوم على آخر أيام الانقلاب باستلحاق رجال عوض من فات منهم؛لأن الانقلاب يأتي بمسائل جديدة، والحكم فيها يختلف بين القائمين. والقانون المكتوب لاينفع في ذلك أبدا فيحتاج إلى رجال يرجع[2] إليهم في وقت الاختلاف، ويكون الحكم مسلما عند جميع من ينتسب إلى ذلك الانقلاب؛فتلك الجمعية المركزية ذكرها الله في آخر سورة الفتح **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَه أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهمْ.** [3]. . وذكر في سورة أخرى: **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمْ وَرَضُوا عَنْه وَأَعَدَّ لَهمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الْأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [4]وذكرها في سورة الحشر[5]. فما بقي بعد ذلك إلا تنفيذ الانقلاب في جميع الأقوام. فإذا كان قوم ينفذ فيهم الانقلاب فيحتاجون إلى تجديد آداب الاجتماع القومي ثم إذا اجتمع أقوام فيلزم تجديد آداب الاجتماع العالمي؛فسورة الحجرات ترشدنا إلى آداب للمجتمع الإسلامي القومي والأقوامي. ومن لم يتأدب بتلك الآداب يجعل في الدرجة الثانية حتى لايثقل على الإنسانية الانقلاب أنه يسوي بين الصحرائي والقروي، وبين رجال الاجتماع الذين لهم عزة في الإنسانية بل يجعل كلا في درجة الانقلاب:معناه دفع الظلم عن المجتمع. ليس المراد تشكيل الاجتماع على شكل لايقتضيه الفطرة الإنسانية. وهذا الاجتماع الذي نراه متفقا عليه بين أهل الشرق وأهل الغرب هو من اقتضاء الفطرة الإنسانية. فإذا دخل فيه الظلم نرفعه بالانقلاب. **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّه وَرَسُولِه وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه سَمِيعٌ**

---

(1) نزلت هذه السورة في قصة نداء بني تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته، فعرفت بهذه الإضافة. وهي مدنية باتفاق أهل التأويل، أي مما نزل بعد الهجرة.لينظر:التحرير والتنوير,ابن عاشور,213/26.

(2) في ن م : ترجع

(3) الفتح : الآية : 29

(4) التوبة : الآية : 100

(5) **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهمْ وَأَمْوَالِهمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ الله وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَه أُولَئِكَ همُ الصَّادِقُونَ الحشر:8.**

عَلِيمٌ"**1**.في الاجتماع صغيرا كان أو كبيرا يجب تعيين أمير الاجتماع يرجع إليه في فصل الاختلاف. فإن الاجتماع قلما يخلو عن ذلك، فالأمير في هذا الاجتماع الإسلامي العالمي الانقلابي هو الله أولا، ونبيه نيابة عنه، فوضح بذلك معنى. . **لاتقدموا بين يدى الله**. . فالمقدم في كل شئ يكون قول الله، وفهم نبيه ورسوله، وبعد ذلك "**يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهرُوا لَه بِالْقَوْلِ كَجَهرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ 2** "هذا هو اقتضاء الثقافة في الاجتماع الإنساني بالفطرة. فالنبي من ابتداء تعليمه كان يؤثر الأصحاب يعاشر الأصحاب كواحد منهم؛لكنهم بطبيعتهم واقتضاء فطرتهم كانوا يقدمون النبي علي أنفسهم في كل أمورهم. هذا ما كان يحتاج إلى قانون إذا كانت المعاملة منحصرة في جماعة مخصوصة. نحن رأينا مشائخنا يجتهدون بكل قوتهم أن لايجعلوا أنفسهم مرتفعا عن الطلبة؛لكنهم بفطرتهم يعظمونهم، ويقدرونهم في كل شئ. أما إذا جاء المعاملة مع أصحاب يصحبونهم من زمان ومن رجال يجتمعون معهم أول مرة فلانرجو من هؤلاء المبتدئين التعظيم والاحترام الذي اقتضاها فطرة الأصحاب، فكذلك النبي لما صار إماما لقبائل العرب أولا ولأقوام العالم ثانيا فيجب أن يكون احترامه تحت قانون. وهذا القانون معياره ما يقتضيه طبيعة المستفيدين لتعظيم مشائخهم. أنا رأيت شيخنا ينبسط إلينا كثيرا؛لكنا لم نكن نجترئ أن نبتدئ معه الكلام. فإذا تبسم وأخذ في الكلام لايبقى بعده رطب، ولايبقى منه شئ. جاء في بعض الروايات مثل ذلك في حق النبي[1] ففهمنا أن الله أوجب تحت القانون الاحترام الذي يوجبه طبيعة المستفيد بفطرته تعظيم مرشده ليس مثل ما يوجب الحكام الجبابرة على الناس. **أن تحبط**. . الآن المعاملة مع النبي ليست معاملة شخصية بل معاملة قومية

(1) يدل عليه مثلا ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدريأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر، فقال: «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض»، ثم ذكر زهرة الدنيا، فبدأ بإحداهما، وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رءوسهم الطير، ثم إنه مسح عن وجهه الرحضاء، فقال: «أين السائل آنفا، أوخير هو - ثلاثا - إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإنه كلما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر، كلما أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، استقبلت الشمس، فثلطت وبالت، ثم رتعت، وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه، فجعله في سبيل الله، واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذه بحقه، فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة»لينظر:صحيح البخاري،الإمام البخاري،رقم الحديث:2842،باب فضل النفقة في سبيل الله.

أو عالمية، فإذا تخلف رجل من الاستفادة في معاملته القومية أو في معاملته العالمية بسبب سوء الأدب من هذا الشخص عند النبي فلايكون إثم ترك احترام النبي كمثل حق رجل واحد بل يكون مثل حق أقوام أو حق قوم، فعمل هذا الرجل الواحد كيف يقاوم جرما قوميا أوعالميا؟ فتذهب أعماله لهذا الجرم هباء. فإذا كان رفع الصوت عند النبي والجهر مثل الناس ممنوعا فصاحب الفراسة يقيس جميع الأعمال على هذا ويكون هذا مثل قول الله في حق الأبوين: "**فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** "[1] قوله:**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّه قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ 3** . إذا تقيدوا بذلك الحكم بغض الصوت دائما فصاروا فائزين في ذلك الامتحان. فكل أمر يؤمرون به لإقامة التقوى والعدل يعتمد عليهم أنهم يعملون به. **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ. 5** هذا أدب ثان. الإنسان يحتاج إلى لقاء النبي فلايتقاضى عليه بذلك بل ينتظر فرصة؛لأنه ليس فارغا لجواب هذا الرجل في كل آن يكون عنده أمور مهمة هو مشغول بها. وهل يجوز اقتضاء رجل لملاقاته والمنع عن إتمام الأمر؟ ولقاء النبي ليس بمشكل مثل لقاء السلاطين؛لأنه يخرج كل يوم خمس مرات لإقامة الصلوت، فانتظار رجل لوقت معين لايثقل عليه. فهؤلاء الذين لاينتظرون إلى وقت معلوم أكثرهم لايعقلون الأمور الاجتماعية. الأدب الثالث:لايوصل إلى النبي خبر إلا إذا كان صحيحا فلايخرب كل أوقات النبي بإتيان أخبار كاذبة وصرف وقته في تحقيق ذلك بلافائدة، فكل ما جاء رجل بخبر، فلينظر أصحابه الذين يوصلون إليه أخبار الناس فإن كان خبر فاسق يروونه؛لأن النبي طبيعته أنه يطيع أصحابه، فإذا كان أصحابه لايبالون بتحقيق الحق حرموا من كثير الفوائد التي كانت تأتي لهم إذا لم يصرفوا وقت النبي في تلك الخرافات إليه الإشارة في قوله: **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ 6**. هذا الأمر إنما أمرتم من الله؛لأن فيكم صلاحية لاتباع الحق وترك الباطل فتحيطون به حتى لايصل إليه رجل لايعقل. وكل

(1) الإسراء: الآية : 23

ما جاءكم خبر تبينوا. فما كان من الإيمان ترفعون إليه، وما كان من الكفر والفسوق والعصيان لاتقربوا النبي بها. لاطبيعتكم تكره ذلك هي حاكمة بذلك. **أُولَئِكَ همُ الرَّاشِدُونَ** 7. . قال النبي: ليليني منكم أولو النهي[1] ومعنى هذا عندنا يكون للنبي عملة خصوصية ترجع إليها أولا، وهم إذا فهموا أن الأمر يرفع إلى النبي يرفع. وبدون معاونة هؤلاء الأصحاب لايتم عند رجل معاملة قوم ولاأقوام. هذا الذي نسميه في لساننا العصرية جنرلستان[2]. لما خرج موسى_ عليه السلام_ من البحر فكان بنوإسرائيل يشوشون وقته كله فأمره شعيب وإسمه في التوراة غير ذلك نحن نعبر بالإسم القرآني أن يجعل على عشرة رجال رجلا ثم هكذا على المئات وعلى الآلاف هؤلاء[3] وهم يأتون إليه إذا أشكل الأمر فانتظم أمره. وفي التوراة حكاية طويلة في هذا. عندنا هذه هداية لتلك الجماعة التي تكون واسطة بين الناس وبين النبي، وبدون ذلك لايتم أمر. **فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** 8. تلك الجماعة سلمت لذلك حتى خاطبهم بقوله: إنما بعثتم ميسورين ولم تبعثوا معسرين[4] فازوا نوعا من البعثة بعد بعثة النبي تخبط قوم لم يفهموا الأمر في مسألة الخلافة: أن النبي يقضي فيها بشئ، والكلمة الصحيحة: أن يقال إن النبي لم يسلب عنهم حق انتخاب أمير عليهم، فكان أولى هؤلاء الناس فهموا أن النبي ترك جماعة على ماكانوا عليه قبل بعثة النبي من الفوضوية، وكل المسلمين يعرفون أن النبي لم يأمر بشئ فمن يأمرفينا؟ هم الذين كانوا معه من السابقين المهاجرين، والأنصار. كل قوم تهذب بتهذيب القرآن، وأراد أن يهذب العالم بذلك التهذيب أفلا يعرفون أن الحكم في تلك الصورة ما يكون؟ كل الأمور موكولة إلى ذات النبي فقط. ليس في جماعة أحد من

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلني منكم، أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثلاثا، وإياكم وهيشات الأسواق» لينظر: صحيح مسلم, الإمام مسلم,1: 323,رقم الحديث:123 باب تسوية الصفوف وإقامتها. ت: محمد فؤاد عبد الباقي ,الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(2) العلوم الاجتماعية.الباحث

(3) في ن م :"يقضون بين بني إسرائيل" لاتوجد في ن إ.

(4) أخرجه الإمام الترمذي عن أبي هريرة، قال: دخل أعرابي المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، فصلى، فلما فرغ، قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لقد تحجرت واسعا، فلم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع إليه الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهريقوا عليه سجلا من ماء، أو دلوا من ماء، ثم قال: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. لينظر: سنن الترمذي, الإمام الترمذي,1: 215 , رقم الحديث:147 , باب ما جاء في البول يصيب الأرض.هذا حديث حسن صحيح.

الأمراء ولامن القضاة ولامن أصحاب الشورى. فإذا مات ملك بدون وصية مثلا: أفلايعرف الناس من يستحق أن يقام مقامه إذا كانت المملكة منظمة؟ هذه جماعة الانقلاب للعالم درجتهم في التنظيم نازلة عن درجة الممالك التي يحكم عليها الملوك مثل هذه الأوهام لاتكون إلا عند أقوام لم يمارسوا الحكم أومنشأها أقوام يريدون أن تكون الخلافة في بيت النبي أو عائلة هم يريدون أن لايثبت عند الناس أن رجالا كانوا في تنظيم النبي إلى درجة إن لم يكن النبي يحكم هم يحكمون؛لأن إثبات الجماعة الذين قضوا بالخلافة في غير بيت النبي يضر مقصودهم، فأنشأوا فلسفة بعد مقتل عثمان، وساووا بين جميع من أخذ عن النبي وصحبه، وجعلوا أنفسهم أقرب إليه بالنسب أوغيرذلك، فتلك الأقوام أيضا ساعون في إبهام الأمر. ومنذ شرعنا في فهم تفسير القرآن أنه برنامج لانقلاب العالم خرج عن ذهننا عظمة هؤلاء الناس الذين يريدون أن الفوضوية كانت مرتسخة في أصول الإسلام. أما القوة الانقلابية إذا أسرعت في العمل فيأتي بعد زمان ارتجاع على السنن الطبيعية. وفي ذلك الزمان يظهر أن الأمر كله كان فوضوية. أما بعد سكون ذلك الارتجاع أو قبل حدوث ذلك الارتجاع من ظن أن الفوضوية قائمة في الإسلام نرى أنه لم يفهم من الانقلاب الإسلامي شيئا، فوجود هذه الجماعة بين النبي والأمة كان فضلا من الله ورحمة. وتلك الجماعة نسميها الجمعية المركزية كان رئيسها النبي_ عليه الصلوة والسلام_. فإذا توفاه الله يتخذ الجماعة رئيسا من أنفسهم مكانه. أي أمر في هذا مشكل؟ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ9**. هذا أمر للجماعة المركزية. **فإن بغت**. . هذا طريقة الحكم للجمعية المركزية بين جمعيات الانقلاب. الحكم إنما يكون بالعدل، فيفهم الناس أن المراد من إقامة تلك الجمعية هوإقامة العدل في العالم. وبعد الإصلاح يكون الجماعة كلها مثل عائلة واحدة إلى هذا إشارة **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ. 10**. هذا الاختلاف بين الطائفتين كان في قوم واحد. [(1)] والإسلام يأتي بالانقلاب بين الأقوام فاجتنبوا عن وقوع الاختلاف بين الأقوام. قد قام قوم من

(1) كان الاختلاف بين القرشيين والأمويين وكل منهما من قوم واحد حسب النسب.الباحث

الفلاسفة الاجتماعيين يجعلون الإسلام دينا قوميا عربيا ثم يزيدون قرشيا هاشميا. هذا الغلو أما إلى العربية فكثير من الفلاسفة قائلون به. نحن قرأنا كلامهم في أول الأمر فأشكلت فهم كثير من المسائل بإيماننا نؤمن بها وقلبي لايطمئن[1]. بعد ذلك رأينا أشياء في المعاملات ماقدرنا على حلها إلا أن نقول: إن حكم الله. فلما تقدمنا في المطالعة بواسطة حجة الله البالغة أن الإسلام دين الأقوام والحاكم على الأديان[2] مثل الخليفة على الملوك وتثبتنا في فهمه ذهب عني كل إشكال عرض بسبب سوء معاملة بعض الناس. تمت المعترضة. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** 11. هذا نص أن الإسلام دين الأقوام. نرد على طوائف من الفلاسفة الذين جعلوا الإسلام دين قوم من الأقوام يعنون العرب. غلط فيه المسلمون و[3]غير المسلمين بالتقليد، فالذي أجد في قلبي من الجرأة على تقديم حكم القرآن على جميع السلاطين والأقوام في عصرنا هذا هو تحليل فلسفة الإسلام بأنه دين الأقوام؛ولذلك اتخذت الإمام ولي الله إماما لي فإني لاأجد رجلا يشرح أن الإسلام دين الأقوام مثل شرحه، وإن كان في بعض كلماته مداراة لأهل عصره إلا أن حكمته نقية، فأتمنى لو قام قائمون من المسلمين يقدمون على الناس تلك النظرية في شرح الإسلام أني متيقين بعد ما رأيت الانقلابيين أن أكثرهم يؤمنون بالقرآن؛لكن لانجد موضعا ولانجد رجالا يلتفون[4] إلى هذا. الآن بعض الإخوان من بلادنا يقدمون الحكومة أنها ترفع حكم الممانعة عن

---

(1) في ن م : جملة معترضة: "كنت أقرأ هداية النحو على الشيخ في بعض قرى من رياسة بهاولبور قبل ذهابي إلى ديوبند. هذا الشيخ كان رؤوفا رحيما بي،وكان ذلك مثل ستة أشهر من إسلامي،وخروجي من بيتي فيوما ما سألني ذلك الشيخ عن بعض الشيون في قومنا فأخبرته فاستحقر وضحك.أنا أعرف أني صبرت على ذلك؛لكن مرارة ذلك المجلس لم تذهب من قلبي إلى الآن. وهذا الشيخ لي معه وداد كثير.وبعض فراغي من ديوبند هو قرأ علي الكتب الستة،فكانت المعاملات معاملة الأخوان؛ لكن هذه الأمور كلها لم تقدر أن تذهب بالمرارة من قلبي كل ما أتذكر ذلك المجلس،وإني في تلك الحالة كنت أرى كل ما يأمر به ذلك الشيخ أنه هو الإسلام.أما تلك المجلس أخرجته قلت: هذا ليس من الإسلام في شئ؛لكن لم أقدر على رد ذلك الشيخ لأن عزة الإسلام منعتني عن ذلك وإلا لما صبرت على مثل ذلك أبدا". هذا نوع.لاتوجد في ن إ.

(2) يقول الإمام الدهلوي في حجة الله البالغة : فالمراد من نصب هذه الأمة أن تكون كلمة الله هي العليا، وألا يكون في الأرض دين أعلى من الإسلام. لينظر حجة الله البالغة للإمام الدهلوي (المتوفى 1176ه)2/ 39.

(3) في ن م : وغلط فيه.

(4) في ن م:يلتفتون

دخول بلادنا[1]. فالآية 11 فيه ممانعة عن أخلاق تكون مورثة للافتراق بين الأقوام: يسخر قوم من قوم بألقاب شنيعة مثل هذه الأشياء واجب تركها، وأنا أقول أكثر الناس ما تركوا؛لأنهم لم يفهموا سرا لحكمة. والله حكم عليهم **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ همُ الظَّالِمُونَ**. . والظالمون في الانقلاب هم الارتجاعيون، فبإشارة تلك الآية خرجوا عن انقلاب الإسلام.

جملة معترضة : نرى المسلمين كبارهم وصغارهم العلماء والجهال الفقهاء والمتكلم والمحدث والمفسر كلهم كالمتفقين أن الظالم من المسلمين وغير الظالم من المسلمين كلاهما في الإسلام سواء تختلف درجاتهم في الجزاء والثواب، فماكنا نفهم المسألة حق الفهم . القرآن يحرم الشرك ويعلله بأنه ظلم عظيم يا سبحان الله: شئ واحد إذا سميناه شركا، فالمسلم يتبرأ عنه,وإذا سميناه ظلما لايتحاشون، فما كنا نقدر على التحليل[2]. وبعد ممارستنا في مسائل الانقلاب حصل لنا الفهم فيها الظالم من المسلمين لايكون انقلابيا، وعامة المسلمين غافلون عن الانقلاب، وعن اشتمال الإسلام على الانقلاب، فيجعلون الانقلابي والارتجاعي في درجة واحدة. والقرآن قانون الانقلاب هولا يسوي بين الانقلاب والارتجاع أبدا؛ولهذا الوجه أيضا هجر المسلمون التدبر في القرآن؛لأنهم لايتحملون أن يسمعوا الانقلاب، وعندهم للانقلاب معنى جديد يأتي الانقلاب؛لكن يجعل المسلم، ولوكان ظالما حاكما على الدنيا، ولايبالي غير المسلم، وإن كان عادلا هو دائما يكون تحت حكم المسلم. كان الانقلاب لاأثر فيه للظلم والعدل. إنما التأثير فيه لإسم الإسلام، ولما يسميه المسلمون كفرا. هذا بلاء جاء إليهم من الأقوام السافلة من اليهود والنصارى. فصل الإمام ولي الله في الفوز الكبير أن القرآن رد على من زعم مثل الزعم من اليهود[3] تمت.

(1) في ن م:"أنا حاربت الإنكليز، وكان لنا في بعض الأمور انتصـــارات. فبعد ذلك أخضـــع لهم لأجل الرجوع إلى البلاد يثقل على قلبي؛لكن تلك المصـــلحة لعل في بلادنا من أقوامنا يقوم رجال لنشـــر تلك النظرية القرآنية بالايتمام بالإمام ولي الله يعارضني في ذلك الفكر,ويكون نفسي مهيأة لقبول بعض الذلة في ذلك.لاتوجد في ن إ.

(2) التعبير رائع جدا من قبل الشيخ السندي؛لأن في الواقع هكذا كما لايخفى.الباحث.

(3) لينظر:الفوز الكبير للإمام ولي الله الدهلوي باب الجدل القرآني مع اليهود,44-63.

12 عادات نفسية يفترق بسسببها الأقوام[1] بعضها عن بعض، فمنعهم في هذه[2] الآية كما منع أعمالا تؤثر ذلك التأثير في الآية السابقة. إليه إشارة في **يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتًا فَكَرِهتُمُوه وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه تَوَّابٌ رَحِيمٌ 12**. معناه: منع عن أعمال وأخلاق تفرق الأقوام بعضها عن بعض، فكان مقصد الإسلام هو جمع الأقوام كلها مثل عائلة واحدة مثل ما ذكر أولا من جمع طوائف كعائلة واحدة، فتلك عائلة صغيرة، وهذه كبيرة. **يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ13**. ذكر الأقوام بلفظ شعوب كأنها شعبة شجرة واحدة لاقوام لها على الاستقرار. وتلك الشجرة الواحدة قد نشأت من ذكر وأنثى. هذه التقسيمات للأقوام إنما هو للتعارف. وجميع الأقوام مثل شئ واحد. فمن كان أتقى كان أكرم، ولوكان من أي قوم. ومن لم يكن له تقوى فهو مهان من أي قوم كان. **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّه أَتْقَاكُمْ**. فجعل الشرافة والعزة لقبيلة أو شعب مختصة له بدون تقوى ظلم عظيم؛لأن الله حكم أولا أن من لم يمتنع عن المفرقات بين الأقوام هو ظالم. هذا الذي يخص الشرف بقوم أو بقبيلة بدون تقوى يفرق الأقوام عن الاجتماع فهو ظالم ارتجاعي لاقيمة له في نظر القرآن. فالاجتماع[3] ينتظم تحت إقامة أمير أولا، وضم جماعة عائلة تحت أوامره المقيمة للعدل ثانيا، وجمع قوم في وضع الخلاف من طوائفه بالعدل وجعلهم إخوة ثالثا ثم جعل الأقوام كلها بمنزلة جماعة واحدة وعائلة واحدة رابعا. فإذا تحقق فهم القانون والعمل به حسب المدارج فاز المسلمون.

فصل: من دخل الإسلام؛لكن لايعرف اجتماعية[4] هو يقبل إسلامه؛ليتعلم حقيقة الإسلام. وإلى ذلك الزمان يجعل درجتهم ثانية بالنسبة إلى أصل المسلمين. وإذا فهموا معنى اجتماعيات

---

(1) في ن م : بسبب ذلك الأقوام.
(2) في ن م : تلك.
(3) من هنا يبين الشيخ السندي بأن الاجتماع كيف ينتظم؟وهو يبينه بصورة النقاط.الباحث
(4) في ن م : اجتماعياته.

الإسلام يلتحقون بهم. في عصرنا هؤلاء الانقلابيون يجعلون بعض الناس معتزلين إلى أيام، فأدركنا معنى ذلك من الحكمة، ورأينا شيئا يشبه في مثل هذه الآيات فأدركنا بعد ذلك سبب عدم نجاح جماعة من مشائخنا في الجهاد. أساس جماعتهم كان كلهم عالمين مجربين هاجروا بلادهم إلى بلاد بشاور[1] فقبلوا كل من جاء إليهم أنه مجاهد يريد الجهاد، وضموهم مع جماعتهم الأصلية على الفور نظرا إلى هذا الأمر أن هذا مسلم يقول إنه يجاهد، فدخل المنافقون، فأفسدوا الأمر، ولو أنهم قبلوهم تحت المراقبة، وتحت التعليم، وبعد الامتحان سلموا إليهم الأمور. غالب ظني أنهم كانوا من أهل النجاح. [2]

[3]. **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ 14**:**لاتقولوا آمنا**؛لأن المؤمن معناه هذا: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)**. أفسد جهالنا في شروح الحديث والتفسير. بأن الله يقول: إنما المؤمنون إخوة أبطلوا معنى الآية[4].ومعناها: أن الانقلاب لايأتي إلا من هؤلاء المؤمنين. فإن كنتم تريدون أن يدفع الإسلام الظلم عن المظلومين فلايقبل إلى تلك الجماعة إلا من يريد أن يجاهد

---

(1) عاصمة خيبربختونخواه باكستان.الباحث

(2) في ن م : لطيفة:"رفيقنا الشيخ أبو الكلام جاء إلى اتحاد الإسلام، وأنشأ جريدة: إسمها الهلال.كانت فريدة في بابها في جمالها الظاهري والباطني.أخبرني الشيخ: أن ألف نسخة منها كانت تشتري أهل بلدة واحدة حيدرآباد كانت لها شهرة وقبول.هو نشر في تلك المجلة نحن نريد أن نجمع جمعية إسمها يكون حزب الله،شرائط الدخول فيها كذا وكذا،فقال الشيخ :جاءت إلى اقتراحات إذا فتشتها فتسع مائة في الألف كانوا من الجواسيس فتركت هذا الحزب؛لأن الاقتراحات الغلبة فيها لأهل النفاق.فلو جعلنا درجة للمبتدئ إذا أراد أن يدخل في جماعتنا يتعلم فيها أصول الجماعة،وتكون حركاته تحت المراقبة. وبعد الامتحان نأخذه عضوا في الجماعة لما فسد أمرنا أبدا.هذا أمر ما تنبهت عليه بعد ما طالعت في موسكو "تنظيم كميونسزم"هذه العبارة لاتوجد في ن إ.

(3) في ن م : هذا الفصل

(4) هذا إطلاق بعيد عما هو سنن عامة المفسرين في بيان معنى هذا اللفظ، فإن عامة المفسرين يأخذون كلمة الأخوة الوارد في الآية بمعنى الإيمان كما في فتح القديرمثلا: يقول الشيخ الشوكاني في تفسيره قوله": وجملة: إنما المؤمنون إخوة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإصلاح، والمعنى: أنهم راجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان. قال الزجاج:الدين يجمعهم، فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب لأنهم لآدم وحواء فأصلحوا بين أخويكم يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا"..لينظر:فتح القدير،الشوكاني،74/5، وأيضا: يقول الإمام الشنقيطي في تفسيره تحت قوله تعالى: قوله تعالى: إنما المؤمنون إخوة.هذه الأخوة التي أثبت الله - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة للمؤمنين بعضهم لبعض هي أخوة الدين لا النسب.لينظر:أضواء البيان للإمام الشنقيطي,412/7.وغير ذلك من التفاسير المشهورة.الباحث.

بأمواله ونفسه في سبيل الله[1]. وهو عقل معنى الانقلاب، ووافق ذلك عقله وقلبه، وإليه الإشارة في قوله: **إنما المؤمنون الذين** . . وإذا لم يتحقق هذا اليقين بنظريات الإسلام أنه يهدم إمارة الرجل الظالم المصر على ذلك، وإن كان سمى نفسه أنه على دين موسى أو على دين عيسى. وبعد نزول القرآن فليفهم الناس أو يقول إنه على دين محمد، فتلك النظرية قبلها قلبه، وأراد أن ينفق ماله ونفسه في سبيل الله، فليأت، وليدخل جماعة المؤمنين. أما بدون ذلك فليس لكم حق أن تنضموا إلى تلك الجماعة. نحن نعرف في زماننا إذا هاجرنا بتلك الحقيقة يأتينا المتكلمون والفقهاء بفلسفتهم الطويلة[2] يردون تلك النظرية، ويجعلون هذا من باب الأمور المستحبة: من شاء فعل مثل ذلك. لعلهم قاموا في زمن النبي أيضا فأنزل الله **قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** 16 بعد ذلك إذا أرادوا أن يكونوا في الدرجة الثانية أيضا يريدون أن يعترف لهم بفضلهم مثل ما يعترف بمزايا المؤمنين إذا صرفوا قوتهم في الجهاد في سبيل الله. نبههم الله على خطأهم. **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** 17 كان هذا إحسان منهم يجب على النبي أن يعترف به. **قل لا تمنوا**. . . . هذا الانقلاب نعمة على الإنسانية ليس من الإنسانية منة على أحد أن انقلاب القرآن مثل هؤلاء الضعفاء لايأتي منهم شئ. **إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّه بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** هو يعلم؛فلذلك أوجب عليهم تحصيل تلك الدرجة.

---

(1) إن الشيخ السندي يركز على تفسير القرآن بالقرآن نفسه؛لذلك فسر قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّه وَرَسُولِه ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه أُولَئِكَ همُ الصَّادِقُونَ بقوله: إنما المؤمنون إخوة.

(2) في ن م: عريضة

الخاتمة

وهي تشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

لقد توصل الباحث من خلال البحث إلى نتائج عديدة أهمها فيما يلي :

- من المعلوم أن الشيخ عبيد الله السندي قد امتاز بذكاء حاد، وشجاعة في إبداء الرأي مع صبره على الوقوف على موقفه.
- أن هذا التفسير هو حصيلة الفكر المبتكرة للشيخ السندي، فليس على طراز كتب التفسير العامة، وهذا الأمر يؤدي حينا آخر إلى الإشكال في فهم المخطوط في مواضع متشتتة.
- أن منهج الشيخ السندي في التفسير منهج فريد في نوعه حيث سلك المؤلف على المسالك غير متداولة لدى المفسرين، ويحاول من خلال التفسير مد النظر في أحوال البشر في أدوارهم، وأطوارهم، ومناشئ اختلاف أحوالهم من عز وذل وقوة وضعف وعلم وجهل وإيمان وكفر ثم يخضع لحاجات العصر، ويريد هداية الخلق، وإصلاح حالهم، والتشريع لهم، وإقامة حياة الجماعة البشرية على أساس القرآن.
- لذلك أن المؤلف قد وضع أساس منهجه في تفسير الآيات، واستنباط الأحكام منها على علم الاعتبار، ولهذا أحيانا لم يفهم القارئ إذا لم يكن له مس بفكرة الشيخ السندي.
- أن الشيخ السندي يفسر القرآن على أصول فلسفة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، ويعد الشيخ نفسه من أكبر شراحه. وهذا من باب الحقيقة.
- أن مسيرة المؤلف من خلال التفسير أقرب إلى الترتيب النزولي، ولكن الباحث لم يجد شيئا دالا على اختياره بهذا الأسلوب.
- أن الشيخ يقسم السورة بالأجزاء، ويضع عليها عناوين ما يلائم بمنهج القرآن تدريجيا إلى التطور، والارتقاء في الاجتماعية العالمية.

- أن الشيخ يعارض الفكرة المعاصرة مثل الشيوعية، والرأسمالية، والاشتراكية وغيرها بذكر نقائصها، ويشرح الأصول في ضوء القرآن لنهضة الأمة الإسلامية.
- أن الشيخ السندي يقسم الإنسانية بين الحنفاء (الأديان الإبراهيمية) والصابئية (دون الأديان الإبراهيمية)، ويرى أن القرآن هو جامعهما لتأسيس المجتمع، وماهو أنسب للفطرة الإنسانية.
- أن الشيخ السندي يعتقد أن إعجاز القرآن في نظامه، وأصوله لتأسيس المجتمع.
- ربما يرى القارئ أن إسهاب المؤلف في بعض المباحث التاريخية أو ذكر الحكايات يمل القارئ، وهذا التطويل يبعد القارئ عن المقصود.
- يبدو من مقابلة النسخ أن بينهما تطابق فلأجل ذلك يمكن القول بأن بينها تطابق. لذا يمكن القول بأنها انبثقت من أصل واحد، وأنا حاولت قدر استطاعة البشرية المقابلة بين النسخ؛ليخرج النص أكثر صحة ودقة.
- أن لغة التفسير يشوبها أسلوب العجمة كثيرا؛لذلك يقع في العبارة تعقيد لفظي الذي يسبب الغموض في التأليف النحوي للجمل، وتارة إلى الأخطاء الجلية النحوية، وأكيدا يرجع هذا الأمر إلى النساخ، فإن الشيخ السندي قد ألف كتب أخرى باللغة العربية ؛ولكنها بمعزل عن مثل هذه الأخطاء مثلا:التمهيد في تعريف أئمة التجديد وغير ذلك من كتبه القيمة.

التوصيات:

- إن هذا التفسير يحتاج إلى مزيد من العمل والتوجه، فإني عملت حسب استطاعة البشرية لتكميل المتطلبات التعليمية، ويمكن تلخيص تلك الأمور في النكت الآتية وهي كما يلي:
- التفسير يحتاج إلى مزيد من الدقة في المقارنة بين النسخ.

- إن بعض المواضع من التفسير صعب فهمها حتى بعد المقارنة بين النسخ ، فهذا الجانب أيضا يحتاج إلى التأمل بدقة.
- التفسـير كله مرتب على الترتيب النزولي، لكن المؤلف لم يتكلم على إفادة ذلك، فلو رتب التفسير حسب الترتيب المصحفي لكان أحسن.
- إن نسخة إسلام آباد لإلهام الرحمن في تفسير القرآن أكثر دقة وشمولا إلا أنه أيضا فقد بعض السـور التي يوجد في نسـخة ماليزيا أو نسـخة حيدراباد فلو تحمل طالب آخر مسئولية تكميله لكان المشروع جامعا وشاملا.
- أن الشـيخ السـندي يذكر مرة تجاربه خلال تفسـير الآيات، وهي تكون بمثابة الجملة المعترضـة أو اللطائف الاسـتطرادية أو تتمة أو حكايات أو فوائد فينبغي جمعها في موضع واحد للإفادة العامة.

الباحث

عبد الحي السندي

الفهارس العلمية

وهي تشتمل على الترتيب التالي:

- ✓فهرس السور القرآنية حسب الترتيب النزولي
- ✓فهرس الآيات القرآنية
- ✓فهرس الأماكن
- ✓فهرس الآحاديث والآثار
- ✓فهرس الأعلام المترجم لهم
- ✓فهرس المصادر والمراجع
- ✓فهرس الموضوعات

فهرس السور القرآنية حسب الترتيب النزولي

فهرس الآيات القرآنية

16.	وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهمْ وَرَضُوا عَنْه	التوبة:100	**554**
17.	لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ	إبراهيم:7	**3**
18.	رَبِّ ارْحَمْهما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً	الإسراء:24	**2**
19.	وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا	الإسراء:37	**404**
20.	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون	المؤمنون:101	**16**
21.	وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهمْ خَيْرًا وَآتُوهمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ	النور:33	**519**
22.	إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	لقمان:113	**239**
23.	وَجَعَلْنَا بَيْنَهمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيها قُرًى ظَاهرَةً وَقَدَّرْنَا فِيها السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهمْ	سبا:18-19	**20**
24.	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُون	الصافات:27	**16**
25.	إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار	الزمر:21	**21**
26.	حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.	الزخرف:1-3	**25**
27.	أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهه هوَاه وَأَضَلَّه اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِه وَقَلْبِه وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَنْ يَهدِيه	الجاثية:23	**512**
28.	هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا(	الفتح:28	**480**
29.	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهلْ مِنْ مُدَّكِرٍ	القمر:22	**166**
30.	الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ	الرحمن:5	**43**
31.	كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ	الرحمن:26	**264**

.32	هذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ	الواقعة:56	**527**
.33	فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ	الحشر:2	**21**
.34	"يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ	الحشر:18	**515**
.35	هوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ"	الجمعة:2	**126،93**
.36	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	القلم:4	**429**
.37	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه	القيامة:19	**48**
.38	لَا تُحَرِّكْ بِه لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه	القيامة:13	**283**
.39	فَادْخُلِي فِي عِبَادِي	الفجر:29	**388**
.40	كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآه اسْتَغْنَى	علق: 6-7	**405**

فهرس الأحاديث والآثار

.19	رب مبلغ أوعى لها من سامع	**229**
.20	قد مضى الدخان	**481**
.21	لاتذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي.	**437**
.22	لأطوفن الليلة	**201**
.23	لانورث ما تركنا صدقة	**132**
.24	اللهم هؤلاء أهل بيتي	**132**
.25	لو أخذت عنقودا من الجنة فأكلتم منها إلى يوم القيامة	**370**
.26	لوكان الدين عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء	**230**
.27	ليليني منكم أولو النهي	**557**
.28	ماأنا بقارئ	**339**
.29	ماكان خباء أبغض علي من خبائك	**429**
.30	مطرنا بنوء كذا وكذا	**315**
.31	من لم يشكر الناس لم يشكر الله	**3**
.32	والله حرم الظلم على نفسه	**320**
.33	وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا..	**500,499**
.34	ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله....	**302**
.35	يتلو طول الليل آية واحدة	**317**
.36	يجرى الكذب على لسانهم	**335**
.37	يؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم	**328**

فهرس الأعلام المترجم لهم

266	طنطاوي بن جوهري	.50
211	عباس الأول	.51
112	عبد الرحمن	.52
17	عبد الرحمن بن أبي بكر	.53
234	عبد الرحمن بن محمد	.54
424	عبد الرحيم	.55
42	عبد العزيز	.56
427	عبد الغني	.57
334	عبد القادر	.58
100	عبد القادر	.59
111	عبد الله بن سعد	.60
507	عبد الله بن سلام	.61
15	عبد الله بن عباس	.62
461	عبد الله بن عمر	.63
70	عبد الله بن عمر	.64
210	عبد الله بن محمد	.65
70	عبد الله بن مسعود	.66

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- **القرآن الكريم.**
- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(ت:911هـ)،.ت، محمد أبوالفضل إبراهيم(الهئية المصرية العامة للكتاب، 1974هـ.
- أحكام القرآن ت: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ) عبد السلام محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط: الأولى، 1415هـ/1994م..
- إحياء العلوم، الإمام الغزالي(ت:505هـ)،دار المعرفة،بيروت.
- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق:الأستاذ تقي الدين الندوي،تعريب،فيروز أختر الندوي،،ط:دار القلم دمشق عام:2013م.
- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء،الإمام ولي الله الدهلوي،ط:قديمي كتب خانه كراتشي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ت: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) ت: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى ,سنة النشر: 1415هـ - 1994 م.
- أصُولُ الِفقه الذي لا يَسَعُ الفَقِيه جَهلَه.المؤلف: عياض بن نامي بن عوض السلمي،124 الناشر: دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية،ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ت: عبد الحي الحسني،دار ابن حزم، بيروت 1420هـ.
- الإكليل في المتشابه والتأويل ت: تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) ،الناشر: دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر. وغير ذلك من كتبه القيمة.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف: أبو عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى – 1418 هـ.

- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو 355هـ)،مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
- البدور البازغة، للإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق وتقدمة:الدكتور صغير حسن المعصومي،ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.
- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (المتوفى 794هـ) ،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه , ط: الأولى , 1376هـ =1957م.
- بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني،تأليف: محمد زاهد الكوثري،، المكتبة الأزهرية .
- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.
- تاريخ الجدل للشيخ أبو زهرة مط: دار الفكر العربي بيروت ط: عام , 1934م.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ،دار التراث – بيروت، ط: الثانية - 1387 هـ،
- تاريخ بغداد ،الخطيب البغدادي،،دار الكتب العلمية
- تأويل الأحاديث،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق وتقديم:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي،ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد،السند باكستان.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ط: 1984 هـ.
- التدوين في أخبار قزوين ت: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ) ،المحقق: عزيز الله العطاردي،الناشر: دار الكتب العلمية،ط: 1408هـ-1987م
- تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ت : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ط: 1415 هـ - 1995 مـ.

- التَّفْسِيرُ البَسِيْط،ت: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.ط: الأولى، 1430 هـ.
- التفسير الحديث محمد عزت دروزة، [مرتب حسب ترتيب النزول]، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1383 هـ.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ط: الأولى - 1419 هـ
- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي (المتوفى 606هـ) ،مط: دار إحياء التراث العربي بيروت ط: 4، 1420هـ =1999م.
- التفسير المظهري المؤلف: المظهري، محمد ثناء الله،المحقق: غلام نبي التونسي الناشر: مكتبة الرشدية – الباكستان ط: 1412 هـ..
- تفسير إلهام الرحمن في تفسير القرآن من إفادات الإمام عبيد الله السندي، نشره وحققه الشيخ غلام مصطفي القاسمي مط: مطبع نفيس حيدرآباد بدون تاريخ الطبع.
- تفسير جلالين تأليف: عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر محمد كمال السيوطي(ت:911هـ) من البقرة إلى بني إسرائيل والجلال الدين محمد بن أحمد الأنصاري المحلي من الكهف إلى الناس(ت:864هـ) سورة البروج.مط: مكتبه رحمانيه.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ت: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي،الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- تفسير مقاتل بن سليمان ت:مقاتل بن سليمان البلخى (المتوفى: 150هـ). المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ط: الأولى - 1423 هـ.وأيضا:ليراجع التفاسير الأخرى.
- التفهيمات الإلهية،الإمام ولي الله الدهلوي، ط:أكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.

- تقوية الإيمان،للشاه إسماعيل الدهلوي(1246هـ)،نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (المتوفى: 1420هـــ)اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري الناشر: دار وحي القلم - دمشق، سورية ط: الأولى، 2003 م.
- التكوين الجديد للفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال،ط:لاهور.
- تهذيب الأسماء واللغات،للإمام شرف الدين النووي, دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للإمام المزي (المتوفى 742) ت: بشار عواد معروف مط: مؤسسة الرسالة ط:1، 1400هـ.
- تيسير مصطلح الحديث ت: أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان, الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط: الطبعة العاشرة 1425هـ-2004م.
- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (المتوفى 310هـ) ت: أحمد محمد شاكر مط: مؤسسة الرسالة ط: 1، 1420هـ=2000م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه "صحيح البخاري" تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ت: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، 1422هـ.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـــ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، 1384هـ - 1964 م.
- جريدة الفضل_تنشر من قاديانية ويسمى جريدة قاديان أيضا_ 21 أغسطس سنة 1924م
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية،عبد القادر القرشي مير محمدكتب خانه،كراتشي.
- حجة الله البالغة للإمام الدهلوي (المتوفى 1176هـ) ت: السيد سابق مط: دار الجيل بيروت لبنان ط:1، 1426هـ=2005م.
- الحديقة الندية في آداب الطريقة النقشبندية محمد بن سليمان البغدادي / مطبوعة في مصر.وأيضا: مناهج السير لأبي الحسن المجددي طبع في دلهي عام 1957م.

- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد أحمد الخطيب مط: مكتبة الأقصى عمان – الأردن ط: 1 :1404هـ= 1984م , 2 :1406هـ= 1986م.
- الخير الكثير للإمام ولي الله الدهلوي, ط,سلسلة مطبوعات المجلس العلمي عام 1352هـ .
- دروس البلاغة مع شرحه شموس البراعة مط: مكتبة البشرى كراتشي باكستان.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ت: ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ،،ت: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت ط: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- روائع البيان في تفسير القرآن من أمالى الشيخ غلام مصطفى القاسمي(خ) رتبها الدكتور محمد إدريس السندي حينما كان يدرس لدى الشيخ غلام مصطفى القاسمي في أكاديمية الشاه ولي الله.
- روح المعاني لشهاب الدين الآلوسي (المتوفى 1270هـ) ،ت: علي عبد الباري عطية مط:دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى : 1415هـ
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفه, تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط،.مط: مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ط: 2010م،
- سنن أبي داود تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.
- سنن أبي داود تأليف: الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (المتوفى: 656 هـ), ت: محمد صبحي بن حسن حلاق (أبو مصعب) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية ط: الأولى، 1431 هـ - 2010 م .
- سنن الترمذي،الإمام محمد بن عيسى مط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ط: الثانية: 1395 هـ = 1975م.
- سنن الدار قطني،الإمام الدارقطني(المتوفى 385هـ) تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله مط: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ط: الأولى : 1424هـ=2004م.

- سنن الدارمي، الإمام الدارمي ت: حسين سليم أسد الداراني مط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط:1، 1412هـ.
- سير أعلام النبلاء للشمس الدين الذهبي (المتوفى 748هـ) الناشر : دار الحديث القاهرة ط: عام 1427هـ= 2006م.
- سير الأعلام تأليف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة ط :3 ، 1405 هـ / 1985 م.
- شرح السنة ت: أبو محمد البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت ط: الثانية، 1403هـ - 1983م
- شرح معاني الآثار ت: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) الناشر: عالم الكتب ط: الأولى - 1414 هـ، 1994م.
- طقُّوش، مُحمَّد سُهيل (1428هـ - 2007م). تاريخ مغول القبيلة الذهبيَّة والهند (الطبعة الأولى). بيروت - لُبنان: دار النفائس.
- الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني (المتوفى 561هـ)تحشية أبي عبد الرحمن بن صالح بن عويضة مط: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ط: الأولى : 1417هـ.
- الفاروق،الشيخ شبلي نعماني،،ط:إسلامي كتب خانه أردو بازار لاهور.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ت: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي،الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379م .
- فتح الخبير بما لابد من حفظه من علم التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176هـ) (خ) جامعة أم القرى بمكة المكرمة مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الجامعية قسم المخطوطات.

- فتح القدير تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ), الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط: الأولى - 1414 هـ.
- الفقه الإسلاميُّ وأدلَّتُه (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)المؤلف: أ. د. وَهبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق بدون تاريخ الطبع.
- الفكر الاجتماعي في تفسير الميزان عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا الإسلامية، العدد الثاني 1995م.
- الفوز الكبير في أصول التفسير الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي،103.بيت العلم، كراتشي: 2006ء.
- الفوز الكبير في أصول التفسير للإمام الدهلوي (المتوفى 1176هـ) تعريب وتعليق : الشيخ سعيد أحمد البالن بوري مط: مكتبة البشرى كراتشي باكستان ط:4، 1433هـ=1202م.
- فيوض الحرمين للإمام الشاه ولي الله الدهلوي مط : الشاه ولي الله أكيدمي حيدرآباد عام 2007م.
- فيوض الحرمين للإمام ولي الله الدهلوي،ترجمته بالإردية للشيخ محمد سرور بإسم مشاهدات ومعارف، مط:دار الإشاعت،ط:1414هـ،كراتشي باكستان.
- القادياني والقاديانية للشيخ أبي الحسن الندوي,: دار السعودية للنشر ط: 3, 1967ء.
- كتاب التعريفات ت: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ), ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط: الأولى 1403هـ -1983م
- لباب التأويل في معاني التنزيل ت: علي بن محمد أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ) تصحيح: محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، 1415 هـ.
- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر – بيروت ط: الثالثة - 1414 هـ.

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشـــندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـــ) ، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت – الكويت، الطبعة الثانية، 1985م،
- مجموع الفتاوى تأليف: ابن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـــ) ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م.
- المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)ت: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ،ط: دار الفكر .
- المستدرك على الصحيحين ت: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصـــطفى عبد القادر عطا الناشـــر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى، 1411 – 1990م.
- مسند ابن أبي شيبة ت: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) ت: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي الناشر: دار الوطن – الرياض ط: الأولى، 1997م.
- مســند الإمام أحمد ت: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أســد الشــيباني (المتوفى: 241هـ) ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)ت:محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- مفاتيح الغيب = التفسـير الكبير ت: الإمام فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـــ), الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الثالثة - 1420 هـ.

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت:324هـ) ،تصحيح: هلموت ريتر مط: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)ط: الثالثة، 1400 هـ - 1980 م.
- الملل والنحل تأليف:أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ) الناشر: مؤسسة الحلبي.
- مناهل العرفان في علوم القرآن ت: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ) ،ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،المؤلف:محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ) ،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي،الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،ط: الأولى - 1996م.
- النبراس شرح العقائد النسفية للشيخ محمد عبد العزيز الفرهاروي، ط: مكتبة البشرى كراتشي عام :2015م.

المصادر العامة

- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء (باللغة الفارسية) للإمام الدهلوي (المتوفى 1176هـ) تصحيح ومراجعة السيد جمال الدين الهروي.
- **اقبال كے** حضور سيد نذير نيازى، إكاديمية إقبال، لاهور: 2012ء
- أكابرعلماء ديوبند للحافظ أكبر شاه البخاري مط: إدارة إسلاميات لاهور
- أنفاس العارفين،الإمام ولي الله الدهلوي،،ترجمته بالأردية،سيد محمد فاروق القادري،ايم اے،ط:فريد بك استال لاهور عام:2007م.
- تاريخ دارالعلوم ديوبند للشيخ محبوب الرضوي مط:الميزان ناشران وتاجران كتب لاهور باكستان.
- تذكرة الأولياء,باللغة السندية,فريد الدين العطار, , ط:سنديكا أكاديمية, عام:2015م.

- التَرجمة الأردية لإلهام الرحمن مط: مكتبة أوراق،لاهور: 2005ء
- تفسير العزيز المشهور ب تفسير عزيزي،الإمام عبد العزيز الدهلوي،ط:ايج ايم سعيد كمبني،كراتشي.
- تفسير سورة سبا،باللغة السندية،من أمالي الشيخ السندي،تقديم وترتيب:الشيخ غلام مصطفى القاسمي
- تقديم الشيخ غلام مصطفى القاسمي لترجمة القرآن للشيخ سرور نوح الهالائي باللغة الفارسية،مط:لجنة إحياء الأدب السندي. حيدرآباد.
- حرف فكر" ، سعيد الرحمن، عبيد الله السندي، تفسير المقام المحمود، مكى دار الكتب، لاهور 2004ء .
- حياة الشيخ غلام مصطفى القاسمي وجهوده العلمية (غلام مصطفي قاسمي سوانح ۽ علمي ڪاوشون) مرتبه : الدكتور قاضي خادم.مط: كرسي العلامة غلام مصطفى القاسمي بجامعة السند جامشورو. ط: الأولى : 2011م.
- حيات جاويد،الطاف حسين حالي،225/1، ط:ارسلان بكس.
- سرگزشت حيات (ترجمة تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيد الله السندي) باللغة الأردية للشيخ عبد الخالق آزاد مط: إداره رحيمية لاهور باكستان.ط: 2014م .
- سطعات،الإمام ولي الله الدهلوي،تصحيح وتحشية:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي، ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند.
- سماجي إنصاف اور اجتماعيت: غلام مصطفى القاسمي, ,ت مفتى عبد الخالق آزاد لاهور ط: رحيمية مطبوعات 2019.
- العبقات،الشاه إسماعيل الدهلوي،ترجمته بالأردية،الشيخ مناظر كيلاني، ،ط:إدارة إسلاميات لاهور.
- فتح الرحمن بترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية،للإمام الشاه ولي الله الدهلوي,سورة النجم, مط:كروه علمي فرهنكي موحدين.
- قائد تحرير الوطن (وطن جي آزادي جو امام) للدكتور/ محمود شاه البخاري مط: لجنة إحياء الأدب السندي ط: 1984م

- لمحات،الإمام ولي الله الدهلوي،تحقيق وتقديم:الأستاذ غلام مصطفى القاسمي، ط:الأكاديمية الشاه ولي الله الدهلوي،حيدرآباد السند
- مثنوى،باللغة الفارسية،الإمام جلال الدين الرومي،ترجمته بالسندية،غلام محمد شاهواني،،ط:سنديكا أكيدمي كراتشي،عام:2003م.
- مجتهدانه اسلوبِ دعوت وحيد الدين خان، 7, ،6:43, الرسالة، دهلي 2019ء .
- مجموعه رسائل إمام شاه ولي الله (مجموعة الرسائل للإمام ولي الله الدهلوي) التفهيمات الإلهية ترجمته باللغة الأردية للشيخ عقيدت الله،ت:عطاء الرحمن قاسمي ط:1, 2020 شمع بك ايجنسي كراتشي باكستان.
- مستند موضح قرآن مع فوائد الشيخ عبد القادر الدهلوي،تصحيح،الشيخ أخلاق حسين القاسمي، ط:ايج ايم سعيد كمبني كراتشي،باكستان.
- مقالات قاسمي، مقال الشيخ غلام مصطفى القاسمي ترتيب : الدكتور مظهر الدين سومرو ناشره : نظير أحمد القاسمي بن الشيخ غلام مصطفى القاسمي مط: مطبع نفيس حيدرآباد. ط: 15 اكتوبر 2000م
- منصب إمامت،الشاه إسماعيل الدهلوي،ترجمته بالأردية للشيخ محمد حسن العلوي، ط:حاجي حنيف ايند سنز لاهور عام:2008م.
- الموسوعة العالمية (عالمي انسائيكلوبيديا) ،مط: فيصل ناشران،لاهور باكستان.
- مولانا عبيد الله سندهى كے علوم وافكار:عبد الحميد السواتي، مكتبه حميديه، جوجرانواله: 1423هـ.
- مولانا عبيد الله سندهى كى سرگذشتِ كابل،عبد الله اللغاري، ترتيب، الدكتور غلام مصطفى خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي. قومى اداره براے تحقيق تاريخ وثقافت,إسلام آباد: ط: 2017ء.

المواقع الشبكية:

- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%83%D9%86%D8%AF%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B7%D9%84%D9%8A%D9%85%
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%B1_%D8%B4%D8%A7%D9%87_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D9%85_%D9%81%D8%B1%D8%AE%D8%B2%D8%A7%D8%AFD8%A7%D8%B7
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%B6%D8%A7_%D8%A8%D9%87%D9%84%D9%88%D9%8A
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D8%B4%D8%AA.D9%88%D8%B3.
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%82%D8%B1%
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%A9
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B8%D9%87%D9%8A%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D8%A8%D8%A7%D8%A8%D8%B1.

- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D9%88%D9%8A
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%AB%D8%A7%D8%BA%D9%88%D8%B1%D8%B3
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B3%D9%88%D9%86%D9%8A%D8%A9
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA%D8%AD
- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AA%D9%85%D8%A7_%D8%BA%D8%A7%D9%86%D8%AF%D9%8A
- https://arz.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%84
- https://arz.wikipedia.org/wiki/%D9%87%D8%B1%D9%82%D9%84
- https://ur.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%B4%D8%A7%DB%81_%D8%A7%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%DB%8C
- https://www.britannica.com/biography/Joseph-Stalin
- https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%B3%D9%8A

- https://www.marefa.org/%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D9%86%D9%88%D9%8A
- https://www.marefa.org/%D9%85%D8%B2%D8%AF%D9%83

فهرس الموضوعات